مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة
نصوص آبائية - ١٨٨-

# حوار حول الثالوث

(الحوارات السبع في مجلد واحد)

ⲀⲂⲂⲀ ⲔⲨⲢⲒⲖⲖⲞⲤ



القديس
## كيرلس
عمود الدين

مؤسسة القديس أنطونيوس

المركز الأرثوذكسيّ

للدراسات الآبائية

بالقاهرة

نصوص آبائية

- ١٨٨ -

# حوار حول الثالوث

## (الحوارات السبع في مجلد واحد)

## للقديس البابا كيرلس (عمود الدين)

## بطريرك الإسكندرية الرابع والعشرون

ترجمه عن اليونانية وتعليقات

دكتور جوزيف موريس فلتس

مراجعة

د. نصحي عبد الشهيد

الطبعة الأولى

٢٠١٤

اسم الكتاب : حوار حول الثالوث

اسم المؤلف : البابا كيرلس بطريرك الإسكندرية .

اسم المترجم : دكتور جوزيف موريس فلتس.

تصميم الغلاف : إهداء من المهندس منير صبحي

الطبعة الأولى ٢٠١٤م

الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة ٨ (ب) ش إسماعيل الفلكي، الدور الأول. محطة المحكمة، مصر الجديدة تليفاكس: ٢٢٤١٤٠٢٢

E-Mail: opcc2007@yahoo.com

Web site: patristiccairo.com

رقم الإيداع : ٢٧٣٥٨ / ٢٠١٤

الترقيم الدولي : ISBN : 978-977-487-026-2

المطبعــــــــه : مطابع النوبار – العبور



قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

# فهرس المحتويات

# مقدِّمة

القديس كيرلس الأسكندري، مؤلف هذا الكتاب، هو من أبرز آباء الأسكندرية الذين دافعوا طوال حياتهم عن الإيمان المستقيم.

ومعروف أن القديس كيرلس أستلم كرسي الأسكندرية سنة ٤١٢م، وظلَّ يخدم الإيمان ويقوم بالرعاية الأمينه حتى انتقاله سنة ٤٤٤م.

في هذه الفترة التي تبلغ ٣٢عامًا، كتب القديس كيرلس عشرات الكتب في الدفاع عن الإيمان المستقيم، وفي شرح الكتاب المقدَّس بعهديه، وغيرها من الرسائل والعظات وموضوعات أخرى[1].

وقد دَرَجَ علماء الآباء على تقسيم كتابات القديس كيرلس إلى مرحلتين: مرحلة ما بعد ظهور النسطورية، ومرحلة ما قبل ظهورها.

ففي مرحلة ما بعد ظهور النسطورية (٤٢٨-٤٤٤م) كرّس معظم كتاباته للدفاع عن التعليم الصحيح عن التجسُّد، ضد البدعة النسطورية، وهو الدفاع الذي صار سبب شهرته بلقب عمود الدين. ولكن القديس كيرلس كان مدافعًا عن الإيمان المستقيم من قبل ظهور البدعة النسطورية.

وفي المرحلة الأولى من خدمته (٤١٢- ٤٢٨م)، أي ما قبل ظهور البدعة النسطورية، انشغل القديس كيرلس - في قسم من هذه المرحلة - بالدفاع عن ألوهية المسيح ابن الله ومساواته للآب في الجوهر ضد البدعة الآريوسية، وذلك في كتابين هما «الكنز في الثالوث»، «حوار حول الثالوث».

[1] أنظر عرضًا مفصلاً عن حياة القديس كيرلس وكتاباته في مقدمة كتاب «شرح إنجيل يوحنا . الجزء الثاني» للقديس كيرلس، إصدار المركز ١٩٩٥، وكتاب «القديس كيرلس حياته وكتاباته» نشره المركز ١٩٩٨.

## كتاب " حوار حول الثالوث ":

+ كتاب «حوار حول الثالوث»، كتبه القديس كيرلس حوالى سنة ٤٢٥م بعد كتاب «الكنز في الثالوث» بوقت قليل.

ويهدى القديس كيرلس كتابه «حوار حول الثالوث» إلى شخص يدعى «نيميسيوس» وكان ذلك في حياة بطريرك القسطنطينية اتيكوس، كما يشهد بذلك القديس كيرلس نفسه، وذلك في رسالته الثانية إلى نسطور فيقول: [ ... *وفي الحقيقة أقول ذلك إنه بينما كان اتيكوس*[٢] *ذو الذكر السعيد لا يزال حيًا، فإني قد كتبت كتابًا عن الثالوث القدوس الواحد في الجوهر، وقد ضمنته مقالاً عن تأنس الابن الوحيد وهو يتفق مع ما كتبته الآن*][٣]. ولهذا فقد كتب ق. كيرلس هذا الكتاب على الأكثر عام ٤٢٥م، ويشبه مضمون هذا الكتاب، مضمون كتاب «الكنز في الثالوث» إلاّ أنه أكثر تفصيلاً. وفي الواقع نحن لا نعرف السبب الذي جعله يعود للكتابة عن نفس الموضوع بمثل هذا الاسهاب، لكن من المحتمل أن يكون كتابه الأول «الكنز في الثالوث» قد كان صعبًا على جمهور القراء العريض، ولهذا فقد اجتهد ق. كيرلس في أن يعمل على تبسيط تعليمه وشرحه بتفصيل وإسهاب أكثر. وكما تشهد الرسالة المشار إليها بعاليه فإن هذا الكتاب كان قد قُرء جزءً منه أمام عددًا كبيرًا من الأساقفة والكهنة والمؤمنين في القسطنطينية، وربما كان هذا قد تمَّ من خلال سلسلة من العظات.

ولسهولة الشرح اتبع القديس كيرلس طريقة الحوار، وقد قسّم الكتاب إلى سبعة حوارات. ستة منها خاصة بأُلوهية الابن وحوار واحد عن الروح القدس.

وقد قُسِّمت الموضوعات الرئيسية إلى وحدات أصغر وذلك من خلال أسئلة يوجهها إلى شخص افترض وجوده وأعطى له اسم إرميا ورمز له بالرمز (A) وأيضًا من خلال إجابات منه على هذه الأسئلة أعطاها الرمز (B)[٤].

[٢] اتيكوس بطريرك القسطنطينية قبل نسطور من سنة ٤٠٦ ـ ٤٢٥م.

[٣] رسائل القديس كيرلس. ترجمة د. موريس تاوضروس، د. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الجزء الثاني سنة ١٩٩٨ ص ٢٩.

[٤] احتفظنا في الترجمة بأسماء إرميا وكيرلس بدلاً من الرموز A و B.

ويظهر من الأسئلة التي وضعها ق. كيرلس على فم إرميا بأن الأخير شخص اعتباري مُحب للسلام شغوف بالمعرفة وذو قلب نقي[٥]، يعكس من خلال أسئلته آراء المخالفين بدون أن يؤمن هو نفسه بها[٦]. هذه الطريقة أعطت للقديس كيرلس الفرصة كي يُعبّر بوضوح واستفاضة عن تعاليم الإيمان القويم من خلال الأجوبة، أو كما يقول القديس كيرلس نفسه عنها [*الإجابات تميّز الأفكار المختفية فتبنى بعضها وتهدم البعض الآخر*] [٧].

والمعروف أن هذه الطريقة (الأسئلة والإجابة) كانت محببة عند الفلاسفة اليونانيين قبل المسيحية، وقد أُستخدمت بواسطة آباء الكنيسة في العصور الأولى، وفي الكتابات الكنسيَّة في عصور متأخرة. وقد استخدمها ق. كيرلس نفسه في كتابين آخرين هما: «السجود والعبادة بالروح والحق» و«تأنس الابن الوحيد».

وكما سبق القول فإن ق. كيرلس يتحدَّث في ستة من هذه الحوارات عن أُلوهية الابن المتجسد. وهذا يتضح بالأكثر من عناوين هذه الحوارات التي أوردها هو نفسه في مقدمة كتابه وهى كالآتى:

١ ـ الابن أزليٌ مع الله الآب ومساوٍ له وواحد معه في الجوهر.

٢ ـ الابن أزليٌ مع الله الآب وهو مولود منه حسب الطبيعة.

٣ ـ الابن إله حقيقي كما أن الآب إله حقيقي.

٤ ـ الابن غير مخلق وغير مصنوع.

٥. كل خواص الألوهة ومجدها، كائنة في الابن بالطبيعة تمامًا مثل الآب.

٦ ـ خواص الطبيعة البشرّية وكل ما قيل عن ما فعله الابن ولا يليق (حسب تصُّورهم)، كل هذا يشير بالحري إلى طبيعته البشرية وليس إلى طبيعة الكلمه إذ هو الله.

---

[٥] أو كما يصفه ق. كيرلس "المجتهد والمؤهل للخوض في هذه القضايا بسبب علمه وبحثه الدائم. انظر ص٣

[٦] يقول كيرلس لإرميا: "قل ما شئت إذًا، ولن أعتبر ما تقوله هو تعبير عن إيمانك بل هو يمثل آراء المخالفين" انظر ص١١٨.

[٧] انظر ص٨.

أما الحوار السابع فإنه يختص بالحديث عن أُلوهية الروح القدس ويحمل العنوان التالى:

٧ ـ الروح القدس وإنه -بطبيعته- إله من إله حسب الطبيعة[٨] .

**النص اليوناني والترجمة:**

يوجد النص اليوناني الأصلي لهذا الحوار بمجموعة الآباء الذين كتبوا باليونانية والمعروفة بـ:

مجموعة باترولوجيا جريكا ـ ميني في مجلد ٧٥، P.G. 75: 787-860.

وأيضًا في المجلد رقم 237 من السلسلة الصادرة في باريس عام ١٩٧٦، «المصادر المسيحية» Sources Chretiennes ص١١-١٣٧.

وتمت الترجمة عن النص اليوناني الموجود في سلسلة آباء الكنيسة اليونانيين EIIE إصدار Tó Bvζαvτιóv. تسالونيكي عام ٢٠٠٢ مجلد رقم ٨ ص ١٩٨- ٥٠٥ والمجلد رقم ٩ ص ٨ - ١٨٩

ونوجّه عناية القارئ إلى أن العناوين الجانبية هي حسب الترجمة الفرنسية الموجودة في المجلد رقم (237) من سلسلة المصادر المسيحية SC.

**مراجع الهوامش**

استعنّا فى كتابة المقدمة والهوامش والتعليقات على النص المُترجم بالمراجع التالية:

**ـ الكتاب المقدس: ـ**

١- الطبعة البيروتية المتداولة.

٢- الترجمة اليسوعية.

٣- العهد الجديد ـ باللغة اليونانية.

[٨] يوجد نص آخر لهذا الحوار السابع تحت عنوان "تجميع ما قيل عن الروح القدس بالإضافة لبعض المفاهيم الأخرى" وقد كتبه ق. كيرلس فيما بعد. PG. 75.1124-1145

- الخولاجي المقدس - طبعة دير البراموس
- الأبصلمودية السنوية - طبعة دير البراموس.

**: النصوص آبائية:**

❖ **للقديس اثناسيوس:**

١ - ضد الوثنيين.

٢ - تجسُّد الكلمة.

٣ - المقالات ضد الآريوسيين.

٤ - رسائل إلى الأسقف سرابيون عن الروح القدس.

❖ **للقديس كيرلس:**

١ - شرح إنجيل يوحنا.

٢ - شرح إنجيل لوقا.

٣ - تعليقات لامعة على سفر التكوين ٢ ، ٣.

٤ - السجود والعبادة بالروح والحق.

٥ - رسالة ١٧ ، ٥٥.

❖ **للقديس غريغوريوس اللاهوتي: -**

١- الخُطَب اللاهوتية الخمس.

٢- الخطاب رقم ٤٠ عن المعمودية (باليونانية).

❖ **ليوسابيوس القيصري: -**

- حياة قسطنطين (باللغة اليونانية).

❖ **للقديس غريغوريوس النيسي**

- ضد أفنوميوس: ٨.
- خضوع الإبن للآب (شرح المعني الصحيح للآية).

للقديس امبروسيوس أسقف ميلانو:

- عن الروح القدس.

❖ للقديس هيلارى أسقف بواتيه:

- عن الثالوث ٢:٢ ، ٥.

❖ للقديس يوستينوس المدافع والشهيد:

- الحوار مع تريفو

❖ للعلاّمة ترتليان:

ضد الهرطقات

❖ للقديس يوحنا ذهبي الفم:

- العظة الثانية على سفر التكوين

- عظات على رسالة كورنثوس الثانية.

❖ للقديس إيريناؤس:

- شرح الكرازة الرسولية

- رسالة برنابا

ب. الدراسات:

1- R. Mel. Wilson, st. Andrews: The Early History of the Exegesis of Gen. 1.26. in Studia Patristica. Vol 1. 1957. p. 420-437.

2- Walter J. Burgharht: The Image of God in Man according to Cyril of Alexandria, Mary Land, 1957.

3- Trinity: in the encychopedia of Early Christianity, second edition, 1998. p. 1143.

4- Tomas F. Torrance, The Trinitarian Faith. T.&T. Clark. Edinburgh 1988.

5- The Faith, Clark Cariton, Salisbury, AM, 1997, p. 53.

٦ - د. نصحي عبد الشهيد: الروح القدس عند ق. كيرلس. في كتاب "الروح القدس عند الآباء" مركز دراسات الآباء ١٩٩٤.

٧ ـ د. جوزيف موريس فلتس: الآباء والعقيدة. دراسات آبائية ولاهوتية. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. السنة الأولى. العدد الأول سنة ١٩٩٨ ص ٢٧.١٧.

٨ ـ د. جوزيف موريس فلتس: أمثلة لتفسير الآباء لآيات الكتاب المقدس. دراسات آبائية ولاهوتية. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، السنة الثامنة، العدد الخامس عشر يناير ٢٠٠٥ ص٥٣.٤٤.

٩ ـ د. جوزيف موريس فلتس: تعاليم عقيدية في الصلوات الليتورجية. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. أكتوبر ٢٠٠٤.

١٠ـ توماس ف. تورانس: الإيمان بالثالوث. ترجمة د. عماد موريس، مراجعة د. جوزيف موريس. إصدار مكتبة باناريون ـ القاهرة ٢٠٠٧م.

١١ـ " الروح القدس عند الآباء" مركز دراسات الآباء، ١٩٩٤.

١٢ـ الخوري بولس الفعالي: كتابات عزرواية، بيروت ٢٠٠٢.

**الاختصارات:**

**EIIE**: Ελληνες πατερες της Εκκλησιας

**P.G.**: J.P. Migne, Patrologiae Corpus completes, series Graeca, Paris 1857-1866.
SC: Source Chretennes, 1976

**ج**: جزء
**ح**: حوار
**ف**: فهارس
**س**: ترجمة سبعينية
**ص**: صفحة
**ط**: طبعة
**م**: مقدِّمة

# التعليم عن الثالوث عند آباء الكنيسة

## I. عقيدة الثالوث القدوس المساوى في الجوهر:

نحاول أولاً إيضاح أهمية عقيدة الثالوث القدوس لإيماننا المسيحي وحياتنا وخلاصنا وكيف علّم آباء الكنيسة - وبالأكثر ق. أثناسيوس - عنها، لأن كتاباته العقيدية كانت هى مصدر أساسي لتعاليم ق. كيرلس عن هذه العقيدة الخلاصية، بل أن الأخير قد اتخذ منهج ق. أثناسيوس في فهم وشرح عقيدة الثالوث - كما سنرى بالتفصيل فيما بعد - منهجًا له.

إن عقيدة الثالوث القدوس، أى الآب والابن والروح القدس، الأقانيم الثلاثة المتساوون في الجوهر وذوو القداسة الكليّة، هى الأساس الراسخ لكل فكر ديني وتقوي ولكل الحياة والخبرة الروحية، فالنفس المسيحية في بحثها عن الله هى في الواقع تبحث وتفتش عن الثالوث[1].

وعقيدة الثالوث القدوس ليست من اختراع بشر، بل هى حقيقة أعلنها الله نفسه لأجل خلاص الإنسان، أو كما يدعوها ق. غريغوريوس النيسي بـ "العقيدة الخلاصية"[2]، لأنها عطيّة الله لنا لأجل خلاصنا. وبالتالي فعقيدة الثالوث - مثلها مثل كل العقائد الإيمانية - ليست هى نتيجة لفكر بشري بل أن جذورها هى في الاعلان الإلهي، ومنه تستمد كل تعاليمها وبه ترتبط كل الإرتباط. وبحسب التعليم الأرثوذكسي فإنه لا توجد عقيدة غير نابعة من ذلك الاعلان الإلهي الذي تم في المسيح يسوع «*اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ*»[3]. والابن وكلمة الله، عندما أُستعلن، كشف لنا

---

[1] The Faith, Clark Cariton, Salisbury, AM, 1997, p. 53.

[2] رسالة ٢٤ PG. 46.1089A

[3] يو ١:١٨

سرّ الثالوث، فهو الذي «*أظهر لنا نور الآب وأعطانا شركة الروح القدس الحقيقية*»[4]. لهذا فإن الإنسان لا يستطيع بقوّته أن يكتشف الحقيقة، فالعقل المحدود لا يستطيع أن يُدرك الحقيقة التي هى فوق كل إدراك. وبالتالي فعقيدة الثالوث ليست هى نتيجة أفكار بشرّية وليست لها علاقة بالمعرفة والحكمة البشرّية، والمعرفة البشرّية بالتالي ليست هى مصدر عقيدة الثالوث كما أنها لا يمكن أن تكون حكمًا عليها، كما أن لا التاريخ ولا الخبرة الدينية يمكن أن تفعل هذا. فعقيدة الثالوث ليست هى ثمرة تجارب أو خبرات تاريخية ودينية. فالإنسان لا يستطيع أن يصل إلى هذه العقيدة بل هى أُعطيت للإنسان. فأصلها أبعد من قدرات الإنسان إذ هى واقع آخر يفوق واقعه الحالي وتختلف عنه في النوع. فالمسيح الإله الحيّ هو الذي أعلن وكشف لنا عن هذه الحقيقة. وهدف كل عقيدة هى الحياة في المسيح. ولهذا فهذه العقيدة أو بمعنى آخر هذه الحقيقة قد أُعطيت للإنسان لكى تقوده إلى علاقة مع الله مثلث الأقانيم وشركة في حياة الثالوث القدوس كما يقول ق. يوحنا «*وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.*»[5] في الروح القدس.

ولقد أدرَكَ آباء الكنيسة تلك الحقيقة وعاشوها، لهذا نجد مثلاً أن القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات يصف عقيدة الثالوث القدوس بأنها «رأس الإيمان» ويشدّد القديس أثناسيوس أيضًا على أن الكنيسة قد تأسست على الإيمان بهذه العقيدة والتي بدونها لا يمكن أن يكون المرء مسيحيًا فيقول «دعونا ننظر إلى تقليد الكنيسة وتعليمها وإيمانها الذي هو منذ البداية والذي أعطاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء وعلى هذا الأساس تأسست الكنيسة ومَن يسقط منه فلن يكون مسيحيًا ولا ينبغي أن يدعى كذلك فيما بعد. وإذن يوجد ثالوث قدوس وكامل يُعترف بلاهوته في الآب والابن والروح القدس»[6].

**لقد أوصى الرب القائم من بين الأموات، تلاميذه عندما التقاهم في الجليل**

---

[4] هكذا نصلي في القداس الغريغوري.

[5] ١يو١: ٤.

[6] الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون، ترجمة د. موريس تاوضروس د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ١٩٩٤. الرسالة الأولى: ٢٨.

بعد القيامة قائلاً: «*فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ*»[٧]، وهذا الإيمان بالثالوث هو الذي أعطاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء كما قال ق. أثناسيوس، غير أن حقيقة الثالوث لم تبدأ بتجسُّد الابن الوحيد، بل هى حقيقة أبدية، إذ نجد أن في العهد القديم نصوصًا استشف منها الآباء ما يوضح حقيقة الثالوث مثل قول الرب في صيغة الجمع «*نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا*»[٨]، غير أنه بتجسُّد الابن الوحيد استُعلنت طبيعة الله وحقيقته، وكُشف لنا سرَّ الثالوث القدوس كاملاً.

وبالرغم من أن الرسل قد آمنوا ثم كرزوا بما آمنوا به وعلّموا وتلمَّذوا كثيرين على هذه العقيدة الخلاصية إلاّ أن عقيدة الثالوث قد تعرّضت على مَرَّ العصور الأولى للمسيحية لهجوم كثير من الهراطقة الذين علّموا بأفكار متعددة وخاطئة، فمنهم مَنْ اتهم المسيحيين بأنهم يعبدون ثلاثة آلهة مثلهم مثل الوثنيين الذين كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة، ومنهم مَنْ أنكَرَ عليهم إيمانهم بأُلوهية الابن المتجسِّد، فأنكروا علاقته الجوهرية بالآب. وغيرهم من الذين بعدما أنكروا أُلوهية الابن حاسبين إياه من بين المخلوقات، تحوَّل هجومهم ضد الأقنوم الثالث فأنكروا أُلوهية الروح القدس.

وهذه التعاليم الخاطئة سواء كانت ضد أُلوهية الابن أو أُلوهية الروح القدس، هى في الواقع موجهة ضدَّ عقيدة الثالوث القدوس لأن إنكار أُلوهية أى من الأقانيم الثلاثة هو إنكار لعقيدة الثالوث كلها حتى وإن كانت الهرطقات قد وجَهَت سهامها إلى أقنومي الابن والروح القدس فقط.

هذا ولقد وصلت هذه التعاليم الخاطئة إلى ذروتها بظهور بدعة آريوس الذي أنكر أُلوهية الابن، الأمر الذي واجهته الكنيسة بكل حزم وشدَّة متمثلة في موقف ق. أثناسيوس وقرارات مجمع نيقية الأول ٣٢٥م والذي حدّد موقف الكنيسة وإيمانها بأُلوهية الابن المتجسِّد ووحدته في الجوهر مع الله الآب. وأيضًا بظهور بدعة مقدونيوس التي أنكرت أُلوهية الروح القدس فجاء انعقاد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية ٣٨١م ليعبّر عن إيمان الكنيسة

[٧] مت٢٨:١٩.

[٨] تك١:٢٦.

الجامعة بربوبية الروح القدس المحيي والمسجود له مع الآب والابن.. وهكذا استطاع الآباء أن يحدّدوا صياغة عقيدة الثالوث ويردوا على التعاليم الخاطئة التي علّم بها الهراطقة سواء عن طريق الصياغة التي أقروها في مجمعي نيقية والقسطنطينية أو في كتاباتهم الدفاعية التي سجّلوا فيها تعاليمهم عن أُلوهية الابن وولادته الأزليّة من الآب ومساواته في الجوهر للآب والروح القدس، أو تلك التي سجلوا فيها تعاليمهم عن أُلوهية الروح القدس وانبثاقه من الآب وإرساله بالابن وأنه من ذات جوهر الآب والابن.

ولقد كان القديس أثناسيوس الرسولي من بين هؤلاء الآباء الذين دافعوا عن عقيدة الثالوث. غير أن دفاعه عن أُلوهية أقانيم الثالوث قد تميّز ببعده الخلاصي والكياني، فمن الواضح تمامًا أن مدخل ق. أثناسيوس إلى فهم وشرح عقيدة الثالوث القدوس كان يقوم على أساس أعمال الله الخلاصيَّة والإعلانية التي تحققت في ظهور ابنه الوحيد بالجسد. ومن خلال مفهوم «هوموأوسيوس ὁμοούσιος» كان القديس أثناسيوس يصل إلى العلاقات الأزليَّة والتمايز داخل جوهر اللاهوت الواحد[9].

لقد كان شغله الشاغل ـ وهو يرد على الآريوسيين الذين أنكروا أُلوهية الابن المتجسِّد ـ هو أن يحافظ على ما أتمّه المسيح من أجلنا ومن أجل خلاصنا ـ فلو لم يكن المسيح هو الله بالحقيقة كما أن الآب هو الله بالحقيقة (بسبب وحدتهما في الجوهر) لما كان في الإمكان أن يعرّفنا بالآب أو أن يفدى البشرية من الموت والفساد. ولو لم يكن الابن هو الإله الذي تجسَّد لما كان ممكنًا ـ عندما اتحد بطبيعتنا ـ أن يعطينا الحياة الإلهية أى حياة الثالوث.

وأيضًا كان هذا البُعد الخلاصي لفهم وشرح عقيدة الثالوث القدوس واضحًا جدًا في رسائل ق. أثناسيوس عن الروح القدس والتي كتبها بين عامي ٣٥٦، ٣٦١ بناءً على طلب من صديقه سرابيون أسقف تيمي من أجل الردّ على

[9] Tomas F. Torrance, The Trinitarian Faith. T.&T. Clark. Edinburgh 1988. p.305

أى أن ق. أثناسيوس كان يبدأ في إيضاح عمل الله التدبيرى. في حياة الإنسان. بواسطةالمسيح، ومن المسيح. الأقنوم الثاني. يصل بعد ذلك من خلال " الهوموأوسيوس " (الوحدانية في ذات الجوهر الذي للآب والابن والروح القدس) إلى العلاقات الأقنومية داخل الثالوث أى العلاقات الداخلية في جوهر الله الواحد.

رفض أنصاف الآريوسيين[١٠]، لألوهية الروح القدس على أساس بدعة تقول إنه من «جوهر مختلف ἑτεροούσιος» عن الآب والابن. ولأن هذا الانحراف كان يشكّل تهديدًا واضحًا لعقيدة الثالوث القدوس وبالطبع لسرّ المعمودية المقدسة . وذلك بسبب تمزيقه لوحدة الله . فقد واجهه ق. أثناسيوس بنفس البراهين الخرستولوجية والخلاصية والكيانية التي استخدمها في جداله الطويل مع الآريوسيين[١١] وقد ظلّ على تأكيده القاطع بأنه من خلال عقيدة أُلوهية الروح القدس ووحدانيته في ذات الجوهر (مع الآب والابن) يكتمل فهمنا للثالوث القدوس في فكر الكنيسة وعبادتها[١٢].

فكما أننا نأخذ معرفتنا للآب من معرفتنا للابن فهكذا تمامًا ينبغي أيضًا أن نأخذ معرفتنا للروح القدس من معرفتنا للابن، أى من العلاقات الداخلية التي بين الآب والابن والروح القدس في جوهر الثالوث الواحد غير المنقسم[١٣]. وكان ق. أثناسيوس قد أقام حجته الدفاعية على أساس رؤية خلاصية، من منطلق أننا لو لم نكن في الروح القدس نُعطى علاقة مع الله، لما كان للإنجيل أى مضمون حقيقي وهو بالضبط ما كان سيحدث لو لم يكن الابن واحدًا في ذات الجوهر والقدرة مع الله الآب، فكل شئ إذًا يرتبط بحقيقة الوحدانية في ذات الجوهر التى للروح القدس والآب والابن. وبما أن الابن هو من جوهر الآب وخاص بجوهره، فكذلك روح الله الذي هو واحد مع الابن (وخاص به) لابد أن يكون معه (أى مع الابن) من جوهر الآب وواحد معه في ذات الجوهر[١٤].

١٠ كان يتزعمهم يوسابيوس أسقف قيصرية. أصروا على التمييز المشدّد بين الآب والابن، رفضوا مصطلحات مجمع نيقية واعتبروها سابيلية ولأنها لم ترد في نصوص العهد الجديد، إلاّ أنهم كانوا على استعداد لقبول معنى التساوى أو الوحده في الجوهر ὁμοούσιος لكن بتعبير مخالف، لهذا تمسكوا بالتعبير "مماثل للآب في كل شئ" وانكروا فيما بعد ألوهية الروح القدس.

[١١] انظر الرسالة الأولى إلى سرابيون: ٢.

[12] T.F. Torrance. Ibid. p.306.

[١٣] انظر الرسالة الثانية إلى سرابيون: ٤،٣، الثالثة: ١.

[14] T.F. Torrance. Ibid. p.306.

وأيضًا ق. أثناسيوس. الرسالة الأولى إلى سرابيون ١٤،٤، ٢٣.
لقد حاولنا إيضاح هذا التأثير من خلال إشارتنا في هوامش الكتاب إلى نصوص ق. أثناسيوس التي شرحت نفس تعاليم ق. كيرلس. وخصصنا فهارس للوصول بسهولة إلى هذه النصوص وإلى نصوص آبائية أخرى.

## II- تعاليم القديس كيرلس عن عقيدة الثالوث:

ولقد اقتفى ق. كيرلس أثار مَن سبقوه من الآباء في محاولاتهم للدفاع عن عقيدة الثالوث. غير أنه تأثر تأثرًا كبيرًا بكتابات ق. أثناسيوس الرسولى وخصوصًا تلك التي دافع فيها عن أُلوهية الابن مثل مقالاته ضد الآريوسيين، وأيضًا تلك التي دافع فيها عن أُلوهية الروح القدس مثل رسائله إلى الأسقف سرابيون ، وذلك لأن ق. كيرلس كان على قناعة تامة بأن الدفاع عن أُلوهية أحد أقانيم الثالوث هو دفاع عن عقيدة الثالوث القدوس كله.

وفي **الحوار الأول** الذي اختار له عنوان "الأبن أزليٌّ مع الله الآب ومساوٍ له وواحد معه في الجوهر" يحاول ق. كيرلس الاستجابة لطلب محاوره «إرميا» كيَّ يشرح له [*عقيدة الإيمان بطريقة مبسطة وسهلة الفهم*] وهو أيضًا يَعلَم أنه وهو يفعل هذا فإنه لن يضيف جديدًا لما سبق أن علّم به الكتاب المقدس أو ما قد تسَّلمه من الآباء الذين سبقوه، لذا يقول: [*لست أدَّعى أنني سأقول شيئًا أفضل من الذي قاله اسلافنا أو أني سوف أسير غور الأمور الروحية بشكل أحسن*][15]. وهو يثق أنه سيجد عندهم الكفاية من النصوص والتعاليم التي يجب علي المرء أن يتمعَّن فيها بوعي وحرص، فستنير عقله بها، فيقول: [*لأننا نجد كفايتنا فيما كتبه الآباء القديسون، لأن مَنْ يقرر أن يتعرّف بحكمة علي الآباء ويستعمل كتاباتهم بالحرص الواجب فسوف يسكن النور الإلهي عقله*][16].

وبناء علي ذلك كان عليه أن يبدأ أولاً [*بعرض الإيمان كما حدده بدقة وعرضه بكل وضوح المجمع المقدس الذي انعقد في الوقت المناسب في مدينة نيقية*][17]. ويرى ق. كيرلس - مع كل آباء الكنيسة - أن ما حققه هذا المجمع كان «انجاز عظيم» لأن قانون الإيمان الذي تحدد من هذا المجمع، كما يتابع ق. كيرلس كان قد [*قدَّم لنا مفاهيمًا إيمانية صادقة*][18].

[15] انظر ص ٨.

[16] انظر ص ٨.

[17] حرص ق. كيرلس علي أن يورد نص قانون إيمان نيقية والحرم الذي أوقعه المجمع علي كل من ينادي بما قاله آريوس. أنظر ص٩، ١٠.

[18] من المعروف تاريخيًا أن مجمع نيقية هو المجمع المسكوني الأول والذي انعقد أساسًا للرّد علي هرطقة آريوس الذي أنكر ألوهية الإبن والذي نادى بعدم إزليتّه وبأنه غير مساوٍ للآب في الجوهر وبأنه مخلوق. وقد قاوم ق. أثناسيوس هذه=

ويذهب ق. كيرلس إلي وصف كل مَنْ ساهم في صياغة هذا القانون بأنه مثل ق. يوحنا الذي كان من أكثر من شهدوا في الأناجيل لالوهية الإبن وعلاقته بالآب والروح القدس: [*يا للحذق الذي بلا عيب وما يؤدي إليه من سمو أن كل مَنْ نطق بمثل هذه الكلمات يستحق أن يُدعى ابن الرعد لأنه نطق بشيء رائع*][19].

وفي مواجهته لمَنْ ينكرون الوهية الإبن، يتساءل في استنكار [*ثم ماذا يمكن أن يكون لديهم من اعتراضات علي هذا الإيمان أو الاعتراف بالإيمان الأرثوذكسي والدقيق والذي لا يملك إنسان أن يعدّله بأي شكل؟*][20].

ويضع إجابة الأريوسيين علي لسان إرميا فيقول [*نعم أنهم يقولون أننا قد أدخلنا كلمة هوموأوسيوس (الواحد في الجوهر) وهي كلمة غير واردة في الكتب المقدسة وأنها شيء جديد وغير كتابي*][21].

وقبل أن يشرح المعنى السليم لهذا التعبير الذي لم يَردْ بالفعل كما هو في الكتاب المقدس، يبرّر ق. كيرلس استخدام الآباء لهذا التعبير بأنه [*توجد كلمات وأوصاف آخرى تعوَّدنا أن نطلقها علي طبيعة الله ولا توجد في الكتب المقدسة والإلهية*] بل ويُعطي أمثلة لذلك بقوله إننا نفعل هذا [*حينما نصف الذات الإلهية بأنها غير مادية وغير مرئية وغير محدودة وغير ممكن قياسها*][22].

وبالرغم من عِلمْ ق. كيرلس بأن المعني الحقيقي لتعبير هوموأوسيوس هو [*معروف ومعترف به علي الأقل من قِبل الذين فحصوا بعمق الأمور الإلهية*] إلاّ أنه بكل وضوح يعيد شرح هذا المعنى بقوله [*إن الابن وَلَد من نفس طبيعة الله الآب وبذلك يكون الابن ليس من جنس آخر كما يريد أولئك الناس،*

---

-الهرطقة مع آباء مجمع نيقية والتي كانت قد انتشرت في انحاء الأمبراطورية الرومانية حتى أنه قيل: لولا أثناسيوس لصار العالم كله أريوسيًا. وربما كان هذا هو الدافع لأن يذكر ق. كيرلس هنا أن المجمع قد عقد في الوقت المناسب، كما أن السبب الذي انعقد من أجله المجمع، ألاّ وهو الدفاع عن ألوهية الإبن وعن علاقته الجوهرية بالآب والروح القدس،هو نفسه موضوع حوارات ق. كيرلس السبع حول الثالوث.

[19] انظر ص ١٠.

[20] انظر ص ١١.

[21] انظر ص ١١.

[22] انظر ص ١٢.

*ولا هو غريب عن الذي ولده ولكنه مساوٍ له في الجوهر وله نفس خواصه وطبيعته*][23].

ويعود إرميا لتكرار تساؤل الهراطقة بقوله [*لكن هذا لا يلغي السؤال: أين يذكر الكتاب المقدس تعبير هومواوسيوس؟*][24].

وهنا يدِّلل ق. كيرلس علي صحة استخدام هذا التعبير بالإشارة إلي تعبيرات أخرى نستخدمها كصفات لله فيقول متسائلاً: [*أين وَصَفَتْ الكتب المقدسة إله الكون بأنه «غير جسدي» «غير الموصوف» «غير المحدود» «غير خاضع لأحد» ورغم ذلك فهو كل هذا بالطبيعة سواء أراد هؤلاء أم لم يريدوا*][25].

ويَخلصُ ق. كيرلس إلي القول بإن [*تعبير هوموأوسيوس هو أصدق تعبير علي الإطلاق. وحينما يقول أحد إن الإبن مساوٍ للآب في الجوهر فإنه لا يرتكب حسب رأينا أي خطأ، ولا يعتبر مبتدعًا، ولا يفرض أسماء علي الألوهه بدون داعٍ*][26] ويأتي إلي نتيجة حاسمة بخصوص علاقة هذا المصطلح بالكتاب المقدس فيقول [*إن مَنْ يستخدم هذا التعبير هو يستخدم كلمة أستطيع أن أقول بلا تردد إن جذورها الأولي توجد في الأسفار الموحي بها. وهكذا فالاشتقاقات التي تخرج من الكلمة ليست بلا أصل ولكن جذورها كامنة منذ البدء*][27].

ففي إصرارهم المستميت لأنكار الوهية الإبن المتجسِّد حاول الأريوسيون محاربة استخدام تعبير «هوموأوسيوس» أي «واحد مع الآب في الجوهر» باستخدام تعبير «مشابه للآب في الجوهر» وهذا ما يُعبِّر عنه سؤال إرميا القائل: [*هل لديك اعتراض إن فضَّلوا تعبير «مشابه في الجوهر» علي تعبير «واحد في الجوهر»؟*][28] وهنا يرد ق. كيرلس ردًا منطقيًا بقوله [*كلامهم هذا غير مستقيم يا صديقي العزيز، فهم يناقضون أنفسهم بعد أن بذلوا جهدًا كبيرًا لاثبات أن التعبير غير*

[23] انظر ص ١٢.

[24] انظر ص ١٢.

[25] انظر ص ١٣.

[26] انظر ص ١٤.

[27] انظر ص ١٤.

[28] انظر ص ١٤.

*كتابي. فإما أن «الإبن واحد مع الآب في الجوهر» أو أنه لا شيء. وإذا أرادوا أن يقولوا عنه إنه «مشابه في الجوهر» حسب ما يستحسنون فإن عبارة «واحد مع الآب في الجوهر» هي أساس كل شيء عندنا. وكيف يُفسرون موقفهم بعد أن احتقروا العبارة ووصفوها بأنها غير صائبة وغير متفقة مع الأسفار المقدسة، ورفضوا أن يقبلوا أي خطاب يحمل ما يشير إلي هذا التعبير، ثم يعودون ويقبلونها ويضعونها في مصاف الألفاظ القيِّمة، وبافتراض أننا سمحنا لهم باستعمال عبارة أن الأبن مشابه للآب في الجوهر، فماذا سيكون موقفهم في نظرك؟*][29].

لقد فهم ق. كيرلس أن في محاولتهم هذه لاستبدال تعبير «واحد مع الآب في الجوهر» بتعبير «مشابه للآب في الجوهر» أنهم يحاولون [*قطع كل صلة وشركة طبيعيه بين الآب والإبن، وكأنهم اشفقوا عليه فسمحوا له أن يكون مشابهًا الآب». غير أن تفكيرهم هذا سيقود بالحتم إلي نتائج خطيرة، تؤدي حتمًا إلي الاعتقاد بأن الإبن وكلمة الله هو مخلوق مثلنا*][30] أو حسب ما يقول ق. كيرلس [*وهكذا لا نرى الفرق بين الإبن الوحيد وباقي الناس المخلوقين علي صورة الله والذين يظهر فيهم بعض هذا الجمال الإلهي*][31].

ويجد ق. كيرلس فيما أوصى به المسيح تلاميذه الأثني عشر بعد أن تَّم اختيارهم عندما قال لهم من بين ما قال «فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ»[32]، يجد فيه سندًا قويًا لشرح تعليمه فيقول [ *ألاَ تُدرك أن هذه الصفة الألهية تُطبع فينا، وبذلك تُشكِل طريقة حياتنا بممارستنا للصلاح؟ فالصلاح فائق بحسب ما يليق بجوهر الله. ورغم ذلك فنحن نستطيع أن نصير صالحين بالإقتداء به. وذلك بفضل طريقة حياتنا، بشرط أن نختار باشتياق وامتداد للأمام كل ما يستحق الأقتداء به. ولأننا نتمتع بذهن صافٍ ورؤية صائبة، فلا يمكن لنا أن ندّعى أننا لكي تنطبع طريقة الحياة الألهية في نفوسنا، لابد أن*

[29] انظر ص ١٤.

[30] انظر ص ١٥.

[31] انظر ص ١٥.

[32] لوقا ٦:٣٦.

*نكون مشابهين لله في الجوهر. فهذه المشابهة تقودنا إلي أن نصير مساويين له في كل صفاته... حاشا لأن ذلك سيقودنا إلي أن نعطي ذاوتنا المقام الإلهي بدون أي اختلاف بيننا وبينه، علي اعتبار أننا خُلقنا علي صورته كشبهه*][٣٣].

وإذ يُدرك ق. كيرلس الطرق الملتوية التي يتبعها المقاومين وتحريفهم الدائم للآيات الكتاب المقدس ، فإنه يسبق فيشرح معنى ما جاء في سفر التكوين بأننا خُلقنا علي صورة الله وكشبهه. وحتى لا يستغلها الهراطقة في تدعيم أفكارهم المغلوطة، فإنه يبيِّن أن هذه الآية لا تدَّل إطلاقًا علي أن المشابهة بيننا وبين الله تعني وحده الجوهر، حاشا أو أنه يوجد تشابه مع الله حسب طبيعتنا. لهذا نجده يقول [*وهنا يجب التنويه بأنه رغم أننا خُلقنا علي صورته وكشبهه إلاّ أن الفارق بين الله والإنسان فارق شاسع.. فالله بسيط في طبيعته وغير مركَّب بينما نحن نملك طبيعة مركَّبة. إذ أن طبيعتنا البشرية مكونة من أجزاء متعدِّدة. ونحن من التراب فيما يخص الجسد، وهذا يعني أننا معرَّضون للفساد والزوال مثل الا عشاب. بينما الله فوق كل ذلك. والنفس الانسانية عُرضه لتقلبات كثيرة من الصالح إلي الطالح ومن الطالح إلي الصالح. ولكن الله هو هو دائمًا. صالح إلي الأبد ولا يتحوَّل ولا يتغيَّر من حال لحال. وعدم تغيَّر الله ليس صفة عرضيَّة بل يرجع إلي جوهره*][٣٤].

ويأتي ق. كيرلس إلي نتيجة توضِّح تمامًا المعنى المقصود لهذه الآية فيقول [*وهكذا أصبح من الواضح أن البشر الذين أتوا إلي الوجود من العدم لايتشابهون مع الله حسب الطبيعة، بل يمكن أن يتشابهوا معه في نوعيه الحياة الجديدة والسلوك المستقيم*][٣٥].

ولقد كان من المعروف استخدام الهراطقة لبعض آيات من الكتاب المقدس وتحريف معناها لتعضيد أفكارهم المنحرفة كما سبق القول. والفكرة من وراء استخدامهم لهذه الآية علي وجه الخصوص، أنها تخدمهم في فرض تعبير أن الإبن «مشابه للآب في الجوهر» مع استمرار اعتقادهم بإنه مخلوق مثل باقي

[٣٣] انظر ص ١٥.

[٣٤] انظر ص ١٥.

[٣٥] انظر ص ١٦.

البشر، وبالتالي فهم يعتمدون علي آيه كتابية وهذا يعضد موقفهم - حسب رأيهم - في رفض تعبير «واحد مع الآب في الجوهر» غير الكتابي كما يقولون. وهنا يعود ق. كيرلس فيفنِّد مزاعهم ويعلّم مجددًا بأننا لسنا واحدًا مع الله في الجوهر حتى ولو كنا قد دُعينا لكي نتشكَّل من جديد حسب الصورة الأولي، فيقول علي لسان إرميا [*لأنه رغم سقوطنا، إلاّ أنه لا نحن ولا الملائكة الذين سقطوا، لم ننحرف كلِّيه عن طبيعتنا ولم ننحدر إلي العدم الكليّ، رغم عدم اقتنائنا للفضيلة، ولقد فقدنا القدرة علي المعرفة الصحيحة وفن الحياة، وذلك بسبب ميلنا للشر، ولكن جاء المسيح ودعانا إلي أن نتشكَّل من جديد حسب الصورة الأولي بكل بهائها، ولا نقول أبدًا أن الوصول إلي هذا المجد يعنى أن الطبيعة البشَّرية تصير طبيعة أخرى، ولكن الأمر يتعلَّق باختيار الارادة في ان يتغيَّر الانسان من حياة شريرة إلي حياة مقدَّسة في القول والفعل*][36].

وللتأكيد علي هذه الحقائق الهامة يكرر ق. كيرلس نفس الكلام متسائلاً: [*لسنا واحدًا مع الله في الجوهر، لأنه لو صح ذلك كما يدعون، فما الذي يمنعنا أن نكون من نفس طبيعة خالقنا؟*][37] ويستكمل تساؤله بقوله [*وذلك لأن الكائنات التي تتشابه فيما بينها لابد وأن تكون طبيعتها واحدة، ألاَ يتشابه الملاك مع ملاك آخر من طبيعته؟ وألاَ يتشابه الانسان مع انسان آخر من نفس طبيعته؟*][38].

ويكشف ق. كيرلس هنا نوايا هؤلاء الهراطقة وإصرارهم علي رفض تعبير «واحد مع الآب في الجوهر» واستبداله بتعبير «مشابه للآب في الجوهر» وذلك بزعم أنهم يؤمنون بالوهية الابن المتجسد، لأنه يعتقد أن التعبير الأخير يناسب المخلوقات ولا يناسب الإبن، لأن الإبن غير مخلوق، بعكس التعبير الأول الذي يكشف عن حقيقة العلاقة بين الآب والإبن، فيقول:

[*رغم أن تعبير هوموأوسيوس «الواحد في الجوهر» يُعبِّر وبشكل رائع عن تطابق الطبيعة، فإن هؤلاء الذين لا يفكرون بشكل مستقيم، يرفضونه*

---

[36] انظر ص ١٦.

[37] انظر ص ١٦.

[38] انظر ص ١٧.

*علي أنه شيء من اختراعنا وذلك لكي يتمسكوا برأيهم هم، وأقصد بذلك «المشابه في الجوهر». وهم بذلك يُلبسون اللوغوس رداًء دنيويًا. فهم يتظاهرون أنهم يرفضون الحط من قيمة الإبن، ويدعونه الله وابن ومخلّص وفادي وهم علي قناعة تامة. قناعة جاءتهم من تمحكات حكمة هذا الدهر. إن الإبن ليس ابناً بالطبيعة ولا هو إله حق*][39].

الواقع أن هذا التفكير الغريب بخصوص طبيعة الإبن، سوف يقودهم إلي أن [*يضعونه في عداد المشابهين لله وهم لا يتورعون عن وضع خالق الكون في مصاف المخلوقات. ويدّعون أنه ليس من نفس الجوهر بل أنه من طبيعة مشابهه*].

ويرى ق. كيرلس أنه [*لهذا السبب يحق لنا أن نطلب منهم أن يرفضوا هذا المصطلح الغريب والشاذ*][40].

لقد كان ق. كيرلس علي وعيً تام لما يسعى إليه هؤلاء الهراطقة حتى دون أن يفصحوا عنه لذا يقول [*من السهل أن نفهم نواياهم حتى لو لم يقولوا ذلك، وكيف أنهم يرفضون تعبير «هوموأوسيوس» ليس لأنه تعبير غير كتابي كما يعتقدون ويؤكدون مرارًا وتكرارًا، ولكنهم يرفضونه لأنه يُعبِّر عن الحق وذلك لأنه يُظهر بوضوح أن الإبن ليس من طبيعة مختلفة عن طبيعة الآب بل هو من نفس طبيعته*][41].

آيه أخرى أساء الهراطقة تفسيرها واستخدموها لتعضيد تعاليمهم الخاطئة وهي قول المخلّص الذي يؤكد فيه أنه من طبيعة الله الآب، بدون انفصال وأنه لم يأت إلي الوجود زمنيًا وذلك عندما خاطب تلاميذه بقوله: «أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ» وأيضًا قوله «أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ»[42].

لقد نادى الهراطقة بأن تعبير «من فوق» يعني «أنه لا صلة له بالأرض ولا بالإنسانية، ولكنه من السماء أو من طبيعة أخرى تسمو كثيرًا عن طبيعتنا».

[39] انظر ص ١٧.

[40] انظر ص ١٧.

[41] انظر ص ١٧.

[42] يو٨: ٢٣.

غير أن هذا لم يكن يعني أنهم يؤمنون بأن طبيعة الإبن هي واحدة مع الآب، لأن تعبير «من فوق» ينسحب علي الملائكة المخلوقة أيضًا. فهم [*يؤكدون أن الإبن ليس واحدًا في الجوهر مع الله الآب، بل وينزلونه من الطبيعة الفائقة إلي أسفل ولكنهم والحق يقال، يعطونه مركزًا أسمى من باقي الخليقة*[٤٣]، *ويقولون إنه لا يشارك باقي المخلوقات في نفس الطبيعة ولكنه يحتل مكانة متوسطة، وبكلام آخر فهو يتسامى عن مستوى الطبيعة البشرّية، ولكنه لا يشارك الآب الذي وَلَدَه في الجوهر وفي نفس الوقت لا يمكن أن نحط من قدرة ونحسبه مع المخلوقات*][٤٤].

ويكشف لنا ق. كيرلس بوضوح ما يعتقد فيه هؤلاء الهراطقة عن طبيعة الإبن فيقول إنهم [*بلا شك سيقولون إنه ليس هو الله بالطبيعة كما أنه ليس مخلوقًا، وبذلك فإنهم يبعدونه عن جوهر الله الآب، كما يجعلونه أعلي من طبيعة الكائنات المخلوقة، هادمين بذلك ألوهيته*][٤٥].

ولقد وضع ق. كيرلس يده علي أصل المشكلة في سوء فهم هؤلاء لبعض آيات الكتاب المقدس الأمر الذي جعلهم [*يحيدون عن الطريق المستقيم حتى يصلوا إلي التطّرف سواء يسارًا أو يمينًا*][٤٦] وذلك أنهم [*يتركون أنفسهم للأنقياد باهوائهم دون أن يفحصوا أي من آيات الكتب المقدَّسة تتحدَّث عن اللوغوس في حد ذاته أي قبل التجسُّد وأي آيات تتحدَّث عنه بعد أن تشبَّه بنا*][٤٧].

غير أنه لم يترك هذه المشكلة دون أن يقدِّم لها حلاً، كان قد استلمه من ق. أثناسيوس الرسولس الذي سبق أن واجه هؤلاء الهراطقة الذين لم يقبلوا [*أن اللوغوس كلمة الله المتجسد، يحتاج إلي الطعام أو إلي الراحة وأنه يتعرَّض للتعب. «فإذ كان يسوع قد تَعبَ من السفر جلس هكذا علي البئر» وأكثر من ذلك حين نتكلَّم عن موته*][٤٨]. ويكمن الحَّل حسب ق. كيرلس في أننا [نخلُص

[٤٣] باستخدامهم تعبير «من فوق».

[٤٤] انظر ص ١٨.

[٤٥] انظر ص ١٩.

[٤٦] انظر ص ٢٠.

[٤٧] انظر ص ٢٠.

[٤٨] انظر ص ٢٠.

*إلي أن التمييز بين هذه النصوص أمر هام جدًا لنا لان هذا يقودنا إلي تمييز الأزمنة والأوقات*][49].

ولايضاح تعليمه بالأكثر، يقدّم لنا ق. كيرلس بعضًا مما جاء في رساله ق. بولس الرسول إلي العبرانيين في إطار حديثه عن المسيح. كلمة الله المتجسِّد وعمله الخلاصي الذي أتمه من أجلنا، عندما اتخذ جسدًا، فيقول: [*اسمع ما يقوله بولس عن طبيعته الإلهية، «الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ»*[50] *ومرَّة أخرى في موضع آخر يقول «لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ، وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا.»*[51].][52] وهذه الآيات تخص الابن الوحيد قبل التجسُّد. وهناك آيات تقال عنه وهو مولود مثلنا في الجسد مثل قوله «الَّذِي فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْناً تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ.»[53].

ويعلق ق. كيرلس علي هذه الآيات متسائلاً: [*إذا نظرنا لهذه الحقائق ألا نستنتج أن هناك اختلافًا في طبيعة الأمور؟*][54] ويتابع حديثه موضحًا ما ذهب إليه فيقول [*فنحن نسمع أن بهاء مجد الله الآب وختم جوهره ذاك الذي يحمل كل الأشياء بكلمة قدرته، الكلمة، اللوغوس الحيّ الفعال، بعد كل هذا المجد نسمع أنه قدّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات لكي يَخلُص من الموت*][55].

ويختمّ ق. كيرلس حديثه عن مثل هذه الآيات وعن أهمية تمييز الأوقات

[49] انظر ص ٢٠.

[50] عب ١: ٣.

[51] عب ٤: ١٢، ١٣.

[52] ص ٢٠.

[53] عب ٥: ٧، ٨.

[54] انظر ص ٢١.

[55] انظر ص ٢١.

ومعرفة الوقت الذي قيلت فيه الآية وعن مَنْ تتحدث، فيقول:

[*الرسول يقول «في أيام جسده» أي أنه وهو كلمة الله صار جسدًا حسب الكتب، ولكنه لم يحل في إنسان كما يحدث في القديسين الذين يسكن فيهم الكلمة، بالروح القدس. إذن هناك طريقتان للكلام عن الابن: فمن جهة يجب أن ننسب له كل ما له بكونه هو الله ومن جهة أخرى ننسب له كل ما يخصنا لأنه صار مثلنا*][56].

وأخيرًا يحذر ق. كيرلس من خطورة خلط هذه الأقوال وعدم التمييز بينها فيقول: [*ويجب علينا أن نرفض كل خلط وعدم تمييز بين هذه الأمور لأن هذا ينفي الفهم الحقيقي للمعاني ويحجب عن عيوننا نصف حقيقة الجمال الإلهي*][57].

آية أخرى استخدمها الهراطقة لنشر تعاليم الخاطئة بعد أن أساءوا تفسيرها كعادتهم، كي ينكروا ألوهية الإبن. فلقد اعتقدوا أن آية بولس الرسول «لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ»[58]، يمكن أن يُفهم منها أنه عندما ندعو الابن بـ «الوسيط» فإن هذا يعني تحديدًا لماهية جوهر الابن الوحيد.

وهنا أيضًا نجد أن القديس كيرلس يطبق نفس مبدأ «تمييز الأزمنة والأوقات» للوصول للفهم السليم والتفسير المستقيم لهذه الآية فيقول:

[*فالرسول يُحدد، علي ما اعتقد، أن الفترة الوحيدة التي تتناسب مع «الوساطة» هي الأزمنة الأخيرة والتي فيها حسب كلام الرسول «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ، لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ»*[59].][60] ويستطرد ق. كيرلس في تعليمه فيقول [*ورغم أنه الإله والرَّب فلكي يُرجعنا بواسطة نفسه لله الآب، ولكي*

[56] انظر ص ٢١.

[57] انظر ص ٢١.

[58] تيمو٢: ٥.

[59] في٢: ٦. ٧.

[60] انظر ص ٢٢.

*يصالح الكُلَّ حسب المكتوب «وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مَا عَلَى الأَرْضِ أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ»[61]، لكي يصنع ذلك كله توسَّط كإنسان. ولهذا يقول بولس «نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ.»[62]، ,ذلك بالإتحاد بشخص المسيح. ولأن طبيعة الإنسان لا تحتمل أن تستوعب مجد الله بحسب ما كان قبل التجسُّد لذلك فقد لبس الإبن الوحيد لأجلنا ولأجل خلاصنا جسدًا وتشبَّه بنا*][63].

ويستدعى ق. كيرلس بعض الأمثلة من العهد القديم والتي تشير إلي وساطة المسيح. فيقول [*إن موسى هو مثال (τύπος) لوساطة المسيح*، وذلك عندما [*نزل الله علي شكل نار وأظهر للناظرين إليه مجدًا ملموسًا وغير عادي ولم يكن من السهل علي الشعب أن يحتمل هذه الرؤية العينية، ولما خافوا وارتعدوا ترجوا قائدهم ، أعنى موسي صارخين: «تكلّم أنت معنا فنسمع ولا يتكلَّم معنا الله لئلا نموت»* [64]. *وهنا الأمر واضح، لقد طلبوا من موسى أن يصير «وسيط» لأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يلقوا بأنفسهم أمام مجد الله في ملء لاهوته*][65].

ويأتي ق. كيرلس إلي خلاصه تعليمه في هذه النقطة فيقول: [*دعونا ننتقل الآن من هذه الأيقونة المضيئة التي لموسى إلي الأصل الذي هو المسيح الإبن الوحيد الذي إذ لم يشأ أن يأتي إلينا في مجده الساطع الإلهي فإنه صار مثلنا (عندما تجسَّد) وبهذا أصبح وسيط بين الله والناس من أجل أن يربي البشرية علي معرفة إرادة الله. وهكذا صار هو سلامنا كما تقول الكتب*][66].

وعندما تساءل إرميا عن مظاهر اخري لوساطه المسيح بخلاف أنه رفع الخطية التي كانت تعوق محبتنا لله وألفتنا معه وأبطل العداوة القديمه، نجد أن ق. كيرلس يضيف قائلًا: [*إنه أبطل العداوة بجسده حسب المكتوب وصار*

---

[61] كو ١: ٢٠.

[62] ٢كو ٥: ٢٠.

[63] انظر ص ٢٢.

[64] خر ٢٠: ١٩.

[65] انظر ص ٢٤.

[66] انظر ص ٢٤.

*وسيطًا ومصالحاً لنا نحن الذين سقطنا من محبه الله بسبب ميلنا للذّات العالم وعبدنا المخلوق دون الخالق، فقدّمنا في ذاته لله الآب واقتنانا لنفسه مبرّرًا إيانا بالإيمان]*[٦٧].

ويأتي ق. كيرلس إلي نقطة جوهرية مثلّث العمود الفقري في كل تعليمه وعطائه اللاهوتي طوال مدّة خدمته، ألا وهي تعليمه عن طبيعة المسيح (خريستولوجي) وذلك في سياق حديثه عن [*أمور أخرى مملوءة بالأسرار تكون بها الوساطة قولاً وفعلاً*][٦٨]، ويجد فيما ذكره بولس الرسول في رسالته إلي أهل فيلبي مرجعًا لتعليمه فيقول [*وهل أعني شيئًا غير المكتوب: «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ، لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ.». فالمسيح الذي هو بهاء وصورة الآب وهيئته وهو كلمة الله، الذي هو من الله وفي الله، أخلي ذاته وصار إنسانًا وذلك بإرادته ومسّرة أبيه ولم يكن مجبرًا علي فعل هذا ومع صيروته إنسانًا ظلّ محتفظًا بكرامة اللاهوت وأخذ ما للإنسان بحسب التدبير*][٦٩].

وفي عبارات واضحة كل الوضوح يُعبّر عن إيمان الكنيسة المستقيم بألوهية الإبن المتجسد وطريقة اتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية، فيقول:

[*ونحن نرى أن الإبن واحد من اثنين إذ فيه التقت الطبيعتان الإلهية والإنسانية واتحدت في واحد بشكل غير موصوف ولا يُعبّر عنه. وبكل تأكيد نحن لا نعني أن كلمة الله قد تحوّل إلي الطبيعة الجسدّية الأرضّية ولا الجسد تحوّل إلي طبيعة الله الكلمة... فكل من الطبيعتين تبقي في خصوصيتها ولكنهما تُعَدَان في وحدة تامة لا تنفصل .. فهو نفسه إنسان وإله، وحينما نقول الله لا نلغي الإنسانية بعد الإتحاد وحينما نقول إنسان فنحن لا ننفي صفات اللاهوت*][٧٠].

---

[٦٧] انظر ص ٢٨.

[٦٨] انظر ص ٢٨.

[٦٩] انظر ص ٢٨.

[٧٠] انظر ص ٢٩.

وفي هذا السياق أيضًا يشرح ق. كيرلس معنى الألقاب الذي أُعطيت للإبن حال تجسُّده والتي تعكس ليس فقط إيمان الكنيسة في شخص الإبن المتجسِّد بل وأيضًا ف عمله الخلاصي من أجلنا فيقول:

[*وهو الإبن الوحيد والكلمة لأنه المولود من الآب وهو البكر بين أخوة كثيرين، لأنه صار إنسانًا ولَقَبُ «الأبن الوحيد» الذي هو لقب خاص باللوغوس، يطلق أيضًا علي اللوغوس متحدًا بالجسد... نفس الأمر مع لقب «البكر» فهذا اللقب لم يكن لقبه قبل التجسُّد ولكنه صار لقبًا له بعد التجسُّد. وهو وسيط بهذا المعنى: إنه جمع ووحَّد في شخصه أمورًا متباعدة فيما بينهما، وهي اللاهوت والناسوت، الله والإنسان.. وربط الإنسان بواسطته بالله الآب لأنه هو واحد مع الآب، حسب طبيعة الإلهية لأنه كائن فيه ويحيا فيه. وهو واحد مع البشر، حسب طبيعته البشرية، لأنه خرج من بينهم وحاضر في وسطهم وذلك لأنه ليس غريبًا عَّنا فيما يخص إنسانيته وهو عمانوئيل الذي شابهنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها*][٧١].

نقطة هامة أخرى يناقشها ق. كيرلس في هذا الحوار وهي طبيعة الوحدة بين الآب والإبن. وكعادته يستخدم بعض آيات الكتاب المقدَّس لتعضيد تعليمه عن هذه الحقيقة مما سجَّله ق. يوحنا الإنجيلي عن حديث المسيح له المجد مع الآب السماوي عندما قال: «لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً».

ورغم حقيقة الوحدة حسب الطبيعة والجوهر بين الآب والأبن ووضوح هذه الحقيقة في قول المسيح له المجد هنا، إلاَّ أن المعارضين شككوا في طبيعة هذه الوحدة بقولهم [إن وحدة الإبن مع الآب تشبه ما نلاحظه في علاقتنا نحن البشر][٧٢]، وكعادتهم هم أيضًا استخدموا آية من الكتاب المقدس لتعضيد فكرهم بعد أن حرفوها.

فقد فسروا ما جاء في سفر أعمال الرسل أنه [*كان لجمهور الذين آمنوا*

[٧١] انظر ص ٢٩.

[٧٢] انظر ص ٣٠.

*قلب واحد ونفس واحدة» يعني أنه علي الرغم من كونهم نفوسًا عديدة إلاّ أنهم صاروا نفسًا واحدة، وهذا لا يعني وحدة الطبائع ولكن وحدة الإرادة والهدف والفكر. ولأن الإبن له نفس مسرَّة الآب، فهو واحد معه في الإرادة والفكر مثلنا نحن البشر في علاقتنا بعضنا ببعض]*[73].

وفي رده علي تساؤل إرميا *[إن كنا نقبل أن يقال إن الإبن متحد بالآب تمامًا مثل اتحادنا ببعضنا البعض أم أن وحدة الإبن بالآب اسمى من وحدة البشر]*[74].

يقول ق. كيرلس شارحًا أن *[الإبن متحد بالآب مثلنا، وفي نفس الوقت اسمى منا، فالكل متفقون علي أنه واحد في الجوهر مع ذاك الذي ولده، لأنه ابنه الحقيقي، وهذا الأمر كائن في اقنومه الخاص، ولكن وحدتهما حسب الطبيعة، ولا يمكن أن تتعرَّض الأقانيم لأي تغيير كما يظن البعض، بحيث إن نفس الأقنوم يكون أبًا وابنًا، ولكن كل أقنوم قائم بذاته ويمتلك وجودًا خاصاً به، ووحده الجوهر هي التي تُعرِّف وحدة الأقانيم معًا]*[75].

نقطة أخرى عالجها ق. كيرلس في هذا الحوار بكل وضوح وهي تمييزه بين الجوهر والأقنوم. حيث إن هذا التمييز ضروري لفهم العلاقة الجوهرية للآب بالإبن. وفي رده علي تساؤل إرميا القائل بإن هل «الإبن موجود بجوهره الذاتي بجانب جوهر الآب» يرّد ق. كيرلس قائلاً *[ليس بجوهر آخر غير جوهره كإله، ولكن بأقنومه الخاص كابن]*[76].

ويشدِّد ق. كيرلس علي أن هناك فارق كبير بين الجوهر والأقنوم وذلك لأن *[الجوهر يحوى كل الصفات الجوهرية]* ويسترسل فيقول *[الجوهر هو حقيقة مشتركة، بينما الأقنوم يُطلق علي الأقانيم المُشتَرِكة في هذا الجوهر الواحد]*[77].

ولصعوبة فهم هذه الحقيقة يتخذ ق. كيرلس من الإنسان مثلاً لتوضيح هذه

[73] انظر ص ٣٠.

[74] انظر ص ٣٢.

[75] انظر ص ٣٢.

[76] انظر ص ٣٢.

[77] انظر ص ٣٢.

المفاهيم فيقول: [*نحن نُعرِّف الإنسان بأنه حيٌّ وناطق وفاني وهذا هو التعريف المناسب له، ونحن نقول أن هذا يُعبِّر عن جوهره وهذا التعريف ينطبق على كل الأفرا فردًا فردًا. وهنا يجد كل من توما ومرقص وبطرس وبولس مكانهم حسب اعتقادي. وهكذا نحدد الجوهر ولكننا لا نحدد بعد ماهيه الأشخاص الذين نتكلَّم عنهم بشكل دقيق. فحينما نقول «إنسان» بشكل عام فهو ليس بطرس ولا بولس. وحينما نقول توما وبطرس فنحن لا نخرج من حدود ما نسميِّه بالجوهر الواحد وهذا لا يقلل من كل منهم «كإنسان» فقد أظهرناه موجودًا بأقنومه الخاص*][٧٨].

ويأتي ق. كيرلس لتحديد واضح لكل من تعبيري «جوهر» و«أقنوم» فيقول [*إذن الجوهر هو لكل إنسان دليل على النوع أما الأقنوم فهو يُطلق على كل واحد في ذاته، دون أن ننسى إنه يشير أيضًا إلى شركة الجوهر ولكن دون أن نخلط بين العام والخاص*][٧٩].

وفي حديثه عن علاقة الإبن بالآب من خلال هذا المفهوم يقول ق. كيرلس [*وبقولنا واعترافنا بأن الإبن «هوموأوسيوس» مع الله الآب، نُقر أيضًا أن له «أقنومه الخاص» وهذا معناه أنهما متحدان ومتمايزان في نفس الوقت. وهكذا نصل من الوحدة إلى تمايز الأقانيم ووحدة الجوهر في كل شيء، والوحدة والمساواة القائمة بين الآب والإبن تتعدى تمايز الأقانيم في الآب والإبن وتقدمهما بشكل غير منقسم، ولا نستطيع أن ننتزع عن كل أقنوم ما هو خاص به، وذلك لأن الواحد آب وليس ابنًا والإبن ابن وليس أبًا* ][٨٠].

وأخيرًا يتناول ق. كيرلس تعبيرًا آخر استخدمه الهراطقة ليصفوا به الإبن المتجسِّد وهو أنه «وسيط» باعتبار أن هذا اللقب هو «أنسب لقب له» على حد قولهم أي أنه «موجود بين الاثنين، الله والخليقة».

وفي محاولة رده على هذه المفاهيم المغلوطة عن طبيعة الإبن، يتسأل ق. كيرلس قائلاً: [*هل هناك كائن متوسط بين المولود وغير المولود، بين المخلوق*

---

[٧٨] انظر ص ٣٣.

[٧٩] انظر ص ٣٣.

[٨٠] انظر ص ٣٣.

*وغير المخلوق، بين المتغيِّر وغير المتغيِّر؟*][81] وهو نفسه يعطي أجابه علي هذا التساؤل عندما يفحص الطبائع في مجملها مقسِّمًا إياها إلي اثنين فيقول إن [*الأولي هي الكائنة دائمًا والمكتفية بذاتها والثانية هي التي تحصل علي الوجود بالخلق. والطبيعة الكائنة بشكل غير مخلوق تعلو علي كل شيء وتملك كل امكانيات التفوق والسمو والآخرى توجد تحت أقدام سيدها*][82]. ويجد ق. كيرلس في كلام المسيح مع اليهود «أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق» وفي شرح ق. يوحنا كيف إن الإبن قد جاء الينا من فوق «الذي من فوق هو فوق الجميع» نعم يجد ق. كيرلس في هذا تدعيمًا لتعاليمه ضد القول بإن الإبن هو وسيط فيقول [*الآن قوله من فوق ليس المقصود به المكان أو الارتفاع، ولكن يدّل علي جوهر الآب... ولأن من يفوق الملائكة والكائنات الأسمى منها ليتفوق علي السيرافيم أنفسهم، فإنه يكون قد تعدى الطبيعة الخاضعة للتغييِّر أي المخلوقة. لأنه إما أن يكون «من فوق» أي من عند أبي الأنوار، والوحيد الذي من فوق هو الإبن أو أن نعتبره «من أسفل» وبالتالي فهو ينتمي إلي الخليقة وبين الخالق والخليقة لا يوجد شيء*][83].

وفي الختام ينصح ق. كيرلس هؤلاء الهراطقة بقوله:

[وإذا كان لديهم أقل تقدير للتفكير السليم فما كان يجب أن يلصقوا بالمسيح أمورًا غير مفهومة ولا أن يطلقوا العنان للتعبيرات التي تصدر من مجرّد تأملات نظرية بلا مضمون فعليٍّ، ويجب عليهم أن يروا بوضوح وبدون دوران أن الإبن يسكن في الأعالي اللاهوتية أي أنه من ذات طبيعة الآب][84].

---

[81] انظر ص ٣٥.

[82] انظر ص ٣٥.

[83] انظر ص ٣٥.

[84] انظر ص ٣٧.

### وفي الحوار الثاني:

الذي يحمل عنوان «الأبن أزليّ مع الآب ومولود منه حسب الطبيعة»، يرصد ق. كيرلس في البداية أفكار وتعاليم هؤلاء المعاندين فيقول: [*إنهم يتجَّنون علي كلمة الحق حينما يقللون بعدم تقوى. من مجد الابن، ويقولون إنه من طبيعة أخرى مختلفة عن طبيعة الآب*][85] وحسب ما يري ق. كيرلس أن خطورة هذه التعاليم تكمن في أنه [*هكذا يَظهر الابن علي أنه غريب عن جوهر الآب، ومن طبيعة أخرى ولا يمت بصلة طبيعة للذي ولَدَه*][86].

ويُرجع ق.كيرلس أن السبب فيما يفعلون هو [*تشامخهم الشديد واعتقادهم بأنهم أقدر على التحدَّث في الأمور العويصة أكثر من الآخرين، وذلك لأنهم تدرَّبوا على المبارزات الكلامية التي تغذيها الحيَّل والتشبيهات الخادعة والالتواءات العقليهوالتي لها شكل جميل*][87].

ومن بين حيلّهم أنهم يطلقون علىالله أسماءً ومسمَّيات باطلة.وحسب تعاليم ق. كيرلس إنه [في الواقع أن القول إنه مولود وتسمَّيته ابنا بدون أن يقال إنه ابن الله ومولود منه حسب الطبيعة، لا يعني لنا شيئًا][88].

وكما أطلقوا علىالابن خاصية أنه «مولود» مع اعتقادهم إنه ليس مولود من الآب حسب الطبيعة، فإنهم في المقابل أطلقوا علي الله الآب خاصية أنه «غير مولود» باعتبار أن هذه الصفة تنسحب علي جوهر الله.

ولقد انشغل ق. كيرلس بمناقشة نتائج استعمال لفظ «غير مولود» بتوضيح ما يلي:

١. [*إن اسم «آب» وكيانه أمران مختصان بذات الله الآب نفسه. والسبب الوحيد لتميّز الآب بهذه الخصائص هو أنه وَلَدَ، وفي نفس الوقت فإن اسم «ابن» بدوره يُعتبر من خصوصيات الابن، وقد ذكرنا السبب وراء ذلك، لأنه قد وُلِدَ*

[85] انظر ص ٤٢.

[86] انظر ص ٤٢.

[87] انظر ص ٤٢.

[88] انظر ص ٤٣.

*من الله الآب]*[٨٩].

٢. [*تعبيري «آب»، «غير مولود» لا يمثلان حقيقة واحدة وليس لهما مغزى واحد. فالحقيقة أن أي كائن إذا دعيّ أبًا فهو ليس بالضرورة وبشكل دائم وفي كل الأحوال «غير مولود»، وأب فأي كائن ما غير مولود لا يصير أبًا بشكل حتمي*][٩٠].

في رده على سؤال لإرميا والذي يعكس دائما رأي المعارضين وقول إرميا: إن كان الله الآب مولود أم غير مولود، يجيب ق. كيرلس فيقول: [*إنه بالنسبة نقيّ هو غير مولود ولكن يجب ألاَّ نعتبر أن مجرَّد كونه أبًا يكون غير مولود، لذهن ولكن كونه أبًا يرجع إلى أنه لم يولَد من أي شخص آخر. ومع كونه قائمًا بدون ولادة إلاَّ أنه وَلَدَ ابنه الذي هو كائن فيه ولهذا السبب ندعوه أباً*][٩١].

هذا ولقد عمل المعارضون على إظهار الفرق بين لقبيَّ المولود (الابن) وغير المولود (الآب) وذلك في محاولتهم المستميتة لإنكار ألوهية الابن بإنكار أنه ليس مولود من الآب حسب الطبيعة. ولقد عبرّوا عن معتقدهم هذا على لسان إرميا بقوله «هم يقولون إن لقب «غير المولود» يحدد طبيعة الله الآب وهذا معناه وبكل سهولة أن للابن طبيعة أخرى، لأنه من المسلم به أن المولود يختلف عن غير المولود».

وهنا نجد ق. كيرلس مفندًا لهذه الأراء الخاطئة مبيّنًا أن صفتيَّ «المولود» و«غير المولود» وحدهما لا تحددان طبيعة الابن فيقول إنه [إذا كانت صفة "المولود" تحدد طبيعة الابن، فإن الابن في هذه الحالة سيكون من طبيعة أخرى غير طبيعة الآب، وبالتالي فهو غريب عن جوهره]. ويعود ليشرح عواقب قولهم هذا فيقول [*إذا كان لقب «المولود» هو-كما يدَّعون-اسم الابن وجوهر الابن، ففي هذه الحالة سيكون مساويًا لأي مولود آخر من الكائنات الحيَّة*][٩٢].

---

[٨٩] انظر ص ٤٤.

[٩٠] انظر ص ٤٥.

[٩١] انظر ص ٤٦.

[٩٢] انظر ص ٤٩.

ولكي لا يَظنُ أحد أن هذه الألقاب غير مهمة ولا تمثل جزءًا من تعاليم ق. كيرلس اللاهوتية، نجده وقد وضع سؤالاً على لسان إرميا حتى يستطيع بيان موقفه بالإجابة على هذا السؤال.

إرميا: إذن لقب «غير مولود» حسب رأيك لا يعني شيئًا بالنسبة لله؟

كيرلس: [*أبدًا بل يعني الكثير، وذلك بسبب أنه قد خص الآب وارتبط به وحده فقط، وذلك للتعبير عن حقيقة عدم الولادة. ولكن يجب ألاَّ تنسب لهذا اللقب وحده صفة التحديد أو التعريف النهائي لجوهر الله*][٩٣].

لقد كان ما يشغل ذهن ق. كيرلس في هذه النقطة ـ هو إيضاح خطورة استخدام هذين اللقبين وحدهما لوصف جوهر الله، الأمر الذي دفعه لمحاولة كشف كل حيل المعارضين لتزييف تعاليمهم.

وفي محاولته هذه كتب قائلاً إنه [*الجهل كبير أن يقولوا إن غير المولود هو وصف لجوهر الله والسبب في ذلك إنه إذا كان تعبير "غير مولود" يصف جوهر الله، وإذا وُجد الآف الكائنات الحيَّة غير المولودة في العالم، فإذن كل ما هو "غير مولود" يُعتبر وصفًا لجوهر الله أو بكلام آخر تصير صفة "غير مولود" هي وصف لجوهر هذا الكائن*][٩٤].

ويتخِّذ ق. كيرلس من الكواكب أمثلة لتعضيد تعليمه فيقول: [*فالشمس مثلاً توجد بدون أن تكون مولودة، والقمر خُلقَ بنفس الطريقة وهكذا النجوم والسموات.... فليس إذن كل «غير مولود» هو جوهر الله، ولا يمكن أن ننسب لقب «غير مولود» لكل كائن غير مولود كجوهر له. وهكذا لا نستطيع أن نعطي هذا التعميم لتعبير "غير مولود" إذا كنا قد طهّرنا ذهننا من الفساد*][٩٥].

ويرصد ق. كيرلس خطأ آخرًا انزلق فيه المعارضون نتيجة لتفكيرهم المنحرف بخصوص استخدام لقب غير المولود للآب والمولود للابن وتخصيصه فقط لوصف جوهر الله، الأمر الذي ينتج عنه عدم القدرة علي التمييز بين اقنوميَّ الآب والابن فيقول [*إنهم قد رفعوا عن لقب «غير المولود» دلالته علي*

[٩٣] انظر ص ٥٥.

[٩٤] انظر ص ٥٦.

[٩٥] انظر ص ٥٧.

*عدم الولادة وقَصَرُوه علي الجوهر الكائن. فما الذي يمنع اذن الذين يحاولون تجريد لقب «مولود» من أن يدل علي الولادة فعلاً ويقصرونه علي الجوهر؟ وهذا هو ما يفعلوه مع لقب «غير مولود» وبعد ذلك كيف سنتعرّف وأي منطق سوف يجعلنا نميِّز بين أقنوم وشخص الآب وأقنوم وشخص الابن ونحن لم نعد قادرين علي التمييز بين الذي وَلَدَ والذي وُلَدَ أي بين الوالد والمولود؟*][96]. ويحذر ق. كيرلس من خطورة عدم تمييز الأقانيم، وتأثير هذا علي سلامة الإيمان بالثالوث فيقول:[*وهكذا تصير كل عقيدتنا الإيمانية باطلة ولا يوجد ما يبرر إيماننا، ولماذا نستمر إذن في الإيمان بالآب كوالد والابن كمولود؟ لأننا لا نستطيع بأي شكل من الأشكال ـ خاصة في هذا الصدد ـ أن نحرّف المسمَّيات عن مقاصدها. وأعتقد أني أقول كلامًا دقيقًا وملزمًا للجميع وضروريًا. وذلك لأن إيماننا حق، ولهذا نحن نحيا ملء الحق ومعرفة الله الحقيقة حينما نعتمد "باسم الآب والابن والروح القدس*][97].

ومن ضمن حيَل الهراطقة ادعائهم بأن لهم نفس الإيمان وأنهم [تعلَّموا أن يقولوا في صلواتهم أبانا الذي في السماوات][98] غير أنهم [يسمُّون الله بالآب لأنه خالق ولأنه اوجد كل الأشياء من العدم]. والسبب واضح في ادعائهم هذا وهو محاولة إنكار أن الابن مولود من الآب حسب الطبيعة.

وردَّ ق. كيرلس علي هذا الادعاء واضح كل الوضوح فهو يؤكد [*إننا حينما نُسمى آب وابن لا نعني الخلق، لأن العلاقة تكون بين آب وابن وبالتبادل بين ابن وآب بدون وسيط. تمامًا مثلما لا يوجد وسيط بين الصنعة وصانعها أو الصانع وصنعته وإذا حرمنا كل واحد من نوع علاقته بالآخر ولم نعطه الاسم الذي يدَّل علي دوره في هذه العلاقة فسوف نجد أنفسنا ننسب للآب أنه «الصنعة» والابن الصانع*][99].

ويَخلُصُ ق. كيرلس من بحثه لهذه النقطة إلى نتيجة واضحة عبَّر عنها

[96] انظر ص ٥٨.

[97] انظر ص ٥٨.

[98] انظر ص ٥٨.

[99] انظر ص ٥٨.

كالآتي: [لابد لنا أن نتمسك بقوة وبحسب أقوال آبائنا القديسين التي بلا عيب، ولا حاجة لنا أن نتسلى بآراء غريبة أو أن نشترك في فكر عنيد وبربري... ينبع ضد مجد الابن الوحيد، ومع الذين «تكلموا ضد الله بالظلم» حسب المكتوب، فإن أباءنا القديسين المعروفين والوكلاء الأمناء للأسرار مخلصنا، هؤلاء الرجال ذائعي الصيت رأوا أن لقب «غير المولود» لا يُعبِّر عن جوهر الله الآب، لكنها كلمة تعني للذين يسمعونها إنه لم تحدث ولادة. ونحن نعترف أن هذه الكلمة تُعبِّر عن أقنوم الله الآب ولكن لا نقول أنها تمثل جوهر الله][100].

وفي موضع آخر يستمر في التعبير عن قناعته فيقول [يجب إذن أن ننسب بصفة «عدم الولادة» كأن لها وجودًا داخليًا في أقنوم الله الآب ونقبل أنها تنتسب إلي هذا الأقنوم ولكنها ليست هي الأقنوم][101]. وبسبب أن الابن مولود من الآب حسب الجوهر، فإن هذا يفسر [وجود صفات الله الآب في مَولوده الذي ولده؟ أقصد الابن الوحيد. فالآب هو الحياة والنور والإله الحقيقي، وهكذا الابن أيضًا هو الحياة والنور والإله الحقيقي. وذلك ليس بمجرَّد المشاركة (مثل البشر) ولكن بالطبيعة والتساوي][102].

وقبل أن يختم ق. كيرلس ردَّه على هذه التعاليم بخصوص هذه النقطة وعدم امكانية نسب هذه الصفات الخاصة بالله إلي لقب «غير المولود» فقط يوجِّه سؤالاً لإرميا ويقول [هل فهمت إذن استحالة إرجاع صفات اللاهوت الذاتية إلي لقب «غير المولود» فقط، لأن هذا يُدخِلنا في مخاطر الاعتراف بأن كائنات أخرى غير الله تملك هذه الصفة بحكم وجودها في الحياة بدون ولادة؟][103].

ويختم ردَّه بقوله إن [هذه الصفات الخاصة تعود إلى الآب بكونه هو الله، وهكذا ووفقاً لقوانين الطبيعية فإن الآب يمكنه أن ينقل طبيعته إلى أي شخص وهكذا فإن صفة "غير المولود" ليست هي جوهر الله، بل هي تُظهر

---

[100] انظر ص ٦٠.

[101] انظر ص ٦١.

[102] انظر ص ٦٢.

[103] انظر ص ٦٢.

*فقط ـ كما سبق وأشرت أن الآب لم يُولد، إذ ليس لها قوام قائم بذاته*][104].

والواقع أن اعتقاد المعارضين الخاطئ كان نتيجة تفكيرهم في أنه لو كان الله أبا فهذا معناه أنه خالق، وإذ هو الكائن العظيم البسيط في جوهره، فإنهم عندما يقولون إن الله قد وَلَد، فهم يقصدون بذلك أنه قد خَلَقَ. وظنهم أنه ما لم يكن فِعل الولادة هو فِعل الخلق فهذا سوف يجعل الكائن البسيط كائنًا مركَّبًا.

وأمام هذا التفكير المنحرف، أوضح ق. كيرلس حقيقة الإيمان المستقيم بقوله [*هناك فارق كبير بين فعليّ «يخلق» و «يَلِدْ»... فإن كان الله بالخلق يَلِدْ أيضًا، وإذا اراد أحد رؤية الخلق والولادة كشيء واحد بدون أي تمييز بينهما ولا اختلاف، ولا يرى أن الخلق غير الولادة، فإني لا أستطيع أن اوافق على ذلك، لأن هذا سوف يؤدي لاعتبار كل شيء خلقه الله، مولوداً منه وهذا يستحيل أن نحصيه... فهل سيصير الله أبًا لكل هذه المخلوقات الدنيا؟*][105].

والنتيجة المباشرة لهذا الخلط المتعَّمد بين فعلي «يخلق» و«يَلِدْ» كما يرصدها ق. كيرلس هي أنها [*تظهر الكتب المقدسة كأنها خرافات باطلة، لأنها تُسمى الابن بـ الوحيد (المونوجنيس)، لأنه إن كان ما تقولونه صحيح فيجب أن يكون له أخوة كثيرون وهذا معناه أن الابن الوحيد قد جاء إلي الوجود مثله مثل باقي المخلوقات عن طريق الخلق*][106]، لأنه إن صح كلامهم لوجب التساؤل: [*كيف يمكن إذن أن يعتقد نحن أو الملائكة القديسين وبشكل أكيد أن الابن هو رسم المجد الذي لا يُعبَّر عنه وبهاء جوهر الله الآب، لو لم يكن يمتلك امتيازات كونه مولود أو كانت ولادته مجرَّد كلمات جوفاء أو كان مختلفًا في طبيعته (عن الآب)، وبذلك يُحسب ضمن المخلوقات؟*][107].

لقد حاول المعارضون تحقيق أغراضهم بإنكار الوهية الابن، بشتى الطرق. فإدَّعوا قبلوهم بإن الابن مولود، وغير مخلوق، وتمثَّلت خدعتهم في قولهم إن

[104] انظر ص ٦٢.

[105] انظر ص ٦٤.

[106] انظر ص ٦٤.

[107] انظر ص ٦٦.

الآب قد وَلَدَنا من طبيعته الذاتية مثلما وَلَدَ الابن، ومن ناحية أخرى سيكون الابن المولود أيضًا مخلوق مثل باقي البشر المخلوقين والمولودين من الآب. لهذا نجد أن ق. كيرلس وقد فهم أفكارهم الخبيثة يرِّد عليهم بقوله:

[*الله لم يلدنا من طبيعته الذاتية ويجب ألاَّنخلط بين حالتنا البشَّرية وحالة مَنْ هو الابن بالطبيعة، ولذلك لا ينبغي ان نستخدم نفس الكلام الخاص بحالتنا البشَّرية لنتحدَّث به عن الابن. نحن خُلقنا وهذا كلام يوافق عليه الجميع، أما هو فقد وُلِدَ من جوهر الله الآب. أما نحن فقد نُلنا نعمة أن نتشبه بالابن في الولادة من الله، إذ نُلنا من رحمته رحمة جعلتنا أبناءً الله، إذ حصلنا علي كرامة من خارج طبيعتنا أضيفت إلينا، بها صرنا أبناءً بالتبني مشابهين الابن الحقيقي ودُعينا إلي مجد ذلك الذي هو الابنب الطبيعة*]. وبطريقة أخرى حاول الهراطقة الالتفاف حول حقيقة ولادة الابن الوحيد من جوهر الآب وذلك بالسؤال عن كيفيَّة هذه الولادة بقولهم [*لماذا لم يصيبه شيء مما يحدث في العادة للذين يلدون، مثل التجزئة أو انفصال جزء منهم عنهم؟ وكيف لا تكون العلّة أقدم من المعلول في كل الأحوال؟*][١٠٨]

ويعكس الرَّد التالي - للقديس كيرلس-علي هذا التساؤل، عمق حياة التقوى والإيمان والتسليم فيقول: [*إن العقل لا يستطيع أن يُدرك مَنْ هو فوق العقل، ومَنْ هو فوق الكلام لا يمكن شرحه بالكلام، فالله آب وقد وَلَدَ الابن بالحقيقة من جوهره الخاص وهذا تسلَّمناه بالإيمان والكتب المقدسة الموحى بها من الله، تذكرُ في كل مكان، الله الآب وأنه وَلَد، ويجب ألاّ نكون فضولين أكثر من ذلك وألاّ نجازف بالفحص المتهَّور لما تسلَّمناه بالإيمان وذلك لأن الذى من الإيمان لا نسعى لامتلاكه بطرق أخرى، ونحن نعرف أن كيفيَّة الولادة الإلهية تفوق كل عقل*][١٠٩] ويستشهد ق. كيرلس بما جاء في المزمور «من البطن مثل الصبح ولدتك» لتعضيد تعليمه فيقول عن كيفيَّة الولادة إنه [*يمكن معرفتها من الله الذي أعلن عن اللوغوس الذي خرج من طبيعته هكذا «من البطن قبل الصبح ولدتك». والتعبير «من البطن» يدَّل علي*

[١٠٨] انظر ص ٧١.

[١٠٩] انظر ص ٧٢.

*أن الابن وُلِدَ من جوهر الآب بالطبيعة. أما عن ذكر «قبل الصبح» فهذا يدًل علي أن عملية الولادة قد تمَّت في غموض وبشكل سًري يصعب فهمه مثلما يحدث عندما لا يرى شخص شيئًا ما بسبب الضباب الكثيف]*[110] ويضيف موضحًا [*حينما يتعلَّق أمر الولادة بالله فليس هناك أي تغيُّر أو تجزئة من أي نوع، لأن الله لا يخضع للضرورات التي يخضع لها البشر ومنها التجزئة والولادة في الزمن، فإذا تكلَّمنا عن ذوى الأجساد، وجب أن نقول إنهم هم الذين يختبرون ذلك لأن طبيعتهم خاضعة للتغير، وأيضًا لأنهم محكومون بالزمن الحاضر. ولكن لأن حديثنا يتعلَّق بالطبيعة الإلهية التي هي أسمي من كل جسد ملموس ومرئي، والتي هي صانعة الدهور نفسها وكائنة قبل الزمن، فكيف لا يكون نوع من اللغو أن نتصَّور أن هذه الطبيعة جازت أيَّة تغيرات أثناء الولادة، أو أن الذي وُلِدَ منها خاضع للزمن وتقلباته؟]*[111].

وهنا يُرسِى ق. كيرلس مبدأً لاهوتياً هاماً بقوله [في حالة الله يجب ألاَّ نتكلّم عن العّلة والمعلول، بل من المناسب أن نتكلَّم عن الله الآب والابن المولود منه][112].

ويحاول بيان هذه الحقيقة بقوله [*من الأفضل أن نستوعب أن هذه الولادة لا تُفهم ولا توصف كولادة بشرِّية، لأنه لا يجب القول إن الله قد وَلَدَ في الزمن فهو لا بداية ولا نهاية ولا زمني، فهو كائن وهكذا الذي وَلِدَ منه، كائن فيه ومعه لأن الابن أشرق كنور وذلك بشكل يفوق الذهن، وهذا تمَّ في جوهر الله ولم يتم ذلك نتيجة انقسام الوالد أو تجزئته وإلاَّ لكان الابن مختلفًا عن الآب الذي ولده. فهو وُلِدَ بطريقة غير جسدِّية لا تخضع لظروف الولادة الجسدِّية*][113].

وخطورة آرائهم هذه لا تكمن فقط في إنكار الوهية الابن، بل في الواقع هي إنكار الإيمان بالثالوث كله، أو كما يصف ق. كيرلس ما يعلّمون به بقوله [*إن هذا معناه أن ندوس بأقدامنا معطيات الإيمان. والسؤال الأول هو*

[110] انظر ص ٧٢.

[111] انظر ص ٧٤.

[112] انظر ص ٧٤.

[113] انظر ص ٧٥.

*كيف يمكن ان تحتفظ الطبيعة الإلهية للثالوث الواحد والتي لا يُعبَّر عنها، بما لها إذا نفينا وجود ولادة حقيقية؟ فلو وافقناهم سوف ننحدر إلى نفس مستواهم لأنهم يتمسَّكون بأن هناك إله واحد خالق وآب للكون ولكنهم لا يقبلون ربنا يسوع المسيح.... فلو أنهم هدموا -بعدم تقوى- مبدأ الولادة الحقيقية، فلن يستطيع إنسان في هذه الحالة أن يتجرأ ويفكر بأن الابن هو الله بالحقيقة]*[114].

لجأ المعاندون لحيلة أخرة لتحقيق غرضهم الأساسي وهو إنكار ألوهية الابن وذلك بأنكار أزليتَّه وادعاءأن الله الآب سابق في وجوده للابن المولود منه، أيضًا أن طبيعة الآب قد أصابها تغيير نتيجة الولادة. ولقد عبرّ إرميا عن آرائهم هذه بقوله: «إن العِلة أقدم من حيث الوجود من حيث الفكر من المعلول وإن مَنْ يَلدْ لا يمكن أن يَلدْ بدون ألم وتغيير. وهم يقدَّمون هذه الأفكار بشكل مزيّف لكي يظهروا إن الابن أقلَّ من الآب وإنه في المرتبة الثانية لأنه جاء متأخرًا وهكذا ينكرون بشكل قاطع ان الولادة حقيقية ويدعون باطلاً أن الولادة من الجوهر ليست أصيلة».

وقبل أن يجيب ق. كيرلس على هذه الأفكار المنحرفة يوجه نقدًا شديدًا للمعارضين باستخدامهم تعبيرات غير كتابية وذلك بقوله [*لا أعرف من أين جاء هؤلاء بكلمتي «العلَّة» و«المعلول» ولا أعتقد أنهم سيدعون انهم وجدوها في الكتب المقدسة*][115].

وربما كان هذا النقد ردًا على مهاجمة الأريوسيين لمصطلح «هوموأوسيوس» أي «الواحد في الجوهر» وقولهم إنه مصطلح غير كتابي.

وكان من الطبيعي أن يرَّد على التعليم الخاطئ القائل بإن العلَّة أقدم من المعلول وذلك بعد ان ردَّعلى الأفكار الخاطئة التي نسبت للطبيعة الإلهية تغييرًا وتمزقاً.

وفي ردّه هذا لجأ ق. كيرلس مرّة أخرى إلي استخدام أحد المزامير مع ادراكه الكامل بعجز اللغة البشرية عن التعبير الدقيق عن سرِّ الميلاد الأزلي للابن من الآب فيقول [*لنركز بعيون أجسادنا لنتأمل علي قدر طاقتنا وكما*

[114] انظر ص ٧٦.

[115] انظر ص ٦٣.

*في مرآه، الطبيعة الإلهية - وإن كان بطريقة غير كاملة بالتأكيد. وذلك لتعرف كيف توجد، فالآب يُشبّه الابن «بكلمة» قائلاً: «فاض قلبي بكلام صالح»، فأين نجد هنا الانقسام والتمزّق؟ فالذهن البشري يَلِدْ وينطق كلامًا خارجًا منه ويختار ما يناسبه. ومسيره الكلام من أعماق الإنسان إلي لسانه تقدّم لنا شرحًا للميلاد الجوهري ويمكن أن تكون «الكلمة» شيئًا آخرً غير الذهن الذي نطقها ولكنهما لا يتجزآن]*[116]. ويَخلُص ق. كيرلس من شرحه لهذا المثل إلي النتيجة التالية: [*الذهن لا يُعتبر بأي حال من الأحوال أقدم من الكلمة التي نطقها لأن الكلام هو دائمًا من الذهن للذهن والذهن كامن في الكلام*][117].

وبالإضافة لهذا المثل يُعطي ق. كيرلس مثلين آخرين في محاولة منه لشرح حقيقة ولادة الابن من جوهر الآب وأن قولهم بإن العلّة أقدم من المعلول لا تنطبق علي حالة ولادة الابن الأزليّة، هما مثلىَّ الكائنات ذو الألوان بطبيعتها وأنه لا يمكن أن توجد اقدّميه للكائنات علي الألوان والعكس، فهي موجودة معًا دائمًا والمثل المعروف عن الشمس والشعاع حيث تمتلك الشمس في طبيعتها الخاصة شعاع النور الذي لا ينفصل عنها، ولكنه يبدو بعد خروجه منها أن له فراده خاصة، ولهذا يقول ق. كيرلس [*إنه من العبث والمضحك أن نتصّور أن الشمس أقدم من الشعاع وكأن الشعاع الخارج منها يجيء متأخرًا*][118].

سؤال آخر أورده إرميا ويعكس أفكار المعارضين اللاذعة بقولهم: هل الآب وَلَد الابن بإراداته أم بغير إرادته؟ ويمكن فهم ما ذهب إليه المعارضون بإثارتهم لهذا السؤال كالآتي:«إذا لم تكن الولادة بإرادة الآب، إذن الآب وَلَدَ رغمًا عنه، أي أن آخر قد أرغمه علي الولادة». وإن قيل إن الابن لم يُولَد رغم إرادة الآب سيقولون «إذا كان الآب قد وَلَد الابن بإرادته، فمعني ذلك أن إرادة الآب قد سبقت عملية الولادة».

[116] انظر ص ٧٩.

[117] انظر ص ٧٩.

[118] انظر ص ٨٢.

ولم يكن أمام ق. كيرلس وهو يواجه هذه الأفكار المنحرفة إلاَّ أن يؤكد [*إن الآب لم يكن يومًا محرومًا من ابنه، بل الابن كائن دائمًا في الآب الأزليّ الذي بلا بداية وهو لم يكن أبدًا أبًا للابن رغمًا عنه وهذه الإرادة لم تنشأ ولا تظهر أبدًا قبل الولادة*][119].

واعتمادًا علي حقيقة أن الابن هو حكمة الله الآب يستطرد ق. كيرلس في دفاعه قائلاً: [*ولأن إرادة الآب حكيمة وعاقلة جدًا، فلا يجرؤ أحد أن يدَّعى أن إرادة الله غير حكمة أو غير عاقلة. وهكذا فإن الابن هو حكمة الله الآب وعقله. وهكذا ففي الابن توجد كل إرادة الآب*][120].

ويبادل ق. كيرلس المعارضون حجتهم بحجه ويضع أمامهم السؤال التالي [*وهل الآب يوجد بإرادته أم بغير إرادته؟ وإذا كان يوجد بغير إرادته فمعنى ذلك أن وجوده اضطراري؟*][121] وذلك بغرض الرَّد على افكارهم السابقة المنحرفة، وتفنيدها. ثم يجيب بنفسه قائلا [*إن كان الجواب هو أنه يوجد بإرادته، فمعنى ذلك إن إرادته سابقة لوجوده، لأن الإرادة تتصَّرف بحكمة وتعبِّر عن نفسها بالعقل. ولأن الابن هو حكمة الله وحكمته. فإنه يكون موجودًا قبل الآب. والوحي الإلهي يدعو الابن إرادة الله الآب ومشورته وذلك لأن داود يقول بالروح في المزمور، باسم أولئك الذين آمنوا «أمسكت بيدي اليمني، وبمشورتك تهديني» وفي مزمور آخر يقول «يارب بإرادتك ثبتَ لجبلي عز» وذلك لأننا بالمسيح نسير نحو ارادة الله الآب وقد تحوَّلنا فيه إلي جمال يفوق العالم ونحن نتشدد به في كل صلاح*][122].

ويحذر ق. كيرلس من خطورة هذه المفاهيم الفاسدة لأنها ستؤدي إلي [*أن نقول إن الابن كائن قبل الآب وذلك لأنه هو الإرادة*] ويتسآل في استنكار قائلاً: [*كيف يوجد المولود قبل الوالد ؟*][123].

---

[119] انظر ص ٨٤.

[120] انظر ص ٨٤.

[121] انظر ص ٨٤.

[122] انظر ص ٨٤.

[123] انظر ص ٨٤.

ويُجمل ق. كيرلس تعليمه فيما يختص بهذه النقطة بقوله [*إنه لا يوجد ما هو سابق علي ميلاد الابن وإن إرادة الوالد لا تسبق وجود المولود. وإن الله الآب هو آب بطبيعته وهذه هي إرادته أيضًا. وذلك لأن الله الكائن لا يكون هكذا بدون إرادة ونفس الشيء إذا فكَّرنا في قداسة الآب وصلاحه، فالله صالح وقدوس بطبيعته وإرادته. ولا يمكن أن تعتقد عنه أنه كان يمكن أن يوجد بطريقة أخرى فهو الله وهو آب في نفس الوقت، والولادة عنده ليست شيئًا لاحقًا للوجود. وفي الوقت الذي نفكر فيه أنه موجود وكائن يجب أن نفكر في أنه أيضًا آب. وهكذا فالآب الذي له هذه الطبيعة يقودنا إلى الاعتقاد بأن هذه الولادة هي أزليّة وهكذا يكون الأبن مولود من الآب أزليًا*][124].

نقطة أخيرة يختتم بها ق. كيرلس هذا الحوار وهي تتعلق بحقيقته وجود فعليٍّ للابن قبل الولادة فلقد عرض المخالفون رأيًا جاء فيه علي لسان إرميا ما يلي «لنقبل الإيمان بأن الابن كائن مع الآب. والله كان دائمًا أبًا. لكنه كان أبًا بالإمكانية فقط والابن كان يمكن أن يُدرك بطريقة نظرِّية فقط إذ لم يكن له وجود فعليّ ككائن قبل الولادة، وبعد ذلك وَلَد».

ومرِّة أخرى يُفَند ق. كيرلس هذه الآراء الهدَّامة عندما يذكر [*إن الولادة من الآب هي ولادة حقيقية ويُعتَرَف بها دائمًا هكذا، فالله آب بالطبيعة وهو آب «بالإمكانية» و «بالفعل» وليس له إرادة وسيطة بين «الامكانية» و«الفعل» وبالتالي فهو آب حسب قوانين طبيعة لها خاصية الولادة، وهو لا يكون أبًا لمَنْ هو غريب عنه، مادام المولود منه هو دائمًا من نفس طبيعة الوالد*][125].

ويوضح ق. كيرلس ما في تعبيراتهم من خطورة تمس طبيعة الله الآب فيقول [أنهم ـ بكلامهم هذا ـ يهينون الآب إذ ينسبون له إنه قابل للتغيير وذلك لأن عملية التحوَّل من «الإمكانية» إلي «الفعل» هي «تغيير شديد»][126]

ولأنهم فصلوا زمنيًا بين «حالة الامكانية» و«حالة الفعل» كإن علي ق. كيرلس أن يوضح إيمانه بانه [لا يوجد *فارق زمني بين الكائن* حسب

[124] انظر ص ٨٧.

[125] انظر ص ٨٨.

[126] انظر ص ٨٨.

*«الإمكانية» والكائن حسب «الفعل»]*[127].

وفي عبارات واضحة كل الوضوح يحدد ق. كيرلس علاقة الخليقة بالله في ضوء علاقة الابن بالآب فيقول [*بينما الخليقة لم تكن قد جاءت بعد إلي الوجود لكن كان الله حينذاك خالقًا. ولم يكن الله أبًا لأنه كان خالق، لكن لأنه كان قد وَلَد. والابن هو ابن لأنه وُلِدَ. وإن كان في علاقة الخالق بالخليقة ليس ضروريًا أن يكونوا دائمًا معًا. إلاَّ أنه ضروري أن يكون الابن مع الآب دائمًا، لكي نفهم بدقة الأمور الخاصة بالله سواء الله الآب أو الله الابن وكيف يمكن أن يظهر أحدهما قبل الآخر ما دامت كينونة كل واحد منهما تعتمد علي كينونة الآخر؟ ولا يمكن وجودهم بمعزل كل منهما عن الآخر؟ لأن الآب هو آب في علاقته بالابن والعكس صحيح*][128].

**وفي الحوار الثالث:**

ولما كانت مسأله إلوهيه اقنوم الآب غير وارده في محاولات المعارضين، فإن ق. كيرلس لم ينشغل بها في هذا الحوار، بل كان كل تركيزه منصبا علي ايضاح الوهيه الابن والروح القدس.

وفي محاولاته هذة اقتفي كالعادة اثار معلّمه ق. اثناسيوس، مشددًا علي الآتي:

١- إن أُلوهية الابن والروح القدس هى بسبب أنهما واحد فى ذات الجوهر مع الآب ὁμοούσιος فيقول: [*إن الابن قد وُلِدَ من جوهر الله الآب وأنه إله حق من إله حق وأنه لم يولد من طبيعة غريبة ومختلفة وأن له كل ما للآب حسب الجوهر عدا كونه أبًا وإذ نحصى الروح القدس مع الآب والابن في الألوهة الواحدة فإننا هكذا نسجد لثالوث واحد مساوٍ في الجوهر الإلهى*][129].

[127] انظر ص ٨٨.

[128] انظر ص ٩١.

[129] انظر ص ٩٨.

٢ - [الابن لم يأتِ إلاّ من الآب إذ ولد من جوهر الله الآب][١٣٠].

٣ - [الابن بطبيعته مختلف عن كل الآلهة المخلوقة ولا يحسب ضمن المخلوقات إذ هو كائن دائمًا مع أبيه وهو يدرك دائمًا مع الذي ولده في طبيعة إلهية واحدة][١٣١].

٤ - [إننا قد اعتمدنا باسم الآب والابن والروح القدس وبالطبع أننا لا نؤمن بثلاثة آلهة لكن بألوهة واحدة ممجّدة في الثالوث الأقدس][١٣٢].

وفي موضع آخر يرّد على الذين يتساءلون عن كيفية أن يكون الله واحد بينما نقول إن لكل من الآب والابن أقنومه الخاص، فيقول [إن ما يساعدنا في فهم هذا الأمر هو أن نأخذ في الاعتبار حقيقة وحدة الجوهر تلك الوحدة التي بها يكون للأقنومين جوهر واحد مع حفظ كل ما يخص كل منهما كأقنوم][١٣٣].

## * عمل الابن المتجسد فينا يشهد لألوهيته:

سبق أن أوضحنا أن القديس أثناسيوس كان يدافع عن أُلوهية الابن - وبالتالي عن أقانيم الثالوث - من خلال إيضاح عمل الفداء الذي أتمّه الابن المتجسّد من أجلنا ومن أجل خلاصنا مبينًا أنه إن لم يكن الابن ربًا وإلهًا لما استطاع أن يأخذ ما لنا ويهبنا ما له، وهنا نجد أن ق. كيرلس يتبع نفس هذا المنهج الأسكندرى الذي يجعل من عقيدة الثالوث التي نؤمن بها واقعًا حيًّا وملموسًا في حياتنا، بواسطة عمله فينا هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكننا أن نشهد من خلال أعمالنا أن مَنَ نؤمن به هو الله الواحد الآب والابن والروح القدس.

والجدير بالذكر أن ق. كيرلس لم يستخدم لهذا الغرض، فقط نصوصًا كتابية كان قد رجع إليها ق. أثناسيوس، لكنه استخدم بجانبها نصوصًا كتابية أخرى رأى فيها دليلاً واضحًا على أُلوهية الابن من خلال عمله فينا،

[١٣٠] انظر ص ٩٢.

[١٣١] انظر ص ٩٦.

[١٣٢] انظر ص ٩٩.

[١٣٣] انظر ص١٤.

وفي نفس الوقت تبيّن وحدة الجوهر للآب والابن وكمثال لهذه النصوص الأخرى نستعرض الآتي[١٣٤]:

١ - في قول بولس الرسول في رسالة أفسس عن الله «**كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُل**»[١٣٥] وعن الابن أنه هو الذي «**يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلّ**[١٣٦]».

يرى ق. كيرلس أن هذا القول يجعلنا [*أن نفكر بأنه إن لم يكن الواحد منهما في الآخر جوهريًا فحينئذٍ فإن ملء الكل بواسطة الآب سيكون لا لزوم له لأن الملء سيكون كافيًا بواسطة الابن أو عكس ذلك إذ أنه إن كان الله الآب يملأ الكل فحينئذٍ سيكون الملء المعطى للكل من الابن بدون داع طالما أن الآب كان قادرًا أن يملأ الكل*][١٣٧]. ويجب أن نلاحظ هنا تشديده على مفهوم الاحتواء المتبادل للأقانيم داخل الجوهر الواحد، لأن هذا المفهوم يدخل ضمن مفهوم القديس أثناسيوس عن العلاقة بين الآب والابن والتي عبّر عنها بمصطلح هوموأوسيوس ὁμοούσιος [١٣٨] والذي عبّر بصورة دقيقة وقاطعة عن الوحدانية في ذات الجوهر والعمل بين الابن المتجسِّد والله الآب والتي يُبنى عليها كل شئ في الإنجيل.

٢ - «**وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا**»[١٣٩].

شاهد كتابي آخر اعتمد عليه ق. كيرلس لإيضاح نفس الحقيقة هو ما جاء

---

[١٣٤] استعرضنا هذه الشواهد هنا بالترتيب الوارد في الحوار ولم نتعرض هنا في المقدمة للنصوص التي سبق أن استخدمها ق. أثناسيوس.

[١٣٥] ١كو١٥:٢٨.

[١٣٦] أف١:٢٣.

[١٣٧] انظر ص١٠٢.

[١٣٨] بالنسبة للقديس أثناسيوس كان مفهوم هوموأوسيوس يحمل في طياته مفهوم علاقة التواجد (الاحتواء) المتبادل للأقانيم داخل جوهر الله الواحد، والتي أشار إليها اعلان الله عن ذاته في تدبير الخلاص. ولم يكن هذا التواجد المتبادل يعني مجرد ارتباط أو اتصال متبادل بين الأقانيم الثلاثة الإلهية، ولكنه كان يعني السكنى الكاملة المتبادلة بينهم. فبينما كل أقنوم يظل ''كما هو'' محتفظًا بتمايزه كآب أو ابن أو روح قدس إلاّ أنه يكون بكامله في الآخرين كما أن الآخرين هما بالكامل فيه'' انظر أيضا T.F. Torrance. Ibid. p.306.

[١٣٩] يو١٦:١

على لسان القديس يوحنا اللاهوتى في الإنجيل «ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا» فبعدما فند حجج المعارضين وإنكارهم لألوهية الابن، تساءل في استنكار [*إن لم يكن للابن طبيعة مساوية لطبيعة الآب، طالما أن الابن - حسب ما يعتقد هؤلاء - أقل في جوهره من جوهر الآب، فلا أعرف كيف سيفعلان (أى الآب والابن) شيئًا في داخلنا طالما أن الابن غير مساوٍ (للآب) ومتغيّر في كل شئ، وحينئذٍ كيف سيمكن اعتبار أن ملء الآب والابن قد تمَّ فينا؟*][140].

٣ - «**إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً**»[141].

دليل آخر على أُلوهية الابن ومساواته للآب في الجوهر هو سكنى الإله الواحد فينا. لأن المعارضون فهموا من الآية أنه يسكن فينا إله واحد هو الآب ولكن ليس معنى ذلك أن كون الابن هو إله فإنه يسكن فينا إلهان، ولهذا فنّد ق. كيرلس هذه الأفكار الخاطئة وأوضح إيمان الكنيسة بقوله: [*نحن نتفق على أن طبيعة الألوهة واحدة، وأن الابن ليس كما يقولون هؤلاء غريب عن الآب، وإنه إله حقيقي يأتي منه ويوجد فيه، وهكذا فإن طبيعته هى طبيعة الذي وَلَده، ولذلك فنحن لا نؤمن أنهما إلهان، لكن إله واحد وفريد يُعبد في ثالوث قدوس*][142].

٤ـ «**نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا**»[143]. «**فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ.**»[144]

رغم إجماع كثير من اباء الكنيسة ومنهم ق. كيرلس على الرجوع لهذا الشاهد (تك١:٢٦) عند تعليمهم عن عقيدة **الثالوث** إلاّ أن ق. كيرلس هنا قد استخدم الشاهد الثاني (تك١:٢٧) أيضًا تمشيًا مع منهجه الذي اقتفى فيه أثار

---

[140] انظر ص١٠٤.

[141] -يو١٤:٢٣

[142] انظر ص١٠٨.

[143] تك١:٢٦.

[144] تك١:٢٧.

ق. أثناسيوس وهو المنهج الذي يتسم بالبُعد الخلاصي الخرستولوجى أى بما فعله الابن المتجسِّد. فلأنهُ هو واحد مع الآب والروح القدس في الجوهر فإن تجديدنا الذي أعاد تشكيلنا على صورة الابن أرجع الإنسان إلى رتبته الأولى ليكون على شبه الله. يقول ق. كيرلس إذًا [*لأننا تشكّلنا من جديد حسب الصورة الأولى إذ خُتمنا بختم الابن، كي نصبح مثله لأنه هو صورة الآب وختمه وليس هو آخر بجانب الآب وذلك بسبب الجوهر الواحد*][145].

**٥ ـ «أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ»، «لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلاَ أَبِي..».**

كان من نتيجة تجسَّد كلمة الله الابن الوحيد، أنه عرّفنا بالإله الحقيقي، فالابن إذ هو صورة الله الآب، أظهر لنا "نور الآب وأعطانا شركة الروح القدس الحقيقية»[146] وإذ هو واحد معه في الجوهر وهو الابن الوحيد الحقيقي. فقد علّم البشر عن الآب[147]. وهنا يستشهد ق. كيرلس بما جاء على لسان المسيح له المجد في صلاته للآب «أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ»[148]. وأيضًا ما قاله لليهود «لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلاَ أَبِي. لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً»[149]. ويوضح ق. كيرلس أنه بمجيء الابن في الجسد أصبحت معرفتنا عن الله أكمل مما كانت في العهد القديم فيقول: [*وبعد الكرازة بالإنجيل توقّف سريان تعاليم الناموس التي كانت تعلّم القدماء أن الله هو واحد فقط، بدون أن تتحدّث عن الطبيعة الإلهية والثلاثة أقانيم وعن وحدة الجوهر، لأن هذه التعاليم هى التي تحدَّث عنها العهد الجديد. لأننا إن لم نؤمن أن الابن واحد مع الآب في الجوهر سيكون هناك تخبط ومتاهة*][150]. وعلى هذا الأساس فَهِمَ ق. كيرلس

---

[145] انظر ص١١٣.

[146] مثلما نصلي لأقنوم الابن في القداس الغريغوري.

[147] سبق أن أوضح ق. أثناسيوس هذه الحقيقة، انظر ''تجسُّد الكلمة'' إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، فصل ١:٢٠.

[148] يو٦:١٧.

[149] يو١٩:٨.

[150] انظر ص١١٦.

قول القديس بولس «لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً، بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي»[151].

٦ . « **وَاحِدٌ هُوَ وَاضِعُ النَّامُوسِ**»[152]، «**الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ**»[153].

وأُلوهية الابن المتجسِّد ووحدته في الجوهر مع الآب والروح القدس تتضح أيضًا ليس فقط من خلال أعماله المعجزيّة التي أتمَّها بالجسد بل في أنه هو أيضًا الديَّان والمشرّع الذي وَضَعَ الناموس والذي وحدَهُ له عدم الموت. وإذ فهم ق. كيرلس أن المعارضين ينسبون هذه الصفات للآب وحدَهُ دون الابن، فإنه يرَّد قائلاً: [*هل يجب إذًا أن نؤمن أن الابن هو أقل من واضع الناموس والديّان وأنه غير أبدي؟ وأن الحياة التي فيه قد حصل عليها من خارجه؟ وماذا سنحصد من هذا الفكر غير أن الابن سيكون خاضعًا بغير إرادته للناموس والدينونة وأنه بذلك يُحصى مع الذين هم بطبيعتهم مائتين؟ وفضلاً عن ذلك كيف لا يمكن اعتبار البشارة الإلهية ـ أى الإنجيل ـ هى كذب وبهتان طالما أنها تعتمد على شهادة الابن كي تثبت حقيقتها؟ لأن الابن قال في الإنجيل «أنا هو الحياة» بينما هو ـ حسب اعتقادهم ـ ليس عديم الموت لأن الآب فقط هو الذي لا يموت*][154]. ويشدّد على حقيقة الابن فيقول إنه هو «الديان وواضع الناموس» ويستشهد بقول المسيح نفسه لليهود «*قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِه*»[155]. وأيضًا يستحضر شهادة ق. يوحنا الإنجيلي «*لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَداً بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ*»[156]. ومن الواضح هنا اعتماد ق. كيرلس على إيمان الكنيسة الذي قد

[151] فيلبي٣: ٧-٨ ص٣٢.

[152] يع٤: ١٢.

[153] ١تيمو٦: ١٦.

[154] انظر ص١١٧.

[155] مت٥: ٢٧-٢٨.

[156] يو٥: ٢٢.

حدّده الآباء في مجمع نيقية - القسطنطينية عندما ذكروا في قانون الإيمان عن الابن المتجسِّد الذي صلب وقبر وقام وصعد، أنه «أيضًا سيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات» معبّرين بذلك عن إلوهيته ومساواته للآب في الجوهر. وأخيرًا يؤكد على هذه الحقيقة بقوله: [*هذا أمر غير مشكوك فيه بالمرّة أن مَن له دائمًا مجد المشرّع (واضع الناموس) يجب أن يكون وبطريقة طبيعية هو الديّان*][١٥٧]. وبسبب الوحدة الجوهرية للآب والابن فإن الابن له خاصية عدم الموت مثله مثل الآب: [*إن كان الله الآب هو مَن له خاصية عدم الموت، فإن الابن أيضًا له نفس الخاصية في جوهره وهو بالتأكيد عديم الموت بمعنى أن طبيعته غير مائتة ومشرقة ببهاء خصائص طبيعة الذي ولده*][١٥٨] ولهما أيضًا فعل واحد ومماثل يتضح في أنهما يهبان الحياة لمن يشاء «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِي، كَذلِكَ الابْنُ أَيْضاً يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ.»[١٥٩].

٧ - «**وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ،**»[١٦٠].

شاهد كتابي آخر يوضِّح عملاً خلاصيًا آخرَ يتممه الابن الوحيد فينا، نحن الذين نؤمن به، وهو أنه يصيّرنا أبناءً لله، ويَخلُصُ ق. كيرلس إلى أن هذا لم يكن ليتم لو لم يكن الابن المتجسّد هو ابن الله بالطبيعة. ويحذّر ق. كيرلس من قبول عكس ذلك بقوله: [*انتبه إذًا يا صديقي إلى النتيجة التي يمكن أن يصل إليها الحديث عن الابن الوحيد لو أنه أصبح مساويًا لنا نحن الذين دُعينا للبنوّة، لأنه لا يمكن أن يصير الإنسان المخلوق ابنًا إلاّ عن طريق ابن الله وبواسطة نعمة الروح القدس، وهذا ما يؤكده الرسول بولس بقوله*

١٥٧ انظر ص١٢٤.

١٥٨ انظر ص١٢٤.

١٥٩ يو٥: ٢١ ص٤٩.

١٦٠ يو١: ١٢.

*«بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللّه رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: «يَا أَبَا الآبُ»* [161] ][162].
ويستطرد فيقول [*فإن كان الأمر هكذا ففيمَنْ سيصير الابن ابنًا هو أيضًا؟ لأني لا أعتقد أنهم سيقولون إنه صار ابنًا بذاته في ذاته على الرغم من أنه حُسب بين الذين دعوا أبناء بالتبني طالما أنه ـ حسب فكرهم قد استبعد عن أن يكون ابنًا حقيقيًا بالطبيعة*][163]. وسُكنى الابن بالروح القدس تجعلنا أبناءً بالتبني وتُحضرنا إلى علاقة أبوَّة اللّه لنا لأن [*كل كلامنا هنا هو عن الإيمان بالطبيعة الإلهية الواحدة والتي هى في ثلاثة أقانيم متمايزة ولها نفس الجوهر فهى تمثل إلهًا واحدًا أسمى من الكل والذي نتشكَّل على هيئته كما يقول الكتاب، ولكننا نأخذ ختم التبني عن طريق الابن بالروح القدس، فالبنوَّة هى صورة الابن والأبوَّة هى صورة الآب، إذًا فنحن أبناء بسبب الابن كما أننا على صورة اللّه وشبهه إذ قد خُلقنا هكذا منذ البداية على صورة كمال الطبيعة (الإلهية) أعني الطبيعة الفائقة*][164].

٨ ـ **«بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ.»**[165].

جانب آخر من العمل الخلاصي الذي ساعد ق. كيرلس في فهم وشرح عقيدة الثالوث هو ثباتنا في اللّه وتقديسنا عن طريق روحه القدوس. ومرَّة أخرى يشدّد ق. كيرلس على المساواة في الجوهر للأقانيم الثلاثة والتي هى أساس العمل الواحد والفعل الواحد الخلاصي الذي تمَّ فينا. فالروح القدس ربٌّ محيي يُثبّت ويُقدّس البشر، وهو يتمّم هذا لأنه هو روح الابن الذي هو إله بالحقيقة مولود من جوهر اللّه الآب، لذا وضع ق. كيرلس هذه الآية من رسالة ق. يوحنا أمامه ورأى فيها بكل وضوح الوحدة الجوهرية للآب والابن والروح القدس من خلال عملهم وفعلهم الواحد، لهذا تعجب ممن لم يستطيعوا أن يدركوا

[161] غلا٤: ٦.

[162] انظر ص١٣٥.

[163] انظر ص١٣٥.

[164] انظر ص١٣٧.

[165] ١يو٤: ١٣.

*كيف [أن الابن هو إله بالحقيقة وأنه قد جاء من جوهر الآب، حيث إن روحه الساكن فينا هو الله وليس شيئًا آخر؟]*[١٦٦]. وأضاف قائلاً *[لو لم يكن روح الآب هو الله ـ الذي به يُعطِي حياة وقداسة للبشر ـ هو روح الابن أيضًا، فمَنْ ذا الذي يصل تفكيره إلى هذا الحد الدنئ حتى يفكر ويقول إن الابن ليس واحدًا في الجوهر مع الله الآب بل هو ضمن المخلوقات ويقول أيضًا إن الابن لا يُعطِي ولا حتى يهب البشر أن يكونوا شركاء الطبيعة الإلهية أو تلك المواهب المميَّزة الخاصة بها، الأمر الذي يجعله لا يكون مختلفًا بالمرَّة عن المخلوقات وأيضًا يجعل طبيعة المخلوقات مساوية في المجد مع تلك الطبيعة (الإلهية) التي تضبط كل الأشياء]*[١٦٧].

٩ ـ **«كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ.»**[١٦٨].

يستخدم ق. كيرلس طريقة الحوار بالأسئلة والإجابات السابق الإشارة إليها في المقدَّمة ليصل إلى هدفه الذي هو إثبات أُلوهية الابن، ومن خلال الوحدة الجوهرية للأقانيم يصل إلى أن الثالوث القدوس هو ربٌّ وإله واحد. وهنا يتوقف أمام هذه الآية ويتساءل حتى يعطى إجابة تخدم هدفه وتثبّت التعليم القويم فيقول: *[من أين تتوزع علينا الهبات الإلهية؟ لقد ظن مَن أنكروا أُلوهية الابن أن الآية تتكلّم صراحةً على أن هذه الهبات تأتي لنا فقط من عند الله الآب، وهم في هذا أنكروا على الابن مساواته في الجوهر للآب والروح القدس وبالتالي أنكروا عليه وحدة العمل والفعل بينهما. غير أن الواقع العملي في حياة مَن يؤمنون بالمسيح يشهد بعكس ذلك]*[١٦٩] لأن *[المسيح أعطى للرسل السلطان كي يخرجوا الشياطين ويشفوا الأمراض وكل ضعف بين الناس والأمر الأعظم من*

[١٦٦] انظر ص١٣٨.

[١٦٧] انظر ص١٣٨–١٣٩.

[١٦٨] يع١:١٧.

[١٦٩] انظر ص١٤٠.

*كل هذا أنه أعطاهم السلطان حتى يقدروا أن يهزموا الموت نفسه عندما حثّهم بكلام يليق به كإله «اشفوا المرضى، طهروا برصًا، أقيموا موتى اخرجوا شياطين» كما أن يوحنا الناطق بالإلهيات يعترف بكل وضوح قائلاً «من ملئه نحن جميعًا أخذنا»*][170]. ويرى ق. كيرلس أن العطيَّة الصالحة والهبة الكاملة والتي تثبت أُلوهية الابن هى أن نكون شركاء الروح القدس فيقول إن الابن [*يرسل من ملئه روحه القدوس الذي هو واحد معه في الجوهر بدون أن ينفصل عنه، وعن طريق الروح القدس يصير لنا كل عطية صالحة*][171].

لقد كانت قيامة المسيح هى أعظم دليل على إلوهيته، ثم كانت عطيَّته الإلهية لتلاميذه أى عطيَّة الروح القدس بعد القيامة، فهو يُعطِى كل العطايا بسلطة إلهية وليس كخادم يستمد سلطته من آخر [*فطالما أنه قد قام مبطلاً الفساد ومحطمًا قيود الموت فإنه جاء بنا مرَّة أخرى إلى القداسة معطيًّا للرسل جمال الطبيعة كما كانت عندما خلق الجنس البشرى ونفخ في وجوههم قائلاً: «اقبلوا الروح القدس». إذًا فطالما أن كل عطيَّة صالحة تأتي من فوق من الآب وتوزع بواسطة الابن الذي له السلطة الإلهية وليس كخادم، فبأى طريقة إذًا لا يكون واحدًا في الجوهر مع الآب الذي ولده، بمعنى كيف لا يكون إلهًا بالحق، وليس مزينًا من الخارج بكرامات مثل اللوحات المرسومة*][172].

**١٠. «أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعاً فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ. ٢٠ إِذاً نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ»**[173].

إن الإيمان بالمسيح يُدخلنا إلى معرفة الله الآب وشركة الروح القدس وهكذا نعترف بأقانيم الثالوث المساوي في الجوهر وهذا الإيمان يبعدنا عن ضلال تعدُّد الآلهة ويصالحنا مع الله.

[170] انظر ص١٤٠.

[171] انظر ص١٤١.

[172] انظر ص١٤١.

[173] ٢كو٥: ١٩-٢٠.

ويعلّق ق. كيرلس على ما كتبه بولس الرسول في الآيه المشار إليها هنا قائلاً: [*عندما يأتي شخص ما للمسيح فإنه يتصالح مع الله. ومن خلال المسيح يتصالح العالم كله مع الله*][١٧٤] وهو يرى أن في هذا ما يثبت وحدة جوهر الآب والابن فلهذا يستكمل قوله بسؤال استنكارى [*وبالتالي كيف لا يكون من المضحك أن يعتقد هؤلاء أن الكلمة الذي أتى من الآب وهو باق فيه، هو بعيد عن جوهر الآب*][١٧٥]. إذًا مَن يعرف الابن، يعرف الآب الإله الحقيقي أيضًا كما يشهد معلّمنا يوحنا «وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ.»[١٧٦].

١١. **«لأَنَّ الْكُلَّ عَبِيدُكَ»**[١٧٧]، **«هَلُمَّ نَسْجُدُ وَنَرْكَعُ وَنَجْثُو أَمَامَ الرَّبِّ خَالِقِنَا، ٧لأَنَّهُ هُوَ إِلَهُنَا، وَنَحْنُ شَعْبُ مَرْعَاهُ وَغَنَمُ يَدِهِ»**[١٧٨]، **«خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي، وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي»**[١٧٩].

قد يرى مَنْ لا يؤمنون بألوهية الابن وبأنه مساوٍ للآب والروح القدس في الجوهر، أن الابن كان غير محق في أن يدعو مَنْ يؤمنون به بأنهم خرافه هو، وكان الأجدر به أن يدعوهم خراف الآب، على أساس أن الابن - حسب اعتقادهم - ليس إلهًا حقيقيًا مثل الآب. والخطورة الواضحة في هذا التفكير تكمن في إنكار عقيدة الثالوث كله لأنها تنكر أحد أقانيمه كما سبق القول، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنها تهدر قيمة العمل الخلاصي والمحبة الإلهية نحو البشر. فلقد ارتضت محبته أن تفتقدنا من ضلالنا وأن يشملنا كراع صالح برعايته بل أنه صيّرنا خرافه وأعطانا حياة أبدية ووعدنا

[١٧٤] انظر ص١٤٢.

[١٧٥] انظر ص١٤٢.

[١٧٦] يو١٧: ٣.

[١٧٧] مز١١٩: ٩١.

[١٧٨] مز٩٥: ٦-٧.

[١٧٩] يو١٠: ٢٧-٢٨.

بألاّ تهلك إلى الأبد وألاّ يخطفها أحد من يده[١٨٠]. غير أن القديس كيرلس كان يؤمن - كما أخبرنا ق. يوحنا - بأن [*الابن قد جاء إلى خاصته وأنه سمى كل سكان الأرض بل كل الخليقة خاصته وأنه يعمل كل ما يعمله الآب لا كأنه أقل منه، لكن كمن له سلطان وربوبية حقيقية وليست غريبة عنه*][١٨١].

**١٢. «الْحَصَادُ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّ الْفَعَلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ»[١٨٢]، «الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ الْقَمْحَ إِلَى مَخْزَنِهِ»[١٨٣].**

كانت وصيَّة الرب القائم منتصرًا من بين الأموات، لتلاميذه أن يذهبوا ويتلّمذوا جميع الأمم، وهكذا أعطاهم المسيح له المجد شرف وامتياز نشر أسرار ملكوته. وهذا عكس ما قد يفهمه بعض المعارضين من قول المسيح لتلاميذه «فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ» وكأنه هو لا يملك حصاده أو أن الحصاد ليس له على اعتبار أنه هو ليس مثل الآب إله حقيقي حسب اعتقادهم، غير أن شهادة يوحنا المعمدان عنه كما سجَّلها إنجيل لوقا توضح أنه هو - مثله مثل الآب - ربُّ الحصاد وأن المخزن هو مخزنه أو كما يقول ق. كيرلس أنه [*في نفس الوقت الذي يُرجع فيه للآب تعيين فعلة لحصاده، فهو يكشف عن مَن يكون ربُّ الحصاد وذلك حينما أعطى لتلاميذه امتياز نشر أسرار ملكوته، كما أن البشير لوقا يؤكد أن الحصاد هو له*][١٨٤].

**١٣. «اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟»[١٨٥]، «أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ، وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ»[١٨٦].**

١٨٠ انظر يو ١٠: ٢٧-٢٨.

١٨١ انظر ص١٤٣.

١٨٢ مت٩: ٣٧-٣٨.

١٨٣ لو٣: ١٧.

١٨٤ انظر ص١٤٣.

١٨٥ رو٨: ١١-١٢.

١٨٦ مز٨٢: ٦.

فَهِمَ بعض المعارضين أن معنى هذه الآيات أن يكون لكلمة الله طبيعة مخلوقة لكونه ابن مثلنا نحن الذين صرنا أبناءً بالتبني وبالتالي ستكون طبيعة الابن مختلفة عن طبيعة مَنْ ولده. ولقد دافع ق. كيرلس عن أُلوهية الابن عندما شرح المعنى السليم لهذه الآيات وأوضح [*أنه بينما كثيرون قد دعوا آلهة وأبناءً إلاّ أن تعبير الابن «الذاتي» أو «الخاص» ينسب حرفيًا وبالفعل لواحد فقط*][187]. ويستطرد فيقول إن هذا بسبب أن [*هؤلاء بالتأكيد صاروا أبناء بسبب نوالهم عطيَّة المحبة السماوية بدعوتهم للتَّبني بينما الابن ليس كذلك، لكنه هو ابن حقيقي وذاتي لله الآب وله نفس الطبيعة التي هى أرفع وأسمى من طبيعة الكل*][188]. وردًا على أفكار المعارضين المنحرفة يقول [*لابد أن نفكر بطريقة سليمة ونؤمن أن الابن هو ابن ذاتي (خاص) لله الآب وهو لا يحصى ضمن مَنْ نالوا التَّبني بل هو إله من إله. كما أنه لا يمكن التفريق أو الفصل بين مَنْ هم من جنس واحد ونوع واحد في طبيعة طريقة وجودهم ومرتبطين معًا في وحدة كاملة حسب الجوهر. إذًا فالابن ليس إلهًا من طبيعة أخرى غير طبيعة ذلك الذي ولده فهو إله حقيقي طالما دُعيَّ ابنًا ذاتيًا (خاصًا) لله الحقيقي حسب الطبيعة وهو يختلف بالتأكيد عن كل هؤلاء الذين صاروا أبناء بالتَّبني كما أن له نفس المجد الحقيقي الذي لله*][189].

**١٣ ـ «رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ. وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ. وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ.»**[190].

من بين الآيات الرائعة التي استخدمها ق. كيرلس في دفاعه عن أُلوهية الابن تلك الآية التي جاءت في رسالة معلّمنا بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس. ورغم ما يبدو في أن معنى هذه الآية لا يحمل أى بُعد يساعد على فهم وشرح عقيدة الثالوث فإن ق. كيرلس ربما كان هو الوحيد الذي اعتقد بأن الرسول

[187] انظر ص١٤٦.

[188] انظر ص١٤٦.

[189] انظر ص١٤٧.

[190] ١كو١١: ٣.

بولس [*يقصد بهذه الآية أن يوضح وحدة الجوهر وأن الابن قد وُلد بالحقيقة من نفس هذا الجوهر*][191] وبينما رأى المعارضون [*أن هذا الكلام يجرّد الابن من أن يكون واحدًا مع الله الآب*][192]. فقد رأى ق. كيرلس [*أن الرجل هو رأس المرأة لأن المرأة خُلقت من البدء من جنبه وعلى صورته كما خُلق هو على صورة الله كما جاء في الكتب. كما أننا تعلّمنا أن رأس الرجل هو المسيح الذي هو الأصل الثاني للجنس البشرى وبكر البشرّية التي تقدّست بالروح فنالت عدم الموت ولهذا السبب عينه يُدعى المسيح آدم الثاني، ونحن نقبل بل ونؤمن أن رأس المسيح هو الآب لأنه مساوٍ له في الجوهر ومتحد معه حسب الطبيعة، ولهذا يُدرك على أنه هو الله مع أنه ظهر في الجسد وصار كواحد منا*][193]. ولأن عقيدة الثالوث مرتبطة بسرٍّ الفداء الذي تمَّ بمسرّة الآب بتجسُّد الابن الوحيد من الروح القدس ومن مريم العذراء، لهذا تابع ق. كيرلس شرحه للآية السابقة معطيًا لها بعدًا خرستولوجيًا وخلاصيًا بقوله: [*والمسيح ليس إلهًا فقط وليس إنسانًا فقط بل أنه - حسب التدبير. قد وحّد في شخصه طبيعتين مختلفتين هما اللاهوتية والناسوتية في اتحاد لا يُدركه العقل ولا يُدنى منه ولا يُعبّر عنه باللسان. لأن المسيح هو إله وإنسان معًا، فالآب السماوى هو مصدر (نبع) وأصل أقنومه وهو كائن معه وأزليّ معه بدون أن يكون الآب سابقًا على الابن زمنيًا، طالما أن الرأس (الآب) كائن مع مَنْ دُعيَ رأسًا (الابن) ومن جهة أخرى فالمسيح مرتبط معنا من حيث طبيعته البشرية*][194]. ويختم ق. كيرلس شرحه لهذه الآية بالتأكيد مرّة أخرى على أن الابن له نفس جوهر مَنْ ولده فيؤكد: [*عندما نقول إن الله هو رأس المسيح وهو كذلك بدون شك، كيف لا يكون إلهًا ذلك الذي أصله هو الألوهة الحقيقية وله نفس جوهر من ولده؟ لأنه لابد أن ندرك أن الرأس هي من نفس طبيعة باقي الجسد*][195]. ويلفت نظر المعارضين إلى ما قاله

[191] انظر ص١٤٧.

[192] انظر ص١٤٧.

[193] انظر ص١٤٩.

[194] انظر ص١٤٩.

[195] انظر ص١٤٩.

المسيح له المجد بأن الشجرة تُعرف من ثمارها وأن هذا يُثبت إلوهة الابن أيضًا فيقول: [*لكن إن كانوا يعتقدون أن الكلمة الذي وُلد من الله الآب لابد أن يخرج خارج نطاق الألوهة ويحسب ضمن المخلوقات فليسمعوا جيدًا هذا القول «اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيدًا أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها رديًا لأنه من الثمر تعرف الشجرة»*][196].

**١٤ ـ «لَكِنْ شُكْراً لِلَّهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. ١٥لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلَّهِ،»**[197].

فسّر ق. كيرلس معظم أسفار الكتاب المقدس وكان له منهج مميز ذو توجّهات ثلاثة: خرستولوجى وروحى وكنسي[198]. فمن بين الأناجيل الأربعة نجد تفسيره لإنجيل يوحنا هو أكثر التفاسير التي تعكس هذه التوجهات وخصوصًا التوجّه الخرستولوجى ومن بين رسائل بولس الرسول نجد أن رسالة كورنثوس هى من أكثر الرسائل المستخدمة في كتاباته. وهنا نجده يستحضر هذه الآية ليدلّل بها على أن رائحة المسيح الذكيَّة فينا هى شهادة لإلوهيته، مشددًا بذلك ـ كعادته ـ على البُعد الخلاصي في فهم وشرح عقيدة الثالوث، لأن من نتائج تدبير الخلاص أن الابن عرّفنا بالله الآب، لهذا نجد ق. كيرلس هنا يوجه للمعترضين سؤالاً استنكاريًا فيقول: [*كيف لا يكون إلهًا وبالحرى إلهًا حقيقيًا من بواسطته، وبواسطته وحده يستطيع المرء أن يعرف أن الآب هو إله حق حسب الطبيعة؟ لأن بولس الرسول يكتب لهؤلاء الذين آمنوا «لكن شكرًا لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويُظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان لأننا رائحة المسيح الذكية لله»*[199]. *فعندما تظهر رائحة الله الآب الذكيّة من خلال المسيح وتصبح معروفة بواسطته، كيف نشك في أن*

[196] انظر ص١٤٩.

[197] ٢كو٢: ١٤، ١٥.

[198] انظر: أمثلة من تفسير الآباء لآيات الكتاب المقدس. د. جوزيف موريس فلتس. دراسات آبائية ولاهوتية، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، السنة الثامنة العدد الخامس عشر. يناير ٢٠٠٥ ص٤٤.٥٣.

[199] ٢كو٢: ١٤، ١٥.

*هذا يجب أن يحدث؟ وكيف يقدر المسيح أن يكون هو رائحة المعرفة الحقيقية للّه الآب ولا يُصدّق أنه صَدَر من الألوهة الحقيقية؟*][200]. ويخلُص إلى الحقيقة الإلهية بأن [*الابن الوحيد وُلِدَ ـ بطريقة لا يُعبّر عنها ـ من جوهر اللّه الآب. ولهذا فإن كنيسة الأمم تناديه كعريس قائلة «اسمك كالطيب المسكوب، لهذا أحبتك العذارى» كما أننا أيضًا عن طريقه وبواسطته قد قبلنا رائحة معرفة الآب*][201].

**١٥ ـ «يا رب تجعل لنا سلامًا لأن كل أعمالنا صنعتها لنا. يا رب لا نعرف آخر سواك نحن ندعوك باسمك»**[202].

وأخيرًا يختم ق. كيرلس حواره الثالث حول الثالوث والذي وضع له عنوانًا «أن الابن هو إله حقيقي كما أن الآب إله حقيقي»، وذلك بالحديث عن فعل سماوى إلهى وعطيَّة وُهبت للبشر، حسب العمل التدبيرى للثالوث. فكل شئ أعُطيَّ للبشرية من الآب بالابن في الروح القدس.

إذًا هو يتحدَّث هنا عن عطيَّة وهبة السلام الذي يأتي إلينا بتفضُّل من اللّه كما تشهد الآية عن لسان إشعياء النبي فيقول: [*السلام هو ثمر فعل سماوى وهو عطيَّة بالفعل، لا يهبه أى كائن مخلوق بل فقط اللّه حسب الطبيعة ... ولهذا فإن إشعياء قد قال بأنه يعرف اللّه وحده ولا يعرف آخر سواه*][203]. إذًا بسبب الوحدة الجوهرية لأقانيم الثالوث فإن الابن إذ هو إله حقيقي كما أن الآب إله حقيقي فهو يعطينا سلامه الإلهي، لهذا يشدّد ق. كيرلس على هذه الحقيقة بقوله [*إن الكلمة المولود من الآب هو ضابط الكلّ وهو المانح لما يعطيه اللّه الآب لنا، لأنه قال لتلاميذه «سلامي أنا أعطيكم، سلامي أترك لكم» وقال إن هذا السلام هو سلامه لأنه بالفعل هو سلام يُعطى من اللّه وحده وليس بأى طريقة أخرى*][204].

---

[200] انظر ص١٥٠.

[201] انظر ص١٥٠.

[202] إش٢٦: ١٢، ١٣ س.

[203] انظر ص١٥١.

[204] انظر ص١٥١.

وهكذا يصل ق. كيرلس إلى هدفه والذي عبّر بنفسه عنه بقوله [*غير أن هدفنا ليس هو أن نفحص من أين يأتي هذا التجديف بل بالحرى أن نعترف أنه يجب أن ندرك كيف أن الابن قد وُلِدَ من جوهر الله الآب وأنه إله حق من إله حق وأنه لم يولد من طبيعة غريبة ومختلفة، وأن له كل ما للآب حسب الجوهر عدا كونه أبًا وإذ نُحصى الروح القدس مع الآب والابن في الألوهة الواحدة، فإننا هكذا نسجد لثالوث واحد مساو في الجوهر الإلهى*][205].

## * - الربوبية الواحدة للآب والابن:

لقد ظن المعارضون حسب فكرهم المنحرف أن مَن يؤمن بالابن، لن يكون إيمانه صحيحًا، لأن الإيمان بالابن ليس كالإيمان بالآب، على اعتبار أن الله الحقيقي ـ حسب اعتقادهم ـ هو الآب فقط. ويستنكر ق. كيرلس هذا الفكر الخاطئ ويتساءل قائلاً: [*هل يستطيع الذين هم خاصة الآب أن يكونوا بنفس الكيفيَّة خاصة المسيح إن لم يكن جوهر الواحد هو نفسه جوهر الآخر؟*][206]. ويتابع تعليمه معبرًا عن إيمان الكنيسة بقوله: [*لأن الآب فيه كل ملء الربوبية والمجد كإله، كما أن الابن هو أيضًا رب وإله. فبدون الربوبية لن يكون الآب إلهًا ولا يكون الابن ربًا حقيقيًا إن كان منفصلاً عن الألوهة الحقيقية حسب الطبيعة*][207]. ويستدل على ما يؤمن به مما جاء في رسائل بولس الرسول الذي [*يربط بين الاسمين في وحدة واحدة*][208]. ولهذا فإنه يورد مجموعة من الآيات يَرِدْ في أحدها اسم المسيح أو الابن والأخرى اسم الله أو الآب لأنه يؤمن بأن [*كل ما نستطيع أن نقوله عن الله كإله نقوله عن الابن أيضًا*][209]، وهذه الآيات كالآتي:

---

[205] انظر ص٩٨.

[206] انظر ص١٤٣.

[207] انظر ص١٤٤.

[208] انظر ص١٤٤.

[209] انظر ص١٤٤.

+ «وَلَكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ.» [٢١٠].
+ «لكَ أنَا فَخَلِّصْنِي لأَنِّي حَفِظْتُ وَصَايَاكَ» [٢١١].

+ «بُولُسُ عَبْدٌ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْمَدْعُوُّ رَسُولاً، الْمُفْرَزُ لإِنْجِيلِ اللهِ» [٢١٢].
+ «لكِنَّنَا لَمْ نَسْتَعْمِلْ هَذَا السُّلْطَانَ، بَلْ نَتَحَمَّلُ كُلَّ شَيْءٍ لِئَلاَّ نَجْعَلَ عَائِقاً لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ» [٢١٣].

+ «بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخُدَّامِ اللهِ» [٢١٤].
+ «أَهُمْ خُدَّامُ الْمَسِيحِ؟ أَقُولُ كَمُخْتَلِّ الْعَقْلِ: فَأَنَا أَفْضَلُ» [٢١٥].

+ «كُونُوا بِلاَ عَثْرَةٍ لِلْيَهُودِ وَلِلْيُونَانِيِّينَ وَلِكَنِيسَةِ اللهِ» [٢١٦].
+ «وَمُوسَى كَانَ أَمِيناً فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ، شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ. وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَابْنٍ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ» [٢١٧].

وأخيرًا يضع ق. كيرلس اعتراف إيمانه على لسان إرميا حينما يقول: [ *إذًا لا يوجد شئ على الاطلاق يمكن أن يعوقنا على أن نؤمن إيمانًا حقيقيًا بأنه طالما أن الابن قد وُلِدَ من جوهر الله الآب ذاته فلا يمكن أن يُدرك على أنه مختلف عن الآب* ][٢١٨].

## وفي الحوار الرابع

يستمر ق. كيرلس في دفاعه عن أُلوهية الابن، فيشدّد على أنه مولود من جوهر الآب، إذ أن فكرْ المعارضين كان يتركز في محاوله إثبات أن الابن

[٢١٠] غلا ٥: ٢٤.

[٢١١] مز ١١٩: ٥٦.

[٢١٢] رو ١: ١.

[٢١٣] ١كو ٩: ١٢.

[٢١٤] ٢كو ٦: ٤.

[٢١٥] ٢كو ١١: ٢٣.

[٢١٦] ١كو ١٠: ٣٢.

[٢١٧] عب ٣: ٥-٦.

[٢١٨] انظر ص١٤٥-١٤٦.

مخلوق ومصنوع وبالتالي غير مولود من الآب، وبالنسبة لهم، الله هو آب، غير أنهم كانوا يخشون من أنه ربما يصيب طبيعة الآب شيء نتيجة الولادة[٢١٩] .

وبالتالي فقد عمل القديس كيرلس على إيضاح خطأ هذا الفكر، ولم يشغله ـ وهو يعلّم عن الثالوث ـ أن يثبت أُلوهية الآب، بل كان كل همُّه في إثبات أُلوهية الابن المولود من جوهر الآب لأن هذا يعني في نفس الوقت تمجيد لله الآب، الذي كان المعارضون يتظاهرون بالخشيّة على جوهره من أن يصيبه تَغَيُّر، لو أن الآب كان قد وَلَدَ الابن. لهذا كان ردَّ ق. كيرلس واضحًا وحاسمًا فكتب قائلاً: [*لأني أعتقد أن كل حديث يتصف بالحكمة لابد أن يقنعنا أنه يجب أن يُمجّد الله الآب بسبب أنه وَلَدَ، لا بسبب أنه خَلَقَ الابن الوحيد*] [٢٢٠].

وفي محاولاته للردّ على هذه الأفكار الخاطئه التي نادت بأن الابن مخلوق ومصنوع اقتفى أيضًا تعاليم ومنهج القديس أثناسيوس مشدّدًا على الآتي:

**البراهين التي تثبت الولادة حسب الطبيعة للابن وحيد الجنس:**

١ ـ [*إننا قد تسلّمنا من الآباء مُعلّمي اللاهوت «قانون إيماننا»*][٢٢١].

٢ ـ [*هؤلاء أيضًا تعلّموا أن لا يسجدوا للابن الوحيد كلمة الله على أنه مخلوق، بمعنى أنه قد خُلِقَ، لكنهم يشهدون أنه هو ثمرة جوهر الآب*][٢٢٢].

٣ ـ [*الآباء لم يكرزوا إطلاقًا بأن الله هو خالق الابن الوحيد بل أنه هو الآب الذي وَلَده*][٢٢٣].

٤ ـ [*القول إنَّ الابن مخلوق، في الوقت الذي هو واحد مع الآب في الجوهر، يَلْصِق بالله الآب نفسه أنه هو أيضًا مخلوق*][٢٢٤].

[٢١٩] انظر ص ١٥٧.

[٢٢٠] انظر ص١٥٧.

[٢٢١] انظر ص١٥٣.

[٢٢٢] انظر ص١٥٤.

[٢٢٣] انظر ص١٥٥.

[٢٢٤] انظر ص١٥٤.

٥ . [المعارضون يخشون من أن يتأثر جوهر الله الآب نتيجة ولادته للابن، وهم بذلك يقسّمون جوهر الله البسيط][٢٢٥].

٦ . [عندما يقال عن الله إنه وَلَد يجب أن نرفض أي شك في أنه يعتريه تَغَيُّر، لأن الله لا يَلِدْ كما نلد نحن بل يَلِدْ بالطريقة التي تناسبه][٢٢٦].

٧ . [إن كان الله خالق ويقدر أن يخلق بينما في نفس الوقت لا يَلِدْ ، فسيكون هكذا أقل في طبيعته من طبيعة الكائنات التي خلقها وأعطى لها إمكانية الولادة وهذا لا يليق به][٢٢٧].

٨ . [الآب يُدعي أبًا لأنه وَلَد ، وبالتالي هو قول حق أن الأسمين آب وابن يُشيران إلى الإثنين وعندما يوجد الواحد يوجد بالضرورة الآخَر][٢٢٨].

**الرَد على الاعتراضات الخاصة بلقب "بِكْر":**

١ . قبل أن يشرح ق. كيرلس معنى أن الابن قد دُعيّ «بكرًا» يشددّ على أنه [قَبلْ كل شيء علينا أن نَعلَم متى دُعيّ الكلمة بكرًا ومَنْ هم الذين أتي بينهم ودُعي وسطهم بكرًا][٢٢٩].

٢ . [إن الابن وَضَع من عظمته وتواضع بسببنا ومن أجلنا ، وحينذاك دُعيّ الابن الوحيد بِكْرًا وحُسِبَ بين أخِوَة كثيرين وهو الابن الواحد الوحيد الذي وُلِدَ من الآب][٢٣٠].

٣ . [لقد وَضَع الابن نفسه وظهر كواحد منّا ، لا لكي يتعرّض لأمر ممّا نتعرّض نحن له عادة، تاركًا عنه الطبيعة الإلهية وصفته كابن حقيقي][٢٣١].

[٢٢٥] انظر ص١٥٦-١٥٧.

[٢٢٦] انظر ص١٥٧.

[٢٢٧] انظر ص١٥٧-١٥٨.

[٢٢٨] انظر ص١٦٣.

[٢٢٩] انظر ص١٦٩.

[٢٣٠] انظر ص١٧٢.

[٢٣١] انظر ص١٧٢.

٤ ـ الابن هو «وحيد الجنس» كونه هو وحده المولود من جوهر الآب، وكونه قد دُعيَ «بكرًا» معناه أنه يتقدّم على إخْوَة له وهكذا [*سيوجد نوع من الصراع من الاِسْمَين «بكر» و «وحيد الجنس» وسيفرغ كل منهما الآخر، من معناه*[٢٣٢]*، والحلّ لن يكون إلاّ إذ «أخذنا في إعتبارنا ما حدث في تدبير التَّجسُّد»*][٢٣٣].

٥ ـ [*القديس بولس يستخدم تعبير «بكر» في الزمن المناسب الذي يشير إلى ظهوره في الجسد، لأنه قد جاء إلى العالم مع أنه منذ القديم هو كائن فيه، مع أن العالم لم يكن يعرفه، وهكذا صار وسيطًا بين الله والناس وأصبح لقب «وحيد الجنس» امتيازًا خاصًا له فهو إله من إله، واحد من واحد ومولود بطريقه لا توصف، وعندما أتى إلينا فحينئذ فقط حُسب بيننا كإخوة له وذلك عندما دُعيَ بكرًا، وإلاّ فأين الإخلاء إن لم يكن مَنْ هو «وحيد الجنس» قد صار «بكرًا» وسكن بين البشر كإنسان وهو يعلو عن كل الخليقة؟*][٢٣٤].

٦ ـ [*كيف يُعتبر الكلمة مخلوقًا بسبب تَسْمِيَته بالبكر؟ وبأي طريقة يمكن أن يُحسب مثلنا بحسب الجوهر كأنه بين إخوة له لأننا نشبهه مع أن الصفة بأننا إخوة له لم تكن في طبيعتنا بل بالحري خارجة عنا وقد أكتسبناها في ملئ الزمان وليس في وقت سابق على تجسّده بل عندما صار كواحد منّا؟*][٢٣٥].

### لقب "الابن" لا يجعل منه خليقة مميزّة:

لقد فسّر المعارضون تعبير «وحيد الجنس» على أنه يَدُلّ على أن الابن هو مخلوق متميّز ولهذا حرص ق. كيرلس على شرح المعنى المستقيم لهذا التعبير فقال: [*الأن وحيد الجنس يعني ذلك الذي وُلِدَ حسب الطبيعة من آخر وليس ذلك*

[٢٣٢] انظر ص١٧٢.

[٢٣٣] انظر ص١٧٥.

[٢٣٤] انظر ص١٧٥-١٧٦.

[٢٣٥] انظر ص١٧٩.

*الذي صُنع بطريقة ماهرة*][٢٣٦]. وفي رده على ما يدّعيه المعارضون أن الابن وحده قد وُلِدَ من الآب ولهذا فإن له طبيعة مُمَيَّزة وأنه قد وصل إلى هذا القَدْر الرفيع من المجد يقول ق. كيرلس: [*أولاً، إن تفكيرهم هذا سيقودهم بالضرورة وسيحصرهم في أن ينسبوا للآب أنه كفَّ (عن أبوّته) بعد أن وَلَد الابن. وبدون أن يريدوا، يعترفون بأن الطبيعة الفاعله على الدوام كفَّت عن فعل ما يخصها وأن عملية الخلق قد انتهت وأنه بعد ذلك لم ينشغل بأي أمر على الإطلاق بل إنه قد خَوَّل للابن ـ بطريقه ما ـ أن يفعل الأمور التي بواسطتها فقط تُعرف خصائص الطبيعة الفائقة. وهكذا فإن ثمار الجوهر المولود ستكون هي خصائص الأُلوهية بينما حسب ما هو ظاهر. فإن الله الآب سيكون فخورًا بالابن الذي هو مخلوق فريد بينما الابن وهو يَرَى الأعمال الكثيرة، فإنه سيُعْتَقَد أنه في مرتبة أعلى مساوية لمرتبة الآب، لأنه بسبب ولادته قد ارتقى ليكون خالقًا حيث إنه قد أحضر الأشياء غير الموجودة إلى الوجود، بل إنه أيضًا يفوق على ذلك أنه صالح حيث إنَّ عمل الصالح هو أَنْ يُحْضِر للوجود تلك الأشياء التي لم تكن لها هِبَة الوجود. وهكذا فإن الحديث يبتعد عن الجدّية مظهرًا البطء في الطبيعة الدائمة الحركة حيث إنها تَقْدِر فقط أن تَهِب الوجود للأشياء غير الموجودة. وهل لا يعتبر هؤلاء التعساء أن ولادة الابن هي توقف فِعْلي للطبيعة المولودة وذلك بحسب أفكارهم الخاصة والتي يعتبروها صحيحة حسب رأيهم؟ وإلاّ فإن كان الله الآب قد فضَّل أن يَكُفّ عن العمل، فلماذا كتب لنا موسى المطوّب كلامًا غير صحيح بالنسبة لهؤلاء المعارضون قائلاً: «وَقَالَ اللّه: نَعْمَلُ الإنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا»* [٢٣٧]؟ *لأن عبارة «النَخلقْ»*[٢٣٨] *توضح أن الله (الآب) لم يتحاشَ على الإطلاق أن يخلق؛ بمعنى أن يخلقنا نحن أنفسنا، بل بالحري كان يُفضّل العمل المشترك مع الابن والروح القدوس وقد*

[٢٣٦] انظر ص١٨٠.

[٢٣٧] تك ١: ٢٦. في موضع آخر استخدم ق. كيرلس هذه الآية لشرح عقيدة "أن الله هو جوهر واحد وثلاثة أقانيم". انظر: ص ١٠٩ وما بعدها. وهنا يستخدمها أولاً لبيان دور الله الآب، الإيجابي في عملية الخلق، هذا الدور كان من الممكن ألاّ يكون إيجابيًا كنتيجة لتفكير المعارضين، وثانيًا: للتركيز على العمل المشترك لأقانيم الثالوث كنتيجة طبيعية لوحدة الجوهر بينهم.

[٢٣٨] تك ١: ٢٧.

تمّ هذا بالفعل لأنه مكتوب «فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ»[239]. وكلام موسى لن يكون كاذبًا لأنه كان عالمًا بالأمور اللاهوتية وكان يكرّم طبيعة الله. غير أن الكلمة الذي أتى من الآب سيُعْلِن لنا بالأكثر أن طبيعة الآب هي فعّاله دائمًا وعاملة. لأن المسيح عنفّ مرّة اليهود عندما رآهم غاضبون من أنه قد فعل شيئاً في يوم السبت قائلا لهم: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ»[240]؛ وفي موضع آخر قال: «الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لَكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ.»][241] . وأخيرًا يتسآل في استنكار قائلاً: [لو كان الابن فقط هو الذي خضع لعملّية الخلق ولهذا فهو مختلف عن جميع المخلوقات لأنه هو الوحيد الذي صار بواسطة الآب فقط. فأيهما لا يحبه الآب، المخلوقات التي خُلقت بعد الابن وبواسطته والتي لم يُسمح لها ـ لهذا السبب ـ أن تصل إلى درجة عالية من الطوبى لأنه يترفّع عن خلقتها ،أم أنهم سيقولون إن الآب هو فوق كل حسد وكل جمود؟][242].

## هل يعمل الآب من خلال وسيط وبالتالي يصير ـ هو نفسه ـ معروفًا؟

لقد سيطَر على فكر هؤلاء المعارضين أن الآب هو وحده الله الحقيقي وهو وحده الخالق وإنه خَلَقَ الابن كوسيط، يخلق بواسطته باقي الخلائق التي تُظهر أُلوهية الآب السرمديّة، ولهذا نجد أن ق. كيرلس يُفند هذه الأفكار الخاطئة بقوله: [إنهم يحصرون قدرة الآب الخالقة في عملية خلْق الابن ويقولون إنّ الآب أُظهر منذ أن خُلِقَ العالم][243] ويرد عليهم قائلاً: [إنَّ الكتاب المقدّس ينسب خلق العالم للابن، فمكتوب "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ جُنُودِهَا" إذن العالم يشهد أمامنا أن الكلمة هو خالقه كما أنه يوضّح قوتّه وإلوهيته][244] وبالتالي فإننا ونحن نتطلّع إلى عظمة الخليقة ونظامها [لا نُعْجَب

[239] تك ١: ٢٧.

[240] يو ٥: ١٧.

[241] انظر ص١٨٢.

[242] انظر ص١٨٣.

[243] انظر ص١٨٧.

[244] انظر ص١٨٧.

*بالكلمة خالق الكون على أنه مخلوق، لكننا نكرمه ونعليه جدًا*][245] وعليه فنحن لا نؤمن أن الله الآب يعمل من خلال وسيط، به خَلَقَ الخليقة، بل نحن [*نعبّر عن تقوانا بطريقة سليمة مؤمنين أن الابن الوحيد هو الله حسب الطبيعة وأنه قد أتى من الله*][246].

إن فكر واعتقاد هؤلاء المعارضين أن الابن مخلوق سيُدخلنا ـ نحن المؤمنين بالمسيح ـ إلى أن نشارك الوثنيين الذين يعبدون المخلوق دون الخالق؛ بينما يعلّق ق. كيرلس بقوله إنّ [*الإيمان بالابن هو الإيمان بالله الحيّ والحقيقي، وهذا يتضّح بدون مشقة عندما نسمع الابن وهو يقول «أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَآمِنُوا بِي». وهذا ليس معناه أن يؤمنوا بالخليقة والله معًا، بل على العكس فلأن الابن هو من نفس جوهر الآب لهذا فإن الإيمان هنا هو إيمان بالطبيعة الإلهية الواحدة*][247].

ويضع ق. كيرلس أمام هؤلاء الذين أرادوا أن ينكروا أُلوهية الابن، حاسبين إياه ضمن المخلوقات والذين يزعمون أنهم يسلكون هكذا في الإيمان الصحيح، يضع أمامهم مفهوم الإيمان المستقيم بقوله: [*إن الإيمان بالابن لا ينفصل عن الإيمان بالآب بل إنَّ الإيمان بالابن هو الذي يقود المؤمن الحقيقي ـ عن طريق الابن ـ إلى الآب الذي وَلَدَه*][248].

وأخيراً كان لابد للقديس كيرلس أن يوضّح المعنى المستقيم لبعض الآيات الكتابية التي أساء المخالفون فهمها، وبالتالي استخدموها في تعاليمهم المنحرفة من جهة إنكارهم لأُلوهية الابن، المسيح، وقولهم بأَنَّه مخلوق ومصنوع. وهنا نجد أن كتابات ق. أثناسيوس ـ التي سبق أن أشرنا إليها من قبل ـ قد كانت المصدر الأساسي للقديس كيرلس وهو يشرح الإيمان الذي استلمته الكنيسة وعاشت به من خلال فهمها الصحيح لهذه الآيات:

---

[245] انظر ص١٨٧.

[246] انظر ص١٨٧.

[247] انظر ص١٨٩.

[248] انظر ص١٨٩.

**١. "الرب قناني (خلقني) أول طريقه من قِبَل أعماله منذ القِدَم"[٢٤٩].**

**٢. "وأَنَّ الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًا ومسيحًا"[٢٥٠].**

غير أن الوهه الابن المُتجسِّد، بكونه أحد أقانيم الثالوث القدوس، لا يمكن إثباتها بالفهم السليم والتفسير الصحيح للآيات الكتابية، أو بغيرها من القرائن فقط، بل أيضًا من خلال التحقق مما أتمَّه الابن المُتجسِّد ـ بكونه هو الله الذي ظهر في الجسد ـ في حياة كل من آمنوا به؛ لذا نجد أن ق. كيرلس، بينما يرِّد علي حجج المخالفين بالدلائل المنطقية والبراهين العقلّيه ويضع أمامهم كل التفاسير المستقيمه للآيات التي اساءوا فهمها، ففي نفس الوقت نراه لا يغيب عن ذهنه قط، أن يسجّل لنا وبكل وعي لاهوتي عميق، من خلال هذا الحوار، حقيقة ما أتمّه الربُّ المتجسّد من أفعال خلاصيّه، تشهد بالحق؛ لالوهيته.

*** عمل الابن المتجسِّد فينا يشهد لإلوهيته:**

وهنا يتبع القديس كيرلس نفس المنهج اللاهوتي الخلاصي الذي استخدمه في الحوار الثالث [٢٥١]؛ بمعنى أنه كان يدافع عن أُلوهية الابن وبالتالي عن أقانيم الثالوث من خلال إيضاح عمل الفداء الذي أَتَمَّه الابن المتجسِّد من أجلنا ومن أجل خلاصنا؛ فلقد أوضح أنه إن لم يكن الابن ربًا وإلهًا وليس مخلوقًا أو مصنوعًا، لَمَا استطاع أن يأخذ ما لنا ويهبنا ما له.

وهكذا تصبح عقيدة الثالوث التي نؤمن بها واقعًا حيًا وملموسًا في حياتنا، بواسطة عمله فينا. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكننا أن نشهد من خلال أعمالنا أَنَّ مَنْ نؤمن به هو الله الواحد الآب والابن والروح القدس.

ولقد استعان ق. كيرلس بنصوص كتابيه كثيرة رأى فيها دليلاً واضحًا على أُلوهية الابن ـ المولود من جوهر الآب ـ من خلال عمله الخلاصي فينا، وأَنَّ مَنْ يعمل فينا هذه الأعمال الخلاصيّة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون

[٢٤٩] أم ٨: ٢٢، انظر ص ٧١ وما بعدها.

[٢٥٠] أعمال٢: ٣٦ انظر ص ٧١ ومابعدها.

[٢٥١] انظر ص ٤٩م

مخلوقًا أو مصنوعًا، وهذه الآيات هي:

١ ـ **«أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَم»**[٢٥٢]:

يُعلّق ق. كيرلس على قول المسيح له المجد لتلاميذه، الذين آمنوا به فصيّرهم أبناء بالتبّني لله الآب الذي هو أبيه بالطبيعة، ونتيجة لذلك استمدوا نورهم من نوره الإلهي فأصبحت كرازتهم وسيرتهم المضيئة شاهدًا على ألوهية الابن الذي آمنوا به؛ يعلّق على هذا فيقول: [*لأن الآباء الرسل لم يكرزوا إطلاقًا بأن الله هو خالق للابن الوحيد بل أنه هو الآب الذي وَلَدَه، وهؤلاء الآباء هم الذين كانوا نورًا للعالم وقد استمدوا نورهم من المسيح وذلك لأنه قال لهم مرّة «أنتم نور العالم»*] [٢٥٣].

٢ ـ **«هَكَذَا نَحْنُ أَيْضاً: لَمَّا كُنَّا قَاصِرِينَ كُنَّا مُسْتَعْبَدِينَ تَحْتَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ»** [٢٥٤]:

إنَّ عمل الابن المُتجسِّد فينا قد حررّنا من استعباد أركان العالم لنا، وهذا لم يكن لَيتمّ لو لم يكن الابن هو إله حق من إله حق وليس أحد هذه الأركان، أو كما يقول ق. كيرلس: [*إنه في كل الوقت الذي كنّا نعيش فيه في جهل وكنا قاصرين، كنا مستعبدين تحت أركان العالم، كنا نَعبدُ الخليقة مع أنه كان يجب علينا أن نقدّم الكرامة لِمَنْ بطبيعته وحده هو الله الحقيقي. وعندما أشرق الابن بيننا، فقد صارت معرفتنا أفضل من جهالة الطفولة، وإذ انتقلنا من الظلمة إلى نور الحق فإننا قد أُعتقنا من أن نكون مستعبدين تحت أركان العالم*][٢٥٥]، وفي موضع آخر يبيّن ما قد فعله الابن فينا، بكونه هو الله الذي ظهر في الجسَد فيقول: [*لا يمكن أن يكون الابن الوحيد هو مخلوق،*

---

[٢٥٢] مت ٥: ١٤.

[٢٥٣] انظر ص ١٥٥.

[٢٥٤] غلا ٤: ٣-٥.

[٢٥٥] انظر ص١٦٥.

*وواحد من أركان هذا العالم، وأن يُحسب من ضمن المخلوقات!... لأنه في أي شيء سيكون الابن قد أفادنا ـ بكونه قد صار إنسانًا ـ إن لم يكن قد حررّنا من عبادة المخلوقات؟*][256].

ويشددّ على هذا الإيمان بقوله: [*إذن لقد وَضع نفسه وظَهر كواحد منّا، لا لكي يتعرّض لأمر ممّا نتعرّض نحن له عادة، تاركًا عنه الطبيعة الإلهية وصفته كابن حقيقي، لكن لكي يرفع مَنْ كان بطبيعته عبد ومخلوق، بمعنى كيّ يرفعنا للمجد المُدَّخر فيه وحده، فهو الربّ وهو قد دعانا كي نكون أبناء... وبالتالي فعندما صار الابن مثلنا فهو لم يَتخلّ عن ما هو له، لكننا نحن الذين ارتقينا إليه، بسبب نعمته، وايضًا عَبرنَا مقياس طبيعتنا، بسبب نعمته التي كَرَّمَتّنا وارتَقَينا إلى ما هو ارفع وأعلى*][257].

**٣ ـ «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ»**[258]:

لقد شهد القديس يوحنا في كتاباته وبالأخص في الإنجيل، عن أُلوهية الابن وكلمة الله الذي صار جسدًا وحلّ بيننا، واهبًا لنا نعمة التبنّي، فكتب في بداية الإصحاح الأول من الإنجيل: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ.»، ولقد أدرك الآباء ومنهم القديس كيرلس، أهميّة إظهار هذه الحقيقة في كتاباتهم وتعاليمهم. فَكون أن الابن المتجسِّد هو ابن حقيقي مولود من جوهر الله الآب، وهو الإله الحق من الإله الحق، هو الذي مكنّه أن يصيّرنا بالنعمة أبناء لله الآب، وبالتالي كوننا أبناء الله بالتبّني يشهد لبنوّة الابن بالطبيعة، ومن ثمَّ يشهد لإلوهيته، هذا من ناحية ومن ناحية أخري فلأَنَّ الكلمة قد أخلى نفسه وصار كواحد مِنَّا، وبكرًا بيننا، جاعلاً إيانا إخوَة له من حيث طبيعته البشرية، دون أن يفقد أي من خصائص طبيعته الإلهية ولهذا فقد أوصانا ـ نحن الذين نؤمن باسمه ـ أن يكون

---

[256] انظر ص ١٦٦.

[257] انظر ص ١٧٢.

[258] يو١: ١٢.

لنا أبًا واحدُ هو الله، وهنا نجد ق. كيرلس يجيب على سؤال إرميا بقوله: [*نحن لدينا وصيّه ألاّ ندعو لنا أبًا على الأرض إذ نقدّم عبادتنا لله فقط بكونه أبانا وذلك بسبب البكر الذي جاء بيننا، ليس لسبب آخر سوى أن يجعل منا نحن أيضًا أبناء، لأن هذا هو هدف تَجسُّده وإلاّ فكيف كان من الممكن أن يكون سرّ المسيح مملوء من الحكمة إن كان هو ـ قَبْلَ أي أحد آخر ـ قد أساء إلى طبيعته (الإلهية) دون أن تعود الفائدة على حالتنا؟ لأنه قد نزل وصار بكرًا كي يُصَنَّف مع الكثيرين مع أنه يختلف جوهريًا عنهم حسب طبيعته بل ويفوقهم وليس، فيه شيئًا ـ من أي جهه ـ مما يظن هؤلاء الذين يشترك معهم، أنه يتصف به*] [٢٥٩].

ويستكمل ق. كيرلس تعليمه الواضح عن فِعل الابن المتجسِّد فينا، الأمر الذي من أجله قد دُعي بكرًا فيقول إن الرسول بولس قد [*استخدم تعبير بكر في الزمن المناسب الذي يشير إلى ظهوره في الجسد؛ لأنه قد جاء إلى العالم مع أنه منذ القديم هو كائن فيه مع أن العالم لم يكن يعرفه وهكذا صار وسيطًا بين الله والناس وأصبح لقب "وحيد الجنس" امتيازًا خاصًا له، فهو إله من إله، واحد من واحد، ومولود بطريقة لا توصف وعندما أتى إلينا فحينئذ فقط حُسب بيننا كإخوة له وعندئذ فقط دُعي بكرًا*] [٢٦٠].

وأخيرًا يفنّد ق. كيرلس آراء المخالفين الذين ينكرون أُلوهية الابن المتجسِّد وبالتالي يحرموننا من كل الهبات التي وهبنا إياها والتي تشهد في ذات الوقت لأُلوهية الكلمة الذي صار جسدًا من أجل خلاصنا. ويستخدم ق. كيرلس لذلك عدَّة أسئلة استنكارية تعكس فكر هؤلاء المخالفين فيقول: [*إذن لو أَنَّ الابن كان دائمًا أخًا لنا ويُحسَب باستمرار من بين المخلوقات لأنه من نفس طبيعتهم؛ ولهذا فقد كان بكرًا بينهم، فحينئذ أي هبة لم تكن لدينا، قد منحنا إياها وأقصد بذلك هبة الإخوّة؟ ولماذا مَنَحَ هذه الوصية فقط لمن آمنوا به؟ وما هو الذي يمكن أن يحصل عليه مخلوق من مخلوق مثله؟*] [٢٦١].

[٢٥٩] انظر ص ١٧٣.

[٢٦٠] انظر ص ١٧٥.

[٢٦١] انظر ص ١٨٠.

٤- **«لِذَلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلاً فِي الْجَسَدِ، الْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُوِّ خِتَاناً مَصْنُوعاً بِالْيَدِ فِي الْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ وَبِلاَ إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ.»**[٢٦٢]:

يتحدّث القديس كيرلس عن عمل آخر أتمّه الابن المتجسِّد فينا، ويشهد لإلوهيته؛ هو أنه أعاد كل مَنْ آمن به إلى معرفة الإله الحقيقي وقضي على ضلالة الآلهة الكاذبة، وهذا ما حدث مع كل الأمم الذين قبلوا الإيمان بالمسيح الإله المتجسِّد؛ لذا نجده يقول: [*إذن يمكن أن نفهم أن الأمم الذين كانوا يعيشوا بدون المسيح كانوا بعيدين عن مَنْ هو بطبيعته الله، محرومين بذلك من الحقيقة؛ لأنهم كانوا بلا إله في العالم. لكنهم عندما عرفوا الابن بالإيمان وعندما أُستُعْلِن الرجاء الصالح للعالم، تطهّروا من ضلالات الإلحاد وابتعدوا عنها*][٢٦٣] . ويفهم ق. كيرلس معنى هذا العمل الإلهي العجيب على أنه شهادة لأُلوهية الابن المتجسِّد، لهذا يُكمِل حديثه قائلاً: [*إذن الابن هو الله الحقيقي*][٢٦٤] ولا يقتصر عمل الابن فينا ـ بكونه هو الله الحقيقي ـ على هذا فقط بل أنه [*هكذا ستبقى ولادتنا الجديدة، بالمعمودية المقدّسة، ولادة أصيلة وبلا أي شائبة*] [٢٦٥].

ويضع ق. كيرلس تفاصيل ما حدث لنا نتيجة عمل الإله المتجسِّد فينا، في صورة سؤال قائلاً [*ألم نولَد روحيًا يا صديقي آخذين صورة ابنه وتشكّلنا حسب بهائه الإلهي عن طريق الروح القدس فصرنا شركاء الطبيعة الإلهية، لقرابتنا للابن الذي هو الله؟*][٢٦٦] وبسبب قناعته وإيمانه أن هذا قد حصل بالفعل، نجده يستنكر هذه الأفكار الغريبة عن الابن ويتسائل: [*إذن كيف يكون الابن مخلوقًا وقد أتمّ كل هذا فينا؟ لأنه إن لم يكن الابن هو مَنْ نؤمن*

---

[٢٦٢] أف ٢: ١١

[٢٦٣] انظر ص ١٩٠.

[٢٦٤] انظر ص ١٩٠.

[٢٦٥] انظر ص ١٩٠.

[٢٦٦] انظر ص ١٩٠.

*به أنه من الله، فكيف لا يكون سرّ المعمودية مبينًا على رجاء باطل وفكر عقلي فقط وسيكون في الواقع مجرّد خيال وخداع؟! فأي ختم إلهي سنكون قد خُتِمنَا به في داخلنا، حتى ولو كنا أخذنا شكل الابن، إن لم يكن الابن بحق هو الله وليس مخلوق؟!*] [٢٦٧].

وما يريد أن يوضّحه ق. كيرلس هنا هو أنه: إن كان الابن الذي يعمل فينا ويشكلّنا من الداخل على صورته، هو مخلوق كما يدّعي المخالفون، فهو لن يضيف إلينا شيئًا جديدًا، فالمخلوق لا يمكن أن يضيف لطبيعة مخلوق آخر شيئًا لا يملكه. ولهذا نجده يكتب قائلاً: [*لأننا نحن، أي كل الذين آمنا، صرنا شركاء الطبيعة الإلهية وذلك عن طريق علاقتنا بالابن بواسطة الروح القدس، وهذا حدث ليس بطريقة ظاهرية بل بطريقة حقيقية، إذ عندما قَبِلْنا هذه الصورة الإلهية، فقد أعيدّت خلقتنا حسب هذا البهاء الذي يفوق كل الخليقة. لأن المسيح يتشكّل داخلنا بطريقه لا توصف. ليس كمخلوق داخل (البشر) المخلوقين، لكن بكونه هو غير المخلوق وهو الله، داخل طبيعة مخلوقة ومجبولة. مُشكّلاً إياها من جديد حسب صورته بواسطة الروح القدس واضعًا هذه الخليقة، أي نحن، في مرتبة أعلى من كل المخلوقات*] [٢٦٨].

ويختم ق. كيرلس الحوار الرابع، عن أن الابن غير مخلوق وغير مصنوع بقوله: [*لهذا فإنه من الحَسَن جدًا أن نعترف نحن به مع الملائكة أنه أزليّ مع الآب وأنه لم يُخلَق مثل بقية المخلوقات، حسب ما يتصّور المنحرفون أن فكرهم هذا هو معتقد صحيح، مع أنهم يجهلون الحق الذي هو المسيح*] [٢٦٩].

وإذا يشهد بأُلوهية الابن المتجسّد فإنه يُقدّم له المجد مع الآب والروح القدس قائلاً أن المسيح [*له مع الآب والروح القدس المجد من الآن وإلى الأبد. آمين*] [٢٧٠].

---

[٢٦٧] انظر ص ١٩٠-١٩١.

[٢٦٨] انظر ص ١٩٢.

[٢٦٩] انظر ص٢١٢.

[٢٧٠] انظر ص٢١٢.

## وفي الحوار الخامس

يستمر ق. كيرلس في دفاعه عن ألوهية الابن، ضد كلَّ من يدعّى أنه مخلوق إذ أن هذا الإدعاء [*هو بلا سند*] [٢٧١]. فالابن كما تؤمن الكنيسة ويعلّم القديس كيرلس [*لم يأت إلى الوجود في وقت لاحق*][٢٧٢] بمعنى أنه أزليّ مع الآب لأن هذا معناه أن الابن [*قد وُلِدَ من ذات جوهر الآب*][٢٧٣] ولهذا فإنه [*إله حق من إله حق*][٢٧٤].

ولقد أهتم ق. كيرلس في بداية هذا الحوار برصد أفكار الهراطقة وإدعاءاتهم والتي يصيغها على لسان محاوره إرميا. وقد سبق أن عبّر كيرلس عن رأيه فيما يقوله إرميا بقوله: [*قل ما شئت إذًا، ولن اعتبر ما تقوله هو تعبير عن إيمانك بل هو يمثّل آراء المخالفين*][٢٧٥].

وتمثّلت هذه الآراء كما رصدها ق. كيرلس وعبّرت عنها أسئلة إرميا كالآتي:

١. عندما نقول إن الابن هو الإله الحقيقي وإنه واحد مع الآب في الجوهر، فإن مَنْ له هذه المكانة يجب عليه أن يتفاخر بما لديه، بدلاً من أن يلمع بأنوار مجد غريب عنه. [٢٧٦].

٢. إن كان الابن بقوله إنه هو الإله الحق وهو واحد مع الآب في الجوهر فلابد أن يكون له من ذاته ما يجعله إلهًا، ولابد أن يفتخر بهذا الذي له وليس بما للآب. [٢٧٧].

٣. إن ما يبدو أنه يخص الابن قد حصل عليه من الآب كعطيّة إلهية. [٢٧٨]

---

[٢٧١] انظر ص٢١٢.

[٢٧٢] انظر ص٢١٢.

[٢٧٣] انظر ص٢١٢.

[٢٧٤] انظر ص٢١٢.

[٢٧٥] انظر ص١١٨.

[٢٧٦] انظر ص٢١٤.

[٢٧٧] انظر ص٢١٤.

[٢٧٨] انظر ص٢١٤.

٤. إن الابن قال أنه يُعطي حياة ويُمجَّد ويتقدّس بواسطة الآب، وأنه قد قام في اليوم الثالث بقوة الله الآب.[٢٧٩]

٤. إنه دعيّ إلهًا بالمشاركة وأنه يَسجُد للآب مثلنا ويخضع له معنا معترفًا بملكه وسلطانه.[٢٨٠]

٥. إن كل ما يليق بالله هو صار للابن عن طريق المشاركة فقط.[٢٨١]

٦. الابن ليس هو صورة وشبه جوهر الآب، بل أن له نفس الإرادة وبالتالي ينسب وحدة الإرادة هذه (وليست وحدة الجوهر) فإن مَن يرى الابن يري - بطريقة ما - الآب نفسه.[٢٨٢]

٧. كيف نصبح نحن على صورة الله؟[٢٨٣].

٨ مَنْ سيكون على "رسم" آخر فهو لن يوجد بالقطع من نفس أقنومه، ولا يمكن أن يكون له اقنومه الخاص، لكنه يُدرك فقط من خلال ذات أخرى، فلو أن الابن يوجد في الآب «كرسم» حسب ما تعتقدون فالابن إذن لن يكون له كيانه الخاص. [٢٨٤].

٩. إن حياة الابن قد أُظهِرت من أجلنا، إذ هو ختم الآب الحي وصورته الحقيقية، فإن كان الأمر هكذا فلماذا يتقبل الابن الحياة من الآب.[٢٨٥]

١٠. كيف يكون الابن مساويًا للآب حتى ولو كان قد دُعيّ انه هو الحياة؟[٢٨٦]

١١. إن سلطان الدينونة قد أختص به الله وحده حسب الناموس: لأنه قال «لأن القضاء لله» فهو قد قَبِلَ كإنسان ما تميّز به الله.[٢٨٧]

[٢٧٩] انظر ص٢١٤.

[٢٨٠] انظر ص٢١٤.

[٢٨١] انظر ص٢١٤.

[٢٨٢] انظر ص٢٢٨.

[٢٨٣] انظر ص٢٣٢.

[٢٨٤] انظر ص٢٣٣.

[٢٨٥] انظر ص٢٣٥.

[٢٨٦] انظر ص٢٣٩.

[٢٨٧] انظر ص٢٤١-٢٤٢.

١٢. إن الآب قد أعطى الحياة للابن.[٢٨٨]

١٣. كيف أعطى الآب الحياة للابن طالما أن المسيح قد قام بقوته الذاتية. [٢٨٩]

١٤. لو كان الآب يَهْبُ كلَّ القدرة للابن كما يقال، باعتباره مساويًا له، فكيف يتحقّق ما قد قاله الابن بوضوح: «لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي»[٢٩٠] وأيضًا عندما قال:«إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُـــم وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ»[٢٩١]؟ لأنه أعترف أن الآب هو إلهه.[٢٩٢].

١٥. ماذا ستقول لو قالوا إنه حسب المكتوب إن الآب، أنه قد أَعطَى الابن إسمًا فوق كل اسم؟.[٢٩٣]

١٦. القديس بولس الرسول يقول الابن قد وُجِدَ قبل الخليقة أما أنه كان هو الله، فهذا أمر غير واضح بالنسبة لهم، لأنه ـ حسب رأيهم ـ لم يكن إلها وصار إلها.[٢٩٤]

١٧. «.... قل لي كيف يمكن للمرء أن يفهم ويدرك ما قاله المسيح» أني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، وكيف يدعو الله أنه هو أبيه؟.[٢٩٥]

١٨. إن لم يكن ينقص الابن أي شيء ويُدرَك على أنه هو الله، مثل الله الآب، وأنت تقول أنه مساوٍ له وليس أقلّ منه في شيء، إذن لماذا يقول هو نفسه: «أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي» [٢٩٦]؟. [٢٩٧]

١٩. هل أخطأ الابن بقوله «أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي»؟. [٢٩٨]

---

[٢٨٨] انظر ص٢٤٢.

[٢٨٩] انظر ص٢٤٣.

[٢٩٠] يو١٤: ٢٨.

[٢٩١] يو٢٠: ١٧.

[٢٩١] انظر ص٢٤٦.

[٢٩٢] انظر ص٢٤٧.

[٢٩١] انظر ص٢٥٠.

[٢٩٤] انظر ص٢٥٠.

[٢٩٠] يو١٤: ٢٨.

[٢٩١] انظر ص٢٥٧.

[٢٩٧] انظر ص٢٥٩.

٢٠ـ الابن هو إله أقل بينما الآب هو إله أعلى.[٢٩٩]

٢١ـ الابن أقلّ (من الآب) لا من الجهة الجسدّية لأن هذا غير ممكن، لكنه بسبب أنه لا يملك ما للآب.[٣٠٠]

٢٢ـ أين تتضح المساواة في الجوهر طالما أن الابن يخضع للآب ويطيعه كما يقول القديس بولس: ومتى أُخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل؟.[٣٠١]

٢٣ـ إن أمر خضوعه يُعرِّض الابن للشك في قدرته الكاملة.[٣٠٢]

٢٤ـ ما هو الخضوع الذي يمكن أن يحدث؟.[٣٠٣]

كما رصد ق. كيرلس هنا أيضًا ما تزرّع به الهراطقة دائمًا ويستندون عليه فكتب: [*وهم يقولون أن كل هذا قد تعلّموه من الأقوال الإلهية (الكتب المقدَّسة)*][٣٠٤]. *وحقيقة الأمر أن القضّية لا تكمن في نصوص الكتب المقدّسة عينها بل في الطريقة التي تقرأ بها وتفسّر هذه النصوص* «فقد ظلّت مشكلة التفسير الصحيح للكتاب المقدس حادة حتى القرن الرابع الميلادي أثناء صراع الكنيسة مع الآريوسيين بل أن حدَّتها لم تقلْ عمّا كانت عليه في القرن الثاني أثناء مقاومة الكنيسة لهرطقات الغنوسية وأتباع سابيليوس ومونتانوس، فكل أطراف النزاع احتكمت إلى الكتاب حتى أن الهراطقة جميعهم قد استشهدوا بفصوله وآياته» (كما يذكر ق. كيرلس على لسان إرميا) واحتكموا إلى سلطانه وكان التفسير في تلك الفترة أهم منهج لاهوتي ولعله كان المنهج الوحيد وكان سلطان الكتاب مطلقًا وساميًا [٣٠٥].

وفي مقابل موقف الهراطقة هذا من «الأقوال الإلهية» نجد أن ق. كيرلس

---

[٢٩٩] انظر ص٢٦١.

[٣٠٠] انظر ص٢٦١.

[٣٠١] انظر ص٢٦٨.

[٣٠٢] انظر ص٢٦٩.

[٣٠٣] انظر ص٢٧٤.

[٣٠٤] انظر ص٢١٣.

[٣٠٥] د. جوزيف موريس فلتس: المواجهة العمليّة للتيارات النقدية المعاصرة والتي منها "مدارس تفسير ونقد العهد الجديد" دراسات آبائية ولاهوتية. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. السنة السابعة. العدد ١٣. يناير ٢٠٠٤ ص٨٥.

يواجهه هذا الموقف بقوله لإرميا [*وآسفاه يا إرميا. إن هذا الكمّ من التجديف قد أحاط بالحقيقة، محاولاً تشويهها، غير أنه من الواضح أن الوقت أصبح مناسبًا أن نلبس نحن أيضًا درع الرب وسيف الروح أي نتسلّح بكلمة الله ونسلك بكل شجاعة وبدون خوف على الإطلاق*][٣٠٦] لأن هذا سيقود [*كل مَنْ لديهم حكمة في الفكر والقول أن يفهموا الأحداث في الزمن المناسب لها*][٣٠٧]. وهكذا يمكن فهم وتفسير الآيات التي اعتمدوا عليها وأساءوا فهمها، فهمًا صحيحًا.

وللرّد على كل هذا الكّم من التجديف يسوق ق. كيرلس نصوصًا مناسبة من الكتاب المقدس، على أن أكثر النصوص المستخدمة هي من إنجيل يوحنا اللاهوتي نظرًا لطبيعة هذا الإنجيل وتوّجه القديس يوحنا في بيان طبيعة الكلمة المتَجسِّد، وأيضًا من رسائل معلّمنا بولس الرسول الذي يلقّبه دائمًا بـ «كليَّ الطوبى» والذي تحدَّث باستفاضة عن «الابن الوحيد» وإخلائه لذاته.

ولمعرفة ق. كيرلس بموقف «المعاندين» من هذه الآيات بالتحديد، فقد اجتهد هنا أن يفسِّرها حسب إيمان وتقليد الكنيسة ومَنْ سبقوه في التعامل معها من الآباء المعلِّمين، معطيًّا إياها أبعادها اللاهوتية التي تؤكد كما جاء في عنوان هذا الحوار أن كلَّ خواص الألوهة ومجدها هي كائنة بطريقة طبيعية في الابن، كما في الآب.

هذا ويمكن تقسيم نص هذا الحوار لسبعة محاور تحت هذه العناوين:

١ـ هل الابن يحصل على ما يخصه من الآب؟ .[٣٠٨]

٢ـ الابن قبل وبعد الإخلاء.[٣٠٩]

٣ـ عودة إلى الموضوع الرئيس.

(رد على الإدعاء بأن كل ما يليق بالله قد صار للابن عن طريق المشاركة فقط). [٣١٠]

---

[٣٠٦] انظر ص٢١٤.

[٣٠٧] انظر ص٢١٦.

[٣٠٨] انظر ص٢١٣.

[٣٠٩] انظر ص٢١٥.

[٣١٠] انظر ص٢٢٤.

٤. الابن هو صورة وختم الآب.[٢١١]
٥. هل يستمد الابن الحياة من الآب؟[٢١٢]
٦. شرح الآيات: «أبي أعظم مني»، «أبي وأبيكم، إلهي وإلهكم». (ص٥٣)[٢١٣].
٧. معنى خضوع الابن النهائي للآب. [٢١٤]

*** ـ عمل الابن المتجسد فينا يشهد لألوهيته:**

وهنا يتبع ق. كيرلس نفس المنهج اللاهوتي الخلاصي الذي استخدمه في حواراته السابقه [٢١٥،٢١٦] بمعنى -كما سبق القول- أنه كان يدافع عن أُلوهية الابن وبالتالي عن أقانيم الثالوث من خلال إيضاح عمل الفداء الذي أتمَّه الابن المتجسِّد من أجلنا ومن أجل خلاصنا. فلقد أوضح أنه إن لم يكن الابن ربًا وإلهًا، لما أستطاع أن يأخذ ما لنا ويهبنا ما له.

وهكذا تصبح عقيدة الثالوث التي نؤمن بها واقعًا حيًّا وملموسًا في حياتنا، بواسطة عمله فينا، هذا من جهة ومن جهة أخرى يمكننا أن نشهد من خلال أعمالنا وسلوكنا أن ما نؤمن به هو الله الواحد الآب والابن والروح القدس.

ولقد استعان ق. كيرلس في هذا الحوار بنصوص كتابية كثيرة رأى فيها دليلاً واضحًا على أُلوهية الابن المولود من جوهر الآب من خلال عمله الخلاصي فينا وأن مَنْ يعمل فينا هذه الأعمال الخلاصيّة لا يمكن بأي حال من الأحوال ـ مثلما جاء في عنوان هذا الحوار ـ ألاّ تكون كل خواص الأُلوهية كائنة فيه بطريقة طبيعية كما في الآب.

وهذه الآيات هي:

١ـ «بِمَا أَنَّكُم أَبْنَاء أَرْسَلَ اللّه رُوْح ابْنِه إِلَى قُلُوْبِكُم صَارِخا «يَا أَبَا الآب» [٢١٧].

[٢١١] انظر ص٢٢٨.

[٢١٢] انظر ص٢٣٦.

[٢١٣] انظر ص٢٤٦.

[٢١٤] انظر ص٢٦٨.

[٢١٥] انظر: ص٤٩م وما بعدها.

[٢١٦] انظر: ص٧٢ وما بعدها.

[٢١٧] غل ٤: ٦.

يرى القديس كيرلس في قول القديس بولس الرسول هذا إثباتًا واضحًا لألوهية الابن المتجسِّد فهو «ربنا» وهو الذي «بطبيعته ابن الله بالحقيقة» ولأجل هذا فهو الذي يجعلنا أن ندعو به الآب آبانا، والدليل على أننا صرنا أبناء الآب بواسطة الابن الذي هو واحد مع الآب والروح القدس في الجوهر، هو أن الروح القدس يسكن فينا جاعلاً إيانا أن نصرخ إلى الآب قائلين يا أبا الآب، فيقول ق. كيرلس [*ولأنه صار إنسانًا مثلنا في كل شيء ووضع نفسه، لهذا فقد خضع لله وبالتالي فكان يجب عليه يسلك حسب معايير الإخلاء، ولهذا سُمّى معنا "ابن الإنسان" وهو الذي بطبيعته ابن الله بالحقيقة وهو أيضًا ربنا، وخلاف ذلك فإننا نحن أيضًا ندعو الله أبًا لنا. ونحن نكتسب هذه الأحقيَّة لأن الابن قد شابهنا في كلِّ شيء، وذلك لأن الابن يحلّ ويسكن فينا بواسطة أبيه والذي فيه وبه ندعو الآب أبانا، وكتعبير دقيق على أننا أبناء الله، فإن الروح القدس يسكن فينا ويشكِّلنا على صورة الابن، وهذا ما يوضحه ق. بولس بقوله: «بِمَا أَنَّكُم أَبْنَاء أَرْسَل اللَّه رُوْح ابْنِه إِلَى قُلُوْبِكُم صَارِخا: يَا أَبَا الآب»*][٢١٨].

والجدير بالذكر أن ق. كيرلس سبق أن استخدم نفس هذه الآية في حواره الثالث[٢١٩] في سياق حديثه عن بنوّة الابن للآب وهل هي حسب الطبيعة أم أنها بالتبَّني وأنها هبة الروح القدس. فيوجّه كلامه للمعارضين سائلاً إياهم [*أود أن أسألهم عن طريقة التبَّني هذه وكيف حدثت وأيضًا عن بنوَّته هو وبنوَّتنا نحن، لأننا ورثنا أن نكون أبناء، ولسنا نحن الذين نقول كيف صرنا أبناء لكن القديس بولس هو الذي علّمنا ذلك عندما كتب «بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا يا أبا الآب»*][٢٢٠].

ويَخلصُ ق. كيرلس إلى نفس النتيجة التي يذكرها هنا في هذا الحوار قائلاً: [*وهذا معناه: نحن نقول أننا دعينا إلى البنوَّة الروحية وذلك بسبب أن الابن يسكن في داخل قلوبنا بطريقة لا توصف بواسطة الروح القدس*][٢٢١].

وبينما يُجمل ق. كيرلس في هذا الحوار الخامس تعليمه عن التبّني موضحًا

[٢١٨] انظر ص٢٥٥.

[٢١٩] انظر ص١٣٥.

[٢٢٠] انظر ص١٣٤.

[٢٢١] انظر ص١٣٤-١٣٥.

الفرق بين طبيعة الابن الإلهية وطبيعتنا المخلوقة فيقول [*إن التَّبني هو عطيَّة محبة الله للبشر، لأننا ـ بالفعل ـ نحن أرضيين حسب الطبيعة، غير مولودين من الله حسب قوانين الولادة العادية، ولكننا بالتَّبني الذي صار لنا من خارجنا، يجب أن ندعو الله أبانا*][٣٢٢]، نجده في الحوار الثالث يستطرد في استخدام آية بولس الرسول هذه لإثبات أن عمل الابن المتجسِّد فينا ودعوتنا للتبَّني تشهد على إلوهيته وإنه مساوٍ للآب في الجوهر وأن طبيعته لا تماثل طبيعتنا المخلوقة في شيء، وذلك أمام المعارضين، فيقول: [*أنتبه إذًا يا صديقي إلى النتيجة التي يمكن أن يصل إليها الحديث عن الابن الوحيد لو أنه أصبح مساويًا لنا نحن الذين دعينا للبنوَّة*[٣٢٣]*. لأنه لا يمكن أن يصير الإنسان المخلوق أبنًا إلاّ عن طريق ابن الله وبواسطة نعمة الروح القدس وهذا ما يؤكده الرسول بولس*[٣٢٤]*. فإن كان الأمر هكذا ففيمَن سيصير الابن أبنًا هو أيضًا؟ لأني لا أعتقد أنهم سيقولون إنه صار أبنًا بذاته في ذاته على الرغم من أنه حُسِبَ بين الذين قد دعوا أبناء بالتَّبني طالما أنه ـ حسب فكرهم ـ قد أستبعد عن أن يكون أبنًا حقيقيًا بالطبيعة*][٣٢٥].

٢. **«خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي»**[٣٢٦].

آية أخرى وجد فيها ق. كيرلس شاهدًا لعمل الابن المتجسِّد فينا ورعايته لنا إذ نحن خاصته الذين يعرفهم ويهبهم حياة أبدية إذ هو ربّ الحياة الذي يحمي "غنم يده" من الهلاك. ولا يستطيع أحد أن يخطفهم من يده، إذ هم محفوظين في «يد الآب» أيضًا.

وهنا نجد ق. كيرلس يربط ما جاء في مزامير داود «هلّم نسجد ونركع

[٣٢٢] انظر ص٢٥٧.

[٣٢٣] حسب اعتقاد المعاندين.

[٣٢٤] غل٤: ٦.

[٣٢٥] انظر ص١٣٥.

[٣٢٦] (يو ١٠: ٢٧ـ٢٨).

ونجثو أمام خالقنا. لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده»[٢٢٧] وما جاء في آية إنجيل يوحنا وذلك ليبيّن وحدة الجوهر الإلهي للآب والابن والتي تتضّح في عمل الابن الخلاصي في خليقته فيرًد بهذا على مَنْ لا يؤمنون بإلوهه الابن وبإنه مساوٍ للآب والروح القدس في الجوهر، والذين يدعّون أن الابن كان غير محق أن يدعو مَنْ يؤمنون به بأنهم خرافه هو، وكان الأجدر به أن يدعوهم خراف الآب، على أساس أن الابن - حسب اعتقادهم - ليس إلهًا حقيقيًا مثل الآب. فيقول: [*إذن لاحظ إن الابن قد دَعى «غنم يده» إنها هي ملكه ولقد حملنا نير العبودية له إذ انه قال "خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ». إذن نحن خراف الله الآب. وبالمثل نُسمّي خراف وغنم الابن ... إذن كيف لا يكون الابن مساويًا للآب وهو الذي له نفس القدرة على كلّ شيء وما تملكه يدُه، تملكه يد الآب وكيف لا يمجدّ مع الآب؟ أم هل تستطيع أن تفكر او تقول شيئًا يمكن أن يميّز مجد الآب أو يُنقص من مجد الابن، لأن هذا لا يمكن أن يحدث بدون أن تُمَس المساواة بين الآب والابن؟*][٢٢٨].

٣. **«مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اَللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ. مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ اَلْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا»[٢٢٩]، «فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ»[٢٣٠].**

وإلوهه الابن المُتجسّد ووحدته في الجوهر مع الآب والروح القدس تتضّح أيضًا ليس فقط من خلال أعماله المعجزّية التي أتمها حال تَجسُّده بل أيضًا في أعماله الخلاصيَّة إذ هو الديَّان وغافر الخطايا. وإذ فهم ق. كيرلس كيف

---

[٢٢٧] مز١٢٣: ٢١ (س).

[٢٢٨] ص ٢٨٦. هنا يكرر ق. كيرلس استخدامه لنفس هاتين الآيتين من سفر المزامير وإنجيل يوحنا واللتين استخدمهما في حواره الثالث. انظر ١٤٣.

[٢٢٩] رومية ٨: ٣٣، ٣٤.

[٢٣٠] رومية ٥: ١.

يفكِّر المعارضين وكيف يحسبون الابن أقلَّ من الآب، بل وضمنْ المخلوقات فإنه يتساءل في استنكار [*هل يا ترى من سلطة الآب فقط القدرة على غفران سقطاتنا ومحو خطايانا الثقيلة؟*][331]. وإذ يُدرك خطورة هذا الإدعاء فإنه يُحذِّر هؤلاء المعاندين قائلاً [*كيف لا يكون من الخطر أن يتجرأوا على أن يجرِّدوا الابن من هذه السلطة وهو الذي له ما للآب. بقولهم كاذبين. إنه لا يستطيع هو أيضًا أن يغفر خطايا مَنْ يريد؟*][332]. ولتدعيم دفاعه استعان ق. كيرلس بهاتين الآيتين من رسالة ق. بولس إلى أهل رومية لأنه [*يوضح أن الابن هو مَنْ سيقوم بهذا العمل العظيم ولأنه يعترف بقدرته على أن يبرّر كل مَنْ يؤمن به*][333]. فالتبرير إذن هو فعل إلهي يتمِّمه الآب كما يتمِّمه الابن أيضًا في أولئك الذين يؤمنون. ولهذا يتابع ق. كيرلس قوله [*لأن إيماننا هو الذي يصالحنا بالله ويجعلنا قريبين منه بواسطة الابن والإيمان يبررنا، وهذا التبرير لا يأتي جانب منه من الله الآب وجانب آخر منه أيضًا بصفة خاصة من خلال الابن، بل أن التبرير الذي يأتي من الآب هو نفسه يُعطى من الابن*][334]. وبسبب وحدة جوهر الآب والابن فإن [*التبرير الذي يمنحه الابن، يجب أن نقبله على أنه هو عطيَّة من الآب أيضًا*][335]. ويوضح ق. كيرلس عملاً خلاصيًا آخرَ يقوم به الابن كونه هو الخالق الشريك مع الآب[336]، هو أن الابن كما له [*السلطان أن يأتي بالكائنات إلى الوجود أي تلك التي ليست لها خالق آخر سواه*][337]. هكذا بالتمام [*تحيا به كل النفوس التي تترك عنها وبحرّيتها شهواتها القديمة، وتقبل أن تعيش تلك الحياة الجديدة وتعود إلى طبيعتها الرائعة*][338].

---

[331] انظر ص٢٦٤.

[332] انظر ص٢٦٥.

[333] انظر ص٢٦٥.

[334] انظر ص٢٦٥.

[335] انظر ص٢٦٥.

[336] ترِد هذه الجملة في صلاة الصلح للابن. انظر: القداس الغريغوري. الخولاجي المقدس. دير البراموس. ط٢، ٢٠٠٢، ص٣١٦.

[337] انظر ص٢٦٥.

[338] انظر ص٢٦٥.

**٤.«كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ، وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ»[٢٣٩]، «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا»[٢٤٠].**

تمثل أحداث العهد القديم نموذجًا لعلاقة الله بشعبه تجلّت فيها، في مواقف عديدة، عنايته الفائقة ورعايته لهم رغم عنادهم وعدم طاعتهم، الأمر الذي تجده مُعبَّرًا عنه في كثير من نصوص العهد القديم في تشبيهات وصور بلاغية. ومن بين تلك النصوص ما كتبه موسى النبي في سفر التثنية عندما وصف عناية الآب بشعب إسرائيل رغم أنه كان معاند وغير مطيع، تلك العناية التي هي من فوق قائلاً: «كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ، وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ»[٢٤١]. وعندما جاء الابن في الجسد، إلى خاصته والتي لم تقبله، نجده وقد اتخذ موقفًا ضد أفعالهم فحذرهم بقوله «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا»[٢٤٢].

ويرى ق. كيرلس في موقف عناية الله الآب في العهد القديم وموقف الابن تجاه ما نفعل دليلاً على أُلوهية الابن ومساواته للآب في الجوهر فيقول [*وبدون أن نفعل شيئًا من تلك الأشياء التي لا نرغب فيها، إلاّ أننا لن نتسرَّع بالطبع ونقول إن الآب لم يتخذ موقفًا ضد ما نفعل. أو أن نقول إنه أمر جيِّد أن يُمجَّد الابن فقط بسبب أنه اتخذ موقفًا ضد ما يفعله البشر لكن نقول إن الآب والابن هما واحد في الجوهر كما أن الألوهة هي واحدة وبسيطة*[٢٤٣] *وهذا يجعلنا نفهم أن الله الآب يعمل بالابن وهكذا نستبعد فكرة أن الآب أعلى من*

---

[٢٣٩] تث ٣٢: ١١.

[٢٤٠] مت ٢٣: ٣٧-٣٨.

[٢٤١] تث ٣٢: ١١.

[٢٤٢] مت ٢٣: ٣٧-٣٨.

[٢٤٣] انظر ص٢٦٦.

*الابن أو أن الابن أقلّ من الآب، وهكذا لا نحرم على الإطلاق الابن المولود من الآب من أن يكون له نفس مجد الآب. لأن الآب يعمل من خلال الابن باعتباره قوّته الذاتيه الفعّاله إذ هو إله من إله وهو كائن معه من حيث الطبيعة مع أنهما متمايزان من حيث الأقنوم*][244].

٥. **«الْتَفِتُوْا إِلَيّ و اخْلُصُوا يَا جَمِيْع أَقَاصِي الأَرْض لأَنّي أَنَا اللّه و لَيْس آخَر. بِذَاتِي اقْسَمْت خَرَج مِن فَمِي الْبَر وَكَلامِي لا يَعُوْد دُوْن أَن يَتَحَقّق»**[245].

لقد كان تدبير خلاص البشرية أمرًا إلهيًا فائقًا فلو لم يكن الابن المتجسِّد إلهًا لما «استطاع أن يخلّص الجميع وينشر البر ويقنع كل يوم - بكيفيَّة غير منظورة - الجموع من كل المسكونة ليقبلوا الإيمان به ويطيعون تعاليمه»[246]. ولهذا يرى ق. كيرلس في نبوءة إشعياء تحقيقًا لهذا الفعل الخلاصي وأن مَنْ قام به لا يمكن ألاّ يكون هو الله وحده فيقول معلقًا على هذه الآية [*فهل تستطيع أن تنسب لآخر غير الابن أن كلامه أقوى من أن يعود فارغًا أو أنه هو مجد الآب الذي يستطيع أن يدعو ويخلّص كل البشر في أقاصي المسكونة وأن ينشر البرّ*][247]. وعليه فإنه ما يدعيّه المعارضين بقولهم إن الابن أقل في طبيعته من الآب وأن مجد الآب يفوق مجد الابن هو إدعاء باطل، لذا يتساءل مستنكراً [*فهل يمكن أن يكون من اللائق أن ننسب لطبيعة الابن - بصفة عامة - أمورًا أقل طالما أن طبيعته تتصف بنفس الخصائص ولها نفس المجد (الذي للآب)؟*][248].

٦. **«أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ»**[249].

[244] انظر ص٢٦٦.

[245] إش ٤٥: ٢٢- ٢٣ (س).

[246] انظر ق. أثناسيوس: تجسُّد الكلمة: ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ط٨، ٢٠١٤، فصل ٣٠ فقرة ٤ ص٩٣.

[247] انظر ص٢٦٦.

[248] انظر ص٢٦٧.

[249] مت ١٠: ٢٩.

موقف آخر ألتقطه ق. كيرلس من حياة الابن المتجسِّد وعمله الذي يشهد بإلوهيته، ألاَ وهو عنايته الفائقة ليس فقط بالبشر الذين خلقهم على صورته ومثاله، بل بكل المخلوقات الأخرى. فيرى القديس كيرلس [*أن تدبير كل الخليقة هو من عمل الآب والابن على التساوي*][350]. ودليله على هذا ما جاء في حديث المسيح مع تلاميذه وقوله لهم عن الآب «أليس عصفوران يباعان بفلس؟ وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم» فإن كان هذا هو دور الله الآب في العناية حتى بأصغر الطيور، فإن دور العناية المماثل الذي يقوم به الابن تَمثَّل في حادثة كورة الجرجيسيين. فيقول ق. كيرلس [*والابن أيضًا يستطيع أن يقدِّم هذه العناية الفائقة التي تشمل جميع المخلوقات حتى التي لا تُذكر منها، وهذا ما نراه يحدث عندما جاء المسيح إلى كوره الجرجسيين، وطَرَدَ من المجنونين الأرواح الشريرة التي أطاعت أوامره الإلهية وطلبوا منه أن يذهبوا ليتملَّكوا على الخنازير*[351] *ثم أن مَنَ يملك كل شيء تحت قدميه، قد سمح لهم وأمرهم أن يمضوا إلى الخنازير، ففعلوا، وإذ قطيع الخنازير كله قد أندفع من على الجرف إلى البحر ومات في المياه*[352]. *والآن، قل لي هل أعطى المسيح لهذه لأرواح النجسة التصريح أن يفعلوا ما يريدون مع أنها أرواح لا تريد إلاّ الشر؟! سيكون من المستغرب جدًا أن يفكر أحد هكذا، لكن كان من الضروري أن ندرك وبطريقة عمليّة أن الابن يعتني بالجميع مثله مثل الآب تمامًا، وحتى يكون من الواضح في كلّ أمر جمال وبهاء مساواة الابن للآب في الجوهر*][353].

وإذ يشهد ق. كيرلس بإلوهه الابن المتجسِّد فإنه يُمجِّده مع الآب والروح القدس قائلاً إن هدف الابن [*أن يُكرِم الآب لأنه قد وُلِدَ منه حسب الطبيعة وهو مساوٍ له في كل شيء وواحد معه في الجوهر ولا ينقصه شيء على الإطلاق، وفيه وله المجد والإكرام مع الآب والروح القدس إلى الآبد آمين*][354].

---

[350] انظر ص٢٦٧.

[351] انظر ص٢٦٨.

[352] انظر مت٨: ٢٤-٢٨.

[353] انظر ص٢٦٧-٢٦٨.

[354] انظر ص٢٧٤.

### وفي الحوار السادس

يستمر ق. كيرلس في مناقشاته مع إرميا مدافعًا عن ألوهيه الإبن ضد كل مّنْ يتصورون أن ما يفعله الإبن بالجسد أمر لا يليق بالله، غير مدركين أن ما قيل عن هذه الأفعال إنما يشير إلي الطبيعة البشرّية التي اتخذها الله الكلمة عندما تجسَّد، وليس إلي الطبيعة الإلهية للكلمة، وذلك بكل وضوح لأن الكلمة هو الله. إذا نجد ق. كيرلس يستهل هذا الحوار بالعنوان التالي [*في أن خصائص الطبيعة البشرية وكل ما قيل عن ما فعله الإبن، ولا يليق بالله (حسب تصورَّهم)، كل هذا يشير بالحري إلي طبيعته البشَّرية وليس إلي طبيعة الكلمة إذ هو الله*][355].

ولقد سبق أن تعامل ق. كيرلس مع هذه القضيِّة في حورارته السابقة والتي من خلالها تبيّنت حقيقة الوهه الإبن ووحدة جوهره مع الآب، وهو يوضح ذلك في بداية هذا الحوار قائلاً: [*إن الحديث عن المساواة وعن أن طبيعة الإبن تمثل بكل وضوح ودقة دليلاً علي ماهية طبيعة الله الآب، قد صار حسب اعتقادي حديثًا كافيًا وواضحًا. لأنه من خلال هذه الحديث اتضح أن الخصائص الذاتية لجوهر الله الآب هي للإبن أيضًا. أو بالحري أتضح أن كل ما هو خاص بالآب كخاصية. حسب طبيعته ـ هو أيضًا خاص بالإبن*][356].

وكما فعل ق. كيرلس في معظم حواراته الخمس السابقة، نجده يفعل الأمر نفسه هنا فيقوم في بداية هذا الحوار برصد الاعتراضات التي يثيرها المعاندون والتي يصفها ق. كيرلس غالبًا علي لسان محاوره إرميا (حتي وإن كان إرميا لا يؤمن بها)، وذلك كي يتمكن من الرِّد عليها تباعًا.

وهو يورد في البداية ثلاث نقاط جوهرية تتعلق بإثبات الوهه الإبن. النقطة الأولي هي مساواة الإبن للآب في الجوهر وبالتالي لا يكون الإبن أقل في أي شيء من الآب. والنقطة الثانية هي أنه بسبب وحدة الجوهر للآب والإبن يكون الإبن هو «ختم أقنوم الآب». والنقطة الثالثة هي أن الإبن هو الطريق الوحيد

[355] وضعنا نصوص القديس كيرلس المستخدمة هنا في المقدمة بين أقواس وبالخط المائل.

[356] انظر ص٢٧٥.

لمعرفة الله الآب لأنه [*بواسطة الإبن ومن خلاله نستطيع أن ندرك طبيعة الآب*].

وفي المقابل يورد أيضًا ما يردده المعارضون من أفكار تنكر أُلوهية الإبن وقولهم: [إن الإبن لم يكن إطلاقًا مساويًا أو مشابهًا لله الآب حسب الطبيعة، بل يقال عنه يتقدس ويُمجدَّ ويرتفع ويتقوي بواسطة الله الآب]، وأنه [يَسجدُ معنا لله] وأنه [يجهل ساعة إنقضاء العالم] ويري ق. كيرلس فيما يعتقدون به أنه يعكس جهلهم [بسرّ المسيح].

هذا وقد تمثّلت هذه الأفكار كما رصدها ق. كيرلس وعبرّت عنها أسئلة إرميا كالآتي:

١- إن الإبن تقدّس عندما حلّ الروح القدس عليه مثل حمامة.[٢٥٧]

٢- ما العيب في القول إن الإبن قد تقدّس بواسطة الآب؟.[٢٥٨]

٣- هل الروح القدس هو روح الإبن كما هو بالطبع روح الآب؟.[٢٥٩]

٤- إن التقديس الذي يأتي من الآب بواسطة الروح القدس، هو مُعطي للإبن من الخارج لأنه كان هناك وقت لم يكن فيه الإبن موجودًا.[٢٦٠]

٥- كيف تصبح الخليقة مقدّسة.[٢٦١]

٦- إن الإبن لا يكذب عندما يقول إنه تقدّس بواسطة الآب قبل تجسّده لأنه بالطبع صار إنسانًا في مليء الزمان، لكنه كان قبل ذلك الوقت الإبن الوحيد والأخ بالنسبة لمن دعوا إلي الوجود، طالما أنه هو ليس غير صائر حسب طبيعته، لكنه خُلق بواسطة الآب وبالتالي فهو يقول الحقيقة عندما يدعونا أخوة له وعندما يقول إنه تقدّس معنا.[٢٦٢]

٧- طالما أن القدرة علي التقديس هي ميزة تليق بطبيعة الله الحقيقي، والإبن هو الذي يقوم بهذه المهمة، فلا يوجد أي عائق يمنعنا أن نعترف

---

[٢٥٧] انظر ص٢٨١.

[٢٥٨] انظر ص٢٨٣.

[٢٥٩] انظر ص٢٨٤.

[٢٦٠] انظر ص٢٨٧-٢٨٨.

[٢٦١] انظر ص٢٨٨.

[٢٦٢] انظر ص٢٩٢.

بكل وضوح أن الإبن هو الله حسب الطبيعة، ولو قبلنا بهذا فيمن هو الله بحسب الطبيعة، فلن يكون لديه أي نقص بالمرّة في أي شيء من الصالحات. فما الداعي إذن أن يُظهرالإبن الذي هو الله حسب قولكم أن طبيعته ينقصها المجد والمُلك والسلطة؟ فالإبن قد نادي مرّة الآب السماوي قائلاً: انظر (يو١٧: ١-٨) كما أن ق. لوقا قد كتب في سفر أعمال الرسل عن لسان ق. بولس قائلاً: «*فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا*». هل تحققت إذن من أن الآب يعطي الإبن المجد والسلطة الإلهية وان الإبن يقبل هذا بفرح؟[٢٦٣]

٨ إن الإبن قد حصل علي المجد من الآب.[٢٦٤]

٩- كيف يقبل الإبن من الآب بعضًا من الناس الذين هم في العالم والذين لأجلهم قال للآب «*أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلاَمَكَ*».[٢٦٥]

١٠- ما هو مجد الإبن في علاقته بمجد الآب؟[٢٦٦]

١١- لماذا يقول الإبن بلسان المرنم «*أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي*» والتلميذ الحكيم يؤكد لنا أنه قد صار ربًا وانه قد مُسح؟[٢٦٧]

١٢ . الإبن له كل الأشياء بطريقة ما وذلك لأن الآب قد وهبها له.. ص٣٠٧.

١٣- يقول بولس الرسول: «*لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ. الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ. وَبَعْدَ ذلِكَ النِّهَايَةُ مَتَى سَلَّمَ الْمُلْكَ للهِ الآبِ، مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ*

[٢٦٣] انظر ص٢٩٤.

[٢٦٤] انظر ص٢٩٧.

[٢٦٥] انظر ص٣٠٠.

[٢٦٦] انظر ص٣٠٢.

[٢٦٧] انظر ص٣٠٤.

*الأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ.*» (١كو١٥: ٢٢ـ٢٦). ها هنا نستطيع أن نقول أن هناك علامة فارقة علي انتهاء مُلكه وهي أن كل الرئاسة والموت سيبطلان، لأن الإبن سيعطي السُلطة للّه الآب.[٢٦٨]

١٤. لا أستطيع في نهاية الأمر أن أفهم معني الإشارة إلي تسليم الإبن المُلك للّه الآب.[٢٦٩]

١٥. كيف لا يملك مَنْ هو جليس مع الآب ومَنْ يمسك صولجان يليق باللّه، قوة خاصة به؟ لأن هذه القوة معطاة له من الآب.[٢٧٠]

١٦. الآب كان هو الفاعل لكل هذا من خلال الإبن.[٢٧١]

١٧. كيف يكون الكلمة هو خالق كل الأشياء مع أن الآب قد أحضر كل شيء إلي الوجود وبسط السماء.[٢٧٢]

١٨. إن مَنْ تؤمنون أنه واحد مع الآب في الجوهر وله قوته نفسها هو يَسجُد معنا.[٢٧٣]

١٩. إن الإبن سيُسجَد له مع الآب لكنه هو أيضًا سيسجُد للآب لأنه يعلم مَنْ هو حسب الطبيعة، لأن طبيعة الإبن هي اسمي من كل الخلائق لكنها في الوقت نفسه ليست مثل طبيعة الآب.[٢٧٤]

٢٠. الإبن قد اكتسب مجد الألوهه كشيء غريب عنه، وكمكافأة علي فضائله كما أن السجود له ليس أمرًا خاصًا بطبيعته ولكنه قد حصل عليه، بمجرّد فقط أن الآب أراد هذا.[٢٧٥]

٢١. إن الآب قد أمر الملائكة أن تسجد للإبن.[٢٧٦]

---

[٢٦٨] انظر ص٣١٠.

[٢٦٩] انظر ص٣١٦.

[٢٧٠] انظر ص٣١٨.

[٢٧١] انظر ص٣٢١.

[٢٧٢] انظر ص٣٢٢.

[٢٧٣] انظر ص٣٢٩.

[٢٧٤] انظر ص٣٣٣.

[٢٧٥] انظر ص٣٢٣.

[٢٧٦] انظر ص٣٢٣.

كما رصد ق. كيرلس في هذا الحوار أيضًا ما تذرّع به الهراطقة دائمًا وما يستندون عليه فيما يزعمون فكتب قائلاً: [*إنهم مستعدون أن يثبتوا من الكتاب المقدّس*][277] غير أنهم [*يتجنَبون البحث عن الأزمنة والأوقات التي حدثت فيها تلك الأمور*][278] وهم قد [*تعودوا علي قلب الحقائق*][279].

ويتوقّع ق. كيرلس نتيجة هذا المسلك فيقول: [*لأن مَنْ يؤمن هكذا وينطق بمثل هذا الكلام يكون قدابتعد عن كَرمِهِ وانحرف في طريق يقوده إلي موضع خلاء، ماشيًا في صحراء قاحلة ويحفر لنفسه آبارًا مشققة لاتضبط ماء*][280].

وفي مقابل هذا المسلك يصف منهجه قائلاً [*نحن نُفضّل أن نؤمن إيمانًا سليمًا ونتعلّم، علي أن نسكنُ إلي جهل هؤلاء ونتركهم يقولون ما يعتقدون أنه صواب. وعلي العكس نحن نتجنّب بإستمرار وعلي قدرالإمكان اختراعات عقولهم الخارقة، محاولين بكل طاقاتنا الاَّ نقع في شباك أضاليلهم*][281]. وهو يحث محاورهُ إرميا قائلا: [*فهيًا بنا مرّةأخري نستعرض المفهوم الصحيح. كل علي حده. لما سبق أن اثاروه ولنثبت أنهم يجهلون سرَّ المسيح*][282].

ويكمنُ سرَّ قوّته في الدفاع عن هذه الحقائق الإيمانية في اعتماده علي قوّة الله في داخله لذا نجده في موضع آخر يقولَ [*ليصر الشجاع محاربًا، هكذاعلّمنا الكتاب المقدس. وأنا أقول إنه ينبغي أن أواجه أفكار المعاندين هذه، لأن الله هوالعامل فينا وهوالذي يضع الكلمات علي ألسنتنا، ويقود فكر كل الإتقياء نحو الحق.*][283].

وللرِّد علي كل هذه الأراء الخاطئة والأفكار المنحرفة التي يسوقها هؤلاء

[277] انظر ص٢٧٧.

[278] انظر ص٣٠١.

[279] انظر ص٣٠١.

[280] انظر ص٣١١.

[281] انظر ص٣١٢.

[282] انظر ص٢٧٨.

[283] انظر ص٢٩٦.

المعاندين، يورد ق. كيرلس نصوصًا مناسبة من الكتاب المقدس بعهديه، وخصوصًا من سفر المزامير في العهد القديم، وإنجيل معلّمنا يوحنا اللاهوتي نظرًا لطبيعة هذا الإنجيل وتوّجه القديس يوحنا في بيان طبيعة الكلمة المتجسد وعمله الخلاصي، كونه هو الله الذي ظهر في الجسد، والمسجود له مع الآب، حيث إن للآب والإبن والروح القدس جوهر واحد.

ولقد اجتهد ق. كيرلس في إعطاء المعني المستقيم لهذه الآيات وتفسيرها حسب إيمان وتقليد الكنيسة ومَنْ سبقوه من الآباء المعلّمين، وإستخدامها في سياقها الصحيح وإيضاح أبعادها اللاهوتية التي تؤكد ما عبرّ عنه عنوان هذا الحوار بأن خصائص الطبيعة البشرية وكل ما قيل عن ما فعله الإبن ولا يليق بالله (حسب تصورهمّ) كل هذا يشير بالحري إلي طبيعته البشرية وليس إلي طبيعة الكلمة، إذ هو الله.

هذا ويمكن تقسيم النص إلي عدة محاور تحت هذه العناوين:

١. تلخيص لما سبق وسرد إعتراضات أخري والرد عليها[٢٨٤] .

٢. هل الآب هو الذي يُقدّس الإبن؟[٢٨٥].

٣. هل الإبن يستمد عظمته ومجده وسلطانه من الآب؟[٢٨٦] .

٤. هل يستمد الإبن من الآب القدرة علي العمل؟[٢٨٧] .

٥. هل لا يعلم الإبن الساعة، وهل يسجُد مع الملائكة؟[٢٨٨]

*** عمل الإبن المتجسد فينا يشهد لالوهتيه:**

يتابع ق. كيرلس في هذا الحوار أيضًا منهجه في عرض تعاليمه اللاهوتية وشرحه البعد الخلاصي لها، بمعني أنه يدافع عن الوهيه الإبن وعلاقته الأقنومية بالآب والروح القدس من خلال إيضاح عمل الفداء الذي أتمهً الأقنوم

[٢٨٤] انظر ص٢٧٥.

[٢٨٥] انظر ص٢٧٧.

[٢٨٦] انظر ص٢٩٥.

[٢٨٧] انظر ص٣١٨.

[٢٨٨] انظر ص٣٢٩.

الثاني من أقانيم الثالوث، من أجلنا ومن أجل خلاصنا، فهو يبرز دائمًا حقيقة أنه إن لم يكن الإبن ربًا وإلهًا لما استطاع أن يخلِّصنا ويأخذ ما لنا ويهبنا ما له.

ودفاع ق. كيرلس عن الوهيه الإبن، الأقنوم الثاني من أقانيم الثالوث، هو في الواقع دفاع عن أقانيم الثالوث الثلاث كما سبق القول.

وببيان عمل الإبن المتجسد فينا كونه هو رب وإله، تصبح عقيدة الثالوث التي نؤمن بها واقعًا حيًا وملموسًا في حياتنا، وشهادة نقدمها من خلال أعمالنا وسلوكنا أن ما نؤمن به هو الله الواحد الآب والإبن والروح القدس.

ولقد استعان ق. كيرلس في هذا الحوار بنصوص كتابية كثيرة ـ كما سبق القول ـ رأي فيها دليلاً واضحًا علي ألوهيه الإبن المولود من جوهر الآب، من خلال عمله الخلاص فينا. إذ أن مَنْ يعمل فينا مثل هذه الأفعال الخلاصية، لا يمكن بأي حال من الأحوال ألاَّ يكون هو الله. كما جاء في عنوان هذا الحوار حتي لو تصوَّر المعاندون أن كل خصائص الطبيعة البشرية وكل ما قيل عن ما فعله الإبن لا يليق بالله، لأن الحقيقة أن هذه كلها كانت تشير بالحري إلي طبيعته البشرية. وهذه الآيات هي كالآتي:

**١. قول المسيح لليهود «فَالَّذي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ لأَنِّي قُلْتُ إِنِّي ابْنُ اللهِ؟»**[٣٨٩].

أدعي المعاندون إن الإبن لا يملك التقديس في ذاته، بل قد تَقبَّله كعطيَّة له من الروح القدس، وبالتالي لا يكون هو الله.

وهنا يرُّد ق. كيرلس علي هذا الفكر الخاطئ فيوضح أن تقديس الإبن [*مرتبط برسالته وعمله من أجل العالم*][٣٩٠] ويتابع فيقول [*لكي تكون الأمور واضحة لابد وأن يكون الأمران مرتبطان معًا. لأنه يقال إن الآب قد قدّسه، مُرسِلاً إياه إلى العالم، وليس قبل أمر إرساله إلى العالم*][٣٩١].

وفي رده علي قولهم بإن المسيح قد تَقدَّس عندما حلّ الروح القدس عليه مثل حمامة. واستشهادهم بما سجلَّه ق. يوحنا «*إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ*

[٣٨٩] يو ١٠: ٣٦.

[٣٩٠] انظر ص٢٨٠.

[٣٩١] انظر ص٢٨٠.

*حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ.»*[٢٩٢] يقول ق. كيرلس: [*فلنفحص إذن الزمن الذي قيل إنه تقدّس فيه. فلم يتقدَّس «كلمة الله» قبل مجيئه في الجسد لكن عندما صار مثلنا، نحن الذين لا نملك القداسة في طبيعتنا، لكنها تأتي لنا من الخارج وهي عطيَّة. أم أنك لا تعرف أن الطبيعة البشرية نالت منذ البدء شركة الروح القدس وبواسطة تقديسها نالت مشابهتها لله؟ لأن الطبيعة البشَّرية قد خُلقت علي صورة مَنْ خلقها، لكنها عندما خالفت الوصية الإلهية، فإنها رَفَضَتْ هبة الله وادينت بالموت وصارت تحت نير الخطية. إذن عندما قرّر الله أن يعيد الجنس البشري إلي رتبته الأولي وحالة الوداعة التي كان قد فقدها، فكان من اللائق أن يكون المسيح هو البداية الثانية للجنس البشري، وأن يكون ميلاده بواسطة العذراء مريم، بدون أن يكون له أب بشري بالطبع حتى يكون لنا جميعًا معه أب واحد هو الله، فنسمو إلي مجدنا الأول. ولهذا كان من اللائق، طالما أنه قد صار إنسانًا أن يأخذ الروح حتى ولو كان بدون خطيِّة ـ كي يستقر الروح في طبيعته البشرية كبداية ـ بطريقة معيَّنة ـ وأصل ثاني لخلقة الجنس البشري*][٢٩٣].

وفي عبارات دقيقة يشرح معني أنه تقدّس مبيِّنًا عمله الإلهي فينا فيقول [*وكما أنه هو عند الآب دائمًا، فقد صار إبنًا بواسطة الروح لأنه قد مَاثَلَ ـ حسب الجسد ـ مَنْ هم أبناءٌ بالتّبني. وكما اتخذ شكلنا عينه، نحن الذين نخضع لله فقد دعا أباه، «الله»، بالرغم من أنه هو الله بذاته. وبنفس الطريقة يُقال إنه تقدَّس لأن التقديس يتوَّغل داخل ما هو بشرّي، أي داخل الجسد. لأن الطبيعة البشريَّة لا يمكن أن تتقدَّس من نفسها. لأن التقديس هو من فعل الطبيعة الفائقة والحقيقية. لأن الكلمة هو ثمره هذه الطبيعة، لهذا فهو يملك التقديس الكائن في هذه الطبيعة، التي منها قد وُلِدَ*][٢٩٤].

---

[٢٩٢] يو ١:٣٢.

[٢٩٣] انظر ص٢٨١.

[٢٩٤] انظر ص٢٨٣.

٢. «**وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي**»[٣٩٥].

يستدعي ق. كيرلس هذه الآية، في سياق رده علي مَنْ يدّعون أن الكلمة ذاته الذي قد أتي من الله قد تَقدَّس، وهم يهدفون بهذا إلي إثبات أن الروح القدس الذي هو روح الآب والذي يُقدِّس، ليس هو روح الإبن باعتبار إن الإبن ليس إله مثله مثل الآب والروح القدس. لهذا يجاوبهم قائلاً [*إذن طبيعتهم هي طبيعة واحدة. كما أن الروح أيضًا هو واحد وهو ينبع بالتأكيد من الآب كينبوع، غير أن الروح أيضًا ليس غريبًا عن الإبن: لأن الإبن المولود من الآب له كل ما للآب وهو ثمرة هذه الطبيعة الفائقة*][٣٩٦].

ثم يعلّق ق. كيرلس علي الآية السابقة بقوله إن ما قاله المسيح [*يوضّح أن الروح هو روح الآب وروح الإبن أيضًا. إذن، إنه يَعد أن يُرسل لنا الروح ـ كروحه الذاتي ـ الذي ينبثق من عندالآب ويسميّه روح الحق ويحدّد أنه ينبثق من الآب ذاته ويعلن أنه سيشهد له*][٣٩٧]. *فالإبن إذ هو الله، يُرسل الروح القدس إذ هو روحه أيضًا كي يعمل في القديسين شاهدًا بوضوح* [*إن الإبن هو الله*][٣٩٨].

**٣. تكونون قديسين لأني قدوس الرب إلهكم**

آية أخري يوردها ق. كيرلس لبيان عمل الإبن المتجسّد فينا وتشهد لالوهيته فيقول إنه [*عندما يعمل الروح في طبيعة المخلوقات ويقدّسها فبالتأكيد لابد وأنها ستستفيد ... فالخليقة العاقلة قد خُلقت بدون خطيَّة، غير أنها انحرفت نحو الشر فلهذا فقد أعاد تشكليها بتقديسها لتكون علي شكل خالقها. لأن خالق الكل هو قدوس ولهذا فهو يقول* «تكونون قديسين لأني قدوس الرب إلهكم][٣٩٩].

ويري ق. كيرلس دور كل من الإبن والروح القدس في عملية تجديدنا

---

[٣٩٥] يو١٥: ٢٦.

[٣٩٦] انظر ص٢٨٣.

[٣٩٧] انظر ص٢٨٥-٢٨٦.

[٣٩٨] انظر ص٢٨٦.

[٣٩٩] انظر ص٢٨٧-٢٨٨.

وتقديسنا لنكون مشابهين صورة الإبن فيقول: [*نحن أيضًا قد خُلقنا علي صورة الله وكشبهه. غير أن ما يمنحنا هذه الصورة الإلهية هو ـ بالتأكيد ـ التقديس باشتراكنا في الإبن عن طريق الروح القدس*][400].

ويصف فعل الإبن الخلاصي لأجل البشرية فيقول [*لأنه عندما انزلقت الطبيعة البشرية نحو الخطية وشوهت صورتها الرائعة تجدَّدنا مَرة أخري علي الصورة التي كنا عليها في البداية وأُعطينا بواسطة الروح القدس أن نكون مشابهين صورة الخالق اي الإبن الذي بواسطته خَلقَ الآب كل شيء*][401].

وللتأكيد علي هذا التعليم نجده يستعين بما سجلّه ق. بولس في رسالته إلي أهل غلاطية عندما كتب قائلاً «*يَاأَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ*»[402]. ويدرك ق. كيرلس عمل الروح القدس في كيفيَّة أن يتصوّر المسيح فينا فيقول [*إن تلك العملية هي التي يرسمها الروح القدس داخل نفوسنا*][403] وهو يسترشد هنا بقول بولس الرسول أيضًا «وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ»[404].

**٤. لأَنَّ الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهَذَا السَّبَبِ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً، قَائِلاً: «أُخَبِّرُ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ»[405].**

يري ق. كيرلس في قول ق. بولس هذا [إن الإبن يُقدس ويَتقدَّس لأنه صار إنسانًا فالكلمة كونه هو الله فهو يُقدس كما ان الإبن المتجسِّد قد قبَلَ التقديس في طبيعته البشرية من أجلنا ومن أجل خلاصنا إذن فهو ذاته يُقدِّس لأنه هو قدوس حسب طبيعته، لأنه هو الله. غير أنه يَتقدَّس معنا بحسب طبيعته

[400] انظر ص٢٨٨.

[401] انظر ص٢٨٨.

[402] غلا ٤: ١٩.

[403] انظر ص٢٨٨.

[404] انظر ص٣٠٢.

[405] عب ٢: ١١-١٢.

البشرية، عندما اتخذ طبيعتنا البشرية عينها، ولهذا يقال عنه إنه تَقدَّس بحسب هذه الطبيعة وبالرغم من أنه هو ضابط الكلّ وهو الله، إلاَّ إنه لا يخجل من أن يدعونا أخوته][٤٠٦].

**٥. «لاَأَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ»[٤٠٧]**

لقد عمل المعاندين علي محاربة الإبن، كلمة الله وإنكار الوهيته، مدّعين هكذا، أنه قد قَبِل التقديس كعطيَّة له من الخارج حيث إنه لا يملك التقديس في ذاته، وإنه قد تَقَدَس مثل باقي البشر بواسطة الروح القدس والذي يعتبره المعاندون إنه إله. وبالتالي فهو يتفوّق ويسمو ويعلو عن الإبن ويختلف عنه في الطبيعة. فيقول ق. كيرلس: [*الإبن- وفقًا لكلامهم- قد تَقدَّس بواسطة الروح القدس، وإنه مُسِحَ عن طريق مَنْ هو اسمي وأرفع مَنْ هو مختلف عنه في الطبيعة*][٤٠٨].

وعلي عكس ما يروج له المعاندون، فإن ق. كيرلس يري في قول المسيح له المجد للتلاميذ «لا أترككم يتامى أني آتي إليكم» دليلاً واضحًا علي الوهيته، وذلك بإيضاح أن عمل الإبن- الذي ينكر المخالفون إلوهيته- فينا لا يَقْل عن عمل الروح القدس، لذلك يتساءل مستنكرًا تفكيرهم هذا ويقول [*وكيف إذن يأتي الإبن ويسكن فينا بواسطة الروح القدس؟ وكيف يُفعّل مَن هو اسمي (أي الروح القدس) علاقة شركتنا مع مَنْ هو أقل (أي الإبن) ومن خلاله (أي من خلال الروح القدس)؟. وكيف يكون الإبن أقل من الروح القدس؟ أو كيف يكون الروح القدس اسمي منه وهو القادر أن يفعل ما يفعله الروح. وأيضًا هو (الإبن) قادر أن يشركنا فيه؟» لأن الإبن قد قال بالحقيقة «لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ» لأنه بعد أن قام من بين الأموات وصعد إلي الآب، فإنه يوجد في داخلنا عن طريق الروح القدس. إذ أن الروح القدس هو روحه ولم يأت له من خارجه، كما هو الحادث في حالة روح الإنسان*][٤٠٩].

[٤٠٦] انظر ص٢٩٠.

[٤٠٧] يوحنا١٤: ١٨.

[٤٠٨] انظر ص٢٩٢.

[٤٠٩] انظر ص٢٩٣.

٥. " تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ:«أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ. أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلاَمَكَ. وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ»[٤١٠].

لقد صلَّي المسيح له المجد، قبل صلبه مباشرة صلاة للآب السماوي عبرَّ فيها عن عمله الخلاصي الذي أتمَّه من أجلنا ومن أجل خلاصنا، فبكونه الإبن الوحيد لله الآب وهو واحد معه في الجوهر فقد وهبنا الحياة وعرّفنا الإله الحق.

غير ان المعاندين - [*وقد تعوَّدوا علي قلب الحقائق*][٤١١] قد اتخذوا هذه دليلاً علي صحة ما نادوا به بأن الإبن ليس هو واحد مع الآب في الجوهر وبالتالي فإن طبيعته ليست مثل طبيعة الآب وإلاّ ما الداعي - حسب قولهم - لطلب الإبن من الآب أن يُمجدّه، أو [*أن يُظهر الإبن الذي هو الله حسب قولكم أن طبيعته ينقصها المجد والمُلك والسُلطة*][٤١٢].

ولم يكتف هؤلاء المعاندون بصلاة يسوع للآب واستغلال التفسير الخاطئ لها في محاولتهم لانكار الوهيه الإبن، بل حرّفوا أيضًا ما قاله ق. بولس الرسول «*فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا ، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا*»[٤١٣]، حيث شددّوا علي أن الفعل «جعل»[٤١٤] في هذه الآية يعني أن المسيح لم يكن ربًا بالطبيعة، لهذا فإن الله قد «جعله» ربًا، ويقولون «هل تحققت إذن من أن الآب يعطي الإبن دائمًا المجد والسلطة الإلهية وأن الإبن يقبل

---

[٤١٠] يوحنا ١٧ :١-٨.

[٤١١] انظر ص٣٠٠.

[٤١٢] انظر ص٢٩٤.

[٤١٣] أع ٢:٣٦.

[٤١٤] وأيضًا الفعل "أعطي" في يو١٧:٧.

هذا بكل فرح؟»[٤١٥].

ويضع ق. كيرلس يده علي السبب الذي يؤدي إلي الفهم الخاطئ لمثل هذه الآيات والأحداث من قبل المعاندين فيقول أنهم [*يتحاشون اعتبار الوقت الذي تشير إليه كل من هذه الأحداث، كما لو كانت معرفة هذا الوقت غير مفيدة بالنسبة لنا، وهكذا يُظهِرون جنون تفكيرهم وأقوالهم. لأنه لو أن الكلمة لم يصر إنسانًا، ولو أنه لم يحلَّ بيننا، لكان من الممكن أن نتغاضي عن اعتبار الوقت والدقة في رصد الأحداث، غير مبالين بأزمنة ما قيل عن الإبن الوحيد. مثل حديثهم عن الإبن الذي هو بهاء مجد الآب والذي به خَلقَ الآب كل شيء والشريك في الربوبية معه غير المرئي وغير الملموس وقولهم إنه تألم حسب طبيعته وقَبِلَ الجلد علي ظهره وجراحات المسامير في يدَيه ورجلَيه والحربة في جنبه وإنه قَبِلَ الموت الذي هو أكثر الأمور شرًّا*][٤١٦].

وهنا يُعطي ق.كيرلس التفسير الصحيح والمعني الخلاصي العميق لصلاة المسيح وطلبهُ المجد من الآب فيقول: [*صحيح يا صديقي، وسأتفق معك. فعندما صار إنسانًا ـ مع إنه هو حكمة وقوّة الآب ـ فقد دَحَرَ الموت بنفسه وأحيا جسده بحياته، أي أنه أعطي الحياة للطبيعة (البشرية) التي صارت ـ بطريقة ما ـ طبيعة خاصة بأقنومه. لأن القدرة علي أعطاء الحياة وعلي إظهار الجسد الترابي أنه يعلو علي الموت، حتى لو كان جسد يسوع، طالما يدعي جسد، هذه القدرة لا تخص أي من المخلوقات التي جاءت إلي الوجود، إلاَّ فقط الطبيعة الإلهية. لكن يمكن للمرء أن يري وبكل سهولة كيف أن الإبن قد أقام جسده، علي الرغم من أنه يقال إن الآب قد وهبه هذه القيامة وذلك من خلال قول الرسول بطرس عن الآب «أَنْتُمُ الَّذِينَ بِهِ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْدًا، حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ" ومن خلال قول الإبن نفسه لليهود" انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ". لأنه كإنسان، فقد مات بالجسد مع أنه بكونه هو الله فهو الحياة حسب الطبيعة، وقد قام من الأموات بقدرة غير موصوفة وفعل لا يُعبرَّ عنه، مع إنه كان مثلنا من حيث طبيعته البشرية*

[٤١٥] انظر ص٢٩٤.

[٤١٦] انظر ص٢٩٥.

وبالتالي فهو يُمجَّد بالتأكيد من الآب، ليس وهو خارج الجسد. ونؤمن به كونه هو إله من إله، لأنه ليس هو في احتياج لهذا المجد، لكن عندما صار إنسانًا وكإنسان لا يملك ـ حسب طبيعته ـ القدرة علي مثل تلك الأفعال اللائقة بالله، فإنه قبل ـ وبطريقة ما ـ هذه القدرة وهذه المعونة التي لا يُعبرَّ عنها، والتي يمكن أن تُفهم علي أنها معونة من الكلمة للطبيعة البشرية. غير إن الإبن يُمجِّدَ الآب لأنه هو آب كلّي القدرة حتى ولو كان الإبن قد تَجسَّد ونشأ في العالم بين الناس. لأنه لهذا قال: «أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ» وكأنه يقول: «أيها الآب، أنت أردت أن تبطل سلطان الموت الصارم، غير إن هذا العمل لا يستطيع إنسان أن يتممه، لكن فقط طبيعتك المحيِّية غير المغلوبة، ولأني قد أتيت منها فلهذا قد نجحت في إتمام العمل الذي أردته أنت مني، لأني لم أفقد بالمرَّة القدرة علي إتمام الأعمال عينها التي تعملها أنت بنفس القدرة، بسبب أني اتخذت طبيعة بشريَّة. ومع إني إنسان لكن بسبب إني قد أتيت من جوهرك فإني أملك قدرتك عينها. إذن مجدَّني أنت لأني إنا كإنسان ليس لي مجد، إلاّ أن لِي قدرتك وفعلك المحييَّ وأظهرت الهيكل (الجسد) المتحد أنا به ـ وبطريقة لا توصف ـ أنه يعلو الموت». ويمكن أن نتبيّن بوضوح أنه لم يطلب أن يأخذ مجدًا وكرامة لم يملكهما من قبل، لأنه قال للآب «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ». لأن الرَّب كان له المجد الدائم منذ الأزل، لكنه أخلي ذاته من هذا المجد عندما تنازل إلي مستوي بشريَّتنا، وهو الآن يسترد مجده الذي له منذ الأزل حسب طبيعته. مُعَبِّرًا بكلمات عن عملية الأخلاء وما صاحبها من آلام ناسبًا إياها لتدبير التجسد. ومن الضروري جدًا إذن أن نعرف الفترة الزمنَّية التي وقعت فيها أحداث التجسُّد والإخلاء، والوقت السابق لتجسُّده والذي يَظهُر فيه بكونه هو رب المجد الذي لم يطلب فيه أن يتمجَّد لأن المجد كان له بكونه هو الله][٤١٧].

[٤١٧] انظر ص٢٩٦-٢٩٩.

٧. «**أما انا فقد مَسحَتُ مَلِكي علي صهيون جبل قدس**»[٤١٨].

استعان المعاندون ليس فقط بآيات من العهد الجديد وما قاله المسيح عن نفسه أو سجلَّه البشرين عنه، لكن أيضًا بما نطق به الرب علي لسان الأنبياء في العهد القديم، كل هذا استخدموه بعد ان حرّفوا معناه لتعضيد أفكارهم الخاطئة واعتقادهم بأن طبيعة الإبن ليست مثل طبيعة الآب وبالتالي هو ليس ربَّ ومُلك وأيضًا ليس هو مجد الآب فيقولون «لو كان الإبن هو مجد الله الآب بالفعل، سيجب أن يكون حسب الطبيعة هو رب وملك الكل مثله مثل الآب تمامًا وليس بأي طريقة أخري». لكن لماذا، إذن يقول أيضًا علي لسان المرنم «*أما انا فقد مَسَحتُ ملكي علي صهيون جبل قدسي*» والتلميذ الحكيم يؤكد لنا *أنه قد صار ربًا وانه قد مُسِحَ*»[٤١٩].

وفي رده علي هذه الأفكار وإيضاحه لمعني هذه الآية وشرحه لإيمان الكنيسة في شخص الإبن كلمة الله الآب وعمله الخلاصي من أجل البشرية، والذي أتمه عندما صار جسدًا وشابهنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها، استخدم ق. كيرلس ما جاء في رسالة فيلبي وتعليم بولس الرسول عن عملية الإخلاء وقوله إن المسيح «أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ»[٤٢٠]، وذلك لكي يشدِّد علي أمرين أولهما: إن الإبن حال تجسُّده لم يفقد شيئًا من خواص طبيعته الإلهية، بل أنه وبإرادته تنازل ولم يتخلّ عن مجده وثانيهما: إننا ومن خلال عمله الإلهي هذا نلنا نصيبًا في القيامة وميراث الحياة الأبدية، مبرهنًا بهذا علي الوهيته ومساواته للآب في الجوهر فيقول ق. كيرلس إنه [*من الضروري أن نعي أن (اقنوم) الكلمة المولود من الله، لم يكن له شكل العبد ـ قبلَ تَجسُّده، لكنه كان في حالة السيادة والسمو وفق طبيعته. وبسبب محبته للبشر لم يَرِدْ أن يظهر هكذا فاتخذ شكل العبد، وكما صار بإرادته لأجلنا في هذا الوضع غير الطبيعي، هكذا لابد أن نكون له شاكرين علي ما فعله من أمور تفوق طبيعتنا لأنه تنازل وتذّلل، لا لكي يظهر أنه بتواضعه*

---

[٤١٨] مز٢:٦(س).

[٤١٩] انظر ص٣٠٣.

[٤٢٠] فيلي ٢:٧.

كان يجب أن يتخلَّى عن مجده الذاتي، لكن كي نستطيع نحن الذين وُجدنا في ضعف ومطروحين في أسفل الأرض، أن نصعد بواسطته إلي أعلي. لأن مَنْ هو أسفل لا يستطيع إطلاقًا أن يُجبر مَنْ هو أعلي، لكن علي العكس مَنْ هو أسفل بما لا يقارن يتبع مَنْ يغلب ويسمو. وبالتالي فمن الجهل العظيم أن يُظَّنْ أنه كان مُجبرًا بسبب حالتنا، أن يبقي هنا معنا ولأجلنا. بل علي العكس فمن الحكمة والحق أن نفكر ونقول إن كل ازدراء سيتحوَّل إلي بهاء لا يوصف وسيُهزَم من المجد الفائق السمو. لأنه كما أنه قد ذاق الموت بالجسَّد، بسبب أن الجسد كان خاضعًا للموت مع أنه (الإبن) هو بطبيعته الحياة، وإنه قد أقام الجسد إلي حالته الأولي ودون أن تتأثر طبيعته (الإلهية) إطلاقًا، بل بالحري فإنه حطَّم سلطان الموت، هكذا نقول إنه حسب التدبير قد صار في شكل العبد. لكن لأنه هو الله حسب الطبيعة، وهو الربُّ فإنه أوقف ما كان مسبَّبًا للحزن وهكذا تلاشي خزي العبودية، وصار مهزومًا أمام مجده الأسنى. وبالتالي لو كان قد بقي بين الأموات كإنسان لكان استمر بين العبيد، لكن بما أنه صعد وإرتفع إلي حالته الأولي، أعني الحياة، بعد أن أعطي - بحسب التدبيز - الموت الأنطباع بأنه (أي الموت) قد انتصر، فإنه من الواضح أنه سيكمل عمله بمعني أنه سيظُهِر سيادته وسلطانه. بعد أن سمح - ولو لوقت قصير - لتدبير إخلائه أن يكون هو الغالب، حسب قانون العبودية. وهكذا بينما هو مساوٍ للآب في المجد وشريكه في العرش، وهو إله من إله، فمع هذا يَظهر وبطريقة ما أنه قد إرتفع لأول مرَّة إلي ذلك المجد الفائق والأسمي. ولذلك دعاه الآب قائلاً: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ». لأن الطاعة التي جعلتها الطبيعة الإلهية غير الموصوفة وكأنها خاصة بها، قد صارت بالفعل تحت قدمَّي مخلِّصنا، الذي كان لا يفعل شيئًا كإنسان ولا كانت لديه القدرة علي التغَّلب علي الصعاب لأنه قد صار جسدًا، لكن لأنه قد زان طبيعته البشَّرية بظهورات طبيعته الإلهية الفائقة. وحينما صار الإبن الوحيد جليسًا علي عرش الربوبية بدون إن يتخلَّى عن جسده، فإنه سيُخضع عن طريق الآب، كل الخليقة. لأن كل ما يفعله الآب يفعله الإبن بالقطع، وما يقال إن الإبن يفعله، يفعله الآب بكل تأكيد

*وذلك لأن كل الأشياء تتم من خلالهما علي التساوي. لأن الآب إذ له الإرادة والفعل يتمم كل شيء بالإبن عن طريق الروح القدس]* [٤٢١].

٨ «مَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ»[٤٢٢].

ركزّ المعاندون هجومهم علي الوهية الإبن بإدعاء أن ما يخص الإبن قد ناله كهبه وعطية، وذلك باعتبار أنه غير مساوٍ للآب في الجوهر - حسب فكرهم - حتي أنهم ذهبوا إلي اعتبار أن مجد الإبن هو منحة وعطية أيضًا، وهنا يقوّم ق. كيرلس هذه المفاهيم الخاطئة مستعينًا بما جاء في سفر إشعياء وقول الرب *«وَمَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ»، ويعلق علي كلام المعاندين بقوله [كيف لا يكون هذا الكلام هو هراء وتملّق بدون محتوي إذ أن الله الآب يقول بكل وضوح «وَمَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ» ولا حتي كان سيسمح لأي من الكائنات وبالحري المختلفة عنه وأعني المختلفة في الجوهر عنه، أن تشاركه جلال عظمة الوهيته. وفي أي أمر تكمن هذه العظمة إن لم تكن تتفوق في المجد. إلي الحّد الذي لا يقارن مع الطبيعة المخلوقة؟ أم أنه ليس من الضروري أن تفكر أن مجد الإلوهة لا يمكن الأقتراب منه أو الدخول إليه؟]* [٤٢٣].

وتتضح المساواة في المجد للآب والإبن في ربوبية الإبن وفي تمجيد الملائكة وخدمتهم له، وفي سلطانه علي كل الخليقة. فيقول ق. كيرلس *[إن إشعياء النبي يقول إن مجد الإبن ليس أقلّ من هذا المجد إذ يذكر «رأيت السيد جالسًا علي كرسي عالٍ ومرتفع ومجده يملأ الهيكل. السرافيم* واقف ونحو له لكلً واحد ستة أجنحة. بإثنين يغطوّن أرجلهم وبأثنين يطيرون، والواحد يصرخ للآخر، بنشيد قدوس قدوس قدوس، في البداية الواحد قباله الواحد منهم في صوت خفيض، ثم في صوت واحد مهيمن. ألاَ تعتقد إذن أن للإبن نفس المجد؟ لأنه إن كان له العرش المرتفع الواحد ونفس السمو وحوله تقف القوات السمائية التي تمثل خضوع وعبودية كل الخلائق له، مؤكدة مجد وسلطان

---

[٤٢١] انظر ص٣٠٤-٣٠٦.

[٤٢٢] إشعياء ٤٢: ٨.

[٤٢٣] انظر ص٣٠٧.

ذلك الجالس علي العرش. فهل هنا مجال للتردد، أوكيف يمكن أن يكون هناك شك أن الجهل قد تفشي إلي الحد الذي يُعتقد فيه إن الإبن لايتحلّى بالربوبية، بحسب الطبيعة مثل الآب تمامًا؟][424]

وفي قول الإبن لليهود: «فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ»[425]، يري ق. كيرلس دليلاً واضحًا علي خدمة الملائكة للإبن وسلطانه عليهم فيقول [*أي سيأتي في الوقت المناسب ليجازي كل واحد حسب أعماله، غير أننا نقول إنه لن يأتِ ومعه غرباء يفتخر برفقتهم إياه بل سيأتي ومعه الملائكة الذين يخدمونه إذ هم بالفعل تحت سلطانه ومُلكه*][426].

ويدّلل ق. كيرلس علي ربوبية الإبن ومُلكه وسلطانه ليس علي الملائكة فقط بل علي كل الخلائق العاقلة في العالم، بما جاء علي لسان المسيح في حديثه مع اليهود قائلاً «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي» فيقول: [*إن الإبن يقول إن كل الخلائق العاقلة في العالم هي مِلْك له، وذلك عندما يقول للآب عن كل من آمن به من شعب إسرائيل «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي» وعن مَنْ لم يؤمن به بعد يقول «وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هذِهِ الْحَظِيرَةِ» وبالتالي فمن السهل علينا أن نثبت بشواهد عديدة أن الإبن يُمجَّد من الآب كونه إنسانًا مع أنه هو ربُّ المجد وهو شريك عرش الآب والجليس معه دائمًا. أما هؤلاء الذين يدعون أن مجد الإبن هو مجد مكتسب والذين يقولون إن سلطانه ومُلكه علي كل الخليقة هو مستمد من خارجه فمن الصعب بل من المستحيل أن يتخّلوا عن عارهم وأن يهربوا من الدينونة*][427].

---

[424] انظر ص٣٠٧.

[425] مت١٦:٢٧.

[426] انظر ص٣٠٨-٣٠٩.

[427] انظر ص٣٠٩.

٩- + «كُرْسِيُّكَ يَاأَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ»[٤٢٨].

+ «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيماً، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ».

+ «إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضاً مَعَهُ».

مَثَّل موضوع تسليم الإبن الملك للآب وتحريف المعاندين للمعني الحقيقي له كما ذكره الرسول بولس (١كو١٥: ٢٢-٢٦)، مادة خصبه في أدبيات الهراطقة وكتاباتهم. ولقد تعرَّض كثير من آباء الكنيسة لمواجهة هذا الموضوع وشرحه شرحًا وافيًا، ومنهم القديس أثناسيوس والقديس غريغوريوس النيسي. وهنا نجد ق. كيرلس يتابع شرح مَنْ سبقوه مدافعًا عن الوهيه الإبن وأزليَّه مُلكه، أو كما نذكر في قانون الإيمان عن الإبن «الذي ليس لملكه إنقضاء» ويستخدم هذه الآيات[٤٢٩] لتقديم شرحه مبيِّنًا أن شركة القديسين في هذا المُلك كهبة مُعطاة لهم، هي أوضح دليل علي أزليَّة مُلكه فيقول: [*لكن كيف لا يكون الأمر الذي يجعل من وشايتهم المملؤه بالجهل، مثالاً حيًّاً للهذيان؟ لأنه لا يليق بأي شخص آخر سوي المسيح أن يكون له المُلك والسلطان علي الكلّ. ومُلكه ليس هو عطية تمنح له من الخارج مثلما يحدث معنا، لأن مُلكه هو حسب طبيعته أما نحن «إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضًا مَعَهُ»*[٤٣٠] *كما هو مكتوب. إذن فهو له السلطة أن يملك أما نحن فقد كُرمِّنا بالتَّبني كي نكون شاكرين له بطريقة ما. بمعني أن القديسين سيملكون مع المسيح الذي سيملك علي الكل. وحينئذ كيف ستكون كرامة هذا السلطان غير متزعزعه وكيف سيملكون للأبد إن كان سلطان المسيح الذي يقولون انهم سيشتركون فيه، سيتزعزع في وقت ما وسينتهي؟ وإن كان مَنْ يمنح هذا السلطان لهم قد توقف عن ممارسة سلطته، فإين يكمن مُلكهم وسلطانهم؟ وما هو الأساس التي*

[٤٢٨] عب١: ٨.

[٤٢٩] وبخلاف هذه الآيات المذكور وبعاليه يستشهد أيضًا بما جاء في دانيال ٢: ٤٤، ٧: ١٣-١٤ انظر ص٣١٧

[٤٣٠] ٢تيمو٢: ١٢.

*ستُبني عليه شركتهم إن كان مَنْ قد دعاهم للمُلك غير قادر أن يهبهم هذا المُلك ؟ أم أنه من غير الضروري أن يسقط مَنْ يَدعمون مع مَنْ يُدعمون أو أن تهدم الأدوار العليا مع سقوط الأساسات إذن ـ كما يقولون ـ عندما تتزعزع أسس المجد والسعادة فحينئذ سيؤل رجاء القديسين إلي الخزي والعار]*[431].

١٠ + «أَلَيْسَ لِهذَا تَضِلُّونَ،إِذْ لاَتَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللهِ؟».

+ «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ،وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ».

أمر آخر ركزّ عليه المعاندون في هجومهم علي الابن وإنكار الوهيته، هو أن الابن يستمد قوته وقدرته علي العمل من الآب. فهم لا يؤمنون بإنه واحد مع الآب في الجوهر وبالتالي ينكرون عليه قوته الإلهية الذاتية في القدرة والفعل ويروّجون انه يستمد هذه القوة من الآب، معتمدين كعادتهم علي تحريف الآيات مثل *"فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُم:«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ. (يو٥ :١٩) وأيضا «أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي»* (يو٥ :٣٠).

ويرَّد ق. كيرلس علي هذه الشكوك بقوله *[إن كلام المعاندين الوقح،يَظن أن الإبن الذي وُلِدَمن الآب تنقصه القوَّة التي تلائم الله وأنه بالفعل غير قادرعلي العمل بل وضعيف. ويمكن بسهولة أن نرُّد نحن علي هذا الكلام وأيضًا يمكن للمسيح نفسه أن يرُّد بكلامه عليهم فهو يقول: «أَلَيْسَ لِهذَا تَضِلُّونَ، إِذ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللهِ»*[432]*،لأنه كما أنه هو صورة الآب وهو الحكمة والمجد وهو شعاع مجده وهو الختم،فهكذا أيضًا يمكن أن يُدرك علي أنه هو القوَّة التي خُلِقَ بها كل ما كان وما سيكون لأنه مكتوب" كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ،وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ"*[433]. *بمعني أنه مثلما يصنع هؤلاء الذين*

[431] انظر ص٣١٢.

[432] مرقس١٢ :٢٤.

[433] يو١ :٣.

*يتقنون العمل اليدوي بالنحاس أوالأحجار، كل مشغولاتهم بأيديهم وخبرتهم الفائقة وليس بأي آله أخري، فكهذا. علي ما أعتقد فإن الله الآب يخلق ما يريد بقوَّة الإبن كما لو كانت قوَّته الذاتية. لهذا فإن داودالطوباوي إذ هو مُدرِك أن الإبن هو القوَّة الذاتية للآب فإنه يرجوه قائلاً «الله مُرْ قوتك، القوة التي من أجلنا أعملتها»[434] كما أن ق. بولس الحكيم جدًا قد دعا المسيح قائلاً إنه «فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ»]*[435].

وفي موضع آخر يُثبت الوهية الإبن من خلال فعله الخلاصي وما أتمَّه في الخليقة حين تجسَّد فيقول *[إن الإبن ذاته هو قوَّة الله الآب، وفورًا نستكمل قائلين إنه به ومعه خَلَقَ. بطريقة غير موصوفة. كل شيء، أي بَسَطَ السماء وكل ما فيها وأسس الأرض وكل ما عليها، كما أنه صنع ملائكته أرواحًا وخدامه لهيب نار ملتهبة*[436]*. لكن عندما تعهَّد الإبن الوحيد. برضي الآب. أن يُخلِّص كل المسكونة، فصار مَنْ هو قوَّة ومجد الآب، إنسانًا مَنح الحياة للأموات وأقام من القبور الذين قد ذاقوا الموت وطَرد الأرواح النجسة من البشر وأعطي نورًا وبصرًا للعميان وأجري معجزات شبيهه، لها نفس القوة، بسلطان يليق بالله]*[437].

وأخيرًا يُعبرّ ق. كيرلس عن إيمانه بتمايز أقانيم الثالوث ووحدة عملهم وطبيعتهم فيقول *[عندما يريد الله الآب أن يفعل شيئًا في الخليقة فإن الإبن لا يكون غير فعَّال، ولا حتي إن فعل الإبن شيئًا لا يكون الآب خاملاً، وذلك لأن الله واحد والخالق واحد. لأن كل أقنوم يُدرَك في الآخر ولهم طبيعة واحدة وجوهر واحد حتي وإن كان يُدرك أنهم ثلاث أقانيم متمايزة ولكل أقنوم خصائصه الذاتية]*[438].

---

[434] مز٦٨: ٢٩ (س).

[435] انظر ص٣١٧-٣١٨

[436] انظر مز١٠٤: ٤.

[437] انظر ص٣١٩-٣٢٠.

[438] انظر ص٣٢٥.

١١- +**«لأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ فَيُعَلِّمَهُ»**[٤٣٩].

+**«وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ»**[٤٤٠].

+ **«أنا حي يقول الرب. إنه لي ستجثو كل ركبة وكل لسان سيمجد الله»**[٤٤١].

استخدم ق. كيرلس هذه الآيات من العهدين وذلك لتوضيح المعني الصحيح لها وإعطاء التفسير القويم الذي يُعطي للإبن مكانته في آية قد أساء المعاندون استخدامها ووردت في حديث المسيح له المجد مع تلاميذه عند سؤالهم له عن اليوم الأخير فأجابهم قائلاً: «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ إلاَّ الآبُ»[٤٤٢]. فعلي خلفيّة إنكارهم لالوهية الإبن، نسبوا له أفعالاً مثل عدم المعرفة والسجود علي أنها أفعالاً لا تليق بالله، مع أنها تشير بالحري إلي طبيعة البشرية وليس إلي طبيعة الكلمة إذ هو الله، لهذا اجتهد ق. كيرلس في إيضاح «سرَّ المسيح»، فكتب يقول [*فخصائص الطبيعة البشَّرية مقترنة ومتحدة بالطبيعة الإلهية وهي محكومة بنير العبودية والطاعة والسجود وإنها لا تعرف ما هي إرادة وفكر الله. لأنه يقول «لأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ فَيُعَلِّمَهُ؟». وهكذا لأن الكلمة قد صار مثلنا . وأعتقد أنهم لا يقدرون أن يقولوا إنه كفَّ علي أن يكون هو الكلمة . إذ قد اتخذ جسدًا أرضيًا وحيث إنه قد اتخذ ما هو بشري جاعلاً إياه جسده الخاص، فلا يوجد ما يمنعنا من أن نقول إنه قد صار له بحسب التدبير كلَّ ما لهذه الطبيعة البشَّرية. وهذا ما يحتِّمه معني الإخلاء. وبالتالي فإما أن يتعرَّي الكلمة تمامًا من جسده وما يتعلَّق به، ويُبطل تمامًا عملية التدبير، وحينئذ يَروهُ إلَهًا فقط، أو أن رأوا أن هذا الحديث يسبب الفزع إذ أنه يتصف بعدم التقوي وعدم اللياقة، فلأي سبب يخجلون من قوانين الطبيعة البشَّرية ويدينون المسيح علي فعله تلك الأمور التي تناسب تدبير تجسُّده؟ مع أنه كان من الواجب*

[٤٣٩] انظر ١كو١٦:٢.

[٤٤٠] انظر عب١:٦.

[٤٤١] انظر إش٤٥:٢٣-٢٤.

[٤٤٢] انظر ص٣٢٩.

أن يفكروا بحكمة أنه بكونه هو إله وقد أتي من إله فقد خصَّص لذاته ما للطبيعة البشرِّية وهكذا فعندما صار إنسانًا فقد حفظ لنفسه الكرامة والمجد اللذان يخصان الله. فهو يُسجَد له ليس في الأرض فقط بل وفي السموات. مع أنه لم يعتبر أن في سجوده كإنسان يهودي ما يقلّل من كرامته أو هو أمر مهين. لأنه قال «وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ:«وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ»][٤٤٣].

وفي موضع آخر يستكمل تعليمه قائلاً: [إذن لو أنه في ذاته أقل وفي نفس الوقت يوجد بين هؤلاء الذين لهم وضع أعلي لا يقارن، فحينئذ ستقَبل وبكل احترام. طبيعته البشرَّية ما هو أقل كي يلائمها، طالما أن طبيعة الإنسان هي أدني بكثير من طبيعة الملائكة. أما الطبيعة الإلهية التي تفوق الكل فسنقلدها بكل ما هو أرفع من كل المخلوقات حيث إن جوهره هو أعلي من أي جوهر عاقل ومن كل اسم يمكن أن يوجد. إذن لو أن الكلمة غير المتجسِّد وقبل أن يتخذ ما لنا، وُجِدَ بين الكائنات الأقل وبالطبع يكون مختلفًا عن الملائكة، فحينئذ سيكون أقل من مخلوقاته ذاتها (الملائكة)، وبالتالي سيكون أيضًا من بين الساجدين وسيكون الحديث بلا معني. ولو صدَّقنا وآمنا به سيكون هذا خطأ كبيرًا وأمر تنقصه التقوي. فيقال عنه أنه «أقل» (بحسب طبيعته البشرية) كونه إنسانًا، وحينئذ يبقي أن تفكر في الآتي: أي أنه صار من الساجدين لأنه صار إنسانًا مع أنه هو الله حسب الطبيعة ويُسجد له مع الآب بنفس الكرامة. لأن الله قال في موضع آخر بلسان أحد الأنبياء «أنا حي، يقول الرب. إنه لي ستجثو كل ركبة، وكل لسان سيحمد الله»[٤٤٤] كما أن ق. بولس وهو يؤمن إن الإبن واحد مع الآب في الجوهر وإن المولود له نفس مجد مَنْ ولده، كتب قائلاً: «لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ، لِمَجْدِ اللهِ الآبِ.»][٤٤٥].

[٤٤٣] انظر ص٣٣٢.

[٤٤٤] إشعياء ٤٥: ٢٣-٢٤. انظر رومية ١٤: ١١.

[٤٤٥] في ٢: ١٠-١١. أنظر ص ٣٣١.

وينهي تعليمه عن الوهيه الإبن في تلخيص شديد لمحتوي الحوار كله قائلاً [*إذن لا يجب أن نفكر بطريقة أخري، إن كنا نؤمن إيمانًا سليمًا، بل فقط نؤمن أنه حتي وإن كان يقال إنه إنسان مثلنا وإنه يجهل أمرًا ما، إلاّ أنه الإبن وهو الله الذي يَعرف كل ما للآب*][٤٤٦]. ثم يختم بالمجدَّله التي تؤكد هذه الحقيقة فيقول [*به ومعه يليق المجد للآب والروح القدس إلي أبد الآبدين*][٤٤٧].

**والحوار السابع والأخير** من هذه الحوارات حول الثالوث، يحمل عنوان «عن الروح القدس وإنه بطبيعته إله من إله» ويعكس هذا العنوان محاولة ق. كيرلس للدفاع عن ألوهية الروح القدس مثلما فعل في حواراته السابقة حيث دافع عن ألوهية الإبن.

ويستمر في هذا الحوار في مناقشة أفكار المعاندين من خلال الأسئلة الأفتراصية التى يضعها على لسان محاوره إرميا (حتى وإن كان إرميا لا يؤمن بها)، والإجابات التى يحاول فيها تفنيد تلك التعاليم والرِّد عليها.

وفي بداية حواره هذا وكعادته دائمًا، يرصد أفكار وتعاليم هؤلاء المعاندين ويصف ما يفعلونه بأنه [جريمة .... كبيرة غير محتملة] وأنهم بتعاليهم هذه [يخطئون ضد *المسيح*].

والملاحظ أنه مع وصف ق. كيرلس لما يعلّم به المعاندون ضد ألوهية الروح القدس إلاّ إنه يقول إنهم فيما يقومون به هم [يخطئون ضد *المسيح*] وهذا ليس مستغربًا لأن مَنْ يعرف الإبن سوف تكون له معرفة حقيقية عن الروح القدس، حسب ما سبق أ ن عبرَّ عنه ق. أثناسيوس بقوله: «مَنْ معرفتنا عن الإبن، يمكن أن تكون لنا معرفة حقيقية عن الروح، لأننا سنجد أن خصوصية الروح نحو الإبن هي مثل خصوصية الإبن نحو الآب»[٤٤٨]. وبالتالي فعندما يجهل هؤلاء المعاندون الإبن، ويخطئون ضد المسيح فلن تكون لديهم معرفة حقيقية عن الروح القدس. لذا يبدأ ق. كيرلس في رصد تعاليهم الخاطئة عن الروح القدس

---

[٤٤٦] انظر ص٣٣٨.

[٤٤٧] انظر ص٣٣٨.

[٤٤٨] الرسائل عن الروح القدس إلي الأسقف سرابيون. المرجع السابق ص١٠٩.

والتي تكشف عن جهلهم بربوبيتة وبمساواته للآب والإبن في الجوهر، والتى عبرّوا عنها من خلال أسئلتهم. وقد تجلّت هذه التعاليم فيما يلي:

١. روح الله مخلوق ومصنوع[٤٤٩].

٢. بالتأكيد الروح ليس هو الله[٤٥٠].

٣. الروح له مرتبة أقل من وضع الطبيعة الأسمى[٤٥١].

٤. إنه متميِّز في نوعه وله طبيعة خاصة[٤٥٢].

٥. إن طبيعته لا تنتمي للكمال الإسمى لكن لديها الإمتياز أن تكون في وضع أفضل كثير من ذلك الذي للمخلوقات[٤٥٣] .

٦. هل الروح هو واحد في الجوهر مع الآب والإبن؟ [٤٥٤]

٧. فإن كان من غير الممكن أن يُشترك في النار بغير نار فكيف يمكن للمرء أن يكون شريكًا في الطبيعة الإلهية[٤٥٥].

٨. الروح يعمل فينا لا بكونه هو الله بل كنعمة الله[٤٥٦].

٩. أن كان للروح الجوهر نفسه فلماذا لا نقول أنه هو الآب أو هو الإبن[٤٥٧]؟

١٠. ما هى طبيعة الروح القدس[٤٥٨]؟

١١. هل الروح القدس يتحلّى بخصائص الألوهية في طبيعته أم لمجرِّد أن له علاقة بالله[٤٥٩].

١٢. الروح ينقل للقديسين ما يأتي من قبل الله كخادم ينفذ الأوامر[٤٦٠].

[٤٤٩] انظر ص٣٤٠.

[٤٥٠] انظر ص٣٤٠.

[٤٥١] انظر ص٣٤٠.

[٤٥٢] انظر ص٣٤٠.

[٤٥٣] انظر ص٣٤١.

[٤٥٤] انظر ص٣٥٠.

[٤٥٥] انظر ص٣٥١.

[٤٥٦] انظر ص٣٥٢.

[٤٥٧] انظر ص٣٥٦.

[٤٥٨] انظر ص٣٥٧.

[٤٥٩] انظر ص٣٦٢.

[٤٦٠] انظر ص٣٦٦.

١٣. إقامة الأجساد في نهاية الزمان ليست من عمل قوّة الروح القدس[٤٦١].

١٤. فعل الروح القدس هو فعل مخلوق ومصنوع[٤٦٢].

١٥. الروح هو مُعطى الحياة لأنه يمنح الحياة التى يستمدها هو من الله، للمخلوقات لأنه ـ في الحقيقة ـ ليس هو الحياة[٤٦٣].

١٦. التقديس ليس من خصائص الروح القدس بل أنه يحصل عليه من الله وينقله فقط لباقي الخليقة[٤٦٤].

١٧. الروح يشترك في الإبن لأن المسيح قال عن نفسه «ذاك يمجدني في لأنه يأخذ مما يلي ويخبركم»[٤٦٥].

١٨. مَنْ بواسطته وبه تأتي الطبيعة الإلهية لتسكن في داخلنا هو ضمن الخلائق[٤٦٦].

١٩. الملائكة والبشر حكماء ويستطيعون أن يعطوا الحكمة للآخرين مثلما يفعل الروح القدس[٤٦٧].

ولقد عبرّ ق. كيرلس عن تقييمه لهذه الأفكار بل وصفها بعبارات مختلفة منها:

*[إن الأمر كله حجج باطلة مع أن ما يقولونه هو ما يفكرون فيه ويعتقدون به... لقد وصلت بهم الجرأة إلي حد لا يمكن التحكّم فيه مستخدمين السفاهة بشكل علّني وساخر]*[٤٦٨].

*[لكنا لن نستخدم تعاليم معلّميهم الذين أفسدوا عقولهم ولن نُعير انتباهنا لأفكارهم المضلّة]*[٤٦٩]، *[هم يعرضون ما يفكرون فيه بغباء وعدم تقوي*

[٤٦١] انظر ص٣٧٣.

[٤٦٢] انظر ص٣٧٢.

[٤٦٣] انظر ص٣٨١.

[٤٦٤] انظر ص٣٨٣.

[٤٦٥] انظر ص٣٨٣-٣٨٤.

[٤٦٦] انظر ص٣٨٥.

[٤٦٧] انظر ص٣٨٦.

[٤٦٨] انظر ص٣٤٠.

[٤٦٩] انظر ص٣٤٥.

*شديدين]*[٤٧٠].

بل أنه وصف هؤلاء بأن [*لديهم هذه الأفكار الطفولية والجامدة*][٤٧١] عن الروح القدس.

وتصل قناعته بالإيمان الذي تسلّمه ممن سبقوه من الآباء والتعاليم التي علّموا بها، ورفضه لكل ما يعلّم به المعاندين، إلي المجاهرة بأنه [*من المستحيل أن يصير هؤلاء مشرّعي قوانين أو أن يحكموا في الأمور التى هي أرفع من تفكيرهم وعقولهم، لأنهم وصلوا إلي حد كبير من الإنحراف حتى أنهم يعرّضون أمامنا ما يعتقدون أنه صواب على أنها أمورًا غير قابلة للمناقشة*][٤٧٢].

بل ويحذّر من خطوره عدم الإعترا ف بألوهية الروح القدس وتأثير ذلك على مسيرة إيماننا فيقول: [*إن لم نعترف إنه يليق بالروح بحسب جوهره عرش الألوهية الحقيقية، فحينئذ سنضّل الطريق ولن نعرف من أين أتينا وإلي أين نمضي وسيكون الأمر صعب الفهم والكلام عنه عسر لأنه في عدم الأعتراف بالروح القدس فإننا نشبه تمامًا من انحرف عن الطريق المعبَّد للعربات وفي ضلال ليس بأقل من الضلال القديم*][٤٧٣].

وفي معركته الروحيَّة هذه كان لابد له أن يستعد جيدًا ويجهِّز نفسه بالأسلحة المناسبة لذا نجده في بداية هذا الحوار يقول: [*فلمنطق أحقاؤنا ونستعد بقدر الأمكان، وبمجرَّد أن نلبس درع البر ونمسك بيدنا سيف الروح القاطع الذي هو كلمة الله، وأيضًا ترس الإيمان كما هو مكتوب فلنهجم بكل شجاعة على أكاذيب المعاندين الذين يشحذون لا عقولهم فقط بل وألسنتهم كي يهينوا الروح القدس نفسه ويسلبون عقول الناس الأضعف مبعدين إياهم عن المعرفة الأصيلة والحقيقية وملقين بهم في أعماق التهلكة كما أنهم يسكبوا في داخلهم سموم أفكارهم المتهوَّرة*][٤٧٤].

---

[٤٧٠] انظر ص٣٥٦.

[٤٧١] انظر ص٣٦٣.

[٤٧٢] انظر ص٣٨١.

[٤٧٣] انظر ص٣٤٤.

[٤٧٤] انظر ص٣٩٩.

وللرِّد على كلِّ هذه الآراء الخاطئة والأفكار المنحرفة التى يسوقها هؤلاء المعاندين يورد ق. كيرلس نصوصًا مناسبة من الكتاب المقدس بعهديه، وخصوصًا رسائل ق. بولس، ولقد عمل ق. كيرلس على إعطاء المعنى المستقيم لهذه الآيات وتفسيرها حسب إيمان وتقليد الكنيسة ومَنْ سبقوه من الآباء المعلِّمين، وأيضًا حسب ما كان قد سجلَّه من تفاسير لهذه الآيات في كتابه «الكنوز حول الثالوث» واستخدامها في سياقها الصحيح وإيضاح أبعادها اللاهوتية التى تؤكد ما عبَّر عنه عنوان هذا الحوار بأن [الروح القدس هو بطبيعته إله من إله].

هذا ويمكن تقسيم النص إلي عدَّة محاور تحت هذه العناوين.

١. موقف المعارضين: الروح القدس ليس إله.

٢. الروح القدس يحمل الأسم «إله».

٣. عمل الروح القدس في تقديسنا يثبت ألوهيته.

٤. اعتراضات كتابية والرد عليها.

*** عمل الروح القدس يشهد لألوهيته:**

يتابع ق. كيرلس في هذا الحوار، منهجه في عرض تعاليمه اللاهوتية وشرحه للبعد الخلاصي لها. بمعني أنه يدافع عن الوهية الروح القدس وعلاقته الأقنومية بالآب والإبن من خلال عمله في نفوس مَنْ يؤمنون به كرِّب وإله. فهو الذى يجدِّد طبيعتنا واهبًا لنا البنوَّة والقداسة والحرية والحكمة الإلهية، بل أنه يبرز حقيقة أنه إن لم يكن الروح القدس ربًا وإلهًا لما أستطاع أن يهبنا أن نكون شركاء الطبيعة الإلهية.

ودفاع ق. كيرلس عن الوهية الروح القدس، الأقنوم الثالث من أقانيم الثالوث هو دفاع عن الأقانيم الثلاث، كما سبق القول ولهذا فبالتركيز على عمل الروح القدس فينا كونه هو رب إله، تصبح عقيدة الثالوث الذى نؤمن به واقعًا حيًّا وملموسًا في حياتنا.

ولقد استعان ق. كيرلس في هذا الحوار بنصوص كتابية كثيرة ـ كما سبق القول ـ رأي فيها دليلاً واضحًا على ألوهية الروح القدس المنبثق من الآب والمعطي بالإبن، من خلال عمله الخلاصي فينا، إذ أن مَنْ يعمل فينا مثل هذه الأفعال الخلاصيَّة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون ـ بحسب طبيعته ـ هو إله من إله كما جاء في عنوان هذا الحوار، حتى ولو تصوَّر المعاندون أن ما يفعله الروح القدس فينا لا يملكه في ذاته بل ينقله من الله إلينا كخادم.

•

+ **إيمان واحد، ربٌّ واحد، معمودية واحدة:**

إدعى المعاندون أن الروح القدس مخلوق وبالتاليْ فهو لا يُعدَّ مع الآب والإبن ضمن الإيمان بألوهية واحدة تسمو على كل شيء، ويرد ق. كيرلس على هذا الإدعاء، باستدعاء قول المسيح له المجد لتلاميذه «*اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس*». ويربط ق. كيرلس بين ما قاله المسيح لتلاميذه وما جاء على لسان ق. بولس الرسول بأن لنا «*إيمان واحد. ورب واحد ومعمودية واحدة*» ويَخلُصُ من هذا بقوله إننا قد إعتمدنا علي أساس ألوهية واحدة وربوبية واحدة للآب والإبن والروح القدس دون أن نعبد ثلاثة آلهه.

وهذا الإيمان بالله الواحد والذي بحسب طبيعته هو الإله الحقيقي هو الذى جعلنا نتوقف عن عبادة الخليقة دون الخالق ولهذا السبب فإن [*خلاصنا هو موضوع فخرنا وسبب رجاؤنا*][٤٧٥]، ويشدَّد ق. كيرلس على علاقة هذا الإيمان وهذا الرجاء والفخر بضرورة الإعتراف بألوهية الروح القدس فيقول [*إن لم نعترف أنه يليق بالإلوهة الحقيقة، فحينئذ سنضَّل الطريق*][٤٧٦]، لأن المعرفة الحقيقية والتامة بالله تتطلَّب الإعتراف بألوهية الروح القدس ووحدته في الجوهر مع الآب والإبن، فيقول متسائلاً: [*كيف نكون قد عرفنا الله والذى هو حسب جوهره إله حقيقي إن لم نعتبر روح الآب (أي الروح القدس) هو مع الآب إله واحد*][٤٧٧].

---

[٤٧٥] انظر ص٣٤٤.

[٤٧٦] انظر ص٣٤٤.

[٤٧٧] انظر ص٣٤٤.

❖ **شركاء الطبيعة الإلهية:**

في إجابة ق. كيرلس على سؤال مباشر من إرميا «هل الروح القدس هو واحد في الجوهر مع الآب والإبن؟» بمعني هل هو الله أم لا، يستعين بما جاء رسالة بطرس الرسول (٤:٢) ليدلّل به على ألوهية الروح القدس من خلال عمله في المؤمنين فيقول: [*نعم طالما أن القديسين لا يستطيعوا أن يحصلوا على شركة الله بأي طريقة أخري إلاّ بواسطة الروح القدس لأنه بأي من الأثنين نصير شركاء الطبيعة الإلهية كما هو مكتوب، هل حسب طبيعتنا المخلوقة كعبيد، أم عن طريق شركتنا بالفعل وعلى قدر استطاعتنا. في الطبيعة الإلهية صائرين هكذا أبناء الله*][478].

❖ **«حَسَبَ الْكَلاَمِ الَّذِي عَاهَدْتُكُمْ بِهِ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، وَرُوحِي قَائِمٌ فِي وَسَطِكُمْ. لاَتَخَافُوا»**[479]

❖ **«بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ»** [480].

أمام أصرار المعاندين على إنكار الوهية الروح القدس واستطاعته أن يعمل في داخلنا عمل الله، يورد ق. كيرلس هاتين الآتين من العهد القديم والجديد ليؤكد على فعل الروح القدس في تقديس البشر كونه ربٌّ وإله إذ أنه هكذا يكون الله فينا وفي داخلنا عندما يسكن الروح فينا، فيقول معلّقًا على هاتين الآتين [*قل لي إذن بأي طريقة كان يوجد الله في القدماء عندما كان الروح في داخلهم؟ أو كيف يمكن أن يأتي في داخلنا نحن عندما يكون الروح ذاته في داخلنا*][481]. ويَخلُصُ إلي الحقيقة اللاهوتية لواقع عمل الروح فينا بقوله: [*لا يمكن أن يتحقق فينا وجود الله حسب طبيعته إن كان الروح مختلف عن الآب في الجوهر*][482].

---

[478] انظر ص٣٤٩.

[479] حج٢:٥.

[480] ١يو٤:١٣.

[481] انظر ص٣٥٠.

[482] انظر ص٣٥٠.

❖ «**وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً**» [٤٨٣].

❖ «**لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ**» [٤٨٤].

في محاولة المعاندين التنكر لألوهية الروح القدس. ادَّعو أنه يتمَّم عمله فينا بأن يختمنا بالبهاء الفائق راسمًا في داخلنا الصورة الإلهية، لا بكونه هو الله بل كنعمة الله الفائقة[٤٨٥].

غير أن ق. كيرلس ردَّ على هذا الاتهام الباطل مستعينًا بهاتين الآيتين من سفر التكوين ورسالة غلاطية، موضِّحًا أنه لو صح كلام المعاندين: [*إذن كان يجب أن يقال إن الإنسان خُلِقَ على صورة النعمة وليس على صورة الله*] وفسَّر آية سفر التكوين بقوله [*لأنه في البداية خُلِقَ الكائن الحيَّ الذي صنعه الله. وكرَّمه بطريقة ما عندما خَلَقَهُ بيديه، وعندما جاء إلي الوجود صار على صورة الله حيث إنه قد قَبلَ في داخله نفخة الحياة*][٤٨٦]، ويري ق. كيرلس أن هذه النعمة المحييَّة هى نعمة الروح القدس، تلك العطيَّة التى رفضها الإنسان ولذلك [*انعطف إلي الشر وعاد مرَّة أخري إلي وضعه القديم*][٤٨٧]، غير أنه عندما "جدّد المسيح تلك الصورة التى فسدت جاعلاً إياها إلهية وروحية استخدم الطريقة الأولي لأنه نفخ في وجوه تلاميذه القديسين قائلاً: [*اقبلوا الروح القدس*][٤٨٨]، وهنا يتساءل ق. كيرلس: إن كان الروح القدس ليس إله فكيف يجددًنا ويعيدنا إلي حياتنا الأولي فيقول: [*فهل يا ترى بإعادتنا إلى حياتنا الأولي وتجديدنا بواسطة المسيح، لا يجب علينا أن نقتنع بإننا نملك مرَّة أخرى أن نكون مشابهين الله؟، لأن هذا لن يتم فينا إن كان الروح القدس هو*

---

[٤٨٣] تك٢:٧.

[٤٨٤] أع١٧:٢٨.

[٤٨٥] انظر ص٣٥٢.

[٤٨٦] انظر ص٣٥٢.

[٤٨٧] انظر ص٣٥٢.

[٤٨٨] انظر ص٣٥٢.

مجرَّد *نعمة منفصلة عن جوهر وطبيعة الله*][489]، لذا يتابع ق. كيرلس دفاعه ويستشهد بما جاء في رساله ق. بولس إلي غلاطية ويتساءل فى استنكار قائلاً: [*أما لو كانت النعمة المعطاة بواسطة الروح القدس هى نعمة منفصلة عن جوهره، فحينئذ لماذا لم يقل موسى النبي إنه عندما أوجد الخالقُ، الكائنَ الحيَّ أى الإنسان أنه نفخ فيه النعمة مع نفخة الحياة، ولماذا لم يقل المسيح لنا «اقبلوا النعمة» التى أهبها لكم بعمل الروح ؟!*][490]. ويختم حديثه عن هذه النقطة مشددًا على أن الـــروح القدس هو «نفخة الحياة» أى هو روح الحـــياة الذي به نحيا ونتحرك، فيقول إن [*موسى قال «نفخة الحياة» و «لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَد*][491].

- **« يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ»**[492]
- **«لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ».**[493]

آيتين أخرتين من رسائل معلِّمنا بولس الرسول يرى ق. كيرلس فيهما دعمًا لتعليمه عن ألوهية الروح القدس من خلال عمله في داخلنا حيث إنه يهبنا أن نكون على صورة الله من خلال الإبن الذى هو ختم الآب فيقول إن الروح القدس [*سكن في نفوس أولئك الذين يؤمنون بالروح الحقيقي نفسه والذي بواسطته يقودهم إلي هيئتهم الأولي. بمعني أنه يجعلهم مشابهين له عندما يقدِّسهم وهكذا يعيدنا إلي صورتنا الأولي أى إلي حالة ختم الآب. ومن جهة الدقة في الوصف، وحدة الجوهر، فإن الإبن ذاته هو الختم الحقيقي، في الوقت نفسه فإن الروح القدس هو شبه واضح وطبيعي للإبن والذي نتغير نحن بالتقديس بواسطته أي لنأخذ صورة الله، وما يقنعنا حقًا هو كلام الرسول*

---

[489] انظر ص٣٥٣.

[490] انظر ص٣٥٤.

[491] انظر ص٣٥٤.

[492] غلا٤: ١٩.

[493] رو٨: ٢٩.

*بولس الذي يقول «يا أولادي الذين أتخمض بكم أيضًا إلى أن يتصور المسيح فيكم»* وهنا يرى ق. كيرلس أن هذا لن يحدث إلاّ *[عن طريق الروح القدس الذي يهبنا أن نكون على صورة الله عن طريقه]*[٤٩٤].

وينتهي ق. كيرلس إلى النتيجة الآتية *[وطالما أننا نأخذ صورة المسيح وهو يَرسمُ ذاته في داخلنا فنتغير عن طريق الروح الذى هو حسب الطبيعة شبيه به أذن الروح هو الله الذي يعطينا أن نكون على صورة الله]*[٤٩٥].

هذا ولقد عمل المعاندون على إتهام الروح القدس بأن النعمة التى يهبنا إياها ليست من ذاته بل هو مجرَّد ناقل لها وهي معطاة له من خارجه وبالتالي يكون ـ حسب رأيهم ـ ليس إلهًا.

وهنا أيضًا يرُّد ق. كيرلس على هذا الفكر الخاطيء مؤكدًا لمرَّة أخرى على عمل الروح القدس فينا الذى يثبت الوهيته، ونراه يتابع تعليمه موضحًا أن عمل الروح القدس فينا لن *[يتأتي عن طريق النعمة الخادمة، لكن بالاشتراك في الطبيعة الإلهية مانحًا ذاته عينها للمستحقين]*[٤٩٦].

وهنا تأتي هذه الآيات من رسالة رومية لتؤكد نفس المعني السابق لذا يقول ق. كيرلس: *[ويخبرنا ق. بولس كيف أن الروح هو مشابه حقيقي للإبن إذ يكتب قائلاً «لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، فَهؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا»]*[٤٩٧]. ولأن الإبن هو واحد مع الروح القدس في الجوهر وهما مع الآب إله واحد، لذا يتابع ق. كيرلس شهادته فيقول *[لأننا نُخَلق من جديد لنكون على صورة الروح، أي على صورة الله وذلك بالإيمان والقداسة والشركة معه]*[٤٩٨].

---

[٤٩٤] انظر ص٣٥٤-٣٥٥.

[٤٩٥] انظر ص٣٥٥.

[٤٩٦] انظر ص٣٥٥.

[٤٩٧] انظر ص٣٥٥.

[٤٩٨] انظر ص٣٥٥.

❖ «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟»[499]

ردًا على تعاليم المعاندين بأن الروح القدس يعمل فينا من خلال مجرَّد نعمة بسيطة معطاة له من الخارج يوجه ق. كيرلس سؤالاً للمعاندين معتمدًا على ما جاء في هذه الآية فيقول: [*لماذا ندعى هياكل لله بل بالحرى آلهة إن كنا بالفعل شركاء مجرّد نعمة بسيطة لا كيان لها؟*][500] و [*كيف نكون الآلهة وهياكل لله كما هو مكتوب بواسطة الروح الساكن فينا؟ لأن من ليس هو الله كيف يستطيع أن يهب للآخرين أن يكونوا هكذا*][501].

ويوضح ق. كيرلس حقيقة الأمر بقوله:

[*إننا هياكل للروح الحقيقي الكائن، ولهذا فنحن ندعى أيضًا آلهة، لأنه من خلال اتحادنا به نصبح شركاء الطبيعة الإلهية غير الموصوفة*][502]، ويشدِّد على هذه الحقيقة فيختم تعليقه على هذه النقطة بقوله [*نحن بحق آلهة وهياكل ولن نلتفت لهؤلاء المعاندين، وجوهر الروح القدس لا يمكن أن يكون غير جوهر الله*][503].

والجدير بالذكر هنا، ارتباط تعاليم ق. كيرلس العقائدية بتعاليمه الخلاصيَّة، والتى تظهر في قوله [*أما لو كان الروح الذى يؤلها هو غريب ومختلف بحسب جوهره عن الطبيعة الإلهية، فحينئذ سنفقد رجاؤنا وسنفتخر ـ ولا أعرف كيف ـ بكرامات غير موجودة*][504].

❖ طبيعة الروح القدس:

تصوَّر المعاندون أن حقيقة وواقع وحدة جوهر الروح القدس مع الآب والإبن تلغى تمايزه الأقنومى الأمر الذى عبرّ عنه أرميا بسؤاله [*فلو لم يكن جوهره*

---

[499] ١كو٣:١٦.

[500] انظر ص٣٥٦.

[501] انظر ص٣٥٧.

[502] انظر ص٣٥٦.

[503] انظر ص٣٥٧.

[504] انظر ص٣٥٧.

*مختلف، فلِما لا يقولون عن الروح إنه هو الآب أو هو الإبن؟*»[٥٠٥] ولقد أوضح ق. كيرلس خطأ تفكيرهم هذا بل وخطورته عندما أجاب على هذا السؤال بسؤال آخر قائلاً: [*وأيضًا لأن الروح ليس هو الآب أو الإبن، فهل يفترضون أنه منفصل عن الطبيعة السامية العالية على الكل؟*][٥٠٦].

ويرد ق. كيرلس على هذا التساؤل ببيان خصائص الطبيعة الإلهية التى هى طبيعة الروح القدس والتى يحتفظ فيها كل أقنوم من أقانيم الثالوث، بخصائصه الأقنومية في وحدة الجوهر فيقول: [*الطبيعة الإلهية هى طبيعة بسيطة غير مركبَّة ولا مثيل لها، تتسع لخصائص الأقانيم وتمايز الأشخاص والأسماء، وتُعرف في ثالوث متحد إتحادًا طبيعيًا في تطابق لا يتغيَّر من كل جهة فيها تجعل الله واحد وهو بالإسم والفعل هكذا حتى أنه يكون لكلِّ أقنوم من الأقانيم الثلاثة كمال الطبيعة، مع ما لكل منهم من خصائص. أى لكل منهم أقنومه الخاص، لأن كل أقنوم يظلّ على ما هو عليه لكن بإتحاده حسب الطبيعة مع الأقنومين الآخرين يكون له الطبيعة ذاتها. لأن الآب يوجد في الإبن والإبن في الروح القدس، بالمثل الإبن والروح يوجدان في الآب الواحد في الآخر*][٥٠٧].

وهنا يربط ق. كيرلس مرّة أخرى بين عمل الروح القدس في داخلنا وبين الإيمان به كرّب محيى واحد مع الآب والإبن في الجوهر فيقول: [*إنه لا يمكن أن يصير في داخلنا اتحاد بالله إلاّ عن طريق الروح القدس*][٥٠٨] ويستشهد في تعليمه. بما جاء في الكتاب الموحى به فيقول إن [*ربنا يسوع المسيح خاطب كل مؤمن صالح قائلاً: إن أحبني أحد يحفظ كلامى ويحبه أبي وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً*][٥٠٩]، وأيضًا بالمكتوب [*بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا إنه قد أعطانا من روحه*][٥١٠] وينتهى إلي النتيجة التالية: [*إنه لن يكون إلهًا حقيقيًا*

---

[٥٠٥] انظر ص٣٥٧.

[٥٠٦] انظر ص٣٥٧.

[٥٠٧] انظر ص٣٥٩.

[٥٠٨] انظر ص٣٥٩.

[٥٠٩] انظر ص٣٥٩.

[٥١٠] انظر ص٣٥٩.

*بحسب طبيعته مَنْ يسكن في داخلنا إن كان الروح القدس الذى قبلناه غريبًا أو منفصلاً من جهة الطبيعة عن الله]*[511]. ويؤمن ق. كيرلس أن السبب في هذا أن الروح القدس *[يأتى منه ويوجد فيه إذ هو روحه الذى له الربوبية عينها وهو يدعى هكذا]*[512]، والروح القدس ليس غريبًا عن الإبن أيضًا فمن يعترف بالإبن يعترف به أيضًا وفى هذا يقول ق. كيرلس موضحًا السبب: *[ويُعترف به مثله مثل الإبن بسبب وحدة الطبيعة، فإن كان الإبن هو رب وإله حسب المكتوب «لنا إله واحد: الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له ورب واحد: يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به]*[513] إذا. يتابع ق. كيرلس تعليمه. *[طالما أن الرب هو واحد كما يقول الكتاب، فالرب هو الروح]*[514]، وإن لم يكن الروح القدس هو رب وإله لما قال المسيح لتلاميذه عندما «*كان مزمعًا أن يصعد إلي السماء*» «*لا أترككم يتامى. أنى آتى إليكم*»، وقوله أيضًا لهم «*ها أنا معكم كل الأيام إلي إنقضاء الدهر*»[515] ويختم ق. كيرلس هذه النقطة بإيضاح أن طبيعة الروح القدس ليست غريبة عن طبيعة الإبن والآب الإلهية وأنه واحد مع الآب والإبن في الجوهر فيقول: *[إن الإبن أرسل لنا المعزى الذي به وفيه يكون المسيح معنا ويسكن فينا، ساكبًا فينا لا روح غريب عنه بل روحه، الذي له الجوهر ذاته معه ومع الآب]*[516].

❖ **«ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا:«يَاأَبَا الآبُ»»**[517]

من بين الأعمال التى يمنحها الروح القدس في داخلنا كونه هو ربٌّ وإله وليس مخلوق هو أننا *[نتغيّر إلى صورة الإبن بحسب الطبيعة وندعى آلهة وأبناء*

[511] انظر ص٣٥٨.

[512] انظر ص٣٥٨.

[513] انظر ص٣٥٨.

[514] انظر ص٣٥٩.

[515] انظر ص٣٥٩.

[516] انظر ص٣٥٩.

[517] غلاطية٤:٦.

*الله بالشبه الذي لنا معه (مع الإبن)*][518]. وهنا يستشهد ق. كيرلس بهذه الآية للتأكيد على هذا التعليم لهذا يتساءل في استنكار قائلاً: [*وإذن طالما أن مَنْ يَقدَر أن يؤلِّه بذاته هو أسمى وأرفع من طبيعة المخلوق، فمَنْ يقدر إذن أن يحسب الروح القدس من بين المخلوقات، هذا إن لم يكن عقله قد فسد، أم كيف يقال عن مَن يجعل الآخرين آلهة، أنه هو ذاته مخلوق*][519].

والجدير بالذكر هنا ما ذهب إليه قديس كيرلس في إيضاح معنى أن الروح [*يجعلنا آلهة وأبناء لله*] فهو يرى أن «العبودية» هى من خصائص الطبيعة المخلوقة والمصنوعة وبالتالى [*مَنْ يحرر العبد من عبوديته ويستطيع أن يجعله يتحلَّى بامتيازات الحريَّة وهو يفعل كل هذا بذاته، بل أن طبيعته لا تخضع لمقاييس الطبيعة التى هى تحت العبودية، هذا تكون طبيعته حقيقة فائقة وحرَّة*][520]. ويستطرد قائلاً: [*لأنه بهذه الكيفيّه فقط يستطيع أن يعمل في الآخرين مانحًا إياهم من الصلاح الذي يملكه في طبيعته وفي جوهره والذي هو الحرية*][521] وبالتأكيد يجد ق. كيرلس في كتابات ق. بولس ما يعضد هذه الحقيقة مثل «*وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ، وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ*»[522] ويربط بين البنوَّة والحريَّة ويستشهد بالآية «*إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ*»[523] ويقول معلقًا [*لأن مجد البنوَّة يتضَّمن علي أى حال الحرية أيضًا*][524] ويأتى إلي صياغة تعليم الكنيسة في عبارات واضحة بقوله [*وطالما إن الربَّ هو روح وحيث يكون روح الربِّ ينبغى أن نطلب الحرّية، إذن هذه الحرِّية قد نبتت. علي كل حال. من الطبيعة الحرَّة أيضًا، ولا يجب أن تُدرك علي أنها ضمن الخليقة أو انها تُحسب ضمن المخلوقات لأن*

---

[518] انظر ص٣٦٣.

[519] انظر ص٣٦٣-٣٦٤.

[520] انظر ص٣٦٤.

[521] انظر ص٣٦٤.

[522] ٢كو٣:١٧.

[523] رو٨:١٦.

[524] انظر ص٣٦٥.

*الخليقة قد ربحت مجد الحرَّية ونفضت عنها وتركت عار العبودية]*[٥٢٥].

وهنا أيضًا يلجأ المعاندون ـ كعادتهم دائمًا في التشكيك في ألوهية الروح القدس وأنكار عمله الإلهى والخلاصي فينا ـ إلي كيل الإتهامات له والتي منها ـ كما جاء علي لسان إرميا ـ بأنه «ينقل للقديسين ما يأتى من قِبَلْ الله كخادم ينفذ الأوامر»[٥٢٦]، وهم يقصدون عطيَّة وهبة الحرِّية التي قد حصلنا عليها من خلال عمل الروح القدس فينا كما سبق القول. ورغم تأكيد ق. كيرلس على أن الحرِّية هى [*أمر أرفع بكثير مما للخليقة لأن كل ما هو مخلوق هو عبد]*[٥٢٧]،الاّ أنهم يعاندون الحق ولهذا يواجههم متسائلاً ويقول: [*كيف إذن يكون الرب هو الروح إن لم يكن حرًّا من نير العبودية ومما يعوق المجد؟ أما إن كان له ـ حسب الطبيعة مجد الألوهة فلن يكون خادمًا، بل بالتأكيد ليس له علاقة بهذا الأمر ولكنه بالحري هو يوزع علينا نحن أنفسنا الحرَّية كصلاح نابع من ذاته]*[٥٢٨].

- **«خرافي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي»**[٥٢٩]
- **«وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَاإِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي»**[٥٣٠].

أمر آخر يتعلّق بخلاصنا وهو سبب رجاؤنا في هذا العالم، ألاَ وهو إيماننا بالله الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض كما نردد في بداية قانون الإيمان، وهذا الأمر لن يتأتى الاّ عن طريق الإبن وكلمة الله الذى ظهر في الجسد وأعلن لنا نور الآب وأيضًا بواسطة عمل الروح القدس فينا كى يشهد في داخلنا أو كما يقول ق. كيرلس مستعينًا بهاتين الآتين: [*أننا الان قد عرفنا الله الذى*

[٥٢٥] انظر ص٣٦٥.

[٥٢٦] انظر ص٣٦٥.

[٥٢٧] انظر ص٣٦٥.

[٥٢٨] انظر ص٣٦٦.

[٥٢٩] يو ١٠:٢٧.

[٥٣٠] يو ١٥:٢٦.

*هو الله الاب أبو الكل، بواسطة الإبن وعن طريق الروح القدس، كما أننا معروفين عنده، والمخلَّص نفسه يشهد على ذلك لأنه يقول عن نفسه «خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني وأيضًا يشهد عن الروح بقوله لتلاميذه «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي»*[٥٣١]. فإن كان الروح القدس يعمل فينا هذا العمل الإلهي فكيف ينكر البعض الوهيته، لذا يتساءل ق. كيرلس في اندهاش [*فكيف لا يكون إلهًا من يُعترف به جهارًا أنه هو الله وهو يسكن فينا ليس كمخلوق ومصنوع خاضع للعبودية مثلنا، لكن لكونه حرًا حسب طبيعته إذ هو بالفعل روح الحق أو بالحرى هو الحق عينه، إذ هو والإبن واحد؟ لأن «الروح هو الحق كما يقول الكتاب والحق هو المسيح*][٥٣٢].

- **« إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ»**[٥٣٣].
- **«الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ»**[٥٣٤].
- **«أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ»**[٥٣٥].
- **«روح الرب ملأ المسكونة»**.

يري ق. كيرلس في هذه الآيات ما يعضِّد ما تؤمن به الكنيسة عن أقنوم الروح القدس، إذ هو الربُّ الذى يملأ الكل، ويعلِّق على هذه الآيات بقوله: [*إن الروح القدس هو الله بسبب وحدته مع الله، غير أن القول سيتضح أكثر لو فكرنا في الأمر بطريقة اخرى، لأن الله لا يخضع لأى أشكال محددة أو كميات أو مقاييس لأن هذه كلها من خصائص المخلوقات، بينما الله*

---

٥٣١ انظر ص٣٦٩.

٥٣٢ انظر ص٣٦٨-٣٦٩.

٥٣٣ إر٢٣:٢٤.

٥٣٤ أف٤:١٠.

٥٣٥ مز١٣٩:٧-٨.

*غير محدَّد بكمية وغير محدود ولا يقاس ولا يُدرك في مكان معيَّن لأنه غير جسدي، كما أن الروح هو كذلك وهو يتحلَّى بكل خصائص الطبيعة الإلهية وهو يملأ الكل مع الآب والإبن ونؤمن به أنه في كل شيء، لأنه يقول على لسان أحد الأنبياء «إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا ،يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ،يَقُولُ الرَّبُّ»* والقديس بولس ينسب هذا للإبن عندما يقول *«اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ،لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ»* كما أن داود الطوباوي يسبح الله قائلاً «أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب إن صعدت إلى السموات فأنت هناك وإن نزلت في الهاوية ها أنت». إذن بما أنه لايوجد مكان يخلو منه الروح القدس بل هو يملأ الكل،والله هو الذى يملأ الكلِّ،طبقًا لما قد قيل بكل صواب إن «روح الرب ملأالمسكونه»، كيف لايصبح أمرًا واضحًا إنه عن طريق وحدة الروح القدس مع الله حسب الطبيعة،يكون الروح القدس هو الله؟][٥٣٦].

❖ **«فَإِنَّهُ هُوَذَا الَّذِي صَنَعَ الْجِبَالَ وَخَلَقَ الرِّيحَ وَأَخْبَرَ الإِنْسَانَ مَا هُوَ فِكْرُهُ،الَّذِي يَجْعَلُ الْفَجْرَ ظَلاَمًا،وَيَمْشِي عَلَى مَشَارِفِ الأَرْضِ،يَهْوَهُ إِلهُ الْجُنُودِ اسْمُهُ»[٥٣٧].**

❖ **«أنا هو الرب الذى صنع الريح».**

استمرارًا لهجوم المعاندون على عقيدة الوهية الروح القدس، إدَّعوا أنه مخلوق ومصنوع، وقد اعتبروا الروح القدس هو الريح المخلوق، لانهم اعتمدوا على تفسيرهم الخاطيء لهاتين الاتين من سفر عاموس النبى.

وهنا يرُّد ق. كيرلس على هذه الإدعاءات بقوله: [*إن مجد الروح القدس لا يمكن أن يتأثر بالمرَّة بهذه القول. «لأنه عندما يقال شيء عن روح بصفة عامة وبغير تحديد، فإن هذا لا يعنى بالضرورة أننا نتكلَّم عن روح الله القدوس، لأنه بخلاف ذك سيمكنني أن أقول إن تجديف المعاندين له مصداقيته. لكن كلمة روح تطلق علي أشياء عديدة . في نفس الوقت . رغم أنها مختلفة في طبيعتها. فعلى سبيل المثال الملاك يُسمى روح كما أن نفس الإنسان تُسمى روح*

[٥٣٦] انظر ص٣٧٠-٣٧١.

[٥٣٧] عاموس٤ :١٣.

*الإنسان، وأيضًا الريح يُسمى روح وبالتالي فلماذا يهربون من التدقيق تمامًا ومن تمييز المعاني الذى يقصدونها في كلّ مرَّة، ويصممّون على أغضاب ذلك الذى هو أسمى من كل خليقة وكل المصنوعات. والذى هو واحد مع الله، بحسب الطبيعة. بإستخدام أضاليل لا فائدة منها؟ لأن النبى قال أو بالحري الله قد قال عن طريق النبى إنه لم يخلق الروح ذاته، على العكس فنحن مقتنعون بالحري أن الروح غير مخلوق، لكن البعض بسبب حماقتهم قد ظنوا. وبرغم عدم موافقة السماء على ما يقولون. أنهم يستطيعون أن يربحوا العروش السمائية لأنفسهم وللأخرين، وأن يقتنوا السلطان والمجد الملوكيِّين. ويقول الله الذى هو فوق الكل والذى له السلطة على الجميع والذى تبَّين أن كل الخليقة تسير بحسب قوانينه وأوامره: «فَإِنَّهُ هُوَذَا الَّذِي صَنَعَ الْجِبَالَ وَخَلَقَ الرِّيحَ وَأَخْبَرَ الإِنْسَانَ مَا هُوَ فِكْرُهُ، الَّذِي يَجْعَلُ الْفَجْرَ ظَلاَمًا، وَيَمْشِي عَلَى مَشَارِفِ الأَرْضِ، يَهْوَهُ إِلهُ الْجُنُودِ اسْمُهُ»[٥٣٨] وهو سبب حركة الرياح في كل العالم. بمعني أني أخلق الريح، وارفع وبكل وضوح مَنْ أريده أن يكون للمسيح أي ذلك الذى سيُمسَح كى يملك ومَنْ سيرث السلطان، وهذا كله ليس بدون إرادتي. فبحسب أوامري يشرق الفجر، والغمام يَبعدُ، بمعني تعاقب الليل والنهار، النور والظلام]*[٥٣٩].

- **«تَحْجُبُ وَجْهَكَ فَتَرْتَاعُ. تَنْزِعُ أَرْوَاحَهَا فَتَمُوتُ، وَإِلَى تُرَابِهَا تَعُودُ. تُرْسِلُ رُوحَكَ فَتُخْلَقُ، وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الأَرْضِ»[٥٤٠].**
- **«يداك كونتاني وصنعتانى كلى جميعًا».**

لم يكتف ق. كيرلس، بإعطاء التفسيرِ السليم للآيات التى أساء المعاندون تفسيرها واستخدام هذا التفسير في هجومهم الباطل على الوهية الروح القدس، بل عمل أيضًا ـ في المقابل ـ على استخدام آيات أخرى تعضِّد تعليمه عن إيمان الكنيسة بالوهية الروح القدس وعمله الإلهى في خلق وتجديد الإنسان.

ومن هذه الآيات ما جاء في سفر أيوب والمزامير والتى يعلّق عليها بقوله

---

[٥٣٨] عاموس٤: ١٣.

[٥٣٩] انظر ص٣٧٢- ٣٧٣.

[٥٤٠] مز١٠٤: ٢٩.

إن [*الروح القدس يشترك في الخلق مع الخالق وأن لديه القدرة والسلطة على أن يخلق وهى قدرة غير مستمدة من الخارج أو معطأة له من آخر بل من ذاته بحسب الطبيعة*][٥٤١] ويستطرد قائلاً إن [*إعادة تشكيل وخلق وتجديد ما قد فسد سيكون حسب المنطق هو عمل الطبيعة نفسها التى قد سبقت وخُلِقَتْ وبطريقة لا توصف منذ البدء في القديم*][٥٤٢].

ويخلُص إلي سؤال يعكس قناعته بالوهية الروح القدس وعمله في الخلق فيقول: «*كيف يمكن إذن أن يكون مخلوقًا مَنْ من خلاله وبه يعمل الله في الخليقة ويُدرك أنه خالق الكلّ؟*»[٥٤٣].

❖ **"بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا"**[٥٤٤].

يرى ق. كيرلس في هذه الآية دليلاً واضحًا يمكن استخدامه للرِّد على مَنْ يهاجمون الوهية الروح القدس حيث إن تعبير «نسمة فيه باليونانية καί tῶ πγεὺματι τοῦ στὸματος αὺτοὺ، يمكن أن تترجم «نفخة فمه» *والتى تَعبِّر عن أن مَنْ يصنع السموات وكلَّ قوة في الكائنات هو إله وليس مخلوق*»[٥٤٥]. ويتابع تعليقه على هذه الآية بقوله [*الروح هو الذى بسط السموات بدون أن يجعلها أن تشارك في الجوهر الخالق لكنه وهبها أن توجد بكونه هو الله، لأن مَنْ يحفظ الكائنات جيدًا ويصون الشيء الفانى حسب طبيعته، والمائل إلى العدم، يمكن أن يُظهر جوهر مَنْ يقود ويضبط كلّ الخليقة. وبالفعل يجعلنا القديس بولس مقتنعين بأن ندرك على قدر طاقتنا . ماهى طبيعة الله تقريبًا وذلك بواسطة ماتفعله، عندما يقول «لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ. لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا في*

[٥٤١] انظر ص٣٧٣.

[٥٤٢] انظر ص٣٧٤.

[٥٤٣] انظر ص٣٧٤.

[٥٤٤] مز٣٣: ٦.

[٥٤٥] انظر ص٣٧٥.

*أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيّ». فالقدرة الأزليّة توضّح جمال الطبيعة الإلهية وتبسط «روح» السموات ليس كواحد من الخلائق التى أُحضِرت للمساعدة (لأن الإيمان أو حتى مجرَّد القول بمثل هذا يعد هذيانًا واضحًا) لكن بصفته روح الله الذى يخلق ويعطى قوّة لكل الخلائق. فلو إدّعوا بأن الأمر هو ليس كذلك فليعطونا إجابة، وليبيِّنوا لنا السبب الذى من أجله يدبر الخالق ويعطى للخلائق أن تكون كاملة وحسنة وبأروع الطرق بإشتراكها في الروح القدس. لأنه يبسط السموات التى لو كان من الممكن لها أن تثبت بمجرَّد خلقتها لما كان من الضروري أن تُخلق بواسطة الروح]*[546] .

والدليل على أن ق. كيرلس قد فَهِمَ معنى هذه الآية ودلالتها اللاهوتية وأنها تشهد على قدرة الخلق والتي يتممها الآب بالإبن في الروح القدس قوله [وكيف لا يكون أمرًا سهلاً أن نرى قدرة الآب في كل ما صار بالإبن في الروح القدس والأمر الذي يثبت ذلك جدًا هو أن السموات قد صنعت بكلمة الرب وكل قواتها ترجع إلي عمل الروح كما يُرتل في القديم (مز٣٣:٦)][547].

❖ **«وَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ! وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ!»**[548].

يقول ق. كيرلس شارحًا المعنى اللاهوتى لرِّد السيد المسيح على اليهود الذين اتهموه بأنه يُخرج الشياطين ليس بقوَّة إلهية بل عن طريق بلعزبول رئيس الشياطين، إن هذا الرَّد: [*لا يعنى شيء آخر سوى أنه كَمَنْ يقول: إن القدرة الإلهية والسلطة قد نزل على البشر طالما أني صرت مثلكم من أجلكم وأعمل المعجزات بواسطة الروح القدس. لأن عبارة «ملكوت الله» على ما أعتقد تُطلَق على عمل الروح القدس الذى هو عمل الله وأيضًا على عمل الروح القدس نفسه*

[546] انظر ص٣٧٦.

[547] انظر ص٣٧٧-٣٧٨.

[548] مت١٢:٢٧.

حسب ما قيل من أجلنا «*هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ*»][٥٤٩]. ويستطرد في تفسيره متسائلاً: *[عندما يقوم المسيح بعمل المعجزات بالروح القدس مع أنه هو الله وعندما يدعو السلطة القويَّة غير المغلوبة والكائنة فيه والعاملة من خلاله يدعوها «مَلَكُوتُ اللهِ» فهل يمكن أن نقول نحن أو الأرواح السامية إن الروح هو مخلوق وأنه لا يُحسب ضمن الطبيعة التى تفوق طبيعة الخلائق أي أنه لا يحسب أن له نفس طبيعة الله خالق كل الأشياء؟]*[٥٥٠] وأيضًا يتساءل في استنكار قائلاً: *[إذن فحينما يثبت بهاء المعجزات وما يحدث بواسطة قوَّة الروح، ماهية الطبيعة الإلهية، كيف يمكن أن يُعتبر مخلوقًا من له نفس القدرة التى لله والذى يخلق معه ويُعطى معه الحياة لكل من يحتاجها؟ أم ربما تكون القدرة على إعطاء الحياة لا تخص مَنْ له بالحقيقة الحياة في طبيعته. أى لا تخص الله؟]*[٥٥١].

- **«لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ»** [٥٥٢]
- **«أُوصِيكَ أَمَامَ اللهِ الَّذِي يُحْيِي الْكُلَّ»**[٥٥٣]
- **«اَلرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلاَ يُفِيدُ شَيْئًا. اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ»**[٥٥٤]

إدعي المعاندون أن الروح القدس ضمن مَنْ يستمدون الحياة من آخر، إذ هو في اعتقادهم الخاطيء ليس هو الله مانح الحياة، الأمر الذى جعل ق. كيرلس يتساءل في استنكار قائلاً: [*كيف يمكن أن يعتبر مخلوقًا من له نفس القدرة التى لله وهو الذي يخلق معه ويعطي معه الحياة؟*][٥٥٥].

ورغم أن إرميا هو الشخصيَّة التى يضع ق. كيرلس علي لسانه آراء المعترضين

---

[٥٤٩] انظر ص٣٧٨.

[٥٥٠] انظر ص٣٧٨.

[٥٥١] انظر ص٣٧٩.

[٥٥٢] أع١٧: ٢٨

[٥٥٣] ١تيمو٦: ١٣

[٥٥٤] يو٦: ٦٣.

[٥٥٥] انظر ص٣٧٩.

دون أن تُعبر هذه الآراء والتعاليم عن إيمان أرميا كما جاء في الكتاب المقدس، إلاّ أننا هنا نجده يتفق مع ما يعلّم به ق. كيرلس ويقول «اتفق معك لأنه مكتوب عن الله «الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَيُدْنَى مِنْه». وهنا يتابع ق. كيرلس تعليمه مؤكدًا على ماهية طبيعة الروح القدس الإلهية وامتلاكه لكل خصائص طبيعة الله والتي منها أنه هو مانح الحياة، فيقول *[إن الروح هو واهب الحياة وغير محتاج بالمرّة إلي أن يحصل على الحياة من آخر أو أن يشارك في الحياة. وبالتالي كل ما قد قاله أعداء الله ضده، هو ضلال وأكاذيب]*[٥٥٦].

ويستعين ق. كيرلس بالثلاث آيات السابقة والتي تنسب لكل من أقانيم الثالوث خاصية إعطاء الحياة كون أنها ثلاثة أقانيم لله الواحد.

ويعلق ق. كيرلس على هذه الآيات بقوله *[إذن عندما يكون الله الآب هو مُعطي الحياة للكلّ وعندما يكون الإبن هو الحياة والروح القدس هو الذى يُعطي هذه الحياة، فَمَنْ يستطيع أن يفصل ويُبعد الروح عن الحياة وفعلها المحيي ويقول إن الحياة هو شيء آخر عن مَنْ نؤمن به أنه الحياة أو بطريقة أخرى نقول إنها ليست هي الحياة؟ لأن مَنْ ينقصه ـ حسب طبيعته ـ القدرة على إعطاء الحياة كيف يكون هو الحياة؟]*[٥٥٧] .

❖ **«ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ».**[٥٥٨]

وأخيرًا رَصَدَ ق. كيرلس تعليمًا آخر نادى به المعاندون وعبرّ عنه إرميا بقوله «هم يقولون إن التقديس ليس من خصائص الروح القدس بل هو يحصل عليه من الله وفقط ينقله لباقي الخليقة»[٥٥٩]. وكعادتهم دائمًا في التعامل مع آيات الكتاب المقدس وتفسيرها بطريقة تخدم أغراضهم لجأ المعاندون إلى قول المسيح له المجد عند حديثه عن الروح القدس كما جاء في إنجيل يوحنا، لاثبات إن الروح لا يملك فعل التقديس في ذاته، ولتأكيد أن دوره هو مجرَّد

---

[٥٥٦] انظر ص٣٧٩.

[٥٥٧] انظر ص٣٨٠-٣٨١.

[٥٥٨] يو١٦: ١٤.

[٥٥٩] انظر ص٣٨٣.

نقل القداسة التى يحصل عليها من آخر، لكل الآخرين وخلصوا إلي النتيجة الاتية: «إذن الروح القدس يشترك في الإبن» ولقد حاول ق. كيرلس أن يعطي المعنى الحقيقي لهذه الآية والتفسير اللاهوتي لها بقوله: [*بالمرّة، فهو بعيد تمامًا عن كونه مشارك. لأن مَنْ يُعطَى بواسطة الإبن وهو كائن فيه ويُدعى أنه روحه كيف يكون مشاركًا فيه، أو أنه يتقدَّس من الخارج أو أن يكون غريبًا بحسب الطبيعة*][560].

ويختم ق. كيرلس حواره الأخير هذا بسؤاله [*وكيف يمكن أن يكون مَنْ يعرف كل شيء ويفحص حتى أعماق الله محسوبًا ضمن مَنْ لا يعرفون الله، ويمجَّد بواسطتنا بمجد يليق بالعبيد مع أن المخلِّص يقول بكل وضوح «لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، وَلاَ الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ»*][561] وينتهى إلى هذه الحقيقة بقوله: [*إذن طالما إن الروح يَعرفُ بحسب الطبيعة كل ما للرّب وللسيد، فكيف لا يكون هو أسمى من كل الخلائق؟ وكيف مَنْ هو أسمى من كل الخلائق من جهة الجوهر ألاّ يُحسب مع الله الآب والإبن الذى معه وبه يليق المجد للآب مع الروح القدس ذاته إلي الأبد آمين؟*][562].

[560] انظر ص٣٨٤.

[561] انظر ص٣٨٤.

[562] انظر ص٣٨٤.

# النص المُتَرجَم

# مقدّمة القديس كيرلس

## لكتاب الثالوث القدوس الواحد في الجوهر

إن الدخول إلى الأمور الإلهية هو أمر صعب بكل تأكيد حتى بالنسبة لأولئك الذين لديهم الحواس المدرّبة على إدراك الأسرار الإلهية، أو حسبَ ما يقول بولس الحكيم جدًا كأنهم ينظرون إلى الأمور التي تفوق كل إدراك كما «فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ»[1]. ولعل السبب وراء تلك الصعوبة يَكمُن فى أن ذهن الإنسان مثقّل جدًا وغير قادر على إدراك الأمور الدقيقة، ولهذا فرغم أنه من الواجب أن نتحدّث عن الأمور الإلهية، إلاّ أن الأكثر حكمة هو أن نصمت. وبالنسبة للمكلّفين بتعليم هذه الأمور فإن الأمر لا يخلو من مخاطر. والرسول بولس القديس حينما صرخ «فَوَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لاَ أُبَشِّرُ»[2]، كان على دراية كاملة بصعوبة التبشير بالإلهيات.

وهكذا توصّلتُ إلى أن أكتبَ هذا الكتاب وهو موّجه لك أيها المحب للمعرفة نيميسيوس، وقد قمت بجهدٍ مضنٍ لتأليف هذا الكتاب لأجلك، عن الثالوث القدوس الواحد في الجوهر. وقد قمنا بتجميع الأفكار المتشابهة من حيث النوع والجنس. وهكذا صار الكتاب يتكوّن من سبع مقالات. والحوار التالي[3] هو مع إرميا المجتهد والمؤهل للخوض في هذه القضايا بسبب غزارة علمه وبحثه الدائم.

وأسلوب الكتاب سلس وهو عبارة عن أسئلة وأجوبة متبادلة بين شخصين، فالشخص الأول نضع أمامه حرف «أ» والثاني «ب»[4]. وقد لزم تقديم الأشخاص

[1] ١كو١٣: ١٢.

[2] ١كو٩: ١٦.

[3] أسلوب الحوار الافتراضى بالأسئلة والأجوبة هو طريقة معروفة في تلك العصور، لشرح التعاليم اللاهوتية.

[4] للتسهيل على القارئ سنستبدل حرف (أ) الذي يشير إلى الشخص الأول بكتابة الاسم كاملاً حيث إن الشخص الأول هو ق. كيرلس، والشخص الثاني (ب) هو إرميا.

منذ البداية نظرًا لدقة التساؤلات، والإجابات تميّز الأفكار المختفية، فتبنى بعضها وتهدم البعض الآخر مما يسبب مرارة للنفس. ولهذا السبب يجب أن نحفظ ترتيب الحروف منذ البداية حتى لا يحدث اختلاط للأفكار التى سوف نكتشفها أثناء الحوار، وهكذا نحفظ للكتاب نظامه وقوته. أرجو لك أيها العزيز أن تكون معافى فى الرب.

**محتويات الكتاب:**

**الحوار الأول:** إن الابن أزلىٌ مع الله الآب ومساوٍ له وواحد معه فى الجوهر.

**الحوار الثاني:** إن الابن أزلىٌ مع الله الآب وهو مولود منه حسب الطبيعة.

**الحوار الثالث:** إن الابن هو إله حقيقي كما أن الآب إله حقيقي.

**الحوار الرابع:** في أن الابن غير مخلوق وغير مصنوع.

**الحوار الخامس:** في أن كل خواص الإلوهه ومجدها هي كائنة بطريقة طبيعية في الابن كما في الآب.

**الحوار السادس:** في أن خصائص الطبيعة البشرية وكل ما قيل عمّا فعله الابن، ولا يليق (حسب تصوّرهم) كل هذا يشير بالحرى إلى طبيعته البشرية وليس إلى طبيعة الكلمة، إذ هو الله.

**الحوار السابع:** عن الروح القدس وإنه ـ بطبيعته إله من إله.

# حوار بين أبينا القديس كيرلس والأب إرميا

# الحوار الأول

## الابن أزلي مع الله الآب ومساوٍ له وواحد معه في الجوهر

**مقدَمة: الأب إرميا وغِيرَته اللاهوتية[٥].**

كيرلس: نحن لم نرَ الأب الموقر إرميا لا بالأمس ولا أول أمس ولعله فضّل ألاّ يخرج إلى ساحة المدينة ومكث فى البيت، ربما دفعه الشتاء إلى عدم الخروج ولقد أحسن الصنع، والآن لقد خرج مع ظهور الطقس الجميل.

إرميـــــا: حقًا قلت، فالشيخوخة دائمًا فترة حرجة والشيخ يتردّد كثيرًا قبل الخروج من البيت وخاصة حينما تكون السماء ممطرة.

كيرلس: نستطيع بكل محبة وصراحة أن نشبِّهك بسمك البحر فحينما تهب ريح شديدة تحرك الأمواج، تجتمع الأسماك معًا على هيئة سرب واحد في التجاويف التي في أعماق البحار، وتدخل فيها كما في غابة أو حرجة الأشجار، وتأكل من النبات الكثيف الذي تجده. ولكن بمجرد أن تشرق أشعة الشمس على المياه، وحينما ترى الأسماك هذه الأشعة كإبتسامة على وجه البحر كله، تَدْخلها الشجاعة وتخرج على قمة الأمواج تاركة وراءها الخوف والتردد.

إرميـــــا: هذا هو ما يحدث لي تمامًا وهو لا يخفى عليك أيها الصديق العزيز.

كيرلس: وعلى حد علمى فأنت الآن بعيد عن ضجيج الناس والمشغوليات وذهنك فى حالة استجمام.

إرميـــــا: وما الفائدة من ذلك؟

---

[٥] العناوين الجانبية عن الترجمة الفرنسية.

**كيرلس:** الفائدة عظيمة وتليق بالقديسين، وهل يمكن ان تكون هناك حياة هادئة ومستقرة بدون ثمر؟

**ارميـــــا:** إن نوع الحياه هو أهم من طولها.

**كيرلس:** تماما، كما إن كلام الله في المزمور الذي ترتّله على القيثارة يثبت صحة ما تقول.

**ارميـــــا:** عن أى مزمور تتكلّم؟

**كيرلس:** «كُفُّوا وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللهُ»[٦]. إن العيون الجسدّية تبصر جيدًا الأشياء التي تَعبُر أمامها، إذا كانت خالية من العوائق مثل التراب والدخان وكل ما يشوّش الرؤية، ولكن إذا أصابتها الأوجاع فإنها لا تبصر بوضوح وتعوزها الرؤية الثاقبة للأمور وهذا ينطبق على فكر الإنسان. ففكرالإنسان المستقر والهادئ والبعيد عن التخيّلات غير النقيّة، تكون نظرته حادة ونافذة وسيتعرّف على الكائنات معرفة بدون خطأ. ولكن إذا تشوش بالأهواء[٧] فإنه سيصير عاجزًا عن رؤية الجمال الإلهى وسوف يسكن وسط الأشياء الأرضّية.

**ارميـــــا:** بالصدق تتكلّم.

**كيرلس:** إذًا هل اختليت إلى نفسك فى وقت فراغك فى المنزل، كي تتذكَر (أيها الأب) إرميا، الصوت الإلهى؟ هل تقرأ كل يوم كتبًا مقدّسة؟ هل هناك غِيرَة تدفعك إلى طلب العلم؟ هل لديك حاسة مرهفة تسعى وراء ما يجب أن تتعلّمه؟ أم يجب علينا أن ننسب عدم رغبتك الشديدة للعمل إلى أنك لم تعد في سن الشباب، إلاّ إذا كان لديك سبب آخر غير حقيقي؟ وسأذهب إلى حد أن أتجرأ وأجرح مشاعرك بقولي إن الإنسان المُسِن يميل إلى عدم قول الصدق وهو يبحث عَمَّن يقبل إسرافه في الأمور التي يريدها وعَمَّن يثق بكلامه.

**ارميـــــا:** استطيع أن أقول الكثير والكثير عن مرض الجسد لأن شمس حياتنا الأرضّية بدأت فى الغروب، ولكنى سأدخل فى لب الموضوع تاركًا هذه الشكوى (من الأمراض) لوقت مناسب. لأن ذهنى يشتاق للمعرفة ولا يطلب شيئًا غيرها. وحالتى تشبه المُهر[٨] الأصيل والسريع فى العدو، فكًلما أراد أن

[٦] مز٤٦: ١١س.

[٧] كلمة هامة عند الآباء ويترجمها بستان الرهبان «الأوجاع» وباليونانية πάθος وهى غالبًا ما تعني الأهواء.

[٨] المُهر هو ابن الفرس، الصغير.

يُظهر مهارته فى العدو، يجد نفسه رغمًا عنه، بسبب الأرض غير المهيأة للعدو، غير قادر علي تقديم عرضا كاملا يتناسب مع قوته. وهكذا أشعر بنفس الشيء. فكلّما تدفعنى غيرتى على أن أكرّس وقتى لدراسة الأسفار المقدّسة، أجد نفسى أمام صعوبات بلا مخرج، كما أن التغلّب على هذه الصعوبات ليس بالأمر المتاح لكّل إنسان. وهكذا كما ترى فإن الصعوبات القائمة تدفعنى إلى التردّد، وأنا أزداد ترددًا بالأكثر أمام كل ما يخص الإيمان الذى هو أساس الرجاء الذى فينا.

**كيرلس:** سأقول لك إنك تتكلّم الحق، وذلك لأن اقتناء العطايا الصالحة النازلة من فوق، من الله، ليس بالأمر الذى يتم بدون معاناة، وهذا الأمر واضح للجميع وذلك لأن الأمور الفائقة وتلك التي عظمتها هى في السماء ليس بالأمر المتاح لكل من يُظهر مجرَّد الاشتياق لكنها تقتنى بالجهد وهى أمور صعبة المنال إذ هى مليئة بالصعوبات والتعب.

**إرميــــا:** إذن، ماذا يمكن أن يفعله أولئك الذين يرغبون بغيرة صادقة أن يكتشفوا كل هذه العطايا وخاصة أنه حسب قولكم، ليس بالأمر السهل؟

**كيرلس:** ليس أمامهم إلاّ أن يطيعوا أقوال القديسين الذين صرخوا عاليًا «وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَيُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ»[٩].

وبكل تأكيد فالنور الإلهى الروحانى سوف ينير لمن لا نور له، والحكمة سوف تجعل مَنْ لا حكمة له، حكيمًا، ومَنْ ينقصه الوعى، أكثر وعيًا. والنور والحكمة هما المسيح «الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ»[١٠] لأنه حسب قول المغبوط بولس فإن الله الآب «أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ»[١١]، ولقد دعى أحد القديسين هذا النور بزوغ النهار وكوكب الصبح حينما قال «إِلَى أَنْ يَنْفَجِرَ النَّهَارُ، وَيَطْلَعَ كَوْكَبُ الصُّبْحِ فِي قُلُوبِكُمْ»[١٢] وهو يعنى ـ حسب اعتقادى ـ بانفجار النهار وطلوع كوكب

[٩] يع١: ٥.

[١٠] ٢كو٤: ٦.

[١١] كو١: ١٣.

[١٢] ٢بط١: ١٩.

الصبح، الاستنارة فى الروح بالمسيح.

**إرميـــــا:** لا يوجد أحد يشك فى أن المسيح هو النور وهو النهار وهو كوكب الصبح، وخاصة هؤلاء الداخلين ليصيروا مختارين بالإيمان (الموعوظين). وإذا سألناك أن تشرح لنا عقيدة الإيمان بطريقة مبسطّة وسهلة الفهم، هل ستوافق أم سترفض وهكذا تعطى الفرصة للمتشككين لكى يفتخروا على شيخوختى؟ ويجب ألاّ نعطى أى اهتمام للآراء الباطلة التى يروجها بعض الناس والتى يهدفون من ورائها إلى تزّييف الحق الإلهى وتحويله حسب خيالاتهم، ويتجولون كسرب من النحل يجول فى المدن والقرى مُحدِثًا طنينًا كثيرًا «يَتَكَلَّمُونَ بِرُؤْيَا قَلْبِهِمْ لاَ عَنْ فَمِ الرَّبِّ»[١٣].

**كيرلس:** كم تعجبنى فيك هذه المحبة الإلهية التى لا نظير لها ولذلك أرجوك الاّ تتخّلي أبدًا عن هذه الاستقامة فى الرأى وهى الجديرة حقًا بالإعجاب. ومَنْ يستحق غيرك أيها الصديق أن يستمتع بالمحبة الإلهية؟! ولست أدّعى أننى سأقول شيئًا أفضل من الذى قاله أسلافنا أو أنى سوف أسبر غور الأمور الروحية بشكل أحسن، لأننا نجد كفايتنا فيما كتبه الآباء القديسون، لأن مَنْ يقرر أن يتعّرف بحكمة على الآباء و يستعمل كتاباتهم بالحرص الواجب فسوف يسكن النور الإلهى فى عقله، لأنه حسب كلام المخلّص «لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ»[١٤]. وذلك لأن «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ»[١٥]، أليس كذلك يا صديقى؟

**إرميـــــا:** نعم ما تقوله صحيح. و لكن إذا أصابك التردّد ولم يكن لديك رغبة فى التعاون معنا، أي إذا أغلقت فمك فسوف نصاب نحن بالشلل، وأخشى ما أخشاه أن يصير قولك إن الآباء قد كلّمونا بطريقة كافية ومُرضية مجرّد حجة، لكى تمتنع عن أن تكلّم الذين يشتاقون إلى الاستماع إليك حول موضوعات الإيمان. وأنا بدوري لن أمدحك أبدًا على هذا المسلك، وأُلزمك أن تجيب على أسئلتى.

---

[١٣] إر٢٣: ١٦

[١٤] مت١٠: ٢٠.

[١٥] ٢تيمو٣: ١٦.

كيرلس: حول أى موضوع تريد سؤالى أيها النبيل؟ ولا تحاول الضغط بشدة على ذكائى المتواضع.

ارميـــا: إن هدفى ليس هو الضغط عليك وإن كان يجب أن أفعل اكثر من ذلك، في تلك الأمور التي أرى إنه من الضروري أن أسألك فيها.

كيرلس: اطرح أسئلتك الآن إذا كنت تعتقد إنك يجب أن تفعل ذلك.

ارميـــا: إذا أراد أحدنا أن يرعى الخراف والماعز فى الريف ألا تعتقد أنه يحتاج إلى عصا الراعى ومجموعة من الكلاب المدرّبة، لكى من ناحية يحمى نفسه فى حالة إذا ما هجم عليهم وحش مفترس، ومن ناحية أخرى فإن نباح الكلاب يحمى القطيع؟

كيرلس: هذا صحيح .

ارميـــا: فإذا قام الراعى بمرور الزمن بإحضار كلاب أخرى محل الكلاب التى ماتت، هل تعتبر أن سهر ونباح الجيل الثانى من الكلاب ليس له فائدة لأن الجيل السابق من الكلاب كان شجاعًا ومتفوقًا؟!

كيرلس: وكيف نجرؤ على القول بأن شيئًا نافعًا لا فائدة له؟

ارميـــا: أظن أنك تنسحب لكى تبقى بلا لوم وتتركنى أمام كتابات الآباء فقط، موحيًا بذلك أننا لا يجب أن نبذل جهدًا مثلهم، وأن لا نجاهد مسنودين بمحبة الله، بينما الهراطقة الأشرار المتوحشون يفترسون النفوس البسيطة بدون أن يقف أمامهم عائق ولا مانع.

## قانون إيمان مجمع نيقية واصطلاح «ὁμοούσιος» أي "الواحد فى الجوهر":

كيرلس: أشعر أن كلامك قد شجّعنى وأضرم فىَّ رغبة شديدة للعمل.. هيّا بنا.. ولكن دعنا نبدأ بعرض الإيمان كما حدّده بدقة وعرضه بكل وضوح المجمع المقدّس والمشهور الذى انعقد فى الوقت المناسب في مدينة نيقيا وسنفحص، إذا أردت، بكل وضوح ما هو الأمر الذي يبدو وكأنه راسخ بالنسبة لأولئك الذين يفضلّون أن يكون لهم أيمان مختلف، لأن مَنْ يقول إن الإيمان الذي قد تحدّد وعُرِضَ بشكل فائق وبحسب مشيئة الله في هذا المجمع المقدس العظيم، هو

أساس وقاعدة ثابتة تسند نفوسنا، هو شخص يتكلّم بالصواب ويُمتدح من المسيح وهو شديد الإيمان وعابد حقيقي.

دعنا نذكر الإنجاز العظيم لهذا المجمع، وهو قانون الإيمان الذى قدّم لنا مفاهيمًا إيمانية صادقة،وهكذا فإن الذين ينتقدوننا لن يجدوا فى النهاية أى دافع يثير شوقهم لأن يتكلّموا ضدنا، وكأننا نتبع عقائد غريبة تاركين الطريق الملوكى لكى نتلّفت يسارًا ويمينًا حسب شهوتنا الخاصة. وهذا حسب رأيى يعبّر عن مرض عقلّى ليس من السهل الشفاء منه، لأن الحكمة التى بلا فحص هى عرضة للانحراف، كما هو مكتوب.

**وهاهو عرض لما نؤمن به:**[16]

«نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق كل ما يرى وما لا يرى. وبرَّبٍ واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الآب أى من جوهره، إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق واحد مع الآب فى الجوهر[17] الذى به كان كل شئ ما فى السموات وما على الأرض؛ الذى لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم وقبر وقام فى اليوم الثالث وصعد إلى السموات. وسيأتى ليدين الأحياء والأموات. وبالروح القدس».

«والذين يقولون إنه كان هناك وقت، لم يكن فيه الابن موجودًا وأنه قَبْل ولادته لم يكن موجودًا أو أنه صار من العدم، أو أن الابن من جوهر أو أقنوم آخر، أو أنه مخلوق، أو أنه تعرّض للتغّير والتحوّل، هؤلاء جميعًا تحرمهم الكنيسة الجامعة الرسولية»[18].

إرميـــــا: يا للحذق الذى بلا عيب وما يؤدي إليه من سمو. إن كل مَنْ نطق بمثل هذه الكلمات يستحق أن يُدعى ابن الرعد[19] لأنه نطق بشيء رائع وفائق.

[16] هنا يعرض ق. كيرلس النص الذي أقره الآباء في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، والملاحظ أن المجمع الثاني في القسطنطينية قد تبَنّي هذا النص مع بَعض التعديلات وأضاف الجزء الخاص بألوهية الروح القدس، وهكذا استقرت صياغة قانون الإيمان على النحو الذي نتلوه الآن.

[17] هذه العبارة هي ترجمة للكلمة اليونانية المركبة «هوموأوسيوس «ὁμοούσιος» وهي من مقطعين وهي تعنى من جوهر الآب ذاته أو مساوى للآب في الجوهر أو واحد مع الآب في الجوهر.

[18] هذه الفقرة وردت أيضًا في قرارات المجمع بعد إقرار الإيمان الذي أجمعت عليه الكنيسة، وهذه الفقرة تشير إلى ما كان يعلّم به آريوس الهرطوقي.

[19] مر٣: ١٧.

**إرميـــــا**: إذن فرؤيتى للأمور صائبة وقد بذلتُ ما فى وسعى وأشعر أن الواجب الذى ألقىّ على عاتقى وقَبِلَتهُ بكل سرور. هو أن نحفظ ما كشفه الروح لنا وأنت تعلّم ذلك جيدًا.

**إرميـــــا**: هذا الكلام صحيح جدًا ولكن بالمقابل يجب أن نقنع الناس أن يفكروا بنفس الطريقة، فهم مثل العجول المسمّنة التى تنحرَف عن القطيع كله. فهؤلاء قد إمتلأوا من السفاهة وصاروا يندفعون بطياشة إلى كل ما يوافق رغباتهم. ولكي يصلوا إلى ذلك فهم يتركون المرعى الخصيب الذي يحوى أفضل وأكمل طعام، لينخرطوا في أحاديث حمقاء لمعلّمين كذبة[20]، تدمي كأشواك. وهذا هو الذي جعل الحكمة نفسها تقول في حزن شديد عن هؤلاء: «التَّارِكِينَ سُبُلَ الاسْتِقَامَةِ لِلسُّلُوكِ فِي مَسَالِكِ الظُّلْمَةِ، الْفَرِحِينَ بِفَعْلِ السُّوءِ، الْمُبْتَهِجِينَ بِأَكَاذِيبِ الشَّرِّ، الَّذِينَ طُرُقُهُمْ مُعْوَجَّةٌ، وَهُمْ مُلْتَوُونَ فِي سُبُلِهِمْ»[21].

**كيرلس**: لقد حكمتَ بالصواب ويجب أن نبكى على هؤلاء قائلين مع النبي «يا ليت رأسي ماء وعيناي ينبوع دموع لأبكى ليلاً نهارًا على شعبي»[22]. وكيف لا نبكى نهارًا وليلاً على ذلك الذي يكون أمامه فرصة اختيار معرفة الحق وينحرف إلى معرفة الضلال وإلى الآراء الفاسدة والكاذبة؟ وعن مثل هؤلاء أيضًا قال أحد تلاميذ المخلّص القديسين: «مِنَّا خَرَجُوا، لكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا، لأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا»[23]. ثم ماذا يمكن أن يكون لديهم من اعتراضات على هذا الإيمان أو الاعتراف بالإيمان الأرثوذكسي والدقيق والذي لا يملك إنسان أن يعدّله بأي شكل؟

**إرميـــــا**: نعم إنهم يقولون إننا قد أدخلنا كلمة «هوموأوسيوس» (الواحد في الجوهر) وهى كلمة غير واردة في الكتب المقّدسة وأنها شيء جديد وغير كتابي.

[20] ويقصد أتباع الآريوسيين الذين أنكروا أُلوهية الابن المتجسّد، والملاحظ أن وصفهم بأنهم كذبة هو نفس الوصف الذي أعطاه ق. يوحنا لمن أنكروا أن يسوع هو المسيح (انظر: ١يو٢: ٢٢).

[21] أم٢: ١٣-١٥.

[22] إر٩: ١س.

[23] ١يو٢: ١٩. يقارن هنا ق. كيرلس بين الآريوسيين وتعاليم هؤلاء الهراطقة الذين يتكلّم عنهم ق. يوحنا في رسالته ويصفهم بهذا الوصف إذ أنهم أيضًا أنكروا الابن: ١يو٢: ٢٣.

كيرلس: هذا كلام خالى من المعنى، يا صديقى، لأن كلمة «هوموأوسيوس» يجب أن لا تسبب قلقًا ما دامت تحمل معنىً صحيحًا، أم أنك أنت أيضًا لا تقبل حقيقة ما أقول؟

ارميـــا: إننى أقبل.

كيرلس: إفحص إذن في كلمات وأوصاف أخرى تعوّدنا أن نطلقها على طبيعة الله ولا توجد في الكتب المقدسة والإلهية.

ارميـــا: أي كلمات تقصد ؟

كيرلس: حينما نَصِف الذات الإلهية بأنها غير مادية وغير مرئية وغير محدودة وغير ممكن قياسها، هل نحن نتكلّم بطريقه غير مناسبة؟ وحينما نصفها بأنها غير محدودة ولا تخضع لشيء، فهل يتهمّنا أحد أننا نتكلّم بدون فائدة رغم أننا نقدّم الرأى السليم؟

إرميـــا: هذا مجرَّد لغو بكل تأكيد.

كيرلس: لماذا إذن يُظهِرون أنفسهم كأناس بلا وعى ويُهاجمون مصطلح «هوموأوسيوس» كأطفال صغار مُدّعين أن هذا التعبير غريب وهو المليء بالمعاني الحكيمة القيّمة؟ ورغم أن المعنى الحقيقي معروف ومعتَرف به على الأقل من قِبَل الذين فحصوا بعمق الأمور الإلهية وترّبوا فى الأسرار؛ إلاّ أننا نقول إن معنى «هومواوسيوس» حسب رأينا هو: إن الابن وُلِدَ من نفس طبيعة الله الآب، وبذلك يكون الابن ليس من جنس آخر كما يريد أولئك الناس، ولا هو غريب عن الذي وَلدَه ولكنه واحد معه في الجوهر وله نفس خواصه وطبيعته. ولن أخجل أبدًا من استخدام أي كلمة تستطيع أن تشارك في إظهار الجمال والحق. ونحن نعلم أن الله هو فوق كل جنس. ولكن إذا قرّرنا التخلّي عن البحث عن الوسائل التي تقودنا إلى المعرفة. وهى معرفة محدودة بكل تأكيد. أي معرفة الجوهر الذي يفوق كل عقل، فسوف نصير غير صادقين وجَهَلَة ولن نتعلّم أبدًا عن الله الحقيقى وطبيعته.. وسنصير «مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحٍ»[٢٤] حسب المكتوب. وحينما نصبح مذعورين ورافضين للرؤية حتى

[٢٤] أف٤: ١٤.

«فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ»[٢٥]، ورافضين للمعرفة «جزئيًا» فسنصير كلنا مثل الحجارة الصماء والتى بلا شعور، مثلما قال أحد شعراء اليونان «مثل أناس بطالين وهم عبء على الأرض ..»[٢٦].

إرميـــا: ولكن هذا لا يلغى السؤال: أين يذكرُ الكتاب المقدَّس تعبير «هوموأوسيوس»؟

كيرلس: إنك تُجبرنا يا صديقي أن نكرّر ما سبق وقلناه: أين وصَفَتْ الكتب المقدّسة إله الكون بأنه «غير الجسدي»، «غير الموصوف» و «غير المحدود» و «غير الخاضع لأحد»؟![٢٧] ورغم ذلك فهو كل هذا بالطبيعة سواء أراد هؤلاء أم لم يريدوا؟

وإذا كنا قد وضعنا فى قلوبنا أن نُفكر بطريقة مستقيمة فلا يحق لنا أن نرفض التعبيرات التى تساعدنا على معرفة الحقيقة. ألا يوافقون أن الله قد قال لموسى القديس، وقوله حق: «أَهْيَه الَّذِي أَهْيَهْ. وَقَالَ: هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. وَقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى: هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ»[٢٨]، ولكنى أعتقد أنهم لن يتركوا أنفسهم لكى يصلوا إلى مثل هذه الحماقة، ويعتقدون أن الله ليس هو يهوه. لأنه بالحقيقة هو «الكائن» وهذه التسميّة لا تناسب غيره، حتى ولو بسبب استعمال اللغة أُطلق الاسم على غيره. وبنفس المنطق نحت أسلافنا[٢٩] تعبير «هوموأوسيوس» الذى هو

---

[٢٥] ١كو١٣: ١٢.

[٢٦] هوميروس: الإلياذة ١٠٤:٤٣ . استخدام ق. كيرلس ـ مثل غيرة من الآباء ـ لبعض أفكار الفلاسفة اليونانيين، يعكس سعه اطلاعهم وثقافتهم الواسعة. والجدير بالذكر أن الفلسفة اليونانية كانت من بين المواد التي تدرّس في مدرسة الإسكندرية اللاهوتية بجانب العلوم الرياضية والموسيقية والفنية... الخ.

[٢٧] تُستخدم هذه الصفات فيما يُسمىَّ بعلم اللاهوت السلبي Apophatic thcology بمعنى وصف الله بما ليس هو، وهي صفات شائعة في كتابات كثير من آباء الكنيسة بالرغم من أنها لم ترد في نصوص الكتاب المقدس، فنجدها مثلاً في كتابات ق. غريغوريوس اللاهوتي، ففي القداس المعروف باسمه يتوجه بالصلاة إلى قنوم الابن فيصفه بأنه "غير المرئي، غير المحوَى، غير المبتدئ، غير الزمني، غير المفحوص، غير المستحيل". انظر: الخولاجي المقدّس، طبعه دير البراموس: ٢٠٠٢ ص٣٢٥.

[٢٨] خر٣: ١٤-١٥.

[٢٩] نلاحظ إشارة ق. كيرلس إلى «أسلافنا» ἀρχιότεροι أى الأقدم منّا وهذا يشير إلى معنى الإيمان المسلّم بواسطة الآباء الأقدمين.

أصدق تعبير على الإطلاق. وحينما يقول أحد إن الابن واحد مع الآب فى الجوهر فإنه لا يرتكب - حسب رأينا - أى خطأ، ولا يُعتبر مُبتدعًا، ولا يفرض أسماءً على الألوهة بدون داعٍ. ولكنه يستخدم هنا كلمة، أستطيع أن أقول بلا تردد إن جذورها الأولى توجد فى الأسفار الموحى بها. وهكذا فالاشتقاقات التى تخرج من الكلمة ليست بلا أصل، ولكن جذورها كامنة منذ البدء.

فإذا خرج علينا من يقول إن تعبير «هوموأوسيوس» مخالف لتقاليدنا المقدّسة، فقد جانبه الصواب ويخطئ فى فهم اشتقاقات الكلمة فى تسلسلها الطبيعى. فالجوهر والمساواة فى الجوهر هما من الكائن. وبسبب أنهم جهلاء للغاية فهم يحرموننا من الكلمات الأخرى والتى هى معطاة لنا لكى نستطيع أن نتسامى للتأمل فى الإلهيات كما تستوعبها أذهاننا، وليكن ذلك مبدئيا كما «فى مرآة فى لغز».

إرميـــــا: هل لديك اعتراض إن فضّلوا تعبير «مشابه في الجوهر» على تعبير «واحد في الجوهر» [30].

كيرلس: كلامهم هذا غير مستقيم يا صديقي العزيز، فَهُم يُناقضون أنفسهم بعد أن بذلوا جهدًا كبيرًا لإثبات أن التعبير غير كتابي. فإما أن الابن واحد مع الآب في الجوهر أو أنه لا شئ. وإذا أرادوا أن يقولوا «مشابه في الجوهر» حسب ما يستحسنون فإن عبارة «واحد في الجوهر» هي أساس كل شئ عندنا. وكيف يُفسرون موقفهم بعد أن احتقروا العبارة ووصفوها بأنها كلمة غير صائبة وغير متفقة مع الأسفار المقدسة، ورفضوا أن يقبلوا أي خطاب يحمل ما يشير إلى هذا التعبير، ثم يعودون ويقبلونها ويضعونها في مصاف الألفاظ القيّمة. وبافتراض أننا سمحنا لهم باستعمال عبارة أن الابن مشابه للآب في الجوهر، فماذا سيكون موقفهم في نظرك؟

إرميـــــا: موقف ظالم جدًا ويعكسه موقفهم المتذبذب أمام تعبيرنا المملوء بالعمق والوضوح.

كيرلس: الأمر لا يحتمل أكثر من ذلك يا عزيزي، فإن اللغو الكثير والتعاليم

[30] الفرق بين التعبيرين فى اليونانية هو (حرف i يوتا). مشابه فى الجوهر ὁμοιούσιος، بينما واحد فى الجوهر ὁμοούσιος.

الفاسدة التى يُلقنها لهم معلّموهم قد جعلتهم يتصرّفون كالصبية، وذلك بمحاولتهم قطع كل صلة وشركة طبيعية بين الآب والابن، وكأنهم أشفقوا عليه فسمحوا له أن يكون مشابهًا الآب وهكذا لا نرى الفرق بين الابن الوحيد وباقي الناس المخلوقين على صورة الله والذين يظهر فيهم بعض هذا الجمال الإلهي.

إرميـــــا: ماذا تقصد من وراء ذلك؟

كيرلس: ألم تسمع أيها العزيز وصيّة المسيح الواضحة «فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ»[31].

إرميـــــا: نعم.

كيرلس: ألا تدرك أن هذه الصفة الإلهية تُطبع فينا، وبذلك تُشكّل طريقة حياتنا بممارستنا للصلاح؟ فالصلاح فائق بحسب ما يليق بجوهر الله، ورغم ذلك فنحن نستطيع أن نصير صالحين بالاقتداء به، وذلك بفضل طريقة حياتنا، بشرط أن نختار بإشتياق وامتداد للأمام كل ما يستحق الاقتداء به. ولأننا نتمتّع بذهن صافٍ ورؤيةٍ صائبةٍ فلا يمكن أن ندّعى أننا لكى تنطبع طريقة الحياة الإلهية فى نفوسنا، لابد لنا أن نكون مشابهين لله فى الجوهر، فهذه المشابهة تقودنا إلى أن نصير مساويين له في كل صفاته، حاشا!. لأن ذلك سيقودنا إلى أن نعطى ذواتنا ذات المقام الإلهى بدون أى اختلاف بيننا وبينه، على اعتبار إننا خُلقنا على صورته كشبهه.

وهنا يجب التنّويه بأنه رغم أننا خُلقنا على صورته وكشبهه إلاّ أن الفارق بين الله والإنسان فارق شاسع.. فالله بسيط فى طبيعته وغير مرّكب بينما نحن نملك طبيعة مركبّة، إذ أن طبيعتنا البشرية مكونة من أجزاء متعددة. ونحن من التراب فيما يخص الجسد وهذا يعنى أننا معرّضون للفساد والزوال مثل الأعشاب. بينما الله فوق كل ذلك، والنفس الإنسانية عرضة لتقلبات كثيرة من الصالح إلى الطالح ومن الطالح إلى الصالح، ولكن الله هو هو دائمًا،

[31] لو٦: ٣٦. يستخدم ق. كيرلس نفس هذه الآية وطريقة تفسيرها كما سبق إن استخدمها وشرحها ق. أثناسيوس في الدفاع عن ألوهية الابن المتجسد وإنه لا يشابه في طبيعته الإلهية أي من المخلوقات. انظر ق. أثناسيوس: المقالة الثالثة ضد الآريوسيين، فصل ٢٥:١٠.

صالح إلى الأبد ولا يتّحول ولا يتغّير من حال إلى حال. وعدم تغّير الله ليس صفة عرضّية بل يرجع إلى جوهره. وهكذا أصبح من الواضح أن البشر الذين أتوا إلى الوجود من العدم لا يتشابهون مع الله حسب الطبيعة، بل يمكن أن يتشابهوا معه في نوعية الحياة الجديدة والسلوك المستقيم[٣٢].

**إرميـــــا:** إن حديثنا يسير في الطريق السليم وذلك لأنه رغم سقوطنا، إلاّ أنه لا نحن ولا الملائكة الذين سقطوا، لم ننحرف كليّة عن طبيعتنا ولم ننحدر إلى العدم الكلىّ، رغم عدم اقتنائنا للفضيلة، فلقد فقدنا القدرة على المعرفة الصحيحة وفن الحياة وذلك بسبب ميلنا للشر، ولكن المسيح جاء ودعانا إلى أن نتشّكل من جديد حسب الصورة الأولى بكل بهائها. ولا نقول أبدًا إن الوصول إلى هذا المجد يعنى أن الطبيعة البشرّية تصير طبيعة أخرى، ولكن الأمر يتعلّق باختيار الإرادة في أن يتغيّر الإنسان من حياة شريرة إلى حياة مقدّسة في القول والفعل.

**كيرلس:** يبدو لي أن الأمر واضح يا صديقي إرميا فإن صفات الله تضئ في صورتنا لأننا اخترنا بملء حريتنا أن نسير في الصلاح، ولكننا، وكما ذكرت ذلك أنت نفسك، لسنا واحدًا مع الله في الجوهر، لأنه لو صح ذلك كما يدّعون، فما الذي يمنعنا أن نكون من نفس طبيعة خالقنا؟ وذلك لأن الكائنات التي تتشابه فيما بينها لابد أن تكون طبيعتها واحدة. ألاَ يتشابه الملاك مع ملاك آخر في طبيعته؟! و ألاَ يتشابه الإنسان مع إنسان آخر فى نفس الطبيعة؟!

**إرميـــــا:** نعم إنه كذلك.

[٣٢] في سياق شرحه لقانون الإيمان يشددّ ق. كيرلس على العلاقة الوثيقة بين الإيمان والأعمال، فلابد إن تعكس أعمالنا، إيماننا القويم وأيضًا من الضرورى أن نعبّر عن إيماننا بأعمال وسلوك مستقيم فيقول: «لأن الإيمان الصحيح الذي لا يُسخر به بسبب ما له من بهجة التلازم مع الأعمال الصالحة، هو يملونا بكل صلاح ويُظهر أولئك الذين قد حصلوا على مجد متميزّ. وإن كان بهاء أعمالنا يبدو إنه لا يرتبط بالتعاليم الصحيحة والإيمان الذي بلا لوم، فإن هذه الأعمال لن تنفع نفس الإنسان، بحسب رأيي. فكما أن «الإيمان بدون أعمال ميت» يع٢: ٢٠، هكذا أيضًا نحن نقول إن العكس صحيح. وهكذا فليقترن الإيمان الذي بلاعيب ويشرق مع أمجاد الحياة المستقبلية وبذلك نصير كاملين... وأولئك الذين بسبب الجهل قد قللّوا من قيمة امتلاك الإيمان المستقيم ممجدين حياتهم بسبب أعمال الفضائل يشبهون أناسًا ذو ملامح حسنه في وجوههم ولكن نظرة عيونهم مصابه بتشويه وحَوَل». رسائل ق. كيرلس: ترجمة د. موريس تاوضروس د. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية. يونيو ١٩٩٧م، ج٤، الرسالة رقم٥٥، ص٢٦ فقرة: ٢، ٣.

كيرلس: وهكذا كما ترى، فرغم أن تعبير «هوموأوسيوس» (الواحد في الجوهر) يُعبّر وبشكل رائع عن تطابق الطبيعة، فإن هؤلاء الذين لا يفكرّون بشكل مستقيم يرفضونه على أنه شئ من اختراعنا وذلك لكي يتمسّكوا برأيهم هم وأقصد بذلك تمسكهم بتعبير «المشابه في الجوهر»[٣٣]، وهم بذلك يُلبسون اللوغوس رداءً دنيويًا. فهم يتظاهرون أنهم يرفضون الحطّ من قيمة الابن، ويدعونه الله وابن ومخلّص وفادي وهم على قناعة تامة - قناعة جاءتهم من تمحكات حكمة هذا الدهر- أن الابن ليس ابنًا بالطبيعة ولا هو إله حق. هؤلاء التعساء يضعونه في عداد المشابهين لله وهم لا يتورّعون عن وضع خالق الكون في مصاف المخلوقات، ويدّعون أنه ليس من نفس الجوهر بل أنه من طبيعة مشابهة. ولهذا السبب يحق لنا أن نطلب منهم أن يرفضوا هذه المصطلح الغريب والشاذ وذلك لكي نستطيع أن نتكلّم، إذا أرادوا، عن تشبّهنا به[٣٤]، وأعتقد أن هذا سوف يزعجهم. وعلى كل حال فمن السهل أن نفهم نواياهم حتى لو لم يقولوا ذلك، وكيف أنهم يرفضون تعبير «هوموأوسيوس» ليس لأنه تعبير غير كتابى كما يعتقدون ويؤكدون مرارًا و تكرارًا، ولكنهم يرفضونه لأنه يُعبّر عن الحق، وذلك لأنه يُظهر بوضوح أن الابن ليس من طبيعة مختلفة عن طبيعة الآب بل هو من نفس طبيعته.

إرميـــــا: هذا شيء رائع حقًا.

كيرلس: إنني أعتقد أن هؤلاء المحاربين لله عن سبق إصرار، يتناسون قول المخلّص الذي يؤكد فيه أنه من طبيعة الله الآب بدون انفصال وأنه لم يأتِ إلى الوجود زمنيًا: «أَنْتُمْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هذَا الْعَالَمِ» وأيضًا «أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ، أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ»[٣٥]. والحكيم يوحنا يكتب عن الابن قائلاً: «اَلَّذِي

---

[٣٣] القديس كيرلس يقول إن تعبير «المشابه فى الجوهر» وباليونانية ὁμοιούσιος هو تعبير يناسب المخلوقات ولا يناسب الابن لأن الابن غير مخلوق.

[٣٤] نحن نشبه الابن من حيث طبيعته البشريّة التي اتحد بها. فهو قد شابهنا في كل شيء ما عدا الخطية وحدها. أمَّا من جهة طبيعته الإلهية فنحن لا نشابهه فيها بالمرّة فهو الخالق ونحن بشر مخلوقين. وسبب انزعاج المقاومين، من القول بإننا نشبه الابن، هو التفسير السليم لهذا القول، لأنهم اعتقدوا أن الابن هو مثل بقية أبناء البشر بالتالي هو مخلوق.

[٣٥] يو٨: ٢٣.

يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ»[٣٦]. ماذا يعنى تعبير «مِنْ فَوْقُ» إلاّ أنه من الطبيعة الفائقة جدًا والتي تعلو على كل الكائنات؟ وماذا يعنى «لَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ» إلاّ أنه مختلف تمامًا ولا ينتمي إلى أي كائن خاضع للتغيّر. إنه حالة فريدة. إذ أن الله هو أب.

## إن الابن لا يمكن أن يكون من طبيعة متوسطة بين الله والبشر:

إرميــــا: وماذا لو أرادوا أن يقنعونا أن نفهم تعبير «من فوق» بطريقه تختلف عمَّا قلته لنا توًا؟ مثلاً يمكن أن يقولوا إن «من فوق» تعنى أنه لا صلة له بالأرض ولا بالإنسانية، ولكنه من السماء أو أنه من طبيعة أخرى تسمو كثيرًا عن طبيعتنا؟ فماذا نقول لهم وأي إجابة نقدّم؟

**كيرلس:** وإذا قَبلنَا أن الابن هو كما يقولون ويدّعون، فماذا تبقّى فيه من مجد نتأمله؟ أليس كل واحد من الملائكة القديسين «من فوق» ونحن نؤمن أنه يأتي إلينا من السماء؟ أليس الملائكة - العروش والرياسات والسيادات والسيرافيم - أسمى منّا بكثير على الأقل فيما يخص طبيعتهم؟ فإذا لم يكن للابن شئٌ أكثر من ذلك وقسناه بالمقاييس الطبيعية[٣٧]، فهو كما يبدو ليَّ لن يختلف كثيرًا عن المخلوقات العاقلة التى تأتينا «من فوق» من وقت لآخر. «أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ!»[٣٨]. وفى هذه الحالة فإن المجد الإلهي سوف يكون مُضافًا إليه وليس من طبيعته، ويكون المسيح كاذبًا حينما يقول: «أنا هو الحق». أين هو الحق وكيف يكون الحق كائنًا في مَنْ لا ينطبق عليه قول الأسفار المقدّسة الموحى بها؟ وما المعنى الحقيقي لما تقوله الأسفار المقدَّسة من أن الابن ليس من هذا العالم؟

إرميــــا: دعني أكرّر أمامك ما يقولون، فإنهم يؤكدون أنه ليس واحداً في الجوهر مع الله الآب بل ويُنزِلونه من الطبيعة الفائقة إلى أسفل، ولكنهم والحق يقال يعطونه مركزًا أسمى من باقي الخليقة، ويقولون إنه لا يشارك باقي

---

[٣٦] يو٣: ٣١.

[٣٧] يقصد بالمقاييس الطبيعية مقاييس الطبائع المخلوقة.

[٣٨] عب١: ١٤.

المخلوقات في نفس الطبيعة. ولكنه يحتل مكانة متوسطة. وبكلام آخر فهو يتسامى عن مستوى الطبيعة البشرية، ولكنه لا يشارك الآب الذي وَلَده، في الجوهر، وفى نفس الوقت لا يمكن أن نحط من قَدْرِه ونحسبه مع المخلوقات.

**كيرلس:** إذا قرّروا أن يتكلّموا بوضوح وصراحة عن طبيعة الابن، فإنهم، بلا شك، سيقولون إنه ليس هو الله بالطبيعة، كما أنه ليس مخلوقًا؛ وبذلك فإنهم يبعدونه عن جوهر الله الآب كما يجعلونه أعلى من طبيعة الكائنات المخلوقة، هادمين بذلك ألوهيته. وأنا لا أرى كيف أنه طبقًا لهذا الرأي لا يُحسب ضمن المخلوقات؟

**إرميــــا:** لقد فهمت الأمر بشكل جيّد. وهم يستمرون فى الدفاع عن رأيهم قائلين إنهم إذا دعوه وسيطًا بين الله والناس فهذا لا يعنى أكثر من إنه وسيط بالمعنى الذي يريدونه.

**كيرلس:** وهل هناك غباء أكثر من ذلك لأن «أعدائنا أغبياء» حسب المكتوب[٣٩]. فكم سيكون بعيدًا عن الأفكار الحكيمة أن يتصّور أولئك أنهم بإمكانهم هزيمة عقائد الحق وذلك باختراعات خيالهم، ولقد علّمنا القديس بولس الحكيم حقًا، بل وكل خورس القديسين أن نؤمن بأن الابن قدإتخّذ جسدًا أي صار مشابهًا لنا في كل شئ ما خلا الخطية. ولهذا فالقديسون يقدمّون لنا زوايا متعدّدة للدخول إلى هذا السّر العظيم، فأحيانًا نجدهم يقدّمون الابن الوحيد مرتفعًا عن طبيعتنا وفوق الخليقة وأحيانًا يقدّمونه آخذًا شكل العبد وقد تنازل عن كل أمجاد اللاهوت، ولكنه هو هو دائمًا وليس به تغيير ولا ظل دوران. ويقول عنه حامل الروح «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ»[٤٠].

**إرميــــا:** أي علاقة توجد بين هذه الأعماق وما يقولونه؟!

**كيرلس:** لا يجب أن نلجأ للكتب المقدّسة بنفسٍ رخوة[٤١]، إذ أنهم يفعلون ذلك

---

[٣٩] تث٣١:٣٢.

[٤٠] عب ١٣: ٨.

[٤١] ينصح ق. أثناسيوس أيضًا كل من يريد أن يعرف ما يختص بالله **الكلمة** قائلاً: «إن دراسة الكتب المقدسة ومعرفتها معرفة حقيقية تتطلبان حياة صالحه ونفسًا طاهرة وحياة الفضيلة التي بالمسيح، وذلك لكي يستطيع الذهن. باسترشاده بها. أن يصل إلى ما يتمناه وأن يدرك بقدر استطاعه الطبيعة البشرية ما يختص بالله **الكلمة**». انظر: تجسُّد الكلمة ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية. طبعة٨، ٢٠١٤ فصل ٥٧: ١. ص١٦٧.

ويحيدون عن الطريق المستقيم حتى يصلوا إلى التطرّف سواء يسارًا أو يمينًا. بينما إتباعناللطريق الملوكي يُوجب علينا ويعلّمنا ألاّ ننحرف لا يمينًا ولا يسارًا. ولنلاحظ كيف أنهم بسبب فقدان البصيرة يتركون أنفسهم للانقياد بأهوائهم دون أن يفحصوا أيّ من آيات الكتب المقدّسة تتحدّث عن اللوغوس في حد ذاته، أي قبل التجسّد، وأي آيات تتحدّث عنه بعد أن تَشَبَّه بنا.

ولكن ربما يعتقدون أنه لا يجب أن نأخذ هذه الأمور فى الاعتبار، وعلينا أن نقبل كل المكتوب بدون فحص. وأرجو أن يوضحّوا لنا ويعرفّوننا ماذا يمنعهم من قبول أن اللوغوس، كلمة اللّه المتجسّد يحتاج إلى الطعام وإلى الراحة وأنه يتعرّض للتعب: «فَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعِبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هكَذَا عَلَى الْبِئْرِ»[42]. وأكثر من ذلك حين نتكلّم عن موته، نَخلُص إلى أن التمييز بين هذه النصوص أمر هام جدًا لنا لأن هذا يقودنا إلى تمييز الأزمنة والأوقات[43].

إرميـــــا: وكيف لا يكون هذا التمييز هامًا بل وهامًا جدًا؟

كيرلس: بل ويجب التمييز أمام كل العالم بين الأقوال الإلهية التي تقال عنه بعضها عن بعض. فاسمع ما يقوله بولس عن طبيعته الإلهية «الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ»[44]. ومرَّة أخرى في موضع آخر يقول «لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا»[45]. وهذه الآيات تخص الابن الوحيد قبل التجسّد. وهناك آيات تقال عنه وهو مولود مثلنا في الجسد مثل قوله «الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ»[46].

[42] يو٤: ٦.

[43] يكررّ هنا القديس كيرلس ما سبق أن علّم به القديس أثناسيوس من أهمية تمييز النصوص بمعنى إنه يجب معرفة الشخص الذي تتكلّم عنه الآية وزمان كتابتها والسياق التي وردت فيه هذه الآية. انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين فقرة٥٤.

[44] عب١: ٣.

[45] عب٤: ١٢-١٣.

[46] عب٥: ٧-٨.

إذا نظرنا لهذه الحقائق ألاَ نستنتج أن هناك اختلافًا في طبيعة الأمور؟؛ فنحن نسمع أن بهاء مجد الله الآب وختم جوهره ذاك الذي يحمل كل الأشياء بكلمة قدرته، **الكلمة** الحيّ، اللوغوس الحيَّ الفعَّال، بعد كل هذا المجد نسمع أنه قدَّم بصراخ شديد ودموع، طلبات وتضرعات لكي يَخلُص من الموت.

ولكن الرسول يقول «فى أيام جسده» أى أنه وهو **كلمة** الله، صار جسدًا حسب الكتب[٤٧]، ولكنه لم يحلّ فى إنسان كما يحدث فى القديسين الذين يسكن فيهم (الكلمة) بالروح القدس. إذن هناك طريقتان للكلام عن الابن: فمن جهة يجب أن ننسب له كل ما لله بكونه هو الله، ومن جهة أخرى ننسب له كل ما يخصّنا لأنه صار مثلنا. ويجب أن نرفض كل خلط وعدم تمييز بين هذه الأمور لأن هذا ينفى الفهم الحقيقي للمعاني ويحجب عن عيوننا نصف حقيقة الجمال الإلهي.

**إرميـــــا:** ما أروع هذه الكلمات.

**كيرلس:** فحينما نسميّه «الوسيط» يجب ألاَّ نفهم أن هذا يحدّد ماهية جوهر الابن الوحيد. بل بالحري ينبغي أن تقود كل الأفكار إلى الخضوع للمسيح. وهكذا فليبعد كل فكر غير نقىّ كما هو مكتوب «هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ اللهِ»[٤٨].

**إرميـــــا:** هذا كلام حق، ولكن أيها الشجاع لنكتفِ بهذا فيما يخص هذا الموضوع. لأني لا أرى بعد ذلك مكانًا للشك وسأكون سعيدًا جدًا أن أتعلّم منك كيف نفهم طريقة الوساطة، وهذا الأمر سيفضح عدم التناسق في آراء الهراطقة الخادعة .

**كيرلس:** هيّا بنا إذا أردت ولنحصر الحديث في هذه النقطة . قبل كل شئ يجب أن نبدأ بفحص متى دَعَتَ الكتب المقدّسة الابن «بالوسيط». فبولس يقول «لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ»[٤٩].

---

[٤٧] يو١: ١٤.

[٤٨] ٢كو١٠: ٥. الآية حرفيًا «إلى طاعة المسيح» و لكن القديس كيرلس يستخدم تعبير «طاعة الله» للتأكيد على أُلوهية المسيح له المجد وإنه هو الله الكلمة المتجسّد.

[٤٩] ١تيمو٢: ٥.

وهكذا فالرسول يُحدِّد، على ما أعتقد، أن الفترة الوحيدة التي تتَناسب مع «الوساطة» هي الأزمنة الأخيرة، والتي فيها حسب كلام الرسول «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، *صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ*»[50]. ورغم أنه الإله والرَّب فلكي يُرجعنا بواسطة نفسه لله الآب، ولكي يصالح الكل حسب المكتوب: «وَ أَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مَا عَلَى الأَرْضِ امْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ»[51] لكي يصنع ذلك كلَّه، توّسط كإنسان. ولهذا يقول بولس «نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ»[52] وذلك بالاتحاد بشخص المسيح. ولأن طبيعة الإنسان لا تحتمل أن تستوعب مجد الله بحسب ما كان قَبل التجسّد، لذلك فقد لبس الابن الوحيد لأجلنا ولأجل خلاصنا، جَسَدنَا وتشبّه بنا.

وهكذا يُكْشَف لنا قصد الله الآب كما يُكشف للساجدين بالروح وليس للمتمسكين بظلال الحقيقة وليس للملتصقين بالناموس الذى لا يؤدى إلى الكمال. وهكذا ما دام «الله روح» فلنسرع نحن أيضًا لكى نعبده بالروح والحق. ألم يقل العظيم إشعياء «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ»[53].

**إرميـــــا:** إن هذا كلام رائع، وإذا أردت أن تقنعنا نهائيًا بهذا الكلام فأذكر لنا بعض الأمثلة القديمة التى تشير إلى وساطة المسيح وسأكون ممنونًا لك.

**كيرلس:** دعنا نتوجّه إلى موسى العالم بالأسرار الإلهية ولنلاحظ أن أعماله وأقواله بكل ما تحمل من قوّة، هى عبارة عن أيقونة لوساطة المسيح، وهكذا يثبت صحة ما نتمسك به لأننى أعتقد أنه من الغباء[54] بمكان أن يترك الإنسان

[50] فى٢: ٦-٧.

[51] كو١: ٢٠.

[52] ٢كو٥: ٢٠.

[53] إش٩: ٦.

[54] يستعمل ق. كيرلس نفس الكلمة اليونانيةالتي يستعملها ق. بولس في١كو١: ٣ (ولليونانيين جهالة).

نفسه فى التقليل من شأن خصومه الذين صنعوا من لذتهم منهجًا فكريًا ويتناقضون مع الكتب المقدّسة، وبعد ذلك يترك نفسه يسقط فى نفس الأخطاء.

**إرميـــــا:** الحق معك.

**كيرلس:** حينما خرج الإسرائيليون من أرض مصر بعد أن تخلّصوا من نير العبودية وحينما جاءوا إلى الجبل الذى يُسمّى جبل سيناء، رأى الله أنه حسن أن يعطيهم نواميس لكى يعرفوا ماذا عليهم أن يفعلوا. وأمرهم أن يجتمعوا أسفل الجبل وأن يغسلوا ثيابهم[٥٥]، وبعد تطهّرهم يتقدمون إلى رؤية الله غير المعتادة. وحينما تّم كل ذلك حسب أوامر موسى، نزل الربُّ على الجبل على شكل نار وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدًا فكان صوت البوق يزداد اشتدادًا جدًا وموسى يتكلّم، وقاد موسى الشعب للقاء الله على الجبل.

هذا هو المكتوب، والأمر هنا، حسب اعتقادي، أن موسى هو مثال (Τύπος)[٥٦] لوساطة المسيح. والمسيح الربّ نفسه يؤكد ذلك وبقوله «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَىالآب إِلاَّبِي»[٥٧] ونحن لا نأتي إلى الله الآب إلاّ بالمسيح، وذلك بأن نتطّهر من كل دنس عن طريق تغييّر ثياب عقولنا لنقتنى النقاوة التي في المسيح كما يأمرنا القول الإلهي: «الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ»[٥٨]. وما غَسْلُ الثياب إلاّ تعبير عن قوّة الروح المُطّهر. فإذا قُلتُ إن كل ذلك حق، فلابد أن تكون قد اقتنعت.

**إرميـــــا:** بكل تأكيد.

**كيرلس:** لقد نزل الله على شكل نار وأظهر للناظرين إليه مجدًا ملموسًا وغير عادى، ولم يكن من السهل على الشعب أن يحتمل هذه الرؤية العينيّة، ولمّا خافوا وارتعدوا ترجّوا قائدهم، أعنى موسى، صارخين: «تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعَ. وَلاَ يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلاَّ نَمُوتَ»[٥٩]، وهنا الأمر واضح، لقد طلبوا من

---

[٥٥] انظر خر ١٤:١٩-١٩.

[٥٦] كلمة Τύπος التي يستعملها ق. كيرلس، صارت فيما بعد مدرسة للتفسير اسمها typology (انظر رومية ٥: ١٤ حيث يذكر الرسول أن آدم هو مثال الآتي أي المسيح).

[٥٧] يو ١٤: ٦.

[٥٨] رو ١٤:١٣.

[٥٩] خر ٢٠: ١٩.

موسى أن يصير «وسيطًا» لأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يلقوا بأنفسهم أمام مجد الله فى ملء لاهوته.

دعونا ننتقل الآن من هذه الإيقونة المضيئة التى لموسى إلى الأصل الذى هو المسيح الابن الوحيد، الذى إذ لم يشأ أن يأتى إلينا فى مجده الساطع الإلهى فإنه صار مثلنا (عندما تجسَّد)، وبهذا أصبح وسيطًا بين الله والناس من أجل أن يربّى البشرّية على معرفة إرادة الله، وهكذا صار هو سلامنا كما تقول الكتب[٦٠].

ولهذا فلست أكذب ولا أدّعى إذا ما قلت إن خدمة موسى إنما هى إيقونة لعمل المسيح. وأعتقد أنك تقدر أن تدرك ذلك بدون عناء. وفى ختام اجتماع بنى إسرائيل يقول سفر التثنية «تَكُونُ كَامِلاً لَدَى الرَّب إلهِكَ. إنَّ هؤُلاَءِ الأُمَمَ الَّذِينَ تخْلُفُهُمْ يَسْمَعُونَ لِلْعَائِفِينَ وَالْعَرافِينَ. وَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ يَسْمَحْ لَكَ الرَّبُّ إلهُكَ هكَذَا. يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ. حَسَبَ كُلِّ مَا طَلَبْتَ مِنَ الرَّب إلهِكَ فِي حُورِيبَ يَوْمَ الاجْتِمَاعِ قَائِلاً: لاَ أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إلهِي وَلاَ أَرَى هذهِ النَّارَ الْعَظِيمَةَ أَيْضًا لِئَلاَّ أَمُوتَ. قَالَ لِيَ الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ»[٦١]. ألاَ يوضّح ذلك بالصورة والمثال إلى أي مدى تحتاج البشرّية بسبب ضعفها إلى وسيط؟ ولك هنا أمر آخر يجب أن نلتفت إليه.

**إرميـــــا:** ما هو هذا الأمر؟

**كيرلس:** حينما اقترب الشعب من موسى قالوا له «تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعَ. وَلاَ يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلاَّ نَمُوتَ»، وهذا الأمر طلبوه فى حوريب فى يوم الاجتماع، عندما ظهر لهم الله على هيئة نار على جبل سيناء، وقد قَبِلَ الربّ كلامهم ورتّب الخالق حسب سابق علمه وساطة موسى كمثال لوساطة المسيح وقال «قَدْ أَحْسَنُوا فِيمَا تَكَلمُوا. أُقِيمُ لَهُم نَبِيّاً مِنْ وَسَطِ إخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ»[٦٢]. وهذا يعنى

---

[٦٠] أف٢: ٤.

[٦١] تث١٣:١٨-١٩.

[٦٢] تث١٨: ١٧-١٨.

بوضوح ضرورة وجود وسيط لكي ينقل الوصايا الإلهية الآتية من فوق، ويُظهر للشعب إرادة الله. ولا نحتاج إلى جهد كبير لنفهم أن هذه الأمور تنطبق على المسيح الذي صرخ بصوت مدوي قائلاً «لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّم»[٦٣]. وأيضًا يقول «الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ»[٦٤] ويقول عنه الحكيم يوحنا «وَمَنْ قَبِلَ شَهَادَتَهُ فَقَدْ خَتَمَ أَنَّ اللهَ صَادِقٌ. لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمِ اللهِ»[٦٥]. والآن أيها الصديق المحبوب، هل ستقبل الحق الكامن في هذا الكلام أم سترفضه؟

إرميـــــا: أرفضه؟! إطلاقًا لا ...

**كيرلس:** إذن هذا هو ما قيل لنا عن موسى، هل تريد أن نؤكد شيئًا آخرَ علاوة على ما قيل لكي يشرح لنا وساطة الابن، أم نترك هذا الموضوع ونتحدّث في موضوع آخر؟

إرميـــــا: أيها الشجاع، أليس أحرى بنا أن نستفيد من الموضوع الذى بين أيدينا بدلاً من أن نفتح بابًا آخرَ للمناقشة، علمًا بأن لا شئ يمنعنا من ذلك؟

**كيرلس:** إذن سأوجّه حديثي في الاتجاه الذي سيروقك وأقول: نعرف إن قورح وداثان وأبيرام وُلِدوا من سبط لاوي ولكن القرعة كانت قد وقعت عليهم لا

[٦٣] يو١٢: ٤٩. في موضع آخر يشرح ق. كيرلس المعنى اللاهوتي السليم لهذه الآية التي أساء الهراطقة فهمها فأنكروا أُلوهية **الكلمة**، فكتب قائلاً «لا ينبغي أن يفترض أحد أن قول الربُّ إنه لا يتكلّم من نفسه وإن كل كلامه هو من الآب. يتعارض بأي حال مع التقدير الخاص به. سواء من جهة جوهره أو كرامته الإلهية؛ بل ينبغي أولاً أن نفكر في الأمر مرّه أخرى ونقول «هل يستطيع أحد حقًا أن يفترض أن اسم الوظيفة النبوية وممارسة عمل النبوّة تليق بذاك الذي هو الكائن دائما والذي يُعتبر أنه الله بالطبيعة؟» أظن بالتأكيد أن أي واحد مهما كان بسيطًا سوف يجيب بالنفي ويقول إنه من غير المعقول أن الله الذي يتكلّم في الأنبياء يُسمِىَ هو نفسه نبيًا: لأنه هو الذي «*كَثَّرتُ الرُّؤَى وَبِيَدِ الأَنبِيَاءِ مَثَّلتُ أَمثَالاً*» كما هو مكتوب انظَر هو ١٢: ١٠. ولكن حيث إنه اتخذ اسم العبودية. الشكل الخارجي المشابه لنا وبسبب مشابهته لنا دعىَ نبيًا، فيتبع بالضرورة أيضًا أن الناموس قد وشحّه بالصفات الملائمة للنبي أي خاصية الاستماع من الآب وأَخذ وصيه، ماذا يقول وبماذا يتكلّم. انظر يو١٢: ٤٩.» وإضافة إلى ذلك أشعر أنه من الضروري أن أقول هذا أيضًا: إن اليهود كانت عندهم غيرة شديدة من جهة الناموس، مؤمنين أنه قد أُعطِيَ من الله، ولذلك لم يكن متوقعًا أن يقبلوا كلمات المخلّص حينما غيّر صورة الفرائض القديمة إلى العبادة الروحانية. وما هو السبب الذي يجعلهم غير راغبين في قبول تحويل الظلال إلى معانيها الحقيقية؟ إنهم لم يدركوا أنه هو الله بالطبيعة ولا حتى سمحوا بالافتراض أن الابن الوحيد الذي هو **كلمة** الآب، قد لبس جسدنا لأجل خلاصنا. وإلاّ لكانوا قد خضعوا في الحال وغيّروا رأيهم بدون أي تردد ولكانوا قد كرّموا مجده الإلهي بإيمان صحيح» انظر: شرح إنجيل يوحنا. ترجمة د. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، المجلد الثاني ٢٠١٢م، ص٨٨.

[٦٤] يو١٤:١٠.

[٦٥] يو٣: ٣٤.

لكي يصيروا كهنة، لكن لكي يخدموا في خيمة الشهادة وكانوا لاويين، وهذا الأمر كان على قدر قامتهم ولكنهم قد اشتهوا رتبة الكهنوت قبل الأوان ولم يقنعوا بالشرف الذي حباهم به الله، فاندفعوا إلى الأمام وأهاجوا الشعب على موسى وهارون وتكلّموا بكلام مّر ضد رجل مُسالم، وحينئذ عاقبهم القاضى العادل بأن هلكوا مع منازلهم حينما انفتحت الأرض وابتلعتهم هم و أولادهم وبهائمهم ومقتنياتهم. وحينئذ قام بعض أتباعهم بغباء بالهجوم على موسى فاستدعوا غضب الطبيعة الإلهية عليهم، إذ قال الله لموسى وهارون «افْتَرِزَا مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الجَمَاعَةِ فَإِنِّي أُفْنِيهِمْ فِي لحْظَةٍ! فَخَرَّا عَلى وَجْهَيْهِمَا... قَال مُوسَى لِهَارُونَ: خُذِ المَجْمَرَةَ وَاجْعَل فِيهَا نَارًا مِنْ عَلى المَذْبَحِ وَضَعْ بَخُورًا وَاذْهَبْ بِهَا مُسْرِعًا إِلى الجَمَاعَةِ وَكَفِّرْ عَنْهُمْ لأَنَّ السَّخَطَ قَدْ خَرَجَ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ. قَد ابْتَدَأَ الوَبَأُ. فَأَخَذَ هَارُونُ كَمَا قَال مُوسَى وَرَكَضَ إِلى وَسَطِ الجَمَاعَةِ وَإِذَا الوَبَأُ قَدِ ابْتَدَأَ فِي الشَّعْبِ. فَوَضَعَ البَخُورَ وَكَفَّرَ عَنِ الشَّعْبِ. وَوَقَفَ بَيْنَ المَوْتَى وَالأَحْيَاءِ فَامْتَنَعَ الوَبَأُ»[٦٦]. هل بعد كل ذلك يا إرميا تحتاج وساطة الابن الوحيد إلى شرح؟

**إرميـــــا:** الأمر واضح و لكن في رأيي أنه يجب فحص مغزى هذا الحادث بأكثر دقة. ومَنْ غيرك أقدرْ على فعل ذلك ؟

**كيرلس:** ألا ترى أن هارون يشكّل منذ القديم صورة ومثالاً لكهنوت مخلّصنا. هارون الذي كان يرتدى رداءً حتى قدميّه، ويلبس ما نسمّيه غطاء الكتف وعلى جبهته صفيحة من ذهب، وكان يُسمح له أن يدخل إلى قدس الأقداس مرَّة فقط كل عام ويرش الدّم، كفارة عن كلّ الشعب؟

**إرميـــــا:** بالصواب قلت، وهكذا يقول بولس ذو الصوت الإلهي «وَأَمَّا المَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ. وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا.»[٦٧].. ومَنْ يستطيع أن ينكر مهما كان مستوى معرفته قليلاً، الحقيقة الساطعة أن هذه الأمور القديمة إنما هي ظلال وصِوَر لما فَعَلَه المسيح؟

[٦٦] عد١٦: ٢١-٤٨.

[٦٧] عب٩: ١١-١٢.

**كيرلس:** وهكذا نحن قَبلنا يسوع المسيح رئيس كهنة ورسول اعتراف إيماننا. ولنعترف جميعًا وبصدق، وبدون أن نجعل إرادتنا ضد إرادة الله و معجزاته، إننا نحن سكان الأرض قد أغضبنا الخالق وأهنّا الذي أراد أن يعطى للبشر المجد والكرامة على قدر احتمالهم، وهكذا دخل إلينا الفساد الذي سحقنا بالموت «لَكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى وَذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ»[٦٨]. ولقد وَسَعَّت الهاوية نفسها، كما يقول النبي إشعياء، وفغرت فاها بلا حد..[٦٩]. وكان يمكن أن تفنى الأرض عن بكرة أبيها، وذلك بوقوعها في فخ لا يمكن أن تخرج منه لو لم يأتِ الحلّ الإلهي من فوق، من السموات، وذلك بأن ينزل إلينا الابن الوحيد، وتّم ذلك حسب مسرّة الله الآب، إذ «أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ»[٧٠] وصار رئيس كهنة، وقدّم نفسه بخورًا لأجلنا إلى الله الآب لكي يُسقِط الغضب ويمنَع الوباء: «وَوَقَفَ بَيْنَ الْمَوْتَى وَالأَحْيَاءِ فَامْتَنَعَ الْوَبَأُ»[٧١]. وبعد هذا كلّه ألا يرى الإنسان بكل وضوح ويدرك أن يسوع صار وسيطًا بين الله والناس؟ فالمعركة انتهت لصالحنا وكل حائط قديم يفصلنا عن الله قد هُدِمَ. واقتربا اللذين كانا قبلاً منفصلين من بعضهما، أقصد الله والبشرّية. وكان المسيح هو عامل التقارب الذي وحّد في نفسه ما هو فوق وما هو أسفل أي الله و الإنسان. وكما قال الصوت الإلهي بولس: «هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ»[٧٢]. وفى موضع أخر يقول: «فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ»[٧٣].

**إرميـــــا:** لقد رفع المسيح الخطيّة التي كانت تعوق محبتنا لله وأُلفتنا معه[٧٤]، وهكذا أبطل العداوة. هل بهذه الطريقة نعتبره وسيطًا، أم هناك طرق أخرى

---

[٦٨] رو٥: ١٤.

[٦٩] إش٥: ١٤س.

[٧٠] فى٢: ٧.

[٧١] عد١٦: ٤٨.

[٧٢] أف٢: ١٤.

[٧٣] رو٥: ١.

[٧٤] حرفيًا تأتى من كلمة بيت أي نشعر إننا معه في بيته.

ومظاهر أخرى للوساطة؟ سوف أسعد بإجابتك على هذا السؤال لأني ظمآن إلى أن أتعلّم منك.

**كيرلس:** بكل سرور وبدون تردد أقول إنه أبطل العداوة بجسده[٧٥] حسب المكتوب، وصار وسيطًا ومصالحًا لنا، نحن الذين سقطنا من محبة الله بسبب مَيلنَا لملذّات العالم، وعَبَدْنا المخلوق دون الخالق[٧٦]، فقدّمنا فى ذاته لله الآب[٧٧] واقتنانا لنفسه مُبررًا إيانا بالإيمان و نحن لا نقول أبدًا إن هذا العمل التدبيري هو العمل الوحيد الذي أظهر به المسيح وساطته، ولكن يمكننا ذكر أمور أخرى مملوءة بالاسرار تكون بها الوساطة قولاً وفعلاً.

**إرميـــــا:** ماذا تعنى بذلك؟

**كيرلس:** وهل أعنى شيئًا غير المكتوب: «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ، وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ،وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ.»[٧٨]، فالمسيح الذي هو بهاء وصورة الله الآب وهيئته، وهو كلمة الله، الذي هو من الله وفى الله، أخلى ذاته وصار إنسانًا وذلك بإرادته ومسّرة أبيه، ولم يكن مجبرًا على فعل هذا. ومع صيرورته إنسانًا ظلّ محتفظًا بكرامة اللاهوت وأخذ ما للإنسان حسب التدبير.

ونحن نرى أن الابن واحد من اثنين، إذ فيه التقت الطبيعتان الإلهية والإنسانية واتحدتا في واحد بشكل غير موصوف ولا يُعّبر عنه. وبكل تأكيد نحن لا نعنى أن كلمة الله قد تحّول إلى الطبيعة الجسدّية الأرضّية ولا الجسد تحّول إلى طبيعة الله الكلمة. والذي يتبنّى أحد هذين الموقفين المتطرّفين لابد أن يكون مختل العقل. فكل من الطبيعتين تبقى في خصوصيتها ولكنهما تُعدّان

[٧٥] انظر أف٢: ١٥.

[٧٦] انظر رو١: ٢٥.

[٧٧] انظر أف٢: ١٨.

[٧٨] في٢: ٥-٨.

في وحدة تامة لا تنفصل، وهذه الوحدة يكشفها تعبير «المسيرة الواحدة»[٧٩]؛ فهو نفسه إنسان وإله. وحينما نقول الله فنحن لا نلغى الإنسانية بعد الاتحاد وحينما نقول إنسان فنحن لا ننفى صفات اللاهوت، وهذا واضح للذي يريد أن يفكر في الأمر بطريقة مستقيمة[٨٠].

وهو الابن الوحيد والكلمة لأنه المولود من الله الآب، وهو البكر بين إخوة كثيرين[٨١] لأنه صار إنسانًا. ولقَبَ بـ «الابن الوحيد» الذي هو لقب خاص باللوغوس، يطلق أيضًا على اللوغوس متحدًا بالجسد. ونفس الأمر مع لقب «البكر» فهذا اللقب لم يكن لَقَبَه قَبلْ التجسّد، ولكنه صار لقبًا له بعد التجسد. وهو وسيط بهذا المعنى: إنه جمع ووحّد في شخصه أمورًا متباعدة فيما بينها، وهى اللاهوت والناسوت، الله والإنسان، وربط الإنسان بوساطته بالله الآب لأنه هو واحد مع الآب حسب طبيعته الالهيه، لأنه كائن فيه ويحيا فيه. وهو واحد في الطبيعة مع البشر حسب طبيعته البشريه لأنه خرج من بينهم، وحاضر وسطهم، وذلك لأنه ليس غريبًا عنا فيما يخص إنسانيته وهو عمانوئيل الذي شابهنا في كل شئ ما خلا الخطية وحدها.

إرميـــــا: هذا رأي مستقيم مائة في المائة، وهكذا وصلنا بالضرورة إلى الإيمانب أن الابن واحد مع الآب في الجوهر.

## طبيعة الوحدة بين الآب والابن:

كيرلس: الابن واحد مع الآب في الجوهر، لأنه بالحق خرج من الآب، وهو فيه بالطبيعة والجوهر. وكما إننا لا نستطيع أن نقول بشكل قاطع إنه واحد معنا في الجوهر بدون أن يكون قد صار إنسانًا، كذلك بنفس الدرجة لا نستطيع أن نقول إنه في الله وواحد معه، إلاّ إذا كان له فعلاً كل خصائص طبيعته،

[٧٩] يشير إلى انفراج الساقين عند المسير، فالساقين يظهران عند المشي، منفرجتين وهما في وحدة السير معًا... (المترجم).

[٨٠] تُعبّر هذه الفقرة باختصار، عن التعاليم الخريستولوجية التي علّم بها ودافع عنها ق. كيرلس ضد نسطور وأتباعه، الذين حاولوا التعليم بوجود شخصين وابنين منفصلّين، ولقد أدان مجمع أفسس سنة ٤٣١م نسطور وتعاليمه، وأقر ما علّم به بابا الأسكندرية. انظر رسائل ق. كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي. ترجمة المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. ومن الجدير بالذكر أن الكنيسة تضع هذه الصيغة المختصرة للإيمان في نص الاعتراف الأخير في القداس الإلهي الذي يردده الكاهن بقوله: آمين آمين آمين... الخ.

[٨١] رو٨: ٢٩.

ولا كان ممكنًا للبشر أن يكونوا شركاء الطبيعة الإلهية إلاّ بواسطة الغنى الذي سكبه عليهم الابن، وبواسطته. إن الابن له اتحادحقيقي وطبيعي بالآب، ونستطيع بدون عناء أن نتعرّف على مكانة الابن من حديثه مع الآب السماوي حينما يقول: «لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ»[٨٢].

إرميـــــا: وإذا قالوا إن وحدة الابن مع الآب، تشبه ما نلاحظه فى علاقاتنا نحن البشر، فبماذا نجيب؟ دعنى أوضح ما أريد قوله. مكتوب: «كَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ»[٨٣]، فعلى الرغم من كونهم نفوسًا عديدة صاروا نفسًا واحدة. وهذا لا يعنى وحدة الطبائع ولكن وحدة الإرادة والهدف والفكر، ولأن الابن له نفس مسرّة الآب، فهو واحد معه فى الإرادة والفكر مثلنا نحن البشر فى علاقتنا بعضنا ببعض. وهكذا يذهب هؤلاء البؤساء إلى كل مكان ويدمّدمون بهذه الكلمات.

كيرلس: ولكن هذا يدل مرّة أخرى على أنهم يرتكبون جريمة واضحة بغباوتهم التى وصلت إلى حد بعيد، وأن حالة من التوتر تقود أفكارهم. ومعروف أن الأفكار المنحرفة إنما تصدر عن أناس فقدوا إتزانهم، وكما هو مكتوب أن «اللَّئِيمَ يَتَكَلَّمُ بِاللُّؤْمِ وَقَلْبُهُ يَعْمَلُ إِثْمًا لِيَصْنَعَ نِفَاقًا وَيَتَكَلَّمَ عَلَى الرَّبِّ بِافْتِرَاءٍ»[٨٤]. وكيف لا نرى اللؤم والجهل والعبث الذى وصل إلى حد لا يطاق فى حديثهم وتأييدهم لفكرة أن وحدة الابن مع الله الآب ليست أمرًا جوهريًا؟ بل هى أمر اختيارى أو اتحاد بالإرادة، وهو بذلك لا يختلف كثيرًا عن البشر المدعوّين للتبني، والذين يطلق عليهم الاسم الإلهي بإرادة الآب بسبب أن فضائلهم جعلتهم أهلاً للحصول على هذا المجد العظيم. وبهذا الشكل ماذا يمنع أي واحد من القديسين من أن يفكر، بما إنه صَنَع ما يرضى الله

[٨٢] يو١٧: ٢١-٢٣.

[٨٣] أع٤: ٣٢.

[٨٤] إش٣٢: ٦.

ومسّرة السيد، فيمكنه أن يستخدم كلمات الابن الوحيد ويتوّجه بها إلى الآب قائلاً «كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ»؟[٨٥]. فليُظهروا لنا إذا كان أحد القديسين قد تجرأ ونطق بهذا الكلام. والحقيقة أن القديسين كلّما وصلوا إلى مرتبة عالية في القداسة، كلّما تذّكروا خطاياهم ولم ينسوا طبيعتهم البشرية[٨٦]. وهناك آلاف الشواهد الكتابيّة على ذلك، ولكنى أترك هذا التدرّيب الروحي للذين يحّبون العلوم المقدّسة، غير إنى سأواجه ما يقدّم من حجج، وأعود إلى الوراء قليلاً لأكلّمهم عن الوحدة كما نحياها نحن البشر فيما بيننا، إنها وحدة بالإيمان كما يتفق على ذلك الجميع، هذه التي تقرّبنا من بعضنا وليس هناك اختلاف في الجوهر يمكن أن يفرّق بيننا حتى ولو كان لكل واحد فينا أقنومه الخاص. نحن جميعًا واحد في الجوهر الإنساني الواحد، أما فيما يخص وحدتنا مع الله، فالأمر لا يقتصر على مجرد ميل الإرادة، ولكن هناك عامل أخر يُكلّمنا عنه الطوباوي بولس حينما يقول «فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ جَسَدٌ وَاحِدٌ لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ»[٨٧].وهل تجهل أن الأمم يتحدّون بالمسيح بالإيمان والأولوجيا (البركة) السرائرية؟

**إرميـــــا:** لا طبعًا أنا لا أجهل ذلك ..

**كيرلس:** هل نحن فيما بيننا نحيا في وحدة الطبيعة والإرادة مثل تلك الوحدة التي سوف نكتشف إنها لنا في المسيح.

**إرميـــــا:** ماذا تريد أن تقول، فإني لا أستطيع أن أفهمك بسهولة.

**كيرلس:** لا يوجد شئ صعب في هذا الكلام، وما أقوله يفهمه كل إنسان حكيم ومطلّع على الأمور. نحن الذين ننتسب للبشّرية، نحن نرتبط أولاً بعضنا ببعض ارتباطًا وثيقًا، وذلك برباط طبيعتنا الواحدة وفى نفس الوقت مرتبطون ومتحدون بطريقة أخرى، فكل منّا له أقنومه الخاص، فالواحد بطرس والآخر يوحنا، وواحد توما والآخر متى، وقد صرنا أعضاء في جسد المسيح، نتغذى

---

[٨٥] يو١٧: ٢٢.

[٨٦] هنا يعتمد ق. كيرلس على شرح القديس أثناسيوس لهذه الآية ويتبع نفس تعليمه. انظر المقالة الثانية ضد الآريوسيين فقرة ١٩.

[٨٧] ١كو١٠: ١٧.

على نفس الجسد ومختومين في الوحدة بالروح القدس. ولأن المسيح غير منقسم فنحن واحد فيه وهذا هو السبب وراء قوله للآب السماوي «لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ». ففي المسيح وبالروح القدس نحن واحد بالجسد وبالروح. وما نعيبه على الذين لهم رأى أخر إنهم لا يفهمون النصوص الخاصة بطبيعتنا البشرية.

إرميـــــا: إنهم مخطئون وملامون بكل تأكيد، ولكن اسمح لي ـ أنا المشتاق للمعرفة ـ أن أسألك، إذا كنا نقبل أن يُقال إن الابن متحد بالآب تمامًا مثل اتحادنا نحن ببعضنا البعض، أم أن وحدة الابن بالآب أسمى من وحدة البشر؟

كيرلس: الابن متحد بالآب مثلنا، وفى نفس الوقت أسمى منا، فالكلّ متفقون على أنه واحد في الجوهر (هوموأوسيوس) مع ذاك الذي وَلَده، لأنه ابنه الحقيقي. وهذا الأمر كائن في أقنومه الخاص، ولكن وحدتهما حسب الطبيعه، ولا يمكن أن تتعّرض الأقانيم لأي تغييّر كما يظن البعض، بحيث إن نفس الأقنوم يكون أبا وابنًا. ولكن كل أقنوم قائم بذاته ويمتلك وجودًا خاصًا به. ووحدة الجوهر هي التي تُعرِّف وحدة الأقانيم معًا.

إرميـــــا: أتريد أن تقول إن الابن موجود بجوهره الذاتي(ἴδια οὐσία) بجانب جوهر الآب ؟

كيرلس: ليس بجوهر أخر غير جوهره كإله، ولكن بأقنومه الخاص كابن.

إرميـــــا: إذن يجب أن نميّز بين الجوهر و الأقنوم.

كيرلس: نعم، هناك فارق كبير بين الاثنين وذلك لأن الجوهر يحتوى كل الصفات الجوهرية.

إرميـــــا: كيف تشرح ذلك، أعذرني لأني بطئ الفهم في مثل هذه الأمور.

كيرلس: يجب أن تعرف أنه حتى بالنسبة لي شخصيًا، فالحديث في هذه الأمور ليس بالأمر السهل، ولكن لابد أن نفحص الأمر، فالجوهر هو حقيقة مشتركة، بينما الأقنوم يُطلق على الأقانيم المُشتَرِكة في هذا الجوهر الواحد، انتبه فسوف أشرح لك ذلك:

إرميـــــا: وكيف يكون ذلك؟

**كيرلس:** نحن نُعرّف الإنسان بأنه «حي وناطق وفاني» وهذا هو التعريف المناسب له، ونحن نقول إن هذا يُعبّر عن جوهره. وهذا التعريف ينطبق على كل الأفراد فردًا فردًا، وهنا يجد كل من توما ومرقس وبطرس وبولس مكانهم الصحيح حسب اعتقادي، وهكذا نحدّد الجوهر ولكننا لا نحدّد بعد ماهية الأشخاص الذين نتكلّم عنهم بشكل دقيق. فحينما نقول «إنسان»بشكل عام فهو ليس بطرس ولا بولس، وحينما نقول توما وبطرس فنحن لا نخرج من حدود ما نسمّيه بالجوهر الواحد وهذا لا يقلّل من كل منهم «كإنسان»، فقد أظهرناه موجودًا بأقنومه الخاص.

إذن الجوهر هو لكل إنسان دليل على النوع، أما الأقنوم فهو يطلق على كل واحد في ذاته، دون أن ننسى أنه يشير أيضًا إلى شركة الجوهر ولكن دون أن نخلط بين العام والخاص.

**إرميـــــا:** الآن أفهم ما تعنى، لأن عرضك لا يخلو من لباقة وبراعة.

**كيرلس:** وبقولنا واعترافنا بأن الابن «هوموأوسيوس» مع الله الآب، نُقّر أيضًا أن له «أقنومه الخاص» وهذا معناه أنهما متحدان ومتميّزان في نفس الوقت. وهكذا نصل من الوحدة إلى تمايز الأقانيم. ووحدة الجوهر في كل شئ، والوحدة والمساواة القائمة بين الآب والابن تتعدى تمايز الأقانيم في الآب والابن وتُقدمهما بشكل غير منقسم، ولا نستطيع أن ننزع عن كل أقنوم ما هو خاص به، وذلك لأن الواحد آب وليس ابنًا والابن ابن وليس أبًا.

**إرميـــــا:** إذا وافقتني، نستطيع القول إنه يوجد جوهران الآب والابن وهكذا فالتمايز يصير واضحًا .

**كيرلس:** لا يمكن أن نميّز جوهرين، لا تترك نفسك تُخدع بآراء أولئك الناس ذوى الأفكار الفاسدة، لا تترك الطريق الممّهدة، لتضيع في متاهات.

**إرميـــــا:** كيف يكون ذلك؟

**كيرلس:** إذا قلنا إن هناك طبيعة للآب وطبيعة أخرى للابن منفصلة عن الأولى، فسنصل إلى أن نفصل بينهما. لأنه بالنسبة للبشر لا يمكن أن نقول «جوهر وجوهر آخر، ونوزّع على كل كائن خاص، الصفات المشتركة، كما لو

كانت تخصه هو وحده، وفى الحقيقة إذا قبلنا مبدأ وجود أكثر من جوهر واحد كوسيلة لإظهار التمايز، فإن الجوهر العام الواحد سوف يضيع وسوف يؤدى الاختلاف الجوهري (حسب تصّورهم) إلى خلق حالة من الانفصالية والاختلاف، وهكذا نصل إلى وجود تعدّد[88] واختلاف حسب الطبيعة.

**إرميـــــا:** أعتقد أن هذا صحيح .

**كيرلس:** بهذا الشكل لا يتبقى لنا إلاّ أن نقول إن كان الابن حسب رأيهم ليس واحدا مع الله الآب في الجوهر، وأنه من جوهر آخر مختلف ومن طبيعة أخرى فهذا يُخرجنا من الحدود التي تُعرّف بها الألوهة. ففي حالة كون الابن له جوهره الخاص، فسيكون غريبًا عن جوهر الله الآب.

## عودة إلى موضوع الهوموأوسيوس (الواحد في الجوهر) ووساطة الابن :

**إرميـــــا:** إنهم يؤكدون أن الابن مختلف عن الآب حسب الطبيعة. ولهذا فهم لا يقولون شيئًا عن «مساواته للآب في الجوهر»، وأضافوا ملحوظة غريبة وهى أننا يجب أن نسميّه «مشابه للآب في الجوهر» مع الاحتفاظ بلقبه كوسيط، معتبرين أن هذا أنسب لقب له.

**كيرلس:** وماذا نُسمىّ ذلك إلاّ لونًا من الهذيان وثرثرة العجائز؛ إنهم يعطونه طبيعة متوسطة ثم يقولون إن هذا يفرض علينا أن نسميّه «وسيطًا»، وإلى أين يؤدى بنا هذا الكلام؟ وإلى أي فكر سنصل؟ أنا لا أرى مخرجًا، وإذا كنت تعرف أنت فقل لي، فإن اشتياقي للمعرفة لا يساويه شئ في الكون.

**إرميـــــا:** وماذا أستطيع أن أقول أمام هذه الأمور؟

**كيرلس:** اسأل نفسك وتعلّم بأقصى سرعة إذا كان الوسيط هو مولود أو مخلوق، أهو الله الحقيقي أم نحسبه من ضمن المخلوقات، وحسب رأى أولئك لا هو الله الحقيقي ولا هو مخلوق بشكل واضح، فأي موضع سنجد له بين الكائنات؟ وحتى لو تركت نفسي للتأملات العالية، لا أجرؤ أن أقول شيئًا.

**إرميـــــا:** إنه موجود (حسب رأيهم) بين الاثنين، الله والخليقة ولهذا فَهُم يدعونه وسيطًا.

[88] يقصد تعدد آلهة.

**كيرلس:** لا يوجد كلام غير واضح مثل ذلك ولا تفكير غبي مثل هذا التفكير. وحتى ولو تتبّعنا كل درجات الكائنات وفحصنا طبائعها بشكل دقيق، فلن نجد طبيعة مجرّدة من كل معايير الألوهة الحقة، وهى لا تخضع لمفهوم الكائن المخلوق، طبيعة تشكّل لونًا من ألوان الكائنات الأكثر سموًا من البشر. فهل هناك كائن متوسط بين المولود وغير المولود، بين المخلوق وغير المخلوق، بين المتغّير وغير المتغّير؟

**إرميـــــا:** لا أعتقد ذلك والحق معك .

**كيرلس:** حينما نفحص الطبائع في مجملها، نجد اثنتين:

**الأولى** هي الكائنة دائمًا والمكتفيّة بذاتها، **والثانية** هي التي تحصل على الوجود بالخلق. والطبيعة الكائنة بشكل غير مخلوق تعلو على كل شئ، وتملك كل إمكانيات التفوّق والسمّو، والأخرى توجد تحت أقدام سيدها. ونتّعلم ذلك بوضوح من كلام المسيح مع جمع اليهود: «أَنْتُم مِنْ أَسْفَلُ أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ» ويشرح الحكيم يوحنا كيف جاء إلينا الابن الوحيد من فوق «اَلَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ»[89]. وهو يعتقد أنه يجب أن نُعطى للذي هو الله بالطبيعة كل المقام الذي يليق به، لأن قوله «من فوق» ليس المقصود به المكان أو الارتفاع، ولكن يدل على جوهر الآب. وكيف نتردّد في ذلك وقد قال أحد القديسين بوضوح «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ»[90]؟ فإن مَنْ يفوق الملائكة والكائنات الاسمي منها - ليتفوّق على السيرافيم أنفسهم - يكون قد تعدّى الطبيعة الخاضعة للتغيّير أي المخلوقة. لأنه إما أن يكون «من فوق» أي من عند أبى الأنوار، والوحيد الذي من فوق هو الابن، أو أن نعتبره «من أسفل» وبالتالي فهو ينتمي إلى الخليقة، وبين الخالق والخليقة لا يوجد شئ. وإذا سألنا هؤلاء الذين يقفون ضدنا، هل الابن خاضع للتغيّير أم لا؟ وكيف يكون وسيطًا وخاضعًا للتغيير؟ ماذا سيقولون؟

[89] يو٣: ٣١. سبق أن تعرّض ق. كيرلس لشرح هذه الآية بالتفصيل وبيان المعنى الحقيقي لتعبير «مِنْ فَوْقُ» الذي يدل على وحده جوهر الآب والابن وذلك في سياق شرحه لإنجيل يوحنا. انظر: شرح إنجيل يوحنا، ترجمة نصحي عبد الشهيد وآخرون . المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية.المجلد الأول. القاهره. ٢٠٠٩. ص ٢٠٧

[90] يع١: ١٧.

**إرميـــــا:** أعتقد أنهم سيقعون في مأزق.

**كيرلس:** في مأزق؟! وأي مأزق، لأنه مكتوب: «لأن الحق حي وهو غالب وسيغلب إلى الأبد»[٩١] ولنحاول أن نفحص بأنفسنا النهاية التي سوف يقودنا إليها التمعّن في الطريقتين. فإذا قالوا إن هذا الوسيط غير خاضع للتغيير أي غير مولود، فإنهم بهذا ينسبون إليه الطبيعة اللائقة بالله، وبهذا فإنهم يظهرونه وكأنه يتعدّى حدود الوساطة، ويصير أعلى من وضعه الطبيعي، لأن الذي هو فوق الجميع هو الله حسب المجد والطبيعة، وله خصوصية عدم التغيير ويستحيل أن نضع هذه الطبيعة بين الطبائع الخاضعة للتغّير والفساد. وإذا تراجعوا وقالوا إنه مخلوق، فكيف ينفرد عن باقي المخلوقات وبأي حق؟ وكيف يكون وسيطًا مَنْ هو أصغر من الله بالطبيعة وأكبر من المخلوقات بالطبيعة؟ فلو أنه غير قابل للتغيير فسوف يرتفع إلى مجد اللاهوت ويتعدّى حدود الوساطة. وأما إذا كان قابلاً للتغيير فسوف يهبط إلى أسفل، ويصير غير أهل للوساطة لأنه سيتساوى مع باقي الكائنات. ما هذه السفسطة الخالية من كل محبة حقيقية للحكمة!.

والذي يُقدّم أمرًا على أنه مفهوم وهو غير مفهوم ويوهمنا أنه يمكن أن نحدد مكانًا لطبيعة ما، لا يستطيع أي فكر أن يصل إليها، فهذا يعتبر كلام مبتدع وغير مفهوم، بينما الكلام في مثل هذه الأمور يجب أن يكون واضحًا. وهكذا يتضّح أنهم يخدعون الناس بأفكارهم غير المنطقية وأعمالهم الخالية من التقوى. وهم بهذا يَهينون الابن ويحرمونه من المساواة مع الله الآب في الطبيعة ويحاولون أن يجدوا له وضعًا وسطًا، أو مجدًا صغيرًا بأن يرفعوه قليلاً فوق الكائنات المتغيّرة، ويُغلقون عليه الطريق إلى الآب، ويحرموننا من رؤيته إلهًا حسب الطبيعة. وهم بهذا يحددّون له المجد الذي يتلائم مع أفكارهم وأمزجتهم. وهؤلاء الناس أُشبهّهم بصانعي التماثيل وهم ذوو صيت في هذه الحرفة، فهم ينحتون الخشب أو الصخر ويُعطونه شكلاً إنسانيًا ثم يُضيفون عليه من الخارج قشرة من الذهب أو ألوانًا أخرى جذابة حتى يفتنوا العيون التي

[٩١] عزرا الأول ٣: ١٢، ٤: ٣٨ وهو أحد الأسفار التي لم تعتبرها الكنيسة من ضمن الأسفار القانونية.

تنظر إليها، وهكذا يصرفون النظر عن التمتّع بما هو مُخفى في الداخل، ويصلون إلى إقناع الناظرين بأن يستنفذوا كل فرحهم واهتمامهم بالشكل الخارجي الفاني. وفى رأيي أن هذا هو ما يحدث تمامًا في حديثهم عن الوسيط. فهم يخدعون عقول البسطاء بأفكار جذابة وشكليّة، وهؤلاء (البسطاء) لا يستطيعون أن يسبروا أغوار أفكارهم المتناقضة واستنتاجاتهم المزيّفة.

**إرميـــــا:** ما أروع هذا الكلام.

**كيرلس:** وإذا كان لديهم أقل تقدير للتفكير السليم فما كان يجب أن يلصقوا بالمسيح أمورًا غير مفهومة ولا أن يطلقوا العنان للتعبيرات التى تصدر من مجرَّد تأملات نظّرية بلا مضمون فعلى، ويجب عليهم أن يروا بوضوح وبلا دوران أن الابن يسكن في الأعالي اللاهوتية أي أنه من ذات طبيعة الآب. وما عليهم سوى التمعّن في الأمر. فالابن مولود من الآب، أي صادر من جوهره، ولأنه ابنه فلابد أن يكون له نفس الجوهر. ألم يعلن الله الآب نفسه أن الابن هو «ابن حقيقي وليس شيئًا آخرَ حينما أعلنها مدوّية «هذَا هُوَ ابْني الْحَبِيبُ الَّذي بِهِ سُرِرْتُ»[٩٢]. ولماذا لا نتصّور أنه يقول «هذا هو الوسيط بيني وبين الناس»؟ وأعتقد أنه كان سيقولها، لو كان قد وضع في حسابه أنه سوف يوجد مَنْ يتصّور وساطة الابن بهذا الشكل المريض. ولكن حتى لو اكتفينا بقوله «ابني الحبيب» فقد قال الله كل شئ بهذه العبارة، لأنه حدّد فعلاً مَنْ سيكون وسيطًا. بينما فيما يخص الإعلان عن الابن الذي صار إنسانًا، فالله الآب له الحرّية أن يختار الاسم المناسب. وقل أنت هل وَصَلَت بهم الحماقة والغباء إلى درجة أنهم لا يعترفون به حتى كابن؟!.

### مضمون تعبيرَى «ابن» و «ولادة»:

**إرميـــــا:** إنهم يقولون إنه ابن وإنه مولود، ويخجلون من أظهار أنهم يتناقضون مع الكتب المقدَّسة، إذ هم لا يرونه مولودًا من جوهر الآب ولا يرون أنفسهم ملزمين بقبول الولادة كأمر خاص بالطبيعة.

---

[٩٢] مت١٧: ٥.

**كيرلس:** إنهم يعطون معنىً مزيفًا لتعبيري البنوّة والولادة. فهم يبعدونهما. كما ترى بنفسك عن جوهر الله الآب. وهكذا يزدرون بالمعنى الصحيح للولادة وبذلك يحرمون الابن من كونه ابنًا حسب الطبيعة. ولكنهم إن كانوا يعتقدون أنهم حاذقون وذوو رؤية ثاقبة وقد أصابتهم أفكارهم بنشوة كبيرة، فكيف فاتتهم الحقيقة الواضحة وهى أنهم بأفكارهم هذه إنما يقللّون من كرامة الله الآب نفسه؟ لأنهم بهذا يؤكدون أنه عقيم ولا قدرة له على الولادة بينما الخصوبة مغروسة في طبيعة الكائنات الفانية، وهى بنعمته تثمر وتملأ الأرض.

**إرميـــا:** ربما يقولون إنه إذا طبقّنا مبدأ الولادة على الله فهناك آلاف المولودين الذين يجب نسبتهم لله كما يقول الكتاب بخصوص الشعب: «رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ...»[٩٣].

**كيرلس:** هؤلاء الذين يقولون هذا ينطبق عليهم ما يقوله الطوباوي داود إنهم «يَتَعَلَّلُون بِعِلَلِ الشَّرِّ مَعَ أُنَاسٍ فَاعِلِي إِثْمٍ»[٩٤]، فإذا اتفقنا أن ننسب للابن شيئًا آخرً فيما يخص طبيعته وحسب ما نؤمن به فهو إنه ابن وإنه مولود. وهم قد ارتكبوا خطأً كبيرًا ضد الحق حينما غيرّوا طبيعة الابن وذلك لكي ينعتوه «بالوسيط». وسوف نقنعهم بأنهم قد صنعوا بمماحكة الكلام خرافات مصطنعة ولم يتوقفوا حتى أنزلوه من عُلُوه الجوهري مع الآب. وحتى بعد هذا لم يكف هؤلاء البؤساء من أن يصفوا الابن الحقيقي بأحط الألفاظ حتى دَعُوه ابن «زنا». فالابن الوحيد لم يرتفع إلى المجد، مجد التبنّى، لكونه من نفس طبيعتنا ولكونه اشترك معنا فى كل شئ، فهذا محض افتراء، لأنه بذلك يكون قد صار ابنًا بالنعمة مثلنا ويُحسب فى عداد الخليقة. ولكن هذا الكلام لا يتعدى الهذيان، والثرثرة وركام من الأفكار الكافرة. فالابن الوحيد لايحتاج أن يصير على مستوى الأولاد بالتبنى لأنه يدرك سمو مكانته الإلهية، وعمق بنوّته الطبيعية لله. ولهذا لا نجد صعوبة فى فهم ما قاله لليهود «إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ

[٩٣] إش ١: ٢.

[٩٤] مز ١٤١: ٤س.

وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللهِ؟»[٩٥].

فإذا كانوا قد دُعوا أبناءً وآلهةً لأن الكلمة قد جاءت إليهم، فكيف لا يكون هو ابنًا بالأولى، بل إن الله، بواسطته سمّى هؤلاء أبناءً؟ فهو ابن بالحقيقة، ولقب «ابن» ليس شيئًا مضافًا إليه. بل إن لقب ابن يكشف عن كينونته، كما أن لقب «آب» يكشف عن أبوّة الله. فالآب يُدعى آب لأنه وَلَدَ الابن، والابن من جانبه يُدعى ابنًا لأنه مولود من الآب. ولهذا فقد شرحنا بطرق كثيرة ومختلفة خصائص الطبيعة الإلهية، ووصلنا إلى المعرفة المطلوبة للموضوع، ولا أريد أن أضع تعبيرَي البنوّة والأبوّة ضمن طرق الشرح هذه [٩٦].

**إرميـــــا:** ماذا تعنى؟

**كيرلس:** سوف أشرح لك مادُمتَ تريد أن تعرف. يوجد عندنا طريقان اعتدنا أن نميّز بهما الخصائص الأساسية للطبيعة الإلهية. فنحن نعّرف الطبيعة الإلهية سواء بما تمثله كما هي (إيجابي).أو بما لا تمثله (سلبي).

فحينما نسميها نور وحياة فنحن ننطلق ممَّا نعرف عنها. وحينما نقول إنها غير مرئية وغير فانية فنحن ننطلق من التعريف بما ليس فيها. فهي غير قابلة للفساد وغير مرئية[٩٧]، وهذا هو معنى الصفات التي نطلقها. أليس ذلك صحيحًا؟

**إرميـــــا:** نعم.

**كيرلس:** وإذا كُنا نقول إن الآب هو نور وحياة وفوق ذلك هو غير فاني وغير مرئي، أفلا يكون من العدل والصواب أن نفكر بنفس الطريقة المستقيمة وننسب كل ذلك إلى طبيعة الابن، أي نحتفظ لله **الكلمة** بنفس ألقاب الله الآب؟

**إرميـــــا:** نعم.

**كيرلس:** وإذا قلت إن الآب هو مَلِكٌ أفلا يكون للابن نصيب في المُلك؟

**إرميـــــا:** وكيف يكون غير ذلك؟

---

[٩٥] يو١٠: ٣٥-٣٦. لقد تناول ق. كيرلس هذه الآية بالشرح المستقيم في سياق شرحه لإنجيل يوحنا. انظر: شرح إنجيل يوحنا ،ترجمة د. نصحي عبد الشهيد وآخرون .المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية المجلد الأول. القاهرة ٢٠٠٩. ص ٧٤٣ إلى ٧٤٦.

[٩٦] يقصد القديس كيرلس أن طُرق الشرح هذه تقودنا إلى معرفة البنوّة والأبوّة، ولذلك فالبنّوة والأبوة ليست ضمن الشرح.

[٩٧] الملاحظ أن ق. كيرلس يعود مرّه أخرى إلى شرح نفس النقطة التي سبق أن تعرّض لها من قبل انظر ص٢٥.

كيرلس: قد يُظَنْ أن المزايا المشتركة توجد فقط في التفوّق والمجد. فالحقيقة التي لا تُكذب أبدًا هي أن المسيح قال لأبيه السماوي «كُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ»[٩٨]، فلو كُنا ننسب للآب إنه آب وللابن إنه ابن، على سبيل الكرامة والأمور الأخرى، فما الذي يمنعنا (في هذه الحالة) من أن نزيل التمييز بين الاثنين، وندعو كلا منهما آب وابن معًا على أساس أنهما يملكان نفس المزايا المشتركة.

إرميـــا: هذه أفكار غير مقبولة ولا مألوفة؛ فالآب لا يكون أبدًا غير ما هو عليه أي آب، والابن كذلك فهو يبقى ابنًا ولا يمكن أن يكون آبًا.

كيرلس: هذا إيمان مستقيم وحقيقي يا إرميا. فأنت توافق بشكل حاسم على أن اسم الآب ليس لقبًا شرفيًا واسم الابن كذلك. فكل اسم مثلما سبق وتكلّمنا عن النور والحياة هو اسم كل واحد ويُظهره كما هو.

إرميـــا: بكل تأكيد .

كيرلس: هناك حقيقة يجب أن لا نجهلها وهى أن الأسماء، كل اسم حسب قيمته، تنشئ نوعًا من الالتباس الذى يحتاج إلى إيضاح ويستدعى أن نحدد لكل لفظ معناه الثابت، ولهذا فيجب أن نعطى لكل من الآب والابن ألقابًا تليق بكينونتهما، فالآب يُدعى «آب» وليس «ابن»، لأنه وَلَدَ، والابن يُدعى «ابن» وليس «آب» لأنه مولود. وتخَيل للحظة ولو بالتأمل، أننا لا ننسب للآب أنه آب ولا للابن أنه ابن، فكيف إذن يمكن أن نُحددّ أقنوم كل واحد؟ فهل نُحددّه بالصدفة، بأن نُسميّه مَرّة الله ومَرّة حياة أو عديم الفساد أو غير المرئي أو الملك؟ ولكن هذا لا يكفى لتحديد الأقنوم! فلكل من الاثنين ما يميّزه عن الآخر، فكيف نميّز بينهما؟ حينما نقول الآب فنحن نُحددّ إنه آب لأنه وَلَدَ، والابن هو ابن لأنه بالحقيقة وُلِدَ، إذن خصوصيات كل أقنوم هي ما يعود إليه، وإليه فقط. بينما عموميات اللاهوت تقال عن الاثنين. وفى العموميات تندرج كل الكرامات التي للطبيعة، ولكن الخصوصيات تُحددّ من ناحية الذي وَلَد، ومن ناحية أخرى المولود، أي الآب والابن.

---

[٩٨] يو١٧: ١٠.

# الحوار الثانى

## عن أن الابن أزليّ مع الله الآب ومولود منه حسب الطبيعة

**مقدّمة: ظُلمَة المعاندين:**

**كيرلس:** أليس من الصدق أن نقول يا إرميـــــا إن كلمة الحق بسيطة بطبيعتها لأنها تجد راحتها فى القلوب البسيطة وإنها أشهى لدى الكثيرين من ثمرة تعب النحل؟ ونستدل على صِدق هذا الأمر من الكلمات التى وجهها داود الإلهى إلى الله مخلّص الجميع «مَا أَحْلَى قَوْلَكَ لِحَنَكِي! أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ لِفَمِي»[1].

**إرميـــــا:** نعم إن كلام الحق فى ملء بساطته لهو أشهى من أقراص العسل، وأنا على استعداد أن أصدّق على هذا الكلام. ولكن المشكلة فى الموضوع الذى نحن بصدده تكمن فى كيفيّة فهم هذا الكلام البسيط.

**كيرلس:** لا شيء يكشف لنا أن كلمة الحق بسيطة أكثر من حقيقة كونها استُخلِصت من خلال تعقيدات كثيرة وفخاخ عديدة، ولا يوجد فى كلمة الحق أي مظاهر عنف أو كُره، وهى لا تميل بطبيعتها إلى فعل الشر، أى إنها تُظهر قوّتها من أجل الوصول إلى الحقيقة، دون أن تسبب أضرارًا للذين يستمعون إليها. وتستطيع - إذا أردت - أن ترى ذلك بصورة ساطعة كما فى لوحة مضيئة، إذا تأملت فى هرطقة آريوس وأتباعه[2] والتى أشعر إننى يجب أن أقول فيهم وبكل سهولة «هَلْ يُغَيِّرُ الْكُوشِيُّ جِلْدَهُ أَوِ النَّمِرُ رُقَطَهُ؟ فَأَنْتُمْ

[1] مز١١٩: ١٠٣س.

[2] رغم أن الموضوع الذي يدافع عنه ق. كيرلس في هذه الحوارات، هو أُلوهية الابن، الأمر الذي كان ينكره آريوس وأتباعه، إلاَّ أنه لم يذكرهم بالأسم بل كان يشير إليهم بقوله «المعارضين أو «المخالفين»

أَيْضًا تَقْدِرُونَ أَنْ تَصْنَعُوا خَيْرًا أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُونَ الشَّرَّ»[٣]. وأنا أعتقد أن طريقة تفكير خصومنا لا تختلف فى شئ عن الفهد الذى له ألوان مختلفة ويحمل على ظهره خليطًا من البقع متعددّة الألوان والأشكال. وهم بدورهم لهم ذهن غير منسجم وبلا مضمون أو قوام، ومن قلوبهم تخرج أفكار مستكبرة. وكما هو مكتوب «لِسَانُهُمْ سَهْمٌ قَتَّالٌ يَتَكَلَّمُ بِالْغِشِّ. بِفَمِهِ يُكَلِّمُ صَاحِبَهُ بِسَلاَمٍ وَفِي قَلْبِهِ عداوة.»[٤]. وهم يظهرون كأنهم لا يعترضون بأى شكل من الأشكال على مجد الابن الوحيد (المونوجينيس) ولكنهم يجرحونه بكلامهم التجديفى الذى لا يُحتمل.

إرميـــــا: ماذا تقصد بكلامهم التجديفى؟

كيرلس: إنهم يُسمّون كلمة الله الوحيد، بالابن وهذا صحيح، وهم يتفقون معنا فى أنه مولود، ولكنهم يتجنّون على كلمة الحق حينما يقلّلون ـ بعدم تقوى ـ من مجد الابن ويقولون إنه من طبيعة أخرى مختلفة عن طبيعة الآب، وهكذا يظهر الابن على أنه غريب عن جوهر الآب، ومن طبيعة أخرى ولا يَمتُ بصِلة طبيعيّة للذى وَلَده. وهكذا فحسب كلامهم لا يكون قد وَلَده. وأنا لا أرى وراء وصولهم بهذه السهولة إلى هذه الدرجة من الحماقة إلاّ سببًا واحدًا.

إرميـــــا: ما هو إذن؟

كيرلس: هو تشامخهم الشديد واعتقادهم بأنهم أقدر على التحدّث فى الأمور العويصة أكثر من الآخرين، وذلك لأنهم تدرّبوا على المبارزات الكلاميّة التى تُغذّيها الحيّل والتشبيهات الخادعة والالتواءات العقلّية والتى لها شكل جميل، وهذه كلها تؤثر بشكل قوى على أولئك الذين اختاروا أن يحيوا فى بساطة عقلّية. وهم قد استندوا على حكمة هذا العالم كما يتكئ المرء على قصبة مرضوضة[٥]. ولقد جمعوا قاذورات الأفكار المغشوشة حتى أن صحة وسلامة وإستقامة العقائد صارت لا تعنى لهم شيئًا، وهم لا يُفكرون مثلاً فى أن أولاد هارون قد هلكوا لأنهم تحدّوا إرادة الله وأحضروا على مذبح التقدمه نارًا

[٣] إر١٣: ٢٣.

[٤] إر٩: ٨س.

[٥] إش ٣٦: ٦.

غريبة[٦]، وهم يرفضون سماع صرخة صوت الناموس القائل: «وَلاَ تُدْخِلْ رِجْسًا إِلَى بَيْتِكَ لِئَلاَّ تَكُونَ مُحَرَّمًا مِثْلَهُ. تَسْتَقْبِحُهُ وَتَكْرَهُهُ لأَنَّهُ مُحَرَّمٌ»[٧]. إنها حقًا نار غريبة وملعونة من الله وهى حركة ذهن مشتعل بحكمة شيطانية، وغير مستنير بنور الكتب المقدسة[٨].

إنها لعنة أن يصنعوا تمثالاً ويحوّلونه إلى شبيه بالله، أى يصنعون ابنًا ويزيّنونه بالكرامة والمجد الساطع الذى يليق بالله ولكن هذا كله ليس هو التمجيد الصحيح، لأنه يستند إلى أسماء ومسميّات باطلة يطلقونها على الله. وفى الواقع إن القول إنه مولود، وتسميته ابنًا بدون أن يقال إنه ابن الله ومولود منه، حسب الطبيعة، لا يعنى لنا شيئًا.

وبالنسبة لنا فإن الكنز مخفى فى أوانى خزفية[٩]، والحق عزيز لدينا، بالحري حينما يكون حرًا من حكمة هذا العالم والحيَل الشيطانية.

إرميـــــا: نعم بالصدق قُلْتَ إن الحق عزيز لدينا، ولكن أتوسَّل إليك أن تكشف لنا أعماق مفاهيمهم عن الآب والابن، فإن هذا بالحرى سيعود عليهم بالنفع الكثير.

كيرلس: أنا أدرك تمامًا أن هذا سيعود بالفائدة عليهم. وما دام رأيك أن هذا أفضل شئ فليكن، مادامت «الحبال مرخيّة»، كما يقول الشعراء اليونانيون، لنترك الشاطئ ولنُطلِق الحديث كما تُطْلَق السفينة فى أعالى البحار.

إرميـــــا: هيّا بنا إذن .

[٦] لا١٠: ١-٣.

[٧] تث٧: ٢٦.

[٨] راجع ما يقوله ق. أثناسيوس في هذا الصدد: تجسُّد الكلمة، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية فصل ٥٧: ١. وقد سبق أن اشار ق. كيرلس لأهميّة الكتب المقدّسة ناصحًا إيانا «بأنه لا يجب أن نلجأ للكتب المقدسة بنفس رخوه» انظر ص١٩.

[٩] ٢كو٤: ٧.

**نتائج استعمال لفظ "غير مولود" (Αγέννητος) (وجهة نظر منطقية):**

**كيرلس:** إن اسم «آب» وكيانه أمران مختصان بذات الله الآب نفسه وقد شرحنا ذلك فى حديثنا السابق[10]. والسبب الوحيد لتميّز الآب بهذه الخصائص هو أنه وَلَدَ الابن. وفى نفس الوقت فإن اسم «الابن» بدوره، يعتبر من خصوصيات الابن ولقد ذكرنا السبب وراء ذلك، لأنه قد وُلِدَ من الله الآب، وهذا الرأى كما يبدو لنا يعلو فوق كل هجوم.

**إرميا:** إننا نرى الأمر هكذا. وزيادة على ذلك أريد أن أقول لك إننى قد امتلأت بالخوف والرعّدة حينما تساءلت إلى أين يمكن أن تقودنا أفكارهم، ويجب أن تضع فى اعتبارك أنه يمكن لِمَنْ انحرفت أفكاره، أن يطرح عليك هذا السؤال: بما أننا قلنا إن اسم آب وكيانه أمران مختصان بالله الآب نفسه بسبب أنه وَلَدَ ولذلك فهو ليس ابنًا، وكذلك الابن هو ابن لأنه مولود. وهكذا فمن الصحيح القول إنه لا يمكن أن يكون هناك تداخل بين الأمرين لأن الآب سيظل دائمًا أبًا ولن يتحّول إلى ابن، والابن سيظل دائمًا ابنًا ولن يتحّول إلى أب، وخاصية الآب هى أنه «غير مولود» بينما خاصية الابن ستظل أنه هو «المولود». وبما أن هناك فرقًا كبيرًا بين «غير المولود» و «المولود» فهل سيظّل الآب والابن مختلفين وبالتالي من المستحيل أن نتصورهما فى كيانين متماثلين تمامًا؟

**كيرلس:** ماذا يمكن لمثل هؤلاء الناس أن يفعلوا سوى أن يشوّهوا بساطة جمال الفكر الذى فى المسيح تمامًا مثل مزّيفى النقود الذهبية؟ إنهم يحرّفون كلام الحق المستقيم، ويجدون سعادتهم فى اختراع حكمة غير شرعيّة وبلُغَتِهم المتعّجرفة يحاولون أن يصيبوا جماعة الربَّ بالهلع وذلك إقتداء بما فعله المتعجرف جليات[11].

**إرميا:** هذا هو الموقف ولابد أن تعرف أن هذا ما سوف يقولونه، كما أنهم سوف لا يتوّرعون عن أن يسلكوا الطريق التى ذَكَرتَ.

**كيرلس:** أى إنسان يستطيع أن يدرك أنهم انحرفوا عن التفكير الواجب والذوق اللائق. وما يحتاجون إليه هو أن يبكوا على غباوتهم ويختاروا الحلّ الصحيح

---

[10] يقصد في الحوار الأول في هذا الكتاب.

[11] انظر ١صم١٧: ٤، ٥٤.

بأن يطبقوا على أنفسهم ما قاله آخرون «لأَنَّنَا جَعَلْنَا الْكَذِبَ مَلْجَأَنَا، وَبِالْغِشِّ اسْتَتَرْنَا»[١٢]. وهم يجهلون حسب اعتقادى أن «آب» و «غير مولود» لا يمثلان حقيقة واحدة وليس لهما مغزى واحد. فالحقيقة أن أى كائن إذا دُعيَّ «أبًا» فهو ليس بالضرورة وبشكل دائم وفى كل الأحوال «غير مولود». وأيضًا فأى كائن ما، غير مولود لا يصير أبًا بشكل حتمي. وهكذا (بحسب فكرهم) هناك كائنات كثيرة غير مولودة لأن هناك آباء كثيرون. وإذا كان هناك آلاف من الآباء فبنفس القَدْر يوجد كائنات «غير مولودة»، وهذا هو ما نخرج به من فحص أفكارهم. لأننا إذا فحصنا بدقة، طبيعة الكائنات وميزّنا سبب وجود كل كائن منها، فسوف نكتشف أن هذه الكائنات لم تأتِ كلها إلى الوجود عن طريق الولادة . فهل نعتبر أن القصد من هذه الكائنات وهدف وجودها بلا معنى وقوّة، لمجرَّد أن «غير مولود» لا تعنى شيئًا واحدًا بالمعنى المطلق .. فهناك كثرة من الكائنات غير المولودة تختلف فى طبيعتها باختلاف الطبيعة. فماذا سوف يقولون إذا سألناهم هنا عن القصد من وراء اسم الأب؟ هل الأهمية في المعنى تقع على أن الكائن وُلِدَ من كائن أخر أو تقع على الذى وَلَدَ؟

**إرميـــــا:** أعتقد الأهم هو الذى وَلَدَ.

**كيرلس:** هذا صحيح؟ فإذا كان هدف قانون الأبوّة أن يرفع ببساطة كل الآباء إلى مرتبة «غير المولودين» فلماذا لا نستفيد نحن من هذه الرتبة التى لغير المولودين مادام البرهان واضحًا أننا آباء؟ أما إذا كان قانون الطبيعة نفسه لا يرفعنا إلى هذه الدرجة، لأننا بحسب قانون الطبيعة ذاته، مولودون. فلماذا يُزيّفون الحق بقولهم إن حقيقة عدم الولادة هى نفسها خاصية أنه أب، بينما لقب أب فى حالتنا نحن البشر لا يمكن أن يعنى شيئًا إلاّ عندما نَلِدُ؟

**إرميـــــا:** حسب رأيك، بماذا نجيب على الذين يسألوننا إن كان الله الآب مولودًا أم غير مولود؟

**كيرلس:** أقول إنه بالنسبة لذهن نقيّ، هو غير مولود، ولكن يجب أن لا نعتبر أنه لمجرَّد كونه أبًا يكون غير مولودٍ. ولكن كونه آبًا يرجع إلى أنه لم يُولد

[١٢] إش٢٨: ١٥.

من أى شخص، ومع كونه قائمًا بدون ولادة إلاّ أنه وَلَد ابنه الذى هو كائن فيه و لهذا السبب ندعوه أبًا.

**إرميـــــا:** ليكن، ولكن المشكلة تكمن فى أن هناك فرقًا بين كائن غير مولود وكائن مولود. ومن المستحيل أن نرى الاثنين كشيء واحد وهما مختلفين، وإذا أردت أن لا تعتبرهما شيئين مختلفين بل شيئًا واحدًا فيجب أن تستبدل الواحد بالآخر بدون تحديد، بمعنى أن الأسماء التى للآب والابن يمكن أن تُطلق على الاثنين معًا فى وقت واحد، وذلك مثلما نقول غير المرئى وغير الفاسد.

**كيرلس:** يجب أن لا نهدم اتزان الحقيقة بإزالة الاختلاف بين المولود وغير المولود، وهذا الأمر متفق علية من الجميع، وفى مثل هذه الحالة فإن اختلاف الأسماء والمسمّيات لا يعنى اختلافًا فى الله فى ذاته، هذا الاختلاف معناه فقط أن الله ليس بهذه الطريقة بل أنه غير مولود .. وبماذا سيجاوبون على ذلك، أولئك الذين يَقلِبُون معانى الأشياء، بالرغم ذكائهم الكبير وكبريائهم الظاهر في مثل هذه الأمور؟...

**إرميـــــا:** إذن، هل عدم الولادة شئ عارض بالنسبة لله الآب؟

**كيرلس:** إطلاقًا! حينما نتكّلم عن الله فإننا نعنى كل ما يخص الله، ولا يمكن أن يتطّرق إلى أذهاننا أن فى الله شيئًا عارضًا، حاشا، ولا تتعّجب، فحينما نتأمل فى أحوالنا، نرى بسهولة نفس الشيء. فرغم أن وجودنا جعلنا نحيا فى الزمن، فنحن مولودون فى نفس الوقت بكل صفاتنا الجوهرية وطبائعنا التى لا تنفصل عنا، وهكذا لا يوجد فى الله شئ يحق لنا أن نعتبره أمرًا عارضًا، والصفات الطبيعيّة الجوهرية لكائن ما أو حتى ما يُنسَبْ إليه لا توجد قائمة بذاتها، وذلك كما نرى فى الإنسان أو فى أى كائن آخر[١٣]. فهذه الصفات كامنة فى جوهر كل كائن. وإذن ما هى المكانة التى سوف تحتلها «حقيقة عدم الولادة» فى الله نفسه؟ هل هى شئ كائن فى طبيعة الله ووجوده الخاص، وكما يقول أولئك إنه «صفة ذاتية[١٤] للّه الآب». إذن فهذه الصفة

[١٣] اعتاد الآباء الكلام عن الإنسان لِيَسُهل عليهم توصيل المفاهيم عن الله (المترجم).

[١٤] خاص أو ذاتى ἴδιον من الكلمات الهامة فى شرح الثالوث عند الآباء ويستخدموها أيضًا عن التجسّد بقولهم-

ستصير متميّزة عند صاحبها لأن الشيء الذى ينتسب إلى شئ آخر وفى نفس الوقت له قوام قائم بذاته يعتبر شيئًا متميّزًا عن الذى ينتسب إليه، وهكذا حسب ما يقولون تصير طبيعة الآب البسيطة طبيعة مركّبة، بالنسبة لفهمنا عن الآب وعن غير المولود. ويجب أن لا نُعير الحكمة الشكليّة لهؤلاء الناس، أى اهتمام، بل ننتبه إلى كلمات المخلّص الذى يعرف جيدًا طبيعته وطبيعة الآب الذى وَلَده. والابن لم يُسم أباه أبدًا غير مولود بل سماه من أجلنا «أبًا».

**إرميـــــا:** يقول سليمان «لأَنَّ عَصْرَ اللَّبَنِ يُخْرِجُ جُبْنًا»[١٥]، ويبدو لى أن هذا القول الإلهى ذو فائدة كبيرة لنا، لأننا كلّما اعتصرنا التعاليم الإلهية كلّما أخرجت لنا زبدًا، وكلّما اشتقنا بلا حدود للفهم أكثر، كلّما صار لنا الله اللبن (العقلى)، مصدرًا - لا حدود له - للتقوى. وألتمس منك العذر لأنى لحوح وأُكثِر من السؤال ولكن أريد أن تجيب عن سؤالى هذا: هل كان الابن يعرف أن الآب «غير مولود»؟

**كيرلس:** نعم هذا أمر لا أنكره أبدًا لأنه لا يستطيع الإنسان أن ينكر الشيء الواضح وضوح النهار، ولكن رغم معرفته بأن الآب غير مولود وغير مرئى وأزلىّ، إلاّ أنه لم يذكر أيًا من هذه الصفات، ولكن فى المقابل سمّاه «آب» حينما قال «أَحْمَدُكَ أَيُّهَاالآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» وأيضًا «أَنِّي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجْتُ»، بل أيضًا حينما وضع السيِّد قانون المعمودية المقدَّسة، أى أساس الإيمان الذى بلا عيب لكل الذين يوجدون تحت الشمس، فإنه لم يذكر شيئًا عن هذه التعبيرات «الأزليّ» و «غير المولود»، ولكن أوصى بالمعمودية «باسم الآب والابن والروح القدس».[١٦] وحسب رأيىّ فإن الربَّ قد اختار التعبيرات التى تُظهر لنا بدقة، الوجود الخاص بكل ما يعنيه، أى الصفات المشتركة فى اللاهوت، وذلك بدلاً من الحديث عن كل ما يخص الجوهر الإلهى، بالطبيعة. وحينما نقول الطبيعة الإلهية، فإنما نعنى كل الثالوث القدوس فى الله الواحد،

- «الخاص» "σῶμα ἴδιον" راجع مثلا ق. أثناسيوس: تجسّد الكلمة، المرجع السابق الفصول ٤/٨، ١/١٠، ٨/١٤، ١/١٧، ٤/٣١، ٤/٤٣.

[١٥] أم٣٣:٣٠.

[١٦] سيعود القديس كيرلس للحديث عن أهمية الإيمان الثالوثي والذي على أساسه تُجرى المعمودية.

ولا نعنى كل أقنوم على حده. بينما حين نتناول البحث فى «الآب والابن والروح القدس» فإننا لا نقصد كشف كل الطبيعة الإلهية بلا تمييز، ولكننا نبدأ بقدر الإمكان بتمييز الأقانيم كل أقنوم بحسب خاصيته، لنصل إلى إدراك وحدتهم الجوهرية، حسب طاقتنا.

والمصدر الذى لا يوجد قبله شئ هو الآب، والذى وُلِدَ من هذا المصدر بالطبيعة، ندعوه الابن. وهذا الابن ليس فى عداد الكائنات المخلوقة الحاصلة على وجودها بالولادة داخل الزمن الحاضر، وهو ليس أقل شأنًا من الآب من جهة طبيعته الخاصة النورانية، وهو قائم في الآب أزليًّا، والذي يساويه فى كل شئ ماعدا حقيقة «الأبوّة»، التى لا تناسب إلاّ الله الآب وحده. وأما الروح القدس فيمكنك أن تشرحه هكذا: إنه انسكب من طبيعة الله الآب بالابن، وذلك مثل النَفَس الذى يخرج من أفواهنا ويدل على وجودنا الخاص، وهكذا تلاحظ بوضوح وبدون خلط أن كل من الأقانيم الثلاثة له مزيته الخاصة به، وذلك فى الطبيعة الواحدة المتساوية فى الجوهر والمسجود لها من قِبَلْ كل الكائنات.

**إرميـــــا**: لقد تكلّمت بكل قوّة ووضوح، ومن المستحيل أن يكون لنا رؤية أخرى تخالف ذلك. ولكنهم يقولون إن لقب «غير المولود» يحدّد طبيعة الله الآب وهذا معناه وبكل سهولة أن للابن طبيعة أخرى لأنه من المسلّم به أن المولود يختلف عن غير المولود.

**كيرلس**: ونحن سنقول لهم، يا أعزائى، إنه إذا كانت صفة «المولود» تحدّد طبيعة الابن، فإن الابن فى هذه الحالة سيكون من طبيعة أخرى غير طبيعة الآب، وبالتالى فهو غريب عن جوهره. وما عواقب ذلك؟ ستكون العواقب جرائم صعبة جدًا وأراء فاسدة عن جوهر الابن الوحيد. وهذه الآراء تَحُط من قَدْر المسيح العالى جدًا. وهو يقول لنا نحن المخلوقين، ذلك بصراحة : «أنتم من أسفل» وعن أقنومه الخاص يقول «أنا من فوق»[١٧]. أما عن كيفيّة أن يكون

[١٧] يو٨: ٢٣. في موضع آخر يشرح ق. كيرلس قول المسيح هذا، والذي لم يفهمه اليهود. بل ظنوا إنه شخص عادي يتعرّض للموت أو يختفى بالهروب فيقول ق. كيرلس إن المسيح أراد أن يعلّمهم «أن الأمرلا يختص بميلاد واحد وفنائه، بل يختص بذلك الذي هو بالحقيقة مولود من فوق أى من الله الآب». ويستمر ق. كيرلس في شرحه واضعًا هذا الكلام على فم المسيح «فيقول لذلك فإن الموت والهروب لن يناسبني لأني أنا من فوق أي إله من إله (لأن الله هو-

كائن ما من فوق وينزل إلى أسفل ويظلّ غريبًا عن العالم الذي من أسفل فهذا أمر يسهل شرحه لكل مَنْ يرغب فى سبر غور هذه المسألة. إن كل كائن غير مولود يشترك مع أى كائن أخر غير مولود فى صفة أساسية وهى عدم الولادة. ألا يجدر بنا أن نستمر فى التفكير بهذه الطريقة ونعتبر أن أى كائن مولود مساوٍ لكائن آخر مولود؟

**إرميـــــا:** وما هو الغامض فى ذلك ؟ فالفكرة واضحة فى الحالتين وسهلة

**كيرلس:** هل تعتقد يا إرميـــــا أن عدم التقوى غير ظاهر بعد فى كلامهم هذا؟ أم تعتقد أن الكلام الخادع لهؤلاء المضادّين والمعاندين يمكن أن يمر مرور الكرام؟ فإن تصّنعهم وبريق كلامهم وكأنه من الله، جعلهم يجذبون أذهان البسطاء، وهو فى الواقع أكثر شرًا من التجديف البشع. لقد أنزلوا الابن الوحيد إلى درجة المخلوقات، وهو الذي «بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ»، وصار معدودًا بين الكائنات المحكوم عليها بالتغيّير والفساد... وإذا كان لقب «المولود» هو، كما يدّعون، اسم الابن وجوهره، فإن جوهر الابن فى هذه الحالة سيكون مساويًا لأى مولود آخر[18] من الكائنات الحيّة والتى تُقدّر بالآلاف، بل ولا تُحصى، وتتضّمن أصغر الكائنات مثل الناموس والذباب..

**إرميـــــا:** لقد قلت الحق.

**كيرلس:** فلماذا إذن يُسموّنه بالابن؟ ولماذا يسلّمون بأن الله هو الآب إذا لم يكن بالحقيقة قد وَلَد ابنًا من جوهره الخاص؟ ولهذا لا يجب أن ينطقوا فيما بعد أيّة كلمة، لا عن الآب ولا عن الابن، لأن الحقيقة دائمًا محبوبة من المسيحيين، والمسيحيون يحبون الحق. وأمام هذا القيء نستطيع أن نفهم وبعمق أهمَّية أن يصمت الإنسان أمام أسرار الله، كما هو مكتوب «لاَ تُجَاوِبِ الْجَاهِلَ حَسَبَ حَمَاقَتِهِ»[19]، ولكن عليهم أن لا يهجموا على البسطاء بدون أى تمييّز أو كياسة ويتصوّرون أنه من الصعب أن نظهر فساد آرائهم، والله وحده

= فوق الكل) ولكن هذا يناسبكم أنتم بالحرى لأنكم «من أسفل» اي طبيعة خاضعة للموت والفناء والخوف... ولا يتساوى الذي من أسفل من الأرض مع ذلك الذي هو من فوق مولود من الله الآبّ. شرح انجيل يوحنا. د.نصحي عبد الشهيد وآخرون. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية . القاهرة، ٢٠٠٩ المجلد الأول،ص ٥٦٥

[18] اى يكون مساويًا لأى مولود آخر من المخلوقات، اى أن يكون جوهره مخلوقًا مثل الكائنات الحيّة الأخرى.

[19] أم٢٦: ٤.

يعلم مدى بؤس حججهم. فلنحارب أولئك المسلحّين بالكذب والخداع وذلك بقوّة اتحادنا بالمسيح الظافر، وأدلّة العقل السليم، ولنرنم مع داود:

«لأَنِّي عَلَى قَوْسِي لاَ أَتَّكِلُ، وَسَيْفِي لاَ يُخَلِّصُنِي.[٧] لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَّصْتَنَا مِنْ مُضَايِقِينَا، وَأَخْزَيْتَ مُبْغِضِينَا»[٢٠] وأنت ماذا تقول؟

**إرميــــا:** إمض إذن وبكل شجاعة، وسيّد الكّل سوف يقف بجانبنا ويكون رفيقنا فى الكفاح ..

**كيرلس:** أنا كلىّ اشتياق لعمل ذلك وليس عندى أدنى تردّد ولكن قبل كل شئ أعتقد أنه يجب أن أقول شيئًا.

**إرميــــا:** ما هو؟

**كيرلس:** إنه شئ مُخجل ومُخالف للحقيقة ادعائهم بأن عدم المولودية هى تحديد وتعريف لله. ونحن نعلم أن الحد هو ما يُظهر طرف الشيء ونهايته. وهكذا تصل وقاحتهم إلى درجة يستحيل معها الحوار والإقناع.

**إرميــــا:** نعم وليس لديهم أى تردد فى التأكيد على ذلك، بل ويصّرون عليه..

**كيرلس:** إنك لا تكذب فيما تقول لأن وقاحتهم قد تَعدت كل حدود الرزانة واللياقة. فإن ما يقولونه هو جهل مطبق بدون أى شك لأنهم بكل بساطة وبدون أدنى خوف يَحكمون على الرأى المستقيم والذى بلا عيب، وهم يلهثون وراء كل ما يستحسنون حتى ولو اكتشفوا بعد ذلك أنها أمور غير مقبولة.لاحظ كيف سقطوا فى الفخاخ التى صنعها لهم جهلهم وبالذات فيما يخص النقطة الآتية: فهم يقولون إن تعريفات الجوهر تتّم من خلال اسم واحد أو كلمة واحدة، وهذا أمر لا يقبله العلماء والذين يبحثون عن الدقة فى هذا المجال. وبالإضافة إلى ذلك يقولون إنه لا يوجد غير التعريفات المكّونة من كلمة واحدة. وحتى عند استعمال كلمتين، فهاتين لا تكفيان للوضوح الكامل بل بالحرى يحتاج الأمر إلى ثلاث كلمات حتى تظهر معانى الأشياء التى نريد تحديدها بوضوح .

**إرميــــا:** هل لك أن تعطنى مثالاً على ذلك؟

---

[٢٠] مز٤٤: ٦-٧س.

**كيرلس:** لنفترض أننا بصدد سؤال عن مَنْ هو الإنسان؟ فإذا أردنا إعطاء إجابة مختصرة وفى كلمة واحدة فسنُعرّف الإنسان بأنه «حىّ». ولكن حتى هذا التعريف لا يخلو من الغموض. صحيح أن الإنسان «حىّ» ولكن هذه الصفة ليست حكرًا علية وحده فهو يشترك فى هذه التسميّة مع آخرين. فالكائنات الحيّة الأخرى لا تُحصى. فالكلب والبقرة والنمر تُعد كائنات حيّة.. فإذا أضفنا تعبيرًا آخرً إلى الصفة الأولى وقلنا إنه «حىّ وزائل»، فإننا وإن كنا نقول الحقيقة إلاّ أن تعريف الإنسان هذا غير كامل، لأننا نسمَّى الكلب والبقرة أيضًا كائنات حيّة زائلة أو مائتة، ولكن إذا انتقل الحديث إلى تناول أهم خصائص الإنسان الجوهرية سواء كانت عامة أو خاصة فسنقول إنه «حى زائل عاقل، وهو المؤهّل للعلم ولإِعمَال العقل»، وسوف نكون قد وفّينا التعريف حقه ولا ينقصه شئ. هل أدركت الآن كم أن رأينا سليم وهو كلام حق؟

**إرميـــــا:** نعم أدرك، وماذا بعد ذلك؟

**كيرلس:** ولهذا فيجب أن يعلموا أنه أمر مخالف وغير مناسب للعلم الذى يدَّعون أنهم يحبونه، أن نحاول أن نعرّف شيئًا ما تعريفًا وافيًا بكلمة واحدة. فبماذا سيردون بكل ما لهم من مظاهر الحكمة إذا قلنا إن جوهر الله الآب يتحددّ فقط بكلمة «غير المولود»، ويبدو أنهم بدون وعى انطلقوا فى هذه الأحاديث مع أناس يعتقدون أنهم ذوو حس مرهف وذهن حاد، وهناك أمر آخر فات عليهم فهمه.

**إرميـــــا:** ما هو هذا الأمر الذى فاتهم؟

**كيرلس:** إن تعريفات الجواهر، إذا ما تمّت بطريقة منطقيّة ومناسبة ومنسجمة مع نفسها، فلابد أن تبدأ من النوع أو الجنس ثم تنتقل إلى بيان خصوصيات كل نوع، وما تميّزه عن غيره. ولكن انتظر فهناك أمر أريد أن أقوله لك.

**إرميـــــا:** أوُضِح ذلك لأنى أعتقد أنه يجب أن نمضى بنفس الطريقة فى عرض الأمور التى نتحدّث عنها.

**كيرلس:** إذا اقترب منك أحد الناس مستفسرًا عن معنى كلب أو بقرة فبماذا تجيبه يا إرميـــــا؟

**إرميـــــا:** سأقول إنها «كائنات حيّة».

**كيرلس:** والآن قل لىّ، هل تعتقد أنك بهذه الإجابة قد أعطيت شرحًا وافيًا لهذا الأمر؟

**إرميـــــا:** أبدًا، لأنى سوف أضيف أيضًا، اختلاف الطبائع الكامنة فى كل منها، هذا إذا أردت أن أتكلّم بطريقة مقبولة .

**كيرلس:** هذا حق ورائع، إذن ليس هناك غموض فى هذا الصدد فتعريف الجواهر يجب أن يتم انطلاقًا من الجنس أو النوع، ثم ينتقل إلى بيان خصوصيات كل نوع.

**إرميـــــا:** نعم، فليس هناك طريق آخر.

**كيرلس:** إذن فَكِّر مليًا أو بالأحرى، فليفكر هؤلاء الذين يريدون أن ينسبوا بجهل، للفظ «غير المولود» إمكانية تعريف الجوهر، دون أن يوضّحوا هل يشيرون بهذا اللفظ إلى النوع أم إلى الاختلاف داخل النوع. فإذا قالوا إنهم يشيرون به إلى النوع فيجب أن لا يطلقوه على شئ أخر غيره، لئلا ننسب للنوع إمكانية تحديد اختلاف الطبائع وهكذا نعطيه دورًا غير دوره. أما إذا تركوا هذا الأمر وقالوا إنه يعنى الاختلاف فى الطبائع، فليشرحوا لنا أى اختلاف سيظهر مادمنا لم نعرّف أولاً النوع المشار إليه؟ كيف يكون لدينا تعريف وافٍ للجواهر، وكيف نفهمه فى سياقه المنطقى وهو لا يتكّون إلاّ مما يشير إلى اختلاف (داخل النوع)؟ إنهم بتمسكّهم بهذا على أنه حق، سوف يجلبون على أنفسهم السخرية.

**إرميـــــا:** هذا أمر لا شك فيه.

**كيرلس:** إذن الحقيقة الواضحة هى أن نقول لهم إن آرائهم إنما هى افتراءات زائدة عن حدّ اللياقة.

**إرميـــــا:** وكيف نُظهر ذلك لهم، أخبرنى؟

**كيرلس:** كما سبق وقلت إننا لا يمكن أن نصل إلى تعريف صحيح لأى جوهر، من خلال الاختلاف فقط. وذلك لأن معرفة النوع تتم من خلال ما يميّزه (عن غيره)، لأن منه ينطلق الحديث كما من نقطة انطلاق المتسابقين

حتى نصل إلى رؤية واضحة. وعلى هذا الأساس فإذا أصروا بجهل على أن لفظ «غير المولود» يمكن أن يوضّح لنا الأمر فلن نجد اختلاف (داخل النوع)، فرغم أن هذا التعبير يعنى أنه لم تكن هناك ولادة، ولكن يجب ألاّ نعطى لهذا التعبير كل هذه الأهمية. ولكن فيما يخصهم سيستخدمون اللفظ كتعبير عن النوع، هكذا ببساطة وبدون تمييز. ولكن هذا يخرج بنا خارج حدود المنطق واللياقة، وذلك لأننا نحاول أن نطبق على الله صفة النوع بينما لا يوجد كائن آخر مساوٍ له أو سابق عليه. ولنفرض أن الله ينتمى إلى نوع وهو «غير المولود»، وذلك حسب رأيهم، فسوف يكون نوع لا قيمة له بالنسبة لنا مادمنا نجعله نوعًا بدون الاهتمام بأهمية الفروق بينه وبين الأنواع الأخرى. فإذا كان دور لفظ «غير المولود»ينحصر فى أنه يُظهر لنا أنه لم يَوَلَد فما الفارق الذى يمكن أن يُظهِره بين الآب والابن، لو كان الابن فى مكانة أقل بسبب كونه مولودًا.أنا غير قادر على فهم ذلك كله؟ وأنت ما رأيك يا إرميـــــا؟

**إرميـــــا**: هل يمكننى أن أقول أى شئ بعد كل هذا؟

**كيرلس**: ولكن حسب اعتقادى - وقد أظهرنا ذلك بوضوح - أن لفظ «غير المولود» ليس له قوّة التعريف الكامل والدقيق. وهذا ليس معناه أننا معتادون على بحث هذه الأمور، ولكن الضرورة وُضعت علينا ودفعتنا الحاجة أن نتنازل على غير رغبتنا وننشغل بأمور تتعّدى معرفتنا وممارستنا ولكن هذا لا يلغى فائدتها. ولا شك أن الخوض فى أفكار جديدة أمر لا يخلو من تعب، ويجب أن نقول إن رجال الاختصاص الدائبين على العمل فى هذا المجال بدقة يقولون إن كل تعريف أو تحديد معناه التغيير.

**إرميـــــا**: وما هو هذا التغييّر؟ سأكون سعيدًا إذا ما عرفّتنى؟

**كيرلس**: سوف أقول لك ذلك، بأن أعود إلى الوراء وأعيد على مسامعك ما سبق وقلته، فنحن نُعرّف الإنسان على أساس أنه كائن حىّ زائل بينما نحدّد الحصان مثلاً على أنه حيوان يتميّز بالصهيل وهكذا، وهناك طريقة أخرى لكى نحدّد طبيعة هذه الكائنات، وهى أن ننطلق من الصفات الأخيرة وليست الأولى، إلى أن نصل إلى حيث يبدأ التحديد، بمعنى أنه إذا كان هناك كائن

حىّ زائل وعاقل فإننا سنفهم أنه الإنسان، وإذا قلنا إن كائنًا ما قادر على الصهيل فسوف يظهر ذلك أن الأمر يتعلّق بطبيعة الحصان. فإذا كان تعبير «غير المولود» هو تعريف، فلماذا لا يقبل التغيير أو التعديل. يجب أن لا يترددوا فى أن يعترفوا بذلك، فإذا قلنا عن كائن إنه «غير مولود»، فهذا يكون تحديدًا لجوهر الله الآب، ولكن هذا الفكر عارٍ تمامًا من الصحة، لأنه يوجد آلاف الأشياء بنفس الطريقة. ومن الصعوبة بمكان أن نحصر الأشياء التى ينطبق عليها هذا الكلام. هل فهمت الآن درجة الغموض التى يقودنا إليها كلامهم وأفكارهم.

إرميــــا: حقًا إنه لأمر مفزع.

كيرلس: هناك دلائل أخرى تؤكد على أن تعبير «غير مولود» غير كافٍ كتعريف متكامل ويجب أن نعيد فحص هذا الأمر. نحن نحدّد كل كائن انطلاقًا من إيماننا بماهيته الحقيقية، وليس من عوارض فيه التي يمكن أن تختفى لأسباب كثيرة ..

إرميــــا: أوضِح ذلك من فضلك؟

كيرلس: لنأخذ النار أو الماء مثالاً، فحينما نريد أن نُعرّف ماهيتهما أو نحدّد طبيعة كل منهما، فسوف نقول عن النار إنها جسم ساخن وجاف، أما الماء فهو سائل وبارد. وهذا هو على ما أعتقد التحديد المناسب انطلاقًا من كينونتهما الحقيقية. فإذا قلنا عن النار إنها لا باردة ولا ليّنة مع حذف القول إنها ساخنة وجافة، وكذلك عن الماء نقول إنه لا ساخن ولا جامد، بينما يجب القول إنه بارد، ولكن إذا عرَّفنا هذه الأشياء بهذه الطريقة السلبّية، فمن أين سنأخذ التحديد الصحيح؟

إرميــــا: أعتقد أننا متفقون على أن نُعرِّف هذه الأشياء انطلاقًا من الصفات التى لا تملكها، أى التعريّف السلبّى، مثل الشيء الصلب نقول عنه إنه ليس لينًا.

كيرلس: ولكن هل لو تكلّم إنسان هكذا عن كائن ما، فهل سينجح فى إظهار الحقيقة بدون انحراف عن القصد؟

إرميــــا: إطلاقًا.

كيرلس: كيف إذن نستطيع أن نقول أن تعبير «غير المولود» هو تعبير كافٍ

كتحديد، وهو لا يُظهر لنا ماهية الآب، ولكن ما ليس للآب؟

**إرميـــــا:** على كل حال أنت تؤكد أنه «غير مولود».

**كيرلس:** هذا هو فعلاً ما أكدّته، وهذا هو مضمون الكلمة بشكل عام، ما هو رأيهم إذن إذا قلنا إن تحديدات الجواهر لا تُوجد بها بالضرورة خصائص متناقضة، ولذلك فهى لا تدخل فى نطاق التحديدات النسبيّة، ومن خصائص هذه التحديدات النسبيّة أنها تشير دائمًا إلى علاقة بشيء آخر.

**إرميـــــا:** إن كلامك غير واضح - على الأقل بالنسبة لى.

**كيرلس:** ليس هناك ما يَمنع أن نجعله واضحًا، فحينما نتكلّم عن الآب فإننا نثير فى أذهان السامعين فكرة الابن أى مجرد فكرة وجود كائن مولود، والعكس صحيح، فحينما نذكر الكائن المولود فإننا نجلب إلى الأذهان ذاك الذى يَلِد. نفس الشيء يمكن أن ينطبق على فكرة الاتجاهات، فحينما نتكلّم عن اتجاه ما، نَتَذكّر الاتجاه الآخر، أى حينما نقول اليمين يذهب فكرنا أيضًا إلى وجود يسار. ولكن حينما نتكلّم عن الإنسان ونحاول تحديد جوهره أو جوهر أى كائن آخر من الكائنات الحيّة، فإذا قلنا إنه إنسان لا نضيف عليه شيئًا مختلفًا أو معاكسًا، كما نتكلّم عن اليمين أو اليسار أو الآب والابن، وذلك لأن الإنسان هو الإنسان، كما أن الصخرة هى الصخرة ولا يوجد فيها ما يجعلنا نميّزها عن غيرها، ولذلك فإن خصائصها المميّزة لها هى التى تحدّد الأسماء التى نطلقها عليها. وإذا جئنا إلى لفظ «غير المولود»، فإنه يعنى «غير المولودية» كما أنه يشير ضمنًا إلى «المولود»، لأن اللفظ يشير إلى الخاصتين اللتين يعبر عنهما . فكيف إذن نعتبر لقب «غير المولود» تعريفًا (لجوهر) الله بينما هو يختلف عن لقب «مولود» وليس فيه معنى يشير إلى ما هو مشترك بينهما؟[٢١].

**إرميـــــا:** إذن لقب «غير المولود» حسب رأيك لا يعنى شيئًا بالنسبة لله؟

**كيرلس:** أبدًا بل يعنى الكثير، وذلك بسبب أنه قد خُصص للآب وارتبط به وحده فقط، وذلك للتعبير عن حقيقة «عدم الولادة» ولكن يجب ألاَّ ننسب لهذا اللقب وحده صفة التحديد أو التعريف النهائى لجوهر الله.

[٢١] يقصد ما هو مشترك بين «غير المولود» و «المولود» من ناحية، وبين «جوهر الله» من ناحية أخرى.

## غير المولود والآب ( وجهة نظر واقعية ):

**إرميـــــا**: سيقولون، ليكن ذلك، وسوف لا نعطى للقب «غير المولود» القدرة على تعريف الله الآب، ولكنهم يستمرون فى القول إنه يُعبّر عن جوهره. وبما أن «غير المولود» يختلف عن «المولود»، فإن الابن فى هذه الحالة لن يكون من نفس طبيعة الآب. فإن اختلاف المعانى التى تُعطى للألقاب يؤدى إلى الاختلاف فى الجوهر.

**كيرلس**: يا للفكر الماكر؟! وهذه عادتهم فعلاً فى الانتقال من فكرة إلى أخرى، وهذا يجعلنا نرى ألوانًا عجيبة من الأفكار. إن أصحاب هذه الآراء غير التقّية يبدون لىّ أنهم يفعلون ما يفعله الفنانون والرسامون. فهؤلاء يرتكبون أحيانًا خطأً ما فى تصميم وتنفيذ لوحة لكائن حىّ بألوان غير طبيعية، ثم يقومون بتحسّين رسمهم بألوان أخرى جديدة، وهم بذلك يعتقدون أنهم قد وصلوا بعد تعب كثير إلى أن يمنعوا عملهم من أن يظهر كاذبًا لمن يشاهده، ظانين بذلك أن لهم خبرة. ولكن بينما يعتقدون أنهم يثبّتون أسماءهم وصِيَتهم، فإنهم بدون أن يدروا يُظهرون أخطاءهم السابقة. وفيما هم يمدحون هذه التعديلات التى يقومون بها فإنهم يكشفون قبح ما ارتكبوه من رعونة، هل جانبنى الصواب فى كلامى هذا؟

**إرميـــــا**: هذا حق ولكن لننسَ ـ من أجل الرحمة ـ التعديات التى صنعوها، ولندخل فى صلب الموضوع وإلاّ فسوف نقدم لهم الفرصة لكى يزدروا بنا كما لو كنا نتردّد أمام الجهاد الموضوع أمامنا ..

**كيرلس**: مادمت ترى أن ذلك صحيح فلنبدأ فى خوض غمار الموضوع. إنه لجهل كبير أن يقولوا إن «غير المولود» هو وصف لجوهر الله وأعتقد أنه سيوجد مَنْ يرد على حماقاتهم بضحكة ساخرة. فإذا كان تعبير «غير المولود» يصف جوهر الله، وإذا وُجِدَ آلاف الكائنات الحيّة غير المولودة فى العالم، فإذن كل ما هو «غير مولود» يُعتَبر وصفًا لجوهر الله، أو بكلام آخر تصير صفة «غير مولود» هى وصف لجوهر هذا الكائن. فالشمس مثلاً توجد بدون أن تكون مولودة، والقمر خُلِقَ بنفس الطريقة وهكذا النجوم والسموات، هذا بدون الكلام عن

الرئاسات والعروش وكل الخليقة التى فوقنا والتى لم تأتِ إلى الوجود مثلنا عن طريق الولادة. فليس إذن كل «غير مولود» هو جوهر لله، ولا يمكن أن ننسب لقب «غير المولود» لكل كائن غير مولود كجوهر له. وهكذا لا نستطيع أن نعطى هذا التعميم لتعبير «غير المولود» إذا كنا قد طهّرنا ذهننا من الفساد والالتواء. ويجب أن نضيف صفة خاصة وهي أن استعمال لقب «غير المولود» كجوهر بدون أن نضيف إليه نوعًا أو جنسًا أو غيرها من الاختلافات، فإن هذا الاسم لن يكشف شيئًا للسامعين سوى أنه جوهر. فإذا افترضنا أن «غير المولود» لا يدل على شئ خاص بالله، فسوف لا ننسب له أنه لم يُولَد بل فقط أنه جوهر، ولمن يكون هذا الجوهر؟ ذلك شئ غير واضح، إذ أنه فوق مقاييس النوع والجنس والاختلاف. ولنستعمل أيضًا وبنفس الطريقة لقب «الولادة» بخصوص الابن، ولنعتبره تعبيرًا عن الجوهر فقط بدون أى تمييز آخر، ففى حالة إطلاق هذين اللقبين هكذا ببساطة وبدون أى تحديد، بينما هما لا يعبّران عن أى شئ سوى الجوهر، ماذا سيكون الفارق فى هذه الحالة بين الآب والابن؟ فى هذه الحالة فإن المقابلة ستكون بين جوهر وجوهر، ومادمنا لا نضيف شيئًا للتمييز فسوف لا نجد فرقًا. ومع مضى الوقت وإصرارهم على عدم ذكر شئ غير الجوهر، سوف يصير هناك تشابه كلى. ولذلك فإنهم يجب أن يخجلوا من جهلهم حينما يقولون إن لقب «غير المولود» هو يُعبرّ عن جوهر الله[٢٢] ويرفعونه كحاجز أمام طبيعة الابن، وينبحون به ضد عقائد الحق. فنحن لا نرى أبدًا ذلك الاختلاف بين الآب والابن الذى يدّعون أنه واضح، مادام لفظ «غير المولود» لا يُعبّر ـ بخصوص ـ الآب أكثر من أنه لم يُولَد. ولا التعبير الآخر«المولود» بخصوص الابن، أكثر من أنه وُلِدَ. وبقولهم إن اللقبين (غير المولود والمولود) هما جوهران، فإن كلامهم هذا يُنقصه الوضوح. وأعتقد أن ما سبق وشرحناه قد أوضح لنا أن جوهر كائن ما، لا يختلف عن جوهر آخر إلاّ فى أن يكون له كيان قائم بذاته يُستدل منه على أنه جوهر آخر، هل يَروق لك هذا الشرح، وهل تجده واضحًا ومستقيمًا، أم تريد أن تصحح شيئًا؟

[٢٢] يوضّح ق. كيرلس ما يريد أن يقوله هنا بقوله فيما بعد أن «غير المولود» يُعبرّ عن أقنوم الله الآب ولكن لا نقول إنه يمثل جوهر الله».

**إرميـــــا:** أبدًا فكل شئ سليم وصحيح.

**كيرلس:** إنهم قد رفعوا عن لقب «غير المولود» دلالته على عدم الولادة وقصروه على الجوهر الكائن، فما الذى يمنع إذن الذين يحاولون تجريد لقب «مولود» من أن يدل على الولادة فعلاً ويقصرونه على الجوهر؟ وهذا هو ما يفعلونه مع لقب «غير المولود»، وبعد ذلك كيف سنتعرّف، وأى منطق سوف يجعلنا نميّز بين أقنوم وشخص الآب وأقنوم وشخص الابن؟ ونحن لم نعد قادرين على التمييّز بين الذى وَلَدَ والذى وُلِدَ، أى بين الوالد والمولود. وهكذا تصير كل عقيدتنا الإيمانية باطلة، ولا يوجد ما يبرّر إيماننا. ولماذا نستمر إذن فيالإيمان بالآب كوالد والابن كمولود؟ لأننا لا نستطيع بأى شكل من الأشكال ـ وخاصة فى هذا الصدد ـ أن نُحرّف المسمّيات عن مقاصدها. وأعتقد أنى أقول كلامًا دقيقًا وملزمًا للجميع وضروريًا. وذلك لأن إيماننا حق، ولهذا نحن نحيا ملء الحق ومعرفة الله الحقيقية حينما نعتمد «باسم الآب والابن والروح القدس».

**إرميـــــا:** هذا هو الخبر السار. ولكنى أتجرأ وأقول إنهم يقولون نفس الشيء، لأنهم يسمّون الله بالآب لأنه خالق ولأنه مصدر كل الأشياء وخالقها من العدم إلى الوجود، وفى كل الأحوال سوف يقولون إنهم تعلّموا أن يقولوا فى صلواتهم «أبانا الذى فى السموات».

**كيرلس:** إذن سنسألهم كأصدقاء عن السبب وراء التزامنا بأن ندعو الله يا أبانا ؟ هل لأننا نُعَّد بين المخلوقات أم لأننا تكللّنا بنعمة التبنى وحُسِبنا أولادًا لله؟

**إرميـــــا:** ذلك لأننا مخلوقات بالطبيعة وأبناء بالنعمة.

**كيرلس:** لكن لاحظ أننا حينما نُسِمى آب وابن لا نعنى الخلق، لأن العلاقة تكون بين آب وابن، وبالتبادل بين ابن وآب بدون وسيط، تمامًا مثلما لا يوجد وسيط بين الصنعة وصانعها أوالصانع وصنعته. وإذا حرمنا كل واحد من نوع علاقته بالآخر ولم نعطه الاسم الذى يدّل على دوره فى هذه العلاقة فسوف نجد أنفسنا ننسب للآب أنه «الصنعة» وللابن «أنه الصانع»، وحينئذ كيف لا نصير أضحوكة بسبب هذا الجنون.

**إرميـــــا:** نحن ندعو الله أبًا كأبناء ولكن الكلام كثير فى هذا الأمر وغير مفيد.

**كيرلس:** ولكن بدون والد ومولود، لن يكون عندنا آب حقيقى ولا ابن حقيقي.

**إرميـــــا:** ما تقوله صحيح ولكنهم سيقولون لِندعُ الله أبًا، إذا تمسّكت بذلك، والسبب تحتمه ضرورات اللغة.

**كيرلس:** من أين له بلقب الآب إن لم يكن أبًا حسب الطبيعة! أم أنهم سيقولون إن من يدعونهم آباء هم أيضًا آباء بالطبيعة.

**إرميـــــا:** أنت تعرف جيدًا أن هذا هو ما سيقولونه.

**كيرلس:** أين سنضع إذن الطوباوى بولس الذى لا يُرجِع مبدأ الأبوة إلينا ولا إلى أى من المخلوقات، ولكنه يخصصه لله الحقيقى الواحد، الآب. ولنستمع لما كتبه لتعليمنا «الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ أبوّه فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ»[٢٣]. لابد أن نجيبهم، وبذلك نُمرّن فكرنا. ياإرميـــــا ما أريد أن أعرفه هو الآتى:هل صار الله «غير مولود» مع الوقت، فى لحظة معيّنة زمنية بينما لم يكن كذلك منذ البدء، أم أنه غير مولود منذ البدء ؟

**إرميـــــا:** نعم منذ البدء هو غير مولود وأى كلام آخر سيكون ضرب من الغباء.

**كيرلس:** إذن ماذا تعنى كلمة «غير المولود» هل مجرد أنه لم يُولَد أم ماذا؟

**إرميـــــا:** واضح أنها تعنى أنه لم يُولد.

**كيرلس:** ماذا يدفع الله الذى لا بداية له أن يجعلنا نراه على هذه الصورة، أي صورة الآب، ولماذا سُمى هكذا؟ فإذا كان لقب «غير المولود» يمثل طبيعته فعلاً وهذا فى وقت لم يكن هناك أى كائن مولود يشاركه الوجود، ولأنه حسب كلامهم، هو الآب الذي لم يلد الابن، فبالمقارنة بمَنْ يكون الآب «غير مولود»، فى وقت لم تكن توجد فيه كائنات مولودة؟ ولا أعتقد أنهم سيقولون إن الكائنات المخلوقة عن طريق الولادة تتشارك مع الله الأبدى وغير المولود؟!

---

[٢٣] أف٣: ١٥. حسب الأصل اليوناني Πατριὰ. يكرر ق. كيرلس هنا نفس تعليم ق. أثناسيوس مستخدمًا نفس الآية فقد سبق ق. أثناسيوس أن كتب قائلاً «إن الله يلد ليس كما يلد البشر بل هو يلد كإله. لأن الله لا يقتدى بالبشر بل الأحرى البشر (هم الذين يقتدون بالله) لأن الله. على وجه الخصوص. هو وحده حقًا الآب لابنه الذاتي. أما الآباء البشريون فقد دعوا كذلك آباء لأولادهم، من الله «*الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ أبوّه فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ*». انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين، عربها د.صموئيل كامل، ود. نصحي عبد الشهيد المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية طبعة ثانية ٢٠٠٢، ص٧٦-٧٧.

فإذا كان الله دائمًا غير مولود لأنه دائمًا آب، فإننا لابد أن نؤكد وجود ذاك الذى بسببه كان الآب «غير مولود»، أقصد الابن الذى هو كائن بالولادة، والذى على صورته اغتنت نفوسنا، والذى شابهناه بفضائل التقوى ودُعينا نحن آباء لأولادنا مشابهةً بالآب الأعلى، وذلك لأن الأصول سابقة دائمًا على الصور.

**إرميـــــا**: وماذا يمنع المضادّين من القول إن الله دُعىَ أبًا مكُتسبًا هذا الاسم منّا نحن الذين ندعى آباء بالطبيعة (لأولادنا) لأنه وهو أب وسبب كينونة ووجود كل الكائنات المخلوقة، فإن عدم الولادة هى طبيعته؟.

**كيرلس**: ولكن بولس شهد بصدق مؤكدًا أن كل أبوّة على الأرض انسكبت منه على كل خليقة عاقلة، وذلك على صورة الآب، ولم يقل بولس إن «عدم الولادة» فى السماء وعلى الأرض، هى من الله أو أن أى كائن لا يجب أن يكون مولودًا وذلك لكى تنطبّع صورة غير المولود فى المخلوقات. إن أجمل زينة ممكنة للخليقة هى انسجامها ومشابهتها مع ذاك الذى هو فوق الجميع.

**إرميـــــا**: إذن هيّا بنا نَقْلب الخليقة رأسًا على عقب ونحرمها من الولادة حتى تصير مشابهة لذاك الذى هو «غير المولود».

**كيرلس**: ليس هذا ما أقصده ولكنى أردت إظهار سخافة نتائج تفكيرهم، ويجب علينا أن نبتّعد عنها بأقصى سرعة، وكلام الحكمة كفيل بإقناعنا حينما يقول «اِحْفَظْ نَفْسَكَ طَاهِرًا»[٢٤]. وتدعونا هذه الحكمة بقوّة بأن لا «نشترك فى خطايا الآخرين». إذن لابد لنا أن نتمسك بقوّة وبِحُب بأقوال آبائنا القديسين التى بلا عيب، ولا حاجة لنا أن نتسلّى بآراء غريبة أو أن نشترك فى فكر عنيد وبربرى، هذا الفكر البربرى هو الذى ينبح ضد مجد الابن الوحيد، ومع الذين «تكلّموا ضد الله بالظلم» حسب المكتوب[٢٥]. فإن آباءنا القديسين المعروفون والوكلاء الأمناء لأسرار مخلّصنا، هؤلاء الرجال ذائعى الصيت رأوا أن لقب «غير المولود» لا يعبّر عن جوهر الله الآب، لكنها كلمة تعنى للذين يسمعونها أنه لم تحدث ولادة. ونحن نعترف أن هذه الكلمة تُعبر عن أقنوم الله الآب ولكن لا نقول إنها تمثل جوهر الله. وإذا حاولنا فحص ذلك

[٢٤] ١تيمو٥: ٢٢.

[٢٥] مز٧٤: ٥س.

سنجد أنه بين كل الموجودات، أو ما نظن أنه موجود بدون أن يكون له وجود فعلّى قائم بذاته ـ توجد كائنات قائمة بذاتها وهى تمثل أقنوم: وهناك صفات غير ثابتة ليس لها وضع خاص بها، إذ هى تنتقل من هنا وهناك بين جواهر الكائنات ـ أى أنها مشترَكة بين الجواهر. وهذه الصفات لديها إمكانية أن تشترك فى جواهر الكائنات. وهذا يعطيها مظهر المشاركة فى الجوهر وهذا يعطى انطباعًا أن هذه الطبيعة الغريبة هى خاصة بها ..

**إرميـــــا:** ماذا تريد أن تقول؟

**كيرلس:** يبدو أنك لا تتذّكر التعب الذى عانيناه لكى نشرح ذلك شرحًا كاملاً. إن الأشياء العارضة أو الصفات الكامنة فى كائن ما، لا يمكن أن تُعتبر كشيء قائم بذاته، ولكنها موجودة بسبب انتسابها لغيرها. فهي حسب الظاهر، موجودة كشيء قائم بنفسه، ولكنها فى الواقع لا تملك طبيعة خاصة بها بل هي تنتمى إلى طبيعة أخرى... وهكذا فإن "المولود" و"غير المولود" ليسا أمرين قائمين بذاتهما مثل الأقنوم، ولكنهما يُظهِران لنا ببساطة إن كانت هناك ولادة أم عدم ولادة (لهذا الإقنوم).

**إرميـــــا:** بالصواب قلت.

**كيرلس:** يجب إذن أن ننسب لصفة «عدم الولادة» كأن لها وجودًا داخليًا فى أقنوم الله الآب، ونقبل أنها تنتسب إلى هذا الأقنوم ولكنها ليست هى الأقنوم. تأمل اللغو الذى ينتج عن ظنونهم، بأن «غير المولود» هو جوهر، فهناك آلاف الكائنات الموجودة عن طريق الولادة، وبالتالي ما الذى يمنع من الاستمرار فى الهذيان والقول إن كائنًا من هذه الكائنات الموجودة لا يملك وجودًا خاصًا به لأنه حصل على كينونته بالولادة، وذلك لأن كل واحد من هذه الكائنات قد فقد خاصية الجوهر وضاع بسبب كونه «غير مولود».

**إرميـــــا:** يضيع بالفعل، وكيف يكون الأمر غير ذلك؟

**كيرلس:** ولماذا لا نقول لهم الأتى وهو كلام مناسب جدًا: لنفترض أن غير المولود هو جوهر الله الآب حسب ما يقولون، وأن هذه الطبيعة قاصرة عليه فقط وهى منفصلة تمامًا عن الطبائع الأخرى. ويكون الله بالتالى متعاليًا

على كل جوهر وعلى كل الكائنات . ويجب أن نتذكر أن الكائنات قائمة عن طريق التوالد وأنها تمتلك طبيعة خاصة بها، ورغم أن طبائع هذه المخلوقات مختلفة تمامًا عن طبيعة الله؛ فإن عدم الولادة والولادة لا علاقة لهما بالجوهر. إذن ماذا سيقول هؤلاء الناس ذوو الميول الشريرة عن وجود صفات الله الآب فى مَوُلِوُده الذى وَلَده، أقصد الابن الوحيد، فالآب هو الحياة والنور والإله الحقيقى، وهكذا الابن أيضًا هو الحياة والنور والإله الحقيقى، وذلك ليس بمجرد المشاركة (مثل البشر) ولكن بالطبيعة والتساوى. هل فهمت إذن استحالة إرجاع صفات اللاهوت الذاتية، إلى لقب «غير المولود» فقط، لأن هذا يُدخلنا فى مخاطرة الاعتراف بأن كائنات أخرى غير الله تملك هذه الصفة بحكم وجودها فى الحياة بدون ولادة؟ فهذه الصفات الخاصة تعود إلى الآب بكونه هو الله. وهكذا ووفقًا لقوانين الطبيعة فإن الآب يمكنه أن ينقل طبيعته إلى أى شخص. وهكذا فإن صفة «غير المولود» ليست هى جوهر الله، بل هى تُظهر فقط كما ـ سبق وأشرت ـ أن الآب لم يُولد، إذ ليس لها قوام قائم بذاته.

**فحص الاعتراضات على مفهوم الولادة:**

**إرميـــا:** هذا صحيح ولكن المضادين ربما سيقولون لنا: إنك إذا قلت إن الابن الذى هو كائن بالولادة، يشترك مع الله الآب فى الجوهر، فإنك لن تتردد فى أن تقول إنه كائن دائمًا مع الآب، وإنه لم يُولَد بدون التغيّر الذي يصاحب ما نسميّه عادة، بالولادة. بينما المنطق يقنعنا بأن نفكر أن العلّة توجد قبل المعلول، وأن طبيعة الذى يَلد يلحقها تغييّر ما بسبب ولادتها للكائن الذى يُولد منها، لأن المولود يشكّل جزءً من طبيعة الذى يلد. إذن يجب أن نستبعد فكرة الولادة الطبيعية البشرّية من أذهاننا لأنها تعنى تغييرًا قد دخل إلى الطبيعة الإلهية التي تسمو على كل تغيير.

**كيرلس:** أليس هذا هو ما سبق أن قلته؟ فأفكارهم تشبه الصبغة التى يلونون بها الأمور حسب ظنونهم، ويعطونها أشكالاً عديدة وفى أى اتجاه. فهم يشبهون المعتوهين والأطفال الصغار، بل وحتى الأطفال لديهم القدرة على التفكير، بينما هؤلاء الناس يتمسكّون بدون فحص بكل ما يأتى على أذهانهم،

ويكرّمون كل ما هو قبيح وعفن. هذا حسب رأيى هو حال العبيد والنفوس التى أضعفتها الغفلة. وهكذا يقول لنا بولس «أَيُّهَا الإِخْوَةُ لاَ تَكُونُوا أَوْلاَداً فِي أَذْهَانِكُمْ بَلْ كُونُوا أَوْلاَداً فِي الشَّرِّ وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ»[٢٦]. والحقيقة أن الذى لا يملك القدرّة على التميّيز وهو رجل وليس مراهقًا، بل ووصل إلى مستوى النضوج الذى فيه يتحقق الملء فى المسيح، فإذا لم يتحقق ذلك فيه فإن ما يفعله حينذاك سيكون أمرًا لا يليق بالقديسين. ولا نشك لحظة فى الضرر الفادح الذى ينتظر أولئك الذين لا يملكون القدرة على التمييّز.

**إرميـــــا**: بالفعل لأني لا أعتقد شيئًا غير ذلك، والحق معك.

**كيرلس**: هل تريد إذن أن نترك الحديث عن التمييّز ونعود إلى تسليط نور الحق على ادعاءات هؤلاء الناس.

**إرميـــــا**: بكل تأكيد لأننا سنجد ما نقوله فى هذا الاتجاه.

**كيرلس**: لا أعرف من أين جاء هؤلاء بكلمتى «العّلة» و «المعلول». ولا أعتقد أنهم سيدّعون أنهم وجدوها فى الكتب المقدّسة، فما الذى سيقولونه فى هذا الأمر؟

**إرميـــــا**: لقد سمعتنا نقول منذ قليل إن «العلّة» أقدم من حيث الوجود ومن حيث الفكر، من «المعلول»، وإن مَنْ يَلدِ لا يمكن أن يَلدِ بدون ألم وتغيّير. وهم يقدّمون هذه الأفكار بشكل مزّيف لكى يظهروا أن الابن أقلّ من الآب، وأنه فى المرتبة الثانية لأنه جاء متأخرًا، وهكذا ينكرون بشكل قاطع أن الولادة حقيقية. ويدّعون باطلاً أن الولادة من الجوهر ليست أصيلة.

## الخلق والولادة :

**كيرلس**: فليتفضّلوا ويعطونا إجابة عن هذا السؤال: هل أنتم مقتنعون بأن الآب هو «سبب» كينونة الابن؟ هل دور الآب هو دور «الصانع» الذى أحضر الابن إلى الوجود مثل باقى الخلائق المصنوعة؟ أم سيقولون معنا أن المولود قد خرج من جوهر الآب بميلاد حقيقى؟

**إرميـــــا**: حسب رأيهم، أن يكون الله أبًا فهذا معناه أنه خالق، وإذ هو الكائن

[٢٦] ١كو١٤: ٢٠.

العظيم البسيط فى جوهره، فإنهم عندما يقولون إن الله قد وَلَدَ، فهم يقصدون بذلك أنه قد خَلَقَ. ويمكن أن يقولوا إنه ما لم يكن فعْل الولادة هو فعل الخلق فهذا سوف يجعل الكائن البسيط كائنًا مركبًا.

كيرلس: هذا فى الحقيقة خلط كبير فى الأمور وتشويش على الطبيعة البسيطة والواضحة، ورغم أن هناك صفات ذاتية فى هذه الطبيعة تبيّن التمايز بوضوح، إلاّ أنهم يخلطون الأمور مثل خلط مياه نهرين مستقلين حسب رأى أحد الحكماء اليونانيين. وبالنسبة لى، هناك فارق كبير بين «يخلق» و «يَلدْ»، وذلك بغض النظر عن كل المماحكات الفكريّة. وأنا أرى أنه يجب ألاّ نخلط بين أن ننسب للآب أن طبيعته بسيطة وبين أن نستغل هذه البساطة بدون تعقل، لكى نفكر عنه أفكارًا غير منطقية ولا تليق به. فإذا كان الله بالخلق وَلَدَ أيضًا، وإذا أراد أحد رؤية الخلق والولادة كشيء واحد، بدون أى تمييز بينهما ولا اختلاف، ولا يرى أن الخلق غير الولادة، فإنى لا أستطيع أن أوافق على ذلك، لأن هذا سوف يؤدى لاعتبار كل شئ خَلَقَه الله، مولودًا منه. تصوّروا معى العدد الذى لا يُحصَى للمخلوقات والأنواع، وهذا يستحيل أن نحصيه، ولكن مَنْ يريد ذلك فعليه أن يحاول إحصاءها، لأنه لا يوجد كائن واحد لا ينتمى لطغمة المخلوقات، وعليه أن يُحصِى أيضًا أصغر المخلوقات وأقلها شأنًا، فهل سيصير الله أبًا لكل هذه المخلوقات الدنيا؟

إرميـــــا: هذا كلام غير مقبول طبعًا.

كيرلس: بل لتقل بأكثر وضوح إنهم قد خرجوا عن كل حدود التقوى. لأن التفكير بأن الخَلقْ والولادة فى الله هما أمران لا تمايز بينهما بسبب بساطة الطبيعة، فهذا معناه أن نُظهِر الكتب المقدّسة أنها خرافات باطلة، لأنها تُسمِى الابن، بـ «الوحيد الجنس»(المونوجينيس). وإذا كان ما يقوله المضادون صحيحًا، فيجب أن يكون له أخوة كثيرون. وهذا معناه أن الابن الوحيد قد جاء إلى الوجود مثله مثل باقى المخلوقات عن طريق الخلق، وذلك لأنهم لا يفرّقون بين الخَلقْ والولادة. وهذا معناه أن الرسول يوحنا الذى أدخلنا إلى هذا السِّر، قد جانبه الصواب حينما يقدّم لنا الابن على أنه «الابن الوحيد»

(المونوجينيس)، وهو يقول عنه إنه «فِي حِضْنِ الآبِ»[٢٧] وهذا معناه أن الولادة من الآب حقيقية تمامًا، وهذا كلام واضح جدًا. فإن حاولوا إنكاره فإنهم بذلك يتجاسرون على الابن نفسه. فقد كان من الأسهل عليه أن يقاوم اعتراضات اليهود، ولكن نجده فى الواقع يستثيرها. فلماذا لم يقل لهم بوضوح إن الله قد خَلقة، ولماذا دعا الله أباه، مساويًا نفسه بالله؟[٢٨]، مَنْ أجبره على أن يصرخ فى مجامعهم: «اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ»؟[٢٩]، بينما كان فى إمكانه أن يُسكّن غضب سامعيه؟ فلو كان قد قال: «إن الذى يؤمن بالمخلوق لا يدان» لَمَا رأيناهم فى حاجة أن يتهمّوه بالكفر، أو أن يرجموه أو أن يقودوه إلى الجبل ليلقوه من أعلى[٣٠].

ومن أين أتى التلاميذ، وهم الحكماء، بهذا الاعتقاد عنه أنه الابن الوحيد لله وليس مخلوقًا؟ فالمسيح غيّر طبيعة الماء، واستطاع أن يمشى على مياه البحر كأرض صلبة بدلاً من أن يغوص فى أعماقها، مما أثار دهشة الرسل القديسين بقوة. وعندما دخل السفينة معهم، سجدوا له معترفين وقائلين «بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللهِ»[٣١]. وما فعله المسيح (فى هذه المعجزة) جعلهم يؤيدون اعترافهم به بصيغة توكيد بقولهم «بالحقيقة». هل بعد هذا نستطيع أن نتهمهم بالكذب؟ هل تختلط علينا الأمور ونتهمهم بأنهم حادوا عن الحق؟ وإذا كان (الرّب) ليس ابنًا خارجًا من جوهر الذى وَلَده، أى الآب، بل هو مجرد مخلوق، وإن كان لقب ابن الله ليس إلاّ مظهرًا فقط، فبماذا كان التلاميذ يفكرون حينما سجدوا له؟ لماذا دعوه «ابن الله» وهم معلّمو أسرار الإيمان وكارزو الحق الإلهى؟

**إرميـــا**: لا نستطيع أن نقول أحسن من ذلك حسب رأيى.

[٢٧] يو١: ١٨. سبق أن شرح ق. كيرلس بالتفصيل معنى أن الابن هو في حضن الآب وذلك في سياق شرحه لانجيل وحنا فكتب قائلاً: [لإننا يجب أن نلاحظ إنه يدعوه «الابن» الإله الابن الوحيد ويقول إنه «في حضن الآب» لكي ندرك أنه لا يمكن ان يُحسب مثل المخلوقات أو أنه له طبيعة مخلوقه بل أن له اقنومه المتميّز عن الآب والذي هو في الآب»]. انظر شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس المجلد الأول. ٢٠٠٩م ص١٤٣.

[٢٨] يو٥: ١٨.

[٢٩] يو٣: ١٨.

[٣٠] يو٥: ١٨.

[٣١] انظر مت١٤: ٢٥-٣٣.

**كيرلس:** إن بولس الطوباوي وهو القديس والذى دعاه الله «إِنَاءٌ مُخْتَارٌ»[٣٢]، وعُيّن خادمًا للأمم، والمؤتمن على أسرار مخلّصنا، ماذا كان يريد أن يقول ياترى حينما صرخ بخصوص الابن والملائكة القديسين قائلاً: «الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي، صَائِرًا أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ. لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ؟ اِجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ؟ أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ!» وأيضًا «لأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ \الْكَلِمَةُ \الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ صَارَتْ ثَابِتَةً، وَكُلُّ تَعَدٍّ وَمَعْصِيَةٍ نَالَ مُجَازَاةً عَادِلَةً، فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلاَصًا هَذَا مِقْدَارُهُ؟»[٣٣]. كيف يمكن إذن أن نعتقد نحن أو الملائكة القديسين ـ بشكل أكيد ـ أن الابن هو رسم المجد الذى لا يُعبّر عنه وبهاء جوهر الله الآب، لو لم يكن يمتلك امتياز كونه مولودًا ولكانت ولادته مجرّد كلمات جوفاء، ولكان مختلفًا فى طبيعته (عن الآب)، وبذلك يُحسب ضمن المخلوقات؟ وفى هذه الحالة ما الذى يمنعنا من أن نحسب الآب أيضًا ضمن باقى المخلوقات، ونضطر نتيجة لذلك أن نعتبر الآب مثل باقى الكائنات التى تخضع للتغيير مادام مَنْ هو صورته ورسم جوهره (أي الابن) خاضعًا أيضًا للتغيير؟ كيف يمكن للابن فى هذه الحالة أن يكون وارثًا لاسم أفضل من الملائكة؟ وإذا كان الخلق ـ عند الله ـ مساويًا للولادة، فإن ذلك الذى له هذه المكانة، أي الابن، سوف يكون من ضمن المخلوقات، وإن كان أى مخلوق سيصير مولودًا، فما الذى يمنع الله إذن أن يقول لكل واحد من الملائكة القديسين: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»[٣٤]؟ فإذا كانت الملائكة تمتلك هذه المكانة فلماذا يحرمها الله

[٣٢] أع٩: ١٥.

[٣٣] عب٣:١-٥، ٢:٢، ١٣: ١٤-٣. راجع شرح ق. أثناسيوس للمعنى اللاهوتي لهذا الآيات في سياق دفاعه عن ألوهية الابن المتجسد. المقالة الأولى ضد الآريوسين. المرجع السابق. فصل ١٣ ص١٢٦-١٤٤.

[٣٤] مز٢: ٧. من الملاحظ هنا أن ق. كيرلس يستخدم هذا المزمور ضمن سؤال ليؤكد به على تعليمه بأن الخلق ليس مساويًا للولادة. فالابن هو مولود من جوهر الآب وبالتالي هو غير مخلوق. ولا يُحسَب من ضمن المخلوقات. ومن الجدير بالذكر أن ق. أثناسيوس سبق أن استخدم نفس هذا المزمور مع آية أخرى «*هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ*» مت٣: ١٧ للدفاع عن ألوهية الابن المتجسد. انظر المقالة الثانية ضد الآريوسيين فقرة: ٢٣ ص٥٠.

من هذا الحق؟ لماذا يحرمهم من مجد الولادة، ومن نوال لقب ابن؟ وحسب الآراء الغبية التى يتمسك بها هؤلاء الناس، لا يوجد فرق بين الولادة والخلق، على اعتبار أن الله بسيط . فهم يجعلون معنى الولادة والخلق متداخلين، ويخلطون بين هاتين الحقيقتين.

**إرميـــــا:** هذا وصف قليل على أفكارهم وتعبيراتهم.

**كيرلس:** نحن لا نوافق على ذلك أبدًا ، لأن الفارق بين الأسماء وبين ما تدّل عليه الأسماء، هو فارق عظيم. وأنا أريد أن أسألك سؤالاً وأجبني من فضلك.

**إرميـــــا:** تفضّل...

**كيرلس:** لقد كَتَب العظيم يوحنا ، وهو أعمق مَنْ أدخلنا إلى الأسرار الإلهية، عن الابن قائلاً: «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ»[٣٥]. مَنْ الذي يحصل على مجد الابن ونعمة التبني، هل هم الذين لا يمتلكونه، أم أولئك الذين لا يحتاجون إلى هذا الغنى بل ويمتلكونه في طبيعتهم، ولم يسبق لهم أن أخذوه من مصدر آخر؟

**إرميـــــا:** أعتقد أن نعمة البنّوة تعطى للذين لا يملكونها ، وهذه هي الحقيقة.

**كيرلس:** إذن، ما هي الكائنات المخلوقة التي لا تمتلك هذه النعمة مادامت الولادة ليست شيئًا آخر سوى إنها هي الخلق، أو مادام الأمران لا يختلفان ولا يتمايزان، وهكذا فإن كل ما يوجد بالولادة فهو مخلوق؟

**إرميـــــا:** وهل الآب وَلَدنا من طبيعته الذاتية؟

**كيرلس:** لا، الله لم يلدنا من طبيعته الذاتية، ولكن يجب ألاّ نخلط بين حالتنا البشرّية وحالة الذي هو الابن بالطبيعة، ولذلك لا ينبغي أن نستخدم نفس الكلام الخاص بحالتنا البشريّة لنتحدّث به عن الابن. نحن خُلقنا ، وهذا كلام يوافق عليه الجميع، أما هو فقد وُلِدَ من جوهر الله الآب. أما نحن فقد نلنا نعمة أن نتشبّه بالابن في الولادة من الله. إذ نلنا من رحمته نعمة جعلتنا أبناء الله، إذ حصلنا على كرامة من خارج طبيعتنا أُضيفت إلينا ، بها صرنا أبناء بالتبني مشابهين الابن الحقيقي ودُعينا لمجد ذلك الذي هو الابن بالطبيعة.

ولقد كان من المستحيل أن يوجد أبناء بالتبني لو لم يكن الابن الوحيد

---

[٣٥] يو١: ١١-١٢.

بالطبيعة كائنًا من قبل، كما أنه كان من المستحيل أن توجد ولادة على صورة الأصل لو لم تكن ولادته هي الأصل والمصدر. فإذا كان الآب لم يَلِد بالحقيقة وإذا كانت الولادة بالنسبة له هي نوع من الخلق ولا تتميّز عنه، إذن يصير الحديث عن الابن الوحيد عبثا وتبدو لنا طبيعة الآب كأنها طبيعة عقيمة، وينتهي رجاء أولئك الذين آمنوا ويصير كأمر تافه، فأين إذن التبني؟ وأين الكرامة التي ننالها منه والتي تنقل كائن من حالة إلى حالة أفضل بين المخلوقات إذا كان المخلوق يتساوى في القيمة - حسب رأيهم - مع المولود؟ وهكذا فإنهم يخلطون الخلق والولادة معتبرين كليهما حقيقة واحدة، وهذا أمر يدعو إلى الخجل الشديد.

إرميـــــا: تمامًا.

كيرلس: وأيضًا عندما يُقال عن الابن إنه جليس مع الآب[٢٦] وهو كذلك بالفعل - لأن الولادة الحقيقة للابن من الآب لا تعطيه (حسب قولهم) أن يتحلّى بصفات مَنْ وَلَده عن طريق المساواة الكاملة والطبيعة الواحدة، أفلا يعني قولهم هذا أنهم يقرّون بكل وضوح أن المجد الذي يليق بالخالق فقط قد أنسكب أيضًا على طبيعة المخلوقات وإن العبد قد نال كرامة السيد؟ وعندما يكتب بولس الرسول متسائلاً «لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ؟»[٢٧]وأيضًا «لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي؟»[٢٨]، فلأي سبب رأى الله أنه حسن للملائكة أن يخدموه ويسجدون له بينما يجعل الآخر (الابن) جليسًا معه على عرشه متمتعًا بالمجد اللائق بالإله برغم إنه ليس من نفس الطبيعة؟ وقد يقول قائل ربما يوجد عند الآب الضابط الكّل تحيّز أو يُمارَس عليه ضغط من نوع ما، لكي يضع البعض (الملائكة) في موضع أقل بينما يكرّم الواحد، وهذا بدون أن يكون هناك إدانة ضد الكثيرين منهم، أو تهمة معيّنة تبرّر التقليل من شأنهم. لأنه قد رسم لهم منذ البدء أن يعيشوا بلا عيب، وكان باستطاعتهم

[٢٦]يردّد الكاهن في صلاة الصلح نفس هذه العبارة في القداس الغريغوري الموجّه إلى الابن حيث يقول...» أيها الكائن الذي كان الدائم إلى الأبد الذاتي والمساوي والجليس والخالق مع الآب» انظر الخولاجي المقدس، جمع وترتيب القمص عبد المسيح صليب المسعودي البرموسي اصدار دير السيدة العذراء برموس الطبعة الثالثة أكتوبر ٢٠٠٢ ص٣١٦.

[٢٧]عب١: ٥.

[٢٨]عب١: ١٣.

الحفاظ على مكانتهم الأولى في الصعود والنزول من أجل خدمة الله.

هل يُعَد هذا ظلم من جهة الله الآب لأنه لم يعطهم أيضًا أن يتمتّعوا بنفس المجد؟ لا، لا يمكن أن نتكلّم عن ظلم أو تحيّز عند الله! يجب ألاّ نكون عادمي الحس والفكر مثل هؤلاء الناس. فإن هناك مسافة كبيرة وفارقًا عظيما بين المخلوق والمولود. فالابن يشارك عرش الله، والآخرون يخدمونه، لأنهم دُعوا إلى الوجود بالخلق، ولماذا نخلط الأمور التي هي واضحة تمامًا ولا تقبل الخلط؟ لماذا يحاولون بشكل غير منطقي أن يمزجوا معًا كائنات لا تتشابه في طبائعها، بل تصرخ من نفسها شاهدة على ذلك، ويبدو لنا أن هدف هؤلاء الناس النهائي ليس هو سعادة اكتشاف الحق، ولكن هدفهم هو التسليّة غير التقيّة والكلام الذي لا يعرف حدودًا ولا ضوابط.

**إرميـــــا:** أنت تتكلّم بالصدق، هؤلاء الناس لا يبحثون عن الأمور الضرورية والنافعة. وأنا أعتقد أنهم سيقولون الآتي: كيف يمكن لِمَنْ هو بسيط في طبيعته (الله) أن يفعل أفعالاً مختلفة، فَيلِد ويَخلُق دون أن يهدم بذلك مبدأ أن طبيعته بسيطة؟

**كيرلس:** ما هذا إلاّ مثال لمن يتكئ على عكاز من قصبة مرضوضة حسب تعبير إشعياء النبي[٣٩]. إن الاتكال على هذه الأفكار والظن أن التمّسك بها هو الإيمان المستقيم عينه، هو كَمَنْ اختار بغباء قصبة مرضوضة ليتكئ عليها. ومن السهل أن ننقض هذه الطريقة في التفكير التي يُظن أنها حكيمة، وسوف تجد نفسك عندما تدرس الكائنات وتفحصها بذهن دقيق ومملوء بحب المعرفة، أن طبائع هذه الكائنات كثيرة جدًا متعدّدة ومن بينها، هناك كائنات تفنى بعضها البعض بالعداوة وأخرى ليس بينها عداوة بحسب طبيعتها، غير أنها لا تستطيع أن تعيش فى توافق. هل تفهم ما أقول؟

**إرميـــــا:** ليس تمامًا ..

**كيرلس:** ستفهم حالاً لأني سأشرح كلامي.

إن الله بقدرته وإبداعه قد خَلَق الملاك والإنسان، والسماء والأرض، البقرة والحصان، الخشب والصخر .. وكل كائن من هذه الكائنات يتبع طبيعته

[٣٩] إش٣٦: ٦.

الخاصة والتي لا تتشابه مع الطبائع الأخرى. ولكن هذا لا يعنى أن هناك تناقضًا بين هذه الطبائع. فطبيعة الملاك ليست مناقضة لطبيعة الإنسان، ووجود السماء لا يتناقض مع وجود باقي الكائنات. فليس هناك عداوة بين السماء والأرض، أو بين الخشب والصخر، لأنها لا تأخذ وجودها من أصول متناقضة يفصل بينها تناقض الطبيعة. وبجانب هذه الكائنات، فإن الله بقوّته قد خَلَقَ النار التى تحرق والماء الذى يرّطب، ومع ذلك فالاثنان من صنع كائن واحد بسيط. ومادام هناك كائنات مختلفة من صنع قوّة بسيطة، فلماذا لا نقبل أفعالاً متعدّدة لجوهر بسيط. وإن لم يقبلوا هذا، فهم يقلبون الحقيقة ويهدمونها باسم التقوى. وهناك أمر آخر يجب ألاّ نهمله، فحسب رأيهم إن كان الله بسيطًا، فإن عمله لا يأخذ إلاّ شكلاً واحدًا، وأن هذا هو المناسب لله. فإن كان الأمر كذلك، فلماذا لا نؤمن أيضًا أن هناك بساطة بهذا المعنى في ما يريده الله وما يفعله معنا؟

**إرميــــا**: ماذا تريد أن تقول؟

**كيرلس**: ألا يشعر هو أيها العزيز، بالحزن والاشمئزاز من جهة الأشرار؟ ألا يصير الشرير مصدر اشمئزاز لله؟ بينما يفرح بالقديسين ويمدح أولئك الذين يسلكون باستقامة ؟

**إرميــــا**: كيف يكون غير ذلك؟

**كيرلس**: أتوافق على أن هذا يثير الغضب الذي يؤدى إلى الجحيم، بينما يكون نصيب القديسين أن ينالوا الكرامة والنعمة كثمرة لوداعتهم؟

**إرميــــا**: أنا أقبل ذلك لأنه فعلاً هكذا.

**كيرلس**: هل لمجرّد أن قلنا إن الطبيعة الإلهية طبيعة بسيطة، ينكرون أن تكون أفعال الله متنوعة. يجب عليهم أن يعرفوا أن هذه الطبيعة لها إرادة بسيطة حكيمة، وليس إرادات متعددة، وذلك لأن الله يمكن أن يلوم الذين يمدحهم ويؤدب الذين يحبهم. والذي يعمله الله في غضبه هو نتيجة لطفه، وهكذا فغضب الله ينسجم مع لطفه. وأنا أريد أن أضيف شيئًا آخرَ: إن اللاهوت طبيعة واحدة وبسيطة، ولكنه أيضًا هو الحياة والقوّة والحكمة والمجد. والحياة

تُحيى الأحياء والقوة تقّوى الأقوياء والحكمة تحكّم الحكماء والمجد يرفع المُمجدين. أم أنك ترى أن ما أقوله ليس صحيحًا؟

**إرميــــا:** صحيح تمامًا.

**كيرلس:** إن كان الجوهر بسيط، فكيف لا تكون أفعاله متنوّعة، الأمر الذي ينكره أولئك الناس؟ فالله يعمل بطرق متنوّعة مع أنه بسيط في طبيعته. لابد من الاعتراف بذلك يا إرميـــــا فهذا هو المنطق السليم. أليس من المنطقي أن نقبل بساطة الطبيعة في الله وفى نفس الوقت لا ننشغل كثيرًا بما يفعله، لأن الله وحده يعلم كيف يعمل بطرق متنوعة. لأن أمور الله تفوق كل عقل وكل كلام.

**إرميــــا:** حسنًا قلت.

**كيرلس:** سيكون من الغباء بمكان أن ننسب للطبيعة الخالقة للكون عقمًا وجفافًا، أو أنها غير مثمرة، وذلك لأن كل الكائنات المخلوقة هي مثمرة وغير عقيمة، وما الثمار التي تأتى منها إلاّ نتيجة لمشابهتها للطبيعة الإلهية في الإثمار وعدم العقم.

## الولادة والتغيّر :

**إرميــــا:** هذا هو التفكير الصحيح. ولكنهم سوف يتساءلون مرّة أخرى على ما أظن، عن كيفّية أن الآب عندما وَلَدَ، لماذا لم يصبه شئ مما يحدث في العادة للذين يَلِدون، مثل التجزئة أو انفصال جزء منهم عنهم؟ وكيف لا تكون العلّة أقدم من المعلول في كل الأحوال؟

**كيرلس:** هذا أمر صعب للغاية يا إرميــــا وليس من السهل أن نصل إلى عمقه، وهو أمر ليس سهل المنال حتى للقادرين على الشرح. لأن العقل لا يستطيع أن يدرك مَنْ هو فوق العقل، ومَنْ هو فوق الكلام، لا يمكن شرحه بالكلام. فالله آب وقد وَلَد الابن بالحقيقة من جوهره الخاص، وهذا تسلّمناه بالإيمان؛ والكتب المقدّسة الموحى بها من الله تذكر في كل مكان، الله الآب وأنه وَلَدَ.

وأعتقد أنه يجب أن لا نكون فضوليين أكثر من ذلك، وألاّ نجازف بالفحص المتهور لما تسلّمناه بالإيمان. وذلك لأن الذي من الإيمان لا نسعى لامتلاكه بطرق

أخرى. وذلك كما يقول الرسول الحكيم جدًا بولس: «لأَنَّنَا بِالرَّجَاءِ خَلَصْنَا. وَلَكِنَّ \الرَّجَاءَ الْمَنْظُورَ لَيْسَ رَجَاءً لأَنَّ مَا يَنْظُرُهُ أَحَدٌ كَيْفَ يَرْجُوهُ أَيْضًا؟»[40] وَلَكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ \الَّذِي يَأْتِي إِلَى \اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ»[41]، ولا ينبغي أن نبحث أكثر من ذلك. ولهذا يجب أن نقبل الرأي بأن الله هو الآب وأنه وَلَدَ، ولنترك كيفيّة ذلك لأنه فوق قدرتنا.. وأعتقد أنه لا يخطر ببال إنسان أن يسخر من أولئك الذين ـ بحكمة ـ سلّموا بالتفوق لما هو أعلا منهم. وهكذا نحن نعرف أن كيفّية الولادة الإلهية تفوق كل عقل. وهذا يمكن أن نعرفه من الله الذي أعلن عن اللوغوس الذي خرج من طبيعته، هكذا: «من البطن قبل الصبح وَلَدتُكَ»[42]. والتعبير «من البطن» يدل على أن الابن وُلِدَ من جوهر الآب بالطبيعة. وهو تشبّيه مأخوذ من حياتنا اليومية. وأما عن ذِكْر «قبل الصبح» فهذا يدّل على أن عملية الولادة قد تمّت في غموض وبشكل سرّى يصعب فهمه مثلما يحدث عندما لا يرى شخص شيء ما بسبب الضباب الكثيف. وحينما يبدأ الفجر في البزوغ بنوره وشعاعه من المشرق تبدأ إشعاعات صغيرة في الظهور في الأثير ويظهر نور خافت وضعيف ليُعدّ الطريق لنور الشمس الساطع بينما تكون أنوار الليل وظلماته قد وهنت جدًا. ولكن مادمنا لا نرى نور الفجر في السماء، فإن الليل يظّل مخيّمًا ويكون الظلام كثيفًا في العيون. وقل لىّ أنت بحق، ما هو الغريب في أن نقول إن الابن وُلِدَ، مادمنا قد قبلنا أنه وُلِدَ «قبل الصبح»؟

**إرميـــــا**: ليس هناك ما يدعو للعجب يا صديقي العزيز، في أمر الولادة فإن الأمر حقًا قديم قَدِم الفجر بالنسبة للنهار.

**كيرلس**: إذن من الأفضل أن نقول «قبل السماء والأرض» لأنهما أقدم من النجوم والفجر، أو أن نقول، وهذا أفضل، إن الابن كائن قبل وجود الأرض والسماء أي قبل الخليقة كلها. وهذا في رأيي أمر بديهي، فالابن خرج من الآب الذي لا بداية له، وقد وُلِدَ بشكل يفوق الفهم. ولهذا فإشعياء الفصيح يقول بدوره «مَنْ

[40] رو٨: ٢٤.

[41] عب١١: ٦.

[42] مز١٠٩: ٣س.

يُخَبِرْ بِجِيلِهِ» ويقول إن «قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ»[٤٣] وفى رأيي أن «الجيل» يعنى الولادة و «الحياة» تعنى الوجود. وهذه الحياة أُخِذَت من كل الأرض بمعنى إنها تنتمي للأرض، ولكنها تفوق ذهن كل كائن على الأرض، إنها تعلو فوق مستوى مفاهيمنا، ولا تقدر أي قامة إنسانية على سبر غورها. والنبي كان على حق فيما قال، وفى أن الابن يسمو على الزمن أيضًا، وإنه مثله مثل الآب يعلو على كل بداية، فهذا ما صرخ به نبيّ أخر من الأنبياء القديسين «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ»[٤٤]. فالنبي يتكلّم عن الميلاد كخروج خاص من كيان الآب، وهذا يجعلنا نفهم معنى وجود الابن الدائم، الذي وُلِدَ منذ البدء الذي لا بدء قبله ـ مع الذي وَلَدَه، وهذا الوجود معناه أن الابن مولود وليس أنه غير مولود. يا للسخرية التي تنتظرهم أمام جميع الناس، هل فكّرت في ذلك، فهم يعتقدون ـ لا أعرف كيف ـ أنهم قادرون بواسطة أفكار بشرّية أن يصلوا إلى حقائق إلهية عالية جدًا. إني أتساءل، بأي طريقة يمكن أن نعرف كيف يلد الله، بينما لم نعرف بعد كيف أنه كائن بالطبيعة؟

**إرميـــا:** هذا مستحيل لأنه «جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِتْرَهُ»[٤٥] حسب المكتوب «وحوله مظلّته». وذلك لأنه حسب اعتقادي؛ فإن الصعوبة تكمن في رؤيته، أو بالأولى في عدم القدرة على استيعابه، والكتاب يُسميِّ ذلك ظلمة ومظلّة. وهو الذي يملأ الكّل وهو غير معروف بالكامل إلاّ لنفسه ولمولوده أي ابنه. وقد قال الابن ذلك «لاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ»[٤٦].

**كيرلس:** هذا كلام صحيح وأريد أن أُبدى لك إعجابي بهذه الأفكار. إذن، لو أن إنسانًا بدأ في البحث عن أمر يفوق العقل ولا يمكن اقتناؤه بواسطة العقل، فلا يجب أن نمدح هذا الإنسان على أنه مجتهد إذ أن تعبه باطل، بل يجب أن

[٤٣] إش٥٣: ٨.

[٤٤] ميخا٥:٢.

[٤٥] مز١٧: ١٢.

[٤٦] مت١١: ٢٧.

نقول لكل إنسان من هذا النوع ما قاله الحكيم: «الذي يتكل على الأكاذيب سوف يرعى الرياح ويطارد العصافير الطائرة ويترك طرق مزرعته، وهو يسلك في الضلال ويسير في صحراء بلا ماء وأرض مهيأة للعطاش ويحصد بيديه العقم»[47]. وهم يفتقّدون تمامًا الاتجاه الصحيح ولا يهتمون بالنافع والمفيد وهذا يحجب الحقيقة، لأنهم يتبعون الكذب ويتمّسكون بما لا يعطى ثمر التقوى. والسبب في وجودهم في هذه الحالة هو ذهنهم المتكّبر الذي أوصلهم إلى أن يعتبروا حقيقة عدم إدراك طبيعة الله التي هي امتياز خاص به، موضع شكوى وتذمُّر. ومع ذلك فإن الكتب المقدّسة الموحى بها تصرخ مؤكّدة أن طرق الله أعلى من ذهن البشّر، وهذا هو تدبير الله وتصّرفه مع كل الكائنات المتغيّرة. وهذا ما قد قاله داود الطوباوي بالترانيم والموسيقى: «فِي الْبَحْرِ طَرِيقُكَ، وَسُبُلُكَ فِي الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ، وَآثَارُكَ لَمْ تُعْرَفْ»[48]. وذلك لأنه حينما تسير المركب بقوّة الرياح المواتية وتدخل إلى أعماق البحار فإن أثرها سرعان ما يختفي. وهذا يشبه تمامًا ما يفعله المحراث في شق سطح الأرض، هكذا تَشقُ السفينة عباب الماء، وحينما تتقدّم السفينة تعود المياه إلى سابق عهدها، أليس هذا هو ما يحدث؟

إرميـــــا: تمامًا، ولكن لنفحص كيف يمكن أن يتّم الميلاد ـ حسب إيماننا ـ بدون تغيّير في الطبيعة، وهل من الممكن القول إن العلّة لا توجد قبل المعلول؟

**كيرلس:** بالتأكيد ليس هناك وجود سابق من أي نوع، وحينما يتعلّق أمر الولادة بالله فليس هناك أي تغيّير أو تجزئة من أي نوع، لأن الله لا يخضع للضرورات التي يخضع لها البشر، ومنها التجزئة والولادة في الزمن. فإذا تكلّمنا عن ذوى الأجساد، وجب أن نقول إنهم هم الذين يختبرون ذلك لأن طبيعتهم خاضعة للتغيّر، وأيضًا لأنهم محكومون بالزمن الحاضر. ولكن لأن حديثنا يتعلّق بالطبيعة الإلهية، التي هي أسمى من كل جسد ملموس ومرئي، والتي هي صانعة الدهور نفسها وكائنة قبل الزمن، فكيف لا يكون نوع من اللّغو أن نتصوَّر أن هذه الطبيعة جازت أيَّة تغيّرات أثناء الولادة، أو أن الذي وُلِدَ منها خاضع للزمن وتقلباته؟ لأنه في حالة الله يجب ألاّ نتكلّم عن العلّة

[47] أم٩: ١٢س.

[48] مز٧٧: ١٩.

والمعلول، بل من المناسب أن نتكلّم عن الله الآب والابن المولود منه.

**إرميـــــا:** يجب أن تعرف أنهم على استعداد للتنازل وقبول هذا الكلام لإرضائك، ولكن سوف يسألون أولاً عن كيف يلد الآب من جوهره بدون أن يتمزّق أو ينفصل جزء منه مادام الابن قد خرج من جوهر الآب حقيقة ليكون كائنًا بذاته؟ والسؤال الثاني كيف لا نتصّور للوالد وجودًا سابقًا على المولود منه؟

**كيرلس:** «اللَّئِيمَ يَتَكَلَّمُ بِاللُّؤْمِ، وَقَلْبُهُ يَعْمَلُ إِثْمًا لِيَصْنَعَ نِفَاقًا» يقول النبي[49]، فما كان ينبغي أن يخجلوا من ذكره. إذا كان لديهم حس سليم. نجدهم يتباهون به بغباء غير مفهوم. فإنهم يفرضون قيودًا على ذات الطبيعة الإلهية. وهذه القيود هي التقسيم والتمزّق والاضطرار للولادة في الزمن، ولكن من الأفضل أن نستوعب أن هذه الولادة لا تُفهم ولا تُوصف كولادة بشريّة. لأنه لا يجب القول إن الله قد وَلَدَ في الزمن فهو بلا بداية ولا نهاية ولا زمني، فهو كائن وهكذا الذي وُلِدَ منه كائن فيه ومعه. لأن الابن أشرَقَ كنور وذلك بشكل يفوق الذهن. وهذا تّم في جوهر الآب، فلم يتّم ذلك نتيجة انقسام الوالد أو تجزئته، وإلاّ لكان الابن مختلفًا عن الآب الذي وَلَده. فهو وُلِدَ بطريقة غير جسديّة لا تخضع لظروف الولادة الجسديّة التي يصفونها[50]. لأنه لو خضع لذلك، لكانت الطبيعة الإلهية جسدًا، وفى هذه الحالة تصير محدودة بالمكان ولها حجم وكم. ولأنها محدودة فيمكن تحجيمها، ويتبع هذا سلسلة طويلة من الأفكار ناتجة عن تصوّرات البشر عن الجسد، وهى أفكار غبية غباءً منقطع النظير.

**إرميـــــا:** أنا أوافقك تمامًا.

**كيرلس:** إني لا أتردّد أن أضيف شيئًا آخرَ.

**إرميـــــا:** ما هو؟

**كيرلس:** إذا اعتبرنا أن طبيعة الله الآب خاضعة لقوانين وعادات الأجساد

---

[49] إش٦:٣٢.

[50] لأن هذا هو ما حاول الآريوسيون فعله إذ نادوا بأن ولادة الابن من الآب مثل الولادة البشرية الخاضعة للزمن والتغيّر والانقسام.

البشرّية، ففي هذه الحالة تكون الولادة بالإنقسام والتمزّق، وبذلك يصير مولودها في وضع وحالة خاصة به، لأنه سيكون غير مرتبط بجوهر الذي وَلَدَه، أي سَيَصير مجرّد كائن خارج تمامًا عن الذي وَلَدَه، لأن هذه هي الطريقة التي تُولد بها الأجساد البشرية. فلو كانوا لا يزالون يؤمنون بأن الله مالئ الكل، فأين إذن سنضع هذا المولود الخارج منه وما هو وضعه الخاص؟

**إرميا**: الحق معك في أن نقول إن أفكارًا شريرة كثيرة ستخرج من هذا التفكير، فنتيجة لذلك سيلغون الولادة في الآب ويعتقدون أنها ليست حقيقية في حاله الله، وهكذا يواصلون أفكارهم الغبيّة.

**كيرلس**: هذا معناه أن ندوس بأقدامنا معطيات الإيمان.والسؤال هو بالأولى كيف يمكن أن تحتفظ الطبيعة الإلهية للثالوث الواحد والتي لا يُعبّر عنها، بما لها، إذا نفينا وجود ولادة حقيقية؟ وهذا في رأيي لون من ألوان الشعوذة والدجل الذي يُمسَك فيه أولئك المتهودين، في ذات الفعل. فلو وافقناهم سوف ننحدر نحن إلى نفس مستواهم، لأنهم يتمسّكون بأن هناك إله واحد خالق وآب للكون، ولكنهم لا يقبلون ربنا يسوع المسيح. فماذا يمنعنا إذن أن نقوم ونرجم المسيح كما فعل اليهود ونرميه بهذه التهمة: «لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَل حَسَنٍ، بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا»[51] فلو أنهم هدموا ـ بعدم تقوى ـ مبدأ الولادة الحقيقية فلن يستطيع إنسان، في هذه الحالة، أن يتجرأ ويفكر بأن الابن هو الله بالطبيعة، وأنه يملك هذا الاسم الإلهي بالحقيقة، بل سوف يضعه مع باقي البشر، ويكون كباقي البشر مخلوقًا، وكأنه لم يخرج من ذات جوهر الآب. ولكن إذا كان حسب رأيهم ليس ابنًا بالطبيعة، بل هو محسوب بين المخلوقات، إذن في كل مّرة نسجد له، فنحن نسجد للمخلوقات دون الخالق، ومن ناحية أخرى إن إتهامنا بالتجديف لن يكون عادلاً من قِبل الله، لأنه هو نفسه السبب وراء (سجودنا)، لأنه حينما أُدخِلَ البكر إلى العالم قال «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ»[52]. إذن كيف لا يكون ذاك الذي تسجد له الملائكة القديسون أنفسهم، هو الذي يَملك المجد اللائق بالله الآب في كيانه؟

[51] يو ١٠: ٣٣.

[52] عب ١: ٦.

كيف لا يكون هو ذاته من طبيعة الآب وبسبب هذا فهو الله؟ ولنلاحظ كيف أن فكرة هذه الضرورة التي يضعونها على الله وتفكيرهم أن الولادة ليست حقيقية، تصير فكرة ضعيفة وتتحوّل ضدهم، وذلك لأنهم بدون فحص، ينسبون لله الضرورات البشّرية والتمزّق والتغيّر.

**إرميـــا:** إننا نتفهّم ذلك ولكنهم يسألون عن كيفية الولادة بدون تغيّر؟

**كيرلس:** كما سبق وقلت إنه من دواعي التقوى أن نقبل أن غير الجسدي، غير خاضع لقوانين الأجساد. والحقيقة أن الولادة بالجسد خاضعة للتغيّر والتمّزق، ولكن غير الجسدي لا يلد بهذه الطريقة. فكما أنه كائن بطريقة تختلف عن طريقة وجود الكائنات الجسديّة، هكذا أيضًا لابد وأن تكون طريقة ولادته تناسب طبيعته. فكل كائن - حسب رأيي - لا يخضع لقوانين الكائنات الأخرى ولكن له قوانينه الخاصة. فالوجود أمر مشترك بين جميع الكائنات إلاّ أن الطبيعة الخاصة بكل كائن تُعطِى لكل منها فرادته التي تحفظه من الذوبان في باقي الكائنات. فالأجساد تخضع بالطبع لقوانين وعادات الأجساد، وتلد أيضًا حسب قوانينها وتتعرّض للتغيّر. ولكن غير الجسدي بدوره له قوانينه الخاصة ويلد بطريقته الخاصة، لأن طبيعته غير خاضعة للتغيّر والتمزّق. وإذا كان الذهن يستطيع أن يميّز طريقة الولادة الجسديّة ولكنه لا يستطيع أن يفهم الولادة الخاصة بالطبيعة غير الجسّدية، أفلا ينبغي أن نقر بأن معرفة الذهن محدودة؟ فالذهن يُنزل بِمَنْ هو أسمى من الجسد، بصورة فائقة، إلى مستوى أدنى، ولا يخجل من أن ينسب إليه أوجاعًا وانفعالات لا تناسبه بالمرّة. وهل معنى ذلك أن نلغى بكل بساطة ما لا يبذل الذهن جهدًا لفهمه، أو ما يستحيل عليه معرفته؟ فلا يستطيع أحد أن يعرف ماهية طبيعة الآب، فهي تفوق معرفة كل الأذهان. فإما أن يكفروا بلا تحفظ ويقولوا إنه لا يوجد إله، أو أن يحسبوه ضمن الكائنات المخلوقة والخاضعة لكل تغيّر، وبالتالي فهو عرضه للتمزّق. وهكذا يجعلون الذي لا يتغيّر عرضه للتغيّر. ولكنى أعتقد أنه لا يوجد كلام مهمًا كان يستطيع أن يجعل الله عرضة للتغيّر، بل أن الله سيبقى ثابتًا كما هو لا يتغير أبدًا حسب ما نؤمن به.

**في أن العلّة ليست بالضرورة سابقه على المعلول:**

إرميــــا: نعم سيبقى هكذا لأن الطبيعة الإلهية لا تتغيّر، ولكن إذا وَلَدَ الله ابنًا فسوف يعتبرونه أنه سابق على ابنه، أي أنه أسبق في الوجود على مولوده.

كيرلس: أكرّر أن غير الجسدي لا يتبع في ولادته قوانين الجسد، وهو في ولادته يلد حسب طبيعته وليس حسب طبيعة الأجساد. فالأجساد البشريّة هي بالضرورة سابقه على ما تلده. والمنطق يُظهر ذلك بطريقة حاسمة وبدون مراوغة، فهي تتميّز بأنها أقدَم من مولودها، لأن المولود يُعتبر الثاني في الزمن والوالد هو الأول. فالكائنات المخلوقة هي التي تلد عادة، في زمن معيّن، وذلك لأنها لا تملك في ذاتها ولادة أزليّة بلا بداية، أما الله الذي هو كائن منذ الأزل بلا بداية ولا نهاية، كيف يتفق مع طبيعته أن ننسب لابنه الوحيد بالطبيعة، بدايةً في الزمن؟ فالذي يلده الله بحسب قوانين طبيعته سيكون ذا طبيعة وجنس مختلفين عن البشر، لأنه يحمل طبيعة الذي وَلَدَه، وإلاّ تحوّل الأمر إلى مسخ وتشويه للمولود. لأنه شيء فظيع أن نعزل المولود عن طبيعة الآب الذي وَلَدَه. إذن، غير الجسدي سوف يلد بما يتفق مع طبيعته الخاصة بدون أن نضع عملية الولادة والمولود تحت حدود الزمن، بل يكون المولود، له نفس طبيعة ذاك الذي وَلَدَه، ولن يكون بأي حال من الأحوال من بين الذين يولَدون في الزمن، لأنه مولود من أصل أزليّ بلا بداية، فوق الدهور نفسها.

إرميــــا: بالصواب قلت، وأعتقد أنه كلّما بيّنت قصدك بالتبسيط بطريقة أو بأخرى بالإشارة إلى طبيعة الأشياء المتغيّرة كلما زاد الأمر وضوحًا، وذلك لأن الأمثلة المفهومة تجعل الأمور التي تفوق أذهان السامعين جليّة وواضحة.

كيرلس: هذا صحيح أيها الطوباوي ولكن بفحصنا طبائع الكائنات، هل يمكن أن تدّلني على كائن يمكن أن نقارنه بالله ويتشابه معه من كل جانب بدون أي فارق؟

إرميــــا: لا يوجد، لأنه من المسلّم به أن الله بطبيعته ليس فيه أيّة صفة من صفات الكائنات الخاضعة للزمن والتغيّر.

كيرلس: يجب أن نُعجب إذن بالقديس بولس الذي يقول: «فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي

مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ»[53]، وأيضًا بقوله «الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ»[54] وليس من التقوى ولا الحكمة أن ندع كلام بولس يمّر بدون إعجاب.

إرميـــــا: بكل تأكيد.

كيرلس: لنلجأ بسرعة إلى الكتب المقدّسة ذاتها التي هي مثل مرج ملئ بالزهور الزاهية الألوان والتي تزهر في حينها. هيّا بنا نفعل كالنحل ونذهب إلى الأمثلة الواضحة والمناسبة لهدفنا وموضوعنا، ولنعطِ صورة عن كيفيّة الولادة الإلهية التي تفوق كل عقل ولسان.

وكما يعلّق البعض أنظاره الجسدّية على أمور دقيقة، لنركز نحن بعيون أذهاننا، لنتأمل على قدر طاقتنا وكما في مرآة في لغز، الطبيعة الإلهية - وإن كان بطريقة غير كاملة بالتأكيد - وذلك لنعرف كيف تُوجد، فالآب يُشبِّه الابن «بكلمة» قائلاً «فَاضَ قَلْبِي بِكَلاَمٍ صَالِحٍ»[55]. والآن أجب يا صديقي عن أسئلتي المُلّحة، أين نجد هنا الانقسام والتمزّق؟ فالذهن البشرى يَلد وينطق كلامًا خارجًا منه ويختار ما يناسبه، ومسيرة الكلام من أعماق الإنسان إلى لسانه تقدّم لنا شرحًا للميلاد الجوهري. ويمكن أن تكون «الكلمة» شيئًا آخر غير الذهن الذي نطقها، ولكنهما لا يتجزآن، والذهن لا يُعتبر بأي حال أقدّم من الكلمة التي نطقها. لأن الكلام هو دائمًا من الذهن وللذهن، والذهن كامن في الكلام. وإن لم يكن الأمر هكذا فهذا معناه أن الذهن موجود بغير كلام والكلام بغير ذهن، الأمر الذي يؤدى في النهاية إلى أن معرفتنا بهما سوف تتلاشى تمامًا. لأن الذهن دائمًا هو أصل الكلام ووالده، والكلام بدوره هو ثمرة ونتاج الذهن، والذهن لا يكون أبدًا بدون كلام، وحينما يلد كلامًا، فإن هذا الكلام يحمل طبيعة الذهن الذي وَلَده وشَكَلُه دون أن ينقصه شيء. ولهذا فإذا قال أحدهم - في هذا الصدد - إن الوالد (أي الذهن) أقدم من المولود (أي الكلام)، فهذا حسب رأيي ضربٌ من البلاهة، وذلك لأن الكلمة تخرج من الذهن، ومادام الذهن هو ذهن لأن الكلمة كائنه

[53] ١كو١٣: ١٢.

[54] ١كو١٣: ١٢.

[55] مز٤٥: ١.

فيه، والكلمة بدورها هي كلمة لأنها مملوءة عقلاً وفهمًا، فكيف نستطيع أن نتصوّر لحظة، وجود ذهن بدون كلمة أو كلمة بدون ذهن؟ والكائنات التي لها ما تملكه، إذ قيل عنها إنها أقدم ممّا تملكه فإن هذا يؤدى إلى تفتيت كيانها حسب الخيال، وإلى تشبيهها في علاقتها بما تملك، بأناس ضرب رأسهم الشيبُ في علاقتهم كآباء بأبنائهم.

ولكن هذه الكائنات وما تملكه موجودة معًا بالضرورة، ويجب أن ندركها معًا. فحينما يَربُط أحدهم ما هو أصغر زمنيًا بما هو أقدم منه ـ دون أن يذوب أحدهما في الآخر، إذ أن أحدهما قد ظهر قبل الآخر ـ فإنه يلغى بذلك ما هو كيان منفرد ويُظهر كيانين مُشتركين معًا.

إرميـــا: إنني أصير بطئ الفهم حينما تتناول قضايا من هذا النوع، ولهذا لا أفهم تمامًا ماذا تريد أن تقول، أرجوك أوضِح بدون اتهامي بالكسل ولا تعاقبني بصمتك.

كيرلس: أنا مستعد للكلام لأنه لا يجب أن نتردّد في شرح أمورٍ بهذه الدقة، وذلك مادام الكلام يأتينا فيّاضًا من الينبوع. إن التفكير العميق والانطلاق من فوق للنزول إلى أسفل وتناول الموضوعات بشكل متسّع من منطلقات صعبة ليس دائمًا ضارًا، ويمكن أن يكون مفيدًا فائدة ليست بقليلة. لهذا يمكن أن تفهم ما أقول تمامًا إذا ما تأملت طبيعة الألوان. قل لي هل إذا لم يُوضع ـ على سبيل المثال ـ اللون الأبيض أو الأسود على شيء ما، فهل يمكن أن يوجدا بذاتيهما بدون ذلك الشيء؟

إرميـــا: لا، لأن الأشياء التي لا ترى، لابد أن تملك خواصًا تجعلنا ندرك ماهيتها، وحينئذ فقط تصير ظاهرة.

كيرلس: هذا صحيح، وبالتالي فهناك مواد تُدرَك وتُخضَع للمنطق. بعضها يوجد فيها اللون الأبيض واللون الأسود. وهذه الألوان توجد داخل هذه المواد، فلو أن أحدًا أراد أن يفصل الألوان في جانب آخر مدعّيًا أن المواد سابقة الوجود على الألوان وأن الألوان أحدث زمنيًا منها، ففي أي موضع من هذه المواد سيحدد ذلك الشيء الذي هو أبيض بطبيعته، أو ذلك الشيء الذي ليس هو أبيض، أو

كيف للون الأبيض أن يكون كذلك إلاّ إذا أقترن بما هو أبيض بطبيعته وبالتالي يُعرف إنه أبيض؟ لأنه إن لم تلتقِ معًا الصفات التي تحدد طبيعة شيء ما والتي لا يمكن أن توجد فعلاً بطريقة أخرى فحينئذ يمكن أن ندركها بطريقة نظرية فقط ولكنها لن توجد منفصلة عن بعضها وذلك وفق المنطق الذي يليق بها.

**إرميـــــا:** هذا كلام حق وأوافق عليه ويوافق معي آخرون ولكن كيف ينطبق هذين التشبيهين على علاقة الآب والابن؟

**كيرلس:** يمكن أن نقول من ناحية، إن خروج الكلام من الذهن وولادته منه بدون أي ضرر وإن المولود لا ينفصل عنه، ومن ناحية أخرى فإن الكلام يظل في الذهن الذي ولده ويكون واحدًا معه. هذا كله يمكن إثباته بوضوح ليس بعده وضوح. وأيضًا يمكن أن نثبت حقيقة أن الذهن يمتلك مع الأفكار شركة طبيعة واحدة ووجود واحد، بدون وسيط بينهما. أما ما قلناه عن الكائنات التي تمتلك ألوانًا بطبيعتها، وأنه لا توجد أقدميّة للكائنات على الألوان والعكس، وهي موجودة معًا بالضرورة. هذا الذي قلناه. لا يكفي لكي يوضّح لنا كيفيّة الولادة الإلهية، بل بالحري نزيد على ما قلناه ما يلي: إذا كان الله هو آب، فليس هذا معناه أنه صار آبًا خلال الزمن (مثل الآباء الجسديين)، ولكنه هو كائن هكذا دائمًا، هو هو ذاته، لا يعتريه تغيّر ولا ظل دوران، لأن الله كامل ولا يشوبه أي نقص بأي معنى ولا تعترى طبيعته أيّة أوجاع بشرّية. وهذا معناه بالضرورة أن ولادة كائن آخر من هذا الآب لا تجعله أصغر منه زمنيًا، ولا يمكن أن يكون هذا الابن أقل في المجد بالنسبة للذي وَلَدَه. لأنه من الضروري أن يكون في الله شركة، وأن يكون الابن له وجود أزلىّ مع الآب ولذلك، فأزليّة الابن مشهود لها من الآب، إذ هو مولود من الآب أزليًا، بالطبيعة. والطوباوي بولس يُظهِر صحة كلامنا وحقيقته حينما يدعو الابن أنه بهاء مجد الآب ورسم جوهره[٥٦].

**إرميـــــا:** كيف ذلك؟

**كيرلس:** لاحظ ما سوف أقوله لأني سأوضّح لك الأمر كالآتي، فلأني درست

[٥٦] انظر عب ١: ٣

الموضوع، فحسب رأيي فإن شعاع النور الذي يشع من جسم ما، هو الذي يعطى للكائنات التي توجد خارجه، معرفة جوهر النور الذي يشرق، وهذه المعرفة تتم عن طريق أن يشرق هذا النور على الحواس بشكل مستمر أو أن يحدث اتصال بينه وبين الأجساد بطريقة ما، وهذا الشعاع يعطى الفرصة أن نعرف الأصل الذي يخرج منه النور. لنحاول أن ننظم أفكارنا أكثر، ونأخذ مثالاً وليكن طبيعة الشمس والشعاع الذي يخرج منها. لا يمكن أن نطبق معاناة الولادة البشرّية وما يحدث فيها من تغيّر وتمزّق وإنقسام وخلافه على خروج الشعاع من الشمس[٥٧]، وهو كائن فيها رغم إشعاعه. وهكذا فالشمس تمتلك في طبيعتها الخاصة، شعاع النور الذي لا ينفصل عنها، ولكنه يبدو بعد خروجه منها أن له فراده خاصة به. وأحيانًا يفكر البعض في الشمس نفسها ولكنهم لا يستطيعون أن يتخيّلوا جوهرها. ففي هذا الجوهر يوجد الشعاع ومن الجوهر يخرج الشعاع دون أن ينفصل الشعاع عن الجوهر، إلاّ أنه متميز عنه، إذ أن الشعاع يخرج من الشمس إلى خارجها. ولهذا فمن العبث والمضحك أن نتصوّر أن الشمس أقدم من الشعاع، وكأن الشعاع الخارج منها يجئ متأخرًا. ولا أعتقد أن إنسانًا حكيمًا وسليم العقل يفكر هكذا. فهذا التصّور معناه أن الشمس غير موجودة بسبب أنها لا تمتلك النور موجودًا معها، وهو الذي يجعلنا ندرك أنها موجودة. هكذا ترى أن الأمثلة الماديّة الملموسة لها قيمتها في صياغتنا للتعبيرات السليمة، فهي تعطينا إمكانية أن نُعبّر عن المعاني الفائقة، دون أن تُفسد هذه التعبيرات معنى الميلاد الإلهي، بأن تُدخل عليه التمّزق والانقسام، وذلك لأن ولادة الجوهر الذي هو فوق الكّل، خالية من المعاناة، والمولود الإلهي يأتي من صميم الجوهر، ولا يوجد به انقسام أو تغيّر وهو كائن مع الذي وَلَدَه، وهذا ما يلزم أن نفهمه لأن هذا هو الواقع. ولقد شهد الحكيم يوحنا لأزليّة الابن وعدم وجود بداية له حينما قال «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ»[٥٨] وأيضًا قال هو «الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي»[٥٩].

[٥٧] سبق أن استخدم الآباء ومنهم ق. أثناسيوس مَثّل الشمس والشعاع لشرح معنى الولادة الأزليّة للابن من جوهر الآب. انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين. المرجع السابق الفصول ٧، ١٣، ١٧، ٣٧. المقالة الثالثة، المرجع السابق: فصل ٢٥، فقرة: ١١.

[٥٨] يو ١:١.

[٥٩] رؤ ١: ٨.

## هل ولادة الله إرادية ؟

إرميـــا: إن المناقشة عمل رائع يا صديقي ولقد أجهدتك كثيرًا، وأخالك تعتقد أنك أنهّيت الموضوع ولست بحاجة إلى شيء أخر لكي تثبت أن الآب لا يوجد زمنيًا قبل الابن، وإنه يجب التفكير فيهما على أن لهما طبيعة واحدة وأنهما كائنان معًا، ولكنى لا أعتقد أننا وصلنا إلى هذه النتيجة بصورة مرضّية تمامًا وذلك لصعوبة الوصول إليها بسهولة.

كيرلس: ماذا تريد القول بهذا؟

إرميـــا: يجب أن تعرف أنهم سوف يسألون. وذلك لأن أفكارهم دائمًا لاذعة. هل الآب وَلَدَ الابن بإرادته أم بغير إرادته؟

كيرلس: أنى سأسّر جدًا إذا عَلمِت إلى أين ستقودنا هذه الاختراعات.

إرميـــا: إنهم سوف يقولون أو يضيفون الآتي: إذا لم تكن الولادة بإرادة الآب، إذن الآب وَلَدَ رغمًا عنه، أي أن آخر قد أرغمه على الولادة، ولنقلها بصراحة، فإنه قد وَلَدَ مضطّرًا أو أنه فوجئ بحدث لم يكن يتوقّعه، أي حدث رغم إرادته. وما داموا قد وصلوا بفكرهم إلى كلام بلا معنى فسوف يجعلونك مضطّرًا أن تؤكد وتعترف بأن الابن لم يُولَد رغم إرادة الآب، ومن ثم يغالون قائلين إذا كان الآب قد وُلِدَ الابن بإرادته فمعنى ذلك أن إرادة الآب قد سبقت عملية الولادة.

كيرلس: إنها حقًا مؤامرات ودسائس لا تمت للتقوى بِصِلة، هذه التي يخترعها ضدنا هؤلاء المضلِّون. وهم يُسيئون إلى عقائد الحق وأعتقد أن من يسأل أين توجد المبالغات في الخطأ لن يجدها إلاّ فيما يقولون.

ولقد أحرزوا نصرًا غير مشرّف، ولأن مبالغتهم غير التقّية وغباءهم قد تعدى كل حدود، فلم يتبقّ أمامهم إلا أن يسمعوا: «سَدُومَ أُخْتَكِ لَمْ تَفْعَلْ هِيَ وَلاَبَنَاتُهَا كَمَا فَعَلْتِ أَنْتِ وَبَنَاتُكِ!»[٦٠]. كفانا أفكارًا لاذعة ومتناقضة ولنذهب مباشرة إلى الحقيقة، ولنؤكد أن الآب لم يكن يومًا محرومًا من ابنه، بل الابن كائن دائمًا في الآب الأزليّ الذي بلا بداية. وهو لم يكن أبدًا أبًا للابن رغمًا

---

[٦٠] حز١٦: ٤٨.

عنه وهذه الإرادة لا تنشأ ولا تظهر أبدًا قبل الولادة. ولأن إرادة الآب حكيمة جدًا وعاقلة، فلا يجرؤ أحد على أن يدّعى أن إرادة الله غير حكيمة أو غير عاقلة. وهكذا فإن الابن هو حكمة الله الآب وعقله. وهكذا ففي الابن توجد كل إرادة الآب، وهكذا فإن الذين يثرثرون بهذا الكلام سوف يجدون أن الأمور ترتد ضدهم، لأنه لا شيء يمنعنا نحن أيضًا أن نطرح أسئلة كثيرة بغض النظر عن إن كانت هذه الأسئلة صحيحة أم لا. فهل الآب يوجد بإرادته أم بغير إرادته؟ وإذا كان يوجد بغير إرادته فمعنى ذلك أن وجوده اضطراري، وإذا كان الجواب هو أنه يوجد بإرادته، فمعنى ذلك أن إرادته سابقة لوجوده لأن الإرادة تتصّرف بحكمة وتُعبّر عن نفسها بالعقل، ولأن الابن هو حكمة الله وكلمته، فإنه يكون موجودًا قبل الآب. والوحي الإلهي يدعو الابن إرادة الله الآب ومشورته، وذلك لأن داود يقول بالروح في المزمور، باسم أولئك الذين آمنوا «أمسكت بيدي اليمنى. بمشورتك تهديني»[61]. وأيضًا يقول في مزمور آخر «يا رب بإرادتك ثبّتَ لجبلي عزًّ»[62]. وذلك لأننا بالمسيح نسير نحو إرادة الله الآب، وقد تحوّلنا فيه[63] إلى جمال يفوق جمال العالم، ونحن نتشّدد به في كل صلاح.

وهكذا إذا أطلقنا العنان لمفاهيم فاسدة وعفنة ولأفكار ليست في محلها، فإننا نقول إن الابن كائن قبل الآب، وذلك لأنه هو الإرادة. وهكذا فالسؤال هو: كيف يوجد المولود قبل الوالد؟ أرأيت إلى أي مدى توغلوا في الشر؟ وذلك لأنهم ازدروا بالوصية القائلة «جَرِّبُوا أَنْفُسَكُمْ، هَلْ أَنْتُمْ فِي الإِيمَانِ؟ امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ»[64].

**إرميـــــا:** حقًا إنهم ابتعدوا كثيرًا ..

**كيرلس:** يمكن أن نستمر. وبدون تعب كبير في تحويل فكرهم المهذار إلى سخافة أخرى، ونطلب منهم إجابة فورّية على هذا السؤال.

**إرميـــــا:** ما هو هذا السؤال؟.

[61] مز٧٢: ٢٣س.

[62] مز٢٩: ٧س.

[63] يستعمل كيرلس فعل "Μορφούμεθα" بمعنى تحولّنا أو تشكلّنا، من هذا الفعل تأتي نفس الكلمة التي في رسالة فيلبي٢: ٥ «آخذًا **شكل**» "Μορφή" «العبد» أي أن تحوّل المسيحيين ليصيروا على صورة الله، يتّم في المسيح .

[64] ٢كو٥:١٣.

**كيرلس:** هل يجب أن نؤمن ونعتقد نحن والملائكة القديسون أن الله الآب هو خالق وملك رحيم، أم لا يجب؟

إرميـــــا: نعم، نحن لا نتردد في القول بهذا، وإذا لم يكن هكذا فماذا يكون؟

**كيرلس:** السؤال الذي أطرحه عليهم هو، هل كل هذا ـ أي كون الله ملك وخالق ـ تّم بإرادته أم بغير إرادته؟ وإذا قالوا «بغير إرادة» فإنهم ينسبون لله «عدم الإرادة» أي **الأفعال اللاإرادية**، وبالتالي فهو خاضع للضرورات التي يَخَضَع لها البشر. وإذا قالوا إن كل ذلك تّم بإرادته فإذن الإرادة قد سبقت الوجود، فهو إذن لم يخلق دائمًا بملء قوّته ولم يكن ملكًا بلا بداية، ولا رحومًا ولا صالحًا، ويكون هناك بالتالي مسافة من الزمن في داخل الله نفسه، لم يكن فيها شيء من ذلك، بل كان فيها يفكر في أن يكون هكذا. مَنْ يقدر أن يسمع هذا الكلام ولا يبكي كثيرًا على جنون هؤلاء الناس. ولا نكتفي بالحزن عليهم بل نُقصيهم من التعرّض لهذه المسائل ونقوم نحن بفحص عمق الأمور، ونخلُص إلى أن في مجال الأشياء التي نعملها أو لا نعملها، يمكن أن نتكلّم عن إرادي وغير إرادي، ولكن هذا غير ممكن في مجال الولادة. وإذا سأل أحد عن السبب في ذلك، فمن الحكمة أن نجيب بقول مأثور: «الطبيعة أرادت وهى لا تبالي بالقوانين»، فلا الإرادة ولا عدم الإرادة يعوقها. وفى رأيك ألست أقول الصدق إذا أكدت أن الله هو بالجوهر آب ولم يصر آبًا نتيجة لنشاط في إرادته، جعله في وضع أفضل كآب. مستحيل أن يكون الله قد صار أبًا نتيجة فعل إرادي.

**إرميـــــا:** ماذا تقصد بذلك؟

**كيرلس:** ألاَ تقول أن الآب قدوس وصالح؟

**إرميـــــا:** بكل تأكيد.

**كيرلس:** هل هذه الفضائل ذاتية فيه ومن جوهره، أم إنها مضافة إليه بفعل إرادي، أي أنها يمكن أن تختفي إذا ظهرت إرادة معاكسة؟ فهذا هو معنى الحركة الإرادية.

إرميـــــا: هي صفات جوهرية في الله والذين لا يقولون بذلك، سوف يَسخر

منهم الرأي المستقيم.

**كيرلس:** رائع يا صديقي وإنني لمعجب بغيرتك وحماسك للمعرفة والتعلّم، فكيف يكون الله الآب أبًا بإرادته أو بدون إرادته بدلاً من أن يكون أبًا بالطبيعة؟ الله كائن بطبيعته وليس بالإرادة، وهكذا فهو قدوس وصالح بالطبيعة؛ وكيف أيضًا لا ترى أمرًا آخرَ، مع إنه يُغضب بشدة هؤلاء المعاندين؟

**إرميـــــا:** ما هو هذا الأمر؟

**كيرلس:** بكل سرور أشرح لك مادمت ترغب في معرفة أمور مفيدة. ولكن افهم ما أقول. هل هم على استعداد أن يعترفوا بأن الآب هو والد بطبيعته وأن هذا الأمر جوهري فيه أم ينكرونه، مفكرون في كل هذا بغير تقوى؟ فإذا قالوا إنه ليس والد بالطبيعة، فإنهم ينفون تمامًا وجود الابن الذي هو مولود من الآب، والذي خرج من الآب كما تشهد بذلك الكتب المقدّسة. فإذا كان الله الآب لا يملك طبيعة قادرة حقًا في جوهرها على الولادة، وتحتاج إلى دفع من إرادته لتفعل ذلك، فإنه قد آن الأوان لنقول إنه طبقًا لهذا المنطق، نقول إن الله قد صنع طبيعته الخاصة وجعلها قادرة على الولادة، وجعلها قادرة على أشياء لم تكن قادرة عليها قبلاً. وبذلك نرى أن إرادة الله، أقدم من الله نفسه وأنه بالإرادة أعطى نفسه أن يكون أبًا.

ولكن علينا ألاَّ نُعيرُ اهتمامًا لهذه الأفكار الفاسدة والتي تحمل غباء لا يُحتمل. أما نحن المؤمنون والذين نتبع التفكير المستقيم بأمانة فنحن نعتقد أنه من العبث أن نفكر في أن الآب قد وَلَدَ إراديًا أو لاإراديًا. فهو والد بالطبيعة والجوهر. وما هو طبيعي في الكائن، لا يكون غير إرادي لأن طبيعته وإرادته متلازمتان.

**إرميـــــا:** وأنا أعتقد إنها هي هكذا.

**كيرلس:** وزيادة على ذلك، فهناك سخافة أخرى لا تَقل عن سابقتها، فحسب رأيهم فإنه في حالة كَونْ الله هو أب، لابد أن تكون الإرادة سابقة على الولادة. فلنفحص هذا من فضلك، هل الله الآب هو أب لأنه وَلَدَ أم كان من الأفضل له عدم الولادة؟ فإذا كانت طبيعته لم تتغيّر بالولادة، فكيف لا يخجل هؤلاء

التعساء من أن ينسبوا إليه خزي عدم الولادة؟ أما إذا كان عدم الولادة أفضل له، فما الذي يدفعه لأن يصير في وضع أقل عن طريق الولادة؟ وهكذا يكون الله قد عمل عملاً غير ملائم وغير معقول وقَبِلَ بإرادته ما يهين مجده وطبيعته. وهذا اتهام خطير ضد قصد الآب وإرادته التي لا يُعبّر عنها. ألاَ تعتقد أن كلامهم الرديء وخبثهم قد تعدى كل حدود حتى وصل إلى التقزز، وهكذا وصل عدم تقواهم إلى أقصى مدى؟

**إرميـــــا:** هذا حق .

**كيرلس:** فلنهرب إذن من هناك بسرعة ونلتفت إلى أمورنا.

**إرميـــــا:** ماذا تقصد؟

**كيرلس:** أقول إنه من الواجب علينا أن نحمل في نفوسنا أنصع وأصدق اعتقاد عن الله، ولنمعن النظر في إنه لا يوجد ما هو سابق على ميلاد الابن، وأن إرادة الوالد لا تسبق وجود المولود، وأن الله الآب هو أب بطبيعته وهذه هي إرادته أيضًا. وذلك لأن الله الكائن لا يكون هكذا بدون إرادة. ونفس الشيء إذا فكّرنا في قداسة الآب وصلاحه، فالله صالح وقدوس بطبيعته وإرادته. ولا يمكن أن نعتقد عنه أنه كان يمكن أن يوجد بطريقة أخرى. فهو الله وهو آب في نفس الوقت، والولادة عنده ليست شيئًا لاحقًا للوجود، وفى الوقت الذي نفكر فيه أنه موجود وكائن يجب أن نفكر في أنه أيضًا آب. وهكذا فالآب الذي له هذه الطبيعة يقودنا إلى الاعتقاد بأن هذه الولادة هي أزليّة، وهكذا يكون الابن مولود من الآب أزليًّا.

## هل الولادة هي عملية تحوّل من الإمكانية "δυνάμει" إلى الفعل "ἐνέργεια"؟

**إرميـــــا:** إذا أردت ذلك فليكن، ولنقبل الإيمان بأن الابن كائن مع الآب ولكنهم سيقولون، إن الله كان دائمًا أبًا ولكنه كان أبًا «بالإمكانية» فقط، والابن كان يمكن أن يُدرك بطريقة نظرّية فقط، إذ لم يكن له وجود فعليّ ككائن قبل الولادة، وبعد ذلك وُلِدَ.

**كيرلس:** فبالتالي الولادة هي حقيقية وهي في الواقع من الآب. ويُعتَرف بها دائمًا هكذا، فالله أب بالطبيعة وهو أب «بالإمكانية» و «الفعل». وهو ليس له إرادة تتوسط بين «الإمكانية» و «الفعل» وبالتالي فهو آب حسب قوانين طبيعة لها خاصية الولادة. وهو لا يكون أبًا لِمَنْ هو غريب عنه، ما دام المولود منه هو دائمًا من نفس طبيعة الوالد. ومن ناحية أخرى فإنهم ـ بكلامهم هذا ـ يُهينون الآب إذ ينسبون له إنه قابل للتغيير وذلك رغم أن الكتب المقدّسة تشهد بأنه «لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَظِلُّ دَوَرَانٍ»[٦٥]. أم أن عملية التحوّل من «الإمكانية» إلى «الفعل» ليست تغييرًا شديدًا يا صديقي؟ لأنه لو أن هناك كائن له «الإمكانية» حسب طبيعته، ومع ذلك لا يتقدّم من حالة «الإمكانية» إلى حالة «الفعل»، فإنه يكون ما زال مستقرًا في حالة «الإمكانية»، دون أن تُفعِّل بعد، الحركة التي تتعداه إلى حالة «الفعل» وهكذا يظل باقيًا في وضعه الأصلي الأول. أما إذ تحرّك ناحية حالة «الفعل» فحينئذ، وحسب ما هو طبيعي، فإنه سيتحوّل حسب رأيي إلى حالة أخرى مختلفة عمّا كان عليه أصلاً. أم إنهم ينسبون هذا التحوّل إلى حالة الكينونة. «بالإمكانية» وليس لحالة الكينونة «بالفعل»؟

**إرميــــا:** لا أعتقد ذلك.

**كيرلس:** إذًا إن كانوا يقولون إنه لا يوجد تمييز بين حالة الكينونة «بالإمكانية» وحالة الكينونة «بالفعل»، أي إذا وَضعَوهما على نفس المستوى وفى نفس الموقف، فهذا معناه أن الله كان أبًا «بالفعل» وبدون بداية. وذلك لأنه حسب رأينًا لا يوجد فارق زمني بين الكائن حسب «الإمكانية» والكائن حسب «الفعل»، ولكن إذا تمايز الاثنان بفارق زمني كبير فكيف لا يحدث تغيير في طبيعة الله، لأنها لم تحتفظ بكيانها حسب الإمكانية، ولكنها تعرضّت لتغيير قادها من «الإمكانية» إلى «الفعل»؟

**إرميــــا:** الذي تقوله صحيح، ولكن دعني أقول لك ماذا سيأتي على ذهن المضادين لنا إذ إنهم سيقولون ما يلي: إن الآب دائمًا خالق بطبيعته وبدون بداية. ولكن ألم يخلق المخلوقات في زمن معيَّن؟ وذلك لأن الخلق ليس أزلي في الله، ولكنه خَلَقَ (الخليقة) من العدم في لحظة زمنية معيّنة. فهل بهذا سنقبل، أن

[٦٥] يع ١: ١٣.

طبيعته غير المتغيّرة قد تغيّرت، وأنه قد خضع «لظل تغيير»؟ فمن يجسر أن يؤكد شيئًا كهذا؟ وهكذا ففي حالة الولادة، الله يمر من حالة الكائن حسب «الإمكانية» إلى حالة الكائن «بالفعل» بدون تغيير ولا حركة تغيّر من الله، ولكنها استعداد في الطبيعة التي تعمل بهذه الطريقة فيما يخص عملية الولادة.

**كيرلس:** إذا فهمت أن هؤلاء المنحرفين قد اخترعوا شيئًا لا يمكن الرّد عليه فبذلك يكون ذهنك ميالاً إلى البساطة المتناهية. ولنفحص بكل عناية خصائص الحركة في الحالتين، ما الذي يفصلهما وما الاختلاف بينهما؟ سوف ترى وتعرف سقم أفكارهم الجاهلة. فالكائن الذي يُقال إنه وَلَدَ شيئًا من داخله والذي مرّ من حالة الكائن «بالإمكانية» إلى حالة الكائن «بالفعل»، قد أصابته زعزعة في طبيعته وذلك لأن الأمر لا يتعلّق بآخر، بل بطبيعته ذاتها التي عانت التحوّل من «الإمكانية» إلى «الفعل». والآخر الذي يُقال إنه لا يعمل العمل السابق (الولادة) بل عملاً آخرَ، فإنه لا يتأثر في نفسه بهذا العمل إذ أنه ينفذه في آخر كما سنرى.

**إرميـــــا:** سوف تقدّم لي خدمة جليلة كالمرّات السابقة إذا ما تكرّمت بتوضيح الأمر.

**كيرلس:** هيّا بنا، فلنأخذ الإنسان كمثال، فهو بطبيعته يتوالد ويمتلك هذه «الإمكانية» منذ البداية، ولكن بالنمو والنضوج تتحّول هذه «الإمكانية» إلى «فعل». ومن ناحية أخرى، فالإنسان لا يمتلك الحكمة بدون ممارسة ولكن توجد فى جوهره مقدرة كامنة قادرة على اختيار أمر دون آخر فيما يمارسه من علوم وفنون تناسب الإنسان، فهو يصنع السفن ويجهّزها ويصنع من البرونز أشكالاً حسب فكره، أو يعمل أشياء أخرى مماثلة. فحسب رأيك هل يمكن أن نفكر في الآب الذي ينتقل من حالة أب بحسب «إمكانية» إلى أب «بالفعل»، بنفس الطريقة التي نفكر بها عن الصانع في صُنعه لأشياء أوجدها بنفسه؟

**إرميـــــا:** لن أفكر هكذا. فالإنسان من جهة ليس منحصرًا في نفسه، ولكنه يُظهر علمه فيما يفعله من أمور خارج نفسه. ولكن من الجهة الأخرى توجد حركة داخلية كامنة في جوهر الإنسان نفسه. وهذه هي طبيعتنا إذ يحدث فيها نوع من التغيّر والتحوّل، وبكلمات أخرى، هي تنتقل من «الإمكانية» إلى «الفعل».

**كيرلس:** هذا ما أردت قوله حينما طلبت أن نفحص الفرق في الحركة بين الحالتين فليس هناك شيء يقودنا إلى أن نقبل أن طبيعة الله قد تغيّرت، أو أنها قد تعرّضت للاضطراب في إحدى خصائصها الجوهرية حينما قرر الله أن يخلق زمن معيّن. كما أننا لا نقبل أن يتعرّض جوهر الله للتغيّر بانتقاله من حالة (الأبوّة) حسب الإمكانية إلى الأبوَّة «بالفعل» أي إلى الولادة.

**إرميـــــا:** هذا صحيح.

**كيرلس:** هناك شيء آخر، لأني أعتقد أننا يجب أن نُقلّد الكلاب في حاسة الشّم القوية، وذلك حينما نريد أن نبحث عن الحقيقة. وهناك أمر يساعدنا على أن نكتشف ضَعْف وحماقة أفكار معاندينا. لأنه لا يوجد سبب قهري يمنع الابن الفائق في طبيعته على كل البشر من أن يكون دائمًا مع مَنْ وَلَدَهَ أي مع مَنْ يُدرَك على أنه دائمًا آب وهو الله. أما بالنسبة للخليقة فهي من عمل القدرة الخالقة. كيف إذن أو بأي كيفيّه يمكن لها أن تتشارك مع الله في مجد وجوده الأزليّ وهي التي ليس بدون بداية زمنيّة كما أنها قد أتت من العدم إلى الوجود؟ أم أنك ربما ستقول أن الخلائق يمكن أن توجد بدون فعل هذه القوة الخالقة؟

**إرميـــــا:** بلى.

**كيرلس:** وبالتالي، بينما الخليقة لم تكن قد جاءت بعد إلى الوجود، لكن كان الله حينذاك خالقًا، ولم يكن الله أبًا لأنه كان خالق لكن لأنه قد وَلَد، والابن هو ابن لأنه وُلِدَ. وإن كان في علاقة الخالق بالخليقة ليس ضروريًا أن يكونوا دائمًا معًا، ألاّ إنه ضروري أن يكون الابن مع الآب دائمًا لكي نفهم بدقة الأمور الخاصة بالله سواء الله الآب أو الله الابن، وعليه فكيف يمكن أن يظهر أحدهما قبل الآخر ما دامت كينونة كل واحد منهما تعتمد على كينونة الآخر؟ ولا يمكن وجودها بمعزل كل منهما عن الآخر؟ لأن الآب هو آب في علاقته بالابن والعكس صحيح. أم إنه يبدو لك أن الحديث قد أتخذ مجرى خاطئًا؟

**إرميـــــا:** إطلاقًا ...

**كيرلس:** فإذا كانت الولادة هي من ذاته، وإعلان الله نفسه أبًا للابن بالطبيعة يُظهران حكمة الله الآب وصلاحه، فلماذا يتأخر الآب في ولادته للابن؟ ما هو الشيء الدافع الذي منع الله أن يصير آبًا منذ البداية؟ فالبشر آباء دائمًا «بالإمكانية» ولكن ليس «بالفعل»، وهذا ينطبق على كل الناس والسبب وراء عدم كونهم كلهم آباء واضح. فالجسد لم يصل بعد إلى سن النضوج والبلوغ. وإلى أن يصلوا إلى هذه اللحظة، فإن ملكات الطبيعة تكون كامنة وتنتظر اللحظة المناسبة التي تظهر فيها وتُثبت ذاتها. ولكن في حالة الله، فهو دائمًا كامل، وهو دائمًا هو نفسه، وليس في الله نمو نحو امتلاك صفة أو خاصية ليست فيه، ولهذا فهو لا يحتاج للزمن لإظهار قدراته، وهو من أجلنا يشع الابن من جوهره الذاتي. وهذا المولود كائن في الآب بالجوهر. فكيف نتصوّر ونفهم إذن، إنه لم يلد «بالفعل» منذ الأزل بل إنه بقى في حالة «الإمكانية» فقط. وهذا يجعلنا نظن أنه قد حدث له تغيير معين عند الولادة عما كان عليه منذ الأزل؟ إن كلام المعاندين هو عدم تقوى موجهة ضد الابن. وذلك لأن الابن الوحيد سوف لا يكون خالقًا للأزمنة إذا كان الزمن ـ بطريقة ما ـ يحاصره من كل جانب. وكأن ولادة الابن «بالإمكانية» من الله الآب، هي أقدم من ولادته منه «بالفعل»، وهذا يفترض أن يكون الآب في حركته من حالة عدم الولادة، أي من حالة الولادة حسب «الإمكانية» إلى الولادة «بالفعل»، قد مرّ بفترة زمنية- حتى لو كانت قصيرة ـ بين المرحلتين إذ سبقت أحدهما الأخرى. يا للعار ويا للرعب الذي أشعر به من هذا الكلام، أن نفكر ونتصّور أن الشمس والنار لا يمكن أن تتغيّرا عن طبيعتهما، وأنهما لم تتوقفا أبدًا عند مجرّد مرحلة يمكن أن نصفها بمرحلة الوجود حسب «الإمكانية»، وأنهما لم تنتقلا من هذه المرحلة إلى مرحلة «الفعل»، أي تحوّل «الإمكانية» إلى «فعل»، عن طريق حركة داخل الزمن تفصل بين الطبيعة والفعل. ولكن عكس ذلك نجد أن الصفات الذاتية للشمس والنار لا تنفصل عنهما، وهى قائمة فيهما منذ بداية وجودهما، بينما يقولون عن الله إنه ليس أسمى من الأجساد ولا حتى إنه يمتلك في طبيعته قوانينه الخاصة به من جهة الولادة الإلهية غير المدركة، التي لا تليق إلاّ به وحده.

# الحوار الثالث

## «إن الابن هو إله حقيقى كما أن الآب إله حقيقى»

### هل الابن هو إله حقيقي كما أن الآب إله حقيقي؟

**كيرلس:** إنى أعرف جيدًا يا إرميا أنك أنت أيضًا تقول إنه يجب أن نُظهر اهتمامًا كبيرًا بالفضيلة وأن نتعمَّق على كل حال في كلمات الإيمان[1]، لأن مثل هذه الكلمات هى خاصة بالله. ولهذا فإن الكتاب يقول «وَلتَكُنْ هَذِه الكَلِمَاتُ التي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا اليَوْمَ عَلى قَلبِكَ، وَقُصَّهَا عَلى أَوْلادِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ»[2].

لأنه إن كان كلام الله في أفواهنا دائمًا فإن هذا سيكون له ـ كما أعتقد ـ نفع كثير لحياتنا الروحيَّه، كما أتصَّور أن كلام الله هذا لا يناسب الجميع بل فقط أولئك الذين لهم الاهتمام أن يعيشوا حسب مشيئة الله[3].

**إرميـــــا:** إنى أتفق معك فيما تقول، لأنه لا يوجد شئ أفضل من هذا. ولأننا نتكَّلم في الوقت الحاضر عن ولادته الإلهية التي لا توصف وأن الابن لم يأتِ إلاّ من الآب، إذ وُلِدَ من جوهر الله الآب[4]. فما هو الأمر الذي يجعل المعارضين يؤمنون بأن الله هو واحد، الذي هو الآب وأنه إله حق، ولا يحسبون معه أحدًا آخر بالمرَّه، بل ويبعدون الألوهة الحقَّة عن طبيعة الابن الوحيد والحقيقى، ذاتها؟

---

[1] دائمًا ما يركّز آباء الكنيسة وخصوصًا ق. كيرلس على أن حياة الفضيلة هى ثمرة مباشرة لحياة الإيمان المستقيم. انظر على سبيل المثال: شرح قانون الإيمان (رسالة رقم ٥٥) للقديس كيرلس، ترجمة د. موريس تاوضروس. د. نصحى عبد الشهيد، مركز دراسات الآباء. القاهرة ١٩٩٦م. ص٢٦.٢٧.

[2] تث٦: ٧.

[3] يشرح ق. كيرلس اهميه أن يُفهم ما جاء في نصوص العهد القديم كمثال للعبادة بالروح والحق. انظر: السجود والعباده بالروح والحق. ترجمه ومقدمه وتعليقات د. جورج عوض ابراهيم، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيه. طبعة منقحة ومزيدة بالعناوين الجانبية والحواشي القاهرة ٢٠١٠. وسوف نشير لهذا في الهوامش.

[4] يتبع ق. كيرلس هنا نفس تعبير ق. أثناسيوس ونص مجمع نيقية ٣٢٥م. انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين. المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، فصل ٥٨. وهنا يكرر ق. كيرلس كثيرًا، هذا التعبير الهام. انظر على سبيل المثال ص١٠١، ١٢٥، ١٢٦. وأيضًا رسائل ق. كيرلس. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. الرسالة ١٧ ص ١٥.

**كيرلس**: أنا نفسى أتساءل عن هذا الأمر الذي يبعدهم بعيدًا، والذي يجعل «لأَنَّ مِنْ جَفْنَةِ سَدُومَ جَفْنَتَهُمْ وَمِنْ كُرُومِ عَمُورَةَ. عِنَبُهُمْ عِنَبُ سُمٍّ، وَلَهُمْ عَنَاقِيدُ مَرَارَةٍ. خَمْرُهُمْ حُمَةُ الثَّعَابِينِ وَسِمُّ الأَصْلاَلِ القَاتِلُ.»[٥]. لأنهم وهم سكارى بسبب ضلالاتهم والتي لا أعرف أين وجدوها، فإنهم يتفوّهون من أعماق قلوبهم الماكرة بأمور شريرة. وهم قد تركوا ألسنتهم بدون أى ضابط لينطقوا بالتجديف على الابن[٦]، إذ أنهم في هذا يعانون من عدم الفهم الذي يصاحب عدم التقوى الذي اتصف به الفريسيين. ولهذا فإنهم يستحقون أن يسمعوا ما قيل للفريسيين «يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟»[٧]. ومع أنه ـ بالتأكيد ـ كان يجب مع تمسُّكهم بطريقة البحث الدقيق، ألاّ يعتقدوا أن ما يبدو لهم أنه صحيح، ليس بالضرورة أن يكون هو السليم والذي لا يقبل النقض. ويجب عليهم أن يَبعدوا بأسرع ما يمكن عن تلك الأمور السطحيَّة. لأنهم لو حاولوا البحث بتدقيق في الأمور التي تساعد على فائدتهم وعلى الحكم السليم على الأمور، فإنهم سيتمسَّكون بتعاليم الحق الإلهى.

لأنى أعتقد أنه من خيالات العقل واضطرابه أن يدّعيَّ المرء أن الابن المولود من الله مثل الكلمة من العقل ومثل الشعاع من النور[٨]، ليس هو الله الحقيقى

[٥] تث٣٢:٣٢.

[٦] يكرر ق. كيرلس هنا ما سبق أن كتبه ق. أثناسيوس في وصف الآريوسيين الذين أنكروا أُلوهية الابن «ولكونهم مروجين للبدعة الآريوسية، فإنهم لا يضبطون ألسنتهم عن الكفر». الرسائل عن الروح القدس للأسقف سرابيون. ترجمة د. موريس تاوضروس ود. نصحى عبد الشهيد. مركز دراسات الآباء ١٩٩٤، الرسالة الثالثة: ٥. ولقد أشار ق. كيرلس من قبل إلى الآريوسيين وأوضح تجديفهم بقوله «ولكنهم يتجنون على كلمة الحق حينما يقللون ـ بدون تقوى ـ من مجد الابن وينسبونه إلى طبيعة أخرى مختلفة عن طبيعة الآب؛ وهكذا يظهر الابن على أنه خارج جوهر الآب» انظر ص ٤٢.

[٧] مت١٢:٣٤.

[٨] لقد أشار ق. كيرلس إلى هذا المثل من قبل بقوله «لنأخذ مثالاً وليكن طبيعة الشمس والشعاع الذي يخرج منها. ولا يمكن أن نطبق آلام الولادة والتمزق وخلافه على خروج الشعاع من الشمس، وهو كائن فيها رغم إشعاعه. وهكذا فالشمس تمتلك في طبيعتها الخاصة، شعاع النور الذي لا ينفصل عنها، لكنه يبدو بعد خروجه منها أن له فرادة خاصة به وأحيانًا يفكر البعض في الشمس نفسها ولكنهم لا يستطيعون أن يتخيّلوا جوهرها. ففي هذا الجوهر يوجد الشعاع ومن الجوهر يخرج الشعاع دون أن ينفصل الشعاع عن الجوهر، إلاّ أنه متميّز عنه، إذ أن الشعاع يخرج من الشمس إلى خارجها، ولهذا فمن العبث والمضحك ان نتصوّر ان الشمس أقدم من الشعاع، وكان الشعاع الخارج منها يجيء متأخرًا. ولا أعتقد أن إنسانًا حكيمًا وسليم العقل يفكر هكذا. فهذا التصوّر معناه أن الشمس غير موجودة بسبب أنها لا تمتلك النور موجودًا فيها. وهو الذي يجعلنا ندرك أنها موجودة. هكذا نرى أن الأمثلة المادية الملموسة لها قيمتها في صياغتنا للتعبيرات السليمة، فهى تعطينا إمكانية أن نعبّر عن المعانى الفائقة، دون أن تُفسد هذه التعبيرات معنى ـ

حسب الطبيعة. كما أعتقد أنه من طياشة العقل أن ينساق المرء وراء أفكار لا هدف لها، وأن يتفاخر بتزييف معانى مصطنعة. أليس من الأفضل أن نتعلّم أنه حيث توجد الولادة حسب الطبيعة تكون هناك بالتأكيد علاقة بين الوالد والمولود منه[٩]. وأن هذه العلاقة ليست هى علاقة نسبيَّة أو علاقة غير حقيقية بل هى علاقة طبيعية[١٠]؟ لأن المولود بالحقيقة يأتى من ذات جوهر الذي وَلَده. فكيف يكون إذًا ذلك الذي وُلد من الله، ينقصه شئ أو يكف أن يكون ـ حسب رأيهم ـ هو الله بالحقيقة؟

**إرميـــــا:** نعم، ويمكننى أن أقول: إنه هو الله وأنه أتى من الله لكن بطريقة مختلفة.

**كيرلس:** إذًا، ما هو بالضبط هذا الشئ المختلف. لأنى لا أستطيع فهمه بوضوح وربما استطعت أنت أن تقوله لى، إن كنت تعرف شيئًا، لأنه من الطبيعى أن تكون قد سألت عن هذا الأمر؟

**إرميـــــا:** بالفعل قد سألت. هم يقولون: إن الآب هو إله حقيقى غير أن الابن ليس كذلك حتى لو كان يدعى الله. ويقولون: إن الابن يأتى فقط من الله بمعنى أنه يأتى من الله لأن كل الأشياء هى من الله.

**كيرلس:** هذا بالطبع يعنى كأنهم يصرخون عاليًا، وقد تركوا تمامًا كل إحساس بالخجل، ويقولون إن الابن ليس هو الله بل هو مساوٍ لكل المخلوقات

ـ الميلاد الإلهى. انظر الحوار الثاني. وكثيرًا ما استخدم القديس أثناسيوس تشبيه النور والشعاع الخارج منه لوصف العلاقة الجوهرية للابن بالآب. انظر: الرسائل إلى سرابيون عن الروح القدس. مركز دراسات الآباء ١٩٩٤. الرسالة الأولى: ١٦، ١٩، ٢٠، ٣٠. الرسالة الثانية:٢. المقالة الثانية ضد الآريوسيين: ٣٥. وهذا الوصف يعنى أن الابن هو نور مشع من الآب. وهكذا نفهم نص قانون الإيمان «نور من نور» بعكس فهم «إشعاع» بمعنى نور مقتبس من نور آخر مثلما يأخذ السراج نوره من سراج آخر فيكون تعبيرًا عن الإنقسام والتجزئة في عالم المخلوقات، والتي لا وجود لها في طبيعة الله الثالوث. وفي موضع آخر يشدّد ق. أثناسيوس عن أن طبيعة الابن هى نفسها طبيعة الآب مستخدمًا نفس هذا الوصف فيقول «إن الشعاع هو النور وليس ثانيًا بعد الشمس، ولا هو نور آخر، ولا هو ناتج من المشاركة مع النور، بل هو مولود كلي وذاتى من النور ومثل هذا المولود هو بالضرورة نور واحد ولا يستطيع أحد أن يقول إنه يوجد نوران، فرغم أن الشمس والشعاع هما اثنان إلاّ أن نور الشمس الذي ينير بشعاعه كل الأشياء هو واحد». انظر المقالة الثالثة ضد الآريوسيين، مركز دراسات الآباء. القاهرة سنة ١٩٩٤. فصل ٤.

[٩] انظر أيضًا ق. أثناسيوس «.. هكذا وإن كان الله أبًا فلابد أن يكون لمن هو ابن بالطبيعة ومن نفس جوهر الآب:الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق. الرسالة الثانية:٦. وأيضًا «الابن مولود من الآب أى صادر من جوهره، ولأنه ابنه فلابد أن يكون له نفس الجوهر» ق. كيرلس. انظر ص٣٧.

[١٠] أى علاقة حسب الطبيعة الواحدة الإلهية التي تربط الآب بالابن.

في طريقة الخلق، فهو قد وُلِدَ ووُجِدَ من العدم وحُسِبَ من بين المخلوقات كواحد منها.

وأعتقد أنه من الحكمة الفائقة أن تجرِّد كلامهم من كل تزويق وألاّ تترك المعارضين يزيّنون كلامهم عن - طبيعة الابن - بكلام معسول، فهم لا يؤمنون على الاطلاق بأى شئ حقيقى عنه، ولتقنعهم بأن يقولوا ما يؤمنون به عنه علنًا، لأنى أعتقد أن كلامهم الهزيل سيُنتقد أيضًا علنًا. ويستطيع المرء أن يُدرك حقيقة كون الابن قد أتى من الآب، إن كان عقله غير فاسد ويؤمن بأن هذا لا يعنى شيئًا آخر غير أن الابن قد وُلِدَ[11]. أما أنه قد صَدَر من ذات جوهر الآب[12] فقد بيّنه الحوار الذي أجريناه مؤخرًا[13]. وأعتقد أن على كل عقل يعرف كيف يبحث في العمق، أن يشجع هذا الحوار.

إرميـــا: إنه أمر طيب أن تكون راغبًا في هذا، أما الاعتراضات التي يمكن أن يثيروها على حججنا فهى كالآتى:

يقولون: إن واحد فقط يُدعى الله في العهد القديم كما في العهد الجديد. لأن موسى قد قال «اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»[14]. وأيضًا يصرخ الرب قائلاً: «اُنْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي»[15]. وأيضًا «أَنَا الرَّبُّ الأَوَّلُ، وَمَعَ الآخِرِينَ أَنَا هُوَ»[16]. كما أن الابن نفسه يقول للآب «وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ»[17]. وهم يستطيعون بسهولة أن يشيروا إلى آيات عديدة مثل هذه وسيحاولون بوجه عام تفسيرها مستخدمين حججهم، وهم يتوقعون أن البعض سيؤمن بسرعة أن الآب هو فقط الإله الحقيقى وأنه لا يوجد آخر غيره قط.

[11] « إن الابن بسبب خصوصيته مع الآب وبسبب أنه المولود الذاتى لجوهر الآب، هو غير مخلوق بل من نفس جوهر الآب» ق. أثناسيوس الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق الرسالة الثالثة: ١.

[12] الابن هو «المولود الأصيل لجوهر الآب» ق. كيرلس. شرح إنجيل يوحنا. المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية المجلد الأول ص ١٥٩.

[13] يقصد الحوار الثانى (انظر ص ٤١) وبالتحديد ص ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٧.

[14] تث٦: ٤.

[15] تث٣٢: ٣٩.

[16] إش٤١: ٤(س).

[17] يو١٧: ٣.

**كيرلس:** لكن قل لى: لماذا يتعبون أنفسهم في محاولة إقناعنا بما يقولون؟ فنحن لا نحتاج إلى مجهود على الاطلاق - أيها الحبيب - لكى نوافق مباشرةً على ما يقولونه ونؤمن بالآب الإله الحقيقى حسب الطبيعة وذلك وفق نص قانون الإيمان[18]. وهل يمكن للمرء أن يعترض على هذا، وماذا تكون حجته؟ أما إذا قالوا: إنه لا يوجد إله غيره إطلاقًا (في كل الوجود) فإن هذا لا ينطبق على طبيعة الابن في شئ، لأنه بطبيعته مختلف عن كل (الآلهة المخلوقة)[19] ولا يُحسب ضمن المخلوقات إذ هو كائن دائمًا مع أبيه مُشرقًا دائمًا معه وهو يُدرَك دائمًا مع الذي وَلَده في طبيعة إلهية واحدة. واحد إذًا هو الله وهو الإله الحقيقى لأننا قد عُتقنا من تعدّد الآلهة وطالما قد تنقينا أخيرًا من لطخة تعدد الآلهة وعرفنا الرب الحقيقى الواحد، لنترك الآن هذه الأمور ولنأتى إلى موضوعنا لأنى أظن أنه يجب أن نفعل هكذا.

**إرميـــــا:** أى موضوع تقصد؟

**كيرلس:** قول الابن إن الآب هو الإله الحقيقى وحده.

**إرميـــــا:** نعم هكذا قال.

**كيرلس:** والعهد القديم قال لنا أيضًا أنه لا يوجد إله آخر سواه.

**إرميـــــا:** بالفعل.

**كيرلس:** هيَّا بنا أيها الحبيب نحن أيضًا إلى الكتب المقدسة[20]. ولنفحص

[18] حيث يُذكر «نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل...». والجدير بالذكر أن ق. كيرلس قد قام بشرح قانون الإيمان الذي أقره مجمع نيقية. القسطنطينية، في رسالة له موجهة إلى الرهبان (رقم ٥٥). انظر هامش ١ ص٩٢.

[19] «حيث إن الابن ليس بينه وبين المخلوقات أى مشابهة» كما سبق أن أشار ق. أثناسيوس، انظر: الرسائل عن الروح القدس المرجع السابق. الرسالة الثانية: ٥ وأيضًا يقول عن الابن «فهو ليس من بين الأشياء المخلوقة». المرجع السابق الرسالة الثالثة: ٤.

[20] يؤكد ق. كيرلس هنا ما سبق أن ذكره «ولست أدعى أننى سأقول شيئًا أفضل من الذي قاله أسلافنا أو أنى سوف أسبر غور الأمور الروحية بشكل أحسن، لأننا نجد كفايتنا فيما كتبه الآباء القديسون، لأن مَن يقرر أن يتعرّف بحكمة على الآباء ويستخدم كتاباتهم بالحرص الواجب فسوف يسكن النور الإلهى في عقله». انظر ص٨. ويوضح ق. أثناسيوس أهمية الحرص على الإيمان المسلّم مرة بالتقليد والذي يتطابق مع ما جاء في الكتاب المقدس فيكتب في نهاية رسالته الأولى إلى الأسقف سرابيون عن الروح القدس « .. بحسب الإيمان الرسولى المسلّم لنا بالتقليد مع الآباء فإنى قد سلّمت التقليد بدون ابتداع أى شئ خارجًا عنه، فما تعلمته بذلك قد رسمته مطابقًا للكتب المقدسة» وعندما طلب منه الأسقف سرابيون أن يشرح له الآية «من قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له أما مَن قال على الروح القدس فلن يُغفر له في هذا الدهر ولا في الدهر الآتى» (مت١٢: ٣١-٣٢)، فقد فسّر ق. أثناسيوس هذه الآية له في رسالته الرابعة والتي ختمها بالنصيحة التالية «لقد كتبت هذا الشرح حسبما تعلّمت .. أما بالنسبة لك فأرجو أن تقبل هذ الشرح ليس كتعليم كامل وتام في ذاته بل كبداية تحتاج إلى أن تكّملها معتمدًا على نصوص الأناجيل والمزامير. المرجع السابق.

بتدقيق كلام القديسين. هَلم إذًا لنفحص ربما وُجد مَن دَعىَ الابن ووَصفَه بأنه إله حقيقى وحده.

**إرميــــــا:** بالصواب تتكَلم.

**كيرلس:** إذًا سنرى أمامنا يوحنا الحكيم والذي دُعى ابن الرعد[٢١]، يصرخ قائلًا: «وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ. وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هَذَا هُوَ الإِلَهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.»[٢٢]. ويقدّم لنا العون أيضًا باروخ الذي يعلن بوضوح طبيعة ومجد الابن ويصرخ بنفس الطريقة ويشير إلى نفس الأمر بقوله «هذَا هُوَ إِلهُنَا وَلاَ يُعْتَبَرُ حِذَاءَهُ آخَرُ. هُوَ وَجَدَ طَرِيقَ التَّأَدُّبِ بِكَمَالِهِ وَجَعَلَهُ لِيَعْقُوبَ عَبْدِهِ وَلإِسْرَائِيلَ حَبِيبِهِ. وَبَعْدَ ذلِكَ تَرَاءَى عَلَى الأَرْضِ وَتَرَدَّدَ بَيْنَ الْبَشَرِ»[٢٣]. وأيضًا نستطيع أن نقول إن الرسول بولس الطوباوى قد حدّثنا عن رب وهو يسوع المسيح وأيضًا داود ينشد بوحى الروح قائلاً: «لأَنَّهُ مَنْ هُوَ إِلَهٌ غَيْرُ الرَّبِّ؟ وَمَنْ هُوَ صَخْرَةٌ سِوَى إِلَهِنَا»[٢٤]. إذًا لقد دُعيَّ الابن الوحيد الجنس بأنه الإله الوحيد والحقيقى وذلك بطريقة واضحة وأكيدة في الأسفار المقدسة.

**إرميــــــا:** هذا حق.

**كيرلس:** بالنسبة لنا طالما أن الآب هو وحده الإله الحقيقى، فإن الابن أيضًا هو إله مساوٍ له ولا يوجد أى اختلاف بينهما (في الجوهر) ولا يمكن أن يُحسب معهما أحد آخر على الاطلاق. إذًا إلى أين يتجه فكر هؤلاء الذين يعتقدون بما ينادون به، لأن طبيعة الآب والابن ستَحُول دون ذلك الفكر وإلاّ كانت غير مستحقة للمجد اللائق بها كطبيعة إلهية طالما أنها ستكون متغيّرة وغير ثابتة؟[٢٥] وبالعكس لو أننا نسبنا للابن فقط الألوهة الحقيقية ولم نحسب معه أحدًا غيره إلهًا، أفلن نُحد بذلك من مجد الآب، الأمر الذي لا يحق لنا أن نقوله؟

---

[٢١] مر٣:١٧.

[٢٢] ١يو٥:٢٠.

[٢٣] باروخ٣:٣٦-٣٨.

[٢٤] مز١٨:٣١(س).

[٢٥] الطبيعة الثابتة والتي لا تقبل أى تغيير هى الطبيعة الإلهية. أما طبيعة باقي المخلوقات فهى قابلة للتغيير وتتصف بعدم الثبات.

أوليس غير صحيح أن نقول إنه طالما نقبل أن الآب فقط هو وحده الإله الحقيقى أننا نؤكد بذلك فورًا أن الابن له طبيعة مختلفة عن الآب وبالتالى فإننا نجرده من الألوهة الكاملة وبالتالى تكون له طبيعة أخرى؟

**إرميا**: بالطبع إن معانى الكلمات[٢٦] تقود إلى هذا الفكر. ومع هذا فالمعارضون لديهم الحق في أن يقولوا بإنه إن كان الابن هو إله حقيقى فإن هذا سيمنعنا من القول بإن الله هو واحد بل سيضطرنا إلى القول بإنه اثنين.

**كيرلس**: إن تلك الأمور الغريبة التي ينادون بها هى غير واضحة بالمرَّة، ويمكن اعتبارها أنها طريقة من طرق التجديف المعروفة التي تنتشر بسرعة. غير أن هدفنا ليس هو أن نفحص من أين يأتى هذا التجديف بل بالحرى أن نعترف أنه يجب أن ندرك كيف أن الابن قد وُلِدَ من جوهر الله الآب وأنه إله حق من إله حق[٢٧] وأنه لم يولد من طبيعة غريبة ومختلفة، وأن له كل ما للآب حسب الجوهر عدا كونه أبًا[٢٨]. وإذ نحصى الروح القدس مع الآب والابن في الألوهة الواحدة، فإننا هكذا نسجد لثالوث واحد مساوٍ في الجوهر الإلهى.

**إرميا**: لكن إن قالوا إنه لو قبلنا بوجود ثلاثة أقانيم، فإنه سيمكن أن نفهم حينئذٍ أن الألوهة مثلثة (أى يوجد ثلاثة آلهة).

**كيرلس**: بالنسبة لنا فإن الحقيقة الإلهية تعلّمنا[٢٩] أن الأمور ليست هكذا.

---

[٢٦] أى كلمة «أب»، «ابن» حيث إن الأب لابد أن يلد ابنًا له نفس طبيعته.

[٢٧] بحسب نص قانون الإيمان النيقاوى . القسطنطينى.

[٢٨] يوضح ق. أثناسيوس حقيقة أُلوهية الابن المتجسد بكونه مختلف في جوهره عن كل المخلوقات وبأن له ما لله الآب فيقول: [وحيث إنه غريب عن المخلوقات حسب الجوهر، ولكونه **الكلمة** الخاص بالآب وهو لا يختلف عنه وحيث إن كل ما للآب هو له، فذلك يقضى أنه من نفس جوهر الآب .. وهذا ما أدركه الآباء حينما اعترفوا في مجمع نيقية أن الابن مساو للآب في الجوهر ومن نفس جوهره. لقد تحققوا جيدًا أن الجوهر المخلوق لا يستطيع أن يقول «كل ما للآب هو لى» وبسبب أن وجود الجوهر المخلوق له بداية، فهو ليس كائنًا بذاته ولم يكن أزليًا، ولذلك فحيث إن الابن له هذه الخصائص وحيث إن كل الأشياء السابق ذكرها والتي للآب هى للابن، فمن الضرورى أن يكون جوهر الابن غير مخلوق بل هو من نفس جوهر الآب. لهذا السبب. فلا يمكن أن يكون جوهره مخلوقًا فهو يملك خواص الله، تلك الخواص التي له والتي بها يُعرَّف الله ]. الرسالة الثانية إلى سرابيون عن الروح القدس: المرجع السابق فقرة:٥، ضد الآريوسيين. المرجع السابق ٣:٣.

[٢٩] يمثل التعليم بعقيدة الثالوث، تعليمًا أساسيًا وجوهريًا في إيماننا المسيحى ولهذا فإن القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات يصف هذه العقيدة بأنها «رأس الإيمان». ويقول ق. أثناسيوس في سياق دفاعه عن أُلوهية الروح القدس وبالتالى دفاعه عن وحدة الثالوث وألوهيته قائلاً: «دعونا ننظر إلى تقليد الكنيسة وتعليمها وإيمانها الذي هو من البداية والذي أعطاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء وعلى هذا الأساس تأسست الكنيسة ومَن يسقط منه فلن يكون مسيحيًا ولا ينبغي أن يدعى كذلك فيما بعد وإذًا يوجد ثالوث قدوس وكامل ويُعترَف بلاهوته في الآب والابن والروح القدس». انظر الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون. مركز دراسات الآباء ١٩٩٤. الرسالة الأولى: ٢٨ ص٨٣-٨٢.

لأننا قد تعمدّنا باسم الآب والابن والروح القدس[30]، وبالطبع لا نقول إننا نؤمن بثلاثة آلهة، لكن بألوهة واحدة ممجدّة في الثالوث القدوس[31]. فلماذا إذًا تتسرع

=انظر أيضًا: عقيدة الثالوث القدوس. في كتاب «تعاليم عقيدية في الصلوات الليتورجية» د. جوزيف موريس فلتس، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. القاهرة ٢٠٠٤ ص ٣٥،٢١. وأيضًا:
Trinity: in the encyclopedia of Early Christianity, second Edition, 1998, P 1143.

[30] يشدّد الآباء على أن الكنيسة في ممارستها لسر المعمودية باسم الثالوث، تعكس إيمانها بحقيقة أُلوهية الأقانيم الثلاثة وهو إيمانها الواحد والذي على أساسه تُجرى المعمودية الواحدة والتي يسميها ق. أثناسيوس «طقس التكميل» والذي يتم به الإنضمام إلى الكنيسة ويقول: [ هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة لأن الرب أسسها وأصلّها في الثالوث حينما قال لتلاميذه « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح الدس ]. الرسالة الثالثة إلى سرابيون عن الروح القدس، المرجع السابق فقرة ٦. وأيضًا يقول «فألوهة الثالوث واحدة وإيمان واحد وتوجد معمودية واحدة تعطى فيه وواحد هو التكميل». الرسالة الثالثة إلى سرابيون عن الروح القدس، المرجع السابق فقرة: ٧. والجدير بالذكر أن ق. أثناسيوس في محاربته لأفكار الآريوسيين الذين أنكروا أُلوهية الابن كان قد حذّرهم من عدم جدوى سر التكميل أى المعمودية لأنهم ينكرون الابن وبالتالى ينكرون أُلوهية الآب فيقول: [ أما هؤلاء الآريوسيون فإنهم يخاطرون بفقدان إتمام السر وأعني به المعمودية لأنه إن كان إتمام السر يعطى باسم الآب والابن وهم لا يقرون بأي حقيقة بسبب إنكارهم للابن الذي هو منه، الذي هو مثله في الجوهر، منكرين الابن الحقيقي ويسمون لأنفسهم ابنًا آخر... ألا يكون طقس المعمودية الذي يتممونه فارغًا تمامًا وعديم الجدوى، إذ أن له مظهر خارجى، أما في الحقيقة فإنه ليس له شئ يعين على التقوى؟ لأن الآريوسيين لا يعمدّون باسم الآب والابن، بل باسم خالق ومخلوق .. فليس مَن يقول ببساطة «يا رب» هو الذي يُعطَى المعمودية بل هو ذلك الذي مع الاسم الذي يدعوه، عنده أيضًا إيمان مستقيم ... ومع الإيمان المستقيم يأتي إتمام المعمودية ]. المقالة الثانية ضد الآريوسيين ٤٢. كما أنه يستخدم نفس هذا التوجه الإيماني في محاربته لأفكار «المحرفون» الذين أنكروا أُلوهية الروح القدس فيقول: [ إن التكميل (المعمودية) الذي تحسبون أنكم تمارسونه ليس إنضمامًا تامًا إلى اللاهوت لأنكم تمزجون المخلوق باللاهوت وتضعون الخليقة مع الله الذي خلقها بكلمته الذاتى .. فمن هو الذي يوحّدكم بالله إن لم يكن لكم روح الله بل الروح الذي من الخليقة؟ .. لأنه إن كان الروح .كما تقولون . هو ملاك ومخلوق وفي نفس الوقت يحسب مع الثالوث، إذًا يكون ضروريًا، ليس لواحد فقط من الملائكة الذين خلقوا، أن يحسبوا مع اللاهوت، وبذلك لا يعود هناك فيما بعد ثالوث بل عدد لا يحصى في اللاهوت. وهكذا فإن طقس الإنضمام (المعمودية) الذي نكرر أنه يظهر أنه طقسكم، هو منقسم بين هنا وهناك وصار غير أكيد بسبب تقلبه ]. الرسالة الأولى إلى سرابيون عن الروح القدس، المرجع السابق: ٢٩. ويتابع ق. أثناسيوس تعليمه عن الإيمان بالثالوث الواحد وعلاقته بالمعمودية على اسم الثالوث فيقول: [ لأنه كما أن الإيمان بالثالوث . المسلّم إلينا . يجعلنا متحدين بالله، وكما أن ذلك الذي يستبعد أحد أقانيم الثالوث ويعتمد باسم الآب وحده، أو باسم الابن وحده أو باسم الآب والابن بدون الروح القدس، لا ينال شيئًا بل يظل غير فعّال وغير مكتمل، هو نفسه وذلك الذي يفترض أنه ضمه (بالمعمودية)، هكذا ذلك الذي يفصل الابن عن الآب، أو مَن ينزل الروح إلى مستوى المخلوقات، فليس له الآب ولا الابن بل هو بدون إله، وهو أشر من غير المؤمن، ويمكن أن يكون أى شئ إلاّ أن يكون مسيحيًا لأن كما أن المعمودية التي تعطى الآب والابن والروح هى واحدة فإن الإيمان بالثالوث هو واحد ]. المرجع السابق. الرسالة الأولى: ٣٠.

[31] في محاولته لبيان «سرّ المسيح» الذي كانت أحداث وشخصيات العهد القديم ظلًا له، واستُعلن لنا بتجسّد الابن الوحيد، أوضح ق. كيرلس في مجال شرحه لحادثة الطوفان وإلى مَن كان يرمز نوح وإلى أى شئ يرمز الفلك وإلى مَن تشير مقاييسه وأبعاده ... الخ. فيقول « إن هذه المقاييس تشير بكل وضوح إلى الثالوث القدوس الواحد في الجوهر وإلى أن الطبيعة الإلهية كاملة تمامًا «. ثم يشرح دلالات هذه المقاييس بقوله: [ انتبه إذًا إلى ما ورد في الكتاب المقدس بخصوص الثلاثمائة ذراع والتي ترمز إلى الكمال. لأن هذا كان طول الفلك لكن عرض الفلك الذي يبلغ خمسين ذراعًا يعبّر جيدًا عن وحدة الألوهة التي هى كمال الكمال فإن الخمسين هى سبع سبعات وتضاف إليهم وحدة واحدة لأن الطبيعة الإلهية هى واحدة. أما إرتفاع الفلك فلا يعلن لنا أى شئ آخر سوى هذه الأُلوهية، لأنه يصل إلى ثلاث عشرات وينتهى أيضًا إلى ذراع واحد الذي هو فوق الكل والأعظم. لأنه يقول «وثلثين ذراعًا إرتفاعه وتصنع كوا الفلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق « (تك١٦:٦) أى بينما الثالوث القدوس هو ثلاثة أقانيم إلاّ أن له طبيعة واحدة إلهية، ولكننا إن كنا نقول إن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم إلاّ إننا نؤمن بطبيعة واحدة وأنهم متحدون في جوهر واحد، وهذا ما أشار إليه بقوله « وتكمله إلى حد ذراع من فوق». حسنًا قد خلّصنا المسيح بالإيمان وأدخلنا إلى الكنيسة فهى كمثل فلك ندخل إليها لننتصر على خوف الموت وننجو من نيران هذا العالم لأن نوح البار . أى =

محاولاً أن تُخضع تلك الأمور التي تفوق العقل لأفكار بشرّية[٣٢]، تلك الأمور التي أعتقد أنه يجب أن يُنظر إليها فقط بالإيمان الخالى من كل شك؟ لأن التساؤل عن ماهية الثالوث وعن طبيعة الألوهة هو أمر غير لائق بالمرّة ويدلُّ على عدم التقوى[٣٣]. وعلى عكس ذلك فإن التقوى هى أن نرغب في أن نفكر بطريقة سليمة كيف أننا نسجد للثالوث القدوس الإله الواحد. أتوافق إذًا يا إرميا على أننا نفهم هذه الأمور ونؤمن بها بطريقة صحيحة، بينما المخالفون يحاولون بكل الطرق أن يخترعوا أمورًا غريبة وأفكارًا شاذة لا تخطر على فكر أحد؟

**إرميـــــا:** صحيح، وأنا أعرف أنهم يحاولون ذلك، لكن كيف يكون الله الذي نؤمن به واحدًا بينما نقول إن لكل من الآب والابن أقنومه الخاص؟

**كيرلس:** إن ما يساعدنا في فهم هذا الأمر هو أن نأخذ في اعتبارنا حقيقة وحدة الجوهر، تلك الوحدة التي بها يكون للأقنومين جوهر واحد، مع حفظ

= المسيح. سيكون معنا ]. انظر «جلافيرا» أى تعليقات لامعة: ترجمة الباحث جورج عوض إبراهيم، نُشرت بالكتاب الشهرى للشباب والخدام. المقالة الثانية على سفر التكوين، عدد يونيو ٢٠٠٤ ص١٩.

٣١ وأيضًا نجد أن ق. أثناسيوس في رسائله إلى سرابيون عن أُلوهية الروح القدس، يعلّق على أفكار الهراطقة بقوله: «لأن هذا الذي سلّم إلينا بواسطة الإيمان لا يجوز لنا أن نقيّمه بمقاييس الحكمة البشرية. بل يسمع الإيمان لأن أى عقل يمكنه أن يفسر بإحكام، الأمور التي تعلو على الطبيعة المخلوقة، أى سمع يمكنه أن يدرك الأشياء التي لا يسوغ للبشر أن يسمعها أو ينطقوا بها». مركز دراسات الآباء ١٩٩٤، الرسالة الأولى: ١٧ ص٦٢. ويعترض على توجيه الهراطقة للأسئلة حول حقيقة الثالوث الذي يجب عليهم أن يؤمنوا به أولاً كي يفكروا به فيقول «إن توجيه مثل هذه الأسئلة عن الله يكون جراة جنونية لأن الألوهة لا تُسلّم لنا بواسطة براهين كلامية بل بالإيمان مع التفكير بتقوى ووقار». الرسالة الأولى: ٢٠ ص٦٨.

٣٢ التساؤل ليس فقط عن ماهية الثالوث بل وأيضًا عن كل الأمور العقائدية والإيمانية هو دليل على «عدم التقوى إذ يجب ان نسلّم بكل هذه الحقائق كما هى، أو كما سبق وان كتب ق. كيرلس ايضًا اننا يجب أن لا نكون فضوليين أكثر من ذلك، وإلاّ نجازف بالفحص المتهور لما تسلمناه بالإيمان. وذلك لأن الذي من الإيمان لا نسعى لامتلاكه بطرق اخرى .. وما يعتمد على البحث العقلانى ليس إيمانًا. فالإيمان الحقيقي بعيد كليةً عن كل محاولات بشريّة للتأكد من صدقه» انظر ص ٧١. وفي هذا يقول أيضًا ق. هيلارى أسقف بواتيه بفرنسا (٣١٥-٣٦٧م): «نحن مضطَرون بسبب أخطاء الهراطقة والمجدّفين لأن نعمل ما هو غير مباح وأن نتسلق المرتفعات وأن نعبّر عن الأشياء التي لا ينطق بها وأن نتناول أمور محظورة. ومع أنه ينبغي علينا أن ننفذ الوصايا من خلال الإيمان وحده، عابدين الآب وساجدين للابن معه، وفرحين في الروح القدس فنحن مضطّرون لتوسيع قدرة لغتنا الضيّقة، للتعبير عن الحقائق التي لا توصف، كما أننا مجبرون بسبب تجاوزات الآخرين أن نتجاوز نحن في محاولة محفوفة بالمخاطر، حين نضع في كلام بشّرى ما كان يجب أن يُحفظ في عقولنا برهبة مقدسة... إن خيانتهم قد جرّتنا إلى هذا الموقف الخطير والمريب، حيث قد تعيّن علينا أن نضع عبارات محدّدة تذهبنا أبعد ممّا قد وصفته السماء عن أمور سامية للغاية ومخفيّة في الأعماق». عن الثالوث ٢:٢، ٥.
The father of the church, the Catholic University of America Press Washington, p.c. vol. 25. p. 36.

ما يخص كل منهما كأقنوم وألاّ تُنسَب الإزدواجية إلى الطبيعة البسيطة[٣٤] ولا حتى بسبب الخوف أننا ربما نخدش بساطة الطبيعة عندما نتحدَّث عن أقنومين. ونستطيع أن نبيّن أن الكلام عن وحدة الجوهر هو كلام حق من كل الشهادات التي وردت عن الابن في الكتاب المقدس. بمعنى أنه لأن الآب بطبيعته هو الله بالحقيقة فإنه سيقبل أن يكون الابن بطبيعته هو الله بالحقيقة، بسبب أن لكل منهما أقنومه الخاص ولهما نفس الجوهر. وليست هناك طريقة أخرى لذلك عدا أن يكون الابن من ذات الآب وأن الابن له في ذاته نفس طبيعة الذي وَلَده، وبهذه الطريقة يمكن أن يُفهم ما يقال بإن الابن والآب هما واحد. وهكذا، فعلي سبيل المثال نجد أن فيلبس قد وُبِخ لأنه لم يعبّر عن عطشه للمعرفة بكلمات واضحة. وإذ كان من الممكن أن يرى وبكل وضوح طبيعة الله الآب في شخص الابن فإنه قال «يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا»[٣٥]. والرب قد أجابه قائلاً: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ. فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟»[٣٦]. «أَنَا وَالآبُ وَاحِد»[٣٧]. وقول الرب هو حق لأنه بما أن الابن مولود من جوهر الله الآب، فإنه بالقطع كائن في الآب، وهو (الابن) يستطيع من خلال طبيعته أن يُظهر طبيعة الذي وَلَدَه. وطالما أن الآب لا يُدْرَك إلاّ بالابن وفي الابن، وبما أن الابن هو رسم جوهر الآب[٣٨]، فإن طبيعة مَن وَلَده تكون فيه هو أيضًا. وأعتقد أيضًا وبحسب ما نؤمن، أنه يجب أن نقول إن ما يقال عن أى منهما يسرى على كل منهما لأن لكليهما نفس المجد.

[٣٤] توصف الطبيعة الإلهية بأنها طبيعة بسيطة وغير مركّبة، فالطبيعة البسيطة غير قابلة للإنقسام لأن التركيب هو بداية الإنقسام. انظر أيضًا هامش ٥٤ ص١٠٩.

[٣٥] يو١٤: ٨.

[٣٦] يو١٤: ٩-١٠.

[٣٧] يو١٠: ٣٠.

[٣٨] انظر عب١: ٣. في سياق رده على الذين يخلطون بين صفتي «الخلق» و «الولادة» في الطبيعة الإلهية البسيطة، استخدم ق. كيرلس هذه الآية وتسآل قائلاً: «كيف يمكن أن نعتقد أن الابن هو رسم المجد الذي لا يُعبّر عنه وبهاء جوهر الله الآب، إن لم يكن يمتلك إمتياز كونه مولودًا، أو إن كانت ولادته مجرد كلمات جوفاء أو إن كان مختلفًا في طبيعته عن الآب وبذلك يُحسب ضمن المخلوقات؟ وفي هذه الحالة ما الذي يمنعنا من أن نحسب الآب أيضًا ضمن باقي المخلوقات، ونضطر نتيجة لذلك أن نعتبر الآب مثل باقي الكائنات التي تخضع للتغيير مادام صورته ورسم جوهره خاضعًا أيضًا للتغيير». انظر ص ٦٦. ويقول أيضًا: «إن أزليّة الابن مشهود لها من الآب إذ هو مولود من الآب أزليًّا بالطبيعة». ويستشهد بنفس الآية السابقة لإثبات ذلك ويعطى مثل الشمس والشعاع لإيضاح هذه الحقيقة انظر ص ٨١.

## أمثلة عن شركة الخصائص الذاتية للآب والابن:

### المثال الأول:

**إرميـــــا:** وماذا تقصد بهذا؟

**كيرلس:** ألاَ تعرف يا صديقى أن بولس الطوباوى يكتب عن الله الآب قائلاً: «كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ»[٣٩].

**إرميـــــا:** وما معنى هذا؟

**كيرلس:** انتبه، فالقديس بولس أعطى نفس المجد للابن ويزّين طبيعة الابن الوحيد بتلك الأمور التي تُمجِّد الآب وذلك عندما قال في موضع آخر عن الابن «الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ»[٤٠].

**إرميـــــا:** نعم لقد قال هذا.

**كيرلس:** أعتقد إذًا أن المرء سيُمكِنه أن يتساءل عن كيفيّة حدوث ذلك، (لأنه سيقول) طالما أن الله الآب يملأ الكل ويوجد ويُعرف من الكل بأنه الله فإنى لا أرى أى مساحة (متبقِّية) يمكن أن يملأها الابن. ولهذا فنحن مجبرين على أن نفكر بأنه إن لم يكن الواحد منهما في الآخر جوهريًا فحينئذ فإن ملء الكل بواسطة الله الآب سيكون لا لزوم له، لأن الملء سيكون كافيًا بواسطة الابن. أو عكس ذلك إذ أنه إن كان الله الآب يملأ الكل، حينئذٍ سيكون الملء المُعطى للكل من الابن بدون داعٍ طالما أن الآب كافٍ وقادر على أن يملأ الكل. وكيف يمكن للمرء أن يثبت أن الكل ينقصه شئ طالما أن الله الآب هو الذي يملأ هذا الكل. وهكذا يا صديقى، تجد أن كلمات الحكيم يوحنا ـ في فكر المعارضين ـ هى بلا معنى، وأن تمجيده للابن كان بدون وجه حق عندما قال عن الابن والقديسين «وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا»[٤١]، فلأى شئ كانت حاجتهم التي أخذوها من ملء الابن طالما

---

[٣٩] ١كو١٥:٢٨.

[٤٠] أف١:٢٣.

[٤١] يو١:١٦. يرى ق. كيرلس في هذه الآية ما يوضّح إختلاف طبيعة الابن عن طبيعة باقى المخلوقات وأنها تثبت ألوهيته فيقول: «نحن نأخذ من ملئه والطبيعة الإنسانية التي وجدت أنها تحتاج إلى كل شئ تأخذ من ملئه. من ملء الابن كما من الينبوع الأصلى وعطيَّة النعم الإلهية تتدفق على كل نفس تستحق أن تأخذ. وإذا كان الابن يعطى من ملء طبيعته، فالخليقة هى التي تأخذ. فكيف يمكن أن يعتقد أحد أن الخليقة لها ذات المجد الذي للابن. فهو يعلو الجميع بحسب=

أن كل ما كانت الخليقة في احتياج إليه موجودًا في الله الآب وحده، وتكون الخليقة غير محتاجة لشئ من أى أحد غيره؟

**إرميــــا:** لقد تكلّمت بالصواب.

**كيرلس:** وعندما نفحص بالضبط ما هو «الملء» المُعطى من كل من الآب والابن فإنه يصير واضحًا إذًا بالنسبة لكل منًا أنه، إن كان الجوهر منقسمًا في كليهما حتى أنهما يصيران مختلفين (في الجوهر)، أفلن يعنى هذا إذًا أن الملء الخاص لكل منهما سيكون متناسبًا مع طبيعته (الخاصة به)؟

**إرميــــا:** حتمًا.

**كيرلس:** فلو قلت إن الآب هو إله حقيقى فحتمًا ستكون أفعاله هى إلهية، بينما لو قلت إن الابن هو مجرَّد من الألوهة الحقيقية فيتبع ذلك أن قدرته على الملء ستكون طبعًا غير إلهية، وستكون متفقة حتمًا مع طبيعته (الغير إلهية). وهكذا سيكون كل الملء فينا مزدوج وغير متساوٍ. وطالما أن الملء المُعطى بواسطة الآب كان كافيًا لهؤلاء الذين نالوا الخلاص، إذ هو ملء إلهى أعلى من كل ملء. فإذ كان حقيقيًا أن الابن لا يعمل كما يليق بإله حسب الطبيعة إذًا فإنه لم يضف إلينا غير ملء أقل من ملء (الآب). وأيضًا لو قبلنا أن ملء الابن هو أمر نافع وهام وضرورى لخلاصنا فلن يتبقى إلاّ أن نفكر وأن نقول إن الأفضل قد احتاج إلى الأدنى، وأن الأصغر قد أضاف إلى الكامل ما ينقصه، هذا إن كان حقيقيًا أن الملء المعطى بالله الآب لم يكن كافيًا لخلاصنا. وهذا اتهام سخيف ويجب ألاّ يكون إيماننا بهذه الحقائق هكذا.

وبالتالى يلزم أن نُلقي عنا بعيدًا كل هذا الهذيان. فما نؤمن به وما نعتقده هو أن فعل الآب والابن واحد[٤٢]، كما أن الملء الحادث فينا بواسطة الآب والابن

=طبيعته الخاصة ويفوق الكل بكرامة كيان أبيه». شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، المجلد الأول ٢٠٠٩ ص١٣٨. ويعود ق. كيرلس لإستخدام هذه الآية مرة أخرى. انظر ص١٣٧.

[٤٢] وقد سبق ق. أثناسيوس أن استخدم ما جاء في رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ١٣:١٣ «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وبشركة الروح القدس مع جميعكم» ويدلّل بهذا على أُلوهية أقانيم الثالوث ووحدتهم في الطبيعة والفعل فيقول: «لأن هذه النعمة الإلهية التي تعطى في الثالوث من الآب بالابن في الروح القدس، وكما أن النعمة المعطاة هى من الآب بالابن، هكذا فإنه لا يكون لنا شركة في العطية إلاّ في الروح القدس. لأننا حينما نشترك فيه تكون لنا محبة الآب ونعمة وشركة الروح نفسه. ويتضح مما سبق أن فعل الثالوث هو واحد. فالرسول لا يعنى أن ما يعطى، يعطى من كل واحد متنوعًا ومجزئًا». الرسالة الأولى إلى سرابيون عن الروح القدس المرجع السابق٣٠، ٣١.

هو واحد، وذلك لأن طبيعة الآب والابن هى واحدة. فالواقع أن الطبائع التي يصل اختلافها إلى حد التباين والتي تتباعد فيما بينها تمامًا إلى حد الغربة لا يمكن أن يكون لها نفس الفعل المتساوى والمتطابق في أى من الكائنات. لكن حيث تختلف الطبائع فبالضرورة تكون الأفعال أيضًا مختلفة وغير متشابهة.

**إرميـــــــا:** هذا حقيقى. غير أنى أريد أن أسألك كيف نفهم أن الملء يحدث فينا بواسطة الآب والابن طالما أن هذا الملء واحد ومتشابه.

**كيـرلس:** بالتأكيد ليس هناك مانع ولا صعوبة في شرح هذه الحقيقة. وهل هناك طريقة أخرى تمكّننا من ذلك سوى معونة الروح القدس؟ ذاك الذي هو نفسه يملأنا بالنعم الإلهية. والذي يجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية؟[٤٣] لأنه هكذا كتب تلميذ المسيح «بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ.»[٤٤].

**إرميـــــــا:** وهل يتم فينا الملء من كل من الآب والابن بواسطة الروح القدس الواحد معًا، أم يتم من كل واحد منهما على حدة؟

**كيـرلس:** تمامًا يا إرميا، غير أن ما يدفعك إلى التساؤل لكى تتعلّم ـ على ما أعتقد ـ هو أنه إن كان الملء يتّم فينا بواسطة الآب والابن فكيف وقد صار هذا الملء تامًا أن يتّم فينا فعل ملء الروح القدس أيضًا؟

**إرميـــــــا:** وما هو رأيك إذًا؟

**كيـرلس:** ربما أنك تفكر ـ وكما هو طبيعى ـ وتقول إنه إن لم يكن للابن طبيعة مساوية لطبيعة الآب، طالما أن الابن ـ حسب ما يعتقد هؤلاء ـ أقل في جوهره من جوهر الآب، فلا أعرف كيف سيفعلان (أى الآب والابن) شيئًا في داخلنا طالما أن الابن غير مساوٍ (للآب) ومتغيّر في كل شئ، وحينئذٍ كيف سيمكن اعتبار أن ملء الآب والابن قد تمّ فينا؟

ثم كيف سيتم فينا هذا الملء بواسطة الروح القدس وحده، إن كان من

[٤٣] ٢بط ١: ٤ بمعنى أن نكون شركاء في عطايا ونعم ومواهب الروح القدس. في موضع آخر وفي دفاعه عن ألوهية الابن المتجسد، يتحدث ق. أثناسيوس عن علاقتنا بالابن والتي تتم عن طريق الروح القدس على أنها علاقة مع الابن وكلمة الله ذاته، مستخدمًا نفس هذه الآية لتدعيم تعاليمه. انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، فقرة ١٦.

[٤٤] ١يو ٤: ١٣.

المحتمل أنه يفعل فينا فعل ملء الآب والابن كخادم[٤٥] مع أنه يحمل إلينا هذا الملء بحسب طبيعته الإلهية التي هى نفسها طبيعة الآب والابن.

إرميـــــا: كلامك معقول، لأن هذا هو ما يدور في عقلى بالفعل.

كيرلس: إذًا لنوجّه حديثنا نحو هذه الأمور ويمكننى أن أقول إن مَن يمكنه بذاته أن يجعل الآخر يشترك في أشياء أخرى بدون أن يفقد علاقته الطبيعية بها، فإنه يتصَّرف بطريقة تدل على أنه مساوٍ لها. لأنى أعتقد أن كل مَن يُظهرون أن لهم فيما بينهم فعل متساوٍ في القوة، فبالضرورة لابد وأن يكون لهم نفس الطبيعة.

إرميـــــا: استطرد من فضلك في حديثك معطيًا لى مثالاً حتى أستطيع أن أتابعك.

كيرلس: سأستطرد في الشرح وسأقول لك إن الشمس[٤٦] على سبيل المثال تُرى وتُدرك على أنها شئ واحد في حد ذاته، عالية هناك، وتتبع نظامًا محددًا حسب ما قصد خالقها. هذه الشمس تُرسل لأسفل أشعتها وتتصل بالموجودات

---

[٤٥] يشدّد ق. كيرلس على أن الروح القدس بسبب أنه رب وواحد في الجوهر مع الآب والابن، فإنه يعمل بسلطة بحسب طبيعته الإلهية وليس كخادم. وفي صلاة سر حلول الروح القدس في القداس الإلهى المنسوب لاسمه يقول «وإرسل إلى أسفل من علّوك المقدس ... روحك القدوس الكائن بالأقنوم، غير المستحيل ولا متغيّر الرب المحييّ ... الفاعل بسلطة مسرّتك، الطهر على الذين أحبهم وليس كخادم» الخولاجى المقدس. دير البراموس الطبعة الثالثة ٢٠٠٢ ص٤٦٧. وفي شرحه ليوحنا ٢٦،٢٥:١٤ يقول: «فالروح لأنه يعرف ما هى مشورة الابن الوحيد فهو يخبرنا بكل شئ، وهو لا يأخذ هذه المعرفة بالتعلّم لكى لا يبدو أنه يشغل رتبة الخادم الذي ينقل كلمات آخر بل هو روحه، وإذ يعرف . دون تعلّم . كل ما يخص ذلك الذي هو منه وهو كائن فيه، فإنه يعلن الأسرار الإلهية للقديسين». وأيضًا يكرر نفس هذه الحقيقة، لكن من جهة علاقة الآب بالروح القدس فيقول في شرحه ليوحنا ١٥:١٦ «كل ما للآب هو لى»:[ الله الآب له روحه الذاتى من ذاته وفي ذاته أى الروح القدس الذي بواسطته يسكن في القديسين ويعلن لهم أسراره . لا كأن الروح يمارس مجرد وظيفة خدمة . بل بالحرى لأنه هو فيه جوهريًا ومنبثق منه بغير إنفصال ولا إنقسام وهو يفسر ما هو خاص بذلك الذي هو كائن فيه والذي منه يصير . وهذا ما هو يخصه أيضًا هو نفسه . لأن الله له إتحاد بالخليقة، فقط بواسطة ابنه في الروح وهذا الروح يخص الابن الوحيد لأنه واحد معه في الجوهر ]. انظر مقال «الروح القدس عند القديس كيرلس» د. نصحى عبد الشهيد، ضمن كتاب «الروح القدس عند الآباء». مركز دراسات الآباء ١٩٩٤. ويؤكد ق. أمبروسيوس نفس هذه الحقيقة الإلهية بقوله: [وبكل يقين الروح القدس ليس خادمًا بل شاهدًا للابن، وهذا ما يقوله الابن نفسه «هو يشهد لى» (يو ٢٦:١٥) فالروح شاهد للابن والشاهد يجب أن يعرف كل شئ لأن الله الآب هو أيضًا شاهد]. كتاب الروح القدس. مؤسسة القديس أنطونيوس ١٩٨٣ الكتاب الأول ص٢٤.

[٤٦] كثيرًا ما استخدم الآباء تشبيه الشمس وأشعتها لإثبات وحدة الجوهر الإلهى للآب والابن. انظر على سبيل المثال: القديس أثناسيوس، تجسد الكلمة، ترجمه عن اليونانية وتعليقات د. جوزيف موريس فلتس، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، طبعة ثامنة ٢٠١٤ الفصل ٣٢ فقرة٣ ص ٩٠،٩١. انظر أيضًا المقالات ضد الآريوسيين إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، المقالة الأولى فقرة ١٣، ٢٥. المقالة الثانية فقرة ٣٣. المقالة الثالثة فقرة ١٥:٥. الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ١٩٩٤: الرسالة الأولى ١٦، ١٩، ٢٠، ٣٠. «الآب نور والابن شعاع ونور حقيقي الآب إله حقيقي والابن إله حقيقي». الرسالة الثانية: ٢. القديس غريغوريوس النيسى: ضد أفنوميوس، الكتاب الثامن P.G 45. 773B

على الأرض، وتنقل إليها الإحساس بالحرارة. وإن أردنا معرفة طبيعة الشمس ومن أين اكتسبتها، فإننا نستطيع ذلك بدون جهد. لأنها ملتهبة وتشبه النار. وكل مَن اقترب منها ولو لمرَّة واحدة يستطيع بسهولة أن يدرك ذلك من الأشعة الساخنة التي تأتى منها.

**ارميـــــا:** تتكلم بالصواب، لأنه بالفعل، يمكن الشعور بها لأنه أمر غير صعب.

**كيرلس:** بالمثل، كيف لا يكون الأمر الذي تتكلم فيه واضحًا أمام ذوى العقول؟

**ارميـــــا:** ماذا تقصد؟

**كيرلس:** أقصد أن طبيعة الشمس لا تختلف عن طبيعة الأشعة التي تصدر منها وتخترق المخلوقات التي تتأثر بحرارتها. لأنه كيف من الممكن أن يكون فعل الشعاع مختلفًا وطبيعة الشمس بالنسبة له هى مصدر إشعاعه، حتى أن الشعاع يُدرك على أن له نفس نوعية جوهر الشمس التي تشعه؟

**ارميـــــا:** طبعًا لا يمكن أن يكون الشعاع مختلفًا.

## طبيعة الروح القدس

**كيرلس:** لنأتِ الآن للحديث عن طبيعة الروح القدس ولنفحص الأمر بتدقيق، بدون أن يخرج حديثنا عن هدفه. لأن الوقت يدفعنا للحديث عن أمورٍ أخرى مهمة. ولنفكر في أحد أمرين. هل نحسب الروح القدس مع الآب والابن وبالتالى له نفس الطبيعة الإلهية الواحدة، أم لا؟[٤٧]

**ارميـــــا:** يقولون إنه واحد هو الإله الحقيقى وهو الآب ومعه لا يحسبون آخر.

**كيرلس:** وبالتالى وحسب ما يقوله هؤلاء، فإن الابن والروح القدس لا يحسب أى منهما إلهًا حقيقيًا، بل يحسبونهما ضمن المخلوقات العديدة والتي هى ـ حسب قولهم ـ لها نفس طبيعة الابن وهى بعيدة كل البُعد عن جوهر الله الآب.

[٤٧] سبق القديس أثناسيوس أن وصف الذين يحاربون الروح القدس وينكرون ألوهيته بأنهم «لم يدركوا أنه كما لا يجوز أن نفصل الابن عن الآب محافظين على الإيمان الصحيح بإله واحد، هكذا أيضًا فإنهم إذ يفصلون الروح عن الكلمة لا يحتفظون بعد بالإيمان بألوهية واحدة في الثالوث لأنهم يمزقون الألوهة ويخلطون معها طبيعة غريبة ومن نوع مغاير» المرجع السابق.الرسالة الأولى: ٢.

وليدُلّنا هؤلاء عن مَن هو الله، الذي يوجد أيضًا فينا إن كان الروح القدس يسكن في الذين تعمدوا؟[٤٨] وأعتقد أنهم لا يقدرون أن يقولوا شيئًا عن الله الآب، غير أن كوننا شركاء الطبيعة الإلهية[٤٩] هو حقيقة لا يستطيع أحد أن يحصل عليها بواسطة روح مخلوق لو أن الروح القدس ليس إلهًا من طبيعة الله الآب[٥٠]. ويبقى أن نقول إن الابن فقط هو الذي يوجد فينا مع أنه - وفقًا لما يقولون - له طبيعة مختلفة وهو بعيد عن جوهر الله الآب. ولهذا السبب فهم يُحْصَون الابن مع المخلوقات. وهكذا فمَن يوجد داخلنا أى الروح، هو مخلوق وليس الله. ومع أنه ليس له علاقة مع الله الآب فإنه يهبنا التقديس. وأيضًا إن هم نظروا إلى أعلى وقالوا إن الابن هو إله فليقولوا لنا، هل سيوجد داخلنا إلهان، طالما أن الآب والابن يسكنان فينا. أم يسكن فينا إله واحد؟ لأن المسيح قال: «إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً»[٥١].

إرميـــــا: لا أعتقد أنهم يقصدون إلهين فربما يميلون نحو الأصح ويقبلون أنه يوجد في داخلنا إله واحد حق حسب طبيعته وأنه - حسب اعتقادهم - هو الآب فقط.

**كيرلس:** إذًا هم مضطرون - وليس بحسب رغبتهم - أن يقولوا الآتى: إن كان يوجد داخلنا إله واحد فقط وهو الآب وأن الابن يأتى معه بدون لزوم أو ضرورة، فإن كان الابن ليس إلهًا حقيقيًا، فحينئذٍ يكون الملء الذي

---

[٤٨] سكنى الروح القدس في الذين تعمدوا يدل على ألوهيته، انظر شاهد رقم ١ ص ١١.

[٤٩] ٢بط ١: ٤.

[٥٠] أكد ق. أثناسيوس هذه الحقيقة الإلهية مدافعًا عن أُلوهية الروح القدس. كما كان قد سبق فدافع عن أُلوهية الابن المتجسد. وذلك ببيان كل ما أتمه الابن والروح القدس (إذ هما واحد في الجوهر) لأجل البشرية، الأمر الذي لم يكن في مقدور أى من الخلائق عمله. وفي رسائله عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون يقول: «وإن كنا بالإشتراك في الروح نصير شركاء الطبيعة الإلهية فإنه يكون من الجنون أن نقول عن الروح القدس من طبيعة المخلوقات وليس من طبيعة الله. وعلى هذا الأساس فإن الذين هم فيه، يتألهون وإن كان هو يؤله البشر، فلا يتبقى أن يشك في أن طبيعته هى طبيعة إلهية، وفي نفس الموضع يقول: «فلو كان الروح القدس مخلوقًا، لما كان لنا إشتراك في الله بواسطته، فإن كنا قد اتحدنا بمخلوق فإننا نكون غرباء عن الطبيعة الإلهية حيث إننا لم نشترك فيها». انظر الرسائل عن الروح القدس المرجع السابق. الرسالة ١: ٢٤. وواضح هنا تأثر ق. كيرلس بهذه التعاليم.

[٥١] يو ١٤: ٢٣. يستشهد ق. أثناسيوس بهذه الآية للدفاع ليس فقط عن ألوهية الابن المتجسد بل وأيضًا عن ألوهية الروح القدس فيقول: « فالمواهب التي يقتسمها الروح لكل واحد تُمنح من الآب **بالكلمة**. لأن كل ما هو من الآب هو من الابن أيضًا. إذًا فتلك الأشياء التي تعطى من الابن بالروح هى مواهب الآب. وحينما يكون الروح فينا، فالكلمة الذي يعطى الروح يكون أيضًا فينا، والآب موجود في الكلمة وهكذا يكون كما قال «سنأتى أنا والآب ونصنع عنده منزلاً». الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق. الرسالة الأولى: ٣٠.

يتم بواسطته هو بدون أى هدف. وسيكون مجىء المسيح إلى داخلنا هو أمر غير لائق طالما أنه دخول بلا هدف.

لأنه طالما أننا هيكل للإله الواحد وليس لآلهة كثيرين فيجب أن نصرخ إلى الابن كى يخرج من داخل قلوبنا، أو بالحرى من الذي وعد بأن يأتى إلينا هو أيضًا طالما أنه لا يستطيع أحد أن يأتى مع الآب مادام الآب وحده كافٍ بطبيعته الإلهية كى يملأ بالتمام الهيكل الذي سيحل فيه؟

وبالتالى (سأعود مرة أخرى إلى هذا الموضوع) فإن الله لن يأتِ إلى داخلنا بواسطة الروح القدس، وذلك لأن مَن ليس له الطبيعة الإلهية - حسب قولهم - لا يستطيع أن يهبنا أن نكون شركاء الطبيعة الإلهية. وهكذا فإن مجىء المسيح إلى داخلنا مع الآب هو بلا نفع ولن يكون هناك ما يمنعنا من أن نصف قول المطوّب بطرس أنه بلا معنى إذ أنه كيف يقول بوضوح أن المسيح الإله يكون داخلنا بواسطة الآب وأن الآب يدعونا بواسطة الابن أن نكون شركاء الطبيعة الإلهية حقًا.

**إرميــــــا:** أقوالهم هذه هى خالية من كل تقوى.

**كيـرلس:** نحن نتفق على أن طبيعة الألوهة واحدة. وأن الابن ليس كما يقولون هؤلاء، غريب عن الآب، وأنه إله حقيقى يأتى منه ويوجد فيه، وهكذا فإن طبيعته هى طبيعة الذي وَلَده. ولذلك فنحن لا نؤمن أنهما إلهان[٥٢] لكن إله واحد وفريد يُعبد في ثالوث قدوس[٥٣]. هل تعتقد أنه يجب أن نقبل هذه الحقائق أم نقول إنها غير صحيحة؟

**إرميــــــا:** إنها صحيحة تمامًا.

٥٢ هنا يدافع القديس كيرلس عن أُلوهية الابن بكونه ضمن الأقانيم الثلاثة لله الواحد ويقول بأننا لا نؤمن أن الآب والابن إلهين لكن إله واحد وفريد يُعبد في ثالوث مقدس، وكان ق. أثناسيوس قد سبق ودافع بالمثل عن أُلوهية الروح القدس ضد الذين أنكروا أنه رب وإله وبالتالى فقد جعلوا أقانيم الله الواحد اثنين وليس ثلاث ولهذا وجه لهم ق. أثناسيوس السؤال التالى: [وإذًا فحيث إن الكنيسة لها أساس الإيمان، فليقل لنا أولئك الناس مرة أخرى وليعطوا جوابًا هل الله ثالوث أم اثنان؟ فإذا كان اثنين فعليكم أن تحسبوا الروح من بين المخلوقات. وبهذا يكون إيمانكم ليس إيمانًا بالله الواحد « الذي على الكل وبالكل وفي الكل»] (أف٤:٦) المرجع السابق. الرسالة الأولى: ٢٩.

٥٣ وقد سبق القديس أثناسيوس وأكد هذه الحقيقة بقوله «لأنه كما أن الآب هو الكائن الذي يكون، هكذا أيضًا الكلمة هو الكائن والإله على الكل. والروح القدس ليس بدون وجود حقيقي بل هو يوجد وله كيان فعلى.وليس بأقل من هؤلاء الثلاثة تعتقد الكنيسة الجامعة». المرجع السابق: الرسالة الأولى إلى سرابيون: ٢٨.

## المثال الثانى:

## صيغة الجمع في الآية "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا "

كيرلس: انتبه إذًا، إن أردت، أيها الصديق إلى ما يقوله موسى النبى، الذي يتحدث إلى طبيعة الله البسيطة غير المركبة[٥٤] بصيغة الجمع. لأنه يمكننا إن انتبهنا قليلاً أن نرى ثلاثة أقانيم في طبيعة أُلوهية واحدة[٥٥].

ارميا: أريد أن أعرف بالضبط معنى ما تقول. تكلم معى إذًا بإيضاح أكثر.

كيرلس: أليس حقيقيًا أنه وهو يكتب أول كتبه إلينا (التكوين) يشير إلى أن الله هو خالق الكل؟ يقول إذًا إن الله بعدما خلق كل الخليقة، فإنه فقط عندما خلق الإنسان قال «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا»[٥٦]. وبعد ذلك بقليل أضاف «فخلق الله الإنسان على صورته»[٥٧].

٥٤ سبق أن وصف القديس كيرلس الطبيعة الإلهية بأنها «طبيعة بسيطة» انظر هامش٣٤ ص١٠١. وهنا يُضيف لها صفة مرادفة وهى أنها «غير مركبة» لأن التركيب هو بداية الإنقسام وهو عكس البساطة. وفي موضع آخر يعطى نفس هذا الوصف بأن: «الجوهر الإلهى بسيط وغير مركب» وذلك في سياق رده الذي يوضح أن الابن هو كلمة الله الآب فيقول: « نحن نؤمن بأن الثالوث القدوس المسجود له جوهر واحد رغم جنون الهراطقة الذي يمنعهم من الإيمان. ووحدة الجوهر تفترض وجود مساواة في الخصائص الطبيعية بين الأقانيم. فإذا عدنا إلى إفتراض الهراطقة الذي يتوهم وجود كلمة في الآب غير الابن الكلمة، فإن المساواة تفترض أيضًا وجود كلمة ذاتى في الابن طالما أن الابن مثل الآب في كل شئ وهو صورة جوهره ورسم أقنومه (عب١:٣) وأيضًا الروح القدس فيه كلمة ذاتى طالما أن الروح القدس مساوٍ للآب والابن. وهذا يعنى أن الثالوث صار سداسيًا. وأصبحت الطبيعة الإلهية مركبة. وهذا مستحيل فالجوهر بسيط غير مركب، لا يوجد فيه إلاّ ثلاثة أقانيم ولا يوجد وسيط بين كل أقنوم وآخر، بل هو جوهر واحد للثالوث القدوس لا اختلاط فيه بين الأقانيم». شرح إنجيل يوحنا، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، ٢٠٠٩م. المجلد الأول ص٧٢.

٥٥ كثيرًا ما أجمع آباء وكتّابها على نفس هذا التفسير. انظر على سبيل المثال: رسالة برنابا (كتبت ما بين ٧٠م وسنة ١٣٨م). ق. يوستين المدافع والشهيد (+١٦١): الحوار مع تريفو فصل ٦٢. العلاّمة ترتليان: ضد ماركيون الكتاب الخامس: ١٢. ق. إيريناؤس: ضد الهرطقات. الكتاب الرابع في المقدمة وأيضًا فصل ٢٠. ق. يوحنا ذهبى الفم. العظة الثانية على سفر التكوين. ويقول ق. أمبروسيوس: [ إن الآب يعلن أن الابن مساوى له وهو يعمل معه في الخلق في قوله « لنخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا «وهذا يعنى أن الآب والابن والروح القدس لهم جوهر واحد لأن «صورتنا وشبهنا» تعنى وحدة القوة الإلهية للثالوث ] الروح القدس للقديس أمبروسيوس. المرجع السابق الكتاب الثانى ص٩. انظر أيضًا:

R. Mel. Wilson, st. Andrews: The Early History of the Exegesis of Gen. 1.26. in studia Patristica. Vol 1. 1957. P. 420-437.

٥٦ تك ٢٦:١.

٥٧ تك٢٧:١. في موضع آخر يوضح ق. كيرلس معنى أن الإنسان قد خُلق على صورة الله وكشبهه فيقول: «إذن فقد قبلنا، أن الإنسان منذ البداية، قد خُلق وفكره يسمو فوق الخطايا والشهوات، لكنه لم يكن مُحصنًا تمامًا من الانحراف في اختياراته. لأن الخالق الأعظم للجميع، قد رأى حسنًا أن يترك الإنسان لإرادته المستنيرة ويسمح له أن يعمل ما يفكر فيه، وذلك بدافع نفسه فقط. بمعنى أن الفضيلة كان يجب أن تُتمم اختياريًا وليس كأمر إجبارى، وأيضًا ألاّ تكون الفضيلة موجودة بدون تغيير في صفات الطبيعة البشرية، لأن الثبات خاصية الجوهر الإلهى الذى هو فوق الكل ويفوق كل الأشياء. فالله قد خلق الإنسان ذلك الكائن الحى بطبيعة خاصة به كإنسان، مانحًا إياه غنى التشبه به. إذ قد رُسمت صورة الطبيعة الإلهية في الطبيعة البشرية بنفخة الروح القدس. وحيث إن الله هو الحياة. بحسب الطبيعة –

**إرميـــــا** : لقد فهمت.

**كيـرلس**: وعندما أراد البعض عن جهل أن يبنوا برجًا يصل إلى السماء قال رب الكل «هلُم ننزل ونبلبل هناك لسانهم»[٥٨]. مَن إذًا الذي يتكلّم ولمن يقول «هلُم ننزل ونبلبل ألسنتهم»؟ لا أعتقد أن يقول هؤلاء إن الله كان محتاجًا لمساعدة الملائكة أو إلى مؤازرة الخلائق الأخرى، كى يتمّم ما أراده. لأن الله هو كلّى القدرة ويستطيع أن يفعل أى شئ، ويملك في ذاته القدرة على فعل ما يريده بسهولة. وكل الخلائق تستمد قوتها منه. كما نقول إن الله هو الحياة والحكمة وأنه لا يمكن لأى أحد أن يُحيي أو يُشرك الآخرين في منافع الحكمة ما لم تكن هذه المواهب صادرة منه كما من نبع متدفق[٥٩]. وهكذا - أعتقد - بنفس الطريقة، أنه لا يستطيع أى من الخلائق أن تكون له القدرة أن يحقق شيئًا ما بدون أن يدفعه إلى ذلك الله كلّى القدرة. وبالتالى فإننا نستطيع أن نؤكد أنه لا يليق بالله أن يقول للملائكة أو لأى من الكائنات العاقلة «هلُم ننزل ونبلبل ألسنتهم». وهكذا تَدَخّل الثالوث بنفسه في هذا الأمر، لأن شأن تغيير طبيعة اللغة من لغة سهلة موحدة إلى لغات عديدة متنوعة وغير معروفة فيما بينها هو من خصائص طبيعة عمل الثالوث وحده. ولكى نفهم أن هذا الأمر ليس من اختصاص الملائكة لكن من خصائص الإله وحده فلابد أن نلاحظ أنه قال «هلُم» موجهًا الحديث نحو الثالوث القدوس أى نحو الثالوث ذو الجوهر الواحد.

**إرميـــــا** : بالفعل.

---

= لذلك فهو يعطى نسمة الحياة». انظر السجود والعبادة بالروح والحق، مرجع سابق، المقالة الأولى ص ٣٣.

[٥٨] تك ١١: ٧.

[٥٩] هذه الحقيقة تخص الأقانيم الثلاثة لله الواحد وتثبت ألوهيتها. وقد سبق القديس أثناسيوس وعلّم في سياق دفاعه عن أُلوهية الروح القدس بأن كل الخلائق تشترك فيه وأنه لا يمكن أن يفقد قداسته لأنه (أى الروح القدس) لا ينالها عن طريق الإشتراك ولكنه يملكها جوهريًا في ذاته وأيضًا يقول عنه: «فإن كان هو دائمًا كما هو ودائمًا يُشترك فيه، وإن كانت المخلوقات تشترك فيه، فالروح القدس لا يمكن أن يكون ملاكًا ولا مخلوقًا على الإطلاق بل هو خاص بالكلمة». الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق. الرسالة الأولى: ٢٧. وفي موضع آخر يتبع نفس المنهج لكن من جهة الابن فيقول: «وإذًا فإن ذلك الذي لا يتقدّس بواسطة آخر، ولا يأخذ القداسة بل هو نفسه الذي يُشترك فيه والذي فيه تتقدس كل المخلوقات، فكيف يمكن أن يكون واحدًا من بين الكل، أو يكون من خاصة أولئك الذين يشتركون فيه؟ لأن أولئك الذين يقولون هذا يلزم أن يقولوا إن الابن الذي به وُجدت كل الأشياء هو واحد من بين كل هذه الأشياء». المرجع السابق: الرسالة الأولى: ٢٣.

كيرلس: وإن كانوا يظنون أن طبيعة الإنسان بصفة عامة تتشكّل حسب الله؟ فلنسألهم صورة مَن تلك التي خُلِقَ عليها الإنسان؟

إرميـــــا: ما رأيك لو أنهم قالوا إن صورة الله الآب هى التي خُلِقَ عليها الإنسان؟

كيرلس: لو قالوا إن صورة الله الآب فقط لكان تفكيرهم تفكير أحمق.

إرميـــــا: كيف؟

كيرلس: أولاً: تعبيرا «لنعمل» وأيضًا «على صورتنا» يدلاّن على أن المتكلّم ليس شخص واحد بل أكثر من واحد وأكثر من اثنين، وبخلاف هذا نفكر فيما يلى. الصورة التي تشوّهت وفقدت جمالها الأول ألا يجب أن تعود مرة أخرى إلى ما كانت عليه أولاً وبعدما يتم إصلاح ما أصاب الصورة في بُعدها عن الأصل، وهكذا تستعيد هيئة طبيعتها غير المشوَّهة مرة أخرى.

إرميـــــا: ماذا تقصد بهذا؟

كيرلس: استمع لى جيدًا وسأشرح لك هذا على قدر استطاعتى. لو أن أحدًا من الصنّاع، وعلى سبيل المثال أحد هؤلاء الذين يعملون في تشكيل النحاس، قد صنع تمثالاً معطيًا إياه شكله وملامحه، ثم سقط هذا التمثال من على قاعدته بفعل أحد الحاسدين وتحطّم وفقد جماله، ولو أن صانع التمثال - لأنه لم يحتمل أن يرى تمثاله محطمًا - أراد أن يقتل ذلك الحاسد الذي حطّم التمثال، نجده وقد أعاد صنع التمثال مستخدمًا نارًا أشد قوة معيدًا إياه إلى حالته الأولى بعد أن يكون قد رفع عنه ما أصابه من أضرار. وهل كنت تعتقد أنه كان من الصواب لو أن الصانع قد ترك صنعته كى تتشكّل بشكل آخر غير الأول، وفي هذا تتضح عدم قدرته؟

إرميـــــا: لا أعتقد طبعًا.

كيرلس: وهل معنى أنه أعطاه ملمحه الأول أنه أعاد تشكيله بالفعل وأنه طبع صورته فيه؟

إرميـــــا: بالطبع.

كيرلس: طالما أن الأمر هكذا، فما هو الأمر الذي تُصدق أن يكون الله الآب قد فعله، إن كان الإنسان قد خُلق «على صورته كشبهه» هو وحده

فقط. لأن هذا الكلام تقريبًا هو ما يقوله المخالفون. أى عندما أراد أن يعيد خلقة الإنسان الذي انزلق وتشوّه، ويجدّده لم يعطِ له ملمحه الذي كان عليه في الأصل، أى لم يصيّره شبيهًا بنفسه بل أعطاه شكلاً آخر؟ وهذا سيحدث بالطبع لو أن الابن الذي أُعيدت خلقتنا على صورته كان مختلفًا في الطبيعة عنه (عن الآب). لأن بولس الحكيم يكتب للبعض ما يلى «يا أولادى الذين اتمخض بكم أيضًا إلى أن يتصور المسيح فيكم»[٦٠]. وفي موضع آخر يقول «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه»[٦١]. لأن المسيح قد شكّلنا مرةً ثانيةً بالروح القدس حسب صورته واهبًا جمال طبيعته لنفوس الأتقياء وبطريقة عقلية وغير موصوفة. بمعنى أننا ـ كما أعتقد ـ نتشكّل لا لنصير كالله الحقيقى، لكننا نأخذ شكل يتناسب وطبيعتنا المخلوقة. وإلاّ فإن ما ذكره المزمور منذ القديم بأنه «يتجدّد كالنسر شبابك»[٦٢]، كان سيضيع هباء، ويظهر أنه بدون هدف. لأن التجديد بحسب الكتاب ليس هو شئ آخر سوى أنه تجديد نفوسنا التي لم ترتفع إلى أعلى إطلاقًا والتي لم ترجع لِمَا كانت عليه أولاً، ولكنها صارت في وضع أقل كرامة مما كانت عليه قبلاً وهى هكذا تعانى من هذه الحالة. وقد يقال[٦٣] إن عملية الخلق الأول للإنسان هى أفضل بدرجة لا تقارن بعملية تجديد الإنسان بواسطة المسيح إذ أن الأولى قد أعطتنا إمكانية أن يكون لنا ملمح الإله الحقيقى في داخلنا بينما التجديد الذي تم بالمسيح قد أعاد تجديدنا لكن ليس على هذا الملمح، فقد أعاد تشكيلنا على صورة الابن[٦٤]، ولذلك، ماذا سنربح من تجديدنا بواسطة المسيح طالما ـ وحسبما يظهر ـ أننا قد خسرنا كوننا على شبه الله، وبصفة عامة تُرك عنا مجد طبيعتنا طالما أن حالة الغبطة ـ بالنسبة لنا ـ كانت في أن نصبح مشابهين الله؟ غير أنى أؤمن بأن كل هذا الفكر هو كالأساطير

[٦٠] غلا٤: ١٩.

[٦١] رو٨: ٢٩.

[٦٢] مز١٠٣: ٥.

[٦٣] من جانب الذين يقلّلون من شأن الابن وعمله الإلهى. (المترجم)

[٦٤] لأن الابن ـ في نظرهم ـ ليس مساويًا للآب في الجوهر. (المترجم)

يستوجب الضحك إذ هو مثل قصص الأطفال. لأننا تشكّلنا من جديد حسب الصورة الأولى إذ ختمنا بختم الابن[٦٥]، كى نصبح مثله، لأنه هو صورة الآب وختمه وليس هو آخر بجانب الآب وذلك بسبب الجوهر الواحد.

إرميــــــا: لقد تحدثت بدقة شديدة.

## هل الابن أقل من الآب المشرّع؟

كيرلس: انظر مقدار الحماقة التي يمكن أن يصل إليها حديثهم عندما يتهمون أولئك الذين يخالفونهم في الإيمان. لأنه لو كان الإله الحقيقي هو الآب وحده. وهذا كلام لا معنى له. فإنى أعتقد أننا سنكون مجبرين على أن نستبعد الابن عن أن يكون إلهًا حقيقيًا.

إرميــــــا: هذا كان سيحدث بالضرورة.

كيرلس: إذ سيكون الابن (حسب قولهم) في وضع أقل من وضع الآب. لأن الذي يعلو فوق الجميع هو الإله الحقيقى حسب الطبيعة.

إرميــــــا: بالفعل سيكون هكذا لأن هذا ما يقود إليه كلامهم.

كيرلس: إحذر إذًا من الخطر يا إرميا، لأنه ـ حسب أفكارهم المضادة للمنطق ـ إذا كان الابن هو أقل من الآب، فإذا فكرنا بدون تردد فيما قاله القديسون (عن معرفة المسيح)، فإن هذا يمكن أن يجعل الابن في مرتبة أعلى وأفضل من الآب نفسه.

إرميــــــا: بالطبع هذا أمر لا شك فيه بالمرة.

كيرلس: اسمع إذًا الآن ما يصرخ به بولس بأنه كان فريسيًا حسب الناموس، وأنه كان يضطهد الكنيسة بكل غِيرة، وأنه كان يعيش بلا لوم لكى يُرضى الناموس. فيقول « لكن ما كان لى ربحًا فهذا قد حسبته من أجل

---

[٦٥] يدّلل ق. أثناسيوس على أُلوهية الروح القدس بما يفعله في المؤمنين ويستشهد بالآية «الذي فيه أيضًا إذا آمنتم ختمتم» (أف١:١٣) وأيضًا «لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء» (أف٤:٣٠) ويقول إن: «المخلوقات تُمسح وتُختم فيه فلا يكون الروح مخلوقًا، لأن الذي يُمسح ليس مثل الذين يُمسحون». وبسبب أن الابن أيضًا هو إله وواحد مع الروح القدس في الجوهر، فإن ق. أثناسيوس يقول: «لأن المسحة أيضًا هى مسحة الابن حتى أن الذي عنده الروح يقول (نحن رائحة المسيح الذكية) ونتيجة لهذا فإن « الختم يُعطى بصمة الابن حتى أن المختوم يكون صورة الابن». المرجع السابق. الرسالة الثالثة: ٣ ومن الجدير بالذكر أن ق. كيرلس استخدم في هذا السياق الآية: «يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضًا إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غلا٤:١٩) وهى نفس الآية التي سبق وأن إستند عليها ق. أثناسيوس لتوضيح تعليمه العقيدى هذا في تلك الرسالة.

المسيح خسارة، بل أنى أحسب كل شئ خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى»[٦٦].

**إرميـــــا:** لقد قال هذا بالفعل، لكن ماذا كان يقصد بذلك؟

**كيرلس:** ألم يَشْر الناموس عند آبائنا القدماء إلى أن هناك رب وإله واحد؟

**إرميـــــا:** نعم.

**كيـرلس:** وهؤلاء المعاندون بالطبع يقولون إن هذا الرب والإله هو الآب.

**إرميـــــا:** هم يقولون ذلك.

**كيـرلس:** ولكن، ماذا يقول ذلك الذي اختير ليكون إناءً مختارًا لأسرار المسيح والذي هو معلّم المسكونة ولماذا يعتقد أن معرفة المسيح لا تقارن بكل تعاليم الناموس القديم وكيف يصفها بأنها أفضل جدًا، وكيف يرى أن ما يقوله الناموس هو بغير نفع بينما ينبهر ويتعجب أمام مسألة الخلاص التي يقدمها الإنجيل؟ وألا يجبرنا هذا على الإستنتاج بأن (المسيح) الذي هو موضوع المعرفة الأفضل لا يمكن إلاّ أن يكون ـ بالتبعية ـ أفضل (من ذلك) الذي علّم عنه الناموس؟

**إرميـــــا:** نعم.

**كيـرلس:** وعندئذٍ كيف يصل عقلنا إلى ذلك الحد من الغباء وعدم المعرفة حتى أنه يُقال أو يُعتقد أن الابن أعلى من الآب مع أن الابن أصله ومصدره في ذلك الذي وَلَده؟[٦٧] لأنه بهذا القول نهين كل من الآب والابن لأن الضرورة تحتم أن نقيّم النبات مع الثمار والأصل مع الفرع والنبع مع الماء الذي ينبع منه وليس غريبًا عنه وأيضًا نقيّم مصدر النور مع الشعاع الصادر عنه والذي يستمد ضياءه منه.

**إرميـــــا:** بالطبع إن قلنا هذا سنُهين كليهما معًا وهل يمكن أن يكون ما نفعله هو غير ذلك؟

---

[٦٦] فيلبي٣: ٧-٨.

[٦٧] يقول ق. كيرلس في موضع آخر: «المصدر الذي لا يوجد قبله شئ هو الآب والذي وُلِدَ من هذا المصدر بالطبيعة ندعوه الابن». حوار حول الثالوث. انظر ص٤٨. وسبق أن علّم ق. أثناسيوس عن علاقة الابن بالآب بقوله «فالابن يجب أن يُعترف به أنه ليس من خارج أبيه بل هو الذي ولده». ضد الآريوسيين. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، المقالة الثانية. فصل ١٤.

**كيرلس**: وفي هذه الحالة هل سيكون من الضرورى أن نتخلى عن أى حديث عن الوحدة حسب الطبيعة بين الآب والابن وعن الكلام الذي يثبت أن الابن إله حقيقي بالطبيعة؟

**إرميـــــا**: بالطبع سنكون مضطَرين لعمل هذا. لكن قل لي كيف تكون معرفة المسيح هى أفضل من تعاليم الناموس مع أن المسيح له طبيعة الآب الإله الحقيقى وقد تنبأ عنه العهد القديم؟

**كيرلس**: إن معرفة المسيح هى أسمى من المعرفة عن الله كما جاءت في العهد القديم بل وتفوقها، وتميّزها واضح. بل هى أوسع وأشمل مما جاء في الناموس، حتى أن موسى مُعلّم الناموس كان يطلب بإلحاح أن يعرف الله (الكائن) بشكل دقيق وواضح[٦٨]، وقال للرب مخلّص الجميع اظهر نفسك لىّ بشكل ملموس كى أراك[٦٩]، فأمره الرب أن يحفر في صخرة ومن داخل هذه النقرة، يمكنه إن أراد، أن يراه[٧٠]. وأعتقد أن الرب قد أراد بهذا أن يبيّن وبطريقة غير مباشرة أن الناموس يستطيع أن يكشف عن جزء بسيط من معرفة الله لأولئك الذين يريدون أن يعرفوا، ويرسل ـ كما من ثقب ـ شعاع معرفته البسيط لأنه أراد لشعب الله أن يؤمنوا فقط بإله واحد لكى يبعدهم عن الضلالات.

غير أن الله لم يُظهر لموسى بوضوح ماهية طبيعته غير الموصوفة، وذلك على عكس ما فعل المخلّص في كرازته، أعنى المسيح في كرازته. بمعنى أنه لأننا قد عَرِفنا الابن فنحن نؤمن أنه صَدَر من أصل الآب وأن مجد الابن وهو يُظهر ـ كصورة مرسومة ـ طبيعة الآب[٧١]، قد أعدَّ أعيننا لنرى أمورًا أعلى مما يفكر فيه الذهن أو يقدر الكلام أن يعبّر عنه. ولهذا نسمع المسيح يقول لله أبيه «أَنَا

[٦٨] انظر خر٣٣:١٣.

[٦٩] انظر خر٣٣.

[٧٠] انظر خر٣٣:١٨-٢٣.

[٧١] عن أن الابن قد أظهر طبيعة الآب كصورة مرسومة يقول ق. كيرلس في موضع آخر: « لأننا نحتاج أولًا أن نتعلّم بقدر الإمكان ماذا يكون الابن بالطبيعة وهكذا فمن الصورة والرسم الدقيق حدًا ندرك الأصل جيدًا. لأن الآب يُرى في الابن وهو يظهر بصورة كاملة في طبيعة وليده الذاتى كما في مرآة ... لأنه يلزم لرسم جوهره أن يكون مماثلاً له من كل جهة وبكل طريقة، لئلا يُفترض أن شيئًا آخر مغايرًا لما يكونه الآب (أى مغاير لجوهر الآب) يشع في الابن بصورة كاملة». شرح إنجيل يوحنا، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، القاهرة سنة ٢٠٠٩م، المجلد الأول ص٥٥٥.

أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ»[72]. كما أنه قال لليهود «لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلاَ أَبِي. لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً»[73]. ولو أننا نعرف أن كائنًا ما من الكائنات هو فقط موجود بدون أن نعرف ماهيته، فإنى أعتقد أن أى شخص يمكنه أن يقول إن هذا الأمر هو أقل من معرفة شئ عن وجود كائن ما وأيضًا عن ماهيته. ولهذا فإنه بعد الكرازة بالإنجيل توقَّف سريان تعاليم الناموس التي كانت تعلِّم القدماء أن الله هو واحد، فقط بدون أن تتحدَّث عن الطبيعة الإلهية والثلاثة أقانيم أو عن وحدة الجوهر لأن هذه التعاليم هى التي تحدّث عنها العهد الجديد. لأننا إن لم نؤمن أن الابن واحد مع الآب في الجوهر سيكون هناك تخبط ومتاهة[74]، ولن يكون للإيمان المعبّر عنه في الكتب ـ كما أعتقد ـ ما يسنده ويؤكده.

**ارميـــــا:** كيف وبأى طريقة؟

**كيـرلس:** إن الكتاب المقدس يصّرح بأن الله واحد وهو إله حق بطبيعته ولهذا فإن الابن لن يكون له المجد والكرامة الإلهيين إن لم يكن له كل ما للآب نفسه بغير تغيير. أم لعلك لم تسمع الآباء القديسين وهم يصرخون لله قائلين،

[72] يو١٧: ٦.

[73] يو٨: ١٩. عندما شرح ق. كيرلس هذه الآية في كتابه «شرح إنجيل يوحنا» ركّز على وحدة الجوهر بين الآب والابن واضعًا في إعتباره التعاليم الآريوسية التي أنكرت أُلوهية الابن المتجسد ولهذا نجده يذكر صفة مَن ينادى بهذه التعاليم داعيًا إياه بـ «الآريوسى محارب الله» ويوضح ق. كيرلس أنه بسبب هذه الوحدة الجوهرية للآب والابن تصير معرفة وإدراك كل منهما عن طريق الآخر فيقول: «لأنه حيث إننا نعرف الابن فإننا بواسطته نعرف ذاك الذي وَلَده، لأنه من خلال كل واحد منهما نصل إلى إدراك الآخر: فحينما يُذكر الآب يأتى ذكر وَليده بالتأكيد معه. وأيضًا مع معنى لفظ الابن يأتى اسم ذاك الذي وَلَده. ولذلك فالابن هو باب وطريق يقود إلى معرفة الآب». شرح إنجيل يوحنا، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، القاهرة سنة ٢٠٠٩، ص٥٥٥. ولم يكتف ق. كيرلس بتوضيح هذه العلاقة الجوهرية بين الآب والابن، بل أنه جعل هذه العلاقة هى الأساس الضرورى لإدراك الثالوث (هذا التوجه نلاحظه هنا أيضًا في حواره حول هذه النقطة) فيقول: «كيف لا يلزم بالضرورة الآن أن نعترف أن الابن هو مثل الآب من كل جهة لكى بواسطته نعرف أيضًا ذلك الذي وَلَده كما قلنا قبلاً، صاعدين من الصورة إلى الأصل ويصير ممكنًا لنا أيضًا أن ندرك الثالوث القدوس إدراكًا صحيحًا وبلا لوم». المرجع السابق ص٥٥٥.

[74] كان القديس أثناسيوس سابق للقديس كيرلس في دفاعه عن أُلوهية الابن، وتوضيح أن معرفة الله تأتى فقط من خلال الإيمان بالمسيح، لهذا كان يركّز في تعاليمه على عقيدة تجسد ابن الله والفداء الذي قدّمه للبشرية وهذا يستلزم الإيمان السليم بأُلوهية السيد المسيح وإنسانيته معًا، وذلك في مقابل الفكر الآريوسى الخاطئ الذي كان يحاول أن يلغي حقيقة الفداء وأهميته، فلو لم يكن السيد المسيح هو الله بالحقيقة. كما أن الآب هو الله بالحقيقة (بسبب وحدتهما في الجوهر ὁμοούσιος). لما كان في الإمكان أن يفدى البشرية من الموت والفساد. ولو لم يكن الابن هو الإله الذي تجسد، لما كان ممكنًا أن يشركنا في طبيعته الإلهية. انظر: كتاب تجسد الكلمة. ترجمه عن اليونانية د. جوزيف موريس فلتس. المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، الطبعة الثامنة ٢٠١٤ المقدمة ص١٤-١٥.

مرَّة «واحد هو واضع الناموس»[٧٥]. ومرة أخرى « الذي وحده له عدم الموت»[٧٦]. ومَن يا ترى هو الذي يجب أن نعتقد أنه الواحد الديّان الذي وضع الناموس والذي وحده له عدم الموت؟

**إرميـــــا:** بالتأكيد هو الآب. حسب ما يقول المعارضون لأنى أعتقد أنهم لا يفهمون أن هذا الكلام يُقصد به شخص آخر سوى الآب.

**كيرلس:** وأنا أيضًا أعرف أنهم يفهمون أن هذا الكلام هو عن الآب وأن هدفهم غير برىء، وهل يجب إذًا أن نؤمن أن الابن أقل من واضع الناموس والديّان وأنه غير أبدى؟ وأن الحياة التي فيه قد حصل عليها من خارجه؟ وماذا سنحصد من هذا الفكر غير أن الابن سيكون خاضعًا بغير إرادته للناموس والدينونة وأنه بذلك يُحصى مع الذين هم بطبيعتهم مائتين؟ وفضلاً عن ذلك كيف لا يمكن اعتبار البشارة الإلهية - أى الإنجيل - هى كذب وبهتان طالما أنها تعتمد على شهادة الابن كى تَثبتْ حقيقتها؟ لأن الابن قال في الإنجيل «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ.»[٧٧] بينما هو - حسب اعتقادهم - ليس عديم الموت لأن الآب فقط هو الذي لا يموت. إنى أعتقد أنك لن تحتاج لمجهود كبير كى تفهم أنه (أى الابن) هو الديّان وأنه واضع الناموس أم أنك لم تسمعه وهو يقول في موضع آخر «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ»[٧٨]. وفي موضع آخر أيضًا يقول «لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَداً بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ»[٧٩].

**إرميـــــا:** لقد سمعت ذلك، لكن دعنى أسألك، هل تريد أن تستكمل الحديث ونردُ على هذه المغالطات أم أننا سنترك المعارضين بدون أن نَسوق لهم الأمثلة؟

---

[٧٥] يع٤:١٢.

[٧٦] ١تيمو٦:١٦.

[٧٧] يو١٤:٦.

[٧٨] مت٥:٢٧.

[٧٩] يو٥:٢٢. ظن المعارضون أن هذه الآية تدل على أن الابن أقل من واضع الناموس والديّان وأنه غير أبدى منكرين بذلك ألوهيته. ويعطى ق. كيرلس المعنى الحقيقي لهذه الآية بقوله: [وها هو المسيح يقول «إن الآب قد أعطى كل الدينونة للابن» ليس كأن الابن كان بلا سلطان حتى الآن، بل تدبيريًا كإنسان، معلّمًا أنه من المناسب أكثر أن تُنسب كل الأشياء إلى الطبيعة الإلهية إذ هو أيضًا ليس خارجًا عن الآب لأنه هو الكلمة وهو الله الذي له السلطان في ذاته على الكل]. شرح إنجيل يوحنا، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، القاهرة ٢٠٠٩م، المجلد الأول ص٢٠٧.

**كيرلس:** لنستمر في الحديث بكل ثقة لأن الموضوع جدير بالمناقشة ويحفّز الذهن للرد على كل أفكار المعترضين.

**إرميـــا:** فلنتحّدث إذًا بوضوح أكثر عن الآب والابن كلٍ على حدة.

**كيرلس:** قل ما شئت إذًا، ولن أعتبر ما تقوله هو تعبير عن إيمانك بل هو يمثل آراء المخالفين.

**إرميـــا:** إن واضع الناموس والديّان هو فقط الله الآب. لأنه يليق بالطبيعة الملوكية التي تفوق الكل أن تُشَرِّع وأن تدين. ولقد وصل الابن بالتأكيد إلي هذا الحد من المجد وذلك بتفضّل الله الآب.

**كيرلس:** وهل يكون غير واضح لأى واحد بين الذين يفكرون بطريقة سليمة أن كل ما ستقوله سيكون بدون فائدة ومعنى، إن لم تثبت أن ما قلته يتفق مع ما جاء في أقوال القديسين، لأننا لن نتبع أولئك الذين يريدون دائمًا أن ينادوا بأفكارهم فقط، بل أننا سنتبع أولئك الذين يتكّلمون بفم الرب[٨٠]. ووفقًا للمكتوب (في الكتاب المقدس)[٨١].

**إرميـــا:** حسنًا قلت، لأن الطوباوى داود (وهو يطلب من الله الآب من أجل دعوة الأمم) رتّل قائلاً: «قُمْ يَا رَبُّ. لاَ يَعْتَزَّ الإِنْسَانُ. لِتُحَاكَمِ الأُمَمُ قُدَّامَكَ ... لِيَعْلَمِ الأُمَمُ أَنَّهُمْ بَشَرٌ»[٨٢]. بينما الابن نفسه يشير بكل وضوح إلى أن هذا الأمر قد تحقق بواسطته (بصفته رب وملك) كما جاء بالمزمور «أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي. إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ»[٨٣]. غير أن ذلك الذي يُعطىَ له السلطان أن يدين ويحكم، كهبة من آخر، ألاَ يكون سلطانه هذا هو سلطان خارج عنه وليس من طبيعته؟

**كيرلس:** لقد صرخ أحدهم ـ عن حق ـ في أولئك المنحرفين ـ قائلاً: «اِصْحُوا أَيُّهَا السَّكَارَى، يَا جَمِيعَ شَارِبِي الْخَمْرِ»[٨٤]. لأن الابن إذ هو صورة الآب ومساوٍ

[٨٠] إر٢٣: ١٦.

[٨١] انظر هامش ٢ ص٧.

[٨٢] مز٩: ١٩.

[٨٣] مز٢: ٦.

[٨٤] يوئيل١: ٥.

له في كل شئ، قد شاء بإرادته أن يتضّع، فتنازل واتخذ شكلنا وصار إنسانًا، وهكذا يُعطىَ له السلطان أن يملك وأن يحكم ويُشرّع. ولأنه صار فقيرًا مثلنا بحسب التدبير واتخذ شكل العبد، وهكذا قَبِل أن يكون له بالعطّية ما كان له بالطبيعة، ولهذا نجد طريقة كلامه وأفعاله تتناسب مع هذا الإخلاء[٨٥]. وإنى أعتقد أنه لن يصيب أى واحد ممن يؤمن به أى أضرار لو أنه فحص عن الوقت[٨٦] الذي أشارت إليه الآيات السابقة. بمعنى، متى مَلَكَ المسيح على الأمم، ومتى جاء إلى جبل صهيون (ليُمسح ملكًا)؟ هل يمكن أن يكون هذا قد تَّم قبل أن يصير إنسانًا؟ مع أنه من الممكن للمرء أن يرى بوضوح في النصوص الموسَويّة أن الابن لم يقم في أى وقت آخر ليُخبر بقضاء الرب للإسرائيليين إلاّ عندما لبس ثوب فقرنا، وأن رب الأنبياء قد دُعىَّ نبيًا، ومَن هو كائن في حضن أبيه قد حُسب بين البشر، لأن الله كان قد أخبر موسى عن هذا الأمر بقوله «أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلامِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ»[٨٧]. إذًا يا صديقى هل كان من الممكن أن يكون **الكلمة** أخًا للإسرائيليين وأن يُحسب من بين البشر قبل أن يصير جسدًا ويتحد بالطبيعة البشرّية بهذه الطريقة التي تفوق إدراك العقل والتي تعلو على الوصف؟ أم أنك تذكر أمرًا أكثر إقناعًا وهو أنه مُسح أخًا وصار مثل موسى مؤدبنا بالناموس[٨٨]، وعند الحاجة أخذ يُشرّع ثم بطريقة معيَّنة صارت له خدمة[٨٩]، ومتى حدث كل هذا؟ أليس عندما أخلى ذاته من مجد طبيعته، أى في ملء الزمان وعندما مارَسَ سلطانه الكامل بكل اتضاع.

[٨٥] لم يفسر الهراطقة كلام وأفعال المسيح له المجد على أنها تتناسب مع الاخلاء ولهذا نادوا بتعاليم أنكرت ألوهيته.

[٨٦] يشدّد الآباء ومنهم ق. أثناسيوس أيضًا على اهمية البحث عن الشخص الذي تتكلّم عنه الآية وزمان كتابتها والموضوع العام الذي يكتب من أجله الكاتب. انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، فقرة ٥٤. ولقد اتبع ق. كيرلس نفس هذا المنهج الآبائى في تفسير النصوص لهذا يعلّق على الآية «فإذ كان يسوع قد تعب من السفر وجلس (يو ٤:٦) بقوله: «إن التمييز بين النصوص أمر هام جدًا لنا لأن هذا يقودنا إلى تمييز الأزمنة والأوقات». انظر ص٢٠.

[٨٧] تث١٨:١٨.

[٨٨] غلا٣:٢٤.

[٨٩] في سياق تفسيره لمعجزة شفاء الأبرص وقول المسيح له بأن لا يقول لأحد بل يمضي ليُرى نفسه للكاهن ويقدّم عن تطهيره كما أمر موسى، يقول ق. كيرلس إنه من خلال هذه المعجزة «يمكننا أن نرى بوضوح تام أن المسيح يفوق ناموس موسى بما لا يقارن» وأن هذه الخدمة تثبت أنه إله. انظر: تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس، ترجمة د. نصحى عبد الشهيد. إصدار مركز دراسات الآباء سنة ٢٠٠٧م، ص١٠١.

**إرميــــــا**: أعلم أنك تتكَلّم بطريقة جيدة جدًا وأنا أتفق معك تمامًا.

**كيـرلس**: بالتالى فلو أنهم فحصوا كل الأمور بحسب زمان حدوثها، فلن ينزلقوا ـ على ما أعتقد ـ إلى هذه الانحرافات أو تلك الأفكار الملتوية، بل سيكونون قادرين في النهاية على الفهم الصحيح لكلام الحق. وبالإضافة إلى ما سبق أن قلته فإنى أقول الآتى: لو أن أحدهم تصَّور أنه أمر غير ذى شأن وغير ضرورى وبلا معنى أن يبحث المرء عن الوقت المناسب لكل حدث ورد ذكره بالكتاب الموحى به، فهل سيكون هناك مانع من أن نقول إن الابن الوحيد وكلمة الله قَبْل أن يأتى إلينا قد مات بالصليب وقَبْل أن يتخذ جسدًا قد عامله اليهود مثل السكارى. وأنهم قالوا وفعلوا كل هذه الأفعال التي تليق بهم وحدهم وذلك عندما ذُكِرَ عن المسيح وكأنه قد عانى ذلك بالفعل: «بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ وَخَدَّيَّ لِلنَّاتِفِينَ. وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ الْعَارِ وَالْبَصْقِ.»[٩٠]؟ إذًا أليس هو فكر مجنون يستحق الاستهزاء أن يُعتقد أن الابن قد عانى هذه الآلام في الزمن الذي لا يناسبها، أى قبل أن يتخذ جسدًا؟!

**إرميــــــا**: صحيح.

**كيـرلس**: لكن لنترك الحديث عن هذا الأمر ولنتحدث عن أمر آخر لو رغبت.

**إرميــــــا**: وما هو؟

**كيـرلس**: لنستمر في البحث عن الحقيقة والمعرفة الدقيقة ولنفحص ـ حسب ما يقولون ـ إن كان حدث مَسحِه ملكًا ومشرّعًا هو الذي سيحدّد كينونة الابن حسب الجوهر أم أن هذا هو مجرد صفة له؟

**إرميــــــا**: إنى لا أعتقد أنهم سيقولون إن تحديد جوهر الابن يتوقف على حدث مَسحِه ملكًا ومشرّعًا من عدمه. لأنهم في هذيانهم غير المحدود لن يصلوا إلى هذا المستوى من الحماقة بأن يجرؤوا على القول بإن مَسحِه ملكًا ومشرّعًا هو الذي يحدد جوهر الابن. غير أنه ربما سيقولون: إن الحدث في حد ذاته هو الذي يحكم عليه، فالابن ـ كما يقولون ـ لم يكن ليقبل من آخر ما كان له بالطبيعة[٩١].

**كيـرلس**: ولكم أيها الخبثاء!! سنقول أيضًا أن تفكيركم هذا غير منطقى

[٩٠] إش٥٠: ٦.

[٩١] بمعنى أنه لم يكن ملكًا بالطبيعة وبالتالى إحتاج أن يُمسح ملكًا من آخر. (المترجم)

وغير معقول بل ليس لديكم مهارة في صياغة الأمور العقائدية، ومن السهل أن تنحرفوا وتضلّوا، ذلك لأنكم قد نسيتم أنه يجب فهم أحداث الكتاب المقدس حسب الأزمنة[٩٢] التي تناسبها كما أنكم عندما تتحدثون عن الابن الوحيد في زمن تجسُّده قد نسيتم أيضًا أنه لا يجب أن ننسب إليه ما لا يليق بالله. ولأنها ليست هى المرة الأولى التي تفكرون فيها بطرق ملتوية وغير مستقيمة، فإنكم تقولون إن صيرورته ملكًا ليست خاصية ذاتية للابن، لكنها مجرَّد حدث. غير أننا نقول ما الذي يمنعنا من أن نؤمن ونعترف أنه فيما كان الابن بحسب جوهره ملكًا ومشرّعًا[٩٣]، فإن الله الآب أراد أن يُظهر للبشر مَن هو كائن بالفعل. وبالقطع أنا لا أعنى أنه بدأ في أن يملك لكنه قَبِلَ أن يُشرّع لأولئك البشر وأن يضمهم لملكته بعد أن كانوا قد خرجوا عن طاعته وصاروا تابعين لضلالات تعدد الآلهة. وأعتقد أنه من غير اللائق بالمرَّة، أن يقول بعض الذين يزعمون بأنهم حكماء، إن كلمة الآب قد دُعيَّ منذ البداية وبرضاء الذي وَلَده ـ كىّ يُشرّع ومع ذلك لا يؤمنون أن الابن بحسب الطبيعة هو مُشرّع وأنه هو الله. فلو كان هناك منزل صغير مُعتم ومليء بالضباب الكثيف لم يدخله نور أشعة الشمس لفترة ما لأن أحدًا لم يسمح بذلك وبعد مرور هذه الفترة دخل النور مباشرةً وطرد الظلام وأضاء المكان بنور غير عادى بالنسبة لمثل هذا المكان[٩٤]، ولو كان لهذا النور لسان لحكى لمن يتعجبون مما حدث وقال إنه قد جاء ـ من الشمس التى وَلَدته[٩٥] ـ كى يدخل إلى ذلك المكان كى يفرّح بفرح

---

[٩٢] انظر هامش رقم ٤ ص٣٩.

[٩٣] يذكر ق. كيرلس نفس هذه الحقيقة في إطار شرحه لما جاء في سفر العدد. انظر أيضًا شرحه لما جاء في إنجيل لوقا ٢٤.٢١:٢ عن ختان المسيح حيث يقول: «حينما كان الابن حاضرًا بيننا، فرغم أنه هو بالطبيعة الله ورب الكل فإنه لا يحتقر حالتنا بسبب ذلك، بل يُخضع نفسه معنا لنفس مشرّع الناموس، رغم أنه كإله كان هو نفسه مشرّع الناموس». تفسير إنجيل لوقا، إصدار مركز دراسات الآباء، ٢٠٠٧م ص٤٤.

[٩٤] في موضع آخر يشرح ق. كيرلس بالتفصيل أن الخليقة قد إستنارت بالابن وذلك في إطار شرحه للآية «والحياة كانت نور الناس، والنور يضئ في الظلمة والظلمة لم تدركه» (يو ١: ٥.٤)، وفي شرحه هذا يشدّد أيضًا. كما يفعل هنا. على وحدة الجوهر بين الآب والابن ويورد أحد عشر برهانًا ودليلاً على هذه الحقيقة وعلى أن طبيعة الابن ليست كطبيعة المخلوقات. انظر شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس، إصدار مركز دراسات الآباء. سنة ٢٠٠٩م، المجلد الأول ص ٨٩-٩٣.

[٩٥] سبق القديس أثناسيوس واستخدم تشبيه النور وأشعته التي تضئ كل المكان ليثبت أن الابن غير مخلوق بل أن الآب قد خلق كل شئ به. انظر المقالة الثانية ضد الآريوسيين الفصل ١٨: ٣١، الطبعة الثالثة، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ٢٠٠٤.

دائم مَن كانوا تحت سيادة الظلام، فبعد كل ذلك هل يقبل أحد أن يكون هذا «النور» قد استمد طبيعة النور لأول مرَّة حين دخل في هذا المنزل الصغير لأول مرَّة؟

**إرميـــــا**: بالطبع لا، لأنه هو نور على الدوام[٩٦].

**كيـرلس**: لماذا إذًا يتصَّور هؤلاء أن كون الآب قد أقام الابن ملكًا ومشرّعًا، يمثل عائقًا منيعًا أمامنا مع أن الابن (في بداية كرازته) كان قد مارَس عمله كمشرّع وحتى في الحالات القليلة التي أتَّم فيها عمله هذا كان يُظهر مجد طبيعته (الإلهية) ويبيّن أنه ينبغى على كل الأمم أن تخضع لنواميسه ـ وكان هذا يتم بتأييد من الله الآب ـ بعد أن كان شعب إسرائيل وحده في القديم هو الذي يخضع للنواميس الإلهية؟

**إرميـــــا**: لكن لو كانوا يريدون أن يثبتوا بوضوح أن الابن هو مُشرّع، فمتى وبأى طريقة حدث ذلك بالنسبة لنا؟

**كيـرلس**: أعتقد أن ما قلناه أخيرًا فيه الكفاية لمَن لديهم عطش للمعرفة. حيث إن الله قد ذكر بشأن الناموس والوصايا المعطاة في القديم أنه من غير المسموح أن يُضاف إليها أو يُحذَف منها (لأن الطبيعة الملكَّية فقط هى التي لها حق التشريع، وهى التي تقدر أن تضيف أو تحذف ما تريد)، أما الابن فقد شرّع، وأظهر أن الوصية القديمة لا تصلح وأعطى وصَّية جديدة هى الوصية الإنجيلية. ولقد فعل هذا كمشرّع، وليس كمُرسَل من السماء بل كمن له سلطان يليق بالله. والقديس بولس يؤكد على ذلك بقوله «فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ، وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلاَ نَامُوسٍ – مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ لِلّٰهِ بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ – لأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ»[٩٧]. انتبه إذًا لأنه بينما هو يقول إنه ليس بلا ناموس لله يقول أنه يعيش طبقًا لناموس المسيح وهو في هذا يعطى المجد له لأنه هو الله ولأنه هو المُشرّع، ويعترف بألوهيته وبأحقيته وحده

[٩٦] يشدّد آباء مجمع نيقية على أُلوهية الابن المتجسد وعلى أنه من ذات جوهر الآب وذلك باستخدام تعبير «نور من نور» في نص قانون الإيمان. انظر أيضًا ق. كيرلس، شرح إنجيل يوحنا، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية سنة ٢٠٠٩م المجلد الأول، الفصل الثامن. انظر أيضًا هامش رقم ٨ ص ٩٣.

[٩٧] ١كو٩: ٢٠-٢١.

في أن يُشرّع. إذًا، وفقًا لكلام القديس بولس طالما أن مَن يعش بحسب ناموس المسيح هو ليس بلا ناموس لله، فما هو السبب الذي يمكن أن يمنع الابن من أن يكون هو المُشرّع وهو الله في نفس الوقت؟

**إرميــــا:** لا يوجد سبب على ما أعتقد.

**كيـرلس:** يمكن للمرء أن يشير إلى أمر آخر بالإضافة إلى ما سبق.

**إرميــــا:** وما هو؟

**كيـرلس:** أعتقد أنه ليس من السهل على أحد أن يثبت أن الله الآب قد شرّع بالأخص للقدماء الأولين فقط أو لِمَن بعدهم، بينما يستطيع وبدون مشقة أن يتأكد أنه يُشرّع مع الابن وبواسطة الابن. فأين ولِمَن كان الآب يُشرّع بينما كان الابن صامتًا وغائبًا؟

**إرميــــا:** ومع ذلك فإن الحكيم بولس يقول إن «اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيماً»[٩٨]. كما أن موسى أيضًا قال للإسرائيليين مرّة «اَلرَّبُّ إِلهُنَا كَلمَنَا فِي حُورِيبَ»[٩٩].

**كيـرلس:** إن ما تقوله هو حسن يا صديقي فالقديسون قد نسبوا دائمًا لله الآب ذلك التشريع القديم. لكن هيّا لأثبت لك أن الابن يقول إن هذا التشريع هو له. لأنه لم يأت كيّ ينقض بأى شكل من الأشكال أو يهدم ما قاله الأنبياء لكن كيّ يكمّل أقوال الأنبياء والناموس. لأنه هو بنفسه قال «لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ»[١٠٠]. وأيضًا «اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلَكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ»[١٠١]. هل فهمت الآن أنه بعدما قال إن كل ما في الناموس سيتم حتمًا قال إن كلامى سيصير من الآن هو الناموس؟ لكن يمكن للمرء أن يراه وهو يصرخ في موضع آخر على لسان أحد الأنبياء ويقول «لِذَلِكَ يَعْرِفُ شَعْبِيَ اسْمِي. لِذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ الْمُتَكَلِّمُ.»[١٠٢]. لقد تجسّدتُ واتخذتُ شكل طبيعتكم وكنت أنا هو مَن تكلّم

[٩٨] عب ١:١.

[٩٩] تث ١:٦.

[١٠٠] مت ٥:١٨.

[١٠١] مت ٢٤:٣٥.

[١٠٢] إش ٥٢:٦.

حينذاك مع أن الله الآب كان هو مَن شرّع ما نطق به الأنبياء. إذًا الأمر يستتبع بالضرورة، وهذا أمر غير مشكوك فيه بالمرَّة أن مَن له دائمًا مجد المشرّع (واضع الناموس) يجب أن يكون وبطريقة طبيعية هو الديّان[103]، وأن يعاقب عقابًا شديدًا أولئك الذين يهملون ما تحدد بواسطة الناموس والذين يميلون إلى فعل ما يرون أنه حسن.

**إرميــــــا:** بالتأكيد.

**الابن له خصائص طبيعة الذي وَلَدَه:**

**كيـرلس:** تمامًا كما لو قيل إن واحد هو واضع الناموس[104] وهو الآب وهو الديّان أيضًا، فإن هذا ليس معناه بأى شكل من الأشكال أن الابن ليس هو واضع الناموس وهو الديّان. لأنه لا يوجد بالمرَّة ما يمكن أن يفصل طبيعة الابن عن طبيعة الآب. وبنفس الطريقة على ما أعتقد، حتى إن كان الله الآب هو مَن له خاصية عدم الموت[105]، فإن الابن أيضًا له نفس الخاصية في جوهره وهو بالتأكيد عديم الموت بمعنى أن طبيعته غير مائتة ومشرقة ببهاء خصائص طبيعة الذي وَلَده، ولهذا فنحن والملائكة نسجد له. أما إن قالوا لنا إن الأمور ليست كذلك وأتوا لنا بكتابات منحولة - رغم أننا نؤمن بما هو مستقيم - فليوضحوا لنا ما يلى.

**إرميــــــا:** ماذا تقصد؟

**كيـرلس:** أولاً وقبل كل شئ، إن كان مَن ليست له حياة لأنه لا يملكها في طبيعته، فحينئذٍ ألا يكون بالضرورة مائتًا وستكون الحياة معطاة له من خارج (طبيعته) بواسطة آخر.

**إرميــــــا:** نعم، لأن مَن هو ليس عديم الموت يمكن أن يقبل الموت.

**كيـرلس:** وبالإضافة إلى هذا فليقولوا لنا أيضًا ما هو عمل الحياة في أولئك الذين هم في حاجة إلى الحياة؟

[103] أو كما عبرّ الآباء في مجمع نيقية ـ القسطنطينية بقولهم عن الابن بأنه «.. وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات».

[104] يع٤: ١٢.

[105] انظر ١تيمو٦: ١٦.

**إرميـــــا:** طبعًا هو إعطائهم الحياة، مثلما أن عمل النور هو الإضاءة بالتأكيد.

**كيـرلس:** بالصواب تتكلّم. فلو أن أحدًا قد اعتقد أن الحياة تحتاج إلى أن تنال حياةً (من آخر) أو أن النور يحتاج أن يستنير بواسطة آخر، فهل تظن أن اعتقاده هذا سليم؟

**إرميـــــا:** بالتأكيد لا، لأنه بهذا الاعتقاد يكون قد ابتعد عن التفكير السليم لأن الحياة لا تُوهَب حياة بواسطة آخر.

**كيـرلس:** إذًا عندما يكون الابن الوحيد بيننا ويصرخ فينا قائلاً «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ»[١٠٦]. فهل يجب أن نفترض أن الحياة ينقصها عدم الموت أم كيف يكون الأمر بخلاف ذلك؟

**إرميـــــا:** كيف يكون ذلك؟ لأن الحياة لا ينقصها عدم الموت بالتأكيد. لأن الحياة في طبيعتها تعنى عدم الموت.

**كيـرلس:** وأنا أقول إنه طالما أن الله الآب هو عديم الموت (وهذا ما يخبرنا عنه الكتاب المقدس)[١٠٧]، فكيف لا يكون الابن أيضًا عديم الموت؟ غير أنى أؤمن وبشكل مطلق بأن أمر الوحدة الجوهرية بين الآب والابن يعطى لكل منهما حقيقة كونهما عديميّ الموت، كما أنه أمر واضح أن الحياة هى صفة جوهرية وأن عدم الموت ليس هو شئ صالح يعطى من الخارج بل هو أمر يرجع إلى الطبيعة. فلو أن المعاندين بتفكيرهم المنحرف قد ظنوا أنه يجب أن يقولوا إن الابن هو غريب عن الله الآب وأن له طبيعة أخرى منفصلة وأنه ليس هو إله حق مع أنه بالتأكيد هو غير مائت بطبيعته أو بالحرى هو الحياة عينها، وبالتالى لا ينسبوا إليه كل الميزات التي نندهش منها نحن والملائكة والتي تليق بالطبيعة الإلهية غير الموصوفة، فهل يمكن ـ حسب تعليمهم المنحرف ـ أن تنسَب هذه الميزات التي تليق بالطبيعة الإلهية لأحد آخر من بين الخلائق؟

**إرميـــــا:** وبأى طريقة يقولون ذلك؟

**كيـرلس:** أعتقد أن هؤلاء سيقولون إن سلطة إعطاء الحياة وكونه هو الحياة تليق بمن هو بالفعل والطبيعة إله حق. إذًا طالما أن الآب حسب جوهره هو

---

[١٠٦] يو ١١: ٢٥.

[١٠٧] انظر ١تيمو٦: ١٦.

كذلك، بينما - وفقًا لما يقولون - إن الابن ليس من طبيعة الآب، وأنه يوجد في منزلة أقل من الآب، وحينما يقول الابن إنه هو الحياة ناسبًا لطبيعته الخاصة ما هو من خصائص جوهر الآب، فكيف لا يكون ما قلته بشأنهم هو صحيح؟ لأنه (حسب فكرهم) ما كان من خصائص الطبيعة غير الموصوفة قد انتقل إلى مَن لم يأت من جوهر الله الآب بل إلى مَن أتى إلى الوجود مع بقية الخلائق. لأنه بحسب ما نؤمن به، فإننا نعرف أن الله يأتى في المقام الأول ثم بعد ذلك الخليقة كلها ولا يوجد في الوسط بين الله والخليقة أى شئ آخر على الاطلاق. أليس ما أقوله صحيحًا؟

**إرميـــــا:** صحيح تمامًا.

**كيـرلس:** إذًا فإن كان الابن له جوهر آخر غير جوهر الآب فكيف يمكن أن نفهم أنه يوجد فعل واحد ومماثل لمَن هم مختلفين من جهة طريقة وجودهم؟ لأنه يقول «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِي، كَذلِكَ الابْنُ أَيْضاً يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ.»[١٠٨].

**إرميـــــا:** هو يقول ذلك بالتأكيد. والابن بالقطع هو الحياة. غير أنه قال أيضًا «كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ، وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ»[١٠٩]. إذًا فالحياة التي فيه هى بسبب

[١٠٨] يو٥: ٢١. وفي شرحه لهذه الآية من إنجيل يوحنا يؤكد ق. كيرلس نفس المعنى بقوله: «أترون أيضًا أنه في تلك الكلمات برهانًا ساطعًا على معادلته للآب. لأن مَن يعمل بالمساواة من جهة إقامة الموتى، كيف يمكن أن يكون أقل؟ أو كيف يكون من طبيعة أخرى وغريبًا عن الآب وهو الذي يشّع بنفس الخصائص؟ لأن القدرة على الإحياء التي في الآب كما هى في الابن، هى خاصية للجوهر الإلهى، لكن الآب أيضًا لا يُحيي بعض الناس منفصلاً عن الابن ومن ذاته أو أن الابن يُحيي البعض الآخر منفصلاً ومنعزلاً عن الآب، إذ أن الابن له الآب في ذاته بالطبيعة، والآب يفعل كل شئ ويعمل كل شئ بالابن. لكن طالما أن الآب لديه قوة الإحياء في طبيعته ذاتها، هكذا الابن نفسه أيضًا، ينسب قوة إقامة الموتى، وكأنها تخص كلا منهما على حدة». شرح إنجيل يوحنا، سنة ٢٠٠٩م المجلد الأول، ص٢٦٩.

[١٠٩] يو٦: ٥٧. عندما يتعرّض ق. كيرلس لشرح هذه الآية من إنجيل يوحنا فإنه يبدأ بالقول: «معنى هذا النص غامض، تغلفه صعوبة ليست بقليلة، لكنه ليس عسر الفهم تمامًا إذ يمكن إدراكه وفهمه من قِبَل أولئك الذي اختاروا أن يفكروا باستقامة». شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق ص٤١٧. ولهذا فإنه يجتهد لتوضيح المعنى الحقيقي لها وما يحويه من تعاليم عقائدية تثبت ألوهية الابن ومساواته في الجوهر لله الآب. ومن الملاحظ أيضًا أنه إمتد في شرحه لهذه الآية كى يعلّم ليس فقط بوحدة الجوهر للآب والابن ضد الفكر الآريوسى، بل أيضًا كى يثبت عقيدة الثالوث الأقدس الواحد في الجوهر فيقول: «إن الطبيعة الإلهية هى واحدة تُدرك في الآب والابن والروح القدس لا بشكل إنقسامى متعدد يعمل كل منهم بمفرده ما ينبغى أن يتم من أمور لكن ما يقال إنه تم بواسطة واحد منهم هو عمل الطبيعة الإلهية كلها. لأنه لَمّا كان الثالوث القدوس واحدًا فيما يخص وحدانية الجوهر، فإن قوته هى قوة واحدة بالكامل من جهة كل شئ. لأن كل شئ هو من الآب بالابن في الروح». ص٤١٧- ٤١٨. ومن الجدير بالذكر أنه رغم أن موضوع الكتاب الذي ننشره اليوم هو حوار حول الثالوث، إلاّ أن القديس كيرلس لم يتطرّق إلى عقيدة الثالوث، أى وحدة الجوهر الإلهى والثلاثة أقانيم، عندما أشار إلى هذه الآية، بالرغم من أنه في استخدامه لآيات أخرى من إنجيل يوحنا كان قد تعرّض لهذه العقيدة الهامة. انظر على سبيل المثال ص١٠٥.

أبيه[110].

**كيـرلس:** وبالتالى أيها الجسورون هل يجب أن نقبل أن الابن نفسه قد استمد حياته من الله الآب مع بقية المخلوقات كلها وبالتالى لابد وأن نحصيه مع بقية الكائنات التي تستمد حياتها من آخر كشئ دخيل عليها؟ حينئذٍ يجب أن يُحسب الابن بين أولئك الذين يموتون لأن الشئ الذي يأتى من خارج (الإنسان) يمكن أن يُفقد، وما يريد الإنسان أن يحتفظ به، سيكون معرّضًا للفقدان، إن لم يرتبط بقوانين طبيعية تجعل احتفاظه بهذا الأمر ثابتًا.

**إرميـــــا:** فكيف إذًا يمكن أن يفكر المرء بأن الابن هو الحياة بسبب الآب بالرغم من أن الابن نفسه بحسب الطبيعة هو الحياة؟

**كيـرلس:** كونه هو الحياة[111] هو بالتأكيد دليل على أصالة صدوره من الله الآب وبرهان واضح على حقيقة طبيعته (الإلهية).

**إرميـــــا:** ماذا تقصد بهذا؟

**كيـرلس:** أقصد أنه لم يقل إنه أُعطى الحياة من الآب بل قال إنه حيّ بالآب.

**إرميـــــا:** وماذا يعنى هذا إذًا؟

**كيـرلس:** أعتقد أنه يليق لِمَن له طبيعة ليس فيها حياة وليس لها عدم الموت بل هو يستمد حياته من آخر، أن يقول « إن أبى أعطانى الحياة». بينما يليق بمَن يعرف أنه هو الحياة وأنه قد صدر من الحياة، أن يقول وبطريقة تناسبه كإله «أنا حيّ بالآب». فلو أن كائنًا عاقلاً قد وُلد من كائن عاقل هو أبوه وقال إنى عاقل بأبى. أو بطريقة أخرى لو أن الحرارة التي تشع من النار[112] لها صوت وقالت

---

[110] يضع ق. كيرلس على لسان إرميا كلامًا يعبر أحيانًا عن رأى المعارضين (انظر كيرلس ص١١٧). ومن هذه الآراء أن الابن ليس له حياة في ذاته بل يستمدها من الآب وبالتالى فهو أقل من الآب، ودليلهم على هذا قول الابن « أنا حيّ بالآب». وفي موضع آخر يشير ق. كيرلس صراحة أن هذا ما يفكر فيه المعارض، فيقول: [لكن معارضنا قد يجيب مرة أخرى: وبأية كيفية أخرى يكشف الابن عما يكونه بالطبيعة أو كيف يظهر بوضوح أن الآب أعظم إلاّ بقوله «أنا حيّ بالآب»؟ لأنه إن كان الآب هو مُعطي الحياة للابن، فمن ذا الذي يندفع في مثل هذه الحماقة فلا يدرك بالتمام أن مَن يشترك في الحياة لن يكون بالطبيعة هو نفسه الحياة أو يكون قديرًا على الإحياء؟ ]. شرح إنجيل يوحنا، القاهرة سنة ٢٠٠٩م، المجلد الأول ص ٤١٨.

[111] في فصل كامل من كتابه «شرح إنجيل يوحنا» يشدّد ق. كيرلس على أن الآية «فيه كانت الحياة» يو١: ٤ تعنى أن الابن هو بالطبيعة الحياة ولذلك هو غير مخلوق وأنه من نفس جوهر الآب ويدلّل ببراهين تسعة على ألوهية الابن إذ هو واهب الحياة. انظر المجلد الأول سنة ٢٠٠٩م، الفصل السابع.

[112] سبق أن شرح يوستين المدافع والشهيد (+ ١٦١م) طريقة ولادة الابن من الآب باستخدام تشبيه النار والحرارة الناشئة عنها. انظر حواره مع تريفو: ٦١.

إنى أُدفئ بالنار التي منها قد انبعثت[١١٣]، فهل من الممكن ألاَّ يظن مَن له عقل أنهما (أى الكائن العاقل والحرارة) يقصدان بالحرى خصائص كل منهما التي منها كينونتهما وليس خصائص دخيلة عليهما من الخارج كهبات؟!!

**إرميـــــا:** بلى، سوف يظن كذلك.

**كيرلس:** وبالتالى فإن الابن حيّ بالآب لأنه هو الحياة التي هى من حياة الآب[١١٤]، ولأنه بالفعل إلهًا حقًا تمامًا مثل مَن وَلَده. وكلامى الذي أقوله يستند على شهادة يوحنا الإنجيلى والمملوءة حكمة إذ يكتب عنه قائلاً «وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ. وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هَذَا هُوَ الإِلَهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.»[١١٥]. هل اتضَّحت الأمور أكثر بالنسبة لك؟ وهل أصبح من السهل أكثر أن تؤمن بذلك بدلاً من أن تظن أن الابن ليس من نفس جوهر الآب؟

**إرميـــــا:** إنى أعتقد أنه لا يوجد شئ يمكن أن يدحض كلمات يوحنا اللاهوتى لأنها تشهد شهادة قوِّية عن الابن ضد ما يردده المعارضون. غير أنه عندما يُسمَّى الابن بالإله الحق ففي الحال يبتسم المعارضون في سخرية ويقولون إن الابن في الواقع ليس هو إله حق لكن الآب بإرادته قد منحه هذا الاسم. ويضيفون قائلين إن القديس بولس كتب «رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ»[١١٦].

---

[١١٣] استخدم ق. كيرلس نفس هذا التشبيه في سياق البراهين العديدة التي أوردها لإيضاح حقيقة وحدة الجوهر للآب والابن. انظر شرح إنجيل يوحنا. المرجع السابق ج١. الفصل الثالث. البرهان ٢٢. ص٤٠.

[١١٤] في إطار شرحه ليوحنا ٥٧:٦ «كما أرسلنى الآب الحيّ وأنا حيّ بالآب» يتكلم ق. كيرلس بلسان الابن المتجسد ويقول: «وحيث إننى أنا الكلمة، وُلدت حياة من ذلك الذي هو بالطبيعة حياة.. ولأننى الحياة بالطبيعة لأننى من الآب الحيّ». انظر شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق ص٤١٧.

[١١٥] ١يو٢٠:٥.

[١١٦] في٩:٢. ويُلاحظ أن القديس كيرلس كان قد إستخدم نفس هذه الآية في سياق تعليقه على رؤية زكريا وأنه شاهد وزنة رصاص قد رُفعت (زك٥:١١.٥) يقول ق. كيرلس: «وزنة الرصاص هى المسيح نفسه الذي رُفع بالصليب ونراه يشّع بمجد الألوهية لأن الله رَفّعه عاليًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم». انظر كتاب السجود والعبادة بالروح والحق، مرجع سابق، المقالة الثالثةن ص ١٣٤.

## هل الابن هو أقل من الآب لأنه قد أُعطىَ "اسمًا"؟

**كيرلس:** يجب أن تعلم أنى أتفق معك أنه قد أُعطىَّ اسمًا فوق كل اسم. فإن اعترض أحد على أقوال الوحى الإلهى فإن هذا لا يدل ـ على ما أعتقد ـ على رجاحة الفكر بل على عقل منحرف وعلى محاولة إنسان قد إختّل عقله. غير أنى مندهش من فنون وأساليب المعارضين في التضليل لأنهم لم يحاولوا حتى مجرَّد التفكير في سبب إعطائه اسمًا، لكنهم يفتشون عن كلمات تخدم أفكارهم[117] وفي همّة يستغلون أى أمر يظهر وكأنه ضد مجد وكرامة الابن. مع أن الوحى الإلهى يحدّد الوقت الذي أُعطى فيه الابن هذه العطّية لأنه لم يكن آخر هو الذي كُتب عنه «الَّذي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ، ٧لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ. ٩لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ،[118] لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ، لِمَجْدِ اللهِ الآبِ»[119].

---

[117] هذا هو اسلوب الهراطقة دائمًا في استخدام النصوص المقدسة. ولقد كشف القديس أثناسيوس نفس هذا الأسلوب الذي اتبعه الآريوسيون. انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، الفصل الثالث والفصل الحادى عشر. ومن الجدير بالذكر أن لفظ هرطقة ليس عربيًا بل يونانيًا من الكلمة «هيرسيس» αἵρεσις بعد أن تم نقل كل أحرفها اليونانية إلى أحرف عربية أو ما يسمى بـ Transliteration والمعنى الحرفي للكلمة اليونانية هو من معنى الفعل αἱρετίζω الذي يعنى أختار أو أنتقي. ولذلك فإن لقب هراطقة أُطلق على الأشخاص الذين كانوا ينتقون أو يفتشون عن كلمات من بين النصوص المقدّسة كى تخدم أفكارهم التي لا تتفق مع إيمان الكنيسة المستقيم.

[118] إنشغل ق. أثناسيوس من قبل ببيان التفسير المستقيم لهذه الآية بالتفصيل وموضحًا أُلوهية الابن المتجسد وأن إعطاؤه اسمًا لا يعنى أنه غير مساو للآب في الجوهر. انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين، مركز دراسات الآباء، فصل ١١ ص٧٤-٨٧ ولقد اتبع ق. كيرلس نفس هذا التفسير وتأثر به.

[119] في٢: ٦-١١. سبق أن استعان ق. كيرلس بالجزء الأول من هذه الآيات (٦، ٧) في الرّد على الآريوسيين الذين قالوا إن الابن هو من طبيعة متوسطة بين الله والبشر لأنهم فهموا قول بولس الرسول «يوجد وسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (١تيمو٢: ٥)، وذلك بطريقة خاطئة، لهذا نجد أن ق. كيرلس يقول: [ إن الرسول يحدّد على ما أعتقد، أن الفترة الوحيدة التي تتناسب مع الوساطة هى الأزمنة الأخيرة، والتي فيها حسب كلام الرسول «الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد». ورغم أنه الإله والرب فلكى يُرجعنا بواسطة ذاته لله الآب ولكى يصالح الكل حسب المكتوب «عاملاً الصلح بدم صليبه سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات» لكى يصنع ذلك كله، توسط كإنسان. ولهذا يقول بولس « نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله وذلك بالإتحاد بشخص المسيح. ولأن طبيعة الإنسان لا تحتمل أن تستوعب مجد الله في حالته الأولى قبل التجسد، فقد لبس الابن الوحيد لأجلنا ولأجل منفعتنا جسدنا . وتشبّه بنا ]. انظر ص٢٢.

**إرميـــــــا**: وماذا يعنى هذا؟

**كيـرلس**: كان من الممكن أن يكون هذا الكلام مثل طريق مُمَهد ومَعْبَر لِمَن يريدون الفهم بطريقة صحيحة، ويقودهم هذا الكلام إلى الحق. فلتفهم يا صديقى أنه إذ قد أُعطى الاسم «كهبة» فهذا يشير إلى عملية الإخلاء وأن الابن قد وَضَعَ نفسه حسب التدبير، من أجلنا. وطالما أنه أخذ اسمًا ـ وفق عملية الإخلاء والخضوع هذه ـ فيبدو كأنه أخذ شيئًا لا يمتلكه قبل عملية الإخلاء لأنه من نفس جوهر الله الآب. وطالما أنه وَضَعَ نفسه وقد تنازل من عِلوه إلى ما هو أقل، فإنه يرجع بالقطع إلى عِلوه السابق، وهذا لا يعنى أنه يأخذ مجد وكرامة آخر بل ما كان له منذ البدء. أما إن كانوا يعتقدون أنه من الضرورى أن يقولوا إن الابن قد أخذ مجدًا وكرامةً غريبة عنه عندما أُعطى اسمًا فوق كل اسم، كهبة من الآب، فحينئذٍ لا يوجد شئ يمنعنا حسب المنطق من أن نفهم سِّر تأنسه بطريقة عكسية وأن نحوّل تجسده إلى اتجاه آخر تمامًا. وسأقول لك بأى طريقة يتم هذا. إن كان أخْذ الابن لاسم فوق كل اسم ليس هو اخلاء بالنسبة له، لكن بالحرى اكتسابه لشئ جديد لم يكن له حسب طبيعته، حينئذٍ سيكون هناك إخلاء جوهرى أو بالحرى إخلاء قد حدث قبل أن يحدث الإخلاء في ملء الزمان. بينما الزمن الذي فيه تم الإخلاء ـ وبطريقة لا أعلمها ـ أى الزمن الذي أخلى فيه ذاته، هو زمن المجد والكرامة، بعدما اقتنى ما لم يكن له بحسب الطبيعة وامتلك أمورًا لا تقارن بما كان له سابقًا. غير أنه ـ وكما تؤمن أنت ـ أن الاسم الذي هو فوق كل اسم قد أُعطى للابن عندما اتخذ جسدنا كواحد منا، وتعيّن ابن الله وهو الابن الحقيقى، كابنًا بالتبنى مثلنا ومن أجلنا حتى أننا بواسطته نصير أبناءً للّه بالتبنى، وتكون لنا شركة الطبيعة الإلهية. أم أنك تعتقد أن الحديث قد حادَ عمّا يجب؟

**إرميـــــــا**: بالطبع لا.

**كيـرلس**: لقد قرّرنا ـ وعلى عكس عناد المعترضين ـ أنه لابد وأن نعترف بالأمور الأسمى وأن نتمسك بغير لوم بالإيمان بالابن الوحيد[١٢٠] ولنبعد عنا كل

[١٢٠] في بداية مقاله الأولى ضد الآريوسيين الذين أنكروا أُلوهية الابن المتجسد، أوضح القديس أثناسيوس الإيمان الصحيح عن الابن الوحيد بقوله: «ها نحن إذًا نتحدث بحرية عن الإيمان الصحيح النابع من الكتب الإلهية، ولنضع هذا الإيمان كسراج على المنارة فنقول: ابن حقيقي حسب=

كبرياء كما هو مكتوب[١٢١]، ولنُخضع كل فكر إلى طاعته. أما إن رفضنا أن نفعل ذلك فيجب علينا أن نقبل ما يقوله هؤلاء وسننكر على الابن الوحيد كونه الإله الحقيقى. وبهذا سنقول أيضًا إنه ليس لدينا شئ آخر نضيّعه.

**إرميــــــا:** هل ستوضّح لى ما تريد، أم ستتحاشى الحديث؟

**كيـرلس:** بالتأكيد لديّ رغبة أن أتحدّث ولن أتحاشى الكلام عن هذه الأمور أم ربما كان من غير الصحيح أن نقول إنه طالما قد أُعطىًّ اسمًا أفضل وأنه ـ بطريقة ما ـ دُعى إلهًا، فإن هذه العطية يمكن أيضًا أن تفارقه؟ لأن ما يُعطى لا يبقى ثابتًا إلى الأبد. وحسب هذا فإن الآب نفسه سيكون معرًّاضًا لما لا يليق أن يُنطق به. لأن الآب سيُصبح أقل من الابن وستكون طبيعته أدنى من طبيعة المولود منه ـ مع أن الابن حسب زعمهم أقل من الآب ـ لأنه لو أن الابن كان له مجرد أن يُدعى إلهًا لكان مجد ألوهيته مجد زائف ولكان وكأنه أُعطى هذه الرتبة الآن فقط وكأنها رتبة زائفة لو أنه بالفعل كان ما يملكه من الأُلوهية هو مجرَّد اسم (أى مجرَّد عطيَّة).

**إرميــــــا:** إن حديثك يوضّح بشاعة هذه الأمور غير اللائقة.

**كيـرلس:** بالفعل هى أمور بشعة، لكن من الضرورى أن نستعرضها. لأننا عندما نفعل هذا فإننا نستبعد ما هو ليس حق ونُظهر ما هو حق. إذًا طالما أن الابن ـ كما يعتقدون ـ قد أخذ اسمًا من الله الآب مكافأة له على إخلائه، فبالتالى يمكن أن يقال إنه قَبْل زمن الإخلاء (أى قبل التجسُّد) لم يكن له هذا الاسم إذ أن هذه النعمة المعطاة ـ والتي يمكن بسهولة أن تُفقد ـ لم تظهر إلاّ في زمن الإخلاء. وغير ذلك، كيف كان الابن مساويًا لله الآب طالما أنه لم يكن قد أخلى نفسه بإرادته ولم يكن قد أخذ شكل العبد؟ لأنه لم يحسب مساواته لله خلسة. إذًا فإن كنّا نقول إن الابن قَبْل زمن الإخلاء كان مساويًا للآب، وأنه عندما أخلى نفسه، كُرّم بطريقة خاصة وأُضيف له مجد فوق المجد الذي له، فإنه سيكون بهذا الشكل قد فاق الآب نفسه.

=الطبيعة للآب ومن نفس جوهره وهو الحكمة وحيد الجنس وهو **الكلمة** الحقيقي لله وهو ليس مخلوقًا ولا مصنوعًا، ولكنه مولود حقيقي من ذات جوهر الآب ولهذا فهو إله حق إذ أنه واحد في الجوهر ὁμοούσιος مع الآب الحقيقي». انظر الفصل الثانى فقرة ٩.

[١٢١] انظر ٢كو١٠: ٥.

**إرميـــــا**: هذا كلام صعب جدًا.

**كيـرلس**: غير أنه سليم من حيث طريقة التفكير. فلو قالوا إن الابن ـ عندما أخذ اسمًا فوق كل اسم ـ كان قد اكتسب شيئًا أسمى، فهذا يعنى أن طبيعته قد تطوّرت وفاقت طبيعة الله الآب. لأن هذا ما يتضَّح من كلامهم الشنيع الذي سبق أن قالوه. ومن ناحية أخرى لو أن المرء قد رأى الابن أقل بين آخرين أسمى منه ولم تزيده العطيَّة أى شئ مع أنه يُفهم أنه أخذ شيئًا، فكيف لا يظهر كذب وهراء مَن لهم مثل هذه الجرأة الكبيرة أن يقولوا إن الطبيعة الإلهية التي لا توصف تتفوّق قليلاً فقط على الطبيعة المخلوقة حتى لا يقال إنها لا تتفوّق عليها بالمرَّة ؟ وأيضًا أن يقولوا إنه لو أن هذه الطبيعة قد أعطت خصائصها الذاتية لأحد المخلوقات كى ترفعه للمجد فإنه لن يستفيد إلاّ القليل. غير أنه لو فكّرنا هكذا لكان هذا هراء منا، لأن الأمور المختصة بالله هى يقينية وتستحق كل المجد. وحسب فكرهم فإن الله الآب يظهر وكأنه أفضل من نفسه، مانحًا لغيره عطايا أفضل مما يملك.

**إرميـــــا**: بأى طريقة؟

**كيـرلس**: بأنه (أى الآب) قد أعطى الابن ـ الذي هو مساوٍ له وله نفس المجد حتى قَبْل إخلائه لذاته ـ أعطاه اسمًا فوق كل اسم واضعًا إياه في مرتبة عالية. إذًا أليس ما يقوله المعاندون هو هراء تفوح منه رائحة الجهل؟

**إرميـــــا**: بالتأكيد.

**كيـرلس**: كما أعتقد أن المرء يستطيع أن يثبت هراء ما يقولون كالآتى:

لو كان الابن يعرف أنه يحمل مجرَّد «اسم الابن» وأنه ليس ابنًا بطبيعته (الإلهية) فما الذي جعله ينادى عاليًا ويقول « أَنَا هُوَ الْحَقُّ»[١٢٢]. لأن المزَيف ليس هو حقيقى، ومَن يُظهر ما ليس له حسب الطبيعة، بل (يُظهر) تلك الأمور الخارجية والغريبة عنه، فهو يحاول أن يخترق الحقيقة والمجد بالقوَّة. غير أن الواقع ليس هكذا، كما أن هذه الأفكار مشوّهة. وإن كان (**الكلمة**) ليس هو الله بالطبيعة فلماذا رأى أنه لا يجب أن يحسب نفسه مع أولئك الذين هم

[١٢٢] يو١٤: ٦.

آلهة بالتبنى لكنه ميّز نفسه عن كل القديسين وسار في طريق لا يستطيع أحد منهم أن يسير فيه وذلك بقوله «إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ لأَنِّي قُلْتُ إِنِّي ابْنُ اللهِ؟»[123] اى انه يقول: طالما ان هؤلاء الذين يقبلون كلمة الله ويضعونها في داخل نفوسهم، يدعون آلهة، فكيف لا يكون ذاك الذي صيّرهم آلهة، هو نفسه إلهًا؟[124] لأن «كَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ» كما يقول القديس يوحنا، والفعل كان (ἦν) لا يعنى أن المجد صار له بعد وقت معيّن بل أن هذا المجد هو له قبل كل الدهور. إذًا هل يشير تعبير «كان» إلى أن هذا المجد كان له دائمًا، أم يعلى أن هذا المجد كان له في بداية الزمن فقط؟

**ارميــــا:** بالصواب تتكلّم، لأن تعبير "كان" يتعدّى حدود الزمن.

**كيرلس:** والقديس بولس لا يعترف بالابن على أنه ابن لا يتحلّى برتب غير أصيلة فيه، بل يعترف به إلهًا بالطبيعة متحدًا بالله الآب بعلاقة جوهرية حسب الطبيعة.

**ارميــــا:** كيف؟

**كيرلس:** إنه يكتب الآتى «لأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى آلِهَةً، سِوَاءٌ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ، كَمَا يُوجَدُ آلِهَةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ. لَكِنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ، الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ.»[125]. فلو أنه كان قد اعترف بأنه يجب أن يُحصى الابن بين الذين يحسبون آلهة بالنعمة، فلماذا لم يجعله بين هؤلاء الآلهة، ويشير فقط إلى إله واحد وفريد هو الآب الذي هو الله والرب ولأنه ميّز بين الابن

---

[123] يو ١٠: ٣٥، ٣٦.

[124] هذه الآية نفسها استخدمها القديس أثناسيوس في سياق دفاعه عن ألوهية الروح القدس ليدافع عن ألوهية الابن، لأنه إن لم يكن الابن هو الله لما كان روحه أيضًا هو الله إذ يقول: [ لكن إن كان البعض (من المخلوقات) قد دعى آلهة، فذلك ليس بحسب الطبيعة بل بحسب إشتراكها مع الابن،لأنه هكذا قال هو نفسه «إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله». ومن أجل هذا فلأنهم ليسوا آلهة بالطبيعة، فإن بعضهم قد يعانى التغيير (إذ هى مخلوقة) في وقت ما، ويسمعون القول «إنى قلت أنكم آلهة وبنو العلى كلكم، لكن مثل الناس تموتون» (مز ٨١: ٦، ٧س) هكذا كان ذلك الذي سمع «أنت إنسان لا إله» (حز٢٨: ٩) أما الابن فهو إله حقيقي مثل الآب لأنه هو في الآب والآب فيه]. الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق، مركز دراسات الآباء ١٩٩٤الرسالة الثانية: ٤.

[125] انظر : ١كو ٨: ٦

وبين تلك الآلهة الأخرى وقال إنه يجب أن يُدعى الآب إلهًا والابن ربًا؟ غير أنى أعتقد أنه من الحكمة والضرورة أن لا نفصل المجد الذي هو حسب الطبيعة عن الألوهة الحقة، وأن لا نُخرج الربوبية الحقة بعيدًا عن الطبيعة الإلهية، لأنه من الواضح أن كلاً من الآب والابن له بالحرى الألوهة والمجد. والدليل الواضح على أن الآب والابن هما واحد في الجوهر هو أن لكل منهما خصائص هذه الطبيعة وأن كل منهما له نفس هذه الطبيعة الإلهية الواحدة وهذا يؤكد وحدتهما المطلقة (في الجوهر) وأنهما لا يحتاجان شيئًا من خارجهما.

**إرميـــــا**: لكن كيف يكون هذا؟

## هل بنوّة الابن للآب هى بنوّة حسب الطبيعة أم أنها بالتبنى وأنها هبه بالروح القدس؟

**كيرلس**: إن سألك أحد يا إرميا عن الابن فهل ستقول له إنه ابن بالطبيعة أم أنه ابن فقط بحسب مشيئة الآب، أى أنه ابن كباقى البشر؟

**إرميـــــا**: طبعًا سأقول إنه ابن بالطبيعة غير أنى أعتقد أن أى من المعارضين لن يعترف بهذه الحقيقة.

**كيـرلس**: أنت ستقول هكذا، أما هم فإنهم ـ خلاف ذلك ـ يضيفون قائلين عنا إننا نهذى وأن فِكرنا قد انحرف. وقل لى مَن من هؤلاء الذين يختلفون معهم ولا يوجهون له إتهام؟ فإنهم قد صاروا مسعورين وقد وصلوا إلى درجة لا توصف من الجنون بشأن هذا الأمر حتى أنهم اعتقدوا أن الابن يجب أن يصنّف ابنًا بالتبنى مثله مثل بقية البشر. ومع أنه كان ينبغى عليهم أن يخجلوا من ضلالاتهم هذه ومن أنهم يشوهون الحقيقة الساطعة بأن يعطوا الابن مجدًا متميزًا لا يستطيع غيره الوصول إليه، وذلك حسب تصّورهم الخاطئ عنه؛ غير أنى أود أن أسألهم عن طريقة التبنى هذه وكيف حدثت وأيضًا عن بنوّته هو وبنوّتنا نحن. لأننا ورثنا أن نكون أبناء، ولسنا نحن الذين نقول كيف صرنا أبناء لكنِ القديس بولس هو الذي علّمنا ذلك عندما كتب «ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: «يَا أَبَا الآبُ».»[١٢٦]. وهذا معناه: نحن نقول إننا دعينا إلى

[١٢٦] غلا ٤: ٦

البنوة الروحيَّة وذلك بسبب أن الابن يسكن في داخل قلوبنا بطريقة لا توصف بواسطة الروح القدس، أم أنك تظن أن الأمر ليس كذلك؟

**إرميـــــا:** إنى أظن أن الأمر هكذا، لأنى أذكر أن القديس يوحنا كلّمنا عن الله قائلاً: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ»[127].

**كيـرلس:** انتبه إذًا يا صديقى، إلى النتيجة التي يمكن أن يصل إليها الحديث عن الابن الوحيد لو أنه أصبح مساويًا لنا نحن الذين دُعينا للبنوّة. لأنه لا يمكن أن يصير الإنسان المخلوق ابنًا إلاّ عن طريق ابن الله وبواسطة نعمة الروح القدس وهذا ما يؤكده الرسول بولس بقوله «ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللَّه رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: «يَا أَبَا الآبُ»[128]، فإن كان الأمر هكذا ففيمَنْ سيصير الابن ابنًا هو أيضًا؟ لأنى لا أعتقد أنهم سيقولون إنه صار ابنًا بذاته في ذاته على الرغم من أنه حُسِبَ بين الذين قد دُعوا أبناء بالتبنى طالما أنه - حسب فكرهم - قد أُستبعد عن أن يكون ابنًا حقيقيًا بالطبيعة.

**إرميـــــا:** فبماذا تجاوبهم لو قالوا إننا بالفعل قد قَبِلنا الابن في داخلنا بينما هو قد قَبِلَ الآب في داخله؟

**كيـرلس:** كنت سأجيب بأنه لو أن هؤلاء يحددون - حسب ما يريدون - جوهر الطبيعة الإلهية وينسبون لها قوانينًا يعتقدون بصحتها، فإن الحديث مع هؤلاء في هذا الأمر لن يصلح أبدًا، لأنهم يتكلّمون بما في داخل قلوبهم ولا يرددون بالمرَّة ما قاله السيد بفمه. أما إن اعتقدوا بأنهم لابد أن يسلكوا طريق الحق والمعرفة الإلهية، فحينئذٍ لابد أن ما يؤمنون به يكون مؤيدًا بكلمات الكتاب المقدَّس.

**إرميـــــا:** هم يقولون ذلك لأن الابن قال لفيلبس «أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ».[129]

**كيـرلس:** إذًا فالآب يقدّس الابن بكونه (أى الآب) في داخله؟

[127] يو ١: ١٢

[128] غلا ٤: ٦

[129] يو ١٤: ١٠

**إرميـــــا**: هم بالقطع سيقولون نعم.

**كيـرلس**: وهل يتقدّس الابن لأن الآب هو بالطبيعة قدوس وله في ذاته القدرة أن يقدّس مَن يكون فيهم، أم أنه يستمد القداسة من آخر؟

**إرميـــــا**: لأن الآب نفسه قدوس بالطبيعة.

**كيـرلس**: إذًا فالابن لا يملك بالتأكيد قداسة حسب طبيعته، كما يدّعى الحمقى الذين يفكرون في كل أمر غير لائق، لكنه أخذ طبيعة لم تكن حرّة في أن تخطئ بمعنى أن عِتْقها الدائم من الخطية كان يتوقف على ما تفعله. فلو أنهم قبلوا أن هذه الطبيعة قد ربحت شيئًا من قداسة الآب ومن سكناه ومجده الذي يبهرنا، فكيف يكون بلا هدف أن يقال إن الله الآب سكن فيه وأنه هو في الآب والآب فيه، وما معنى هذا الكلام أو ما هى تفاصيل هذا الأمر؟ لنفحص كل هذا هنا بتدقيق.

إن الابن ـ كما يعتقد هؤلاء ـ قد سكن في الآب لأنه كان ـ حسب فكرهم غير المستقيم ـ في إحتياج إلى التقديس. وقد يتساءل المرء ما الذي ربحه الآب نفسه بكون الابن داخله؟ فلو أنهم قالوا إن هذه هى الطريقة التي يجب أن يتقدّس بها مَن تتطلب طبيعته التقديس، حينئذٍ نتساءل لماذا ونحن نتقبل الروح لا ننتقل إليه حتى يصبح فينا ونحن فيه؟ وإن كانت لا تقلقهم هذه الأمور التي لا تليق (لأن الروح القدس هو فينا وليس نحن فيه حسب الطبيعة) فكيف لا يكونون غارقين في أفكارهم الباطلة باعتقادهم أنه لا يجب أن نفسر كون الآب في الابن والابن في الآب على أنه كذلك بسبب وحدة الجوهر لكن يعتقدون أن هذا يتم بطريقة مَن يتلقى شيئًا صالحًا من خارجه؟ ومن ناحية أخرى أظن أنه ينبغى أن نقول الآتى أيضًا: إنه في اتحادنا بالابن والذي يتم بواسطة الروح القدس في الذين يقبلون، ألا نتغيّر نحن لنصير أبناء طالما أن الابن يشركنا في مجده ويطبع ملامحه هو في نفوس مَن يقبلونه؟

**إرميـــــا**: بالطبع.

**كيـرلس**: إن لدى الابن القدرة ـ حسب طبيعته ـ على أن يجعل له أبناء، وأن له هذه القدرة ـ كما أعتقد ـ بسبب أنه ليس هو آخر سوى أنه هو نفسه ابن.

**إرميـــــا**: دعنا نقبل هذا، لكن ماذا سنستفيد من ذلك الرأى؟

**كيرلس**: إننا نقبل - حسب التفكير المنطقى والسليم - أن سُكنى الآب لها نفس فاعلية سُكنى الابن، لأن مَن يمتلئ منه سيحصل على نفس الكمال كما في حالة سكنى الابن. لأن الآب يجعل مَن يريد أن يسكن هو فيه، أبًا وليس ابنًا، ويشكّله حسب صورته.

**إرميـــــا**: فقل لى إذًا، هل نقبل بأن صورة الله التي حصلت عليها الطبيعة البشرّية (لأن الإنسان خُلِقَ على صورة الله ومثاله)، تشير إلى مشابهتنا للابن فقط أم أننا - حسب هذا الرأى - سنقبل أنها تشير إلى مشابهتنا للآب والابن، وأننا سنقول إننا خلقنا مشابهين للطبيعة الإلهية بكاملها مع أننا أبناء ونحسب من بين البنين؟

**كيرلس**: وغير ذلك يا صديقى، ألا تعتقد أنه يجب أن تفكر كيف أن كل كلامنا هنا هو عن الإيمان بالطبيعة الإلهية الواحدة والتي هى في ثلاثة أقانيم متمايزة ولها نفس الجوهر فهى تمثل إلهًا واحدًا أسمى من الكل والذي نتشكّل على هيئته حسب ما يقول الكتاب، ولكننا نأخذ ختم التبنى عن طريق الابن بواسطة الروح القدس. فالبنوّة هى صورة الابن والأبوة هى صورة الآب. إذًا فنحن أبناء بسبب الابن كما أننا على صورة الله وشبهه إذ قد خُلقنا هكذا منذ البداية على صورة كمال الطبيعة (الإلهية) أعنى الطبيعة الفائقة.

**إرميـــــا**: ما تقوله صحيحًا.

**كيرلس**: وبالتالى فإن امتداد المناقشة إلى ما لا يجب وكما يريدون هو أمر بلا معنى ولن يجدى نفعًا، غير أنى أرى أنه من الحكمة أن نتناقش وأن نؤمن بتلك الأمور النافعة لنا في كل الحالات.

**إرميـــــا**: هذا حق.

## الروح القدس هو روح الابن مثلما هو روح الآب:

**كيرلس**: إذًا ما يقوله هؤلاء هو أساطير لا نفع منها، إذ أن شرورهم لا حد لها بينما نحن لا نستطيع أبدًا أن نؤمن بأن الابن هو إله غير حقيقى، وأنه

يتقدّس بمعنى أنه يُدعى من الآب كى يصير ابنًا وأنه يتمجّد معنا كابن، على العكس فإن ما هو عليه إنما هو من طبيعته. لأنه لا يمكن أن يصير الابن ابنًا بواسطة الروح القدس. فالروح القدس هو بالتأكيد روح الآب مثلما هو روح الابن وهذا يمكن أن يَعلَمَه المرء وبدون تعب عندما يسمع الابن نفسه وهو يقول « فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ.»[١٣٠]. وأيضًا «لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ»[١٣١]. وبنفس الطريقة فإن القديس بولس يكتب لمن يؤمنون قائلاً: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِ سَاكِناً فِيكُمْ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ فَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ. وَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الْخَطِيَّةِ، وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَاةٌ بِسَبَبِ الْبِرِّ»[١٣٢]. إذًا فبالتأكيد الروح هو الذي يعطينا نحن الأرضيين بهاء مجد البنوّة، وأقصد أنه طالما أن الروح هو روح الابن، فإنه يُعطى بفعله التبنى للجميع، بينما يكون بلا فعل في ذلك الذي هو ليس غريبًا عنه (أى الابن) الذي هو في الواقع روحه الذاتى، وهو (الروح) ينسكب بواسطة الابن ومسرّة الآب على المستحقين أى الذين يقبلونه. أم أنك تظن أننا لم نوضح هذه الأمور بطريقة صحيحة؟

**إرميــــــا**: إنى أتفق معك تمامًا فيما تقول.

**كيـرلس**: وأيضًا عندما يحدّثنا القديس يوحنا عن الله بقوله «بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ»[١٣٣]. فكيف يصعب علينا أن ندرك أن الابن هو إله بالحقيقة وأنه قد جاء من جوهر الآب، حيث إن روحه الساكن فينا هو الله وليس شيئًا آخر؟ ومع قولى هذا أُضيف أيضًا الآتى: لو لم يكن روح الآب هو الله، الذي به تُعطىَ حياة وقداسة للبشر، هو روح الابن أيضًا، فمن ذا الذي يصل تفكيره إلى هذا الحد الدنئ حتى يفكر ويقول إن الابن

---

[١٣٠] مت ٧:١١

[١٣١] مت ١٠:٢٠

[١٣٢] رو ٨: ٩-١٠

[١٣٣] ١يو ٤:١٣

ليس واحدًا في الجوهر مع الله الآب بل هو ضمن المخلوقات، ويقول أيضًا إن الابن لا يعطي ولا حتى يهب للبشر (أن يكونوا شركاء الطبيعة الإلهية) أو تلك المواهب المتميّزة الخاصة بها، الأمر الذي لا يجعله أن يكون مختلفًا بالمرَّة عن المخلوقات، وأيضًا يجعل طبيعة المخلوقات مساوية في المجد مع تلك الطبيعة (الإلهية) التي تضبط كل الأشياء.

إرميـــــا: وكيف لا يكون هذا التفكير خاطئًا؟

كيرلس: إذًا فطالما أنه من السهل أن نتأكد من خلال الكتب المقدسة أن الابن الوحيد له خصائص الله الآب، فهيّا بنا نستجمع أفكارًا أخرى بخلاف ما سبق أن قلناه، لكي نحاصر أقوال المعاندين الضعيفة والهزيلة، ونأتي بأقوال تثبت أنه يعمل نفس أعمال الله الآب وأيضًا بتلك التي توضّح أنه هو الله وتبيّن أنه لا يحسب ضمن هؤلاء الذين هم بنين حسب النعمة، أو أنه يتحّلى بمجد مكتسب، بل أنه إله حق لا ينقصه شئ عن ما هو للآب، وعلى هذا يُدرك على أنه أرفع من كل مَن هو مخلوق.

إرميـــــا: هذه يا صديقي، أمور جيدة، تستحق التقدير من الجميع.

كيرلس: هل تعتقد إذًا يا صديقي أن أحدًا من المخلوقات قد ساهم في إتمام أمر تستطيع وحدها الطبيعة الفائقة على الكل، أن تتممه؟

إرميـــــا: لا أعتقد ذلك.

كيرلس: بالصواب تتكلّم. والطوباوي بولس يتحّدث عن قدرة الله الآب على إقامة الموتى على أنها أمر فائق للطبيعة وغير مألوف بالمرَّة وكما أعتقد يفوق كل حدود إمكانيات المخلوقات، وذلك عندما قال «لأَنَّ النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَباً، إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيسَ أَيْضاً تَعَدٍّ. لِهَذَا هُوَ مِنَ الإِيمَانِ كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ النِّعْمَةِ، لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطِيداً لِجَمِيعِ النَّسْلِ. لَيْسَ لِمَنْ هُوَ مِنَ النَّامُوسِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً لِمَنْ هُوَ مِنْ إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «إِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ أَباً لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ». أَمَامَ اللهِ الَّذِي آمَنَ بِهِ الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ.»[١٣٤]. هيا بنا إذًا ـ إن كنت ترى أن هذا

[١٣٤] رو ٤: ١٥-١٧

صحيح ـ لنرى أيضًا المجد عينه الذي للابن، وسوف ترى مرَّة أخرى أن الابن ليس أقل من الآب، بل له نفس القدرات التي للآب. لأن بولس الرسول يقول لنا «لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ»[١٣٥]. لأنه هو الحياة وليس مختلفًا عن (جوهر) الآب بل لهما نفس الجوهر. وغير ذلك فأنت تسمعه يقول في موضع آخر «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِي، كَذلِكَ الابْنُ أَيْضاً يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ»[١٣٦]. ولهذا فلأن أعماله الإلهية قد أظهرت طبيعته ومجده فقد قال «وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»[١٣٧]، أم أن ذلك لا يعنى أنه أراد أن يجعل نفسه معروفًا على أنه هو الله؟ كما لو أن شخصًا ظهر أن لديه القدرة أن يعمل أعمالاً مساوية لأعمال الله، لكان له بالضرورة نفس المجد، ولا يمكن ألاّ يكون هو الله، لأنى أعتقد أن ما نقوله يقود إلى هذه النتيجة.

**إرميـــــا:** هذا يبدو واضحًا، لأنه لا يمكن أن نتصوَّر أنه بينما يفخر بهذه الأعمال عينها، يكون هو نفسه ليس له المجد عينه.

**كيـرلس:** وعندما تعلن لنا الكتب المقدسة بأن «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ»[١٣٨]، فمن أين ـ حسب اعتقادك ـ تتوزع علينا الهبات الإلهية؟

**إرميـــــا:** واضح أنها من عند الله الآب.

**كيـرلس:** لكن المسيح أعطى للرسل القديسين السلطان كى يخرجوا الشياطين ويشفوا الأمراض وكل ضعف بين. والأمر الأعظم من كل هذا أنه أعطاهم السلطان حتى يقدروا أن يهزموا حتى الموت نفسه عندما حدّثهم بكلام يليق به كإله «اِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصاً. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ»[١٣٩]. كما أن يوحنا الناطق بالإلهيات يعترف بكل وضوح قائلاً «وَمِنْ

[١٣٥] ١كو ١٥: ٢٢

[١٣٦] يو ٥: ٢١

[١٣٧] يو ١٠: ٣٨

[١٣٨] يع ١: ١٧

[١٣٩] مت ١٠: ٨

مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا»[140]. فهل تعتقد أنه توجد عطية صالحة وهبة كاملة غير أن نكون شركاء الروح القدس؟![141]

**إرميـــــا:** لا أعتقد.

**كيـرلس:** انتبه إذًا يا صديقى، كيف أنه يرسل من ملئه، روحه القدوس الذي هو واحد معه في الجوهر بدون أن ينفصل عنه، وعن طريق الروح القدس يصير لنا كل عطيَّة صالحة. فطالما أنه قد قام مُبطلاً الفساد ومحطمًا قيود الموت فإنه جاء بنا مرَّة أخرى إلى القداسة معطيًا للرسل جمال الطبيعة كما كانت عندما خلق الجنس البشرى، ونفخ في وجوههم قائلاً: «اقبلوا الروح القدس» إذًا فطالما أن كل عطيَّة صالحة تأتى من فوق، من الآب وتُوزع بواسطة الابن، الذي له السلطة الإلهية وليس كخادم، فبأى طريقة إذًا لا يكون واحدًا في الجوهر مع الآب الذي وَلَده، بمعنى كيف لا يكون إلهًا بالحق، وليس مزينًا من الخارج بكرامات مثل اللوحات المرسومة؟

**إرميـــــا:** لا يمكن أن يكون هكذا بأى طريقة من الطرق على ما أعتقد.

**كيـرلس:** وهل حديثنا عن الإيمان غير كافٍ لكى يُثبت بشكل قاطع أن الابن هو الله بالطبيعة؟

**إرميـــــا:** ماذا تقصد؟

**كيـرلس:** لأننا نؤمن بالمسيح، فإننا بهذا نقترب من الله الذي هو بطبيعته إله حقيقى ونبتعد عن ضلال تعدد الآلهة تاركين عبادة الكائنات المخلوقة ومتحررين من السجود لصورهم. ولهذا فالرسول بولس يكتب لأولئك الذين دعوا للمعرفة الحقيقية قائلاً «لِذَلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلاً فِي الْجَسَدِ، الْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُوِّ خِتَاناً مَصْنُوعاً بِالْيَدِ فِي الْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ وَبِلاَ إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ»[142]. وفي موضع آخر يكتب أيضًا «لَكِنْ حِينَئِذٍ إِذْ كُنْتُمْ لاَ تَعْرِفُونَ اللهَ اسْتُعْبِدْتُمْ لِلَّذِينَ لَيْسُوا بِالطَّبِيعَةِ آلِهَةً. وَأَمَّا الآنَ إِذْ عَرَفْتُمُ

[140] يو ١:١٦

[141] ٢كو١٣:١٤.

[142] اف ٢:١١-١٢

اللهِ، بَلْ بِالْحَرِيِّ عُرِفْتُمْ مِنَ اللهِ، فَكَيْفَ تَرْجِعُونَ أَيْضاً إِلَى الأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي تُرِيدُونَ أَنْ تُسْتَعْبَدُوا لَهَا مِنْ جَدِيدٍ؟»[١٤٣].

إذًا فطالما أن هؤلاء الذين كانوا بلا مسيح كانوا بلا إله وأنهم قد عرفوا الله عندما آمنوا وقبلوا الابن الذي قال «اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ»[١٤٤]، فكيف يكون من الممكن ألاّ يُعرف أنه الله، وهو الذي يُمجَّد منَّا ومن الملائكة بعبارات تكريم صادقة، كما أننا نؤمن أن جوهره يعكس كينونته، بمعنى أنه إله حق من إله حق؟ وإلاّ فقل لى كيف تفهم ما قصده الرسول بولس عندما كتب عنه قائلاً «إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعاً فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ. إِذاً نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ»[١٤٥]. فعندما يأتى شخص ما للمسيح فإنه يتصالح مع الله ومن خلال المسيح يتصالح العالم كله مع الله، وبالتالى كيف لا يكون من المضحك أن يعتقد هؤلاء أن الكلمة الذي أتى من الآب وهو باقٍ فيه، هو بعيد عن جوهر الآب؟

إرميـــا: سيكون بالتأكيد أمر مضحك لو فكروا هكذا.

كيرلس: ومَنْ هو الذي تستطيع أن تقول عنه إن له سلطان على كل الخليقة وأنه يفوق كل الكائنات؟

إرميـــا: الله وحده بالطبع، لأن ليس غيره من بين الكائنات، يستطيع ذلك لأن داود يرنم قائلاً «لأَنَّ الْكُلَّ عَبِيدُكَ»[١٤٦]. وأيضًا يقول «٦هَلُمَّ نَسْجُدُ وَنَرْكَعُ وَنَجْثُو أَمَامَ الرَّبِّ خَالِقِنَا، لأَنَّهُ هُوَ إِلَهُنَا، وَنَحْنُ شَعْبُ مَرْعَاهُ وَغَنَمُ يَدِهِ»[١٤٧].

كيرلس: حسنًا قلت يا صديقى العزيز، لأنه واضح أن هذه الآيات تمجِّد الله. لأنه ليس لأحد من بين الموجودات أن يدّعى أنه يوجد وسط الكائنات بمعنى

---

[١٤٣] غلا ٤: ٨-٩

[١٤٤] يو ٣: ١٨

[١٤٥] ٢كو ٥: ١٩-٢٠

[١٤٦] مز ١١٩: ٩١

[١٤٧] مز ٩٥: ٦

أن يدّعى أنه يجلس وسط خليقته وأن يتجرأ على إخضاعها تحت سلطانه أو إن أراد أن يفعل ذلك، بدون أن يكون مُكللاً بمجد المُلك، ألن نقول إنه يعرّض نفسه للإدانة والمحاكمة؟

إرميـــــا: بالفعل.

كيرلس: وعلى ذلك فكيف يدعو الابن المؤمنين أنهم خِرافه هو وليسوا خِراف الآب؟ وذلك عندما قال «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي، وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي»[148]. فالقديس يوحنا الناطق بالإلهيات يخبرنا مؤكدًا أن (الابن) قد جاء إلى خاصته وأنه سمّى كل سكان الأرض، بل وكما أعتقد، كل الخليقة، خاصته، وأنه يعمل كل ما يعمله الآب لا كأنه أقل منه لكن كمَن له سلطان وربوبية حقيقية وليست غريبة عنه. لأنه في حديثه مع تلاميذه ومع الذين كانوا يتبعونه قال «إِنَّ الْحَصَادَ كَثِيرٌ وَلَكِنَّ الْفَعَلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ»[149]. وفي نفس الوقت الذي يُرجِع فيه للآب تعيين فعلة للحصاد، فهو يكشف عن مَن يكون رب الحصاد وذلك حينما أعطى لتلاميذه امتياز نشر أسرار ملكوته. كما أن البشير لوقا يؤكد أن الحصاد هو له وذلك عندما قال «الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ الْقَمْحَ إِلَى مَخْزَنِهِ»[150]، بالإضافة إلى ذلك فإن الرسول بولس قدّمه على أنه هو رب وإله للمؤمنين عندما كتب قائلاً «الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ»[151]. وأيضًا قال «وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ فَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ»[152]. فحينما يقول أحد القديسين أو عندما نصرخ كلنا لله قائلين «هَذَا صَارَ لِي، لأَنِّي حَفِظْتُ وَصَايَاكَ»[153]. إذًا هل يستطيع الذين هم خاصة الآب أن يكونوا بنفس الكيفيّة

---

[148] يو ١٠: ٢٧-٢٨

[149] لو ١٠: ٢

[150] لو ٣: ١٧

[151] غلا ٥: ٢٤

[152] رو ٨: ٩

[153] مز ١١٩: ٥٦

خاصة المسيح إن لم يكن جوهر الواحد هو نفسه جوهر الآخر؟

**إرميـــــا:** أتفق معك في هذا لأنه يوجد إله واحد ورب واحد، كما أن الألوهة والربوبية هما للجوهر الواحد للآب والابن.

**كيرلس:** إن ما تقوله هو حق. لأن الآب فيه كل ملء الربوبية والمجد كإله، كما أن الابن هو أيضًا رب وإله. فبدون الربوبية لن يكون الآب إلهًا ولا يكون الابن ربًا حقيقيًا إن كان منفصلاً عن الألوهة الحقيقية حسب الطبيعة. ولهذا فإن الطوباوى بولس يربط بين الاسمين في وحدة واحدة، وذلك عندما يقول في إحدى المرَّات: إن الإنجيل هو إنجيل الله الآب وفي مرَّة أخرى يقول إن الإنجيل هو إنجيل المسيح. هل ترغب أن نأتى بشواهد كتابية نثبت بها ما نقول؟

**إرميـــــا:** إنى أرغب جدًا في هذا.

**كيرلس:** يقول «بُولُسُ عَبْدٌ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْمَدْعُوُّ رَسُولاً، الْمُفْرَزُ لإِنْجِيلِ اللهِ»[١٥٤]. وإذ ينسب للابن مجد الله إذ أنه قد وُلِدَ منه وهو كائن فيه ويُدرك دائمًا معه، فإنه يذكر أيضًا «لَكِنَّنَا لَمْ نَسْتَعْمِلْ هَذَا السُّلْطَانَ، بَلْ نَتَحَمَّلُ كُلَّ شَيْءٍ لِئَلاَّ نَجْعَلَ عَائِقاً لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ»[١٥٥]. وأخيرًا فإنه لكى يشير إلى الاسمين أيضًا بسبب وحدتهما في الجوهر فإنه يكتب «وَلَكِنْ بِأَكْثَرِ جَسَارَةٍ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ جُزْئِيّاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ كَمُذَكِّرٍ لَكُمْ بِسَبَبِ النِّعْمَةِ الَّتِي وُهِبَتْ لِي مِنَ اللهِ، حَتَّى أَكُونَ خَادِماً لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ الأُمَمِ، مُبَاشِراً لإِنْجِيلِ اللهِ كَكَاهِنٍ، لِيَكُونَ قُرْبَانُ الأُمَمِ مَقْبُولاً مُقَدَّساً بِالرُّوحِ الْقُدُسِ»[١٥٦]. إذًا فإنجيل الله وإنجيل المسيح هما واحد. وكل ما نستطيع أن نقوله عن الله كإله نقوله عن الابن أيضًا، لأنه لو كان هناك شئ يقف كوسيط بينهما بحيث يجعل الآب والابن غير متساويين لما كان من الممكن أن نقول نفس الأقوال عن كل منهما، أم هل تعتقد يا إرميا أن الأمر ليس هكذا؟

**إرميـــــا:** أنا بالطبع أوافقك فيما تقول.

**كيرلس:** غير أن بعض الشروحات المُضِلّة تشير إلى أن هناك اختلاف بين

---

[١٥٤] رو ١:١

[١٥٥] ١كو١٢:٩

[١٥٦] رو ١٥:١٥-١٦

الآب والابن (من حيث الجوهر) وتبيّن أن الأمور التي نؤمن أنها تخص الله الآب، لا تخص الابن أيضًا. فكيف يمكن أن يكون الإنجيل واحدًا بالنسبة للآب والابن وكيف نفهم ذلك من تفاسيرنا الأصيلة إن لم يكن الابن هو الله حسب الطبيعة؟ ألا يكون هذا تضليلاً للذين يتعلّمون؟ وألا يعطّل ذلك معرفتهم للحقيقة؟

**إرميـــــا:** إن ما تقوله هو حق.

**كيرلس:** فبولس الذي يخدم سّر الله، أى الكرازة بالإيمان به لهؤلاء الذين لم يعرفوها بعد، كيف يستطيع أن يقول إنه خادم للمسيح وأنه مبشّر بالمسيح وهو يجاهد من أجل مجد الله ويدعو نفسه أنه خادم لله؟ لأنه قال «بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخُدَّامِ اللهِ»[157] وفي موضع آخر كتب لآخرين «أَهُمْ خُدَّامُ الْمَسِيحِ؟ أَقُولُ كَمُخْتَلِّ الْعَقْلِ: فَأَنَا أَفْضَلُ.»[158]. فهل يوجد في هذا الكلام ما يفصل بين الآب والابن من حيث وحدة الجوهر؟

**إرميـــــا:** لا أفهم ما تقول.

**كيرلس:** نستطيع بطريقة أخرى أن نبرهن على أنه من غير المقبول ألاّ نؤمن أن الابن هو إله بالطبيعة طالما أن الكتب المقدسة تعلّمنا أن الكنيسة هى كنيسة الله وأيضًا هى كنيسة المسيح. فالطوباوى بولس يكتب لأهل كورنثوس قائلاً: «كُونُوا بِلاَ عَثْرَةٍ لِلْيَهُودِ وَلِلْيُونَانِيِّينَ وَلِكَنِيسَةِ اللهِ»[159]. كما يؤكد أن الابن سيُحضر لنفسه الكنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن. لكن بينما يقول الله على لسان أحد الأنبياء أنه سيسكن وسيسير بيننا فإن المسيح يحلّ في وسطنا. وكما تنبأت عنه النبوات منذ القديم فإنه يعمل بيننا كإله. لأنه وفق ما قد كُتب فإن «وَمُوسَى كَانَ أَمِيناً فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ، شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ. وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَابْنٍ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ»[160].

**إرميـــــا:** إذًا لا يوجد شئ على الاطلاق يمكن أن يعوقنا عن أن نؤمن إيمانًا

---

[157] ٢كو ٦: ٤

[158] ٢كو١١: ٢٣

[159] ١كو١٠: ٣٢

[160] عب٣: ٥-٦

حقيقيًا بأنه طالما أن الابن قد وُلد من جوهر الله الآب ذاته، فلا يمكن أن يُدرَك على أنه مختلف عن الآب من حيث الطبيعة.

**كيرلس**: أصبت يا صديقى لأن الطوباوى بولس رأى أنه من الصواب أن نؤمن بهذا فقال «اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ»[١٦١]. إذًا طالما أن الابن هو في الحقيقة ابن الله الآب، فهل يمكن أن تكون له طبيعة مختلفة عنه؟ وهل يمكن أن نتخيّل وجود أى سبب منطقى يجعل ذلك الذي عرّفته اللغة عينها بأنه ابنه الذاتى أو ابنه الخاص غريبًا عنه من حيث الجوهر؟

**إرميـــــا**: أنا لا أعتقد ذلك.

**كيرلس**: كيف ذلك؟ ألاَ نقول إن مَن دُعوا ليكونوا أبناء الله هم عدد لا يُحصى؟

**إرميـــــا**: بالتأكيد، لأنه مكتوب «أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ، وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ»[١٦٢].

**كيرلس**: فلو تجرأ شخص وأخذ واحدًا أو اثنين من بين هؤلاء ودعاهما ابنين خاصين لله الآب ألا يكون مستحقًا لجزاء مَن يحرّف جمال الحقيقة؟

**إرميـــــا**: أوافق لأن ما تقوله صواب.

**كيرلس**: وإن أردت أن أعرف السبب في أنه بينما كثيرون قد دعوا آلهة وأبناء إلاّ أن تعبير (الابن) «الذاتى» أو «الخاص» ينسب حرفيًا وبالفعل لواحد فقط، فهل تستطيع أن تجاوبنى؟

**إرميـــــا**: سأقول إن هؤلاء بالتأكيد صاروا أبناء بسبب نوالهم عطّية المحبة السماوية بدعوتهم للتبّني بينما الابن ليس كذلك لكنه هو ابن حقيقى وذاتى لله الآب وله نفس الطبيعة التي هى أرفع وأسمى من طبيعة الكل.

**كيرلس**: إن كان الابن هو ابن ذاتى لله فهل يكون ما هو ذاتى لله هو إله، أم هو مخلوق، أم ماذا؟

**إرميـــــا**: هذا أيضًا أمر غير مشكوك فيه بالمرَّة لأن ما هو ذاتى (خاص) في الله هو الألوهة كما أنه بالتأكيد أن ما هو ذاتى في الخليقة هو أنها مخلوقة.

[١٦١] رو ٨:٣٢

[١٦٢] مز ٨٢:٦

**كيرلس**: وأيضًا إن اعتقد شخص ما أن الخليقة أو ما هو مخلوق هو خاص ـ حسب الطبيعة ـ بالله، فإنى أعتقد أن الأمر الأكيد هو أن نتبع طريقة التفكير العكسية، وحينئذ فعندما نقول إن الألوهة تمثل ما هو ذاتى (خاص) بالخليقة، فهذا لا يكون خطأً. غير أننا لا يمكن أن نؤمن بهذا. كما أننا بسبب هذه الأفكار المنحرفة لابد أن نفكر بطريقة سليمة ونؤمن أن الابن هو ابن ذاتى (خاص) لله الآب وهو لا يحصى ضمن مَن نالوا التبنى بل هو إله من إله. كما أنه لا يمكن التفريق أو الفصل بين مَن هم من جنس واحد ونوع واحد في طبيعة طريقة وجودهم ومرتبطين معًا في وحدة كاملة (حسب الجوهر). فمثلاً المفهوم والتعريف الذي يحدّد جوهر الإنسان لا يمكن إلاّ أن يكون واحدًا للجميع. إذًا فالابن ليس إلهًا من طبيعة أخرى غير طبيعة ذلك الذي وَلَده. فهو إله حقيقى طالما دعى ابنًا ذاتيًا (خاصًا) لله الحقيقى حسب الطبيعة. وهو يختلف بالتأكيد عن كل هؤلاء الذين صاروا أبناء بالتبّني كما أن له نفس المجد الحقيقى الذي لله.

**إرميــــــا**: بالصواب تتكّلم.

### رأس كل رجل هو المسيح ... ورأس المسيح هو الله:

**كيرلس**: وهناك شاهد آخر من الكتاب المقدس يشدّد على وحدة الجوهر بين الآب والابن لأن بولس الرسول يقول: «رَأسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ. وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ. وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهِ»[١٦٣]. لأنى أعتقد انه يقصد بهذه الآية أن يوضّح وحدة الجوهر وأن الابن قد وُلد بالحقيقة من نفس هذا الجوهر.

**إرميــــــا**: ماذا تقصد؟

**كيرلس**: هل تعتقد أنه يجب أن نفحص بالتدقيق هذه الآية؟ قل لى ما الذي لم تفهمه أو ما الذي يبدو لك غريبًا في هذه الآية.

**إرميــــــا**: نعم، يقولون، إن هذا الكلام يجرّد الابن من أن يكون واحدًا مع الله الآب.

---

[١٦٣] ١ كو ٣:١١

كيرلس: كيف، هل تستطيع أن تجاوبنى؟

إرميـــــا: بالتأكيد، هم يقولون إن كان الرجل هو رأس المرأة - بسبب أن له نفس طبيعتها وجوهرها - مع أنه يعتبر أنه يفوقها لأن الرأس هو عضو مكرّم جدًا وأعظم أعضاء الجسد - ورأس الرجل هو المسيح، الأمر الذي يعنى أن هناك (تطابق) تشابه بين طبيعته وطبيعة المخلوقات مثلما أن طبيعة الرجل والمرأة هى واحدة. إذًا كيف يمكن أن يقال عن الابن أنه هو الله وبالحرى إله حقيقى أو كيف يمكن أن يكون واحدًا مع الآب في الجوهر طالما أنه يحسب من بين المخلوقات حتى ولو كان له مكانة الرأس في الجسد، لأنهم يقولون إنه متفوق على البشر من حيث الكرامة؟

كيرلس: يا لها من مقدرة فَعليّة على التفوه بكلام غير لائق!! يا له من حديث عنيف وهجومى ومزيّف ذلك الذي يتحدَّث به أعداؤنا!! لأنهم يجدّفون تجديفًا واضحًا لأنهم يدّعون أن الابن هو مخلوق بواسطة الله الآب. غير أننا سنتحَّدث عن ذلك الأمر في الوقت المناسب وسنتناوله بالبحث من جهة الفكر واللغة. غير أنى أتعجب كثيرًا لأمر سأذكره الآن لأن هؤلاء الجهلاء قد وقعوا في خطأ وبدرجة ليست أقل من المرَّات السابقة، من جهة التفكير السليم. لأنه يقال عن المسيح أنه هو رأس الرجل بسبب الارتباط الناتج عن العلاقة الطبيعية (معنا) ونحن لا ننكر ذلك لأنه صحيح ومؤكد. فطالما أن الله هو رأس المسيح، فما هو الأمر الذي يعترضنا، أيها الكرام أو ماذا يمنعنا من أن نفكر أنه طالما أن الابن هو من نفس جوهر المخلوقات لأنه يدعى رأس الرجل، أن نتجرأ بأن نحصى الآب أيضًا من ضمن المخلوقات طالما أنه يُدعى رأس الابن حيث إن الابن هو مخلوق ومصنوع حسب ما تقولون؟ لأنه من الواضح أنهم يعتقدون أن ما يهذون به هو كلام حسن بغير عيب، غير أنى أعتقد أن ثقل تجديفهم قد أضناهم ومع ما يبدون من قسوة إلاّ أنهم يتبعون طرقًا طفولية في التعامل مع أمور هامة كهذه.

إذًا فمع رفضنا وتركنا لهذه الأمور وإلقائها في البحر، هيًّا بنا نفكر فيما ينبغى أن نفكر فيه. فنحن نقول بالفعل، إن الرجل هو رأس المرأة لأن المرأة

خُلقتْ في البدء من جنبه وعلى صورته كما خلق هو على صورة الله كما جاء في الكتب. كما أننا تعلّمنا أن رأس الرجل هو المسيح، الذي هو الأصل الثانى للجنس البشرى وبكر البشرّية التي تقدسّت بالروح فنالت عدم الموت ولهذا السبب عينه يُدعى المسيح آدم الثانى. ونحن نقبل بل ونؤمن أن رأس المسيح هو الآب لأنه مساوٍ له في الجوهر ومتحد معه حسب الطبيعة. ولهذا يُدرَك على أنه هو الله مع أنه ظهر في الجسد وصار كواحد منًّا. والمسيح ليس إلهًا فقط وليس إنسانًا فقط، بل أنه - حسب التدبير - قد وحّد في شخصه طبيعتين مختلفتين هما اللاهوتية والناسوتية في إتحاد لا يدركه العقل ولا يدنى منه ولا يُعبر عنه باللسان. لأن المسيح هو إله وإنسان معًا، فالآب السماوى هو مصدر (نبع) وأصل أقنومه وهو كائن معه وأزلىٌ معه بدون أن يكون الآب سابقًا على الابن زمنيًا - طالما أن الرأس (الآب) كائن مع مَن دُعى رأسًا (الابن)، ومن جهة أخرى فالمسيح مرتبط معنا من حيث طبيعته البشرية. فعندما نقول إن الله هو رأس المسيح وهو كذلك بدون شك، كيف لا يكون إلهًا ذلك الذي أصله هو الألوهة الحقيقية وله نفس جوهر مَنْ وَلَده؟ لأنه لابد أن ندرك أن الرأس هى من نفس طبيعة باقى الجسد. لكن إن كانوا يعتقدون أن **الكلمة** الذي وُلِدَ من الله الآب لابد أن يخرج خارج نطاق الألوهة ويحسب ضمن المخلوقات فليسمعوا جيدًا هذا القول «اِجْعَلُوا الشَّجَرَةَ جَيِّدَةً وَثَمَرَهَا جَيِّداً، أَوِ اجْعَلُوا الشَّجَرَةَ رَدِيَّةً وَثَمَرَهَا رَدِيّاً، لأَنْ مِنَ الثَّمَرِ تُعْرَفُ الشَّجَرَةُ»[١٦٤].

**إرميـــــا:** لقد كان شرحك وافيًا.

**كيرلس:** إن الدليل الواضح على حماقتهم التي فاقت كل حدود، أنهم يعجبون بالشجرة لأنها جيدة وأصيلة بينما يصنّفون الثمرة بأنها من طبيعة أخرى. فالإله يَلِدْ بالضرورة إلهًا. أم سنقول إن الأمر ليس كذلك؟

**إرميـــــا:** أنا على الأقل أوافقك فيما تقول.

---

[١٦٤] مت ١٢:٣٣

## رائحة المسيح الذكيّة فينا هى شهادة لألوهيته:

**كيرلس**: وكيف لا يكون إلهًا وبالحرى إلهًا حقيقيًا مَن بواسطته، وبواسطته وحده يستطيع المرء أن يعرف أن الآب هو إله حق حسب الطبيعة؟ لأن بولس الرسول يكتب لهؤلاء الذين آمنوا «وَلَكِنْ شُكْراً لِلَّهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلَّهِ »[١٦٥]. فعندما تظهر رائحة الله الآب الذكيّة من خلال المسيح، وتصبح معروفة بواسطته، كيف تشك في أن هذا يجب أن يحدث؟ لأنه في المروج والبساتين تنمو الأشجار والزهور في مواسمها، كأشجار التفاح مثلاً وزهور السوسن. إذًا يا صديقى هل من الممكن أن يكون لثمار التفاح ـ وبطريقة طبيعية ـ رائحة السوسن أو أن يُغيّر التفاح رائحته لرائحة زهور السوسن أو عنهما يُنزع إلى الأبد ما يميّز كل منهما؟

**إرميـــــا**: لا يمكن أن يتم هذا بأى طريقة لأنه ستفيح من كل منهما رائحته.

**كيرلس**: إذًا فكيف يقدر المسيح أن يكون هو رائحة المعرفة الحقيقية لله الآب ولا يُصدَّق أنه صَدَر من الألوهة الحقيقية؟ لأنه قد ثبت أن كل واحد يُعطى ما هو حسب طبيعته، وكيف يمكن لرائحة الألوهة حسب الطبيعة أن تُعطى بواسطة مخلوق له طبيعة مختلفة عن طبيعة الله؟ كما أنه لا يمكن للمرء العاقل أن يصدّق أن رائحة الألوهة توجد في طبيعة المخلوقات لأن هذا سيكون فكرًا أحمقًا. وهكذا فإننا لا نستطيع أن ننسب إلى الألوهة الفائقة غير المولودة أنها ستأتى لنا بابن ذو طبيعة مختلفة عنها، عوضًا عن ابن فيه رائحة الألوهة الفائقة. لأن الابن الوحيد وُلِدَ ـ بطريقة لا يُعبَر عنها ـ من جوهر الله الآب. ولهذا فإن كنيسة الأمم تناديه كعريس قائلة «اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ، لِذَلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى...»[١٦٦] كما أننا أيضًا عن طريقه وبواسطته قد قَبِلنا ونلنا رائحة معرفة الآب.

**إرميـــــا**: أتفق معك لأنه واضح أنك تتكّلم وتفكر بالصواب.

[١٦٥] ٢كو٢: ١٤-١٥

[١٦٦] نش ١: ٣

**كيرلس:** وبطريقة أخرى يمكن أن نبرهن على أن الابن هو الله وأنه وُلِدَ من الله مع أنه يمكننا أن نتوقف عن الحديث هنا.

**إرميـــــا:** بأى طريقة تقصد؟

**كيرلس:** قل لى هل من اللائق أن أى كائن من الكائنات يمكن أن يوزع كل ما تملك الطبيعة الإلهية وحدها أن تهبه؟

**إرميـــــا:** ليس من اللائق إطلاقًا.

**كيرلس:** بالتالى فمن الطبيعي أن مَن له القدرة على إتمام هذا العمل، أن يكون في العلا، في قمة درجات المجد اللائق بالله؟

**إرميـــــا:** وكيف لا يكون هكذا؟

**كيرلس:** إن السلام هو عطيَّة إلهية وهبة سماوية ويأتى إلينا بتفضّل من الله كما يصرخ إشعياء النبى قائلاً «يَا رَبُّ، تَجْعَلُ لَنَا سَلاَماً، لأَنَّكَ كُلَّ أَعْمَالِنَا صَنَعْتَهَا لَنَا. أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُنَا، قَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْنَا سَادَةٌ سِوَاكَ. بِكَ وَحْدَكَ نَذْكُرُ اسْمَكَ.»[١٦٧].

**إرميـــــا:** بالفعل هذا ممكن.

**كيرلس:** إذًا فالسلام هو ثمرة فعل سماوى وهو عطية بالفعل كما قلت سابقًا لا يهبه أى كائن مخلوق بل فقط الله حسب الطبيعة .. ولهذا فإن إشعياء قد قال بأنه يعرف الله وحده ولا يعرف آخر سواه.

**إرميـــــا:** هذا حقيقى.

**كيرلس:** انتبه إذًا، إن **الكلمة** المولود من الآب هو الضابط للكل، وهو المانح لما يعطيه الله الآب لنا. لأنه قال لتلاميذه القديسين «سلاَماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سلاَمِي أُعْطِيكُم»[١٦٨]. وقال إن هذا السلام هو سلامه لأنه بالفعل هو سلام يُعطى من الله وحده وليس بأى طريقة أخرى. كما أن بولس الطوباوى يقول «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»[١٦٩]. فقل لىّ إذًا: ذاك الذي هو مع الله الآب، يهب ويُعطى ويأتى بنفس المجد غير المتغيّر والعظمة، كيف يكون من

[١٦٧] اش ٢٦: ١٢-١٣

[١٦٨] يو ١٤: ٢٧

[١٦٩] رو ١: ٧

الممكن أن ينقص عنه في المجد، أو كيف لا يكون مساويًا ومشابهًا في كل شئ لذلك الذي وَلَده؟

**إرميـــــا:** صحيح.

**كيرلس:** تعال لنفحص أمرًا آخرً.

**إرميـــــا:** ما هو؟

**كيرلس:** ألا ترى أنه إن تبعنا تعاليم القديسين فإنه من المؤكد أن وصولنا إلى الحقيقة سيكون أسهل وسيقودنا هذا إلى ما يسّر الله وإلى معرفة ما أُوحى به عن الابن بواسطة الروح القدس؟

**إرميـــــا:** ماذا يعنى هذا؟

**كيرلس:** يعنى أن الابن هو الله بالحقيقة حسب الطبيعة. ولهذا فإن المطوّب بولس قد قال عن الله الآب: «اَللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ، يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَكْذِبُ.»[١٧٠]. وبعد ذلك مباشرةً يكرّم الابن ويمجّده بنفس الكلام وبدون أى تردد لأنه يعرف أنه هو الله الحقيقى حسب الطبيعة فيقول لليهود: «فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُوماً مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ، الَّذِينَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ وَلَهُمُ التَّبَنِّي وَالْمَجْدُ وَالْعُهُودُ وَالاشْتِرَاعُ وَالْعِبَادَةُ وَالْمَوَاعِيدُ، وَلَهُمُ الآبَاءُ، وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ، **الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلَهاً مُبَارَكاً إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ»**[١٧١].

---

[١٧٠] ٢كو ١١: ٣١

[١٧١] رو ٩: ٣-٥

# الحوار الرابع

## «في أنَّ الابن غير مخلوق وغير مصنوع»

**براهين تثبت الولادة حسب الطبيعة للابن «وحيد الجنس»[1]:**

كيرلس: فإن كان هو الله، وقد وُلِدَ بطريقة لا تُوصف من الله الآب، فهل من الممكن لشخص ما ألاّ يَضَعَهُ في مرتبة الابن حسب الطبيعة، وأيضًا يدعوه مخلوقًا أو مصنوعًا، ولا يُحكَم على هذا الشخص بعقوبة مَنْ اعتادوا أن يعوقوا مجد الله؟ في الوقت الذي تقول فيه الكتب المقدّسة المُوحى بها إن «كُلُّ مَنْ سَبَّ إِلَهَهُ يَحْمِلُ خَطِيَّتَهُ. وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْماً. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الاسْمِ يُقْتَلُ.»[2]!

إرميا: إني أعتقد أنه لن يقدر هذا الشخص أن يهرب من تلك العقوبة التي يستحقها.

كيرلس: وبالتالي فمن الأفضل جدًا يا إرميا ألاّ نعتاد أن نرتعب من لغو الآخرين لأنهم يَعرضون علينا فكرًا لا قيمة له، بل أن يكون قانون إيماننا[3] متفقًا مع أقوال الآباء مُعلّمي اللاهوت[4]؛ لأنه يليق بنا وليس بآخرين، وبالحري بهؤلاء الآباء، أن نصفهم ونقول: «لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ.»[5].

---

[1] العناوين الجانبية من وضع المترجم.

[2] لاو٢٤: ١٥. ١٦.

[3] اهتم ق. كيرلس بشرح قانون الإيمان. انظر رسائل ق. كيرلس: ترجمه د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية يونيو ١٩٩٧. ج٤ رسالة ٥٥ ص٢٦.

[4] سبق أن أشار ق. كيرلس في حوارته السابقة إلى أهمية الإعتماد والرجوع إلى قانون الإيمان وتعاليم الآباء مُعلّمي اللاهوت انظر ص ٢٩، هامش رقم ٢٠ ص ٩٦.

[5] مت١٠: ٢٠ هنا يكرر ق. كيرلس ما قد سبق وأكد عليه من ضرورة التمسك بتعاليم الآباء إذ فيها الكفاية، ومن الملاحظ أيضًا أنه استخدم نفس هذه الآية (مت١٠: ٢٠) فيقول: "لأننا نجد كفايتنا فيما كتبه الآباء القديسون، لأن مَنْ يقدر أن يتعرّف بحكمة على الآباء ويستعمل كتاباتهم بالحرص الواجب فسوف يسكن النور الإلهي في عقله، لأنه حسب الكلام المخلّص «لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ» انظر حوار حول الثالوث ج١ ص١٩.

**إرميـــــا**: بالصواب تتكلّم.

**كيرلس**: إذًا لقد تَعلّم هؤلاء (الآباء) ألاّ يَسجدوا للابن الوحيد كلمة الله على أنه مخلوق - بمعنى أنه قد خُلِقَ - لكنهم يَشهدون أنه هو ثمرة جوهر الآب[6]، وهو كائن معه أزليًا ويُسمّونه ابن الله الحقيقي وأيضًا يسمونه الحياة الأبدية، والواقع أن يوحنا اللاهوتي يقول «وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ. وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هَذَا هُوَ الإِلَهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.»[7].

لكن يا صديقي، لو حاولنا مناقشة ما يَدعيه الهراطقة أن الابن - مع كونه الإله الحقيقي والحياة الأبدية - كان أيضًا مخلوقًا ومصنوعًا في الوقت الذي لم ينفصل عن الطبيعة الممّجدة؛ فهل لا يكون هذا سببًا لأن تُلصق هذه التهمة عينها بجوهر الآب لأنه ليس هناك ما يمنع وجود هذا الإتهام؟

**إرميـــــا**: وكيف ذلك ؟

**كيرلس**: ألا يُسمَى هو أيضًا إلهًا حقيقيًا، وكيف لا يُحيي كل الأشياء طالما أنه بطبيعته هو الحياة لأنه حسبما يقول لنا مُتكّلم حكيم «لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ»[8]؟

**إرميـــــا**: نعم، كلامك حق.

**كيرلس**: إذا صح هذا القول، فإن نفس الإتهام غير اللائق سَيَطال الآب أيضًا، وسَيُدَّعي عليه أنه مخلوق، لأنه هكذا لن يوجد شيء يمنع الآب من أن يُحسب ضمن المخلوقات، طالما أن الإلوهة الحقيقية تأثرت بكون الابن (على حسب قولهم) من ضمن المخلوقات، ولا أيضًا يوجد شيء يمنع الحياة الأبدية، من أن تَكُف عن أن تكون حياه، بل تكون مختلطة بالمخلوقات الأخرى، مثلما لو كانت مضطرة أن تكون مرتبطة بزمن محددّ؛ لأن كل ما هو مخلوق ليس هو خارج الزمن أو أعظم من الزمن.

[6] كثيرًا ما يكررّ ق. كيرلس مصطلح أن الابن هو من جوهر الآب متبعًا في ذلك تعاليم ق. أثناسيوس ونص مجمع نيقية ٣٢٥م. انظر ق. أثناسيوس: المقالة الأولى ضد الأريوسيين عربها عن اليونانية أ.صموئيل كامل عبد السيد ود. عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، طبعة ثالثة ٢٠٠٢ فصل ٥٨ ص١٣٥. لقد ورد هذا التعبير عدة مرّات (ص١٠، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٢١، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٦٧، ٧١، ٧٠، ٧٢). وأيضًا الرسالة ١٧ من رسائله. انظر رسائل ق. كيرلس. الجزء الأول، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ص١٥.

[7] ١يو٥ : ٢٠.٢١.

[8] أع ١٧ : ٢٨.

إرميـــــا: إن كلامهم هذا، الخالي من كل تقوى، أمر خطير جدًا.

كيرلس: غير أن تَجَنُّب هذا الكلام لأمْرُ سهلُ، فيمكن لهؤلاء الذين يرغبون أن يبتعدوا بسهولة ويطردوا عنهم كلام المعارضين المُفسِد والمُهلِك، أن يثقوا ـ بكل تقوي ـ في الغلبة باستخدام أقوال القديسين؛ لأن الآباء الرُسل لم يكرزوا إطلاقًا بأن الله هو خالق الابن الوحيد، بل الآب الذي وَلَدَه، وهؤلاء الآباء هم الذين كانوا نورًا للعالم، وقد استمدوا نورهم من ذلك الذي له نفس طبيعة الله الآب؛ أعني أنهم استمدوا نورهم من المسيح، وذلك لأنه قال لهم مرّة «أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ»[٩]، وقد جعلهم مُعلّمين ثابتين وحقيقيين، لأنه قال لهم: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.»[١٠]. فحيث يكون الآب

[٩] مت ٥: ١٤. إن عمل الابن فينا يشهد لإلوهيته؛ ولهذا فالآباء الرسل قد استمدوا نورهم من المسيح الذي هو النور الحقيقي وصاروا نورًا للعالم حسب وصيته المقدسة، ولقد سبق وأن استخدم ق. كيرلس آيات كثيرة من العهد الجديد لتوضيح هذا التعليم. انظر: المقدمه، ص٤٩م ـ ٦٤م. وفي موضع أخر يستخدم ق. كيرلس نفس هذه الآية (مت ٥: ١٤) في سياق تعليقه على قول الرب لموسى: «أوصي بني إسرائيل أن يقدموا إليك زيت زيتون مرضوض نقيًا للضوء لإيقاد السُرج دائمًا» (لا ٢٤: ٢.١). فيقول: { النور داخل الكنائس دائمًا ما يكون نقيًا وأصيلاً، ونور المسيح بواسطة الروح القدس، يظل ظاهرًا ومنيرًا حتى وإن كان يُخدَم بواسطة القديسين الذين قال لهم المسيح «أنتم نور العالم» }، ويعطي تفسيرًا لذلك مكملاً قوله { ليس ذلك غريبًا على الإطلاق لأن أولئك دعاهم أخوة، وجعلهم مشاركين ذاته ومنح لهم مجده }. أنظر السجود والعبادة، المرجع السابق، المقالة العاشرة، ص ٣٥٩.

[١٠] مت٢٨: ١٩. في موضع آخر يرى ق. كيرلس أن هذا الإيمان الثالوثي والذي على أساسه تتم المعمودية هو بمثابة تأسيس للكنيسة ويقصد «الإيمان الذي أستلمناه من المعلّمين القديسين والتعليم الذي كرزوا به أي الإيمان بالمسيح والإتحاد بالله بواسطة المعمودية وشركة الروح القدس» انظر السجود والعبادة بالروح والحق، المرجع السابق، ج٦، ص١٤. ويشدّد الآباء على أن الكنيسة في ممارستها لسر المعمودية باسم الثالوث، تعكس إيمانها بحقيقة ألوهية الأقانيم الثلاثة وهو إيمانها الواحد والذي على أساسه تُجرى المعمودية الواحدة والتي يسميها ق. أثناسيوس «طقس التكميل» والذي يتم به الإنضمام إلى الكنيسة ويقول: [هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة لأن الرب أسسها وأصلّها في الثالوث حينما قال لتلاميذه: «اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ»] الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون الرسالة الثالثة، فقرة: ٦. أيضًا يقول «فألوهة الثالوث واحدة ولإيمان واحد توجد معمودية واحدة تعطى فيه وواحد هو التكميل». الرسالة الثالثة إلى سرابيون عن الروح القدس، المرجع السابق فقرة: ٧، والجدير بالذكر أن ق. أثناسيوس في محاربته لأفكار الأريوسيين الذين أنكروا ألوهية الابن كان قد حذّرهم من عدم جدوى سرَّ التكميل أي المعمودية لأنهم ينكرون الابن وبالتالي ينكرون ألوهية الآب فيقول: [أما هؤلاء الأريوسيون فإنهم يخاطرون بفقدان إتمام السر وأعني به المعمودية لأنه إن كان إتمام السر يعطى باسم الآب والابن وهم لا يقرون بأي حقيقة بسبب إنكارهم للابن الذي هو منه، الذي هو مثله في الجوهر، منكرين الابن الحقيقي ويسمون لأنفسهم ابنا آخر... ألاّ يكون طقس المعمودية الذي يتممونه فارغًا تمامًا وعديم الجدوى، إذ أن له مظهر خارجي، أما في الحقيقة فإنه ليس له شيء يعين على التقوى. لأن الآريوسـيين لا يعمدّون باسم الآب والابن، بل باسم خالق ومخلوق... فليس مَن يقول ببساطة «يارب» هو الذي يُعطى المعمودية بل هو ذلك الذي مع الاسم الذي يدعوه، عنده أيضًا إيمان مستقيم... ومع الإيمان المستقيم يأتي إتمام المعمودية] المقالة الثانية ضد الآريوسيين٢ ٤، كما أنه يستخدم نفس هذا التوجه الإيماني في محاربته لأفكار «المحرفون» الذين أنكروا ألوهية الروح القدس فيقول: [إن التكميل (المعمودية) الذين تحسبون أنكم تمارسونه ليس إنضمامًا تامًا إلى اللاهوت لأنكم تمزجون المخلوق باللاهوت وتضعون الخليقة مع الله، الذي خلقها بكلمته الذاتي... فمن هو الذي يوحّدكم بالله إن لم يكن لكم روح الله بل الروح الذي من الخليقة؟. لأنه إن كان الروح كما تقولون. هو ملاك ومخلوق وفي نفس الوقت يحسب مع الثالوث، إذًا يكون ضروريًا، ليس لواحد فقط من الملائكة الذين خلقوا، ان يحسبوا مع اللاهوت، وبذلك لا يعود هناك فيما بعد=

الحقيقي والولادة الحقيقية، والابن الذي هو ابن من أبيه حسب الطبيعة وليس ابنًا بالتبني[11]؛ هل يمكن أن يكون هناك مكانًا لتخاريفهم وقولهم إن الابن مخلوق؟!

**إرميـــــا:** لا يوجد مكان لها بالمرّة، على الأقل كما أعتقد أنا.

**كيرلس:** ربما يصل بعض هؤلاء الذين يهتمون بالبحث عن ما هو صحيح بصفة عامة، إلى ذلك الحدّ من الفكر غير المُتَدَرِّب، ويعتقدون أننا نهتمّ بعملية الولادة أكثر من اهتمامنا بجوهر الله الآب، وهم يَحْمَرُّون خجلاً من عدم المعرفة، معتقدين أن جوهر الله ربما يتأثر بالتغيّرات غير الإرادية ويخضع للحاجات الجسَّدية؛ لأن بعض المخبولين يُقسّمون جوهر الله[12]، وطريقة الولادة، وَيظْهُرون

---

= ثالوث بل عدد لا يحصى في اللاهوت. وهكذا فإن طقس الإنضمام (المعمودية) الذي نكرر أنه يظهر أنه طقسكم، هو منقسم بين هنا وهناك وصار غير أكيد بسبب تقلبه] الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون، المرجع السابق: الرسالة الأولى فقرة: ٢٩. ويتابع ق. أثناسيوس تعليمه عن الإيمان بالثالوث الواحد وعلاقته بالمعمودية على اسم الثالوث فيقول: [لأنه كما أن الإيمان بالثالوث. المسلّم إلينا. يجعلنا متحدين بالله، وكما أن ذلك الذي يستبعد أحد أقانيم الثالوث ويعتمد باسم الآب وحده، أو باسم الابن وحده أو باسم الآب والابن بدون الروح القدس، لا ينال شيئًا بل يظل غير فعّال وغير مكتمل، هو نفسه وذلك الذي يفترض أنه ضمه (بالمعمودية)، مِثْله مِثْل الذي يفصل الابن عن الآب، أو من ينزل الروح إلى مستوى المخلوقات، فليس له الآب ولا الابن بل هو بدون إله، وهو أشر من غير المؤمن، ويمكن أن يكون أي شيء إلاّ أن يكون مسيحيًا لأن كما أن المعمودية التي تعطى الآب والابن والروح هي واحدة فإنه الإيمان بالثالوث هو واحد] المرجع السابق، الرسالة الأولى: ٣٠.

[11] ويشدّد ق. كيرلس على أن علاقة الابن بالآب هي علاقة حسب الطبيعة وقد سبق وأن تعرّض لهذه النقطة الجوهرية من قبل. انظر شاهد رقم ١٠ ص ٩٤.

[12] وإن ما يَدَّعيه الهراطقة بقولهم إن جوهر الله يمكن تقسيمه معناه أَنَّ طبيعة الله ليست طبيعة بسيطة بل هي مُرَكَّبة إذ أن التركيب هو بداية الانقسام. ولقد سبق أن تعرّض ق. كيرلس في كتاباته الأخرى لشرح هذا الأمر، فقد وصف طبيعة الله إنها [طبيعة بسيطة]وأنها [غير مُرَكَّبة] ص١٠٩. وفي موضع آخر يعطى نفس هذا الوصف بأَنَّ: [الجوهر الإلهي بسيط وغير مُرَكَّب] وذلك في سياق رده الذي يوضح أن الابن هو كلمة الله الآب فيقول: [نحن نؤمن بأن الثالوث القدوس، المسجود له، جوهر واحد رغم جنون الهراطقة الذي يمنعهم من الإيمان. ووحدة الجوهر تفترض وجود مساواة في الخصائص الطبيعية بين الأقانيم]. فإذا عُدْنا إلى افتراض الهراطقة الذي يَتَوَهَّم وجود كلمة في الآب غير الابن **الكلمة**، فإن المساواة تفترض أيضًا وجود **كلمة** ذاتي في الابن طالما أن الابن مثل الآب في كل شيء وهو صورة جوهره ورسم أقنومه (عب١: ٣). وأيضًا الروح القدس فيه **كلمة** ذاتي طالما أن الروح القدس مساوٍ للآب والابن، وهذا يعني أن الثالوث صار سُداسيًا وأصبحت الطبيعة الإلهية مُرَكَّبة، وهذا مستحيل؛ فالجوهر بسيطٌ غير مُرَكَّب، لا يوجد فيه إلّا ثلاثة أقانيم ولا يوجد وسيط بين كل أقنوم وآخر، بل هو جوهر واحد للثالوث القدوس لا اختلاط فيه بين الأقانيم». انظر: شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، المجلد الأول ٢٠٠٩م ص ٧٦ . وأيضًا يذكر أن الله بسـيط في طبيعته وغير مركب بينما نحن نملك طبيعة مركبة» انظر هامش رقم ٥٤ ص١٠٥. وفي موضع آخر يقول «الطبيعة الإلهية غير المائته، طبيعة بسيطة غير مركبة» أُلوهية الروح القدس. ترجمة د. سعيد حكيم المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية مايو ٢٠٠٧ ص١٧. ومن الجدير أن ق. أثناسيوس قد سبق وأوضح أن ولادة الابن من جوهر الآب لا تعنى تقسيمًا لجوهر الله فيقول: «إن الولادة ليست بضعف (بتغيير) ولا بتقسيم لذلك الجوهر المبارك. وليس كفرًا (الإيمان) أن يكون لله ولد، مولود من ذات جوهره وحينما نقول إنه «ابن» و «مولود» فلا يعني هذا تغييرًا ولا تقسيمًا لجوهر الله «المقالة الأولى ضد الآريوسيين: ترجمة أ. صموئيل كامل ود. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. الفصل الخامس فقرة: ١٦. الطبعة الثانية ٢٠٠٢ ص٦٢،٦٣.

---

وبهذا يؤكدون أنهم أصبحوا في هلاك محقّق. فعندما يقال عن طبيعة الله، غير الموصوفه، والتي تفوق كل عقل، أنها تَلِد؛ فهؤلاء يَعتقدون أنَّها تتأثر بعملية الولادة هذه، وهم في هذا يَجهلون تمامًا ماهية الطبيعة غير الجسديّة، وماهية طبيعة الأجسام، وما هي التغيّرات التي تعانيها الأجساد؛ لأن ما لا جسم له هو غير قابل للتقسيم على الإطلاق، بمَعْنَى أنه غير قابل للاشتقاق والتجزيء الذي يتناسب مع طبيعة الأشياء الماديّة الملموسة، وأيضًا هو غير ممكن أن يتأثر بأي شيء من هذه الأشياء.

إذًا عندما يُقال عن الله أنه «وَلَدَ» فيجب أن يُرفض أيَّ شك في أن الله يعتريه تغيرٌ، بل أن يسود الفكر الذي يعطي طبيعة الله ما يليق بها؛ لأن الله لا يَلِد كما نَلِد نحن، بل يَلِد بالطريقة التي تناسبه.

إذًا ما يفكر فيه ويستند إليه هؤلاء المعاندون، هو نوع من السَّفْسَطَة التي لا معنى لها؛ لأنهم وهم يَتظاهرون بأنهم يخَشون من أنه ربما يُصيبُ طبيعة الآب شيء نتيجة الولادة، فإنهم يَحرمونها كرامة عظيمة جدًا (أي كرامة عدم التغيّر)، لأني أعتقد أن كل حديث يتصف بالحكمة لابد أن يقنعنا أنه يجب أن يمُجد الله الآب بسبب أنه وَلَدَ، لا بسبب أنه خَلَق، الابن الوحيد[١٣]. لأنه بهذه الطريقة يُمجّد أكثر ويُعدّ من بين هؤلاء الذين لهم مكانة ربوّبية (أي مع الابن والروح القدس)، حيث إنَّه يعلو ـ بما لا يقارن ـ عنا نحن البشر وأيضًا لأنه يجعل الإنسان في وضع أكثر علوًا مما هو فيه.

غير أنَّه إن كان الله خالقًا ويقدر أن يخلق، بينما في الوقت نفسه لا يَلِدُ، فإني أرتعب من أن أقول شيئًا لا يَليقُ به ومشكوكًا فيه، ومع ذلك فسوف أقوله مع أني لا أرغب في ذلك كثيرًا، وهو إن كان الأمر هكذا، فإن الطبيعة الإلهية قد ابتعدت بالفعل عمّا هو أفضل وأوضح، لأنه بينما يظهر أن للطبيعة المخلوقة إمكانيات متعددّة ومَقدَره على أن تُشكّل مناظر طبيعية فنيّة، مع

[١٣] سبق ان أشار القديس كيرلس إلى هذه النقطة الهامة في حواره الثاني. انظر: ص٤٤، وهذا هو إيمان الكنيسة الذي سبق وأن دافع عنه ق. أثناسيوس ضد الآريوسيين الذين أنكروا ألوهية الابن ونادوا بأنه ضمن المخلوقات، فلقد بيّن أن الابن ليس ضمن المخلوقات التي خلقها الآب بل أنه غير مخلوق وأنه المولود الوحيد لله الآب والواحد معه في الجوهر وإنه [من الأجدى من جهه التقوى والدقة أن نستدل على الله من الابن وندعوه «الآب» على أن نشير إلى الله فقط وندعوه «غير المخلوق]. ضد الآريوسيين١: ٣٤ وهو بهذه العبارة يعكس تأكيد مجمع نيقية على مركزية «علاقة الآب بالابن» في الإيمان كله واسبقيتها على علاقة الخالق بالمخلوق والتي يجب أن تُفْهَم في ضوء علاقة الآب بالابن وليس العكس.

مقدرتها على الولادة، الأمر الذي يعطيها عظمة، نجد أن الطبيعة الإلهية لا تتمتع بهذه المقدرة، وهذا أمر مرعب!

**إرميـــــا**: إنك تتكلّم كلامًا حسنًا.

**كيرلس**: إذًا يا إرميا، فإن الابن، حسب ما نؤمن، هو وَليد حقيقي لجوهر الله، وليس نتاجًا لحكمة وثمرًا لصنعةٍ لأننا نقول عن الخليقة كلها إنها خُلقت بهذه الطريقة.

**إرميـــــا**: بالفعل.

**كيرلس**: ولهذا فالحكيم يوحنا يواجه كل الأكاذيب ويقول بكل وضوح: «وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ»[14]. ويُقلِّد (القديس يوحنا) كل من يؤمن بذلك أرفع الأوسمة فيكتب أيضًا: «مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلاَّ الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ؟!»[15] وبالإضافة إلى هذا يا صديقي فإن الابن نفسه يُوَضِّح ويشدِّد على محبة الله الآب لنا لأنه يقول: «لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.»[16]

ومع ذلك، فإن لم يكن هناك ابن، فلماذا حرص يوحنا على أن تكون غاية كتاباته هو أنه يجب أن نعترف أن **الكلمة** الذي تجسَّد هو بالحقيقة ابن الله؟ وكيف يغلب العالم[17] كله مَنْ لا يقبل الإيمان أن الابن مخلوق؟! وكيف يُكافأ بمثل هذه المكافأة، أي غلبة العالم، مَنْ له مثل هذه الأفكار الخاطئة؟!

فلولا الخطر لقُلنا إنَّ الله يُكرِّم ويقبل هؤلاء الذين يؤمنون بإيمان خاطئ ويُكافئ بعضهم بعطايا إلهية، فإني سأقول - ومعي كل الحق - إنه يجب أن يُكرِّم وبكل الطرق مَنْ يؤمنون - في ضلال - أن الوحيد الجنس ليس ابنًا

[14] يو٢٠: ٣٠-٣١.

[15] ١يو٥: ٥.

[16] يو٣: ١٦.

[17] «وَهَذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا. مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلَّا الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ؟» (١يو٥: ٤-٥).

لكنه مخلوق ومصنوع، حتى ولو قيل عنه إنه وُلد ودُعيَ ابنًا بواسطة الآب نفسه والروح القدس. وعلى عكس ذلك، سيكون من غير اللائق أن نقول هكذا، ومن غير التقوى أن نفكر مثل هذا الفكر؛ لأن الله يُكافئ الذين يحبون ويؤمنون بالحق، أي بالابن الحقيقي وليس بمَنْ هو مصنوع، لأن الإيمان أنه مخلوق هو إيمان مريض وغير منطقي، ولهذا فإن الآباء الرُسل قد وصفوا القديس بطرس أنه مُطوَّب، ففي الحقيقة، عندما سأله المخلِّص، عندما كان في قيصرية فيلبس: مَنْ يقول الناس عن ابن الإنسان وأي آراء تُقال وتنتشر عنه في بلاد اليهودية. حينئذ ترك بطرس كل ما يقال من سخافات عن ابن الإنسان، وقال بكل حكمة ومعرفة: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ.»[18]

ولم يتأخر الربّ يسوع في مدح الحق الذي نطق به بطرس فقال له: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضاً: أَنْتَ بُطْرُسُ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا.»[19]. ودُعي سمعان بـ «صخرة» لا لأمر آخر إلاّ لأجل ثبات وعدم تزعزع إيمان التلميذ بطرس، وعلى هذا الإيمان تَثَبَّتَتْ وتَأَسَّسَت كنيسة المسيح، وستبقى إلى الأبد حتى أبواب الجحيم لن تقوى عليها. وإيمان بطرس في الابن لم يُعبّر عنه بدون تدقيق ولا نبَعَ من فكر بشرّي، لكنه كان باستنارة سمائية؛ فالله الآب يوضّح مكانة الابن ويُلهِم كل نفوس المؤمنين الحقيقيين الإيمان بالابن؛ لأنه لم يكن من الممكن أن يكون المسيح كاذبًا، ولهذا قال: «إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»[20].

إذًا، طالما أن بطرس قد وُصِفَ بأنه طوباوي، واستحق كل هذا التكريم، لأنه اعترف بابن الله الحيّ؛ فلماذا لا يكون هؤلاء الذين يُنزلون بذاك الذي هو ثمرة جوهر الله، إلى مرتبة المخلوقات ويَحسبون مَنْ هو شريك في الأزليّة ونَبتُ الحياة[21]، بين هؤلاء الذين ليس لهم الحياة في ذواتهم؛ وكيف لا يكون هؤلاء

---

[18] مت ١٦: ١٦.

[19] مت ١٦ :١٧-١٨.

[20] انظر مت ١٦: ١٧.

[21] تعبير أن المسيح هو «نَبتُ الحياة» «Τό ζωής Βλάστημα» معناه أن المسيح هو حياة من حياة مثل تعبير أنه-

مملوئين حماقة وجديرين بكل ازدراء وهم الذين لا يعطون كل ما يليق بالله الآب وبكل ما هو حق إهتمامًا؟ أم أن هؤلاء ليسوا جهلاء جدًا؟

إرميـــــا: هم بالفعل جُهلاء.

كيرلس: ولأن إيمانهم في الابن ضعيف جدًا وغير لائق بالمرّة، فهم يشوّهون محبة الله الآب الجديرة بكل تقدير، بمحاولاتهم للتَّفَوُّه بكلام لا يليق ضد الخصائص الإلهية.

إرميـــــا: هل تستطيع أن تقول لي بأي طريقة يفعلون هذا، لأني لا استطيع أن أتابع كلامك؟

كيرلس: بكل سرور لأنه لا توجد أي صعوبة في ذلك. إذًا دعني أتسأل: هل بَذَلَ الآب ابنه من أجل حياه العالم؟

إرميـــــا: بالتأكيد.

كيرلس: إذًا، سيكون واضحًا لكل أحد، أن المولود أرفع ممِا هو مصنوع بمهارة وحذق، حيث إن المولود ـ من بين البشر ـ هو ثمرة شخصية لذاك الذي وَلَده، بينما ما هو مصنوع هو نتيجة محُصلَة لفكر وحكمة بشريّة.

إرميـــــا: وماذا يعني هذا أيضًا؟

كيرلس: ألا تَفْهَم، أن محبة الله للعالم كانت ستُعْطَى قيمة أقل لو أنه أرسل لخلاص العالم، ابنه الذي هو جزء من العالم (طالما هو كذلك كما يدّعون)، بينما كانت تلك المحبة ستُقدّر جدًا، وهذا حق، إذا علِمنا أن الله الآب قد بذل ابنه فداء عن حياة العالم، ولم يشفق على ثمرته الذي أسلمه للموت بالجسد مفضِّلاً بذلك أن يهب كل البشر السعادة؟[22].

= نور من نور الذي نذكره في قانون الإيمان والذي يدّل على وحده جوهر الآب والابن. وفي موضع آخر من نفس الحوار يصف ق. كيرلس الابن بأنه أتي إلينا من الآب «كما من نبع وكَنبتُ من جَذر فوقاني» وذلك في تعليقه على الآية «اَلَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ» انظر ص١٨. ولبيان فعل الخطية في النفس البشرّية وما حققه لها المسيح بتجسّده يستخدم ق. كيرلس في موضع آخر من كتاباته تشبيهات من البيئة الزراعية مستعينًا بنبوة إشعياء عن العمل الخلاصي للمسيح الذي يشبه قدوم الربيع على الجبال فيقول: «هكذا ازدهرت طبيعة الإنسان مرّة أخرى مثل النبات بعدما أصابها الذبول من جراء الموت بسبب مخالفة آدم والخطية التي تملكّت علينا. اسمع ما يقوله المسيح بفم واحد من الأنبياء القديسين «أنا هو الذي أتحدث إليك مثل الربيع على الجبال» (إش٥٢:٦س)، فكما أن الربيع يتوّج الجبال والغابات بنباتات وزروع جديدة، هكذا فإن حضور المسيح يحقق لنا نفس الأمر»، انظر السجود والعبادة. مرجع سابق، المقالة العاشرة ص٣٨٥. حيث يقول إنه «أتى من الله الآب وأن الابن قد أبطل الموت ونَبتَ مرّة أخرى في الحياة».

[22] وهذا هو ما عبّر عنه ق. بولس بقوله: «اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» (رو ٨: ٣٢).

**إرميـــــا:** أفهم ذلك.

**كيرلس:** أعتقد وبكل تأكيد (وأرجو ألاّ يَغضبُ أحد من طريقة حديثي، إنما أضْطَرّ لهذا من أجل محبة لله)، أن المسيح كان لا يمكن أن يكون واحدًا من الخليقة، أو أن يفدي العالم، أو أن يُعطي حياته ذبيحة كفّارة، أو أن يَسْفِك دمه الكريم عنا، إن لم يكن الابن هو إله حق من الإله الحقيقي وليس مخلوقًا وجزءًا من الخليقة[٢٣].

**إرميـــــا:** بالصواب تتكلّم.

**كيرلس:** وسأضيف أيضًا، إن كانت الخليقة قد خَلُصت بدون أن تتلقى من الآب شيئًا بالمرّة، أو أنها قد إحتاجت لمساعدة قوات السماء، فمِن أين، وبأَيَّة طريقة استطاعت الخليقة من نفسها وبمفردها أن تَخلُص وأن تَبقْى في حالة السعادة؟ لأنه، كما يقولون إن الابن الذي هو جزء من الخليقة، هو الذي خلَّص الخليقة، فلأي سبب إذًا تُعطِي الخليقة لله تسبيح الشكر ؟ وبغض النظر عن هذا، فلماذا لا نسبّح الخليقة بل نأتي لإله الكلّ ونتضرّع له قائلين: «بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ وَلاَ تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ. الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكِ. الَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكِ. الَّذِي يَفْدِي مِنَ الْحُفْرَةِ حَيَاتَكِ»[٢٤]. فإن فَعَلنا هذا فنحن نفعل بالتأكيد ما هو ضد الله، بينما لو قدّمنا لله التسبيح فإننا سنصبح حكماء ومؤمنين حقيقيين. إذًا فكيف يكون ذلك المخلوق وكواحد منا إلهًا من إله وابنًا حقيقيًا؟ أم ليس الأمر هكذا؟

**إرميـــــا:** وكيف لا يكون هكذا!؟

**كيرلس:** هيّا إذًا، إن أردت، كيَّ نضيف شيئًا آخرً إلى ما سبق أن أوضحناه،

---

[٢٣] يُعبرّ ق. كيرلس هنا عن منهج آباء الأسكندرية في دفاعهم عن أُلوهية الابن المتجسد إذ هو منهج خلاصى، بمعنى أنه يهدف بالتبعية إلى الدفاع عَمّا أتمه الله الكلمة بتجسده، من أجلنا ومن أجل خلاصنا، إذ قدّم حياته ذبيحة كفارة وسَفَكَ دمه الكريم ليهبنا القيامة والحياة الجديدة، ويتضح هذا المنهج الخلاصي بشدة في كتابات ق. أثناسيوس الرسولي الذي تأثر به ق. كيرلس كثيرًا، فقد ركز ق. أثناسيوس على عقيدة تجسد ابن الله والفداء الذي قدّمه للبشرية وهذا يستلزم الإيمان السليم بأُلوهية السيد المسيح وإنسانيته معًا، وذلك في مقابل الفكر الآريوس الخاطئ الذي كان يحاول أن يلغي حقيقة الفداء وأهميته، فلو لم يكن السيّد المسيح هو الله بالحقيقة .كما أن الآب هو الله بالحقيقة (بسبب وحدتهم في الجوهر) . لَمَا كان في الأمكان أن يفدى البشرية من الموت والفساد، ولو لم يكن الابن هو الإله الذي تجسد، لما كان ممكنا أن يُشركنا في حياته الإلهية، حياة البّر والقداسه. انظر أيضًا المقالات الثلاثة ضد الآريوسيين ترجمة واصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة مايو١٩٩٨: ١/٣٩، ٢/٤٧، ٢/٥٩، ٢/٧٠، ٣/٣٣.

[٢٤] مز١٠٣: ٢-٤.

ونقول: إنَّ الأسماء التي تدلّ على علاقة، تُشير أيضًا إلى طَرَفي هذه العلاقة، لأن المعنى يشمل كلاهما، هكذا سيكون من السهل على المرء وهو يعرف معنى اليمين - على سبيل المثال - أن يعرف من خلاله معنى اليسار، وسيوافق المرء أيضًا على أن العكس صحيح؛ فالإسم «آب» إذًا هو من الأسماء التي تدلّ على علاقة مع آخر، كما أن الإسم «ابن» يدلّ على نفس العلاقة[٢٥]، وبالتالي فإلى أي شيء تدل الأسماء «الآب» و «الابن»؟ وإلى أية علاقة تُشير؟ وعند استخدامها هل يخرج الحديث عمّا يليق؟

**إرميـــا**: وهل هذا الأمر غير واضح لأي أحد؟! لأن الإسم «أَبّ» يقُصد به شخص في علاقته «بابن»، وبالطبع «ابن» في علاقته «بأَبّ».

**كيرلس**: إذًا فلماذا يُسَميّ هؤلاء المجانين والمنحرفون - الله «بالآب» ولكنهم يدّعون أن الابن مخلوق؟ ألا يُعتبر جهلاً وعدم لياقة أن نقول إن «الخالق» يُناظر الآب و «المخلوق» يُناظر «الابن» - طبقًا للعلاقة التي توجد بين اثنين؟

**إرميـــا**: إنه جهل كبير، لأنه هكذا سيصل الحال أن ندعَو الآب نفسه أنه «مخلوق»، طالما أن له علاقة - حسب الطبيعة - بشيء من بين المخلوقات وذلك حسب تفكيرهم.

**كيرلس**: إذًا لنسمع المسيح نفسه وهو يصرخ قائلاً: «لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلاَ أَبِي. لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً»[٢٦]. وعندما سألوا عن سبب توبيخهم أجابهم قائلاً: «كُلُّ مَنْ يُنْكِرُ الابْنَ لَيْسَ لَهُ الآبُ أَيْضاً، وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالابْنِ فَلَهُ الآبُ أَيْضاً»[٢٧]، وبالطبع فالابن محقٌ في قوله هذا؛ لأنه إن لم يكن هناك آب قد وَلَد حسب الطبيعة، فلَن يقبل أحد أن يكون هناك ابن مولود، ولا حتى أب،

---

[٢٥] هنا يبدو واضحًا أن ق. كيرلس يتفق مع ما سبق وأن علّم به ق. غريغوريوس اللاهوتي (٣٣٠-٣٩٠م) في إحدى «خُطَبه اللاهوتية الخمس» التي تناول فيها عقيدة وِحْدَة طبيعة أقانيم الثالوث وألوهية **الكلمة** ومساواته للآب في الجوهر حيث يقول: «الآب ليس اسم جوهر، ولا اسم فعل؛ إنه اسم علاقة، اسم يدل على ما هو الآب بالنظر إلى الابن، أو ما هو الابن بالنظر إلى الآب» راجع ق. غريغوريوس النزينزي: «الخطب ٢٧-٣١ اللاهوتيه. أقدم النصوص المسيحية سلسلة النصوص اللاهوتية (٥) منشورات المكتبة البوليسية ١٩٩٣، الخطاب الثالث (٢٩) ص٩٦ فقرة ١٦.

[٢٦] يو٨: ١٩

[٢٧] انظر ١يوحنا٢: ٢٢-٢٣. يقول ق. هيلاري «إن صميم الإيمان الخلاصي ليس بمجرد الإيمان بالله ولكنه الإيمان بكونه آب، وليس هو بجرّد الإيمان بالمسيح ولكنه الإيمان بالمسيح بكونه ابن الله وبأنه ليس ضمن الخليقة ولكنه هو الله الخالق المولود من الله (الآب)». عن الثالوت ١: ١٧، ٣: ٢٢، ٥: ٢٠، ٦: ٣٠.

وهذه طريقة تفكير غير منطقية؛ لأن الآب يُدْعَى أبًا لأنه وَلَد، وبالتالي هو قول حق أن الأسْمَيْن «أب» و«ابن» يُشيران إلى الاثنين، وعندما يوجد الواحد يوجد بالضرورة الآخر، وهذا هو السبب فيما يُقال عن كينونة كل منهما[٢٨]. وإلاّ لماذا قال المسيح للشعب اليهودي المُعاند «أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي»؟[٢٩]، مع أن المسيح بالطبع لا يُسَمَّى أبٌ لنفسه لكن يُسَمَّى ابنٌ قد وُلِدَ من آب. فكيف يقول إنه قد أتى إلينا باسم الآب؟ أم أنه يجب أن نُفسِّر لفظ «باسم» على أنه يدل على مجد الآب وسروره؟ لأن لفظ «اسم» في الكتاب المقدّس يدلّ ـ في بعض الأحيان، على المدح والمجد الظاهر لكل أحد كما جاء في سفر الأمثال: «اَلصِّيتُ[٣٠] أَفْضَلُ مِنَ الْغِنَى الْعَظِيمِ»[٣١]؛ فهل لم يكن قول المخلّص حقيقيًا، ومملوء بالحكمة عندما قال بكل وضوح إنه قد أتى إلينا باسم أبيه؟

إرميـــــا: هذا صحيح بالتأكيد، أن أقول إن مَنْ هو حق لا يمكن أن يخطىء في بيان ما هو حقيقي[٣٢].

كيرلس: إذًا طالما أننا نتكلّم بالحق، فيجب علينا إما أن نضع الله الآب في منزلة المخلوقات، حتى لا يظهر أنه يَتفوّق على الابن في المجد، أو أن نرفع الابن إلى مرتبة تليق، بإله أي من جهة طبيعته وجوهرة، لأن الله الآب لن يُضار في شيء إنٍ كان الابن له نفس الطبيعة. وسيساعدنا في ذلك يوحنا الحكيم بقوله: «اَلَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ»[٣٣]. وتعبير «من فوق» يعني

[٢٨] سبق أن تناول القديس كيرلس هذه النقطة في الحوار الثاني. راجع: ص٤٤ وما بعدها.

[٢٩] يو٥: ٤٣.

[٣٠] أي «الاسم الممدوح».

[٣١] أم٢٢: ١س.

[٣٢] يقصد أن الابن إذ هو ابن حقيقي ـ حسب الطبيعة ـ لله الآب، فهو الوحيد القادر أن يكشف لنا عن حقيقة هذه العلاقة... «اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» يو١:١٨.

[٣٣] يو٣: ٣١. في موضع آخر من كتاباته يرد ق. كيرلس على من يسميهّم مقاومي المسيح الذي يسيئون فهم معنى قول ق. يوحنا «الذي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ» ويستعين بما قاله ق. يعقوب عن أن «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ «مِنْ فَوْقُ» نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ» ويشرح باسهاب وعمق المعنى الحقيقي لعبارة « مِنْ فَوْقُ» وأنها لا تدل على ظرف مكان بل هي تعكس وِحَدة جوهر الابن والآب. انظر شرح إنجيل يوحنا المجلد الأول، الفصل الثاني ص٢٠٣ ولقد استخدم ق. كيرلس مختصرًا لهذا الشرح في حواره الأول، انظر هامش ٨٩ ص٣٥.

رِفعَة طبيعة الابن وعلوها، وهذا ما يوضّحه تلميذ المُخلّص (القديس يعقوب) بقوله «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ»[٢٤]. إذًا فالابن أتى من الآب إلينا (على الأرض) كما من نَبعْ وكَنبَت من جذر فوقاني، وبقوله: «اَلَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ» فإنه يُظهر من ذاته نفس المجد الذي منه قد جاء، وأنه هو فوق الجميع، مثله مثل الآب تمامًا. وبقولنا إنه «فَوْقَ الجَمِيع» لا نقصد بهذا أنه هو فوق الخليقة. من حيث المرتبة والمجد فقط. لكن نقصد أن جوهره الفائق يعلو فوق الجميع، وهو واحد في الجوهر مع الآب الذي وَلَده. إذًا طالما أنه فوق الجميع؛ فكيف يمكن أن نفهم أنه واحد ضمن الكلّ؟ لأنه إن كان فعلاً هو مخلوق، فحينئذ يجب أن يُحسب ضمن كل المخلوقات، وكيف يكون مختلفًا عن الكلّ وفوق الجميع إن لم يتفوّق ـ بحسب الطبيعة ـ على كل مقارنه بينه وبين كل المخلوقات؟ وكيف يكون مَدْحنا للابن مديحًا بغير حق، إن كُنَّا نعتبره أعلى من جهة المكان فقط وليس بسبب عُلُو طبيعته غير المنظورة؟

**إرميــــا**: ماذا تعني بهذا؟!

**كيرلس**: هل تريد أن نُعطِي تعبير «مِنْ فَوْقُ» تفسيرًا مكانيًا، وهو عكس تعبير «من أسفل»، وكلاهما تعبيران يتعلقان بالمسافات؟

**إرميــــا**: إن فَعَلنا هذا، فماذا سنفعل بالابن إن وُجِدَ في موضع معيّن؟ لأن مثل هذا الوضع هو من خصائص المخلوقات المادية (الجسميّة)!

**كيرلس**: إذًا ما نقوله صحيح، وهو أن تعبير « مِنْ فَوْقُ» معناه من عند الآب، لأن الابن يُعْرَف أنه فقط من عند الآب، وهو وحده الذي يَعرِف الله أباه. طالما أن الطبيعة (الإلهية) الفائقة غير مرئية وغير معروفة ماهيتها بالضبط لدى أي كائن من الكائنات. فنحن نؤمن بوجود الله، لكنه من غير اللائق أن نبحث في ماهية الله حسب طبيعته الإلهية، فليس من السهل أن ندرك هذا، إذ أن طبيعة الله هي أبعد من حدود الفكر البشرّي[٢٥]. ثم إن كان الابن هو مخلوقًا

---

[٢٤] يع١: ١٧.

[٢٥] رغم أننا محصورن داخل النطاق المحدود لإدراكنا ووعينا المخلوق، لكن تحت تأثير اعلان الله عن ذاته في المسيح يسوع وعمل الروح القدس الخَلاَّق، تنفتح عقولنا وقدراتنا وتتسع وتمتد أفكارنا إلى ما هو أبعد بكثير من نطاقها المحدود إلى أن تتناسب ـ على الأقل لحد ما ـ مع القصد الإلهي كما يقول ق. هيلاري (انظر عن الثالوث ١: ١٨، ٧: ٤١)، وهذا=

ومصنوعًا، فكيف يمكنه وحده أن يعرف الآب، وأن يكون وحده أيضًا معروفًا من الآب؟ لأن معرفة طبيعة الله أمر مستحيل تمامًا بالنسبة للمخلوقات، بينما أن يُعرَف شيء عن تلك المخلوقات، وماهيتها، ليس أمر يفوق إدراك العقل حتى ولو كان هذا الأمر صعبًا قليلاً علينا، وبالتالي فطالما أن الابن وحده هو الذي يَعرِف الآب، وهو فقط الذي يُعرَف من الآب، إذًا سيتلاشى الإدعاء بأنه قد خُلِقَ، لأن الطبيعة الفائقة غير الموصوفة هي فقط التي تَعْرِفُ نفسها، ولا يستطيع أولئك الذين خُلقوا أن يقتربوا منها على الإطلاق.

إرميـــا: بالفعل، إن الطبيعة الإلهية لا يُقترب ولا يُدنى منها، لأن الله أعلى من أي فحص عقلي.

كيرلس: إذًا كيف يمكن أن نقول إن الابن قد خُلق، مع أن الحكيم بولس يبشر بالآتي ويقول: «وَإِنَّمَا أَقُولُ: مَا دَامَ الْوَارِثُ قَاصِرًا لاَ يَفْرِقُ شَيْئًا عَنِ الْعَبْدِ، مَعَ كَوْنِهِ صَاحِبَ الْجَمِيعِ. بَلْ هُوَ تَحْتَ أَوْصِيَاءَ وَوُكَلاَءَ إِلَى الْوَقْتِ الْمُؤَجَّلِ مِنْ أَبِيهِ. هَكَذَا نَحْنُ أَيْضًا: لَمَّا كُنَّا قَاصِرِينَ كُنَّا مُسْتَعْبَدِينَ تَحْتَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ.»[36] بمعنى أنه في الوقت الذي كنا نعيشه في جهل وكنا قاصرين، كنا مُستَعبَدين تحت أركان العالم، وكنا نَعْبُد الخليقة، مع أنه كان يجب علينا أن نقدّم الكرامة لمَنْ بطبيعته هو وحده الله الحقيقي، وعندما أشرق الابن بيننا، فقد صارت معرفتنا أفضل من جهالة الطفولة، وإذ انتقلنا من الظلمة إلى نور الحق، فإننا - وكما أظن أنك ستوافقني عليه - قد أُعْتِقْنا من أن نكون مُستَعبَدين تحت أركان العالم. وبخلاف هذا فإن الكتاب المقدّس قد أَعْلَن لنا هذا التعليم مرارًا قبل قليل، وهو تَعْلِيم يَتَّصِف بالحكمة والحق، وكل من يهتم بما هو سليم سوف يتفق مع ما جاء فيه؛ لأن هذا التَّعْلِيم يُعْلِن لنا أسرار المسيح.

- ما يتحقق في إيمان الكنيسة وتوقيرها وعنايتها وطاعتها لاعلان الله عن ذاته بالإبن وفي الروح القدس أو كما يقول ق. هيلاري أيضًا «إن الله لا يمكن أن يعرف إلاّ عن طريق العبادة» (عن الثالوث ٢٢، ٤٤). وهذا التعليم عينه هو ما يؤكده ق. كيرلس بقوله في الصفحة التالية «عندما أشرق الابن بيننا، فقد صارت معرفتنا أفضل من جهاله الطفولة وإذ انتقلنا من الظلمة إلى نور الحق، فإننا أُعتقنا من أن نكون مستعبَدين تحت أركان العا لم».

[36] غلا٤: ١.٥.

**إرميـــــا:** إني أتفق معك بالتأكيد.

**كيرلس:** إذًا يا إرميا، هل كل شيء قد أتى إلى الوجود بموافقة الله الخالق، يجب ألاّ نحسبهُ بين أركان هذا العالم، أو طالما أنه هو جزء من العالم فيجب أن يُحسب مع الكلّ؟

**إرميـــــا:** بكل تأكيد، نَعَم

**كيرلس:** وهل تحررّنا تمامًا عندما تحرّر عقلنا وفكرنا وعندما رفضنا الرغبة في أن نظل مُستعبدين لأركان هذا العالم؟

**إرميـــــا:** هكذا أعتقد.

**كيرلس:** إذًا فلنقبل الإيمان بالابن على أنه هو الابن الحقيقي، فهل من الممكن أن يكون إيماننا خلاف ذلك؟

**إرميـــــا:** بالتأكيد لا.

**كيرلس:** بالتالي لا يمكن أن يكون الابن الوحيد مخلوقًا وكواحد من أركان هذا العالم ويُحسب من ضمن المخلوقات. ونحن مازلنا أطفالاً في أفكارنا ولا نقدر أن نفخر بأن لنا العقل التام، بل بالحري تخدعنا بعض الأفكار غير المُجْدِيَة، مع أن لدينا حقيقة الرجاء الواثق أي الرجاء في الابن؛ لأنه في أي شيء سيكون الابن قد أفادنا بكونه قد صار إنسانًا، إن لم يكن قد حررّنا من عباده المخلوقات؟ ألَنْ نكون في ضلال إن كنا نؤمن به على أنه مثل أي ابن آخر (مخلوق)؟

**إرميـــــا:** سَيَكُون بالفعل هكذا لو أن الابن كان مخلوقًا.

**كيرلس:** ألن تكون شريعة موسى أفضل من شريعة المسيح لو أننا بالفعل نؤمن بشخص مخلوق، وفي هذه الحالة يجب أن توضع شريعة موسى القديمة بعد الأناجيل المقدسة، وحينئذٍ كيف يمكن « للْبَارُّ أن يَحْيَا بِالإِيمَانِ »[٣٧]، طالما أن الناموس لا يقود للكمال أبدًا؟[٣٨] مع أن الإيمان بالابن. كما يقول هؤلاء. يُهلك أولئك الذين يقبلونه بينما الناموس يفيد القدماء.

**إرميـــــا:** إشرح لي كيف يحدث هذا كما يتصّورون.

---

[٣٧] نظر رو١: ١٧.

[٣٨] انظر عب٧: ١٩. «إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئاً».

**كيرلس:** إن الناموس الذي أُعطيَّ للقدماء بواسطة موسى الحكيم، قد أوصاهم قائلاً: «إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»[٣٩]، وفي موضع آخر قال لهم: «لا تَصْنَعْ لكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ»[٤٠]. وهو قد ارتقى بهم إلى أعلى بعيدًا عن عبادة أركان العالم عندما قال لهم: «لِئَلا تَرْفَعَ عَيْنَيْكَ إِلى السَّمَاءِ وَتَنْظُرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ كُل جُنْدِ السَّمَاءِ التي قَسَمَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ التي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ فَتَغْتَرَّ وَتَسْجُدَ لهَا وَتَعْبُدَهَا.»[٤١]، بمعنى أن الناموس قد دعاهم للإيمان بالواحد الذي هو بالحقيقة إله حسب الطبيعة، وأعتقهم نهائيًا مما هو خطأ وشر. لأن الناموس لم يطالبهم بضرورة السجود للخليقة بجانب الخالق، لكنه أوصى مَنْ دعاهم إلى الاعتماد الكلّي على الخالق، وهدَّد بعقاب الموت لِمَنْ لا يرغب في عبادته. فإن كان هذا هو بالتأكيد ما يقوله الناموس، فدعنا نتحدّث عن مَنْ قد دعانا كلام الإنجيل، أن نعتمد عليه. لقد انقضى الناموس الذي كان ظِلاً ورمزًا وسطع نور الحقيقية، منذ أن قَبِلنَا الإيمان بالابن مع أنه ـ حسب ما يعتقد المخالفون ـ مخلوق ومصنوع، فهل نحن مجانين إذ قد آمنا إيمانًا أسمى من أولئك الذين آمنوا ـ وفق الناموس ـ بالواحد الذي هو بالحقيقة إله حسب الطبيعة؟ والأكثر غرابة أن هؤلاء دون أن يقبلوا نور الحقيقة قد عرفوا الإله بحسب الطبيعة، بينما نحن قد أَتَيْنا بَعْدَهم، ونفتخر أننا قَبِلنَا الحق الذي لم يُستعلن لِمَنْ كانوا قبلنا، فإننا في رأيهم قد انحرفنا عن هذه الحقيقة ونوجد في ظلام لا استنارة رغم وجود النور الإلهي.

**إرميـــــا:** يا لها من حجج قويّة.

**كيرلس:** إنك لو عرفت أمرًا آخر، سوف تتعجب بالأكثر.

**إرميـــــا:** وما هو هذا الأمر؟

**كيرلس:** إن الناموس قد صار «مُؤَدِّبَنَا إِلَى المَسِيحِ»[٤٢]، وأعتقد أنك تعرف أن

---

[٣٩] تث٦: ٤.

[٤٠] تث٥: ٨.

[٤١] تث٤: ١٩.

[٤٢] غلا٣: ٢٤.

هذا قد كتبه بولس الرسول.

**إرميـــــا:** أعرف هذا.

**كيرلس:** يجب إذًا أن نفحص بتدقيق: إلى أي شيء وبأية كَيْفِيَّة كان الناموس مُؤدِّبنَا الذي يوجهّنا إلى المسيح؛ بمعنى يرشدنا إلى معرفة المسيح وأقواله؟ فهل سيرشدنا إلى معرفة أسمى تَتَفَوّق على المعرفة التي بواسطة الناموس والمَخْفِيَّة فيما بين الرموز، أَمْ إلى معرفه أقلّ منها؟

**إرميـــــا:** بالطبع إلى معرفة أسمى وأوضح.

**كيرلس:** حسنًا يا صديقي، لأني أعتقد أن كل حكيم وفَطِن سيوَافق وسيقول إن الأمر لابد وأن يكون هكذا. إذًا فإن كان الناموس الذي هو مؤدّبنا، والذي كَرَز بالواحد الذي هو بالحقيقة إله حسب الطبيعة، لمَ يُوَجهّنا إلى معرفة أسوأ فيما يختص بسرّ المسيح[٤٣]، حينئذ لا يجب أن يكون الابن مخلوقًا، حتى لا يظهر الناموس كأنه قد ظَلَمنا فيما نفعل، أو كأنه يُظهر أن معرفة المخلوق أفضل من معرفة الله الخالق، وبذلك يُصبح الناموس فخًا ومصيّدة يَستخدمها الشيطان، مع أن الملائكة قد أعلنت أنه أُعطِيَّ لنا كي يساعدنا كما قال أحد القديسين: «إن الناموس أُعطيَ للمساعدة» وطالما أن المسيح هو كمال الناموس والأنبياء، فكيف يمكن أن يكون كلام الكتاب صادقًا، ينتهي بنا إلى نتيجة مُضِلَّة في كل معرفتنا، ويجعلنا نعبد الطبيعة المخلوقة بدلاً من الله الخالق؟

## رَدّ على الاعتراضات الخاصة بلقب "بِكرْ":

**إرميـــــا:** بالصواب تتكلّم، غير أني أعتقد أن المخالف[٤٤] لنا سوف يسأل عن معنى كلمة «بِكْر».

[٤٣] بما أن الناموس قد علّم بأنه يجب أن يُعبَد الله وحده دون المخلوقات، والناموس هو «مؤدبنا إلى المسيح» إذًا فالمسيح الابن المتجسّد ليس مخلوقًا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالمسيح بكونه هو الابن الحقيقي المولود من جوهر الله فهو الوحيد الذي يعرف الآب وهو الوحيد الذي يستطيع يعلنه إلهًا حقيقيًا وهذا ما يقصده «بسِرّ المسيح» الذي يجعل معرفتنا غير مُضَلّلة ويقودنا إلى أن نعبد الله الخالق، دون الطبيعة المخلوقة.

[٤٤] استخدم الآريوسيون هذه الآية أيضًا. محرفينّ معناها الصحيح. لإنكار أُلوهية الابن وهنا هو لا يذكر أسماءهم بل يصف تعاليمهم بأنها تعاليم شخص «مخالف» لتعليم الكنيسة المستقيم بالرغم من أنه قد سبق وأشار إلى «هرطقة آريوس وأتباعه» وذلك في بداية حواره الثاني. انظر ص٤١.

**كيرلس:** كلمة «بِكْر» تعني أن يتقدّم أحد على إخوته ويكون قد وُلِدَ قبلهم.

**إرميـــا:** إذًا لماذا ـ كما يقولون ـ دُعيَ الابن «بِكْر» كل الخليقة[٤٥]، لو أن الخليقة كلها ليست ـ بطريقه ما ـ أخته ومن نفس جنسه، وليس هو من طبيعتها؟

**كيرلس:** ونتيجة لذلك يكون الابن قد دُعيَ ابنًا ـ على ما يبدو ـ بدون هدف، وولادته ليست ولادة حقيقية، كما أن الحديث عن الآب سيكون بالنسبة لنا بمثابة أسطورة بلا قيمة!!

**إرميـــا:** لا، بل على العكس؛ فهم يقولون إن الحديث عن آب للابن قد تمّ بطريقة مبالغ فيها مدعيّن إنه في موضع آخر قيل عن أبناء إسرائيل وبنفس الطريقة «رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ»[٤٦].

**كيرلس:** إذًا سيكون وحيد الجنس قد أصبح ابنًا بالتبني مثلنا ـ كما يقولون ـ لكي يكون ابنًا؛ وألا يعني هذا أنه ـ في الواقع ـ هو مخلوق؟

**إرميـــا:** هم الذين يَدَّعون ذلك.

**كيرلس:** لماذا أهملوا الدافع لمعرفة الحقيقة، وتبنّوا ما قاله النبي «لأَنَّنَا جَعَلْنَا الْكَذِبَ مَلْجَأَنَا وَبِالْغِشِّ اسْتَتَرْنَا»؟[٤٧] غير إني أعتقد أنه قبل كل شيء علينا أن نَعْلَم: متى دُعيَ **الكلمة** بِكْرًا؟ ومَنْ هم الذين أتى بينهم ودُعيَ وسطهم بِكْرًا؟ لأننا ـ بهذه الطريقة ـ سَنُسرع في أن نرفع قلوبنا تجاه المعاني الصحيحة للكلمات التي تليق بالأسرار؛ لأن معرفة الأزمنة وتمييز الأشخاص هما أمران يوضحان لنا بسهولة معنى الكلمات المُستَقيمة وغير المنحرفة التي تأتي إلينا مباشرة من الكتب المقدّسة[٤٨]. أو إن لم يكن ما أقوله صحيحًا، ولم يكن مُهمًّا أن تُفحص بتدقّيق الأزمنة والأوقات التي فيها كان كلمة الله غير متجسّد ثم صار جسدًا، فعندئذ يجب ألاّ يرتَعِب أحد لو أَنَّ ما يخص **الكلمة** يقال بدون أي تمييز. ولكن يجب أن تَكُف أَيَّة تجديفات وادِّعاءات (ضد

[٤٥] «بكر الخليقة» (كو١: ١٥).

[٤٦] إش١: ٢ (س).

[٤٧] إش ٢٨: ١٥.

[٤٨] يُعطي ق. كيرلس هذا المبدأ أهمية كبرى في تفسير وفهم آيات الكتاب المقدس. انظر: ص٢٠، هامش ٤٣.

الابن)، ولو أن أحدًا يؤمن أن الابن قد مات بالحقيقة، مع أن الكلمة الذي قد جاء من الآب هو الحياة حسب الطبيعة، فليستحق منّا التحيّة والتكريم لأنه لا يكذب؛ ولكن مَنْ سيقول إنه قد مات بالجسد (حاسبًا أَنّ الابن ـ كلمة الله ـ مخلوق) سيكون كلامه بلا معنى وبلا أي تمييز.

إرميـــا: هذا صحيح، ومع أن الكلام يمكن بالفعل أن يُفهم هكذا، إلاّ إنهم يوجهون نقدًا له.

**كيرلس:** لا أيها الحبيب، لأن كلامهم هذا سيقودهم لأمر آخر لا يليق وسيجعلهم يفعلونه بجرأة كبيرة.

**إرميـــا:** ما هو الأمر الذي تَعنْيه؟

**كيرلس:** لقد قام الكثيرون بتحصيل الجزيّة طبقًا لناموس موسى، دِرْهَمَيْن عن كل شخصين، وعندما ذهبوا لبطرس ليعرفوا إن كان المسيح سَيُحسب ضمن دافعي الجزية أم سيرفضُ دفع الجزية، حينئذ سأل بطرس المسيح ماذا يجب أن يَفعلُ معهم، فبادَرَه المسيح بهذا السؤال: «مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أَوِ الْجِزْيَةَ أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الأَجَانِبِ؟»[49] وعندما أجاب بطرس «من الأجانب» فإن الربَّ أضاف قائلاً: «فَإِذًا الْبَنُونَ أَحْرَارٌ. وَلَكِنْ لِئَلاَّ نُعْثِرَهُمُ اذْهَبْ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقِ صِنَّارَةً وَالسَّمَكَةُ الَّتِي تَطْلُعُ أَوَّلاً خُذْهَا وَمَتَى فَتَحْتَ فَاهَا تَجِدْ إِسْتَارًا فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ»[50]. فهل فهمت؟ إنه عندما يتكلّم عن طبيعته فإنه يؤكد أنها حُرَّة لأن هذا يوضّح أنه يعلو على كل الخليقة لأن المخلوق هو عبد للخالق، ولهذا فإن الطوباوي داود يُشير إلى الله ضابط الكلّ بقوله: «لأَنَّ الْكُلَّ عَبِيدُكَ»[51] وبالتالي فالابن لا يخضع لمقاييسنا نحن العبيد، كما أنه ليس تحت نير، لكن له الطبيعة الإلهية الفائقة العلو والتى تسمو على الخلائق كلها.

**إرميـــا:** هذا كلام صحيح.

**كيرلس:** إذًا يا إرميا هل سنُخضِع ذلك الذي له كل هذا المجد اللامع تحت نير العبودية حتى ولو قيل عنه إنه أخلى نفسه واتّخذَ شكل العبد؟ ألا يكون

---

[49] مت١٧: ٢٥.

[50] مت١٧: ٢٦-٢٧.

[51] مز١١٩: ٩١. «كل الخليقة تطيعك كالعبيد».

هذا دليلاً على الجهل؟ لأني أريد أن أقول إنه مع كونه اتّخذَ شكل العبد، إلاّ أنه قَبْل ذلك كانت طبيعته حُرَّة وغير مُقَيَّدة[52]، ومن ناحية أخرى ولا حتى أي كائن آخر يمكنه أن يصير ما كان عليه الابن، وهو عندما يَتَخَلَّى عن ما كان عليه فإنه بطريقة طبيعيّة يتممّ أمرًا آخر. إذًا، لقد جاء الابن إلينا، ليس لكونه كان عبدًا فصار عبدًا، بل جاء إلينا من طبيعة حُرَّة مُتَّخِذًا شكل العبد. فلو لم يكن هناك دور للزمن، ولم يكن لتمييّز الاشخاص أى معنى مفيد، وحتى لو أفترضنا أن **الكلمة** يمكن أن يُدرَك عاريًا وبدون جسد؛ فلن نستطيع إلاّ أن نحسبه عبدًا لا حرًا وأنه ضمن مَنْ هم تحت النير.

**إرميــــــا**: وكيف لا يكون كل هذا كلام غير منطقي وغير لائق؟

**كيرلس**: فليسمع إذًا المخالفون؛ فطالما أنكم لا تقبلو أن تفحصوا بالتدقيق الأزمنة ولا أن تُمَيِّزوا الأشخاص، فإلى أين أنتم مُنقادون؟ وماذا تفعلون يا مَنْ لكم ذهن شرير ملتّو؟ ولماذا تخلطون بين أمور لا تقبل الخلط، مُهمِلّين الأزمنة والأوقات والمعاني التي يمكن من خلالها تصبح كل الآيات التي قِيلت عن الابن واضحه في معانيها كل الوضوح؟ لأنكم يجب أن تَنسبوا لله **الكلمة**، حتى قبل تجَسُّده، إذ هو ابنٌ للآب، كلَّ ما يليق بالله، أي المجد والحريّة التي لا تُقارن، ونفس القوّة التي للآب؛ لأن بواسطة **الكلمة** صارت كل الأشياء التي لم تكن موجودة. لأن الآب **والكلمة** لهما نفس الإرادة والعمل المُشتَرك كما هو واضح في كل ما كَتَبَ عنه موسى، لأن موسى كتب لنا كيف أن الله الآب قال **للكلمة** - أي للابن الذي قد وُلِدَ منه والكائن معه - «لنَخلقْ الإنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا»[53]، لأن تعبير «لنخلق» لا يدل على أن المتكلّم هو واحد، بل على أكثر من واحد وأكثر من اثنين[54]. ومن ناحية أخرى لأنه يهتّم بنا ويحبنا، فتحرّك بدافع من رأفته ومراحمه الإلهية حتى أنه «إذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً

[52] هذا لا يعنى بالتأكيد أن الطبيعة الإلهية صارت محدودة بالجسد.

[53] تك١: ٢٦.

[54] كثيرًا ما استخدم آباء الكنيسة هذه الآية لشرح عقيدة الثالوث.

صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ»[٥٥]، وأي كلام يمكن أن يُقنعُنا نحن الذين نعتقدُ في الابن بطريقة سليمة، حتى نُقيّم درجة الإخلاء هذه، أو أن نتعجّل بإنقاص قيمة ذاك الذي وضَعَ من عظمته بسببنا ومن أجلنا؟ فحينذاك دُعي الابن الوحيد بِكْرًا[٥٦]، وحُسبَ بين إخوة كثيرين، وهو الابن الواحد الوحيد الذي وُلَدَ من الآب. إذًا لقد وضَعَ نفسه وظهر كواحد منّا، لا لكي يتعرّض لأمر ممّا نتعرّض نحن له عادة، تاركًا عنه الطبيعة الإلهية وصِفَته كابن حقيقي، لكن كي يرفع مَنْ كان بطبيعته عبدًا ومخلوقًا، بمعنى كي يرفعنا للمجد المدّخر فيه وحده؛ فهو الرَّب، وقد دعانا كي نكون أبناء. إذًا عندما نعتبره واحدا مِنَّا حين ندعوه بكرًا، فنحن لا نجبره كي يكون مختلفًا عن طبيعته، وعلى الجانب الآخر عندما نقول إنه قد ارتقى بنا، فهذا لا يعني أنه قد تَخلّى عن طبيعته الفائقة، لأنه لو حدث هذا ستكون الطبيعة المخلوقة قد سادت عليه، فإن فَكَّرَ أحد بهذه الطريقة، ألا يكون هذا هذيانًا كاملاً؟ وبالتالي فعندما صار (الابن) مثلنا، فهو لم يتخلّ عن ما هو له، لكننا نحن الذين ارتقينا إليه ـ بسبب نعمته ـ وأيضًا عَبَرنا حدود طبيعتنا بسبب نعمته التي كرّمتنا، وارتقينا إلى ما هو أرفع وأعلى.

**إرميـــا:** ماذا تقصد بقولك هذا؟

**كيرلس:** ألم نُدعى أبناء لله مولودين من الروح؟

**إرميـــا:** نعم.

**كيرلس:** لهذا فنحن لدينا وصيّه ألاّ ندعو لنا أبًا على الأرض[٥٧]، بل أن نقدّم عبادتنا لله فقط بكونه أبانا، وذلك بسبب البِكْر الذي قد جاء بيننا، ليس لسبب آخر، سوى أن يجعل منَّا نحن أيضًا أبناء؛ لأن هذا هو هدف تجسُّده[٥٨].

[٥٥] في٢: ٦-٨.

[٥٦] سبق إن شرح ق. أثناسيوس أن المسيح قد دُعيَ بكرًا، وقدّم التعليم المستقيم له. راجع ق. أثناسيوس. ضد الآريوسيين ترجمة د. صموئيل كامل ود. نصحي، مراجعة د. جوزيف موريس فلتس. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. المقالة الثانية. الفصل ٢١ الفقرات ٦٢-٦٤. الطبعة الثانية ابريل ٢٠٠٤ ص١١٧-١٢١.

[٥٧] انظر مت٢٣: ٩

[٥٨] هذا ما قد أعلنه ق. يوحنا الحبيب في بداية إنجيله عندما ذكر أن الله الكلمة قد جاء في الجسد، جاء إلى خاصته «وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنَ اللَّهِ.» (يو١: ١٢-١٣) ويشدّد ق. أثناسيوس على أن هدف=

وإلاّ فكيف كان من الممكن أن يكون سرّ المسيح مملوّء بالحكمة إن كان هو ـ قَبلْ أي أحد آخر ـ قد أساء إلى طبيعته (الإلهية) دون أن تعود الفائدة على حالتنا؟ لأنه قد نزل وصار بكرًا كي يُصنَّف مع الكثيرين، مع أنه يختلف جوهريًا عنهم ـ حسب طبيعته ـ بل ويفوقهم، وليس فيه شئ ـ من أي جهة ـ مما يَظُن هؤلاء الذين يشترك معهم، أنه يتصّف به.

**إرميـــــا**: لكنهم يقولون أنه يُسمَّى بَكْرًا للخليقة، لأنه يختلف كثيرًا ويفوق ـ بما لا يقارن ـ كل الكائنات التي يحسب أنه من ضمنها.

**كيرلس**: وأين يَكمنُ مجده الذي لا يقارن؟ وما هو مقدار علّوه، حتى وإن كان يقال لنا ـ باللغة التي نفهمها ـ الكثير عنه وعن ماهيته، أنه لابد أن يكون قد خُلِقَ؟ إن بَحثَنَا الآن يدور بكل تدقيق لا عن ما هو الكائن، أو هل تنقصه كرامة أو مجد؛ لكن بحَثَنَا يدور حول طبيعة المخلوق الذي جاء إلى الوجود، وما هو الشيء الأعلى منه والذي يفوقه، وأيضًا يتركّز حول طبيعة الابن الوحيد ـ الذي يقولون عنه أنه خُلِقَ ـ وهل طبيعته مختلفة عن باقي المخلوقات، والتي سوف ترتقي إليها بعد وقت معيّن طبيعة كل الكائنات المخلوقة، وبالتالي فإن أراد شخص ما ـ ياصديقي ـ أن يَعلمُ عن ماهية طبيعة الشمس، وعن طبيعة الخيل، فإنه سيسأل: مَنْ مِن الاثنين ـ حسب طبيعته ـ مخلوق وقد أتى من العدم إلى الوجود، أو هل يوجد رأى آخر؛ ما رأيك أنت يا إرميا؟

**إرميـــــا**: سأقول إنها مخلوقات.

**كيرلس**: ولو أصرّ بالأكثر على رأيه وسأل مرّة أخرى قائلاً: «مَنْ مِن الاثنين يسبق الآخر من حيث العظمة؟» ألا يكون سؤاله هذا مضحكًا لأن الإجابة لا تحتاج إلى تفكير مِمَن يسألهم؟

**إرميـــــا**: بالفعل سؤال مضحك جدًا.

**كيرلس**: أعتقد أن الأمر هو عبارة عن ثرثرة فارغة، لأنه كيف يمكن

- تجسد الله الكلمة هو القضاء على موت وفساد البشرية وجعلها تعود إلى معرفة وبنويّة الله الآب. انظر كتاب تجسد الكلمة: ترجمه عن اليونانية د. جوزيف موريس فلتس. المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية. الطبعة الثامنة ٢٠١٤. الفصل من ١١-٢٠.

المقارنة بين الشمس والخيل في العظمة؟ وأين أوجه المقارنة؟ لأن الاختلافات التي تفصلهما هي أبعد عن أي قياس، غير أنه لو صار الحديث عن جوهر كل من الاثنين، وفكَّر أي شخص في ماهية كل منهما، فلن يكون هناك فرق بينهما من حيث إنّ كليهما مخلوق. مع أن الشمس تختلف كثيراً من حيث العظمة. لكن نحن نفحص بتدقيق ما قيل عن الابن، ونريد أن نعرف ماهية طبيعته، فلو أن الابن يُعدّ من بين المصنوعات ويُحصى معنا كمخلوق، لكان تفاخرنا بتفوّق الابن في المجد هو مجرّد تفاخر مزيّف؛ لأن البعض يُزيّن الابن بامتيازات خارجية، ويُنسبون إليه أمورًا وقتية وهم يحاولون. بطرق لا قيمة لها وبهتافات مثيرة. أن يجعلوا لتجاديفهم صورة حسنة. وبصفة عامة، فإن مَنْ يُحسب. وفق طبيعته. من المصنوعات ويُعدّ بين المخلوقات، ليس هو بطبيعته إلهًا ولا بالتأكيد ابنًا حقيقيًا وربًّا ولكن هو شخص مختلف بين العبيد ويتفرّد عنهم فقط بمجد متواضع.

**إرميـــــا**: بالصواب تتكلّم.

**كيرلس**: يتبقى فقط أن نتعجب من الآتى.

**إرميـــــا**: مِمَّا يمكننا أن نتعجب أيضًا؟

**كيرلس**: إنهم في تحاشيهم أن يعرفوا الحقيقة جيدًا وأن يؤمنوا، يهذون بأن لقب البِكْر معناه أن المسيح هو دائمًا وحيد الجنس، وهم في هذا يخدعون البسطاء، مع أن مَنْ يريد أن يقول شيئًا يتعلّق بهذا الأمر لا يكون محقًا؛ لأنه لو كان لقب «بِكْر» يجعل من الابن مخلوقًا، ويُعَدّ واحدًا بين إخْوَة كثيرين وهو يكون بِكرًا لهم، فحينئذ سيُظهِر هذا اللقب أن الابن وحيد الجنس مختلف عن الآخرين من جهة طبيعته؛ لأن كَونَه وحيد الجنس يعني أنه ليس هناك آخر مثله من جهة طبيعته، وأيضًا أنه من المحتمل ألاّ يكون بكرًا بسبب كونه وحيد الجنس أو لن يكون وحيد الجنس بسبب أنه بِكر، وهكذا سيكون من الحتمي أن يعتقدوا أنه ولا يوجد حتى ابنًا . على الإطلاق. لأنه سيوجد نوع من التناقض بين الاسمين «بكر» و«وحيد الجنس» وسَيُفرِغ كل منهما الآخر من معناه؛ فكيف يمكن إذًا أن يُستخدَم كل من الاسمين لنفس

الشخص ويعتبر هذا أمرًا صحيحًا؟

**إرميـــــا:** أعتقد أن الأمر لن يكون خلاف ذلك إلاّ إذا أخذنا في اعتبارنا ما حدث في تدبير التجسُّد[٥٩].

**كيرلس:** وأيضًا فلتَعلم ـ بالتأكيد ـ أنك لم تؤمن بأي شيء آخر سوى ذلك الذي رآه القديسون ـ مُعلّمو اللاهوت ـ أنه صحيح. هؤلاء الذين سلّمونا وشرحوا لنا ما يتعلّق بهذه الأمور[٦٠]. فالواقع أن يوحنا اللاهوتي قد دَعا **الكلمة**، الذي أتى من الله، «وحيد الجنس» وبأنه هو الله وأكّد إلوهتيه إذ ليس له بداية في الزمن (أي أزليّ). كما أن بولس الرسول المملوء بالمسيح والروح القدس والمتميّز بين الرسل يقول «مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ»»[٦١] وأعتقد أنه يستخدم تعبير «بِكْر» في الزمن المناسب الذي يشير إلى ظهوره في الجسد، لأنه قد جاء إلى العالم مع أنه منذ القِدم هو كائن فيه، مع أن العالم لم يكن يعرفه، وهكذا صار وسيطًا بين الله والناس، وأصبح لقب «وحيد الجنس» امتيازًا خاصًا له؛ فهو إله من إله[٦٢]، واحد من واحد، ومولود بطريقة لا توصف، وعندما أتى إلينا فحينئذ فقط حُسِبَ بيننا كإخِوَة له وعندئذ فقط دُعي بكرًا؛ وإلاّ فأين الإخلاء إن لم يكن مَنْ هو «وحيد الجنس» قد صار «بِكْرًا»، وسكن بين البشر كإنسان وهو يعلو عن كل الخليقة؟ وبصفه عامة، كيف صار مَنْ هو غَنيّ فقيرًا إن لم يكن قد ظهر بيننا متخذًا ما هو مختلف عنه[٦٣]، الأمر الذي من أجله صار فقيرًا[٦٤]؟ فطالما أن ما هو مخلوق (أي

---

[٥٩] يضع ق. كيرلس على لسان إرميا المفتاح الذي يُمكن عن طريقه فهم الآيات التي أساء الآريوسيون فهمها وتفسيرها والتي من بينها أن المسيح قد دُعيَ بكرًا، ولقد كانت نتيجة عدم اعتبارهم لما حدث في تدبير التجسد هو انكارهم لألوهية المسيح إذ أنهم لم يفهموا سرّ إخلائه لمجده، وكونه صار في شبه العبد من أجلنا ومن أجل خلاصنا.

[٦٠] هنا يكمن مبدأ الاعتماد على التقليد الكنسي باعتباره مصدرًا للتعليم في الكنيسة، إذ لابد من الرجوع لتعاليم الآباء الكبار فيما يخص عقيدة الكنيسة وإيمانها، ولقد سبق للقديس كيرلس أن أشار إلى هذه الأهمية في حواره الأول. انظر: ص٨.

[٦١] عب١: ٦. وهنا أيضًا يتبع ق. كيرلس خطوات ق. أثناسيوس في استخدامه لهذه الآية وتفسيره لها. أنظر المقالة الثانية ضد الآريوسيين، المرجع السابق ص١٢١.

[٦٢] كما تردّد في قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني أن الابن **كلمة الله** هو «إله حق من إله حق مولود غير مخلوق».

[٦٣] أي الطبيعة البشرية التي هي مختلفة تمامًا عن الطبيعة الإلهية.

[٦٤] «فَإِنَّكُمْ تعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ.» (٢كو٨: ٩).

الجسد)، والذي يُعدّ من بين المخلوقات، قد وُجِدَ فقط في زمن الإخلاء والفقر، إذًا فَقَبْلِ هذا الزمن ألا يليق تمامًا بِمَنْ تَجسَّد: مجدٌ غير مخلوق بل مجدٌ يفوق كل الخليقة؟

**إرميــــا:** نعم هذا يليق به.

**كيرلس:** وطالما أنه، وهو غنيّ، قد دُعي «بِكْرًا»، عندما صار فقيرًا مثلنا ومن أجلنا، فإنه من اللائق ـ على ما أعتقد ـ أن نُفكر في أنه هو وحيد الجنس قَبلْ زمن الإخلاء (العَوَز)، لأني أعتقد أنه يجب أن تكون هذه الألقاب صادقة من جميع النواحي. إذًا هو بِكْر، ووحيد الجنس، وابن في الوقت نفسه بكونه ابنًا حقيقيًا وليس مخلوقًا.

**إرميــــا:** غير أنهم يقولون إن لقب «الابن» يُستَخدم لِمَنْ هم من بين المخلوقات؛ لأنه قال: «أنا قلت أنكم آلهة وبنو العليّ كلكم»[٦٥].

**كيرلس:** لكن قل لي: إن كنا نحن أيضًا قد دُعينا أبناء الله بالتبني وآلِهَة، مع أننا حسب طبيعتنا قد خُلقتنا من التراب، فما هو الشيء الذي سينتقض

---

[٦٥] مز٨٢: ٦. في موضع آخر استخدم ق. كيرلس نفس هذا المزمور للرّد على مثل هذا الفكر الذي يناقشه هنا وهو الخطأ الذي علّم به المراطقة بأن الابن المتجسد ليس هو الله بل أنه مخلوق ويحسب من ضمن المخلوقات ولهذا فقد ظنوا أن قول المسيح لتلاميذه «أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ» يخدم قضيتهم، طالما أن المسيح قال عن نفسه إنه هو أيضًا نور العالم، لهذا تسألون «لو كان القديسون ليسوا بالطبيعة، النور، فلماذا لا يدعوهم المخلّص شركاء النور بدلا من النور؟ وكيف يصبح المخلوق مختلفًا عن ابن الله، مادام التلاميذ قد سمعوا «أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ» (مت٥: ١٤)؟ ولهذا نجد أن ق. كيرلس؛ في نفس الموضع يجيبهم قائلًا: «نحن أبناء الله بل دعينا آلهه في الأسفار الإلهية حسب المكتوب «أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ «(مز٨٢: ٦). هل يعنى هذا أن نتخلّى عن كياننا ونرتفع إلى جوهر اللاهوت غير المنطوق به، وأن نخلع الابن **الكلمة** عن بنوّته ونجلس نحن في مكانه مع الآب ونجعل محبة الذي أكرمنا عذرًا للكفر؟ حاشا لله. انظر شرح انجيل يوحنا. المرجع السابق، ج١ الفصل ٩ ص١٠٣ والجدير بالذكر أن هذا هو التعليم الذي عاشت به الكنيسة دائما وتسلّمه الآباء وسلّموه عبر التقليد المقدس لمن بعدهم وهذا واضح تمامًا في تعاليم ق. كيرلس الذي تسلّمه من ق. أثناسيوس حتى في شرحه للمعنى اللاهوتي لهذا المزمور. ففي سياق ايضاحه لحقيقة الإيمان بألوهية الابن المتجسد نجد أن ق. أثناسيوس قد استخدم أيضًا هذا المزمور وعلق عليه بالقول [ها نحن إذًا نتحدث بحرّية عن الإيمان الصحيح النابع من الكتب الإلهية ونضع هذا الإيمان كسراج على المناره فنقول: ابن حقيقي حسب الطبيعة للآب ومن نفس جوهره. وهو الحكمة وحيد الجنس وهو الكلمة الحقيقي الوحيد لله، وهو ليس مخلوقًا ولا مصنوعًا، ولكنه مولود حقيقي من ذات جوهر الآب. ولهذا فهو إله حق إذ أنه واحد في الجوهر مع الآب الحقيقي أما بالنسبة للكائنات الأخرى التي قال لها «أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ» فإنها حصلت على هذه النعمة من الآب، وذلك فقط بمشاركتها **للكلمة** عن طريق الروح القدس. لأنه هو رسم جوهر الآب، هو نور من نور وهو قوة وصور حقيقية لجوهر الآب] انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين. المرجع السابق فصل ٣: ٩. وفي موضع آخر يؤكد ذلك بقوله «لكن إن كان البعض منهما قد دعى آلهه، فذلك ليس بحسب اشتراكها مع الابن، لأنه هكذا أيضًا قال هو نفسه «إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ» (يو١٠: ٣٥). ومن أجل هذا فإنهم ليسوا آلهه بالطبيعة فإن بعضهم قد يعاني التغير في وقت ما يسمعون القول: «أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ. لَكِنْ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ» (مز٨٢: ٦)، هكذا كان ذلك الذي سمع «أَنْتَ إِنْسَانٌ لاَ إِلهٌ» (حز٢٨: ٩)، أما الابن فهو إله حقيقي مثل الآب لأنه هو في الآب والآب فيه» انظر الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون. المرجع السابق الرسالة الثانية: ٤ ص١٠٠.

مجد الابن الحقيقي ـ الذي هو إله حسب الطبيعة ومولود من ذات جوهر الآب ـ عندما نتحدّث عن كينونته كـ«ابن»؟ ولماذا لا يكون من المفيد للمتعطشين لمعرفة الأمور الخاصة بالابن، أن يتعلّموا بطريقة ما عندما يَدْرِسوا حالتنا نحن؟

**إرميـــــا:** كيف يكون هذا؟

**كيرلس:** أريد أن أقول يا صديقي: إنَّ مَنْ له طبيعة سامية تفوق الكلّ، لا يمكن لاستخدام معاني الكلمات السيء أن يُنزله إلى مستوى مَنْ هم أقل، ولا حتى مَنْ هو أقل ومَنْ ليس له مجد الابن أن يُرفع إلى مستوى الطبيعة الفائقة، إن أُعطيَ كرامة سامية بمجرد وصفه بكلمات وأوصاف بسيطة. هل تعرف ما أقوله وتفهمه جيدًا؟

**إرميـــــا:** أفهمه ولكن ليس جيدًا.

**كيرلس:** اسمع إذًا، نحن نؤمن بإله واحد حسب الطبيعة ونعبده، ومع ذلك نُدعَى نحن أيضًا آلهة حسب النعمة، بل بالحري صار لنا مجد البنوّة. أليس هذا ما قد قلته قبل قليل؟

**إرميـــــا:** نعم.

**كيرلس:** فماذا إذًا ياصديقي؛ هل يمكن أن نَصيرَ نحن أنفسنا آلهة حسب الطبيعة وأبناء حقيقين، لذاك الذي يعلو ويوجد فوق الجميع، لأننا دعينا آلهة وأبناء بدون أن نكون قد حصلنا على البهاء لأجل هذا الغرض وأيضًا أن نكون قد استؤمِنَّا على أن نكون ثمرة الطبيعة الفائقة؟!

**إرميـــــا:** إطلاقًا، لأن مَنْ هو بطبيعته مخلوق، كيف يمكن أن يصير إلهًا بالطبيعة؟

**كيرلس:** حسنًا تقول يا صديقي، لأنه في الواقع كل واحد يَحتفظُ بطبيعته، حتى وإن عَلاَ بواسطة الكلمات العظيمة[٦٦]، وأيضًا لا يُحدَّ أو يصيبه نقص إن قِيلت عنه كلمات وَضيعة. وهيّا بنا لنقول إنه، طالما أن تعبير «بكر» يُشير إلى الابن عندما اتخذ لأجلنا جسدًا مخلوقًا وصار مثلنا، فإنه لم يتخلّ عن كونه إلهًا بالطبيعة وابنًا بالحقيقة، لأنه كما أننا لم نرتفع إلى ما هو فوق طبيعتنا

[٦٦] ربما يقصد ما جاء في (مز٨٢: ٦) «أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ».

عندما دُعينا آلهة، هكذا الابن - حَسبما أؤمن - لم تَتَغيّر طبيعته بسبب حقيقة أنه صار كواحد من بين المخلوقات بسبب طبيعته البشريّة. أما إنْ رفض البعض ما جاء من عبارات في نصوص الكتاب المقدّس، فإني أعتقد أنه لا هُمْ ولا نحن أيضًا سنعرف ماذا سنقول. لو أراد أحد أن يَعلم بسبب الشغف الكبير والتسرّع بقولهم: «لماذا كان كُتَّاب الوحي الإلهي يُشيّرون إلى الربّ أن له أيدٍ وأرجلاً، مع أنهم كانوا يتكلّمون عن الطبيعة التي تفوق الكلّ وتعلو على كل جسم وهيئة وليس لها طول وعرض وهي غير ملموسة وغير مادّية؟» إننا نستطيع أن نواجه ادعاءاتهم هذه بكل سهولة وبدون تفكير كثير، ونقول لهم الآتي: «إنّ الاستخدام غير المُحدّد للكلمات لا يضير الطبيعة الفائقة على الجسد من جهة ماهيتها، حيث إن هذه الكلمات تُساهم في فائدة مَنْ يسمعها؛ أم أن حديثى غير مُقنع وليس صحيحًا بالمرّة؟

**إرميـــــا:** على العكس تمامًا.

**كيرلس:** وبسبب أنهم يتباهون بأقوالهم التي تبدو وكأنها مملؤة حكمة، ويثرثرون بحجج يتصوّرون أنه من الصعب تفنيدها، فإنهم يتصّورون أنه من العسير أن يُنسَب للابن وحيد الجنس، لقب «البِكْر» قائلين إن الابن وحيد الجنس لا يجب أن يكون خارج الخليقة، طالما أَن له طبيعة مماثلة لطبيعة كل المخلوقات، وهذا طبقًا لقوانين الخَلْق. هل تريد أن نضيف أمرًا آخر نافعًا؟

**إرميـــــا:** إنك تتحدّث بطريقه شيّقة، كما أني أريدك أن تتحدّث عن هذا الأمر الآخر.

**كيرلس:** ألم نُدعىَ - نحن الذين نؤمن بالابن - كي نصير أبناء بواسطة الابن، كما إننا تَشَكلّنا حسب صورته مثلما تتشكلّ الأيقونات حسب الأصل؟

**إرميـــــا:** بالفعل لقد دُعينا أن نتشكلّ على حسب صورة الابن. لأنه قد كُتِبَ «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ.»[٦٧].

**كيرلس:** لقد تحدّثتَ بشكل فائق، غير أني أعرف أنك ستضيف أمرًا ضروريًا يتعلّق بهذا الموضوع وهو: هل أننا بالفعل دُعينا للتبني بحسب الجوهر والطبيعة؟ وإن كان هذا لم يحدث، فكيف حصلنا على صفة الأخوّة والقرابة؟

---

[٦٧] يو ١: ١٢.

**إرميـــا**: إننا لم نحصل بأية طريقة من الطرق على التبني حسب الجوهر، بل حسب النعمة وبطريقة مُكتسبة.

**كيرلس**: إذًا فكيف يُعتبَر الكلمة مخلوقًا بسبب تسميته بالبِكْر؟ وبأيَّة طريقة يمكن أن يُحسب مثلنا بحسب الجوهر كأنه بين إخوة له لأننا نُشْبَهَهُ، مع أن الصفة أننا إخوَة له لم تكن في طبيعتنا بل بالحري خارجه عنّا وقد اكتسبناها في مِلْء الزمان وليس في وقت سابق على تَجَسُّده بل عندما صار واحدا منًّا؟ لأني لا أعتقد أنهم سيقولون ـ مع أنهم تعوّدوا على الثرثرة الكثيرة ـ إنَّ الناموس قد دَعا القدماء أن يصيروا إخوَة للابن لأنه يوجد في الناموس روح عبودية[68]. وعليه يكون واضحًا جدًا أن كلمة الله لم يكن معنا نحن العبيد طالما أنه لم يكن قد اتخذ جسدًا وصار في شكل العبد حتى يصبح أخًا لنا. لكن علينا الآن أن نتابع حديثنا عن هذا الأمر وبشكل واضح.

**إرميـــا**: وما هو هذا الأمر؟

**كيرلس**: إن الميزَة الطبيعيّة يا إرميا في بعض الكائنات لا تُكتسَب بمرور الوقت أو تُفرض عليها بواسطة آخر، بل هي موجودة فيها دائمًا وتكوّن جوهرها. وأقصد بما أقول الآتي: إن الإنسان عند خِلقَتِه هو كائن عاقل حسب طبيعته، غير أنه لم يصبح غنيًا بعد. إذًا فإن جاءته الثروة ـ كشيء إضافي وخارجي، فهل هذا معناه أن طبيعته كإنسان عاقل كانت ناقصة؟ وبالتالي ـ وعلى ما أعتقد ـ سيكون حقيقيًا ألاّ نتصوّر أن شخصًا سيحصل بمرور الزمن على شيء قد حصل عندما جاء إلى الوجود (أي العقل).

**إرميـــا**: بالفعل.

**كيرلس**: إذًا لو أن الابن كان دائمًا أخًا لنا، وكان محسوبًا دائمًا من بين المخلوقات، لكونه من نفس طبيعتهم، وكان بكرًا بينهم، فعلى هذا الأساس ما هي الهِبَة التي لم تكن لدينا، وقد مَنَحَها هو لنا، وأقصد بذلك هِبَة «الأخوّة»؟ ولماذا منح مَنْ آمنوا به فقط هذه العطيّة؟[69] وما هو الذي يمكن أن يحصل عليه مخلوق من مخلوق مثله؟ هل أدركت إذًا إلى أين يقودنا منطق

[68] والتي هي ضد ما فعله الابن عندما تجسّد وجعلنا أبناء.

[69] انظر يو١: ١٣.

هؤلاء المخالفين؟

إرميـــــا: نعم.

كيرلس: فلنترك عنّا إذًا يا صديقي، كل اهتمام بهذه الأفكار الساذجة وننتهي إلى القول اليقين، مؤمنين حقًا أن الابن قد دُعي بكرًا من أجلنا عندما صار مثلنا، كما أنه هو وحيد الجنس لأنه لا يوجد أحد يماثله حيث إنه الوحيد الذي وُلِدَ من جوهر الله الآب.

## هل يُعبرَ لقب "الابن" عن أنه خليقة مميَزة؟

إرميـــــا: غير أنه إن قَبِل هؤلاء أنه يجب أن ندعوه «وحيد الجنس» لأنه هو الوحيد الذي جاء من الآب الفريد، فماذا ستكون إجابتك على هذا؟

كيرلس: كنت بالطبع سأعتقد أنهم فقدوا نعمة العقل الذي يجب أن يرى بطريقة لائقة وبشهامَة، بل إنهم يرتكبون خطأً كبيرًا من جهة معرفتهم لمعنى الأسماء، مُعطين إياها معانٍ بحسب ما يرغبون؛ لأن «وحيد الجنس» يعني ذاك الذي وُلِدَ - حسب الطبيعة. من آخر وليس ذَاك الذي صُنِعَ بطريقة ماهرة. وليأتِ هؤلاء إلى هنا ليجيبونا عندما نسألهم أين قرأوا أن هذا التعبير يستخدم ليَصِف عملاً من الأعمال الفنيّة أو العلِميّة، لأننا لن نسمح لأفكارهم الزائفة، أن تُقنن ما يريدونه هم في توجيههم لمعاني الكلمات بطريقة خاطئة جدًا لكي يفسّروها تفسيرًا غير سليم بالمرّة. فلو أن نَجّارًا - على سبيل المثال - قد صنع مركبًا واحدًا فريدًا، فهل كان يُسمّى وحيد الجنس بالنسبة له، مع أن هذا المركب هو من صُنعِه ونِتَاج خبرته؟ وكيف لا يكون هذا مدعاة للسخرية؟ أم أنك تعتقد أن هذا تفكير حكيم؟

إرميـــــا: طبعًا لا أعتقد هذا بالمرّة.

كيرلس: وأيضًا ما يدّعيه المعارضون، وبطريقة غبيّة، أن الابن وحده قد وُلِدَ من الآب ولهذا فإن له طبيعة مُمَيَّزة، وأنه لذلك قد وصلَ إلى هذا القَدْر الرفيع من المجد. وفي كل هذا سنثبت بطريقتين أن هؤلاء المعارضين يرتكبون خطأً وأنهم جهلاء.

إرميـــــا: قُل لِي كيف ستثبت هذا.

**كيرلس:** أولاً، إن تفكيرهم هذا سيقودهم بالضرورة، وسيحصرهم في أن ينسبوا للآب أنه «لم يَعُد أبًا» بعد أن وَلَد الابن. وبدون أن يريدوا، فإنهم يعترفون أن الطبيعة الفاعلة على الدوام كفَّت عن فعل ما يخصها، وأن عملية الخلق قد انتهت، وأنه بعد ذلك لم ينشغل بأى أمر على الإطلاق، بل إنه قد خوّل للابن ـ بطريقة ما ـ أن يفعل الأمور التي بواسطتها فقط تُعرف خصائص الطبيعة الفائقة. وهكذا فإن ثمار الجوهر المولود ستكون هي خصائص الألُوهية، بينما حسب ما هو ظاهر. فإن الله الآب سيكون فخورًا بالابن الذي هو مخلوق فريد. بينما الابن وهو يرى الأعمال الكثيرة، فإنه سيعتقد أنه في مرتبة أعلى مساوية لمرتبة الآب لأنه بسبب ولادته قد ارتقى ليكون خالقًا حيث إنَّه قد أَحْضَر الأشياء غير الموجودة إلى الوجود، بل أيضًا يفوق على ذلك بأنه صالح، حيث إن عمل الصّالح هو أن يحُضر للوجود تلك الأشياء التي لم تكن لها هِبَة الوجود. وهكذا فإن الحديث يبتعد عن الجدّية، مظهرًا البطء في الطبيعة الدائمة الحركة، حيث إنها تَقْدِر فقط أن تَهِب للأشياء غير الموجودة الوجود. وهل لا يَعْتَبِر هؤلاء التعساء أن ولادة الابن هي توقف فِعْلّي للطبيعة الولودة، وذلك بحسب أفكارهم الخاصة والتي يعتبرونها صحيحة حسب رأيهم؟ وإلاّ فإن كان الله الآب قد فضَّل أن يَكف عن العمل، إذًا، فلماذا كتب لنا موسى المطوّب كلامًا غير صحيح بالنسبة لهؤلاء المعارضينن قائلاً «وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا»[٧٠]؟ لأَنَّ عبارة «لنَخلقْ»[٧١] توضح أن الله (الآب) لم يتحاشى على الإطلاق أن يخلق؛ بمعنى أن يخلقنا نحن أنفسنا، بل بالحري كان يُفضّل العمل المشترك مع الابن والروح القدوس، وقد تمّ هذا بالفعل لأنه مكتوب «فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ»[٧٢]. وكلام موسى لن يكون كاذبًا لأنه كان عالمًا بالأمور اللاهوتية وكان يُكرّم طبيعة الله. غير أن **الكلمة** الذي أتي من الآب يُعْلِن لنا بالأكثر أن طبيعة الآب هي فعّالة دائمًا وعاملة. لأن

[٧٠] تك١: ٢٦. في موضع آخر استخدم ق. كيرلس هذه الآية لشرح عقيدة أن الله هو جوهر واحد وثلاثة أقانيم انظر: ص٤٨. وهنا يستخدمها أولًا لبيان دور الله الآب، الإيجابي في عملية الخلق، هذا الدور كان من الممكن ألاّ يكون إيجابيًا كنتيجه لتفكير المعارضين وثانيًا: للتركيز على العمل المشترك لأقانيم الثالوث كنتيجة طبيعية لوحدة الجوهر بينهم.

[٧١] انظر تك١: ٢٧.

[٧٢] تك١: ٢٧.

المسيح عنّف مرّة اليهود عندما رآهم غاضبين من أنه قد فعل شيئًا في يوم السبت قائلاً لهم: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ»[٧٣] وفي موضع آخر قال: «الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ»[٧٤]. إذًا يا إرميا أليس من غير اللائق أن نعارض كلام المُخلّص ونصوص الكتاب المقدّس ـ والتي تتفق مع ما قاله الابن ـ ونجرؤ على القول بأَنَّ الآب غير فاعل أيضًا بالنسبة للخليقة؟

إرميـــــا: نعم هو أيضا خطأ كبير بالفعل.

كيرلس: وأعتقد أن هناك أمرًا آخر غير واضح وغير مفهوم.

إرميـــــا: وما هو؟

كيرلس: فَلْيَقُل ليّ هؤلاء إذًا، لأني أريد أن أتعلّم: لو كان الابن فقط هو الذي خلقه الآب ولهذا فهو مختلف عن جميع المخلوقات، لأنه هو الوحيد الذي صار بواسطة الآب فقط، فأيهما لا يحبه الآب: المخلوقات التي خُلِقَت بعد الابن وبواسطته والتي لم يُسمَح لها ـ لهذا السبب، ـ أن تصل إلى درجة عالية من الطوبى لأنه يترفّع عن خلقتها، أم أنهم سيقولون إن الآب هو فوق كل حسد وكل جمود؟

إرميـــــا: سيقولون هذا بالفعل على ما أعتقد.

كيرلس: سيقولون هذا لو أنهم كانوا يؤمنون حتى بهذا فقط. لأني لا أتخيّل أن يَصِلوا إلى أبعد من أفكار الفلاسفة اليونانيين في هذا الأمر، حيث إن

---

[٧٣] يو٥:١٧.

[٧٤] يو١٤: ١٠. لقد اعتقد المراطقة أن الآب قد خلق الابن وأسند إليه عملية خلق باقي المخلوقات وبالتالي سيكون معنى هذا أن الآب كف عن أن يعمل وهنا نرى أن ق. كيرلس يستخدم النصف الأخير من آية (يو١٤: ١٠) وذلك لايضاح استمرار عمل الآب وفاعليته الدائمة في الخليقة رغم ولادته الأزلية للابن ولقد استخدم ق. أثناسيوس آية أخرى مشابهه قالها السيد المسيح أيضًا وذكرها ق. يوحنا لايضاح نفس هذه الحقيقة فنجده يقول «والآب لم يجعل الابن من أجل عمل المخلوقات لأنه هوذا رغم وجود الابن يظل الآب عاملاً كما يقول الرب نفسه «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ» انظر المقالة الثانية ضد الآريوسيين. المرجع السابق: فصل١٧. فقرة: ٢٩. ص٦١. غير أن ق. كيرلس في موضع آخر استخدم الجزء الأول من (يو١٤: ١٠) «أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ» وذلك لأنه أراد ايضاح وحده جوهر الآب والابن وأنّه هو الله بالطبيعة. انظر ص٧٦. وبالطبع مثلّت هذه الآية أحد البراهين الهامه في دفاع ق. أثناسيوس عن ألوهية المسيح، لذا نجده قد استخدمها لعدة مرّات في كتاباته لبيان وحده جوهر الآب والابن.انظر: المقالة الثانية ضد الآريوسيين ص٦٩، ٨٦، ١٠٣، ١٠٧، ١٥١. والمقالة الثالثة المرجع السابق ص١٨، ٢٨، ١١٦، ١٢٠. والمقالة الأولى: المرجع ص٩٥. وأيضًا الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون ترجمة د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. الرسالة الثانية. الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٥ فقرة: ٩ ص١٠٧.

أحدهم وهو أفلاطون قد قال عن الله «إنه كان صالحًا وبالتالي لا يوجد فيه حَسَد بالمرّة تجاه أي شيء». إذًا طالما أن الآب هو صالح وبالحري هو نفسه معدن الصلاح، وبالتالي فهو قد سمح بإرادته وفِعله وحده، للمخلوقات أن تصل إلى درجة عالية من السعادة، فلماذا إذًا لم يجعل هذه السعادة عامة للجميع بدون أن يحسد بكونه هو الصالح، ولماذا أسند لآخر (الابن) أن يفعل هذا، حارمًا بذلك الخليقة من أمر فائق لا يقارن؟

**إرميــــا:** غير أن الآب لا يظلّ بدون عمل على الدوام لأنه يعمل مع الابن مُعطيًا الوجود لكل المخلوقات.

**كيرلس:** وما هي إذًا مساهمة الابن في عملية الخلق؟ هل كانت تفوق قُدْرَة الآب، ولهذا فقد كانت ضرورية له فيما يفعل وأنه قَبِلَ هذه المساهمة عن احتياج؟![75] أم كانت أدنى منه ولهذا فلم تكن ضرورية له؟! فإن كانت تَفوُقه وضروريّة، وأنه لهذا قَبِلَهَا، فإن هذا الكلام سيكون بلا معنى، بل بالحري تجْدِيف؛ لأن الابن سيكون متفوقًا على مَنْ جاء منه وسيفوق طبيعة الله الآب بل وسيكَمّلها بما تحتاجه وبكل ما هو صالح. ومن ناحية أخرى إن كان قَبِلَها مع أنها أدنى منه وليست ضرورية، حيث تُظهر عدم روعة الخليقة، إذًا - فقل لي - ما هو الأمر الذي أقنع الآب كي يعمل مع الابن؟ وهل لن يبادر أحد بالقول إن الآب تخلّى عما هو أعلى. ولا أعرف بأي طريقة بينما أراد أن يتمسك بما لم يكن أعلى. بمعنى أنه يتحاشى - بسبب الخوف - أن يخلق بنفسه الخليقة، رغم أنه وحده وعن طريقه وبواسطته يمكن أن تظهر روعة الخليقة، وأنَّه قَبِلَ الابن شريكًا حتى يكون إحضار الخليقة هو عمل بلا أي شائبة؟

**إرميــــا:** غير أنهم يقولون إن الطبيعة المخلوقة لم تَتّم بفعل الآب وحده، لأنه كان سيكون من غير المعقول على مثل هذه القوّة الفائقة السامية، أن تضطر لأن تتنازل إلى فعل مثل هذه الأمور البسيطة.

---

[75] هنا يفنّد ق. كيرلس أسانيد الهراطقة بنفس الأسلوب الذي واجههم به ق. أثناسيوس من قبل، الذي كتب يقول: «لأنه إن كان عمل الخلق يمكن اكتسابه بواسطة التعلّم فإن عديمي العقل هؤلاء بقولهم هذا ينسبون الحسد والضعف إلى الله. فمن ناحية ينسبون الحسد لأنه لم يعلّم الخلق لكثيرين لكي مثلما يوجد كثيرون من الملائكة ورؤساء الملائكة هكذا يوجد حوله خالقون كثيرون. ومن ناحية أخرى ينسبون الضعف لأنه عجز عن أن يقوم بالخلق وحده، بل احتاج إلى معين أو خادم» انظر المقالة الثانية ضد الآريوسيين. المرجع السابق. فصل ١٧: ٢٩. ص٦٠.

**كيرلس:** إن هذا القول لقول أحمق ينتج عن عقل طائش. أليس من عدم الحكمة أن يفكر أحد ويقول إنه في الحقيقة لو كان خَلْقُ الخليقة أمر أدنى وغير مقبول ويمثل عبئًا بالنسبة للآب؛ إلاّ أن نفس الأمر ليس كذلك بالنسبة له عند خَلْقُ الابن وحده، إذ هو أمر مقبول وسامٍ، مع أن الابن له نفس طبيعة المخلوقات كما يقولون؟ ولا يمكن أن يكون هناك أمر يمثل عبئًا على خَلْقُ الخليقة ولا يمثل عبئًا على خَلْقُ الابن، حتى لو كان الابن يبدو وكأنه أعلى من بقية الخليقة. أمّا إن تجرأت بالقول إنه: لا يليق بسمو الآب أن يتنازل ويهتم بخَلْقُ الخليقة، فإن مثل هذا القول يحمل في طيّاته تَجْدِيفًا مزدوجًا، لأنه يهين الابن من ناحية ومن ناحية أخرى يلوم الآب، رغم ظنهم أنهم يكرّمونه بمثل هذه الادعاءات.

**إرميـــــا:** وماذا تقصد بقولك هذا؟

**كيرلس:** إنهم عندما يتحدّثون عن تفوّق الآب (علو مكانته وسِمُوّه) فإنهم يظنون أنهم يقللّون من مكانة الابن، ومع هذا فإني أعتقد أنهم لا يستطيعون أن ينزعوا عنه مكانته العُلْيا وسمو مجده. إذًا طالما أن طبيعة الابن هي هكذا، وأنه قد وصل إلي هذه الدرجة من الكرامة والمجد حتى أنه يخلق الرئاسات والسلاطين والكراسي وما دونها، فقلَ لي: هل يليق به أنه بينما يخلق عصفورًا صغيرًا وأشياء أخرى أقل، أن ينسب له أنه يخلق كل هذا بواسطة قدرات آخر؟! وماذا يبقى صحيحًا في إيماننا لو أننا اعتقدنا ذلك؟!

**إرميـــــا:** هذا لا يليق بأي حال من الأحوال لأنه مكتوب «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[٧٦].

[٧٦] يو ١: ٣. يضع ق. كيرلس هذا الآية على لسان إرميا كي يؤكد ما يريد أن يعلّم به ويؤمن به وهو أن الابن غير مخلوق بل خالق وهو الله وهنا أيضًا نجد أن ق. كيرلس يتبع خطوات ق. أثناسيوس الذي سبق أن استخدم هذه الآية لنفس الغرض مبينًا أن «هدف الكتاب المقدس وميزته الخاصة... هو أنه يحوى اعلانا مزدوجًا عن المخلّص: أي أنه كان دائمًا إلهًا وأنه الابن إذ هو كلمة الآب وشعاعه وحكمته ثم بعد ذلك اتخذ من أجلنا جسدًا من العذراء مريم والدة الإله وصار إنسانًا. وهذا الهدف نجده في الكتب الموحى بها... فيقول يوحنا «... كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» انظر المقالة الثالثة المرجع السابق. فصل٢٦. فقرة: ٢٩. ص٥٩.٦٠. وفي موضع آخر يستخدم نفس هذه الآية ويعلق عليها قائلاً: «فإن كان هو **الكلمة** والحكمة الذي به قد صار كل شيء فينتج من ذلك إنه لا ينتمي إلى الأشياء المصنوعة ولا إلى الأشياء المخلوقة اطلاقا، ولكنه هو مولود الآب» المقالة الثانية. المرجع السابق . فصل١٤. فقرة: ٥ ص١٩. وأيضًا فصل١٧. فقرة: ٢٤. ص٥٣. ويختم شرحه لهذه الآية قائلاً «من أجل ذلك ففيما يخص الخلق لا يوجد من يقوم به سوى **كلمة الله فقط**» المرجع السابق. فقرة ٢٧. ص٥٧.

**كيرلس:** وكيف لا تكون إهانة وتحقير لطبيعة الابن أن يَخلقَ عصفورًا صغيرًا؟ وطالما أنه هو صورة الآب وشبهه، فهل هذا الشبه يعني أنه (أي الابن) يهدر قوّته المحُيِيَّة في خلق مثل هذه الأشياء المتواضعة؟ وبالتالي فَهُم عندما يَتعجّبون من قدرة الآب الفائقة، فإنهم يَقولون إن خلقته للملائكة هو أمر متواضع، وبالتالي كان سيكون من السهل عليهم أن يقولوا إن الابن لا يجب أن يخلق عصافير أو زواحف، وأيضًا كل تلك الأنواع العديدة من الزهور في الحقول؟ ولكن لماذا يصفه المزمور بكل هذه الصفات الرائعة قائلاً: «المُنْبِتُ عُشْباً لِلْبَهَائِمِ وَخُضْرَةً لِخِدْمَةِ الإِنْسَانِ»؟[٧٧] وبطريقة أخرى، إذًا هم يعترفون (بآلهة) أخرى، خالقة، لها نفس طبيعة تلك الخلائق البسيطة، أو هم يهينون ـ وبطريقة علنيّة ـ الابن الوحيد عندما يتحدّثون عنه كخالق فقط لتلك المخلوقات البسيطة.

**إرميـــــا:** لو فكروا هكذا سيكون أمرًا خطيرًا عليهم.

**كيرلس:** وكيف لا ينسبون للآب حماقة وتفاخر بقولهم: إنه لم يرغب في أن يكون خالقًا لتلك المخلوقات التي يريد أن يكون هو ربّها؟ مع أننا نسمع المسيح وهو يثني على عناية الله الآب وتدبيره عندما قال: «أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ»[٧٨]، وكيف يمكن لذلك الذي يبسط عنايته حتى بالنسبة للعصافير، أن ينسى أن يخلق ملائكة، وأن يبسط السماء ويُثَبِّت الأرض، ويصنع الشمس والقمر والنجوم، تلك الأمور التي امتُدحت من الملائكة القديسين على أنها عمل الخالق العظيم، لأن الرّب قال «عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعاً»؟[٧٩] أفلا يَتّضِح لكَ أنه يجب أن نفكر بطريقة سليمة فيما يجب أن نقوله؟

**إرميـــــا:** بالتأكيد.

**كيرلس:** قُلّ لي إذًا، هل تَستَطيع أن تقول إن جزءً ـ صغيرًا كان أم كبيرًا ـ من بين المخلوقات ليس هو نتيجة عمل القوّة الإلهية؟

**إرميـــــا:** إطلاقًا لا.

---

[٧٧] مز١٠٤: ١٤.

[٧٨] مت١٠: ٢٩.

[٧٩] أيوب٣٨: ٧ (س). «عندما خلقت الكواكب امتدحتني ملائكتي بصوت عظيم».

**كيرلس:** وكيف لا يكون دليلاً على جهلهم أنهم يَصِفُون الأعمال التي تَمَّت بواسطة الابن أنها «إلهية»، ومع ذلك لا يؤمنون أنه هو الله بل يحسبونه ضمن المخلوقات، كما لو كان له نفس طبيعة الأشياء المخلوقة؟ لأن ما هو مخلوق ليس هو الله، ولن تستطيع المخلوقات أن تشعر بتفوّق طبيعة خالقها على طبيعتها إن لم تكن طبيعتها أقل بل ومختلفة عن طبيعة الله الذي خلقها. ولقد فهم الطوباوي بولس هذا الأمر جيدًا عندما كتب «لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ»[80]. إذًا هل يمكن أن تُدرَك إلوهيته وقدرته السَّرْمَدِيَّة لو جعلتم **الكلمة** ـ خالق الكل ـ مخلوقًا؟![81] حاشا؛ لأنه أزليٌّ، لكني أعتقد أنه ـ حسب تفكيرهم هذا ـ يمكن للخليقة أيضًا أن تتباهى بكونها إلهية، غير أن ما سينتج جَرَّاء هذا التفكير، هو أن الخليقة التي يشاهدونها أمامهم، وليس الله الخالق، ستكون بالنسبة لهم كإله[82].

**هل يعمل الآب من خلال وسيط، بالتالي يصير ـ هو نفسه ـ معروفًا؟:**

**إرميـــــا:** وماذا لو قالوا إن إلوهة الآب وقوته السَّرْمَدِيَّة هي التي تتضح من خلال أعماله العجيبة في خليقته؟

**كيرلس:** هم أنفسهم يدينون أقوالهم هذه ويستطيع المرء أن يثبت بسهولة أن أقوالهم تتناقض مع أفكارهم.

**إرميـــــا:** ماذا تقصد؟

**كيرلس:** إنهم يحصرون قدرة الآب الخالقة في عملية خلق الابن ويقولون: إن الآب أُظهر منذ أن خُلِق العالم، مع أن الكتاب المقدس ينسب خَلْق العالم للابن إذ هو مكتوب: «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ

---

[80] رو ١: ٢٠.

[81] وبالتالي خاضع لعنصر الزمن ولن يكون سرمديًا.

[82] وهذا ما ذكره بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية عندما تحدّث عن هؤلاء الذين «عَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ» (رو ١: ٢٥).

جُنُودِهَا»[٨٣]، إذًا يشهد العالم أمامنا أن الكلمة هو خالقه كما أنه يوضّح قوّته وإلوهيته. لأننا ونحن نشاهد الخليقة، فإننا لا نُعجب بالكلمة خالق الكون على أنه مخلوق، لكننا نكّرمه ونُعلّيه جدًا، وهكذا فإننا نُعبّر عن تقوانا بطريقة سليمة، مؤمنين أن الابن الوحيد هو الله حسب الطبيعة وأنه قد أتي من الله. لأننا بهذا فقط سننكر الاتهام بأننا نوجد في ضلال وسنبعده عن أذهاننا وسننجو من العقاب الذي يشير إليه المطوّب بولس بقوله: «لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضاً فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِم. الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ»[٨٤]، أي هؤلاء الذين يسلكون بطرق مُعْوَجَّة ويستبدلون الحق بالباطل عابدين الخليقة دون مَنْ هو بطبيعته الله. وهكذا صار الذهن غير مُخْتَبِر، وسقط باندفاع في هذا الفكر الخاطئ، فَضَلَلْنَا نحن أيضًا مع الوثنيين عابدين الطبيعة المخلوقة؛ بمعنى أننا عبدنا الابن. الذي هو ـ بحسب ما يقوله هؤلاء ـ مخلوق، أَوَلَيسَ كل ما هو صائر من العدم مخلوقًا؟!

إرميـــــا: بالتأكيد.

كيرلس: انتبه إذًا يا إرميا كيف أن أفكارهم مليئة بالحماقات؛ لأن الكتاب المقدّس يَذكُر أن الأمم عرفوا إلهًا حيًا وحقيقيًا، وبالإيمان فُتِنوا بالابن، بينما وصل هؤلاء إلى مثل هذه الدرجة من حماقة الأفكار حتى أنهم لم يخجلوا بالمرّة عندما نسبوا له هذه الصغائر وقالوا إنه مخلوق. لأنه قد كُتب عن أولئك الذين تبعوا الرسل أنهم هم أنفسهم: «يُخْبِرُونَ عَنَّا أَيُّ دُخُولٍ كَانَ لَنَا إِلَيْكُمْ، وَكَيْفَ رَجَعْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الأَوْثَانِ لِتَعْبُدُوا اللهَ الْحَيَّ الْحَقِيقِيَّ»[٨٥]. فطالما أن ما تفعله العبادات الوثنية هو أمر شائن ومُخجل إذ يعبدون الخلائق (دون الخالق)، وطالما أن الأمم قد رجعوا إلى عبادة الإله الحيّ وآمنوا باسم الربّ يسوع وعادوا إلى السجود للابن مع الآب، فكيف مازال من الممكن اعتبار الابن أنه مخلوق؟! أو أن الإيمان هو بلا فائدة أو أن اعتقادنا نحن في الله هو كاذب مع أنه

[٨٣] مز٣٣: ٦.

[٨٤] رو١: ٢٤-٢٥.

[٨٥] ١تس١: ٩.

بالتأكيد يُقال أننا قد تركنا الضلالات القديمة؟

**إرميـــــا:** بالفعل يُقال هذا، لأن الأمم قد رجعوا إلى الله الآب الحقيقي والحيّ.

**كيرلس:** وكيف كانت طريقة عودتنا إلى الله؟ أو كيف يَقدرُ البعض أن يعودوا بطريقة حسنة وصحيحة وبدون ضلال إلى الربّ الحيّ الحقيقي، دون أن يعترفوا أن عبادة الخليقة أمر باطل؟

**إرميـــــا:** أعتقد أنه عن طريق الإيمان، لأنه يقول: «الَّذِي مِثَالُهُ يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الآنَ، أَيِ الْمَعْمُودِيَّةُ. لاَ إِزَالَةُ وَسَخِ الْجَسَدِ، بَلْ سُؤَالُ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللهِ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»[٨٦].

**كيرلس:** إن هذا هو قول حق، إنما أريدك أن تجاوبني: هل هذا الإيمان معناه أن نؤمن بالآب والابن والروح القدس؟[٨٧]

**إرميـــــا:** نعم.

**كيرلس:** إذًا هل يستطيع مَنْ يريدون أن يحفظوا إيمانهم ثابتًا ونقيًا وحرًا من أي شائبة، أن يؤمنوا بالله والخليقة في الوقت نفسه؟ أم هل يستطيعون أن يؤمنوا بالله جاعلين الابن مع الآب لأنه مساوٍ له في الجوهر؟

**إرميـــــا:** يستطيعون هؤلاء أن يؤمنوا بإله واحد بمعنى طبيعة إلهية واحدة، مدركين بالطبع أنهم لن يحيدوا عن الطريق، طالما أنهم لم يخلطوا[٨٨] طبيعة الله بالطبيعة المخلوقة.

---

[٨٦] ١بط٣: ٢١.

[٨٧] سؤال ق. كيرلس هنا لتأكيد مضمون الإيمان القويم الذي هو الإيمان بالثالوث القدوس الأب والابن والروح القدس، والمعمودية بالطبع مرتبطة بهذا الإيمان الثالوثي وهذا حسب أمر الرب لتلاميذه: «اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالِابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» (مت٢٨: ١٩) ولقد كانت المعمودية هي أهم المناسبات للاعتراف بألوهية المسيح حيث كانت تجرى باسم الرب يسوع انظر(أع٨: ١٦، ١٩: ٥).

[٨٨] هذا الخلط لطبيعة الله بالطبيعة المخلوقة، كان في الواقع هو أساس ما علّم به أولا الآريوسيون الذين نادو بأن الابن مخلوق ويحسب من ضمن المخلوقات وبالتالي. حسب اعتقادهم. فهو ليس من نفس جوهر الآب، وثانيًا أصحاب بدعه محاربي الروح الذين خلطوا أيضًا طبيعة الروح القدس الإلهية بطبيعة المخلوقات حاسبين أياه من ضمن الأرواح المخلوقة، ولقد قاوم ق. أثناسيوس تعاليم هاتين الهرطقتيّن مبينًا صحة الإيمان الثالوثي فكتَبً يقول: «لأنه حقًا إذ كانوا بسبب وحدة **الكلمة** مع الآب يرفضون أن يقولوا إن الابن هو أحد المخلوقات بل يعتبرونه كما هو بحق، خالق المخلوقات، فلماذا يقولون عن الروح الذي له نفس الوحدة مع الآب. وهي نفس الوحدة التي للابن مع الآب. أنه أحد المخلوقات؟ أنهم لم يدركوا أنه كما لا يجوز أن نفصل الابن عن الآب محافظين على الإيمان الصحيح بإله واحد، هكذا أيضًا فإنهم إذ يفصلون الروح عن **الكلمة**، لا يحتفظون بعد بالإيمان بألوهية واحدة في الثالوث. لأنهم يمزقون الألوهية ويخلطون معها طبيعة غريبة من نوع مغاير، ويضعونها على نفس المستوى مع المخلوقات» الرسائل عن الروح القدس للأسقف سرابيون. المرجع السابق الرسالة الأولى: ٢ ص٢٩-٣٠ والملاحظ تأثر ق. كيرلس ليس فقط بتعاليم ق. أثناسيوس لكن أيضًا باستخدامه نفس الألفاظ تقريبًا.

كيرلس: هؤلاء إذًا يوافقون على أن الإيمان بالابن هو الإيمان بالله الحيّ الحقيقي، وهذا يتضح وبدون مشقة عندما نسمع الابن وهو يقول: «أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي»[٨٩]. وهذا ليس معناه أن يؤمنوا بالخليقة والله معًا، بل على العكس، فلأن الابن هو من نفس جوهر الآب لهذا فإن الإيمان هنا هو إيمان بالطبيعة الإلهية الواحدة، وفي موضع آخر يقول: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي»[٩٠] لأن الإيمان بالابن لا ينفصل عن الإيمان بالآب بل إن الإيمان بالابن هو الذي يقود المؤمن الحقيقي ـ عن طريق الابن ـ إلى الآب الذي وَلَده[٩١]. كما أنه يمكنك بسهولة أن تَعْلَم أَنَّ مَنْ كانوا قبلاً وثنيّين قد اعترفوا بالمسيح وسجدوا له، وذلك عندما تسمع بولس الرسول يقول: «لِذَلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلاً فِي الْجَسَدِ، الْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُوِّ خِتَاناً مَصْنُوعاً بِالْيَدِ فِي الْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ وَبِلاَ إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ»[٩٢]. إذًا يمكن أن نفهم أن الأمم الذين عاشوا بدون المسيح، كانوا بعيدين عن مَنْ هو بطبيعته الله، محرومين بذلك من الحقيقة لأنهم كانوا بلا إله في العالم. لكنهم عندما عرفوا الابن بالإيمان، وعندما أُستعلن للعالم الرجاء الصالح، تطهّروا من ضلالات الإلحاد وابتعدوا عنها[٩٣].

---

[٨٩] يو١٤: ١.

[٩٠] يو١٢: ٤٤.

[٩١] «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلَّا بِي» (يو١٤: ٦) ولقد أوضح ق. أثناسيوس هذه الحقيقة بالتفصيل في كتابه تجسُّد الكلمة وعبّر عنها بقوله: «ولم يكن ممكنًا أن يعلّم البشر عن الآب ويقضى على عبادة الأوثان إلاّ الكلمة الذي يضبط كل الأشياء وهو وحده الابن الوحيد الحقيقي» انظر: تَجسُّد الكلمة. المرجع السابق فصل٢٠: ١. ص٥٧. وفي موضع آخر من كتاباته يستشهد ق. كيرلس بهذه الآية وذلك في مجال حديثه عن خيمة الإجتماع فيقول: «عليك أن تلاحظ ما كانت عليه أشياء الخيمة من دقة. ولاحظ أيضًا أنه عندما يصعد موسى العظيم إلى الجبل يصعد معه يشوع أيضًا. وهذا يرمز إلى أن الآب لا يمكن أن يُقترب منه إلاّ بهذه الطريقة. أقصد أنه لا يمكن الإقتراب منه إلا بواسطة الإبن لأنه حقًا صادقة هي الكلمة «ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي» ويمكننا أن نذكر أنه حتى القديسون، إنما يقتربون إليه بواسطة المسيح. لأنه لا يكون لأحد أن يرتقي إلى معاينة وفائقة للطبيب وكأنه يصعد إلى جبل، وبالحري لا يمكنه أن يوجد بالقرب من الله إن لم يكن متحدًا مع عمانوئيل، وهكذا لا يكون هناك ما يعوق مسيرة البشر للأقتراب إلى الآب» انظر: السجود والعبادة بالروح والحق، مرجع سابق، المقالة العاشرة ص ٣٨١.

[٩٢] أف٢: ١١ـ١٢.

[٩٣] يشرح ق. أثناسيوس بالتفصيل نتائج العمل الخلاصي الذي أتمه الابن بتجسده عندما أُستعلن للعالم كمخلّص، بأنه أمات الموت بموته ووهب لنا القيامة وأعادنا لمعرفة الآب بالحقيقة. انظر تجسد الكلمة: المرجع السابق الفصل٢٠: ١.

إرميـــــا: بالصواب تتكلّم.

كيرلس: إذًا الابن هو الإله الحقيقي، لأنه هكذا ستبقى ولادتنا الجديدة بالمعمودية المقدسة، ولادة أصيلة وبلا أيّة شائبة.

إرميـــــا: وماذا يعني هذا؟ لأني لم أفهم ما قلت.

كيرلس: ألم نُولَد روحيًا[٩٤] - ياصديقي - آخذين صورة ابنه، وتشكّلنا حسب بهائه الإلهي عن طريق الروح القدس، فصرنا شركاء الطبيعة الإلهية[٩٥]، وذلك لقرابتنا للابن الذي هو الله؟

إرميـــــا: بالطبع.

كيرلس: إذًا كيف يكون الابن مخلوقًا؟ (وقد أتمّ كل هذا فينا)؛ لأنه إن لم يكن الابن مَنْ تؤمن به أنه من الله، لماذا لا يكون سرّ (المعمودية) مبنيً على رَجاء باطل وفكر عقليّ فقط، وبالتالي سيكون في الواقع مجردّ خيال وخداع؟ فأي خِتْم إلهي[٩٦] سنكون قد خُتمِنًا به في داخلنا[٩٧]، حتى ولو كُنّا

---

[٩٤] يع١: ١٨.

[٩٥] ٢بط١: ٤.

[٩٦] عندما تتم معموديتنا باسم المسيح فإننا ننال «ختمًا إلهيًا» وذلك لأن: المسيح هو «ختم الله الآب» وهكذا يعلق ق. كيرلس على ما جاء في قول المسيح لليهود «اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ لأَنَّ هَذَا اللَّهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ» (يو٦: ٢٧) ليؤكد ألوهية الابن المتجسّد وأنه مولود من جوهر الآب، معطيًا لها شرحًا لاهوتيًا عميقًا وذلك في كتابه «شرح إنجيل يوحنا المجلد الأول ص٣٤٨-٣٥٥». ومن الجدير بالذكر أن آباء الكنيسة قد أعطوا المعمودية أسماء لها دلالات لاهوتيه عميقة منها أنها الولادة الثانية. العطيّة النعمة المسحة وأخيرًا الختم. ويشرح ق. غريغوريوس النزينزي معنى هذا الاسم الأخير وذلك بقوله: «دُعِيَتْ المعمودية ختمًا لأنها ختم يؤكد ملكيتنا والسلطان الذي لملكنا ولأنها عربون الحياة الأبدية» (خطاب٤٠ عن المعمودية) ويسجل المورخ يوسابيوس أن الأمبراطور قسطنطين قد قال قبل وفاته «الآن هو الوقت الذي سوف اتمتع به بختم عدم الموت، الآن هو الوقت الذي سوف أحصل فيه على ختم الخلاص» (حياة قسطنطين٤: ٦٢) ولقد أكد ق. أثناسيوس أن هذا الختم يخص المسيح فيقول «الختم يخص **الكلمة** الذي يَمسحَ والذي يختم لأن المسحه لها اريج ورائحه مَنْ يَمسحَ. وأولئك الذين يُمسحون يقولون حينما ينالونها: «لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ» (٢كو٢: ١٥) والختم له صورة المسيح الذي يَختِم والذين يُختَمون يشتركون في الختم ويتشكلّون حسبه كما يقول الرسول: «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ» (غلا٤: ١٩). وهكذا إذ نُختَم فمن الطبيعي أن نصير «شركاء الطبيعة الإلهية» كما يقول بطرس (٢بط١: ٤) وهكذا فكل الخليقة تشترك في الكلمة بالروح» الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون. المرجع السابق. الرسالة الأولى: ٢٣ ص٧٢.٧٣. وجدير بالاعتبار ما يقوله ق. كيرلس بشأن ختان المسيح له المجد والاغراض التي حققها واستخدامه لتعبير أن المسيح هو الختم فيقول إن من ضمن هذه الأغراض أن الختان «كان يشير مقدمًا إلى نعمة وفاعلية المعمودية الإلهية، لأنه كما كان في القدم، يُحسب المختون ضمن شعب الله بواسطة ذلك الختم، هكذا أيضًا فإن من يعتمد يُدرج ضمن عائلة الله بالتبني إذ قد تصوّر في نفسه المسيح الختم» تفسير انجيل لوقا ترجمة د. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠٠٧ ص٤٥.

[٩٧] ٢كو١: ٢١.٢٢ راجع أيضا أف١: ١٣.١٤.

أخذنا شكل الابن، إن لم يكن الابن بحق هو الله وليس مخلوقًا؟

والآن يجب عليك أن تؤمن أيضًا أن الله الآب نفسه هو خالق[٩٨]، لأن الصورة لابد أن تشبه الأصل. أريدك أن تجاوبني على سؤالي هذا: ألا توافقني على أن الطبيعة الإلهية - وفي أي صورة يمكن أن تدركها أنت - لا يمكن أن تُقَارَن بالطبيعة المخلوقة، وهي مختلفة عنها تمامًا، وأنها لا تشابه أي حال من الأحوال أي من المخلوقات؟

**إرميـــــا**: أتفق معك تمامًا، لأنه كيف لا تعلو طبيعة الله عن طبيعة أي مخلوق؟

**كيرلس**: وبالتالي فكلّ من لَدَيه عقل، سوف لا يقبل أن تكون الطبيعة غير المخلوقة وغير المصنوعة، صورة لأي طبيعة مخلوقة، وأيضًا لا يمكنه أن يقبل أن يكون داخل مَنْ هو كائن في كل مكان، ومَنْ هو بغير تغيير، طبيعة أخرى كانت غير موجودة وخُلِقت فيما بعد؟

**إرميـــــا**: بالصواب تتكلّم.

**كيرلس**: وأعتقد أيضًا أن العكس صحيح، بمعنى أنه لا يمكن أن يوجد في داخل مَنْ لم يكن كائنًا دائمًا[٩٩] مَنْ هو دائم الوجود وغير المتغير[١٠٠].

**إرميـــــا**: هذا حق.

**كيرلس**: إذًا ما هو الأمر المستحق لكل أعجاب أكثر من أننا في داخلنا قد تشكّلنا حسب صورة الابن؟ وأين سطع الجمال الإلهى داخل نفوس أولئك الذين آمنوا كشيء غير معتاد بل وغريب؟ فبالتأكيد يوجد تشابه تام بين أحد الخلائق والخلائق الأخرى، وأن هذا التشابه لا يأتيهم من خارجهم بل تفرضه قوانين الطبيعة، وعليه فإن كل الخليقة الأخرى كانت تشبه دائمًا الابنِ الذي هو - حسب اعتقادهم - من بين المخلوقات، وبالتالي فأيُّ بهاءٍ قد تَصور في نفوسنا بواسطة الروح القدس؟! لأنه سيَتَّضِح أَنَّ ما قد وُهِب لنا كان بدون هدف، لأننا إن لم نكن قد حصلنا عليه (بواسطة الروح القدس) كان سيكون في داخلنا حسب طبيعتنا، وقد حصلنا عليه من ذواتنا وبدون أن نأخذه

---

[٩٨] نردد في قانون الإيمان أننا «نؤمن بالله الآب ضابط الكلّ خالق السماء والأرض...».

[٩٩] أي الإنسان.

[١٠٠] أي الله.

من آخر. غير أن هذا سيناقض كل ما هو سليم ومنطقي؛ لأننا نحن ـ الذين آمَنَّا ـ صرنا شركاء الطبيعة الإلهية، عن طريق علاقتنا بالابن بواسطة الروح القدس، وقد حدث هذا ليس بطريقة ظاهرية بل بطريقة حقيقية، إذ عندما قَبِلْنا هذا الصورة الإلهية، فقد أُعيدت خلقتنا حسب هذا البهاء الذي يفوق كلّ الخليقة؛ لأن المسيح يتصّور[١٠١] داخلنا بطريقة لا توصف ليس كمخلوق داخل (البشر) المخلوقين لكن بكونه هو غير المخلوق وهو الله، داخل طبيعة مخلوقة ومجبولة، مُشَكِلاً إياها من جديد حسب صورته بواسطة الروح القدس، واضعًا هذه الخليقة ـ أي نحن ـ في مرتبةٍ أعلى من رتبة كل المخلوقات[١٠٢].

**إرميـــــا:** وبالتالي فلا يوجد ما يُعوق أو يَستْبعِد الابن الوحيد عن البنوّة الحقيقية، ويجب علينا أن نؤمن بأنه مولود غير مخلوق.

**كيرلس:** نعم، وذلك أن نقبل فعلاً أنه إله حقيقي، ونؤمن أنه يجب أن يُكَرَّم مِنَّا ومن كل الملائكة القديسين بالسجود، وبأن يُعطىَ له كل المجد والكرامة الإلهية. لأنه لو عَبَدَنا الخليقة دون الخالق، ولم نعطِ الطبيعة الإلهية التي تفوق

[١٠١] انظر غلا٤: ١٩.

[١٠٢] يثبت ق. كيرلس أُلوهية الابن، من خلال عمله في داخلنا ويتبع نفس الأسلوب الذي اتبعه في الحوار الثالث. انظر ص٥٢م. والجدير بالذكر أن ق. أثناسيوس استخدم نفس المنهج في سياق دفاعه عن الروح القدس في مواجهة «المحرّفون» الذين أنكروا أُلوهية الروح حاسبين أياه ضمن الأرواح المخلوقة وبالتالي فإن عمله في داخلنا كان سيكون عملاً غير إلهي. ومبدأ ربط الدفاع عن أُلوهية الروح القدس بالدفاع عن أُلوهية الابن مبدأ أساسي في تعاليم ق. كيرلس الذي اعتمد على تعليم ق. أثناسيوس الذي واجه تعاليم هؤلاء المحرفين بعد أن أوضح «أن هذا التفكير ليس غريبًا على الآريوسيين، لأنهم. إذ انكروا **كلمة** الله ـ فإنه من الطبيعي أن ينطقوا بنفس التجديف ضد روحه» انظر الرسائل عن الروح القدس، المرجع السابق، الرسالة الأولى، فقرة: ٢. ولهذا نجد أن ق. أثناسيوس يُثبت أُلوهية الروح القدس أيضًا من خلال عمله في داخلنا فيقول: إنه يقال عنا إننا «شركاء الله» لأنه يقول: «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ»(١كو٣: ١٦.١٧) فلو كان الروح القدس مخلوقًا، لما كان لنا اشتراك في الله بواسطته، فإن كنا قد اتحدنا بمخلوق فإننا نكون غرباء عن الطبيعة الإلهية حيث إننا لم نشترك فيها. أما الآن فلكوننا ندعى شركاء المسيح وشركاء الله، فهذا يوضح أن المسحه والختم الذي فينا ليس من طبيعة المخلوقات بل من طبيعة الابن الذي يوحدنا بالآب بواسطة الروح الذي فيه. هذا ما علّمنا أياه يوحنا عندما كتب «بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ» (١يو٤: ١٣). ولكن أن كنا بالاشتراك في الروح نصير «شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ» (٢بط١: ٤) فإنه يكون من الجنون أن نقول إن الروح من طبيعة المخلوقات وليس من طبيعة الله وعلى هذا الإساس فإن الذين هم فيه، يتألهون. وإن كان هو يؤله البشر فلا ينبغي أن يُشك في أن طبيعته هي االطبيعة الإلهية» المرجع السابق. الرسالة الأول فقرة: ٢٤. والجدير بالذكر أن ق. كيرلس عندما كتب مدافعًا هو أيضًا فيما بعد، عن أُلوهية الروح القدس استخدم نفس المنهج ونفس الكلمات تقريبًا فنجده يكتب: «وإن كنا نؤمن بأن الله قد أتى ألينا بواسطة سكنى الروح القدس داخلنا فكيف يمكن أن يكون (الروح) مخلوقًا؟ لأنه من غير الممكن أن يُقيم الله داخلنا بواسطة مخلوق، إذ أن الله يسمو على الكون (المخلوق). لأنه كما أنه بسكنى الله داخلنا نصبح شركاء الطبيعة الإلهية، وليس شركاء الطبيعة المخلوقة هكذا فإذا سَكَنَ داخلنا مخلوق، فلن نكون بعد شركاء الطبيعة الإلهية، بل شركاء الطبيعة المخلوقة. إذا فالروح هو الله، طالما أن الله يسكن فينا بالحقيقة من خلاله» انظر ق. كيرلس. أُلوهية الروح القدس ترجمة د. سعيد حكيم. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، مايو ٢٠٠٧ ص٨.

الكل كرامة، ناسبين كرامة الخالق للمخلوق، لاستحققنا أن نسمع عن حق قول النبي «الشَّعْبُ الْجَاهِلُ وَالْعَدِيمُ الْفَهْمِ»[١٠٣].

**إرميـــــا:** غير أن هؤلاء لا يقولون عنه إنه «ابن» وإنه «هو الله».

**كيرلس:** وكيف لا يكون قولاً غير متناسق ويدعو للسخرية أن يُدعى الابن بأسماءً مشتَرَكَة وألقاب متعددة، مثل أنه «صورة» الآب[١٠٤] وفي نفس الوقت لا نُعطيه المجد اللائق بالله، حاسبين إياه ضمن المخلوقات؟! أم ليس أمرًا شائنًا أن نقول إنه مخلوق مع أننا نعبده على أنه هو الله؟!

**إرميـــــا:** بصواب تتكلم.

**كيرلس:** إن كانوا يعتقدون كما يجب، فليكفوا عن محاولتهم بخداعنا بكلام مُزَيَّن يُبْعِدون به الابن عن الإلوهة الحقيقية، لأن هذا هو ما يقولونه بكل وضوح، وهكذا يجدّفون عليه بطريقة مباشرة. وإلاّ فإنهم سيسمعون منا ومن الملائكة «يَا هَؤُلاَءِ جَمِيعُكُمُ، الْقَادِحِينَ نَاراً الْمُتَنَطِّقِينَ بِشَرَارٍ، اسْلُكُوا بِنُورِ نَارِكُمْ، وَبِالشَّرَارِ الَّذِي أَوْقَدْتُمُوهُ. مِنْ يَدِي صَارَ لَكُمْ هَذَا. فِي الْوَجَعِ تَضْطَجِعُونَ»[١٠٥]. لأننا سنتبع الطريق المستقيم، مؤمنين أن **الكلمة** هو الله الحقيقي الذي وُلِدَ من الله الحقيقي بطريقة لا تُوْصَف. وعندما يتعقّلون قليلاً، مع أنهم قليلى الفهم، وحتى لو أنهم خففوا من حِدَّة ضلالاتهم ـ حسب اعتقادي ـ فإنهم بالقطع لن يتراجعوا عما يقولون؛ لأنهم بينما يعترفون بالابن أنه هو الله، يحسبونه أقل من الله (الآب) حسب الجوهر، ويضيفون قائلين: إنه مخلوق أَسْمَى قليلاً عن باقي المخلوقات، جاعلين إياه (على الحدود) بين

---

[١٠٣] انظر إر٥: ٢١.

[١٠٤] عندما نؤمن أن الابن هو «صورة الآب» فهذا يعنى أننا نؤمن بأنه مساوٍ للآب في الجوهر وله كل ما للآب وينبغي له المجد اللائق بالله. ولقد أسهب ق. كيرلس في شرح معنى كون الابن هو صورة الآب وذلك في اطار شرحه للآية «لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ» (يو٥: ٢٣) انظر: شرح إنجيل يوحنا المجلد الأول ص٢٧٤-٢٨١. وحسب تعليم ق. أثناسيوس يوجد فرق بين التعبيرين «صورة الله»، «على مثال صورة الله» ففي تعليمه أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار الإنسان «صورة الله»، فالابن «كلمة الله» وحده هو «صورة الله». وحيث إنه مولود من جوهر الآب فهو الصورة الطبيعية والحقيقية الوحيدة للآب. انظر تجسد الكلمة. ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، المرجع السابق فصل ١٣: ٧. ويكرر ق. أثناسيوس نفس هذه الحقيقة في موضع آخر فيقول عن الابن أنه « هو رسم جوهر الآب هو نور من نور وهو قوة وصورة حقيقية لجوهر الآب « المقالة الأولى ضد الآريوسيين المرجع السابق فصل٣: ٩.

[١٠٥] إش٥٠: ١١.

الطبيعة المخلوقة وغير المخلوقة، غير أنهم يجب أن يعرفوا أن طبيعة الإلوهة يجب ألاّ تُفهم أن بها اختلاف، لأن الله لا يمكن أن يكون آخر غير الله من جهة إلوهيته، مثلما الأمر في حالتنا نحن البشر، لأننا نقول إن الطبيعة البشرّية هي واحدة، ويوصف الجوهر أنه واحد، ولا يمكن تغييره. فإن كانوا يؤمنون أن الابن هو الله، فليكفوا تمامًا عن أن يحسبوه بين المخلوقات، أما إن كانوا مقتنعين أن يؤمنوا به أنه من بين المخلوقات، حينئذ لا يجب أن يعترفوا به على أنه هو الله، ففي هذه الحالة سوف نقول في سخرية «اجْعَلُوا الشَّجَرَةَ جَيِّدَةً وَثَمَرَهَا جَيِّداً أَوِ اجْعَلُوا الشَّجَرَةَ رَدِيَّةً وَثَمَرَهَا رَدِيّاً»[١٠٦]. أم انه لا يمكننا يا صديقي أن نعرف أحد المخلوقات، بكل وضوح وبدون أي خداع، عن طريق تلك الأشياء التي نؤمن أنها حقيقية؟

إرميا: بالتأكيد.

كيرلس: هيّا بنا نتحدّث بالضبط عن ماهيَّة طبيعة الابن، واضعين في اعتبارنا الآتي: لو أن الابن ليس هو الله بالطبيعة، بل أتى إلى الوجود مثلنا ـ وذلك حسب أساطيرهم وكلامهم غير المعقول ـ فكيف يكون منفصلاً عن باقي الخليقة؟ وهل يمكن أن يكون هذا قد حَدَث بسبب بُعد المسافات بينه وبينهم؟ ولماذا لا يكون مثل هذا الكلام سَفْسَطَة فلسفيّة؟ لأنه أين أو بأيَّة طريقة يكون (**الكلمة**) غير المتجسِّد معزولاً في مكان ما؟ أو ما هو المكان الذي يستطيع أن يَحدّه؟ وبخلاف هذا فإن يوحنا الطوباوي يؤكد أنه «كَانَ فِي الْعَالَمِ وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ»[١٠٧]. وبالتالي يا إرميا فإننا عندما نفكر بطريقة صحيحة في طريقة ابتعاده، لا نستطيع إلاّ أن نقول إن العالم لم يعرف خالقة، مع أنه هو الكائن فيه دائمًا[١٠٨].

---

[١٠٦] مت١٢: ٣٣.

[١٠٧] يو١: ١٠.

[١٠٨] وفي موضع آخر يشرح ق. كيرلس هذه الآية ويبين بأسهاب السبب الذي جعل «العالم» لم يعرف الابن الذي وصفه ق. يوحنا للاهوتي بإنه «النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِياًإِلَى الْعَالَمِ»، رغم أنه «كَانَ فِي الْعَالَمِ» ويُرجع ذلك إلى سبب روحي وهو أن «العالم ضعيف والابن ينير والخليقة تبعثر النعمة» وليس بالقطع لأن الابن لم يكن هو النور الحقيقي. ولكي يسهب في الشرح يضع ق. كيرلس السؤال الافتراضي الآتي على لسان أحد المقاومين لألوهية الابن: «ياسادة لو كان الكلمة هو النور الحقيقي الذي يضيء قلب كل إنسان بالمعرفة الإلهية وبالمعرفة النافعة للإنسان أيضًا، وكان هذا النور دائمًا في العالم وكان هو نفسه صانعه، فكيف صار غير معروف على مدى أجيال طويلة؟ إذًا =

**إرميــــا:** وكيف حدث هذا؟

**كيرلس:** لقد هرب العالم من خالقه، وابتعد عن الاتصال به، لأنه لم يعرف الخالق الذي هو أَسمَى من الخليقة. ولأنه أنعطف نحو الشرّ فإنه قطع علاقته بالخالق، تلك العلاقة التي كانت عن طريق الروح القُدُس. لأنه بمجرّد أن خُلقَت طبيعة الإنسان بواسطة روح الخالق غير الموصوف زُيّنت في الوقت نفسه بهبَة العلاقة بالروح القُدُس، لأنه مكتوب «وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ»[109]. لأنه ـ كما أعتقد ـ لا يستطيع الكائن الحيّ أن تكون له هذه الدّالّة وهذا التّقْدِيس بأي طريق آخر، سوى شركة الروح القدس؛ فعندما تجَسَّد الابن الوحيد، وَجَدَ أن طبيعة البَشَر خالية من الصلاح الذي وَهَبه الله إليها في القديم عند خلْقَتِها؛ لهذا أسرع بأن يُشْرِكها في ملْئِه مثلما مِنْ نَبْعٍ، قائلاً: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ»[110]، ومبيِّنًا نفخة روحه عندما نَفَخَ في وجوههم. وهكذا كان تجديد البشريَّة وإعادتها إلى رتبتها الأولى، مُماثلاً لما قد حَدَثَ عند خلقها في البدء، بينما نجد أن انفصال الطبيعة المخلوقة لا يُفهم أنه إبتعاد مكاني، بل بالحري أنه إبتعاد هذه الخليقة عن الله وعن شركه الابن والروح القدس. لهذا فيمكن أن ترجع إلى حالتها الأولى لو أرادت ـ طالما أنها وُهبت التجديّد الروحي وهي مدّعوه لشركه الطبيعة الإلهية عن طريق الروح القدس. فلو كان الابن ـ حسب ما يقولون ـ هو واحد من ضمن المخلوقات، فبأيَّة طريقة تكون الخليقة قد انفصلت عنه؟ لأن مَنْ تربَطهم علاقة قرابة هم دائمًا متحابون، ولن ينفصل

=فهو لم يكن ينير ولا كان هو النور بالمرة». ثم يجيب بقوله: «اللاهوتي يوحنا يقابل هذه الفكرة بالذات بما يصححها بقوله «والعالم لم يعرفه» ليس لأنه غير معروف وانما لأن العالم ضعيف. فالإبن ينير والخليقة تبعثر النعمة. لقد أعطى الكلمة للخليقة النظر لكي تدركه كإله للطبيعة ولكن الخليقة بددّت العطيّة وجعلت الكائنات حاجز يمنعها عن تأمل الله ولم تتأمل إلاّ ذاتها، ودفنت عطية الاستنارة تحت الاهمال... فليس النور هو المسؤل عن مرض غير المستنيرين لأنه كما يشرق نور الشمس على الكل ولا يستفيد منه الأعمى دون أن نلوم الشمس دائمًا إنما نلوم المرض الذي أصاب العينين، هكذا أنار الكلمة ولكن الخليقة المريضة لم تقبل النور. لكن «إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ» كما يقول بولس «أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ» (٢كو٤: ٤). وينهي ق. كيرلس شرحه لهذه الآية بقوله «إن ثمار الاستنارة هي بكل حق الإيمان الصحيح بالابن الوحيد. وهذا يشبه عنقود عنب في الكرمه أي فهم الإنسان، أما العكس الذي هو رفض الإيمان الابن الوحيد. أما قبول المشورة الفاسدة التي للهراطقة التي تؤدي إلى كفر تعدّد الآلهة فهو يصبح مثل الأشواك الحادة التي تنمو في داخلنا وتجرح عقولنا حتى الموت بخداع تعدّد الآلهة» شرح انجيل يوحنا. المرجع السابق، المجلد الأول ص١٢٤. ١٢٥؛

[109] تك٢: ٧.

[110] يو٢٠: ٢٢.

أحدهم عن الأخر أبدًا، إذ أن كلًّا منهم مخلوق مثل الآخر. بينما الغريب، أي الذي لا يكون من الطبيعة نفسها، لا يوصف عاده بنفس صفات تلك الطبيعة، لأنه مختلف عنها، فكيف يكون (الابن) قد صار ضمن الخليقة عن طريق الروح؟ وما هو الشيء الذي يمكن أن يُضيفه أو يَهبه لها، أو إلى أي مستوى يمكن أن ترتقي هذه الطبيعة المخلوقة، وما هو الشيء الفائق الذي يشكّله داخلها؟ وكيف يُقال أنه قد وَضَعَ نفسه[111]، طالما أنه لا يحسب من ضمن مَنْ هم أعلى (لأنه مخلوق مثلنا حسب اعتقادهم)؟ أو أي تنازل قد احتاجه حتى أنه في تنازله هذا من عِلِوه، يكون قد اتحد بهذا العالم وصار جزءًا منه، إن لم يكن هو اسمى من العالم والخليقة؟

**إرميـــــا:** أعتقد أنهم سيجدون صعوبة في الإجابة عن هذا السؤال؟

**كيرلس:** وما هو السبب الذي يجعل الابن وحده حرًا ومخلّصًا طالما أن كل الخليقة تحني عنقها في عبودية لله؟ وسنكون غير عقلاء ومثرثرين يا صديقي، لو أننا وضعنا الابن المولود من الآب حسب الطبيعة بين أبناء الله بالتبني، بينما هو أزليّ مع الله الآب. وإن كان الابن مخلوقًا مثلنا، فأين يوجد، ومَنْ هو ذلك الذي يجب أن نتشبّه به ونتغيرّ لنصير على صورته؟

## إعتراضات للمخالفين، مبنيه على سوء فهمهم لبعض الآيات الكتابية:

**إرميـــــا:** أظن أنك شرحت هذا الأمر بشكل واضح جدًا. غير أني أعتقد أن المخالفين يتساءلون: وهل لم يذكر الكتاب المقدّس منذ القديم أن الابن مخلوق، وهكذا اعترف به سليمان الحكيم عندما قال في الأمثال «اَلرَّبُّ قَنَانِي(خلقني) أَوَّلَ طَرِيقِهِ مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ مُنْذُ الْقِدَمِ»[112]. وأيضًا سيقولون إن بطرس المميّز من بين الرسل، قد قال «فَلْيَعْلَمْ يَقِيناً جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبّاً وَمَسِيحاً»[113]. فماذا نستطيع إذًا أن نقول لو أنهم قد

[111] في٢: ٧.

[112] أم٨: ٢٢.

[113] أع٢: ٣٦. سبق أن ردّ ق. أثناسيوس في ثلاث مقالات على المراطقة الذين استخدموا هذه الآية والآية السابقة لها وقدّم شرحًا مستقيمًا لها مبيّنا الإيمان السليم بألوهية الابن ولقد استرشد ق. كيرلس بمقالات ق. أثناسيوس هذه. انظر المقالة الثانية المرجع السابق. فصل١٥، ١٩.

حاصرونا بمثل هذه الأقوال؟

**كيرلس:** وماذا نقول أيضًا، إلاّ ما هو حقيقة بالفعل؟ لأن الذهن الذي لا يستنير بالحكمة السمائيه التي تتدفق بغزارة من عند أبي الأنوار، هو ذهن مُظلم، وبالتأكيد لا يستطيع اجتياز ضباب صعوبات المعرفة. وأعتقد أن داود النبي عبّر عن هذا بقوله: «أَنِرْ عَيْنَيَّ لِئَلاَّ أَنَامَ نَوْمَ الْمَوْتِ»[114]. فهلاّ نفحص بعناية وبذهن متّقد روحي، معاني هذه الآيات وبحاسة شم مدّربه نشتّم ونتتّبع آثار الحقائق غير المرئية وغير المدرَكة فيها. لأن الابن قد قال فعلا إنه مخلوق، لكنه لم يقل هذا بدون إيضاح السبب، لكن قال إن هذا قد تمّ «في بداية طرق الله الآب ولأجل أعماله» وبالتالي فالخلق في هذه الحالة لا يمكن أن يعني أنه خُلِقَ من العدم، بل يعني استخدام مَنْ هو كائن بالفعل لأداء هذه الأعمال المزمع أن تجري. مثل النسّاج أو الحدّاد، فمع أنهما كائنان وموجودان، بغض النظر عما يقومان به من أعمال، إلاّ أن رغبَةَ مَنْ يريد أن يقوم بعمل من هذه الأعمال، هي التي تُكَلِف كلاً منهما بأداء عمله حسب مهنته التي يجيدها، وليس هذا معناه أن يحضرهما إلى الوجود. فلو أن الابن قال فقط «إن الربّ خلقني» ولم يضف شيئًا بالمرّة على هذا القول، لكان من الجائز أن يُفهم قوله بالمعنى الذي يشير إليه المحرّفون، لكنه لم يقل فقط هذا، بل أضاف أنه قد خُلق لأجل أعماله لأول طرقه. ودعهم يتركون عنهم الاستخدام السيئ لمعنى هذه الآيه، وليُعطىَ لهم مثلاً آخرَ أوضح. فعندما تقرأ ما قد كُتب عن الله، أنه «قد صار ملجأً وصخرة»[115]، فهل تقبل إذًا أن الله مخلوق لأن أحدًا قال عنه أنه قد صار ملجأً؟

**إرميـــــا:** مستحيل.

**كيرلس: فلماذا يفكروا هؤلاء التُعساء بمثل هذه الطريقة، مستخدمين** أضاليلَ كثيرة كأسلحة يدَمّرون بها أنفسهم، بينما كان من الواجب عليهم أن ينحازوا إلى الحقيقة، وبالحري إلى ما يَتّضح أنه قد قيل عن الإبن ليس من جهة الوهيته، بل بسبب تجسّده واتخاذه طبيعة بشرّية ومشابهته لنا؟ وغير ذلك

[114] مز١٣: ٣.

[115] مز٩٤: ٢٢. «فَكَانَ الرَّبُّ لِي صَرْحًا وَإِلَهِي صَخْرَةَ مَلْجَإِي».

فإنه يجب ـ على حسب ما أظن ـ أن أقول الآتي: في قوله إنه قد ُخلقَ، أضاف أيضا بأنه وُلِدَ لأنه قال «مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَرَّرَتِ الْجِبَالُ قَبْلَ التِّلاَلِ وُلِدتَ»[116]. فإما أن نلغي عمليه الولاده لأنه قال إني خُلِقتَ، أو نترك هذا التعبير ونؤمن بأنه وُلِدَ. لأن التعبيّرين يتصارعان فيما بينهما، بما يحمله كل منهما من معانٍ، غير أن التعبيرّين هما حق. وبالتالي فالابن ذاته قد وُلِدَ فعلاً من الآب بكونه هو الله، وأيضا فإن جسده مخلوق[117]، ويمكن أن نجد في الكتاب المقدّس ما يقنعنا بذلك، عندما نقرأ ما قاله أشعياء النبي «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ»[118]، فكيف إذًا يأتي **الكلمة** إلينا، بينما هو الله، إلاّ عن طريق قرابة وصلَة، تتفق مع قانون الأجساد؟ وكيف لا يكون هذا أمرًا غير لائق، إذ إنه عندما قيل إنه يتخذ هيئتنا ويتنازل إلى تواضعنا ويصير بين الخليقة وهو غير المخلوق، فإنه حينئذ جاء إلينا مع أنه هو أسمى وأرفع منا، بقدر سمو الطبيعة الإلهية عن الطبيعة المخلوقة. لأن الطوباوي داود دعا الابن الوحيد الذي وُلد من الله (الآب)، والذي هو أرفع منا بدرجه لا تُقارن ولا تقاس والكائن في المجد الذي لا يوصف، مُنشدًا وقائلاً «يَا رَبُّ لِمَاذَا تَقِفُ بَعِيداً؟ لِمَاذَا تَخْتَفِي فِي أَزْمِنَةِ الضِّيقِ؟»[119]. لأن ذاك الذي يختلف عنّا من حيث طبيعته الفائقة في كل شيء، جاء إلينا عندما قَبِلَ بإرادته أن يخلي ذاته. فإن قالوا إن الأمر ليس كذلك، فحينئذ لن يمنعهم أي شيء ـ على ما أعتقد ـ عن أن يقولوا بغير خجل، إن ما قيل عن إن الابن قد جاء إلينا، عندما صار إنسانًا، وهو قول بلا معنى. لأنه متى

---

[116] أم٨ :٢٥ (س)

[117] سبق أن عالج ق. أثناسيوس هذه القضية وَرَدَ على الذين كانوا يتصوّرون أن جسد المسيح غير مخلوق بل هو واحد مع **الكلمة** في الجوهر. انظر. المسيح في رسائل ق. أثناسيوس، عرّبها عن اليونانية أ. صموئيل كامل ود. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي لدراسات الآباء بالقاهرة. طبعة ثانية يناير ٢٠٠٠، الرسالة إلى ابكتيتوس. أما ما قد قرّره الآباء في قانون الإيمان في مجمع نيقية بقولهم «مولود غير مخلوق» فهذا التعبير ينسحب على الابن كلمة الله قبل تجسده. فهو «مولود» إذ أنه هو الابن الوحيد المولود من جوهر الآب قبل كل الدهور، وفي نفس الوقت هو «غير مخلوق» لأنه هو خالق إذ هو الله حسب الطبيعة والذي به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان، وعندما صار الكلمة جسدًا فإنه اتخذ لنفسه جسدًا مخلوقًا بولادته من الروح القدس ومن مريم العذراء وفي هذا يقول ق. أثناسيوس «فالجسد (جسد الكلمة) لكونه من طبيعة البشر ذاتها لأنه كان جسدًا بشريًا ـ حتى إن كان قد أُخذ من عذراء فقط بمعجزة فريدة ـ لكن لأنه كان قابلاً للموت لذلك كان لابد أن يموت كسائر البشر نظرائه. غير أنه بفضل اتحاد **الكلمة** فإنه لم يعد خاضعًا للفساد الذي بحسب طبيعته، بل بسبب **كلمة** الله الذي حلّ فيه فإن الفساد لم يلحق به» تجسُّد الكلمة. المرجع السابق فصل٢٠: ٤ .

[118] إش٧: ٤، مت١: ٢٣.

[119] مز١٠: ١.

كان الابن ليس هو معنا[١٢٠] مادام هو مخلوقًا؟

**إرميـــــا:** بالصواب تتكلّم.

**كيرلس:** وعندما يُقال إنه جُعِلَ ربًا ومسيحًا، يجب أن تفهم أنه وَضَعَ نفسهَ آخذًا شكل العبد، بسبب أنه قد شابهنا. وواضح - على ما أعتقد - بل كان من الضروري، ألاّ تتأثر الطبيعة الإلهية بخصائص طبيعتنا البشرّية[١٢١]، عندما تواضَعَ بالجسد، حاملاً فيه دائما صفات العبودية والمذلّة، بل حتى عندما نُسِبَ للمجد الإلهي ما يليق فقط بضعف البشر. وبالتالي فلأنه صار - من أجلنا - في شكل العبد، ولأنه عاد إلى ربوبيته التي كانت له، والتي لم تفارقه إذ إنها في طبيعته؛ فلهذا يقال إنه قد جُعِلَ ربًا، وأنه جاء إلى عالمنا عندما اتّخذ جسدًا.

فلو كنا بصدد أن ننسب **للكلمة** (قبل تجسُّده) كل ما هو خاص بالجسد، أي كل ما حدث وقيل بسبب التجسُّد، فإننا نكون منكرين للتعاليم الحقة بدون أي وقار بالمرّة. لأنه قد خضع للناموس وصار مرئيًا وملموسًا، ووُضع قليلاً عن الملائكة[١٢٢]، «وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ»[١٢٣]، «مِثْلَ شَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ»[١٢٤]، وتعرّض لآلام الموت القاسية. فيجب ألاّ تُنسب لطبيعة **الكلمة** غير المتجسِّد، مثل هذه الأمور المتواضعة وغير الكريمة، ودعنا نتساءل: ما النتيجة لو تمّ ذلك؟ أعتقد أن المحبوب والجليس مع الآب[١٢٥]، سيبتعد عن كل الأمور التي تجعله في المجد اللائق به كإله، أو بالحري لا يكون في مقام مساوٍ حتى للملائكة. وحينئذ لماذا بينما هو بالتأكيد يُمجَّد إذ هو شريك العرش الالهي مع الآب، نجد أن الملائكة تقف حوله ماثلة لأوامره كعبيد؟ وهو الذي بالقطع يُدعى

---

[١٢٠] أي ليس معنا كواحد منا نحن المخلوقين.

[١٢١] وفي هذا يقول ق. أثناسيوس «هذا هو الأمر العجيب، أنه بينما كان يتصرّف كإنسان كان ككلمة الله يُحيي كل الأشياء وكابن كان كائنا مع أبيه. ولذلك عندما وَلدته العذراء لم يعتريه أي تغيّر (من جهه طبيعته الآلهية) ولا تدّنس بحلوله في الجسد بل بالعكس قد قدّس الجسد أيضًا». انظر تَجسُّد الكلمة. المرجع السابق. فصل١٧: ٥، ٥٤: ٣.

[١٢٢] عب٢: ٧.

[١٢٣] إش٥٣: ١٢، لو٢٢: ٣٧.

[١٢٤] إش٥٣: ٧، أع ٨: ٣٢.

[١٢٥] هذا التعبير يردّده الكاهن في صلاة الصلح في القداس الغريغوري الموجّه للابن عندما يقول: «أيها الكائن الذي كان الدائم إلى الأبد الذاتي والمساوي والجليس. والخالق مع الآب». الخولاجي المقدس. طبعة البراموس ط٣: ٢٠٠٣. ص٣١٦.

ربّ القوات، وهم الذين يمجدّونه بتسابيح تدلّ على ربوبيته قائلين إن السماء والأرض مملوءتان من مجده[١٢٦]، وبالتالي فإن قال المعارضون إنه مخلوق، مع أنه يُمجّد حتى من الملائكة الفائقة المجد، أفلا يبيّن قولهم هذا أن عقولهم ثملة بل ومريضة جدًا؟

**إرميـــــا:** بالفعل، فهذا هو رأيّ أنا أيضًا، لكنهم يقولون إن الابن خُلِقَ لأجل أعمال الآب، ليس عندما اتّخذ الابن شكلنا، لكن عندما وُلِدَ من الآب لكي يعمل به الآب أعماله، فصار مثل الأداة التي حرَّكت المخلوقات.

**كيرلس:** يا لها من حماقة شديدة. فأي كلام كان من الممكن أن يتحاشاه، هؤلاء الذين ينسبون لله الآب أنه خَلَقَ الخليقة بلا هدف، وأن قوّه الخلق لديه ناقصه، وأنه أخطأ فيما لا يجب الخطأ فيه، وبالتالي فإن قوّته الفائقة تصبح غير كاملة؟

**إرميـــــا:** كيف؟

**كيرلس:** ألاّ تفهم. وبغض النظر عن كل هذا. إن كان يليق بالله الآب وبما لديه من قدرات واضحة في عمليه الخلق، أن يظهر كخالق وأن تكون طبيعته هكذا وأن يعمل كل ما يشاء، وبالتالي يرتفع فوق كل لوم، طالما أنه أجرى أعماله بطريقة أخرى ( أي ليس بواسطة الابن )، فكيف لا يكون قد ظَلَمَ الابن إذ قد أحضره للوجود، بدون أن يستخدم أداة ووسيطًا، لكن وهَبَهَ الوجود بقوته الخلاّقه؟ وكيف تكون بقية الخلائق. التي يقولون إنها أقل في المجد من الابن. قد جاءت إلى الوجود بطريقة أفضل وأرفع، بينما الابن مع أنه ممجّد بخصائص طبيعية علويّه، قد جاء إلى الوجود بطريقة أدنى وهامشية؟ لكن ربما يقول بعضهم، إن الفعل الشخصي لله الآب كان أرفع، ونتيجه لهذا **الفعل الشخصي وُجِدَ الابن. فلو قالوا هذا، عليهم أن يجيبوا على هذا السؤال:** ما هو الأمر الذي أقنع إرادة الله الآب التي هي فوق كل تقدير، ألاّ يُفضِّل الطريقة الأعلى على الطريقة الأدنى عندما أراد أن يخلق، بل ألاّ ينجح في عمل كان يجب عليه عمله، متجنبًا. بدون سبب. أن يتممّ ما كان يجب أن يتممّه؟

[١٢٦] إش٦: ٣. ونحن أيضًا نسبحه بتسبحه الملائكة هذه معترفين بألوهيته وذلك أثناء صلوات القداس. انظر الخولاجي المقدس. المرجع السابق٢٢١.

إرميــــــا: وهل حتميّ على أب كل الخلائق أن يخلق الخلائق بدون وسيط؟
كيرلس: لماذا يا صديقي؟ وهل كان من الأصلح له أن يقبل مساعدة آخرين؟ إن مثل هذه الأقوال ستقود إلى أفكار كثيرة غير منطقيّة؟ فما الذي كان الآب في احتياج إليه، لأننى لا أرى ما هي الفائدة من الأداه أو الوسيط. لأننا لو رأينا أنه كان في احتياج حقيقى، وأنه بسبب هذا الاحتياج ولأجل هذا الهدف قد خَلَق الابن، والذي يعتبره هؤلاء المعترضون أنه ضمن الخلائق، فكيف من الممكن أن تكون للآب القدرة الكاملة بكونه هو الخالق، حينما يستجمع في نفسه ـ بواسطة أداة وفي آخر لحظة، قوّته كي يستكمل تمامًا ـ كل ما هو له بالطبيعة؟ بل أقول ما هو أبشع إذ أنه حسب تفكيرهم هذا، سيكون المخلوق مُكمّلاً للألوهة، وأن مَنْ اتخذ وضع الخادم، يتبيّن أنه معونه ضروريّه للقوّة البارئه التي لله الآب. وقلْ لي ـ بالإضافه إلى ذلك ـ كيف وبدون تدخل أى وسيط، سيقدر أن يخلَق الابن، لو كان هو بالفعل مخلوق، طالما أنه يتفوّق كثيرًا وبغير قياس؟ لأنى أظن أنه بسبب خجلهم من أقوالهم المشينة ضد الله، يتظاهرون أنهم ينسبون إليه كرامات مزيّفة. فمَنْ كان قادرًا على أن يخلق بمفرده ما كان متفوقًا وعاليا جدًا، وبدون مساعدة، كيف كان من الممكن أن يُظهر ضعفه أمام خلق الأشياء التي هي أقل، إن كان ليس لديه مساعد؟ وبالتالى لماذا لا يكون هؤلاء الذين يفكرون هكذا جديرون بالشفقه؟
إرميــــــا: ولِما لا؟ غير أنه من المُحتمل أن تسمع أشياء أخرى. مثل أن يقولوا إن الله الآب، قد خَلَق كل الأشياء بمفرده، لأن هذا أمر بسيط.
كيرلس: وبعيدًا عن أي تجديف سيكون أصح، وأنت تبتعد عن الأسباب المؤدية لهذا كله، أن تقول: «اجْعَلْ يَا رَبُّ حَارِساً لِفَمِي. احْفَظْ بَابَ شَفَتَيَّ. لاَ تُمِلْ قَلْبِي إِلَى أَمْرٍ رَدِيءٍ لأَتَعَلَّلَ بِعِلَلِ الشَّرِّ مَعَ أُنَاسٍ فَاعِلِي إِثْمٍ»[١٢٧]. لأن مَنْ يقول إن الله الآب قد خَلَقَ كل شيء بمفرده لأن هذا أمر بسيط، كأنه يقول إن الله متكبّر ومُعجَب بذاته، وهكذا فهو ينسب لله مثل هاتين الصفتين السيئتين والمقززتين ومثل هذا الشخص جاهل ولا يعرف معنى الكلام. غير أنى أريد

[١٢٧] مز ١٤١: ٣ـ٤.

بدوري أن أسألك.

**إرميـــــا:** عن أي شيء تريد أن تسأل؟

**كيرلس:** ألم يقولوا إن الابن مخلوق؟

**إرميـــــا:** نعم. لكن ماذا تقصد بسؤالك؟

**كيرلس:** لو نظرنا نحن ـ على قدر استطاعتنا ـ إلى ماهية تلك الطبيعة التي تهيمن على كل الخلائق، ألن نرى أن كل ما هو مخلوق هو ضئيل بالنسبة إليها.

**إرميـــــا:** بالفعل ضئيل.

**كيرلس:** ولهذا حسب رأيهم فقد أحسن الله عندما خلق الابن فقط. وكأنه عندما شعر بالخجل من باقي الخلائق الدنيا، فقد تخلّص من أمر خلقتها بأن أوكل لآخر (أي الإبن) أن يحُضرها من العدم إلى الوجود؟! في حين نجد أنه بالنسبة لله فإن أجمل وأروع ما يَظهَر من مجده وعظمته هو قدرته على الخلق، وذلك حسب ما نعرفه نحن ونعرف مَنْ هو، أو كما هو مكتوب «فَإِنَّهُ بِعِظَمِ جَمَالِ الْمَبْرُوءَاتِ يُبْصَرُ فَاطِرُهَا عَلَى طَرِيقِ الْمُقَايَسَةِ»[١٢٨]. فإذا كانت الخلائق التي يُعرَف من خلالها ضئيلة ومهملة، فإن الله نفسه سيخجل من طبيعته، مدركًا بالتالي أنها قبيحة. فإن كانت الأشياء التي تظهر ويُعرَف من خلالها صغيرة وحقيرة، فإن الله نفسه كان سيخجل منها وهو مُدرك أن الطبيعة ليست رائعة. لكن أيضًا توجد أشياء رائعة، في كل إنسان وكل ملاك والتي من خلالها تَظهر حقيقة طبيعته، وكيف أنه لا ينقصه شيئاً، أو يمكن أن يخجل من شيء يخص طبيعته إن أراد أن يُعرف (عن طريق طبييعته هذه). فإن كان الأمر هكذا (مع المخلوقات) فما السبب الذي يُخجل الله ممّا يخصه، أو يعتبر ما يمكن أن يُعرف من خلاله، أنه شيء معيب؟ وإن كان أمراً معيباً بالنسبة لله، ولا يليق به كونه قد خلق السيرافيم والملائكة الذين لا يقارنون بالمّرة بعظمة الله ورفعته، إذًا فلأجل السبب نفسه لن يكون أمر وضيع أن يريد من الملائكة أن تسجد له وتمجّده؟ فكيف لِمَنْ يزدرى أن يكون خالق

[١٢٨] سفر حكمة سليمان١٣: ٥ وحسب الترجمة اليسوعية: «فإن عظمة المخلوقات وجمالها يوديان بالقياس إلى تأمل في خالقها» دار المشرق، بيروت ١٩٨٩.

لملائكة، أن يعتبر نفسه إلهاً لها؟ ولأى سبب يرغب في أن نكرّمه ونعبده، طالما يزدرى من أَمْر خلقتنا من العدم؟ وكيف لا يتأثر مجده لو اعتبر أن الأمر الذي من أجله يستحق التمجيّد، هو أمر مهين؟

**إرميـــا**: إذًا لماذا يُقال إن الآب قد خَلَق كل شيء بالابن؟

**كيرلس**: يُقال هكذا لأن الآب خَلَقَ كل شيء **بالكلمة** والحكمة والقوّة المذّخرة فيه. لأن كل ما هو للآب هو للابن. لكن دعنا نفسّر هذا بالطريقة الآتية، متبعيّن الطريق الملوكي، سالكين باستقامة في الحق. ألا ترغب بشدة في أن توافقني، أنه طالما تقول إن الآب خالق، فبالضرورة أنه لا يخلق بدون قوّة أو بدون حكمة ولا بدون **كلمة**؟

**إرميـــا**: بالطبع، فالضرورة تحتم ذلك، ولهذا فإن المزمور ـ من جهه أخرى ـ يقول إن الخليقة «كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»[129] بينما يُحدثّنا إرميا النبى بطريقة رائعه ويقول إن الربّ هو «صَانِعُ الأَرْضِ بِقُوَّتِهِ مُؤَسِّسُ الْمَسْكُونَةِ بِحِكْمَتِهِ وَبِفَهْمِهِ بَسَطَ السَّمَاوَاتِ»[130]

**كيرلس**: ماذا إذًا؟ ألم يَقُل لنا إرميا بكل وضوح، إن كلّ الأشياء قد صارت بفهم الله وحكمته وقوّته، وأيضًا يقول يوحنا الحكيم إن كلّ الأشياء قد صارت بالابن؟ لأن «**كُلُّ شَيْءٍ به**» كما يذكر «كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[131]، كما يذكر.

**إرميـــا**: نعم قالوا أيضًا، لكن ماذا يعنى ما قالوه؟

**كيرلس**: إن ما قد قالوه يعضّد تأكيدنا، أن الابن هو حكمة الله وقوّته[132].

**إرميـــا**: لكن أين يأتي الشك في هذه الحقيقة؟

**كيرلس**: تقدّم إذًا وقُل لي: في أى من هذين الأمرين نعتقد: أن الابن قد جاء إلى الوجود عن طريق حكمة وفهمْ وقوّة الآب؟ أم أنه قد جاء بدون حكمة وفهم وقوّة؟ وذلك لأنهم يقولون إن الابن مخلوق.

---

[129] مز ١٠٤: ٢٤.

[130] إر ١٠: ١٢.

[131] يو ١: ٤.

[132] انظر ١كو ١: ٢٤.

**إرميـــــا**: إن هذا جهل تام بالحقيقة، لأن الآب لم يكن على الإطلاق بدون حكمة وقوّة.

**كيرلس**: بالصواب تتكلّم، وإنى امتدحك لأنك تفضّل أن تؤمن إيمانًا مستقيمًا سليمًا، ولكن ماذا سيقول أولئك الذين يحسبون الابن ضمن المخلوقات؟ وإن لم يكن الابن كائنًا منذ الأزل، قد جاء إلى الوجود حسب قانون الخلق[١٣٣]، وهكذا أصبح للآب حكمة وقوّة وفِهمْ، ففي هذه الحالة يجب أولاً أن يعترفوا أنه قَبْلَ وجود الابن، كان الآب ضعيفًا لا قوّة له ولا حكمة ولا فِهمْ، وأن يقبلوا أنه قد خَلَق الابن بدون حكمة وبدون قوّة، مع أنه مُحاط بكثير من الأمور المدهشة، ولا يشابه بقيّة المخلوقات بل يتفوّق عليها بشكل لا يُقارن؛ ومن ناحية أخرى - مع أن كل كلامهم مُثير للضحك، لإصرارهم على كل ما هو تجديف شائن - ولو أصروا على إعتقادهم أنه من الضرورى أن يكون الابن قد جاء عن طريق حكمة الآب وقوّته، فحينئذ سيكون هو ذاته أكبر من ذاته، ولكنه أيضًا خالق. بمعنى أن يكون الابن قد خَلَقَ نفسه، إذ هو كل حكمة وقوّة الآب - وصار إلى الوجود بقوّته وحكمته. هل تدرك إذًا أن اسانيدهم يمكن تفنيدها من كل جانب؟

**إرميـــــا**: نعم أدرك ذلك جيدًا.

**كيرلس**: بل ويمكن وبدون أى جهد أن تُفند عقيدتهم. وبعدما بَحَثنا في كلّ المعانى المُمكنه الخاصة بطبيعة الله، هيّا بنا ننشغل يا صديقى بالخصائص التي تليق بهذه الطبيعة، وما هي وكيف هي عظيمة. ففيما يختص بالخلق، هل تعتقد أن الباعث أو الدافع في عملية الخلق، الإرادة التي تمنح الخلائق عطيَّة الوجود من العدم، وموافقة أحد هذه الخلائق (الابن كما يقولون) أن يأتي إلى الوجود مثل بقية الخلائق التي لم تكن موجودة من قبل، وبذلك يكتمل خلق كل الخليقة؟ أم أنه أحضر لنفسه أداة للخلق كان استخدامها ضروريًا، مثلما يفعل النحّات الذي لديه الأدوات التي يجب أن يستعملها، كي يصير نحاتًا يقوم بتنفيذ الأعمال التي يعرف كيف ينحتها؟

١٣٣ أي أنه خاضع للزمن.

**إرميـــــا**: قُل ليّ: هل للمرء أن ينكر أنه يليق بالله جداً أن يخلق بإرادته وحده؟

**كيرلس**: بالطبع لا يمكن لأحد أن ينكر هذا، لأن الطوباوى موسى أوضح لنا هذا، قائلاً إن الله هو الذي خلق، وأن الخليقة لم تتمّ بطريقة أخرى وذلك عندما كتب: «وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ»[١٢٤]. وهذا يعنى أنه بمجرَّد أن نَطَقَ الله، تحقّق ما نطق به بدون أى تأخير، بسبب وجود الوسيط أو المساعد ـ كما يدّعي هؤلاء ـ فيعمل وفق نظام محدد، لأن كلمة الله هو قوّة الخلق في حد ذاتها، فبمجرد كلمة من الله، خُلِقَت غير الموجودات وليس بإرادة أي من المخلوقات الأخرى. إذًا فَخَلق المخلوقات تمّ بإرادة الله فقط. فإن كان يليق بالله الآب أن يخلق بمثل هذا الطريقة الرائعة، فلماذا إذًا ينسبون له الحاجة إلى مساعدة آخر وسيط، الأمر الذي لا نعرف كيف اخترعوه وعبّروا عنه بطريقة غير لائقه، عندما قالوا إن وجود الابن كان ضروريًا كى يكون وسيطًا يخلق الآب عن طريقة بقيّه المخلوقات؟ فمن الواضح أنهم يجهلون أنهم لو نادوا بأن الابن مخلوق وأنه يُحسب ضمن المخلوقات، فذلك يظهرونه وكأنه أعلى وأفضل من الآب.

**إرميـــــا**: بأى طريقة؟

**كيرلس**: إن كان الآب يخلِقُ ـ وهو مضطّر عن طريق وسيط ـ بينما الابن يفعل بمفرده ما يريد بإرادته وأوامره، حينما قال بسلطان للأبرص «أُرِيدُ فَاطْهرْ»[١٢٥]. كما أنه أعطى الحياة لهؤلاء الذين كان قد هُزموا من الموت، وأعطى العميّان نور البصر الذي لا يقدّر بشيء، إذًا هل لن يلاحظ أحد أن هذا الوسيط أو الخادم والذي ليس هو حسب طبيعته هو الخالق ـ كما يعتقدون ـ في مجد أعظم، وهكذا سيكون الأداة أفضل من الصانع؟

**إرميـــــا**: هكذا يبدو الأمر.

**كيرلس**: لماذ إذًا يستخفون ـ بدون تبصّر ـ بأهميه أن يفكروا بطريقة سليمه، وينحرفوا تجاه ما هو أشر تابعين ما يرون هم فقط أنه سليم؟ ناسين أن ما يخلقه الإنسان لا يستطيع أن يصنع تلك الأشياء التي يخلقها الإنسان نفسه،

[١٢٤] تك: ١: ٣.

[١٢٥] لو٥: ١٣.

أو أن مَنْ يُصنَع بواسطه آخر لا تكون له حسب الطبيعة وبكيفيّه لا تتغيّر، خصائص جوهر الصانع؟

**إرميـــــا:** كيف؟ لأن عكس هذا الكلام هو أيضا صحيح. لأنه لا يحدث أصلا على سبيل المثال، أن يصير صانع النحاس أو نحاّت الخشب هو نفسه ما يصنعه من تماثيل نحاس أو خشب.

**كيرلس:** بالصواب تتكلّم، وأنا أمتدح فيك هذا الاستعداد الروحي الجيّد. فلو كان الابن مخلوقاً، فبأى طريقة إذًا يمكن أن يعمل أعمالاً مثل التي يعملها الله الآب؟ وكيف له وهو الذي يملك في طبيعته الخصائص الجوهرية الفائقه، أن يحُضر بمثل هذه القوّة وبدون جهد، إلى الوجود كل ما لم يكن موجودًا، حتى أنه بمجّرد إرادته يستكمّل كل الخليقة؟ أم هل ربما لم يكن من الممكن للآب نفسه أن يخلق بنفس الطريقة، طالما أن طبيعته كافية لتحقيق هذا الغرض، كما أن قدرته لا تحتاج لمساعدة المخلوقات؟

**إرميـــــا:** بالفعل هو كذلك.

**كيرلس:** لأنه كما أن المصنوعات والأعمال الفنيّة التي يعملها الإنسان بيديّه، لا تقدر ولا تستطيع أن تعمل ما يعمله الإنسان نفسه، هكذا وبالطريقة عينها. حسب ما أؤمن. فإنه ولا حتى المخلوقات التي خلقتها اليد الإلهية، تستطيع أن تعمل ما يعمله الله ذاته. وهكذا، لأن الابن قد خَلَقَ وفَعَل، لا يمكن أن يكون هو نفسه مخلوقاً من بين مخلوقات التي خلقتها اليد الإلهية، أو يكون قد خُلِقَ من العدم ليصير خالقًا، فهو يملك خاصيه الخلق هذه في جوهره وبدرجه ليست أقل ممّا يملكه الآب ذاته.

**إرميـــــا:** غير أنه يُقال إن الابن قد خَلَقَ الخليقة بدافع من الآب لأنه يقول «الْكلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ»[١٣٦].

**كيرلس:** أعرف تماماً أن هذا هو رأى المعارضين، لأنهم لا يكفّون عن تحرّيف الحقيقة، وما كان يجب عليهم أن يفكروا فيه بطريقة حكيمه من جهه

[١٣٦] يو ١٤: ١٠ سبق أن استخدم ق. كيرلس هذه الآية في رده على القائلين أن لقب «الابن» يُعبرّ عن أنه فقط خليقة مميّزة انظر ص٤٧-٤٨ وما بعدها.

التدبير الإلهى في سِّر التجسد، يتهكَّمون عليه بالأكاذيب الكثيرة. فلو أنهم صاروا بالفعل - أغلبهم - رافضين ومُنكرين سّر تدبير تجسّد **الكلمة**، ومفسرّين حسب رغبتهم أى أقوال يريدونها، ولو أنهم أيضاً يتفقون مع أولئك الذين يفضلون أن يؤمنوا إيماناً مستقيماً بأن **الكلمة** الذي هو الله، قد تجسَّد وصار إنساناً، إذًا فلماذا يظلمون حكمه التدبير الإلهى ويحرّفون معانى الكلمات التي تتفق تماماً مع هذه الحكمة، معطين إياها ما يريدون من معانى ويحثون أتباعهم على إنكار طبيعه ومجد الابن الوحيد؟ لأنه بينما كان من الواجب على اليهود التعساء أن يعجبوا بالمسيح، ممتدحين أعماله وممجّدين إياه بصفته أنه هو الله، إذ إن أقواله وتعاليمه تفوق جداً ما جاء في الناموس، ومعجزاته تتّعدى كل منطق (بشرّى) إلاّ أنهم لم يفعلوا ذلك، بل أعربوا عن غضبهم مُهددّين إياه، بالقتل، ووصل بهم الحال إلى الاعتقاد في أن من واجبهم أن يجدّفوا عليه، وهم يفعلون ذلك بدون أي تقوى. لهذا فقد قالوا مرّة «هَذَا لاَ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلاَّ بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ»[١٣٧] ومرّة أخرى قالوا: «مِنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ الْحِكْمَةُ وَالْقُوَّاتُ؟»[١٣٨]. غير أن سّر التدبير الإلهى كان أمراً صعباً، وعسر الفهم بالنسبه لأولئك الذين وُجِدوا في تلك الحاله، أى كون أنه إله حق من إله حق، وقد استُعلِنَ من أجلنا وصار انساناً مثلنا، وكأنه أراد أن يقول بكل وضوح: «إننى بالفعل حكمة وقوّة، كما إننى الفاعل في كل المعجزات، وأيضاً إن سلطانى غير مُكتسب، وأنا لا أفتخر بشيء غريب عنى، بل إن لى سلطانًا في ذاتي، ولى الحق أن أفتخر بكل ما أعمل، لأنها أعمال خاصة بى وحدي». وإن كان قد قال هذا، لمّا كانوا قد قبلوه منه وهم الذين رغم كلماته المعتدله، قد ثاروا ضده في كل مرّة يتحدّث فيها معهم في أمور تفوق إداركهم البشرى. وهو قد أبعدهم عن حماقاتهم الكبيرة وقادهم رويداً رويداً إلى الفهم العميق وبطريقة حكيمة جداً، أبعدهم عن اعتقادهم بأن ربّ الكلّ يعمل المعجزات باسم بعلزبول، حيث نسب النتائج المبهره لكل أفعاله إلى قوّة الآب التي لا توصف، مُعطيّاً الطبيعة الإلهية كل ما يليق بها. ولأن الابن كائن في الآب

[١٣٧] مت١٢: ٢٤.

[١٣٨] مت١٣: ٥٤.

الذي وَلَده، وبسبب حقيقه أنهما واحد في الجوهر تماماً، فقد قال الابن إن الآب كائن فيه ويعمل هذه الأعمال[139]. إذ إنه لا يجب أن يعتقد أحد ـ لو كان تفكيره سليمًا ـ أن الأفعال التي تليق بالله والتي تكشف عن هويته، هي أفعال جسّدية أى أفعال بشرّيه حينما نفكر فيها بمفردها وفي حد ذاتها. وأيضا فأنا لا أعتقد أن هذا الكلام يبعد بعيداً عن طريقة التفكير المستقيمة.

**إرميـــــا :** اطلاقًا، فهذا كلام صحيح.

**كيرلس:** وبالإضافه إلى ذلك، فإنى أكاد أقول إن أقوالهم عينها تتعارض مع بعضها، لو ظنوا أن **الكلمة** يعمل بمشيئته وحده فقط (دون مشيئه الآب)، وهم بذلك لا يوقرون الآب أيضًا.

**إرميـــــا :** قل لىّ كيف؟ لأنى لا أستطيع أن أفهم قصدك.

**كيرلس:** إن ما يعطيه شخص لشخص آخر ـ ياصديقي ـ ألاّ يمكنه أن يسترده منه ـ وحتى إن لم يفعل، فذلك لأنه فكر في أنه يجب ألاّ يسترده ـ لأنه يملك القدره على ذلك؟! وما لا يملكه الإنسان في طبيعته بل هو مضاف إليه من خارجه، ألاَ يمكن أن يُستَرد منه طالما أن هذا الشيء قابل للاسترداد، حتى وإن كان هذا الأمر لا يحدث بالمّرة؟!

**إرميـــــا :** بالتأكيد.

**كيرلس:** انتبه إذًا لأن عدم التقوى تجاه الابن وحيد الجنس هي عظيمة. فإن لم يكن بمفرده يفعل هذه الأعمال بل يستمد قوّة من الآب كي يخلق، فما هو الأمر الذي يضايقهم حتى أن يقولوا معنا «وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أَنَا مَا أَنَا وَنِعْمَتُهُ الْمُعْطَاةُ لِي لَمْ تَكُنْ بَاطِلَةً»[140]؟ وكيف كان من الممكن للرسول الحكيم جداً بولس ـ لو أراد أن يكون صادقًا ـ أن يكتب قائلاً «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»[141]؟ وكيف يكون مَنْ يتلقى نعمته من الخارج أن يكون

[139] وهذا هو إيماننا من جهة «الابن» إنه إله حق من إله حق وليس أن لقب «الابن» يُعبرّ عن أنه فقط خليقة مميّزة كما ظن الهراطقة وبالتالي فنحن نؤمن أنه خالق مع الآب.

[140] ١كو١٥: ١٠.

[141] ١كو١: ٣.

هو ذاته واهبًا للنعمة مع الآب[١٤٢]؟ ولا أعتقد أنه سيكون من الصواب والحق أن يؤمن شخص، بأن صفة الخلق لدى الابن وحيد الجنس هي بدون هدف، وأنه سيأتى وقت فيه يعاني الابن وذلك لو أراد الآب أن ينزع منه ما قد وَهَبه أياه، وأن يُبعِد عن طبيعة الابن تلك الطاقه التي عن طريقها ـ كما يقولون ـ نشط الابن وصار خالقاً. لأن مَنْ ينشط بواسطه آخر يمكن ان يَسْكن ويكون في حالة خمول، عندما تكون حركته ليست ثمرة لطبيعته الخاصة.

إرميـــــا: هذا صحيح.

كيرلس: وبالاضافة إلى هذا فإنه سيتضح من الكلام الآتي أن ما يقولونه لا أساس له بل أنه سفسطه مملؤة بالشر.

إرميـــــا: أى كلام تقصد؟

كيرلس: ألم تسمعهم أخيراً عندما كانوا يتناقشون معنا بشأن الآب، عندما علّوا من شأنه جداً (بالمقارنه بالابن) الذي أهانوه بكلام مشين؟ لأنه حينئذ قالوا إن الابن قد جاء إلى الوجود (خُلق) كضرورة وحتمّيه، ولأنه لا يليق بالآب أن يخلق بنفسه، لذا خلق آخر (الابن) الذي هو أقل منه ليتمّم به عمليه الخلق هذه. ولأن خلقْ الخليقة كان وشيكًا أن يحدث، فلهذا، أحضر الآب الابن إلى الوجود كى يخلق (بالابن) الخليقة الأخرى التي أقل منه.

إرميـــــا: بالفعل لقد سمعت هذا.

كيرلس: وما مصير تفكيرهم «الحكيم» لو كان الآب قد خَلَقَ كل شيء بواسطة الابن؟ فأن يفعل أحد شيئًا عن طريق شخص آخر، وهذا الآخر ليس له الإمكانية أن يفعل شيئًا من ذاته أو بإرادته الذاتيه بل يكون ـ بطريقة ما ـ مجرد أداة، فأنا ـ على الأقل ـ كنت سأقول وبدون تردد إنه قد تمّم ما يريد بنفسه وليس بواسطه آخر. وسيكون من الحماقه أن نقول إنه لا يليق بالله الآب أن يخلق بقية الخلائق، لأنها ضئيلة بالنسبة له، والأمر ليس كذلك

[١٤٢] نلاحظ هنا أن ق. كيرلس يتبع نفس المنهج الذي سبق أن استخدمه في الحوار الثالث بعنوان «إن الابن هو إله حقيقي كما أن الآب إله حقيقي» فنجده يركّز على أن عمل الابن المتجسد فينا يشهد لألوهيته، فإن كان الابن هو مَنْ يهب لنا النعمة مع الآب فلابد وأن يكون غير مخلوق وغير مصنوع بل هو ابن الله المولود من جوهر الآب والملاحظ أنه يستخدم في أسلوبه هذا آيات من رسائل بولس الرسول سواء في هذا الحوار أو في الحوار الثالث انظر: حوار حول الثالوث، المرجع السابق، ج٢ المقدمة ص٤٩م.٦٤م.

بالنسبة للابن. لأنه ما هو الكائن ـ الذي طالما هو محسوب من ضمن المخلوقات ـ لا يكون ضئيلاً بالمقارنة بطبيعة الله؟ لأنهم بينما يفحصون الطبيعة غير المفحوصة، يَصِفُونَ بعضًا من الخلائق أنها ضئيله بالنسبة لها، غير عابئين في نفس الوقت بمَنْ هو أعظم بما لا يقاس من طبيعة المخلوقات، بل ويثرثرون عليه.

**إرميـــــا**: إن كلامك رائع.

**كيرلس**: دعنا يا إرميا إذًا من كل عبارات المديح؛ وهيًا بنا نتكَلم بكل جديّه ونذكر ما هو حق فقط والذي تعلّمنا أن نعترف به، وهو أن الابن الوحيد هو الله وأنه قد أتى ـ حسب الطبيعة ـ من الله الآب. ولأن الله هو بالفعل كائن وأن طبيعته غير المخلوقه هي بلا بداية وأزليّة، إذًا فلتبطل وبدون رجعة كل الخداعات والخيالات. لأنه كيف يمكن أن نقبل أن **الكلمة** الحقيقى لله قد صَار فيما بعد وأنه مخلوق، ولا يقول كل أحد ممّن يفكرون بطريقه سليمه ـ علي ما أعتقد ـ أننا قد انحرفنا عن التفكير الصائب؟، أو هل يمكن أن تجاوبنى عندما أسألك: هل تنكر أن ما أقوله صحيح؟ لأنه عندما يذكر المرء عبارة: «ابن الله» فأعتقد (مع أن كثيرين قد نالوا التبنى) أنه لا يمكن إلاّ أن يقصد ـ وكذلك مَنْ يسمعه ـ ذلك الذي هو الإبن الوحيد بالحقيقة، حسب الطبيعة، أم هل يبدو لك أن الأمر ليس كذلك؟

**إرميـــــا**: بالفعل، لا يُفهم من هذه العبارة إلاّ هذا المعنى.

**كيرلس**: إذًا فكما أن الله هو بالنسبة لنا واحد وهو الإله الحق حسب الطبيعة، فلوا أراد أحد أن يعرّف إلهنا حتى بدون أن نضيف إلى اسمه أى اسم آخر، فإنه لن يراودنا حتى مجّرد التفكير في أننا نقصد إلهًا آخر، مع أنه توجد أسماء كثيرة لله في السماء وعلى الأرض، كما هو مكتوب[١٤٣]. وهكذا فعندما يشير المرء إلى اسم ابن الله، فإن تفكير أولئك الذين يحبون الله سيتّجه مباشرة إلى الابن الوحيد والحقيقى، أما المعارضون سيضيفون إسمًا إلى الأسماء الباقية.

**إرميـــــا**: اسم مَنْ تقصد؟

**كيرلس**: ألاَ توافقنى يا صديقى، أن مَنْ هو كائن بالفعل هو واحد فقط وليس

[١٤٣] ١كو٨: ٥.

كثيرين؟ هذا هو الله بمعنى طبيعة الله.

**إرميــــا:** أتفق معك.

**كيرلس:** إذًا تلك الأشياء التى خُلقت وجاءت إلى الوجود بواسطته، أليست كائنات؟

**إرميــــا:** هي كائنات، وكيف لا؟ غير أن تلك الكائنات الموجودة هي مشابهة للكائن الحقيقي.

**كيرلس:** لقد تيقنّت أنك تعرف الحقيقة بطريقة جيدة جداً. لأن ما هو مشابه يكشف إلى حد ما المجد الطبيعى للكائن الحقيقي. والكائن الحقيقي إذًا هو واحد. وبنفس الطريقة، على ما أعتقد مع أن كثيرين يدعون آلهة وأبناء، إلاّ أن واحدًا هو حسب الطبيعة وهو الابن وهو الله، إذ إنه مولود من طبيعة الآب بطريقة لا توصف. لهذا فإنه من الحسن جداً أن نعترف نحن به مع الملائكة أنه أزليّ مع الآب، وبأنه لم يُخلَق مثل بقيّة المخلوقات حسب ما يتصّور المنحرفون، أن فكرهم هذا هو معتقد صحيح مع أنهم يجهلون الحق الذي هو المسيح، الذي له مع الآب والروح القدس المجد[١٤٤] من الآن وإلى الأبد آمين.

[١٤٤] يختم ق. كيرلس هذا الحوار بهذه المجدلّه أي أعطاه المجد من الأن وإلى الأبد للابن مع الآب والروح القدس، وهي صيغة الإيمان الثالوثي المستخدمه في العبادة الليتورجية منذ وقت مبكر. انظر: د. جوزيف موريس فلتس، تعاليم لاهوتية في النصوص الليتورجية. المركز الأرثوذكسى للدراسات الأبائية القاهرة أكتوبر ٢٠٠٤.

# الحوار الخامس

## في أن كل خواص الألوهه ومجدها هي كائنة بطريقة طبيعيّة في الابن كما في الآب

### هل الابن يحصل على ما يخصه من الآب[1]؟

كيرلس: إذن يمكننا أن نستخلص من كلٍّ حديثنا، وكما هو واضح، أن الابن لم يأت إلى الوجود في وقت لاحق[2]، وإن الإدعاء أنه مخلوق هو بلا سند، وإنه لابد أن نعترف أن الابن قد وُلِدَ من ذات جوهر الآب، وإنه إله حق من إله حق[3]، وإن مجْدَه، مجدٌ فائق، وهو يفوق، بغير مقارنة، طبيعة أي مخلوق، كما أن تفوّقه يصل إلى الحد الذي يمكن أن يفكر فيه الإنسان عن تَفوَّق الآب ذاته.

إرميـــــا: أوافقك الرأي، لأنك تفكر بطريقة سليمة. ومع ذلك اسمح لي أن اسألك سؤالا آخرً.

كيرلس: بالطبع يا صديقي، لأني اتقبّل بصدر رحب وبكلٍّ سرور أن استمع لكلٍّ حديث يتعلّق بالحقيقة. لأن مَنْ يكون شجاعًا لابد وأن يكون قادرًا على المواجهه، وما يدفعنا لهذا هو سبب مقدّس، فإكمل أنت ما تريد أن تقوله واضعًا في اعتبارك ما قد كُتب في سفر الأمثال « لأن عَصْر اللّبَن يُخْرِج جُبْنا»[4].

إرميـــــا: إذن يجب أن تعرف أنه عندما نقول إن الابن هو الإله الحقيقي وإنه

---

[1] العناوين الجانبية عن الترجمة الفرنسية، سلسلة المصادر المسيحية SC.

[2] اي انه ازلّي مع الله الآب.

[3] في حواره الأول من هذه الحوارات السّبع، عَرَضَ ق. كيرلس نص قانون الإيمان النيقاوي الذي أقرّت به الكنيسة إيمانها بألوهية الابن المُتجسّد وولادته الأزليّة من الآب ومساواته له في الجوهر. انظر: ص٩ وما بعدها. ج١. ط٢. ص٢٨. وهنا في بداية هذا الحوار يستعين ق. كيرلس أيضًا باحد بنود هذا القانون لتأكيد ألوهية الابن وعلاقته الجوهرية بالآب. كما أنه سيستخدم ثلاث بنود أخرى فيما بعد.

[4] أم٣٠: ٣٣.

واحد مع الآب في الجوهر[٥]، فإن المعاندين سيقولون: إن مَنْ له هذه المكانه حسب ما تعتقد، ألاّ يجب عليه أن يتفاخر بما لديه، بدلا من أن يلمع بانوار مجد غريب عنه؟ لأن الإله الحق هو كامل من كلِّ ناحية بسبب أنه يملك كلَّ شيء في ذاته، وهو منزّهه، ولا ينقصه شيء على ما أعتقد، من تلك الأشياء التي تنتمى بطبيعتها إلى تلك الطبيعة (الإلهية).

كيرلس: ماذا تقول؟!، إن كلامك مستفذ، ويثير فيّ مشاعر الحزن بطريقة لا توصف. وجاوبني بكل وضوح، بأي طريقة استطاع هؤلاء المنحرفون أن يخططوا لمثل هذا الكَّم الهائل من الدسائس ضدنا؟

إرميـــــا: هم يقولون: إن كان الابن، يقول إنه هو الإله الحق، وهو واحد مع الآب في الجوهر، فلابد أن يكون له، من ذاته، ما يجعله إلها، ولابد أن يفتخر بما له وليس بما للآب. لأن ما يبدو أنه يخص الابن، قد حصل عليه من الآب كعطيّة إلهية، ولأن الابن قال إنه يُعطَى حياة ويُمجَّد ويتقدَّس بواسطة الآب وإنه قد قام في اليوم الثالث بقوّة الله الآب، وأيضًا أنه قد دُعيَ إلهاً بالمشاركة، وأنه يَسجُد للآب مثلنا ويخضع له معنا معترفًا بملكه وسلطانه. وهم يقولون إن كلَّ هذا قد تعلّموه من الأقوال الإلهية (أي الكتب المقدّسة).

كيرلس: وآسفاه يا إرميـــــا: إن هذا الكَّم من التجديف قد أحاط بالحقيقة، محاولاً تشويهها. غير أنه من الواضح أن الوقت أصبح مناسبًا أن نلبس نحن أيضًا درع الربِّ وسيف الروح[٦]، أي نتسّلح بكلمة الله، ونسلك بكلِّ شجاعة وبدون خوف على الاطلاق، حتى ولو رشقونا بأشنع الكلمات. لكن لو اختلَطتْ الموضوعات التي نتناقش فيها وكانت بدون ترتيب، لربما اختلطت أيضًا آراؤنا، وبهذا تظهر أفكارنا أنها غير مرتَّبة وغير مفهومه. ولهذا فإن رأينا سيوضّح أن الحقيقة الثابتة هي أمر سهل الفهم، وذلك في حالة مناقشة هذه الأمور وتلك الافتراءات كلٌّ على حِدَه. وهيّا بنا لنتحدّث بالتفصيل وبنظام

[٥] حقيقة أن الابن واحد مع الآب في الجوهر ὁμοούσιός ἐστίν ὁ Υἱός τῷ πατρί كانت هي لُبَّ الإيمان الذي دافع عنه ق. اثناسيوس من قبل، ضد آريوس الذي أنكر أُلوهية الابن. ويمّثل مصطلح ὁμοούσιός الذي أرساه ق. اثناسيوس في تعاليم الكنيسة، بندًا أساسيًا في نص قانون إيمان مجمع نيقيه، للمزيد: انظر: توماس ف. تورانس، الإيمان بالثالوث. ترجمة د. عماد موريس، مراجعة د. جوزيف موريس، مكتبة باناريون، طبعة أولى، نوفمبر ٢٠٠٧، ص١٧٩ . ص٢١٥. وقد سبق أن تعرّض ق. كيرلس لشرح هذه القضية في حواره الأول انظر ص١٠ وما بعدها.

[٦] أفسس ٦:١٧.

عن كلٍ أمر من هذه الأمور. غير أني أريد أن أعرف منك أولاً ما يلي: هل هم يعترفون بأقوال الوحي الإلهي، ويعتبرونها أقوال صحيحة وحقيقية أم يظنون أنهم حكماء في عين أنفسهم وبالتالي لا يُدخلون هذه الأقوال في حسبانهم؟

إرميـــــا: أعتقد أنهم سيقولون إن هذه الأقوال هي حق[7].

## الابن قبل وبعد الإخلاء:

كيرلس: لهذا نجد كليّ الطوبى الرسول بولس يكتب عن الابن الوحيد قائلاً: «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً. الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ. لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ. وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ»[8].

إرميـــــا: وما معنى هذا المكتوب؟

كيرلس: ألاّ يُقسِم ق. بولس حديثه هذا يا صديقي إلى مرحلتين، زمنيتين، الأولى، تلك التي كان المسيح فيها في صورة الله «الآب»، أما الثانية والتالية فتلك التي فيها، قد أخلى ذاته . بطريقة معيّنة . وتواضع آخذًا شكل العبد، محتملاً أيضًا هكذا موت الصليب، وحينئذ أُعتبر أن ما يملكه حسب الطبيعة

---

[7] راجع المقدّمة ص٢٩م.

[8] في٢: ٥-١١. يكرر ق. كيرلس هنا استخدامه لهذه الآية للرّد على المتشككين في أُلوهية الابن، وكان قد سبق ان استعان بها في حواره الأول والثالث حيث يقول: «كان من الممكن أن يكون هذا الكلام مثل طريق ممهد ومعَبر لمن يريدون الفهم بطريقة صحيحة ويقودهم هذا الكلام إلى الحق». انظر الحوار الثالث ص ١٣٠. سبق أن اعتمد ق. كيرلس على الجزء الأول من هذه الآيات (٦، ٧) في الرّد على الآريوسيين الذين قالوا إن الابن هو من طبيعة متوسطة بين الله والبشر لأنهم فهموا قول بولس الرسول «يوجد وسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (١تيمو٢: ٥)، وذلك بطريقة خاطئة، لهذا نجد أن ق. كيرلس يقول: [ إن الرسول يحدّد على ما أعتقد، أن الفترة الوحيدة التي تتناسب مع الوساطة هي الأزمنة الأخيرة، والتي فيها حسب كلام الرسول «الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد». ورغم أنه الإله والرب فلكي يُرجعنا بواسطة ذاته لله الآب ولكي يصالح الكلّ حسب المكتوب «عاملاً الصلح» بدم صليبه سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات» لكي يصنع ذلك كله، توسط كإنسان. ولهذا يقول بولس «نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله وذلك بالإتحاد بشخص المسيح. ولأن طبيعة الإنسان لا تحتمل أن تستوعب مجد الله في حالته الأولى قبل التجسُّد، فقد لَبِسَ الابن الوحيد لأجلنا ولأجل منفعتنا جسدنا . وتشبّه بنا]. الحوار الأول ص٢٢.

وفي جوهره، قد حصل عليه عن طريق التبني وكهبه. وأعنى بذلك «الاسم» الذي هو اسمى من كلِّ اسم، وإنه يجب السجود له، ليس منَّا فقط بل من الملائكة أيضًا.

**إرميـــــا:** فعلا هذا حق.

**كيرلس:** إذن فكلِّ الكتاب الموحى به يتكَلم عن هاتين المرحلتين، فمرَّه يتكلَّم عن الكلمة قبل عملية الاخلاء هذه، أي في سمَّو الألوهه عندما كان الكلمة عند الله (الآب)، ومرّة أخرى يتكَّلم عن عملية الإخلاء هذه التي تمَت من أجلنا بإرادته ومحبته للبشر، مُظهِرًا أياه متخذًا جسدًا متواضعًا لا يليق بمجد الألوهه. إذن يستطيع كُل مَنْ لديهم حكمة في الفكر والقول أن يدركوا أنه يمكن الحديث عن هذه الأمور بطريقتين ومعنيين، بل وأن يفهموا الأحداث في الزمن المناسب لها[٩]، وليس كما يفعل الآخرون الذين يُظهرون نوعًا من الخلط والتداخل بين الأفعال وزمن حدوثها، حتى أن ما يجب أن يُنسب للجسد، هم ينسبوه للكلمة الذي ينبت[١٠] من الآب في الوقت ذاته يحسبون ما للابن الوحيد أنه خاص بالجسد عندما صار إلى الوجود.

**إرميـــــا:** وكيف نشك في أنه يجب أن نعترف بمسيح واحد ورّب واحد، كما جاء في الكتب المقدَّسة، التي شهدت بطرق عديدة عن المجد الإلهي الذي للابن الوحيد قبل تَجسُّده على أنه، هو مجده الخاص به حسب الطبيعة وعندما تجَسَّد واتحد بطبيعتنا وصار إنسانا فحينئذ أخذ كلَّ ما يليق بعملية الاخلاء؟

**كيرلس:** إني أرى أنه من الضروري أن تتحدَّث على الحالتين أي قبل تجَسُّد الكلمة وبعد تَجسُّده، طالما أنه يجب علينا أن نفحص الأزمنة التي تليق بكلِّ حاله.

**إرميـــــا:** بالتأكيد.

**كيرلس:** لأنه سيكون من الغباء أن نجعل الزمنيين يتداخلان، لأن هذا الأمر

٩ من الجدير بالذكر أن القديس أثناسيوس قد وضع قاعدة ذهبية لفهم آيات الكتاب المقدس قائلاً أنه يجب معرفة الشخص الذي تتكلَّم عنه الآية وزمان كتابتها والسياق التي وردت فيه هذه الآية. انظر المقالة الأولى ضد الأريوسيين فقرة ٥٤ «لأن مثل تلك الآيات التي أساء فهمها آريوس وأتباعه إنما قيلت عن الله الكلمة حال تَجسَّده وإخلائه لذاته صائرًا في شبه الناس». هذا ولقد أتبع ق. كيرلس هذه القاعدة الهامة إذ يقول «إن التمييز بين النصوص أمر هام جدًا لنا لأن هذا يقودنا إلى تمييز الأزمنة والأوقات». انظر: الحوار الأول ص ٢٠ وهامش ٤٣.

١٠ سبق أن استخدم ق. كيرلس هذا التعبير ليصف به علاقة الابن بالآب إذ يقول أن المسيح هو «نبت الحياة τό ζωῆς Βλάστημα». انظر الحوار الثالث ص١١٩، هامش ٨٦.

سيقودنا إلى عدم معرفة الحقيقة.

**إرميـــــا**: بالفعل.

**كيرلس**: وهل لا يكون مناسبًا أن نصف، **الكلمة** والابن الوحيد الذي وُلدَ من الآب، وفي ملئ الزمان صار إنسانًا ولهذا قد دعىّ بكرًا بين أخوة كثيرين[١١]، بصفات كثيرة معًا، أي بتلك التي تليق برفعته الإلهية، وأيضًا بتلك التي تليق باخلائه عندما أتى بيننا، طالما أن هدفه وإرادته كانت أن يُقنع البشر[١٢] أنه هو الإله الحق من الإله الحق، وإنه قد أتى أيضًا من أجلنا ومن أجل خلاصنا[١٣]، وأن عملية الأخلاء هذه لم تقلّل من شأنه إطلاقًا بل أنها تشهد لحكمته الفائقة وسداد تدبيره مع أنه لم ينكر أنه صار مثلنا في كلِّ شيء ما خلا الخطيَّة وحدها[١٤]؟ ويمكننى أن أقول ومعى كلِّ الحق، لماذا كان يجب عليه أن يتخذ طبيعة تتحمَّل الإهانة والتحقير، مع أن هذا لا يليق بإله مولود بالحق من إله حق[١٥]؟ ولو كان تخلّيه عن ما هو لنا، يمثل ضروره وحاجة كي يحتفظ بإلوهيته كامله غير منقوصه، فلماذا لم يتحد بهذا الجسد من قبل (أي من قبل زمن التَجَسُّد) ويجعله يحتمل هذه الإهانات؟

غير أني لا أعتقد على الأطلاق أنه يوجد مَنْ يصل تفكيره إلى مثل هذا اللغو، حتى لا يُعجب جدًا بالابن الوحيد، الذي لم يحسب أن تكون مساواته لله، اختلاسًا بل أنه من أجلنا قد أخلى نفسه وصار في شبه العبد متحمّلاً كل

[١١] رو٨: ٢٩. هنا يستخدم ق. كيرلس الشطر الأخير من الآية للدفاع عن أُلوهية المسيح الذي أخلى ذاته من أجلنا. وفي حواره الثالث استخدم الشطر الأول أيضًا للدفاع عن ألوهيته وذلك من خلال بيان عمله في داخلنا فيقول ["لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه" لأن المسيح قد شكّلنا مرَّة ثانية بالروح القدس حسب صورته واهبًا جمال طبيعته لنفوس الأتقياء وبطريقة عقلّية وغير موصوفة. بمعنى أننا. كما أعتقد نتشكّل لا لنصير كالله الحقيقي لكننا نأخذ شكل يتناسب وطبيعتنا المخلوقة]. الحوار الثالث ص١١٢.

[١٢] يستخدم ق. كيرلس هنا التعبير نفسه الذي سبق أن استخدمه ق. أثناسيوس كدليل وبرهان على قيامة المسيح عندما كتب: «لأنه إن كان المخلّص يعمل الآن بقوّة بين البشر ولا يزال كل يوم. بكيفيّة غير منظورة. يقنع الجموع الفقيرة في كل المسكونة .. ليقبلوا الإيمان به ويطيعون تعاليمه فهل لا يزال يوجد مَنْ يتطرّق الشك إلى ذهنه أن المخلّص قد أتم القيامة بقيامته وأن المسيح حي أو بالحري أنه هو نفسه الحياة؟» تجَسُّد الكلمة. ترجمه عن اليونانية وتعليقات د. جوزيف موريس فلتس. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ط٦. فصل٣٠/ ٤ ص٩٣.

[١٣] من الواضح تَمسك ق. كيرلس بالعبارات التي جاءت في نص قانون الإيمان بخصوص أُلوهية الابن المتجسد وعمله الإلهي.

[١٤] هذا ما يردده الكاهن في صلاة الصلح في القداس الغريغوري: . الخولاجي المقدس. دير البراموس ط٣، اكتوبر ٢٠٠٢، ص٣١٧. راجع أيضًا عب٤: ١٥، ١بط٢: ٢٢.

[١٥] بندًا آخر من بنود قانون الإيمان. بالإضافة إلى ما ورد في ص١.

ما للطبيعة البشرية. أو مَنْ لا يعتبر أن هذا الاخلاء هو عمل غير جدير بكل تقدير وتعظيم، وهو يرى أن المسيح قد أتمَّ خلاصنا وردّ طبيعتنا إلى رتبتها الأولى[16] مجدّدًا أياها في ذاته[17] بتقديس الروح؟!

ولقد كرَّر القديس بولس بكلٍ وضوح هدف التَجسُّد الإلهي قائلا إن كلمة الله لم يأت لمساعدة الملائكة لكن لخلاص نسل إبراهيم[18]: «مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيماً، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِيناً فِي مَا لِلّهِ»[19] وأيضًا قال «إِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ»[20]، ولماذا استشهد بهذه الآيات مع أن كلٌ مَنْ يريد يقدر أن يعرف بكلٍ وضوح أن المسيح رفع عينيه نحو السماء وصرخ إلى الله الآب قائلاً: «بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ. حِينَئِذٍ قُلْتُ: هَئَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِي. أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلَهَ »[21]، إذن ماذا كان الأمر الملؤ بالحكمة بالنسبة لنا وماذا كانت مشيئة الآب المخّلصه[22]؟

[16] تتكرر هذه العبارة عينها في صلاة صلح للابن في القداس الغريغوري حيث يصلي الكاهن موجهًا كلماته للابن المتجسد ويصف عمله من أجل خلاص الإنسان الساقط فيقول: «وعندما سقط بغواية العدو ومخالفة وصيتك المقدسة وأردت أن تجدّده وترده إلى رتبته الأولى ....» الخولاجي المقدس. دير البراموس. ط٣، ص٣١٦.

[17] انظر رو٦: ٤.

[18] عب٢: ١٦.

[19] عب٢: ١٧.

[20] عب٢: ١٤. من الملاحظ عدم تكرار الآيات نفسها التي يستخدمها ق. كيرلس من رسالة العبرانيين في حواراته، وذلك عكس ما يحدث بالنسبة لآيات إنجيل يوحنا إذ نجده يكرر استخدام الآيات نفسها في أكثر من حوار معطيًا لبعضها تفسيرًا وبعدًا يتفق مع السياق والإطار التي يستخدمها فيه. والآيات المستخدمة هنا من رسالة العبرانيين لم ترد بالمرّة في الحوارات الأربع السابقة. وهذا يعضّد ما أشرنا إليه (انظر ص٢٤٠) بأنه ربما كان يضع شرحه لآيات إنجيل يوحنا أمامه وهو يكتب هذه الحوارات ولذا حاولنا أن نضع في الهوامش تفسيره المقابل لنفس الآية من إنجيل يوحنا عندما وجدناه يستخدمها في حواراته.

[21] مز٤٠: ٧-٨.

[22] يعلّق ق. كيرلس في موضع آخر على الآية «ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب» (يو٢٠:٢٠) بقوله: «لم يستطع شيء أن يمنع نفوسهم (أي نفوس التلاميذ) عن الفرح والبهجة. والمسيح إذ مات مرّة من أجل الجميع لكي يبطل الخطيّة لا يموت مرّة أخرى إذ هو حي إلى الأبد. وهو بكل تأكيد سيحفظ أولئك الذين وضعوا رجاءهم فيه وسوف يحفظهم في فرح لا ينقطع»، انظر: قيامة المسيح للقديس كيرلس عمود الدين. ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ٢٠٠٩، ص٢١-٢٢.

كان هذا الأمر وتلك المشيئة هو أن يموت الموت بموت المسيح[٢٣] عنًّا، وهكذا تبطل الخطيّة ويهلك مَنْ تسبَّب فيها منذ خلقه الإنسان، أي الشيطان، ويصير الخلاص للكلِّ بواسطة دم المسيح الكريم. ولهذا نجد أن بولس الرسول يضيف قائلاً عن الابن: «وَلأَجْلِ هَذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ، لِكَيْ يَكُونَ الْمَدْعُوُّونَ إِذْ صَارَ مَوْتٌ لِفِدَاءِ التَّعَدِّيَاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الأَوَّلِ يَنَالُونَ وَعْدَ الْمِيرَاثِ الأَبَدِيِّ. لأَنَّهُ حَيْثُ تُوجَدُ وَصِيَّةٌ يَلْزَمُ بَيَانُ مَوْتِ الْمُوصِي. لأَنَّ الْوَصِيَّةَ ثَابِتَةٌ عَلَى الْمَوْتَى، إِذْ لاَ قُوَّةَ لَهَا الْبَتَّةَ مَا دَامَ الْمُوصِي حَيّاً»[٢٤].

إذن إن كان من الضروري أن يموت المسيح حتى يتّم سرَّ التدبير الإلهي من أجلنا ـ إذ لم يكن هناك مفرًّا من أن يموت ـ كيف لم يكن حتمّيًا ومفيدًا أن يتخذ الكلمة طبيعة (بشرّية) يقبل فيها الموت[٢٥] وتشابه طبيعتنا في كلِّ شيء ما عدا الخطيئة[٢٦]، بل وأن يلحق بمَنْ فَضَّلَ أن يجعلها طبيعته الخاصه، كلَّ إهانات وتعيير؟ أم هل تتصّور أن ما أقوله هو غير لائق بل وقد تَجَاوزَ حدود الحياء؟

**إرميـــــا:** على الأطلاق.

**كيرلس:** فالكلمة كان على ما هو عليه حتى بعد تَجسُّده أما ما قد اتخذُه عند تَجسُّده فهو لم يكن منذ البدء[٢٧].

**إرميـــــا:** ماذا تقصد؟ لأن ما تقوله عميق وصعب الفهم.

**كيرلس:** ألم يكن الكلمة هو الله والكلمة كان عند الله[٢٨]؟ ألم يكن أيضًا هو «النُّورُ الحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِياً إِلَى الْعَالَمِ»[٢٩]؟ ألم يكن هو الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب»[٣٠]؟ ألم «يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ»[٣١]؟ ألم

[٢٣] تُعبرّ الكنيسة عن هذا الإيمان في لحن القيامة قائلة: المسيح قام من بين الأموات ... بالموت داس الموت...الخ.

[٢٤] عب٩: ١٥-١٧.

[٢٥] راجع ق. اثناسيوس: تجسُّد الكلمة. مرجع سابق. فصل ١/٩ ص٢٤.

[٢٦] انظر عب ٤: ١٥، ١بط ٢: ٢٢.

[٢٧] يقصد أن طبيعته البشرّية لم تكن أزليّة منذ البدء.

[٢٨] يو١: ١.

[٢٩] يو١: ٩.

[٣٠] انظر يو١: ١٨.

[٣١] يو٣: ٣١.

يقل هو عن نفسه «أمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ»[٣٢]؟.

إرميـــــا: نعم فهذا ما يقوله الكتاب المقدّس.

كيرلس: وهل تظن أنه بسبب أن الابن قد أخلى ذاته فإن خصائص طبيعته الإلهيه قد تعرّضت للضرر، أو أنها قد تغيّرت أو أصابها تبديل، عند تعرّض للتجربة وهو في الجسد[٣٣]؟

إرميـــــا: لا أعتقد في هذا على الاطلاق، لأني أُدرك وأومن أن الابن يعلو على كل تغيير، طالما أن القديس بولس يكتب قائلاً «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ»[٣٤].

كيرلس: هذا أمر صحيح وواضح كل الوضوح، لأنه لو كانت طبيعة الابن أو مجده الإلهي قد تعرّضا لأي ضرر بسبب أنهما قد أصابهما تغيُّر فكيف يكون المسيح بالنسبة لنا هو هو؟ إذن فالأمور التي يجب أن نمجّد الابن دائما بسببها هي ثابته دائما حتى وأن كان قد تَجسَّد وحلّ فينا[٣٥].

إرميـــــا: بالفعل يجب أن نمجدّ الابن باستمرار.

كيرلس: والآن، لنأت إذن إلى ما يخص الجسد، بمعنى إلى ما قَبِلَه الابن بسبب تَجسَّده، إذ أن غير الملموس صار ملموسًا[٣٦] ولهذا فعندما وَضَعَ توما أصبعه ويده في مواضع جراحات المسامير في يده وطَعْنَه الحربة في جنبه اعتراف قائلا «رَبِّي وَإِلَهِي»[٣٧].

[٣٢] يو٨: ٢٣، الطبيعة الدفاعية لهذه الحوارات جعلت من استخدام ق. كيرلس المتواتر لآيات من إنجيل يوحنا اللاهوتي أمرًا لائقًا وطبيعيًا، وهنا نجده يورد نصوص (٥) آيات في تتابع متسق، يعضّد بها دفاعه عن أُلوهية الابن المُتجسّد.

[٣٣] يجيب ق. كيرلس على هذا السؤال الاستنكاري، في موضع آخر في سياق شرحه لإنجيل يوحنا بقوله {ولكن إن كان الابن قد وضع ذاته .. مستهينًا بالخزي (عب١٢: ٢) وصار إنسانًا لأجلك، فإن رفضت تواضعه فإنك ستدان على ذلك أما هو الذي أتضع لأجلك، فإن الكرامة الواجبة له هي عظيمة بلا حدود ... لذلك إذ هو كامل ومكتف كليَّة كإله فإنه وضع نفسه لأجلك وصار في شبهك، ورغم أنه مُمجد مجدًا عاليًا كابن الله ومولود من ذات جوهر الآب، فإنه أنزل نفسه، إذ أخلى ذاته من صفات مجده الإلهي بقدر ما تسمح طبيعته الإلهية بذلك..} انظر: قيامة المسيح، للقديس كيرلس عمود الدين، مرجع سابق، ص١٧.

[٣٤] عب١٣: ٨.

[٣٥] هنا يستخدم ق. كيرلس نفس التعبير الذي جاء في إنجيل يوحنا ١: ١٤. ἐσκήνωσεν ἐν ἡμῖν.

[٣٦] تُسبّح الكنيسة بنفس هذه العبارات تقريبًا في ختام ثيؤتوكية يوم الأربعاء قائلة «غير المُدرَك جسّوه» انظر الابصلمودية السنوية المقدّسة. دير البراموس العامر. الطبعة الثانية، أبريل ٢٠٠٣م، ص٣٣٢.

[٣٧] يو٢٠: ٢٨.

فغير المرئي صار مرئيًا[٢٨]. ولهذا فإن داود تنبأ وقال «إِلَهُ الآلِهَةِ الرَّبُّ تَكَلَّمَ وَدَعَا الأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا. مِنْ صِهْيَوْنَ كَمَالِ الْجَمَالِ اللهُ أَشْرَقَ يَأْتِي إِلَهُنَا وَلاَ يَصْمُتُ»[٣٩]. فمتى إذن أو أين وبأي كيفيّة قد أتى الرّب الذي دعى كلَّ الأرض، إن لم يكن الابن الوحيد قد صار إنسانًا، والذي لم يكن مرئيًا مِنْ أي من الخلائق، ظَهَرَ بوضوح في الجسد، بل وتَعِبَ من مشقّة الطريق عندما عَبَرَ إلى قرية السامريين، واحتاج إلى الطعام الجسدى مع أنه هو الذي أعطى قوّة للجائعين كما يقول النبي[٤٠]. ومَنْ «بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ»[٤١] يقال إنه قد جاء بيننا واحتمل الموت بالجسد[٤٢]. فكيف تستطيع يا صديقي أن تنسب كلَّ هذا للابن الوحيد، قبل أن يَتجسَّد ولا تكون بذلك قد تجاوزتَ كلَّ تقوى، بل وكلَّ تعاليم صريحه عن الابن؟

**إرميـــــا:** لو قلنا هذا لتعرّض إيماننا للخطر.

**كيرلس:** فلنترك عنا إذن كلَّ حماقة وعدم تقوى، ولننسب للابن، قبل أن يتجسَّد من أجلنا، كل ما يليق بالله وكلَّ ما يفوق طبيعتنا، أما كلُّ ما يشير إلى طبيعتنا المتواضعة فقد احتمله حسب التدبير، مستأسرين هكذا كلَّ فكر إلى طاعة المسيح[٤٣]. وعندما يقول المسيح له المجد « لَيْس أَحَد صَعِدَ إِلَى السَّمَاء إِلا الَّذِي نَزَل مِن السَّمَاء، ابْن الإِنْسَان الَّذِي هُو فِي السَّمَاء»[٤٤] فيجب

---

[٢٨] وأيضًا «غير المرئي رأوه»، انظر الأبصلمودية السنوية، المرجع السابق. ص٣٣٢.

[٣٩] مز٥٠: ١-٣.

[٤٠] مز١٤٦: ٧.

[٤١] أع١٧: ٢٨.

[٤٢] تشدّد الكنيسة على هذه الحقيقة فتقول في صلاة قطع الساعة التاسعة من صلوات الأجبية والتي تتذكّر فيها موت الربِّ على الصليب: «يا مَنْ ذاق الموت بالجسد في وقت الساعة التاسعة من أجلنا ...» لأن اللاهوت بالطبع لا يموت.

[٤٣] ٢كو١٠: ٥.

[٤٤] يو٣: ١٣، في سياق شرحه لإنجيل يوحنا، يُعلِّق ق. كيرلس على هذه الآية بقوله: «لأنه إذ نزل **كلمة** الله من السماء، فإنه يقول إن ابن الإنسان نزل، رافضًا بعد التّجسُّد الإلهي أن يُقسَّم إلى شخصين، ولا يقبل أن يقول البعض أن الهيكل المأخوذ من العذراء هو ابن واحد وأن **الكلمة** الذي ظهر من عند الله الآب هو ابن آخر». انظر: شرح إنجيل يوحنا، ترجمة د.نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة ٢٠٠٩، المجلد الأول. ص١٩٢. والملاحظ هنا أن القديس كيرلس يُركِّز على البعد الخريستولوجي في تفسيره لهذه الآية وذلك لمقاومة بدعة نسطور التي نادت بابنين وشخصين في طبيعة المسيح، بينما استخدم نفس الآية هنا وركز على البعد الخريستولوجي أيضًا لكن في اتجاه مقاومة بدعة آريوس التي أنكرت الولادة الأزليَّة للابن من الآب.

ألاّ يصل تفكيرنا إلى ما هو غير منطقي، ونقول إن الجسد هو الذي نزل من السماء[٤٥]، لأن النبي قد أشار إلى العذراء بقوله «هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ»[٤٦] ولا حتى يصل تفكيرنا إلى الحد الذي نعتقد فيه أن كلمة الله الذي ولِدَ من الله، قد حصل على بدء وجوده في رحم بشرّي[٤٧]، طالما أن الرسول بولس يصف الابن أنه هو بهاء مجد الآب ورسم جوهره[٤٨] وهكذا فهو يشير بكلٍ وضوحٍ إلى ميلاده غير الجسدي وغير الموصوف وكل هذا في معانٍ هي أرفع من كلٍ منطق.

إرميـــــا: اتفق معك تمامًا.

كيرلس: إذن يجب علينا أن نفكر فيما يليق بكلٍ طبيعة كما جاء في الكتاب المقدّس، لأنه هكذا سنصل مباشرة إلى الحقيقة، بدون أن نستبدل الكلام اللائق بالله، بآخر غير لائق بسبب الجسد وما يختص به، ولا حتى بسبب التدبير الإلهي، نستخدم ما يقال عن الطبيعة البشرّية في الحديث عن الطبيعة الإلهية. لكن يجب علينا أن نحفظ للابن الوحيد خاصيَّة عدم التغيّرَ، معترفين أنه هو هو قبل تَجسُّده وعندما صار إنسانًا[٤٩]. مع أن بعض ما قد قيل

---

[٤٥] أثيرت هذه المسألة في القرن الرابع وردّ عليها ق. أثناسيوس بالتفصيل في رسالة بعث بها إلى الأسقف أبكتيتوس. انظر: المسيح في رسائل القديس أثناسيوس، ترجمة أ. صموئيل كامل عبد السيد ود. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ط٢. يناير ٢٠٠٠. ص٣٤-٤٨.

[٤٦] إش٧: ١٤.

[٤٧] أي رحم العذراء مريم.

[٤٨] أنظر عب١: ٣، في موضع آخر يستخدم ق. كيرلس نفس هذه الآية كأحد البراهين التي ساقها للرّد على أتباع بدعة أونوميوس الذين يقولون إن الكلمة الطبيعي في الله الآب هو غير الذي يُدعَى الابن في الأسفار المقدَّسة، منكرين بذلك ألوهية الابن وكلمة الله الذي ظهر في الجسد، فيقول ق. كيرلس: {نحن نؤمن أن الثالوث القدوس المسجود له، له جوهر واحد، رغم جنون الهراطقة الذي يمنعهم من الإيمان. ووحدة الجوهر تفترض وجود مساواة في الخصائص الطبيعية بين الأقانيم، فإذا عُدنا إلى افتراض الهراطقة الذي يتوّهم وجود كلمة في الآب غير الابن **الكلمة**، فإن المساواة تفترض أيضًا وجود كلمة ذاتي في الابن، طالما أن الابن مثل الآب في كل شيء وهو «صورة جوهره ورسم اقنومه» (عب١: ٣). وأيضًا الروح القدس طالما أنه مساوي للآب والابن سيكون حسب تفكيرهم فيه كلمة ذاتي. وهذا يعني أن الثالوث صار سداسيًا، وأصبحت الطبيعة الإلهية مركبّة. وهذا مستحيل، فالجوهر بسيط غير مركّب، لا يوجد فيه إلّا ثلاثة أقانيم، ولا يوجد وسيط بين كل أقنوم وآخر، بل هو جوهر واحد للثالوث القدوس لا اختلاط فيه بين الاقانيم}. شرح إنجيل يوحنا، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. القاهرة ٢٠٠٩، المجلد الأول. ص٧٢.

[٤٩] تُعبّر الكنيسة معترفة بهذا الإيمان في تسبحتها اليومية قائلة: «لم يزل إلهًا أتى وصار ابن بشر لكنه هو الإله الحقيقي أتى وخلّصنا» ثيؤتوكية الخميس. الابصلمودية المقدسة. مرجع سابق. ص٣٤٣.

عنه مثل الجوع والعطش والحزن..... الخ. كان بسبب طبيعته البشرّية[٥٠].

**إرميـــــا:** غير أنه إن أرجَعَتُ كلَّ الأمور إلى تدبير[٥١] تَجسُّده، وحسب ما يترآى لك أنه حسن، فحينئذ كيف سنعرف ماهيه الله **الكلمة**؟

**كيرلس:** أستطيع أنا أيضًا بدوري أن اجيبك وأسألك أيها الكريم: لو أني أرَجَعتُ كلَّ الأمور إلى طبيعة **الكلمة**، فحينئذ بأي طريقة ومن أين سَنَعلم أنه قد صار إنسانًا؟ لأنه لا يستطيع أحد أن يَعلْمَ عن الأمور الإنسانية من خلال الخصائص اللاهوتية. فَمَنْ يفوق طبيعتنا بغير مقارنه وهو الذي أحضر كلَّ الخليقة إلى الوجود بدون أي وسيط[٥٢]، كيف يكون من الممكن أن يُعبِّر عن طبيعة أولئك الذين هم أقلَّ منه بكثير جدًا؟ ومن ناحية أخرى لن يفيدك شيئًا لو أدرَكتَ أن **الكلمة** هو الله، لكنه لم يصر إنسانًا. بينما سيكون إيمان كلُّ مَنْ يؤمن أن **الكلمة** هو الله وأنه قد صار إنسانًا، هو إيمان كامل، لأن القديس يوحنا يقول «مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلاَّ الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ؟»[٥٣]. لأن اسم «يسوع» هو الأسم الجديد الذي اتخذه **الكلمة** عندما تَجسَّد. لأن هناك نبوة تشهد لهذا وتقول «وستدعُى باسم جديد يُعيّنه فم الرّب»[٥٤]. وياعزيزي، ألم يُبشَّر الملاك غبريال العذراء مريم بإراده الله الآب قائلاً لها «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ ... هَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ»[٥٥]؟!

**إرميـــــا:** بالفعل.

**كيرلس:** إذن لأي سبب (وسأكون مسرورًا لو عرفته منك) نستهين بأهميّة

[٥٠] يشدّد ق. كيرلس على هذا الإيمان بقوله: {لأن الأشياء التي كُتبت عنه كإنسان تُظهر طريقة إخلائه لأنه كان أمرًا مستحيلاً بالنسبة للكلمة المولود من الله أن يسمح بمثل هذه الأشياء أن تكون في طبيعته الخاصة، ولكن حينما صار جسدًا أي صار إنسانًا مثلنا، فإنه حينئذٍ وُلِد حسب الجسد من امرأة، وقيل عنه إنه كان خاضعًا للأمور التي تختص بحالة الإنسان}. انظر: العظة الخامسة على لو:٢ «كان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ...». تفسير إنجيل لوقا. ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة ٢٠٠٧م، ص٥١ ـ ٥٢.

[٥١] كثيرًا ما يستخدم الآباء هذا المصطلح للتعبير عن «خطة الله» لأجل خلاصنا. انظر على سبيل المثال: ق. كيرلس الاسكندري. تفسير إنجيل لوقا، مرجع سابق، ص٧٠.

[٥٢] انظر يو ١:٣.

[٥٣] ١يو٥: ٥.

[٥٤] اش٦٢: ٢ (س).

[٥٥] لو١: ٣٠.

الفهم الصحيح للأمور، ونتحاش أن نثق بقدر الأمكان وبطريقة حكيمة بما جاء في الكتب المقدّسة، بل ونتشّبه بالقشه التي تحركها الريح، مع أن الحكيم بولس الرسول كرز قائلاً: «يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ كُونُوا رَاسِخِينَ غَيْرَ مُتَزَعْزِعِينَ»[٥٦] كما أن الله يبغض عدم الثبات ويصفه أنه مرض. لهذا قال لشعب إسرائيل قديمًا «هَكَذَا أَحَبُّوا أَنْ يَجُولُوا. لَمْ يَمْنَعُوا أَرْجُلَهُمْ فَالرَّبُّ لَمْ يَقْبَلْهُمْ»[٥٧]. إن كلَّ ما هو ثابت وغير متغّير، هو مضمون ولا يمكن تجاوزه ويمثل فائدة كبيرة لنا.

## عودة إلى الموضوع الرئيس:

إرميـــــا: وبأي طريقة إذن نستطيع أن نواجهه ما يقوله هؤلاء، لو أنهم أدّعوا أن كلَّ ما يليق بالله قد صار للابن عن طريق المشاركة فقط؟

كيرلس: لا تقلق يا صديقي، فهذا غير صحيح، كما أنه ليس من السهل تجنَّب هذا الأمر، لكن عندما نفكر وبطريقة دقيقة، مُظهرين المحبة، فإننا سنصل إلى الحقيقة. فأول كل شيء إن أصرّوا على اعتقادهم هذا، فإنهم هكذا سَيَحرِمون الابن من مجد الألوهه، معترفين بكلٍّ صفاته الأخرى ماعدا كونه ابنا، وهم في هذا يشبهون اليهود الذين رجموه وأهانوه. وعندما أراد أن يعرف سبب هذه التعدّيات والمخالفات التي لا تقارن سألهم قائلاً: «أعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي»[٥٨].

---

[٥٦] ١كو١٥: ٥٨.

[٥٧] أر١٤: ١٠.

[٥٨] يو١٠: ٣٢، يشرح ق. كيرلس هذه الآية في موضع آخر موضّحًا أن الأعمال التي أجراها الابن المتجسد تشهد بالوهيته وبانه لم ينل كل ما يليق بالله بالمشاركة كما أدعى الهراطقة بل كونها خاصة بطبيعته الإلهية فيقول: {واليهود إذ لم يمسكوا أنفسهم عنه حينما قال «إنه واحد مع الآب» فإنهم أندفعوا لكي يقتلوه رغم أن كل عمل من أعماله التي أجراها تعلن أنه هو بالطبيعة إله. وهذا لم يحدث الآن فقط بل وفي مناسبات أخرى حينما أخذوا حجارة لكي يقتلوه، فإنهم وقفوا بلا حراك بقوّة المسيح: حتى أنه صار ظاهرًا من هذا أيضًا أنه لن يعاني أي ألم إلاّ بارادته. وأيضًا فالمسيح في لطفه كبح إندفاعهم غير المعقول ليس بأن قال لهم: «بسبب اي كلمة قلتها أنتم غاضبون»؟ بل بقوله: «بسبب أي عمل عملته؟» ويقول، لو لم أكن عملت أعمالًا إلهية كثيرة تبيَّن إني بطبيعتي إله، فربما كان من المعقول أن تغضبوا مني الآن عند سماعكم إياي وأنا أقول: «أنا والآب واحد» ولكن ما كنت أقول هذا لو لم أكن قد أظهرته بواسطة كل الأعمال التي صنعتها ... ويقول إن الأعمال التي أراها لهم هي من الآب، لا ليشير بأن القوّة التي ظهرت في هذه الأعمال هي قوّة أخرى غير قوّته بل لكي يُظهر انها كانت أعمال الألوهية التي ندركها على انها واحدة في الآب والابن والروح القدس}. راجع: شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، ص٧٤٢ . ٧٤٣.

أما هُمْ فصاحوا بغير وقار قائلين:«لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ بَلْ لأَجْلِ تجْدِيفٍ فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهاً»[٥٩].إذن يجب ألاَّ نُعطِي اهتمامًا لهؤلاء الذين يهذون هكذا، أولئك الذين لهم مثل هذا الفكر المريض، فهم يفكّرون بلا منطق، بل نهتم بأولئك الذين يسكن المسيح فيهم بالروح، الذين يضعون المعرفة النقّية لسرٍّ التدبير داخل قلوبهم. فالرسول بولس الذي يصلّى عنّاً بحراره أمام الله قد دعى الابن أنه وحيد الجنس وأنه هو صورة ورسم الآب وأنه ختم وذلك بسبب عِظِم بهائه الذي يعكس بدقة نفس بهاء الآب. فكيف لا يكون من الجدير أن نرى كيف يمكن لجسدي أن يكون صورة لغير الجسدى، وكيف يمكن أن نفهم هذا السِّر؟ لأن مَنْ هو بدون جسد لا يمكن أن يكون له هيئة تقبل أن تأخذ شكلا معيًّنا، ولهذا كيف كان من الممكن له أن يقبل خصائص الجسد؟ لأنه لا يمكن، حسب رأي، أن توجد على الأطلاق خصائص للأجساد في أجساد وهميّه. وهكذا فإن الأمور التي تفوق الحواس ولها طبيعة غير جسدَّية، لا يمكن أن تكون مثل التي تحدث في الأجساد المحسوسه. أم أنك تفكر بطريقة أخرى؟

إرميـــــا: لا، وكيف يكون لي تفكير آخر غير هذا؟.

**كيرلس**: إذن، فطالما نؤمن أن الآب غير جسدي، ويوصف بكلِّ الصفات التي تعلو كلَّ الخلائق، فهيّا بنا نفحص. بقدر استطاعتنا. طبيعته غير الموصوفة وغير المُدَركة ونسترشد برأى مَنْ سبقونا. لأنه هكذا لا يكون صعبًا على الأطلاق أن نصل أيضًا إلى إدراك هيئته التي لا تتغيرّ، أي الابن.

**إرميـــــا**: تابع حديثك لأنك تتكّلم بالصواب.

**كيرلس**: فلنبدأ إذن بما أراد الله أن يعلّمه لليهود أولاً عندما نزل على جبل سيناء في هيئة نار وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كلُّ الجبل جدًا[٦٠]، فكان صوت البوق يزداد اشتدادًا عظيمًا، ارتَعَبَ منه كلَّ السامعين. أما مَنْ كان لديهم تصّورًا بسيطًا عن الله وكانوا يعتقدون أنهم يستطيعوا أن يقيسوا

---

[٥٩] يو ١٠: ٣٣.

[٦٠] انظر خر١٩: ١٨.

السماء باشبارهم[٦١]، محدّدين مجد الله في الهيئة والشكل التي ظهر به هذا المجد، ظانين أن طبيعة الله هي التي ظهرت لهم، مع أن ما رأوه هو نار وصوت بوق سمعوه بأذانهم، ولهذا السبب فقد كانوا وهم مفتخرون بموسى النبي، يظنون أنه يجب أن يَسخَروا بتعاليم المسيح ولهذا فقد قالوا إن موسى النبي قد أظهر أمام أعيننا طبيعة الله وجعلنا مستحقين أن نسمع صوته السماوي، فكيف يقول لهم المسيح الآن أنهم يوجدون في جهاله وأنهم انحرفوا في طريق مُعوّج وابتعدوا عن الحق؟ وبقوله «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ» أراد أن يؤكد قوله لهم «لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ. وَلَيْسَتْ لَكُمْ كَلِمَتُهُ ثَابِتَةً فِيكُمْ لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ هُوَ لَسْتُمْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ»[٦٢]. ومع أنه كان يمكنهم أن يروا في الابن، طبيعة الله الآب بكل وضوح، إلاّ أن هؤلاء التعساء لم يفعلوا هذا، بل تجرّأوا أن يربطوا بين طبيعة الله وبين النار والرياح والدخان[٦٣]. ولهذا إذن فقد علّمهم المخلّص من جديد وباختصار كلَّ ما هو مفيد[٦٤]، ورَبَطَ كلَّ ما

[٦١] انظر أش٤٠: ١٢.

[٦٢] يو٥: ٣٧-٣٨، يوضّح ق. كيرلس معنى كلام المسيح لليهود أنهم لم يسمعوا صوت الربّ والسبب في توبيخهم فيقول: {لقد أنتفخ الفريسيون في تباه غريب، وتظاهروا أن الكلمة الإلهية كانت معهم وفيهم ومن هنا يؤكدون بحماقة أنهم تقدّموا في حكمة عجيبة. لأنه كيف لا يوآخذون وهم يرفضون أقنوم كلمة الله الحي ولا يؤمنون به، بل يهينون صورة الله الآب ويرفضون أن يروا هيئته الحقيقية من خلال سلطانه وقوّته الإلهية؟ لأن الطبيعة الإلهية غير المدرَكة، لا يمكن أن ندركها نحن إلاّ من خلال ما يفعله الله وما يأتيه (رومية١: ٢٠) ويقودنا المخلّص أيضًا إلى إدراك شخصه قائلاً: «إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال» (يو١٠: ٣٧)}. راجع: شرح إنجيل يوحنا. مرجع سابق. ص٣٠٥.

[٦٣] في سياق شرحه لأحداث العهد القديم ومحاولته لأن يرى فيها صورًا مُسبَقة ترشدنا للحقيقة التي أُعلنت بتجسّد الله الكلمة، يعلّق ق. كيرلس على أفعال اليهود هذه بقوله: {حقًا نزل على هيئة نار على جبل سيناء، لكن كون أن هذه الحوارات كانت صورة مسبقة وليس شيء آخر، يُعلّمنا به المسيح. لأن الجموع ظنوا أنهم رأوا الطبيعة الفائقة الوصف بواسطة موسى الذي اجلسهم حول جبل حوريب وجمعهم في احتماع أسفل جبل سيناء. ولأن صوت الأبواق أرعب هؤلاء الذين سمعوه. ظنوا أنهم سمعوا أيضًا الصوت الإلهي الذي أرسل إليهم. أيضًا كون أن هؤلاء فكروا مثلما يفكر الأطفال الصغار فهذا ما يخبرنا به الله بوضوح قائلاً: "وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتًا" (تث٤: ١٢). وأنتم لا تحفظون قوله داخلكم لأن الذي أرسله ذاك لم تؤمنوا به. أما نحن الذين نؤمن به وقد رأينا الآب في شخص الابن وقبلنا كلمته}. انظر: «تعليقات لامعة» (جلافيرا Glaphyra) (٦٢) المقالة الثانية على سفر الخروج. ترجمه د. جورج عوض ومراجعة د. نصحي عبد الشهيد. الكتاب الشهري لخدمة الشباب، عدد يونيو ٢٠١٠ ص١٨-١٩، إصدار بيت التكريس لخدمة الكرازة، ويعطي ق. كيرلس مفهومًا لاهوتيًا لقول المسيح لفيلبس "من رآني فقد رأى الآب" مشدّدًا على أن الرؤية الحقيقية لله هي في الابن ولهذا لم يستطيع الشعب في العهد القديم أن يروا الله رؤية حقيقية من خلال النار أو الصوت. انظر. شرح إنجيل يوحنا، المجلد الثاني ص ١٦٦- ١٦٨.

[٦٤] سبق وأن استخدم ق. أثناسيوس تشبيهات كثيرة لشرح سرّ التجسُّد الإلهي وعمل المسيح الخلاصي ومن بين هذه التشبيهات هي ما يقوم به المعلّم الصالح تجاه تلاميذه فيقول: {وكما أن المعلّم الصالح الذي يعتني بتلاميذه، إذ يرى أن بعضًا منهم لا يستفيد من العلوم التي تسموا فوق إدراكهم، فإنه يتنازل إلى مستواهم ويعلّمهم أمورًا أبسط، هكذا فعل كلمة الله كما يقول بولس «إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكم استحسن الله أن يُخلص المؤمنين=

هو بشرى بكلّ ما يليق بالله، قائلاً «الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي. وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي»[٦٥] وهذا معناه بكلّ وضوح أن الإيمان لا يتعلّق بمجرّد إنسان لكن أيضًا بطبيعة الله (الآب) ومع أن الكلمة كان متجسِّدًا، إلاّ أنه لا ينبغي أن نؤمن به وحده فقط[٦٦]. ومن جهة أخرى فقد أوضح الابن أنه مِثلَ الله الآب تمامًا في كلّ شيء وذلك بسبب أنهما واحد في الجوهر، وذلك عندما قال «الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[٦٧]. ولأن الآب يُرى ويُعرف بكلّ وضوح وبغير تغييرٍ في الابن، فلهذا توجد خواص مشتركه في الآب والابن، يمكن أن تُعتبر هي ذات خواص الإلوهه الواحده، ولذلك نجد أن الابن قد نادى الآب قائلاً «وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي»[٦٨]، كما هو الحال في الأيقونة (الصوره)[٦٩] حيث لا يوجد شيء يختلف عن الأصل، أو يوجد شيء في الأصل يختلف عما هو في الأيقونة، وأنا أقصد بالطبع، ما بين الصوره والأصل من تطابق وتشابه في الهيئة. لهذا فإنه عندما أراد أحد التلاميذ وهو فيلبس، وبدون أن يكون لديه معرفه واضحه عن الابن أن يسأل قال له «يَا سَيِّدُ أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا»[٧٠] وكان سؤاله بدون لياقه، أجابه المسيح «أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ[٧١]، ... أَلَسْتَ

= بجهالة الكرازة» (١كو١: ٢١)}. راجع تجسُّد الكلمة: ترجمه عن اليونانية وتعليقات، دكتور جوزيف موريس فلتس. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. الطبعة الثامنة. فصل ١٥: ١ ص٤٣. وهنا يكرر ق. كيرلس نفس المعنى.

[٦٥] يو١٢: ٤٤-٤٥.

[٦٦] بل بالابن المُتجسِّد والآب الذي أرسله.

[٦٧] يو١٤: ٩.

[٦٨] يو١٧: ١٠.

[٦٩] تعبير إيقونة «εἰκόνα» (صورة) هو تعبير ورد في العهد القديم «لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ... فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه» (تك١: ٢٦، ٢٧). وتمثل عقيدة خَلْق الإنسان على صورة الله عقيدة أساسية في إيماننا المسيحي ويشرح ق. اثناسيوس في كتابه تجسُّد الكلمة أهمية الإيمان بهذه العقيدة لفهم عمل الكلمة المتجسِّد، الخلاصي ونتائجه. أنظر تجسد الكلمة، مرجع سابق، الفصول ٣/٣، ٨، ١٤. وتجدر الملاحظة أنه يوجد فرق . حسب تعاليم الآباء . بين التعبيرين «صورة الله» و «على (مِثال) صورة الله» فالآباء يؤكدون أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أعتبار الإنسان «صورة الله». فالابن «كلمة الله» فقط هو «صورة الله» وحيث إنه هو مولود من جوهر الآب فهو الصورة الطبيعية والحقيقية الوحيدة للآب أو كما يوضح هنا ق. كيرلس أنه لا يوجد شيء في الصورة يختلف عن الأصل أو يوجد شيء في الأصل يختلف عما هو في الصورة.

[٧٠] يو١٤: ٨.

[٧١] بسبب أن الابن هو «صورة» الآب وهو مساوٍ له في الجوهر.

تُؤمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ.. صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ»[٧٢]. وحقيقة أن الابن هو «وجه» الله الآب قد عَبَّر عنها بطريقة واضحة المرنم في المزامير قائلاً «أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ»[٧٣]. وفي موضع آخر يقول مُعَبِّرًا عن كُلِّ المؤمنين به «ارْفَعْ عَلَيْنَا نُورَ وَجْهِكَ يَا رَبُّ»[٧٤]. لأننا قد خُتمنا[٧٥] بواسطة الروح القدس لكي نقتنى أن نكون مشابهين صورة الآب، أي الابن، وهذا ما أكده الرسول بولس بقوله «وَنحْنُ جمِيعاً نَاظِرِينَ مجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مجْدٍ إِلَى مجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ»[٧٦].

## الابن هو صورة وختم الآب:

**إرميـــــا:** لكن، يقال، حتى لو دَعَونا الابن أنه وجه وصورة وشبه الله الآب، فإن هذا لن يؤثر في قضايانا التي نتناقش فيها. لأننا لا نقول إن الابن هو صورة وشبه جوهر الآب بل إن له نفس الإراده، وبالتالي فبسبب وحده الأراده هذه، فإن مَنْ يرى الابن يرى ـ بطريقه ما ـ الآب نفسه.

**كيرلس:** هذا تفكير طفولي ومليء بالغرائب وَهُمْ يَعرْضونه بشكل سطحي ومن السهل جدًا إيضاح هذا. فَهُمْ إذن يقولون إن الآب هو الإرادة، وإنه يمكن

[٧٢] يو١٤: ٩-١١.

[٧٣] مز١٣٩: ٧.

[٧٤] مز٤: ٦.

[٧٥] في سياق دفاعه عن أُلوهية الروح القدس ضد تعاليم محاربي الروح، يُشَدد القديس أثناسيوس على فعل الروح القدس فينا الذي يشهد لألوهيته ويصفه ''بالختم'' و ''المِسحة''. انظر: الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون، ترجمة د. موريس تاوضروس، د. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. نوفمبر ٢٠٠٥، ص٧٢، ٧٣، ١١١، ١١٢، ١٣١. وهنا يكرّر ق. كيرلس التعليم نفسه مؤكدًا أن إمكانية أن نقتني أن نكون مشابهين صورة الآب أي الابن لن تتأتى إلاَّ بختمنا بالروح القدس بكونه هو الله. ومن الجدير بالذكر أن من بين الأسماء ذو الدلالة اللاهوتية للمعمودية، أنها تدعى «ختم»، إستنادًا على ما جاء في رسائل بولس الرسول حيث يقول: « الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضًا وأعطانا عربون الروح القدس» (٢كو١: ٢١-٢٢) وأيضًا (أف١: ١٣-١٤). كما توجد إشارات كثيرة لهذا المصطلح في العهد القديم: راجع: ١مل٢٠، ٤١، زك١٣: ٦، تث٦: ٨، خر١٣: ٩، خر٢٨: ٣٦، حز٩: ٣-٦، مكابين الأول١: ١٥، ٤٨، ٦٠. ولقد دعى آباء الكنيسة المعمودية بالختم فيقول ق. غريغوريوس النزينزي: {دُعينا المعمودية ختمًا لأنها ختم يؤكد ملكيتنا والسلطان الذي يملكنا ولأنها عربون الحياة الأبدية} مقالة ٤٠ عن المعمودية. ويشرح ذهبي الفم معنى الختم بقوله: {كما توضح العلامة على الجندي هكذا نختم بالروح القدس نحن المؤمنين وكما أن الختان هو سمة اليهود ... هكذا نحن أيضًا عربون الروح القدس هو سمتنا} عظة ٣ على تفسيره لرسالة كورنثوس الثانية.

[٧٦] ٢كو٣: ١٨.

أن يُفهَم على أنه هو المشيئة؟ أو في اعتبارهم أن الآب هو كيان متمايز يريدون أن يضيفوا إليه الإرادة؟

**إرميــــا:** وكيف يمكن أن تكون الألوهة بسيطة في الوقت الذي تُدرك فيه على أنها كينونة ومشيئة متمايزين؟ لأنه في هذه الحالة ستكون الألوهة مرَّكبة ومكَّونة ـ بطريقة ما ـ من جزئين في كيان واحد متكامل.

**كيرلس:** وبالتالي فطالما ما هو إلهي هو بسيط في طبيعته وأنت تؤمن أنه يفوق كل تركيب[٧٧] (ورأيك هذا صحيح). فحينئذ يكون هو ومشيئته واحدًا. وعندما يقول المرء «مشيئه» فإنه يقصد اظهار طبيعة الله الآب.

**إرميــــا:** هذا واضح.

**كيرلس:** ولكن المشيئة توجد داخل كيان مثلما توجد الأفكار في كيان المشغولات الفنية. فأن يشاء المرء أو لا يشاء فإن هذا لا يضيف إلى المشيئة نفسها شيئًا، لكن بالحري يضيف إلى الكائن الأخر الذي به تكمن المشيئة. أم أنك ترى غير ذلك.

**إرميــــا:** تمامًا كما تقول.

**كيرلس:** إذن فكيان الآب يوجد داخل كيان آخر ووجوده قد أضيف لشخص آخر، وهنا يصبح لدينا ـ حسب ما تقول ـ كينونة مركَبة وأكثر تعقيدًا بل وغير لائقة. لأن ما هو عليه يصبح لشخص آخر وليس لنفسه طالما أن مشيئتي هي لي بينما مشيئة الآخر هي له، وهي التي توجد في داخله.

**إرميــــا:** كيف إذن أن ما تملكه الكائنات ذو الطبيعة البسيطة وغير

[٧٧] بسيط في طبيعته أي لا ينقسم ولا يقبل التركيب لأن التركيب هو بداية الانقسام . وإن ما يَدَّعيه الهراطقة بقولهم إن جوهر الله يمكن تقسيمه معناه أنَّ طبيعة الله ليست طبيعة بسيطة بل هي مُرَكَّبة إذ أن التركيب هو بداية الانقسام. ولقد سبق أن تعرّض ق. كيرلس في كتاباته الأخرى لشرح هذا الأمر، فقد وصف طبيعة الله إنها [طبيعة بسيطة]؛ انظر الحوار الثالث ص١٠١، وأنها [غير مُرَكَّبة] المرجع السابق ص١٠٩. وفي موضع آخر يُعطى نفس هذا الوصف بأَنَّ: [الجوهر الإلهي بسيط وغير مُرَكَّب] انظر: شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق. المجلد الأول صـ ٧٢. وايضًا يذكر أن الله بسيط في طبيعته وغير مركب بينما نحن نملك طبيعة مركبة» انظر ص ١٠٩ هامش رقم ٥٤. وفي موضع آخر يقول «الطبيعة الإلهية غير المائته، طبيعة بسيطة غير مركبة». ألوهية الروح القدس. ترجمة د. سعيد حكيم المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية مايو ٢٠٠٧ ص١٧. ومن الجدير أن ق. أثناسيوس قد سبق وأوضح أن ولادة الابن من جوهر الآب لا تعنى تقسيمًا لجوهر الله فيقول: «إن الولادة ليست بضعف (بتغيير) ولا بتقسيم لذلك الجوهر المبارك. وليس كفرًا (الإيمان) أن يكون لله وَلَد، مولود من ذات جوهره وحينما نقول إنه «ابن» و «مولود» فلا يعني هذا تغييرًا ولا تقسيمًا لجوهر الله» المقالة الأولى ضد الآريوسيين: ترجمة أ. صموئيل كامل ود. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. الفصل الخامس فقرة: ١٦. الطبعة الثانية ٢٠٠٢ ص٦٢-٦٣.

المرّكبة، يكون مختلفًا عمّا هم عليه.

**كيرلس:** مثل المشيئة، فمع أنها تنحدر من العقل طالما أن العقل هو منبعها وكجذر وقاعدة لها، تتجه إليه بالفكر. لأن العقل هو العلّة الأولى للحركات والأفكار الكائنة فيه. أما نوعيّة الحركات والأفكار، فهي تؤول إلى المشيئة التي تتشكل كثيرًا حسب الحالة والتي يمكن أن تصل إلى النقيض. لأن ما يجعلنا نفعل الخير ليس هو ما يجعلنا نفعل الشرّ وأن ما يجعلنا نختار أن نكون حكماء ليس هو ما يجعلنا أن نختار ما هو عكس ذلك. إذن أعتقد إنه سيكون من الجنون أن نقول إن المشيئة تمثل كينونة الآب.

**إرميـــــا:** حقًا سيكون هكذا.

**كيرلس:** إذن إذا كانت المشيئة في حد ذاتها تحوي كلًّ هذه التناقضات، ولا يوجد أي شخص من هؤلاء الذين يفكرون باستقامة يكون لديه الاعتقاد بأن طبيعة الله هي هكذا، حينئذٍ لن يكون الآب هو المشيئة لكن سيُدرك على أن له وجود خاص وسيكون الابن هو مشيئته ومن طبيعته نفسها، وفي هذه الحالة لن تكون الطبيعة الإلهية مركَّبة مثلما يدعي هؤلاء بل هي طبيعة بسيطة بالفعل، الأمر الذي يمكن أن يدركه كلًّ مَنْ حباهم الله بطبيعة بسيطة حكيمة. وليتوقف من الآن فصاعدًا كل فضول لأن الأمور الإلهية هي أعلى من أي تفكير أو كلام. أو ليس هذا صحيحًا يا صديقي العزيز؟

**إرميـــــا:** اتفق معك تمامًا، لكن بما أنك تُسمِيّ الابن مشيئه وأراده الآب هل تستطيع أن تثبت ما تقول بشهادات من الكتاب المقدَّس؟

**كيرلس:** وكيف لا؟! لأني أظن أن داود النبي يستطيع أن يعطينا ردًا مقنعًا وقاطعًا لأنه ينشد مخاطبًا الله الآب قائلاً «بارادتك تهديني»[٧٨]. وسيُثبت هذه الحقيقة عندما يشرح الحقيقة بكلمات أخرى. أليست كل الأشياء خُلِقت بواسطة الابن الذي بدونه لم يكن شيئًا مما كان، حسب ما يذكر القديس يوحنا[٧٩]؟!

[٧٨] مز٧٣: ٢٤ س.

[٧٩] يوحنا ١: ٣. يرى ق. كيرلس في هذه الآية تعاليمًا واضحة عن أُلوهية الابن إذ هو واحد مع الآب في الجوهر، وإذ له كل ما للآب فعلينا أن نؤمن أنه الإله الحق، فهو مختلف عنّا نحن البشر من جهة طبيعتنا فكل البشر هم ضمن المخلوقات حتى وإن دعوا آلهة بالنعمة، ويقول في تعليقه على هذه الآية: {يضع الإنجيلي الكرامة الإلهية الخاصة بالابن =

**إرميـــــا**: بالفعل.

**كيرلس**: وفي مزمور آخرٍ يمجّد داود النبي الله الآب خالق كلّ الأشياء قائلاً «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»[٨٠]، وهو بالقطع يدعو الابن أنه هو حكمة الله.

**إرميـــــا**: وماذا يعنى هذا؟

**كيرلس**: يعني يا صديقي، إنه طالما أن مشيئة الله ليست هي أمر آخر غيره، أو أنه هو بدون حكمة، وأن الابن هو الحكمة، فكيف يكون من الممكن أن يُدرك أن للآب كيان مستقل؟ لأن هذا معناه أن الآب قد تحوّل ـ بطريقة ما ـ في الابن وكأنه قدّ تخلّى عن كينونته (أبا) وصار حكمة، لو أنه كان هو مشيئة فقط بدون أن يكون لها حكمة. ولكن كان في نفس الوقت هو حكمة العالم كله. ويمكننى أن اضيف شيئًا آخرً وهو أن الابن هكذا قد صار صورة وشبيهًا لنفسه، طالما أنه هو نفسه الحكمة والمشيئة وفي نفس الوقت هو صورة الآب الذي يدعى حكمة ومشيئة.

**إرميـــــا**: فلنبعد عن مثل هذه الأفكار الطائشه.

**كيرلس**: بالفعل هذه أفكار منحرفة وطائشه. إننا نؤمن أن الابن هو صورة مطابقة لجوهر الله الآب وبدون أن نضيف إليه أن له نفس أراده الله الآب، نستطيع أن نؤكد أنه أرفَع من كلِّ الخليقة، حاسبين إياه أنه هو هيئه الله الآب الذي له حسب الطبيعة كل ما لله الآب. وبسبب أن له الأراده الواحده مع الآب، فلهذا يقال إنه هو صورة الله الآب وهكذا فإن كل ما للآب حسب الطبيعة صار له هو أيضًا ولم يتردّد في أن يقول «الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ ....

- لكي يوضِّح بشكل كامل أنه واحد في الجوهر مع الله الذي وَلَده. وإن كل ما يخص الآب يخص الابن أيضًا ولذلك يجب أن نؤمن أنه الإله الحق وليس كمن نال لقب الألوهية التي تعطى لنا بالنعمة وحدها، حسب الكلمات «أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلي كلكم» (مز٨٢:٦). أما هو فغير ذلك تمامًا، لأن «**كل شيء به كان**» وعندما يقول الإنجيلي «كل شيء به كان» فهو لا يستثني أي من الكائنات مهما كان ... ولأننا نؤمن أن كل شيء قد خُلِق بواسطة الابن فلا نستطيع أن نحسبه كواحد مع كل المخلوقات، بل هو غيرها تمامًا لإنه ليس ضمن الطبائع المخلوقة، بل نعترف أنه وحده بالطبيعة الإله الحق} انظر: شرح إنجيل يوحنا. المجلد الأول. مرجع سابق ص٧٨.

[٨٠] مز١٠٤: ٢٤ س.

أنّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ»[٨١]... «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»[٨٢].

وإني لا أعتقد أنه من الغريب أن نفكر أن هذه الأقوال الجريئة التي تناسب الابن فقط كان يمكن أن تُعطى له كتاج على رأسه بواسطه داود، حتى يستطيع أن يقول عن نفسه « أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» أو «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» أو ربما نعتقد أن داود النبي لم يكن له نفس المشيئه مع الله؟! لأن الرب قال مرَّة لصموئيل، متّحدّثًا عن داود «وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي»[٨٣].

إرميـــــا: من المحتمل لكن ليس أكيد.

كيرلس: هذا مستحيل يا صديقي، وكلامهم هذا مثال واضح على هزيان المعاندين الذين لا أعرف كيف ينطقون بمثل هذا الهزيان بدون أن تَحمَّر وجوههم خجلاً. لأنه حتى لو أردنا أو فعلنا ما يريده الله الآب معا، فلن يجعلنا صوره وشبه لطبيعته، لأن هذا يحدث فقط لنفس الطبيعة التي لها نفس الجوهر الذي تستمد منه كلٌ شيء.

إرميـــــا: حينئذ كيف يمكن أن نصبح نحن على صورة الله؟

كيرلس: يحدث هذا لأن لنا الابن ساكنًا في داخلنا والختم الإلهي[٨٤] أصبح فينا مانحًا إيانا كل غِنى، وهكذا صرنا على صورة الله بواسطة الابن. أما صورة الآب أي الابن والذي يعلوا ويسمو على الكلٌ فإنه يتصّور داخل نفوسنا بواسطه الروح القدس، ولهذا فإن القديس بولس يكتب إلى أهل غلاطية الذين انساقوا وراء شرورهم «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ

[٨١] يو١٤: ٩-١٠.

[٨٢] يو١٠: ٣٠. لقد أساء الآريوسيون فهم هذه الآية واعتبروها دليل على وحدة الابن مع الآب في المشيئة وليس في الجوهر. لهذا يوضّح ق. كيرلس المعنى اللاهوتي الصحيح لهذه الآية بقوله: {نؤمن أن الآب هو قائم بذاته والابن قائم بذاته موحدين الاثنين في الجوهر نفسه وعارفين أيضًا أن لهما قدرة واحدة حتى أن هذه القدرة ترى بدون أي اختلاف في الواحد كما في الآخر. وبكلمة «واحد» يشير إلى وحدة الجوهر...وهذا هو ما ينبغي أن يفهم، بعكس ما فهمه الآريوسيون من القول: «أنا والآب واحد»، فهذا لا يعني أنه برهان على وحدة المشيئة بل على وحدة جوهرهما. لأن اليهود فهموا بهذا القول أنه تكلّم عن نفسه أنه الله وأنه مساوٍ للآب. والمسيح لم ينكر إنه قد قال هذا كما فهموا هم} انظر: شرح إنجيل يوحنا. المجلد الأول. مرجع سابق. ص٧٤٢.

[٨٣] أع١٣: ٢٢.

[٨٤] يكرر ق. كيرلس ما سبق أن أشار إليه من قبل. انظر ص٢٠.

الْمَسِيحُ فِيكُمْ»[85].

**إرميـــــا:** هذا الكلام رائع.

**كيرلس:** إنه كلام بلا معنى وسخيف أن يقال إن الابن هو صورة أراده ومشيئه الآب وليس إنه هو صورة[86] جوهره لأن فيلبس قال «أرنى الآب» ولم يقل أرنى أرادة الآب. كما أن الابن تحّدث عن نفسه بصفة أنه صورة الآب فقال «مَنْ رآني» ولم يقل مَنْ رأى إراده الآب «فقد رأى الآب ذاته». بينما كان من الواجب على مَنْ قيل عنه إنه لم يكذب ولم يوجد في فمه غش[87]، ألاّ يقول ما قد قاله إن لم يكن هو بالفعل هكذا. لكن لأنه هو فقط يَعرفُ الآب والآب يَعرفُه فقد دَعى نفسه، ليس أنه هو صورة ورسم لأراده الآب، بل أنه هو رسم أقنوم[88] ذاك الذي وَلدهَ وقال « اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ».

**إرميـــــا:** لكن إن كنا قد اقتنعنا بأن نؤمن بهذا الإيمان ولدينا أسبابًا منطقيّة لهذا وأيضًا صار إيماننا عن طريق الحقيقة عينها وهكذا نحن نسلك في الطريق السليم. ومع هذا فلتعلم أن الآخرين سيقولوا الآتي: مَنْ يكون على «رسم» آخر، فهو لن يوجد بالقطع في نفس أقنومه، ولا يمكن أن يكون له أقنومه الخاص، لكنه يُدرَك فقط من خلال ذات أخرى. فلو أن الابن يوجد في الآب «كرسم» حسب ما تعتقدون فالابن إذن لن يكون له كيانه الخاص.

[85] غلا٤: ١٩.

[86] كلمة «رسم» الواردة في الترجمة البيروتية للآية «الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره» (عب١:٣) هي في الأصل اليوناني Χαρακτὴρ بمعنى «صورة» والمقابل لكلمة «صورة» في النص اليوناني للقديس كيرلس هي كلمة «εἰκόνα» أي «إيقونة» راجع ΕΠΕ, Τομ. 8. διάλογος πεμπτός. σελ. 431.

[87] بط٢: ٢٢.

[88] انظر عب١: ٣، χαρακτῆρα τῆς ὑποστασεως αὐτοῦ هذه الآية من الآيات الهامة جدًا التي استند عليها آباء الكنيسة في دفاعهم عن أُلوهية الابن المتجسِّد، لهذا وردت بكثرة في نصوصهم الدفاعية وعملوا على شرحها في سياقات متعدّدة تهدف كلها إلى بيان أن طبيعة الابن **وكلمة** الله لم تتغيَّر عندما تَجسَّد. ولقد وردت هذه الآية في حوارات القديس كيرلس السابقة راجع الحوار الأول ص٢٠، الحوار الثالث ص ١٠١. وفي سياق رده على الذين يخلطون بين صفتي «الخلق» و «الولادة» في الطبيعة الإلهية البسيطة، استخدم ق. كيرلس هذه الآية وتسآل قائلاً: « كيف يمكن أن نعتقد أن الابن هو رسم المجد الذي لا يُعبرّ عنه وبهاء جوهر الله الآب، إن لم يكن يمتلك إمتياز كونه مولودًا، أو إن كانت ولادته مجرَّد كلمات جوفاء أو إن كان مختلفًا في طبيعته عن الآب وبذلك يُحسب ضمن المخلوقات؟ وفي هذه الحالة ما الذي يمنعنا من أن نحسب الآب أيضًا ضمن باقي المخلوقات، ونضطر نتيجة لذلك أن نعتبر الآب مثل باقي الكائنات التي تخضع للتغيير مادام صورته ورسم جوهره خاضعًا أيضًا للتغيير». الحوار الثاني ص٦٦. مرجع سابق ج١، ط٢، ص١٠٦. ويقول أيضًا: «إن أزليَّة الابن مشهود لها من الآب إذ هو مولود من الآب أزليًا بالطبيعة». ويستشهد بنفس الآية السابقة لإثبات ذلك ويعطى مثل الشمس والشعاع لإيضاح هذه الحقيقة انظر الحوار الثاني ص ٦٦.

كيرلس: إنه أمر يُرثى له، كما هو واضح، ويُحسب ضمن الأشياء المقززه للنفس، أن يفهم المرء أمرًا بطريقة واضحة وكاملة من مثل هؤلاء المجانين أو أن يُعطِى أهميّة لأمر ينقصه الفهم. بل أن يميل إلى الأمور التافهة بينما يضعون الأمور الصحيحة في مقام الأمور المقززه للنفس. أم أنه من غير المفضّل أن نفهم، أن عملية إدراك طبيعة الابن بواسطة عقولنا البشرّية هو أمر مستحيل للغاية وهو أبعد من كلّ كلام تتكلّم به؟ لأنه طبقا لما هو مكتوب «مجد الربّ لا يُفحص بالكلام»[89]. ونحن بجهد كبير وبعَرق شديد ننجح في إدراك المعرفة كما في مرآه ونستجمع أفكَارنا، ومن خلال المعاني الكثيرة نكوّن صورة، ومع أنها تبدو كلغز[90]، الاّ أننا نربح هكذا إيمانًا راسخًا. لكن بسبب أنه لا يوجد بين كلّ المخلوقات والكائنات التي تخضع لفعليّ الخلق والفناء، ما يشبه تلك الطبيعة الفائقة والمّجده، فلهذا نحن ندرك بصعوبة بالغة ما يحيط بتلك الطبيعة آخذين في الاعتبار ـ حسب الضروره ـ من كلّ كائن ما يفيد في إظهارها، وكأننا نقيس السماء باشبارنا، لا نَكفَ ـ حسب ما نملك من عقل صغير ـ عن أن ننطلق إلى تلك الأمور التي تفوق كلّ عقل، قائلين إن الابن هو نور وحياة وحكمة، لأنه هكذا دعيّ في الكتاب المقدس، لكن وبدون أن يَجِد أحد هذه الأسماء طبيعته غير الموصوفة، نقول إن للابن صفات عديدة وقد اجتمعت معًا في واحد كامل. لأن طبيعة الابن بسيطة (غير مركبة)[91]، لكن لأن فيه كلّ هذه الصفات حسب الجوهر، فنحن ننقاد ـ بطريقة ما ـ إلى وصفه بلغتنا الخاصة. إذن فعندما يقال إن الابن هو رسم اقنوم الآب[92] فلابد أن تُدرِك أن الابن غير منفصل عن الآب، بل أنه مرتبط به، إذ هو صورة الذي وَلَدَه. وعندما يقال أيضًا إنه بهاء مجده الذي يُشع كالنور، فلابد أن تفكر ـ بطريقة ما ـ في طريقه خروجه (ولادته) بدون أن يتخلّى بالمرّة عن أقنوميته، ولا حتى أنه

---

[89] أم ٢٥: ٢ س.

[90] انظر ١كو١٣: ١٢.

[91] يكرر ق. كيرلس ما سبق أن تحدث عنه في ص٢٢٨ من أن الطبيعة الإلهية هي طبيعة بسيطة وهنا يصف طبيعة الابن – بكونه هو الله – بأنها طبيعة بسيطة.

[92] انظر عب١: ٣.

ينحصر في هذه الأقنوميه حتى يظهر وكأنه قائم بذاته وحده. لأن طبيعة الابن تنبع من طبيعة الآب، كما من مصدر، دون أن تنفصل عنها بأي طريقة من الطرق، فكينونه الابن هي منفرده وهو ابن حقيقي، وليس مجرد «رسم» بدون اقنوم، لأنه كيف يمكن أن يفهم على أنه لا وجود له مع أنه بالفعل هو الحياة بطبيعته؟ أم أنك لا تدري إنه قال لموسى أن اسمه « أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ.. هَذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهَذَا ذِكْرِي»[٩٣]؟.

ارميـــا: إنك تتكلّم بطريقة رائعة، ولقد قلت إنه في ملء الزمان إن حياة الابن قد أُظهرت من أجلنا[٩٤]، إذ هو ختم الآب[٩٥] الحيّ، وصورته الحقيقية. غير أنهم يقولون إن كان الأمر هكذا فلماذا يتقّبل الابن الحياة من الآب؟ لأنه هو نفسه قال: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِه»[٩٦]، كما أنه قال في موضع آخر بدون تردد «كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يحيَا بِي»[٩٧]. كما أن بولس الرسول قال لنا: « اللَّه الّذِي هُو غني فِي الرَّحْمَة مِن أَجْل مَحَبّته الْكَثِيْرَة الّتي أَحَبّنَا بِهَا وَنحن أَموَات بِالخَطَايَا أَحْيَانَا مَع الْمَسِيح، بِالنِّعْمَة أَنْتُم مُخَلّصُون، وَأَقَامَنَا مَعَه وَأَجْلَسَنَا مَعَه فِي السَّمَاوِيّات فِي الْمَسِيح يَسُوْع»[٩٨]. وبصفة عامة تستطيع أن تقول إنه في كلّ الكتاب المقدّس يظهر أن الابن قد أخذ الحياة من الآب وأن له هذه الحياة في ذاته، وسأكون سعيدًا جدًا لو أني قد استمعت منك كيف نضع

[٩٣] بمعنى الكائن الذي يكون. انظر خر٣: ١٤-١٥.

[٩٤] أي عندما تجسّد الابن وكلمة الله وشابهنا في كل شيء ما عدا الخطية وحدها، وذلك من أجل خلاصنا، انظر ١يو١: ١-٢.

[٩٥] انظر يو٦: ٢٧، يكرر ق. كيرلس ما سبق الإشارة إليه عن أن الابن هو ختم، انظر ص٢٥. وفي موضع آخر يشرح معنى أن الابن مختوم من الآب فيقول: {«مختوم» هنا أي أنها تعني «ممسوح» (أي الذي يُمسح ويختم) إذ إنه يُظهر أنه كائن بالطبيعة في الآب} شرح إنجيل يوحنا المجلد الأول. مرجع سابق. ص٣٤٧، للمزيد من شرح ق. كيرلس لهذا المصطلح انظر ص٣٨٤ . ٣٩٤. ويعطي ق. كيرلس معنى لمصطلح ختم يرتبط من ناحية بعلاقة الابن بالآب ومن ناحية أخرى بعمله فينا فيقول: "لأننا تشكّلنا من جديد حسب الصورة الأولى إذ ختمنا بختم الابن، كي نصبح مثله، لأنه هو صورة الآب وختمه وليس هو آخر بجانب الآب وذلك بسبب الجوهر الواحد" الحوار الثالث ص١١٣ وهامش ٦٥.

[٩٦] يو٥: ٢٦.

[٩٧] يو٦: ٥٧.

[٩٨] أفس٢: ٤-٦.

حقائق الإيمان أمام معارضينا..

كيرلس: بالفعل، إنه أمر جيد جدًا أن تقول. وأعتقد أنه ليس بدون قصد. إن الابن لا يمكن أن يُدرَك على أنه «رسم» أراده الله بل هو رسم جوهره وأقنومه[٩٩]، وذلك حسب ما جاء بالكتب المقدّسة.

إرميـــــا: حسن جدًا، لأنهم لن ينكروا ، بأي حال من الأحوال، ما قد قيل بطريقة صحيحة.

كيرلس: فالكائنات، طالما أنها لم تتشكّل حسب رسم وهيئة أخرى، بل لها نفس الشبه الجوهري لكائن آخر، فلابد أن يكون لها نفس الطبيعة ويكون من الحتمى أن تشابهه في كل شيء.

إرميـــــا: ماذا تقصد؟ لأني لم أفهم ما تقول بشكل جيد.

كيرلس: التمثال النحاس أو الحجري على سبيل المثال، والذي يُظهِر رجل ما، فأي من الأثنين يُظهِر هذا التمثال: هل يُظهر طبيعة وجوهر الرجل أم يُظهِر شكله ومظهره؟

إرميـــــا: شكله ومظهره بالطبع.

كيرلس: أما ابن هذا الشخص، الذي وُلدَ من نفس طبيعته والذي يشبه تمامًا من وَلَدهَ، وأنا أقصد ما يخص الطبيعة، هل لا يمكن أن تقول إنه هو صورة طبيعية وجوهرية له؟

إرميـــــا: بالطبع يمكن.

## هل يستمد الابن الحياة من الآب؟

كيرلس: إذن طالما أنه واضح وظاهر أن الابن وهو رسم جوهر الله الآب، قد أعطى لنفسه كل البهاء الألهي غير المنقوص، قائلاً بكل وضوح « أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ»[١٠٠]

---

[٩٩] انظر عب١: ٣، حسب النص اليوناني Χαρακτὴρ τῆς ὑπαστάσεως αὐτοῦ وتعني «رسم اقنومه» وهنا يصف ق. كيرلس الابن أنه هو «رسم جوهره وأقنومه» «ἀλλ ‹οὐσίας καί ὑποστάσεως χαρατῆρα».

[١٠٠] يو١٤: ١٠. في قول المسيح لفيلبس: «أنا في الآب والآب فيّ» كانه يقول: إني بإظهار طبيعة أبي في ذاتي فأنا صورة جوهره، مثله تمامًا، وليس (كما يظن البعض) أن ذلك يكون بمنحي أمجاد لم تكن لي في وقت ما، ولا حتى بانعكاس بريق الهبات الإلهية عليّ وكأنها لم تكن فيّ، وكأنها قد مُنحَتْ لي من خارجي، بل بالحري فإن الصفات الخاصة بأبي هي موجودة فيّ بالطبيعة ومهما يكون هو، هكذا بالحقيقة تمامًا أكون أنا من جهة كوني من نفس جوهره».-

وأيضًا قال «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[101] ألن يكون من الضروري أن ندرك أنه طالما خص نفسه بالصفات الإلهية مثله مثل الآب، فإنه يكون من المستحيل بأي شكل من الأشكال ألاّ يكون هو الحياة وهو واهب الحياة وذلك حتى لا يكون مَنْ هو الصوره وسيله تتحقق فيها ما للصورة؟ لأنه إن لم يكن الأمر كذلك، فإننا سنجد أن الابن الذي هو صوره الآب، سوف لا يكون هو الحياة بعد، بل سيكون بالحري محتاجًا هو نفسه إلى الحياة التي يستمدها من آخر، ولأن هذا يعني الشك أيضًا في قدرة الآب على إعطاء الحياة. أو كيف يكون من الممكن أن يصير مَنْ يُعطي الحياة ليصبح صورة لا تزول لِمَنْ يهب الحياة، وكيف يكون له فيض الحياة، وفي نفس الوقت يحتاج لحياة مِنْ آخر، أو كيف يمكنه أن يكون مانحًا الآخرين هذه الحياة وهو في ذات الوقت لا يملك في طبيعته وفره من هذه الحياة؟.

**إرميــــا:** بالصواب تتكلّم:

**كيرلس:** وأنا لا أستطيع أن أفهم فِكر هؤلاء الذين يثرثون قائلين إن الابن يستمد حياته من آخر وليس هو الحياة بعينها، وأين يرون موضع طبيعة الابن طالما أنها تختلف - حسب ما يعتقدون - عن الحياة التي هي في داخله؟ أو اليس ضروريًا لِمَنْ. يقول إنه يشترك مع آخر أن تكون طبيعته مختلفة عن طبيعة مَنْ يشترك معه لئلا تكون النتيجة أنه يشترك مع نفسه إذا كان له الطبيعة نفسها.

**إرميــــا:** هو بالتأكيد أمر ضروري.

**كيرلس:** وبالتالي، إن لم يكن الابن حسب طبيعته هو الحياة، سيكون له بالتأكيد طبيعة خاصة، وسيكون قد اتخذ جزءًا من الحياة التي في داخله، كشيء غريب عنه، على اعتبار أنه، ليس هو الحياة. وليجاوب هؤلاء الذين يتصارعون فيما بينهم بمثل هذه الاعتقادات الخاطئة على السؤال الآتي: إلى مَنْ يُنسَب الابن حسب اعتقاد هؤلاء، لأننا أوضحنا في حديثنا السابق أن الابن غير مخلوق.

- انظر ق. كيرلس، شرح إنجيل يوحنا، ترجمة د.نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية،سنة ٢٠١٢م المجلد الثاني ص١٦٥.

[101] يو١٤: ٩. انظر شرح ق. كيرلس لهذه الآية بطريقة مسهبة حيث يشدّد على أن الرؤية الحقيقية لله هي في الابن. شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، ١٥٨-١٦٤.

**إرميـــــا:** يقال أنه اتخذ حياة من الآب، لأن يوحنا يقول: «فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ»[١٠٢]، وبالتالي **فالكلمة** هو الحياة.

**كيرلس:** إذن فعندما تجتمع وتتحد الحياة مع الابن، تقول إن الابن ليس مختلفا عن الحياة التي في داخله، حتى أنك تستطيع أن تُعبّر بأي من الاسمين عن طبيعة واحده، سواء كانت تُسمَى الابن أو تُسمَى الحياة؟

**إرميـــــا:** نعم، هكذا أقول.

**كيرلس:** ومع هذا فهؤلاء يؤكدون على أن الآب هو الذي خَلَقَ الحياة ولهذا كيف لا يكون ما يقولونه هو إدانه لهم؟ أم ربما وهَمْ يقولون بدون أن يقصدوا إن مَنْ وُجَد قد جاء إلى الوجود من العدم، هم غير مضطرّين أن يقولو أيضًا إن مَنْ جاء إلى الوجود في بدء الخليقة، بالرغم من كونه وسيط، كان هو أيضًا غير موجود؟ غير أن هذا، أيها الطوباوين، لا يمت بِصِله للحياة. لأن الحياة ليست هي (شيء) يأتي إلى الحياة، لكن ما يليق بالحري بالحياة هو أن توجد على الدوام وأن تكون بدايتها بغير بداية أو نهاية. أم لو كانوا يظنّون أنهم يتحدّثون عن دراسه وحكمه معتقدين أن الابن يشترك في الحياة، حتى لو كان هو عينه الحياة، فليسمعوا أنه يقال عن مَنْ يُعطِي حياة أنه الحياة وليس مَنْ يُعطىَ الحياة، تمامًا مثل النور والحكمة والقوّة. فالنور لا يحتاج للنور والحكمة لا ينقصها حكمة والقوّة لا تَطلَبُ قوّةً من آخر، لكن النور هو مَنْ ينير والحكمة هي مَنْ تجعلُ الآخرين حكماء، والقوَة مَنْ تقوّى الآخرين. أم أنك لا ترى أني أسير في الطريق المستقيم وبدون أي إلتواء، ذلك الطريق الذي يُمدح حسب المكتوب «فلتسلك في الطريق الملوكي»[١٠٣].

**إرميـــــا:** بالتأكيد.

**كيرلس:** فمن ليس له علاقه حسب الطبيعة، وبصعوبة هو كائن على ما هو فيه، كيف يمكن أن يصير مساويًا لِمَنْ يشترك معه وأن يُوهَب نصيبًا من صفاته الخاصه؟ لأننا سمعنا الابن وهو يقول: «لأنّه كَمَا أن الآب يُقِيْم الأَمْوَات

[١٠٢] يو١: ٤.

[١٠٣] عد ٢١: ٢٢(س).

وَيحْي كَذَلِك الابْن أَيْضًا يُحْي مَن يَشَاء»[١٠٤] وهذا كلام جيّد. لأن طبيعة كلٍّ من الآب والابن تفعل الأمر نفسه بدون أي فرق، طالما أن الآب هو الحياة، الابن هو أيضًا الحياة وهو ليس أقلّ من الآب.

إرميـــا: لكن على ما أظن يا صديقي، أنهم سيقولون، أنك تكذب، وأن عقلك يبدو أنه توقف عن التفكير، إذ أنك لم تُعطِ المعنى المستقيم لباقي التعبيرات، إذ أنك لم تعطِ الآب المنزله السامية التي تليق به، أيضًا ولم ننتبه إلى معنى أنه هو الحياة، لأنه كيف يكون الابن مساويًا للآب حتى ولو كان قد دُعي أنه هو الحياة؟

كيرلس: واعتقد أنه يجب أن نهدأ، حتى لو أجلّنا حديثنا إلى وقت آخر، أما هؤلاء الذين يتصارعون فيما بينهم حول معتقداتهم، فياليتهم يحاولون اقناعنا كيف أن الآب هو مُعطِي الحياة بدرجة أعلى من الابن، وكيف أن الابن مع أنه هو الحياة حسب طبيعته، هو أقلٌّ من الآب. غير أني أعرف تمامًا أنهم لن يقدروا أن يفعلوا هذا، لكنهم سيتخيَّلون ما يظنون أنه صحيح ويحاولون جاهدين أن يشرحوا ما يريدون، فيربطون بروابط قوّية وخاصة بين طبيعة الابن والطبيعة التي تعلو على الكلّ، وهم في هذا يعتقدون أنهم يُكرْمون الآب، وفي نفس الوقت يغضبون الابن عندما يقلّلون من شأنه مع أنه هو الذي قال بكل وضوح: « الّذِي يُؤْمِن بِي لَيْس يُؤْمِن بِي بَل بِالّذِي أَرْسَلَنِي، وَالّذِي يَرَانِي يَرَى الّذِي أَرْسَلَنِي»[١٠٥]. لأنه بأي طريقة نستطيع أن نُدرك أن الآب، الذي هو الحياة حسب الطبيعة، يوجد في الابن، إن لم نُدرَك الابن على أنه هو أيضًا الحياة حسب الطبيعة؟ ولماذا لا نؤمن به عندما نسمعه يقول «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ»[١٠٦]

---

[١٠٤] يوحنا ٥: ٢١. إقامة الأموات هي فعل إلهي يبرّهن على أن مَنْ يفعله هو بالحقيقة ربٌّ وإله. وفي موضع آخر يعلّق ق. كيرلس بالتفصيل شارحًا الأبعاد اللاهوتية لهذه الآية فيقول: {اترون أيضًا في تلك الكلمات برهانًا ساطعًا على معادلته للآب. لأن مَنْ يعمل بالمساواة من جهة إقامة الموتى. كيف يمكن أن يكون أقلّ؟ او كيف يكون من طبيعة أخرى وغريبًا عن الآب. وهو الذي يشع بنفس الخصائص؟ لأن القدرة على الإحياء التي في الآب كما في الابن، هي خاصية للجوهر الإلهي. ولكن الآب أيضًا لا يحيي بعض الناس منفصلاً ومن ذاته أو أن الابن يحيي البعض الآخر منفصلاً ومنعزلاً عن الآب إذ أن الابن له الآب في ذاته بالطبيعة والآب يفعل كل شيء ويعمل كل شيء بالابن، لكن طالما أن الآب لديه قوّة الإحياء من طبيعته ذاتها، هكذا الابن نفسه أيضًا، ينسب قوّة إقامة الموتى، وكأنها تخص كلاً منهما على حدة}. شرح إنجيل يوحنا. مرجع سابق، المجلد الأول، ص٢٦٩.

[١٠٥] يو١٢: ٤٤.

[١٠٦] يو١٤: ٦.

وهو يقول عن نفسه إنه هو «الحياة» وليس «حياة»[١٠٧] وهذا معناه. بشكل مطلق. أن الحياة هي الحياة الإلهية، حياة الله الآب، وهكذا فهو لا يستبعد نفسه من كونه هو الحياة، أكرر بأي طريقه نستطيع ذلك، إن لم نقبل أن للآب والابن طبيعة واحدة وأن الحياة الذي تأتي إلينا هي من الآب والابن، وبالطبع لا نقول من إثنين، لكن من واحد هو الله الذي يُعطِي الحياة للكلّ؟

إرميـــــا: بالفعل، هكذا يكون الأمر.

كيرلس: أو هل أننا لا نعيش ونتحرّك ونوجد فيه[١٠٨]؟!

إرميـــــا: بكلّ تأكيد، يكون الأمر هكذا لو أننا قبلنا أن ما يقوله القديس بولس هو الحقيقة عينها.

كيرلس: بالتأكيد يتكّلم بالحقيقة، وكيف يكون غير ذلك؟! لأن في داخله يعيش ويتكّلم المسيح، الذي هو الحقيقة. إذن فإنتبه ياصديقي، أننا نحيا ونتحرّك ونوجد في الله الآب. غير أن مَنْ يهب الوجود والحياة ليس آخر سوى الابن الذي جاء من الآب وهو الذي يملك بالفعل كلّ ما للآب كما أنه هو مُعطِي الحياة[١٠٩] بحسب طبيعته، بمعنى أنه يهب الحياة، بسبب صلاحه، لِمَنْ يحتاجها، وبضبط كل المسكونه لضمان بقائها، وحقًا خاطب اليهود قائلاً[١١٠]: «الحْق الحْق أَقُوْل لَكُم لَيْس مُوْسَى أَعْطَاكُم الْخُبْز مِن الْسَّمَاء بَل أَبِي يُعْطِيَكُم الْخُبْز الْحَقِيقِي مِن الْسَّمَاء. لأَن خُبْز الْلَّه هُو الْنَّازِل مِن الْسَّمَاء الْوَاهِب حَيَاة لِلْعَالَم»[١١١] وبعد ذلك أشار إلى ما سيحدث في طبيعته بقوله « الْحَق

[١٠٧] بإضافة أداة التعريف.

[١٠٨] أعمال ١٧: ٢٨.

[١٠٩] يو٦: ٣٢-٣٣.

[١١٠] يَسُوْق ق. كيرلس ما قاله له المسيح له المجد لليهود الذين أنكروا إلوهيته وبنوَّته للآب حسب الطبيعة، معتمدين على تعامل الله معهم عن طريق موسى، وذلك لأن موقفهم هذا يتفق مع موقف الآريوسيين الذين انكروا أُلوهية الابن وولادته الأزليّة من الآب والذين يوجّه لهم ق. كيرلس هذا الحوار. وبينما يستخدم هذه الآية ويربطها بآية أخرى (يو٦:٤٧.٤٨) بدون شرح مستفيض نظرًا لاتباعه منهج الحوار بالأسئلة والإجابات، نجده في مجال شرحه لإنجيل يوحنا يحلّل معنى قول المسيح هذا موضحًا عمقه اللاهوتي كما يلي: «كون المسيح قد حرَمَ الحكيم موسى من نسب المعجزة إليه وسحبها من يده، فهذا بحسب إفتراضي أنه يفرض نسب مجدها إلى نفسه مع الآب ... وأن يوضّح لهم أن موسى كان خادمًا لهذا العمل المعجزي وليس بالحري معطيه ...: «لم يكن ذاك هو المنَّ بل المنَّ الحقيقي هو كلمة الله الوحيد نفسه، الذي من جوهر الآب، إذ هو بالطبيعة الحياة، وحيث إن عمل ذلك الذي هو بالطبيعة الحياة أن يُحيي، فالمسيح يُحيي كل شيء». شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، المجلد الأول، ص٣٥٩.

[١١١] يو٦: ٣٢-٣٣.

الْحَق أَقُوْل لَكُم مَن يُؤْمِن بِي فَلَه حَيْوَة أَبَدِيّة. أَنَا هُو خُبْز الْحَيَوَه»[١١٢]. إذن طالما أن الابن مساوٍ (للآب) وما يفعله يفعله بكونه هو الحياة، وهو ليس في درجة أقلّ من الآب، فكيف يقدر هؤلاء الذين يعتقدون أنه من الضروري أن يؤمنوا إيمانا سليمًا بالابن، ألاّ يمجّدوا طبيعه الابن بنفس المجد الذي يمجّدون به طبيعه الآب؟

**إرميـــــا:** إننا نتبع ما قاله الابن نفسه، لأنه تَحدَّث بكل وضوح وقال: « لأَنَّه كَمَا أَن الآَب لَه حَيْوَة فِي ذَاتِه، كَذَلِك أَعْطَى الابْن أَيْضا أَن تَكُوْن لَه حَيَاة فِي ذَاتِه»[١١٣].

**كيرلس:** ويجب أيضًا أن نضيف قولاً آخر، وإلاّ فإنك سوف تظلم الحقيقة.

**إرميـــــا:** ما هو هذا القول؟

**كيرلس:** ما نطق به بعد ذلك مباشرة، وهو ضروري ومُكَمل لما قاله من قبل، أي قوله: «وأَعْطَاه سُلْطَانَا أَن يَدِيْن أَيْضا لأَنَّه ابْن الإِنْسَان»[١١٤].

إرميـــــا: أظن أنك تريد أن توضح بذلك أن الابن قد قَبِلَ الحياة من الآب، ليس لأنه يفتقدها إذ أنه هو الله، بل بكونه هو قد صار إنسانًا إذ أنه كإنسان لا يملك الحياة في طبيعته، بل قد اشترك في الحياة التي قد أخذها من الله.

**كيرلس:** ولماذا تريد أن تقنعني بهذا الأمر مع أنه يجب أن تكون أنت نفسك مقتنعًا به؟ ألم تسمع ما سبق أن قلته إن الآب قد أعطَى الابن أن تكون له حياة في ذاته وأنه قد أعطى له سلطانا أن يدين أيضًا لأنه ابن الإنسان؟

**إرميـــــا:** لقد سمعته، لكن هو قال «أعطَى» وذلك في سياق الحديث عن السلطان الذي به سيدين. غير أن سلطان الدينونه قد اختص به الله وحده

---

[١١٢] يو٦: ٤٧-٤٨.

[١١٣] يو٥: ٢٦.

[١١٤] يو٥: ٢٧. يربط ق. كيرلس ما قاله المسيح له المجد لليهود والذي أورده ق. يوحنا في هاتين الآيتين المتتاليتين (يو٥:٢٦، ٥:٢٧) موضحًا أن لترتيب هذه الكلمات هدف معيّن فيقول: «لاحظ التدبير أيضًا في هذه الكلمات، لتتعجبوا من شكل التعبير بدلًا من أن تقعوا في عثرة بسبب الجهالة، التي تجلب على النفس الهلاك. لأن الابن الوحيد إذ صار إنسانًا بتجسُّده، ورؤيّ كواحد منّا وهو على الأرض بالجسد، يُعلِّم اليهود شتى الأمور المؤدية إلى الخلاص والمجد وذلك في أمرين إلهيين: (١) لأنه يؤكد بجلاء أنه سيقيم الموتى. (٢) إنه سيدينهم أمام كرسي حكمه. انظر شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، المجلد الأول، ص٢٨٠. وهنا نرى أن ق. كيرلس قد وضع هاتين الآيتين في تتابع عن طريق الحوار الأمر الذي يجعلنا نستنتج. ليس بسبب هذه النقطة فقط - أن ق. كيرلس ربما كان يضع أمامه نص شرحه لإنجيل يوحنا، وهو يكتب هذا الحوار. راجع ص٢١٨.

حسب الناموس: لأنه قال: «لأن القضاء لله»[115]، فهو قد قَبِلَ كإنسان ما تميّز به الله.

كيرلس: قُلّ ليّ يا صديقي، هل كونه يُعطِي الحياة، أمر يليق بالله وحده أم بآخر؟ مع أن القديس بولس قد كتبت لتيموثاوس قائلاً: « أُنَاشِدُك أَمَام اللّه وَالْرَّب يَسُوْع الْمَسِيْح، مُعْطِي الْحَيَاة لِلْكُل»[116].

إرميـــــا: بالفعل، هذا يليق بالله، لكن ماذا تقصد بهذا؟

كيرلس: ما يليق بالله وبجوهره، هل من الممكن أن يُعطىَ ويضاف إلى طبيعة الإنسان؟

إرميـــــا: هذا تساؤل حقيقي.

كيرلس: والمسيح هو إنسان مثلنا، مع أنه هو الله أيضًا، هل لأنه قد أتى من الله؟!

إرميـــــا: وكيف لا يكون الأمر هكذا؟

كيرلس: وبالتالي ما قد أُعطيَّ له كإنسان، أي الحياة، كان من عمل الطبيعة الإلهية؟

إرميـــــا: لكن يُقال إن الآب قد أعطَى الحياة للابن.

كيرلس: ابحث عن الزمن الذي حَدَثَ فيه هذا الأمر[117]، وسُتحل المشكلة لأنه عندما صار كواحد منّا، فحينئذ يقال أنه قد مُنح الحياة مع أن الابن نفسه كان هو الحياة بحسب الطبيعة بكونه أتى من الله ومن الحياة. ومن ناحية أخرى عندما يقال إن الآب أعطَى الحياة للابن، كأنها لم تكن داخله، يستطيع المرء وبسهوله أن يرى أن الابن هو أيضًا واهب الحياة لذاته، وليس لأنه يُدرَك أنه هو الله، بل لأنه قد صار إنسانا، بالنسبة له الحياة هي عطيّة تُعطىَ له من الخارج. والقديس بولس كتب قائلاً: «إِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِناً فِيكُمْ فالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ

---

[115] تث١: ١٧.

[116] انظر ١تيمو٥: ٢١، « أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة» وهنا يضيف ق. كيرلس عبارة «مُعطي الحياة للكلّ» ويبدو أنه قد رجع لمخطوط آخر لهذه الرسالة.

[117] انظر ص ٢١٥ هامش رقم ٩، حيث سبق أن أكد ق. كيرلس على أهمية البحث عن الزمن.

الْمَائِتَةَ أَيْضاً بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ»[118] لكن ربنا يسوع المسيح نَسَب امكانية منح الحياة ليس لفعل شخص آخر بل لنفسه[119] وذلك عندما تحدّث لليهود عن جسده فقال «انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ»[120].

إرميـــــا: فكيف إذن أعطَى الآب الحياة للابن، طالما إن المسيح قد قام بقوّة قيامته الذاتية؟

كيرلس: لأن الآب هو الحياة، فقد استمدَّ الابن الحياة منه حسب الطبيعة، مُظهِرًا بذلك جوهر الذي وَلَده. ولأنه هو في الآب تمامًا، والآب هو بالكمال فيه، لهذا نقول إن الفعل هو فعل الآب والابن، ولهذا أيضًا، فإن الابن وهو يشير إلى أن ما يفعله الآب يفعله هو أيضًا، يوضّح تمامًا أن كل أفعاله هي مساويه لأفعال الآب وذلك بسبب أنه هو واحد مع الآب في الجوهر وهذا ما قاله لليهود: «إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فلاَ تُؤْمِنُوا بِي. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»[121]. وفي موضع آخر قال لهم: «لَكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ»[122]. ولأنه فكّر في أنه لا يجب أن تنسب للمقاييس البشرّية، تلك الأعمال التي تليق بالله فقط، لهذا فقد نسبها لتلك الطبيعة التي تفوق كل إدراك. ولهذا قال: «فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ» لأن ما قد حَدَثَ من أفعال تليق بالله وحده هي أعمال تعلو على العقل البشرّي، وسُموَّها لا يَسمح أن يفكّر المرء في أن الله قد أخلى نفسه من مجده، فهي تعلو بفكر الإنسان وإيمانه إلى أعلى، بحيث لا تجعل

---

[118] رو٨: ١١.

[119] لم يفهم اليهود «عمق السرّ» فيما قاله المسيح هنا إذ يقصد به أنه هو الله بالطبيعة ومانح الحياة، لذا يعلّق ق. كيرلس على تصرّف اليهود تجاه المسيح قائلاً: {وإذ ينظرون إلى صعوبة الأمر، فإنهم يسمعونه كما لو كان شخصًا يلقي الكلام على عواهنه، وليس كما إلى شخص يَعدُ بما يستطيع أن يحققه، .. انظروا كيف يشتمونه بغباوة غير مشفقين على نفوسهم، لأن ربَّنا يسوع المسيح يدعو الله أباه قائلًا: «لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة» لذلك فحينما ينبغي أن يعتبرون أبنًا وإلهًا مشرقًا من الله الآب فإنهم يتصورون أنه مجرّد إنسان وواحد منًّا. لذلك فهم يواجهونه بالزمن الذي أستغرقه بناء الهيكل قائلين «في ست وأربعين سنة بُنِي هذا الهيكل، أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه؟» «..إن كنتم تؤمنون أن هيكلكم هو بيت الله، فكيف لا تعتبرون الذي يخبركم بدون خوف « لا تجعلوا بيت أبي بيت تجاره» أنه هو الله بالطبيعة؟} شرح إنجيل يوحنا. مرجع سابق، المجلد الأول، ص١٨١ . ١٨٢.

[120] يو٢: ١٩.

[121] يو١٠: ٣٧-٣٨.

[122] يو١٤: ١٠.

الإنسان يرى أمامه مجرَّد إنسانًا بسيطًا بل إلها من إله[122]، أم أن ما أقول هو غير صحيح؟.

**إرميـــــا:** بل هو صحيح تمامًا؟.

**كيرلس:** ولكن عَبَرَ بفكري أمر آخر لكنه تلاشى.

**إرميـــــا:** وما هو هذا الأمر؟.

**كيرلس:** إنه قول بولس الرسول الذي أشرنا إليه من قبل والذي اتضّح فيه التعليم الصحيح أن كلًّ من الآب والابن يمنحنا الحياة عن طريق الروح القدس لأنه قال «وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِناً فِيكُمْ فالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضاً بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ»[124]. وبالتالي فالآب يهبنا الحياة عن طريق الروح القدس دون أن يُحيي الخليقة عن طريق مخلوق آخر. لكن لأنه عن طريق اشتراك الخليقه في طبيعته فإنها تُشرك في حياته تلك الخلائق التي ليس لها حياة في ذاتها، لأني أعلم أن حياة الخلائق هي منحة لها.

**إرميـــــا:** يقولون ذلك، لكن نحن أيضًا نقول « أَي شَيْء لَك وَلَم تَأْخُذْه»[125].

**كيرلس:** إذن الروح القدس هو مُعطِي الحياة[126]، وعندما نكون في شركة الروح القدس فنحن نكون شركاء الله الحقيقي وحده، والذي هو الحياة.

**إرميـــــا:** إني اتفق معك تمامًا، لأنك تؤمن إيمانًا مستقيمًا حتى أنه بالنسبة لنا، فإن الروح القدس هو الذي يتمّم شركتنا بالله، لأني أذكر ما سبق أن كتبه القديس يوحنا قائلاً: « بِهَذَا نَعْرِف أَنَّنَا فِيْه وَهُو فِيْنَا أَنَّه قَد أَعْطَانَا مِن

---

[122] انظر قانون الإيمان: إله حق من إله حق. راجع هامش (٤) ص٨.

[124] رو٨: ١١.

[125] ١كو٤: ٧.

[126] وهذا هو إيمان الكنيسة بأُلوهية الروح القدس الذي عبرّت عنه في مجمعها المسكوني الثاني سنة ٣٨١م في القسطنطينية في مواجهة من أنكروا ألوهيته فجاء في نص قانون الإيمان «نعم نؤمن بالروح القدس الربُّ المحيي» وأيضًا في صلاة الساعة الثالثة ندعوه بـ «كنز الصالحات ومُعطي الحياة». والمعروف أن أقنوم الروح القدس قد تعرَّض لهجوم حاد من الهراطقة في القرون الأولى للمسيحية الأمر الذي تصدى له آباء الكنيسة الكبار. للمزيد انظر: د. جوزيف موريس فلتس، تعاليم عقائدية في النصوص الليتورجية، الفصل الثالث: أُلوهية الروح القدس. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، أكتوبر ٢٠٠٤، ص٣٦-٤٨. أيضًا، راجع الروح القدس للقديس أثناسيوس الرسولي، ترجمة د. موريس تاوضروس، د.نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ط٢، نوفمبر ٢٠٠٥.

رُوحِهِ»[١٢٧].

**كيرلس:** انتبه إذن، يا صديقي، فإن واهب ومانح الروح القدس المحيّي هو الابن الذي هو من الله لأنه هو الذي نفخ في وجوه تلاميذه قائلاً: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ»[١٢٨]. فكيف لا يكون إذن من المضحك أن يكون واهب الحياة، هو نفسه لا يملك الحياة في ذاته، مثلما يعتقد هؤلاء، وأنا لا أعرف سبب تفكيرهم هذا؟.

وسيكون من المُبرّر أيضًا أن أقول: لماذا يَهَب الابن الروح القدس، طالما أنه هو ليس الحياة، ولماذا يُظهِر نفسه أنه واهب الحياة باعطاؤه نفخه الروح القدس لتلاميذه؟.

عندما يقال إذن إن الابن يشترك في الحياة وإنه يُعطَى الحياة بواسطة الآب، يجب إن يتجّه تفكيرنا مباشرة أننا عندما نقول «الآب» فهذا يعني كل الطبيعة الإلهية والتي هي طبيعة الآب والابن والروح القدس المحُيّ الذي يُعطِي الحياة لكلٍ الذين لا يملكون الحياة في طبيعتهم وهو يفعل هذا ليس كأداه للطبيعة غير الموصوفة لكن يهب الخليقة كلَّ امكانيات الحياة من خلاله محوّلاً كلَّ ما هو بطبيعته مضمّحل، إلى حياة أبدية. ولأنك حكيم في فَهْم كلَّ هذه المعاني، فسوف تجد أن ما في المسيح من قوّة إحياء تصير فاعله في تلك الطبيعة التي تنال الحياة (من آخر) أي في طبيعته البشرّية لأن الابن الوحيد الذي وُلِد بالحقيقة من الآب، تحاشى فساد جسده بواسطة فعل روحه مظهرًا هيكله الخاص[١٠] أرفع من الموت. ولدينا شاهد حقيقي، هو الطوباوي يوحنا الذي شهد أن الابن هو الله الحقيقي الذي وُلِد من نفس طبيعة الآب الذي هو الحياة حسب الطبيعة، وذلك عندما كتب قائلاً: «الَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ

---

[١٢٧] انظر ١يو٤: ١٣.

[١٢٨] يو٢٠: ٢٢.

[١٠] هنا يكرر ق. كيرلس تعبيرًا، كان يستخدمه من قبل، وبكثرة القديس أثناسيوس الرسولي في الحديث عن الجسد الذي اتخذه الله **الكلمة**. انظر على سبيل المثال كتاب: تجسُّد الكلمة، ترجمه عن اليونانية وتعليقات د.جوزيف موريس فلتس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الطبعة السادسة ٢٠٠٩، فصل ٨:٣، فصل ١:١٦، فصل ٤:٣١.

الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا»[١٣٠].

ولقد جعل الأمر أكثر وضوحًا عندما قال ما هي تلك التي يدعوها «حياة» فكتب أيضًا « وَنَعْلَم أَن ابْن اللّه قَد جَاء وَاعْطَانَا بَصِيْرَة لِنَعْرِف الْحَق، وَنَحْنُ فِي الحْق فِي ابْنِهِ يَسُوعَ المْسِيحِ. هَذَا هُوَ الإِلهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ»[١٣١]. إذن كيف وبأي طريقة يمكن أن يُفهم أن الابن هو الذي كان منذ البدء وأنه الإله الحق إن لم يكن هو كائن قبل كل الموجودات التي أُحضرت إلى الوجود؟ لأنه حينئذ يُعرَف تمامًا أنه هو الحياة بحسب طبيعته، كما يليق به، وأنه هكذا يليق بالإله الحقيقي، ولأنه عندئذ سيكون اسمه «الكائن الذي يكون» لأنه قال عن نفسه «أنا هو الكائن الذي يكون» «هَذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهَذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ»[١٣٢].

### شرح الآيات " أبي أعظم مني"، " أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم":

**إرميا**: لكن لو كان الآب يَهَبُ كلَّ القدرة للابن كما يقال، باعتباره مساويًا له، فكيف يتحقّق ما قد قاله الابن بوضوح: «لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي»[١٣٣] وأيضًا عندما قال: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ »[١٣٤]؟ لأنه أعترف أن الآب هو إله.

**كيرلس**: إذن لو كانوا يعتقدون أن الابن ليس هو الله الحقيقي حسب الطبيعة، فعلى أي حال لا يوجد أي من المخلوقات مثله. لكن لمثل هؤلاء الذين فضّلوا أن يكون إيمانهم هكذا، اعتقد أنه يجب علينا أن نقول لهم ما يأتي «يَا لَيْت

[١٣٠] ١يو١: ١-٢.

[١٣١] ١يو٥: ٢٠.

[١٣٢] خر٣: ١٤-١٥.

[١٣٣] يو١٤: ٢٨. لقد علّم آريوس وأتباعه بأن الابن مخلوق منكرًا هكذا ولادته الأزليّة من الله الآب معتبرًا إياه قمة المخلوقات البشريّة وبالتالي فهو أقلّ من الآب، وفي هذا أعتمد على تفسيره الخاطيء لهاتين الآيتين وغيرهما. ولقد فنّد القديس أثناسيوس كلّ تعاليمه وأدانه المجمع المسكوني الأول في نيقيه ٣٢٥م مُقرًا بألوهية الابن المتجسد وإنه واحد مع الآب في الجوهر، وحَرَمَ كل كتاباته التي ردَّ عليها ق. أثناسيوس في مقالاته «ضد الآريوسيين» والتي أصدرها المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية في أربعة أجزاء.

[١٣٤] يو٢٠: ١٧.

رَأسِي مَاء وَعَيْنَي يَنْبُوْع دُمُوْع فَأبْكِي نَهَارا وَلَيْلا»[١٣٥] وليصرخ كلُّ مُحَب لله وإنسان تقي في وجوههم قائلاً « قَد تُبطَلَلْتم عَن المْسِيْح... سَقَطْتُم مِن النِّعْمَة»[١٣٦]. لأن الله لم يَعُدْ هو نصيبكم وميراثكم، فقد جعلتم لكم إلهًا غريبًا وكاذبًا. قد زيفوا مجد الألوهه، لأنهم عبدوا الخليقة دون الخالق ولهذا فإنهم آمنوا أن الابن يحسب ضمن المخلوقات الدنيا وليس ضمن مَنْ يهبوا الحياة للخليقة التي لا تملك الحياة في ذاتها. وفي هذه الحالة لماذا يعبدون ذلك الذي يحسبونه ضمن الخلائق ويجرِّدونه في غير وقار . من منزله جوهره الساميه؟ ومع ذلك فإن القديس يوحنا يقول بكل وضوح: الَّذِي يَأتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ»[١٣٧]. وبالتأكيد ليس للابن مكانه أرفع من الجميع لو قورن بأي من هذه الخلائق، ولأن المكتوب «فوق الجميع» يمكن أن يُفهم على أنه فوق كلّ الخلائق، وأنه يفوقها جميعًا، لأن الابن لا يقارن بأي حال من الأحوال مع الخلائق. إذن هو لا يقارن بالجميع، بل أنه هو فوق الجميع[١٣٨]، لأنه ارتفع إلى المستوى الأعلى حيث لا يوجد شيء بالمرّة. أم ليس الاسم الذي هو فوق كل اسم، هو الله[١٣٩] كما يقول بولس الرسول؟

**ارميـــــا**: بالفعل.

**كيرلس**: وكان هو الابن لأنه يقول « فِي الْبَدْء كَان الْكَلِمَة وَالْكَلِمَة كَان مَع اللّهَ، وَكَان الْكَلِمَة اللّه»[١٤٠].

**ارميـــــا**: وماذا ستقول لو قالوا إنه حسب المكتوب إن الآب، قد أعطَى الابن

---

[١٣٥] إر٩: ١.

[١٣٦] غلا٥: ٤.

[١٣٧] يو٣: ٣١.

[١٣٨] يمتد ق. كيرلس في شرحه لتعبير «من فوق» فيذكر أنه لا يدُّل فقط على تفوّق طبيعة الابن المتجسِّد عن باقي المخلوقات، بل أيضًا يدل على أن الابن واحد مع الآب في الجوهر فيقول: {إن ذاك الذي يُولَد من الأصل الذي من فوق، إذ له في ذاته بالطبيعة صلاح الآب، يُعترف به أن له الكيان الذي «فوق الجميع»} لأنه من المستحيل أن يظهر الابن مختلفًا عن الذي وَلَده، وخلاف ما ندركه نحن عنه وبصواب، لأن الابن الذي هو من ذات الطبيعة، وهو بهاء ورسم صورة الآب، كيف يكون أقلّ من الآب في المجد؟ ألن تمان طبيعة الآب الذاتية في الابن، ونحين صورة المولود، إن حسبناه أقلّ، وذاك الذي يمجدّ بكرامة مساوية مع الله الآب بسبب كونه بالطبيعة منه لا يُعتبر فائقًا على جوهر المخلوقات لأن هذا ما يعنيه القول «فوق الجميع» انظر: شرح إنجيل يوحنا. المرجع السابق، المجلد الأول، ص٢٠٣.

[١٣٩] انظر فيلبي٢: ٩.

[١٤٠] يو١: ١.

إسمًا فوق كل اسم؟.

**كيرلس:** فليبحثوا عن معرفة كيف وبأي طريقة قد أُعطيَ الابن أن يكون إلهًا مع أنه هو إله بالطبيعة إذ أن هذا الفكر يعني كما لو كان الابن الكلمة في معيّه مع ذاته[١٤١]، وحينئذٍ سيتركون عنهم الهراء والرغبة المريضة في الجدال وسيكفّون عن الافتراء ضد جوهر الابن غير الموصوف، لكنهم بالتأكيد، وكما هو متوقع، سيدافعون عن آرائهم محاربين من أجل الخداع بكلٍّ الوسائل المستخدمه في المعارك وطبق قوانين الحرب. غير أنه ونحن نفضّل فحص كلّ الأمور بتدقيق. يجب علينا أن نفتش عن ما هو دفين ونحاول أن نكشف لهؤلاء الجهله أن الحقيقة هي أمر ليس سهل بالمرّة.

**إرميـــــا:** هذا كلام حسن.

**كيرلس:** لقد قال بولس الطوباوي عن الابنِ الوحيد «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسماً فَوْقَ كُل اسْمٍ. لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ. وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ»[١٤٢]. إذن لو كان بولس الرسول قد استطاع أن يتكلّم، في اللحظة التي تجَسّد فيها كلمة الله، ألم يكن في مقدوره أن يصرخ بكلّ قوّة في وجه هؤلاء الذين لم يفهموا ما قد كَتَبُه فيما بعد، ويوضّح أن الابن المتُجسّد، قد ارتفع وصعد إلى مجده مرّة ثانية بعد أن كان قد أخلى ذاته واتضع، وإن كلّ هذا قد قِيل عنه بسبب أنه صار جسدًا وليس من جهه أنه هو كلمة الله، أي قَبْل أن يوجد في الهيئة كإنسان؟، لأن هذا هو ما علّم به بولس. غير أني أود أن أسألك وسأكون مسرورًا لو أجبتني.

**إرميـــــا:** ماذا تقصد بكلامك؟.

[١٤١] «والكلمة كان مع الله». حسب النص اليوناني الذي استخدمه ق. كيرلس.

[١٤٢] في٢: ٦-١١. هنا يكرر ق. كيرلس الآيات التي سبق أن بدأ بها هذا الحوار مؤكدًا على ما كان قد أوضحه من قبل: انظر ص٢١٤ وما بعدها.

**كيرلس:** إن الابن الوحيد قد أخلى ذاته وأخذ شكل العبد واحتمل الآلام الصليب والعار وأطاع حتى الموت موت الصليب. لأجل هذا يقال إن الله قد وَهَبَه اسمًا فوق كلِّ اسم، لكي تجثو باسم يسوع كلُّ ركَبة ممن في السماء وممن على الأرض. إذن بينما كان هو كواحد منا، أُعطًى أن يُسمىّ «الله» كمكافأة له على عظيم أعماله وطاعته. حتى صار يُسجَد له من الملائكة نفسها ومنّا نحن يا مَنْ نعيش على الأرض وحتى من الذين قد ماتوا!؟.

**إرميـــــا:** هكذا يبدو الأمر.

**كيرلس:** وبالتالي، (دعني أتكلّم بدون التقيّد - ولو للحظات - بما يليق، لأنه توجد أمور ضرورية لابد أن أتحدّث عنها) فالابن الوحيد قد حصل على نعمة بسبب احتماله خطايا وذلاّت البشر. بمعنى أن أخطاء البشرّية كانت فرصه له كي يكتسب المجد الذي يصيّره إلهًا. لأنه إن لم نكن قد أخطأنا، لم يكن قد صار مثلنا (عندما تَجسَّد) وإن لم يكن قد صار مثلنا، لم يكن قد صُلبَ، وإن لم يكن قد مات، لم يكن قد حصل على امتياز أن يُسجد له من البشر ومن الملائكة القديسين.

**إرميـــــا:** هذا كلام جرئ جدًا لكنه غير مستحيل.

**كيرلس:** لكن، طالما هو مساوٍ للآب وله هيئته، قبل عملية إخلائه لذاته، فأي مجد حصل عليه عندما أُعطًى اسمًا فوق كلِّ اسم عندما تَجسَّد؟ هل تُدرِك أذن الخطر الذي يقودنا إليه مثل هذا الحديث السابق إن لم نفحصه بالتفصيل؟

**إرميـــــا:** نعم أدرك ذلك جيدًا.

**كيرلس:** لنترك حاليًا الدخول في التفاصيل، هل تريد إذن أن نؤكد معًا على حقيقة أن الابن الوحيد في البدء هو الله وكان هو صورة الآب ومساوٍ له، مع أننا كنا قد تكلّمنا عن هذه النقطة باستفاضه فيما سبق[١٤٣]؟.

**إرميـــــا:** بالتأكيد أريد ذلك.

**كيرلس:** إن الله الآب يقول بصوت اشعياء « أَنَا اللّه أَيْضًا مِن الْبَدْء أَنَا هُو»[١٤٤]،

---

[١٤٣] انظر ص٢٣١ وما بعدها.

[١٤٤] إش٤٣: ١٢ س.

والمرء يمكنه أن يسمع القديسين وهم ينادونه قائلين «أَلَسْت أَنْت هُو الْرّب الإِلَه مُنْذ الْبَدْء؟ وَلِهَذَا لَن نَمُوْت»[145]، إذن فالله الآب منذ البدء قد دُعيّ بالحقيقة الله. والقديس يوحنا عندما يحدّثنا عن الابن يقول: «الَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَة الْحَيَاة»[146]. ويوجّه حديثه لآخرين قائلاً «أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ لأَنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي مِنَ الْبَدْء»[147]. وهو نفسه أيضًا يقول عنه أنه «يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ والَّذِي كَانَ والَّذِي يَأْتِي»[148].

إرميـــــا: هو يقول إن الابن قد وُجِدَ قبل الخليقة أما أنه كان هو الله، فهذا أمر غير واضح بالنسبة لهم، لأنه ـ حسب رأيهم ـ لم يكن إلها وصار إلها.

كيرلس: ثم كيف لنا ونحن حزانى على هؤلاء الذين ينطقون بمثل هذا الكلام، لا نقول «أيها الصم اسمعوا أيها العميان استردوا النور كي تروا»؟ لأنه بينما يكتب يوحنا الإنجيلي بكلّ وضوح أنه لم يكن **الكلمة** في البدء فقط، بل كان هو الله، نجد أن هؤلاء المعارضين، مستمرين في هذيانهم كما لو كانوا غارقين في الخمر والسكر ومستهزئين بالحقيقة. فهيّا بنا إذن نحن ـ ما دمنا قد تقدّمنا في فحص كلّ الأمور ـ أن نعترف أن الابن هو الله بالطبيعة. أم أنه لا يليق بمن هو الله حسب الطبيعة أن يدبِّر حياة كلٍّ منّا، ويكلّل ويمدح كلَّ مَنْ جعلوا من مَنْ يُعطِى الحياة، ناموسًا لحياتهم، مفضلّين الحياة اللائقه والممجَّده، ومن جهه أخرى يعاقب هؤلاء الذين يخطئون بسبب كبريائهم وتجديفهم ولأنهم يعطلّون بسهولة تنفيذ كلَّ الوصايا التي أعطيت لنا من السماء؟

إرميـــــا: بلا، بالتأكيد يليق.

كيرلس: وأيضًا، هل يمكن أن ننسب لِمَنْ يستطيع أن يملأ الكلَّ وأن يكون في الكلِّ وأن يوجد في كلِّ مكان، طبيعة خلاف الطبيعة الإلهية؟

---

[145] حبقوق ١: ١٢ س.

[146] ١يو١: ١.

[147] ١يو٢: ١٣.

[148] رؤ١: ٨.

**إرميـــــا:** أنا، على الأقل، لا أستطيع ذلك، وكيف كنت سأستطيع؟!

**كيرلس:** ألن تقل يا صديقي، إن الحياة حسب ما يُرضى الله، وفي معيّته، هو أمر يليق بالقديسين؟.

**إرميـــــا:** بالطبع.

**كيرلس:** هيّا إذن اخبرني بالآتي.

**إرميـــــا:** وما هو؟.

**كيرلس:** أليس مكتوب أن «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ»[١٤٩]، هو كلام مملؤ بالحكمة وأكرم من كل شيء آخر؟.

**إرميـــــا:** اتفق معك لأن الكتاب المقدَّس هكذا يقول.

**كيرلس:** انتبه إذن لأن مصدر الصلاح يأتينا من فوق، من عند الآب، والذي يوزّعه بسُلْطَة هو الابن[١٥٠]. لأن بولس الرسول يقول «وَلَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ»[١٥١]، وفي موضع آخر قال الله لموسى «مَنْ صَنَعَ لِلإِنْسَانِ فَماً أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيراً أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟. فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ»[١٥٢]. كما أن ربنا يسوع المسيح قال لتلاميذه القديسين «فَضَعُوا فِي قُلُوبِكُمْ أَنْ لاَ تَهْتَمُّوا مِنْ قَبْلُ لِكَيْ تَحْتَجُّوا. لأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَماً وَحِكْمَةً لاَ يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ

---

[١٤٩] يع١: ١٧.

[١٥٠] تعبير أن الابن يوزّع الصلاح بسُلْطَة، يدّل - حسب تعاليم ق. كيرلس - على أن الابن هو ربٌّ وإله. وقد سبق أن استخدم ق. كيرلس نفس هذه الكلمات قائلًا: «إذًا فطالما أن كل عطيَّة صالحة تأتي من فوق هي من الآب وتوزّع بواسطة الابن الذي له السلطة الإلهية ليس كخادم، فبأي طريقة إذًا لا يكون واحدًا في الجوهر مع الآب الذي ولده، بمعنى كيف لا يكون إلهًا بالحق، وليس مُزيَّنًا من الخارج بكرامات مثل اللوحات المرسومة». الحوار الثالث ص١٤١. ويذكر ق. كيرلس في موضع آخر من المرجع السابق أنه بسبب الوحدة الجوهرية للآب والابن فإن «سلطة إعطاء الحياة وكونه هو الحياة تليق بمن هو بالفعل والطبيعة إله حق» ص١٢٥. وكما يستخدم كلمة «سلطة» لوصف عمل الابن كدليل على ألوهيته فإنه يستخدم نفس الكلمة لوصف عمل الروح القدس أيضًا كبرهان على ربوبيته وأنه واحد في الجوهر مع الآب والابن، فهو يعمل بسلطة بحسب طبيعته الإلهية وليس كخادم، فيقول ق. كيرلس في صلاة سرّ حلول الروح القدس في القداس الإلهي المنسوب لاسمه «وارسِل إلى أسفل من علُوك المقدس روحك القدوس الكائن بالاقنوم، غير المستحيل ولا متغيّر الربَّ المحييَ ... الفاعل بسُلْطَة مسرّتك الطهر على الذين أحبهم وليس كخادم». راجع: الخولاجي المقدس. دير البراموس. ط٣ ٢٠٠٢، ص٤٦٧.

[١٥١] أف٤: ٦.

[١٥٢] خر٤: ١١-١٢.

أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا»[153]. وعنما أراد داود النبي الطوباوي، أن يقول إن الله هو ديانٌ الكلّ وله كل السلطان أن يُعطِي كل منّا بحسب أعماله، وأن يبرّر مَنْ يريد، فإنه أنشد قائلاً: «اللَّهَ هُوَ الَّذِي يبرّر... وَهُوَ الَّذِي يَدِيْن»[154]. إذن نحن نرى أن الابن هو الفاعل في الحالتين، فهو يدين ويبرّر، بسلطه تليق بالله وليس كخادم[155]، لأنه هو نفسه قد قال «لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ»[156]. «فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ»[157].

كما أنه قال للمريض «أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ»[158]. ومن أجل هذا فإن الفريسيين اندفعوا كالمسعورين، وبدون أي تفكير كي يتهموه أنه يجدّف مع أنه كان يتكلم بطريقة تليق به كإله، قائلين «مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ؟»[159]. فكيف لا يكون

[153] لو٢١: ١٥،١٤. هنا يستشهد ق. كيرلس بما جاء في إنجيل لوقا ليوضّح أن الحكمة الإلهية هي إحدى الهبات الصالحة المعطاه لنا من عند الآب والتي يوزّعها الابن بسُلطة كونه هو ربّ، بسبب وحدته الجوهرية مع الآب والروح القدس. ومن الملاحظ أن ق. كيرلس لم يستشهد بآيات من إنجيل لوقا سوى بآيتين بالإضافة لهذه الآية، بخلاف استخدامه للعديد من آيات إنجيل يوحنا اللاهوتي نظرًا لمضمونها الذي يتفق وطبيعة الحوار. ومن الجدير بالذكر أن القديس كيرلس وبعكس ما فعل هنا. لم يتعرّض لتفسير هذه الآية في عظاته عن إنجيل لوقا. انظر تفسير إنجيل لوقا. ترجمة د.نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠٠٧. أصحاح ٢١. ص٦٦٤-٦٧٦.

[154] انظر: رو٨: ٣٤. لقد أكدّ ق. كيرلس ألوهية الابن المتجسّد ومساواته للآب في الجوهر وذلك باستشهاده بما قاله المسيح له المجد لليهود «لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكونَ له الحياة في ذاته» (يو٥: ٢٧) انظر ص ٢٦٥. وهنا يؤكد مرّة أخرى على ألوهية الابن المتجسّد ويستشهد بما جاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية. والابن هو الله وهو الذي سيبرر وهو الذي سيدين. ولقد عبَّر الآباء في مجمع نيقيه عن نفس هذه الحقيقة عندما ذكروا في قانون الإيمان إن «المسيح يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات؛ الذي ليس لملكه إنقضاء»، وفي موضع آخر وفي سياق تأكيده أن الابن له خصائص طبيعة الذي وَلَده يذكر أن الآب هو واضع الناموس وهو الديّان، كذلك الابن هو واضع الناموس والديّان فيقول: «تمامًا كما لو قيل إن واحد هو واضع الناموس وهو الآب وهو الديّان أيضًا، فإن هذا ليس معناه بأي شكل من الأشكال أن الابن ليس هو واضع الناموس وهو الديّان. لأنه لا يوجد بالمرّة ما يمكن أن يفصل طبيعة الابن عن طبيعة الآب». انظر ص ١٢٥.

[155] انظر ص٢٧٥، هامش رقم ٢٦٢

[156] مر٨: ٣٦-٣٧.

[157] مت١٦: ٢٧.

[158] لو ٥: ٢٠

[159] لو٥: ٢٠، ٢١. يورد القديس كيرلس رَدّ السيد المسيح على الفريسيين كشاهد على ألوهيته ويؤكد على ذلك بسؤال إستنكاري مختصر. لكنه في عظاته على إنجيل لوقا يشرح هذه الآية بأكثر تفصيل فيقول: {فيسوع إذن كان مملوء بسلطان إلهي على غفران الخطايا ولكن هذا الإعلان يسبب إضطرابًا لعصبة الفريسيين الجاهلة الحقودة... لأنهم قالوا بعضهم لبعض: «من هذا الذي يتكلّم بتجاديف؟» ولكنك أيها الفريسي لو كنتَ تعرف الكتب الإلهية لما قلت هذا عنه، ولو وضعتَ في عقلك كلمات النبوة، لفهمت سرَّ التجسُّد الممجد المملوء قوّة، ولكنهم الآن ينسبون إليه=

هو الله بالطبيعة، مَنْ هو رّب الناموس والبرّ والذي يهب الأكاليل، لأنه لا يستطيع أحد من بين الخلائق أن يفعل مثله؟ إذن، هل اتضح لك أن ما أؤمن به هو صحيح؟.

إرميـــا: بالفعل هو كلام رائع، وبعيد كل البعد عن سخافاتهم.

كيرلس: وطالما أن الله كائن في كلّ شيء ولا يخلو منه مكان، فيليق بالله أن يكون فاعلاً في كلّ مكان، ولهذا فهو يقول للإسرائيليين: «السَّمَاوَاتُ كُرْسِيِّي وَالأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيَّ. أَيْنَ الْبَيْتُ الَّذِي تَبْنُونَ لِي وَأَيْنَ مَكَانُ رَاحَتِي؟»[١٦٠]. كما أن بولس الطوباوي، ومعه كلّ الحق، قد حوّل الحديث صَوْب الابن الذي قد أتى من الله الآب فكتب قائلاً: «حَيْثُ لَيْسَ يُونَانِيٌّ وَيَهُودِيٌّ، خِتَانٌ وَغُرْلَةٌ، بَرْبَرِيٌّ سِكِيثِيٌّ، عَبْدٌ حُرٌ، بَلِ الْمَسِيحُ الْكُلُّ وَفِي الْكُلِّ»[١٦١]. وفي موضع آخر يقول «الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يمْلأَ الْكُلَّ»[١٦٢] إذن مَنْ يملأ الكلّ وهو في الكلّ، ألا يكون هو أعظم من الخليقة؟.

إرميـــا: وكيف لا يكون غير ذلك؟

كيرلس: كما أن بولس الرسول يكتب عن أن كلّ قديس لا يهتم بحياة العالم بل يكرّس نفسه من أجل الله ولا يتفاخر بشيء، فيقول «لأَنِّي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ لأَحْيَا لِلَّهِ»[١٦٣]. بمعنى لأحيا للابن والذي بواسطته أحيا للآب. وسيتضّح أمامك الكلام عندما تقرأ ما أضافه بولس بقوله «لأنّ محبّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا. إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هَذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ. فَالْجَمِيعُ إِذاً

= التحديف، ويجدون ضده أقصى عقوبة ويحكمون عليه بالموت، لان ناموس موسى يأمر أن مَنْ جدَّف على اسم الرب ينبغي أن يموت. (انظر لا٢٤: ١٦). ولكن حالما يصلون إلى قمة حسارتهم فإنه يظهر أنه هو الله ليوبّخهم مرّة أخرى على عدم تقواهم الفظيع. لأنه قال لهم « ماذا تفكرون في قلوبكم؟» لذلك فإن كنت أيها الفريسي تقول، مَنْ يستطيع أن يغفر الخطايا إلاّ الله وحده، فإني أقول لك أيضًا مَنْ يقدر أن يعرف القلوب ويرى الأفكار المختفية في أعماق العقل إلاّ الله وحده؟ لأنه هو نفسه يقول في موضع آخر بصوت الأنبياء «أنا الرب فاحص القلوب ومختبر الكلى» (إر١٧: ١٠)، ويقول داود أيضًا «المصوِّر قلوبهم جميعًا» (مز٣٣: ١٥)، لذلك فالذي هو كإله يعرف القلوب والكلي فهو كإله أيضًا يغفر الخطايا}. انظر: شرح إنجيل لوقا. مرجع سابق. ص١٠٨.

[١٦٠] إش٦٦: ١.

[١٦١] كو٣: ١١.

[١٦٢] اف٤: ١٠.

[١٦٣] غل٢: ١٩.

مَاتُوا. وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ»[164]. وبخلاف ذلك فإنه قال مؤكدًا «أَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ»[165] مع أن كل قديس يمكن أن يقول «تَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مخُلِّصِي»[166]، «إلهي يصير قوّتي»[167].

إرميـــا: لقد ذَكرتَ الكثير لدعم هذه المعاني، لأن الله صادق، كما أن الابن، هو أيضًا حق وهذا يتضّح من آيات كثيرة. ودعنا نترك هذا وقلْ لي كيف يمكن للمرء أن يفهم ويُدرِك ما قاله المسيح «أَنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيْكُم وَإِلَهِي وَإِلَهِكُم»[168]؟ وكيف يدعو الله أنه هو أبيه؟ ويجب أن تكون على يقين أنهم سوف يسألون عن هذا الأمر.

كيرلس: إن معرفة الأمور التي تسأل عنها هو أمر لا يحتاج لمجهود وليس صعبًا على مَنْ لديّه حكمة وعقل سليم أن يدركه. لأنه قد كتُب: «كُلُّهَا وَاضِحَةٌ لَدَى الْفَهِيمِ، وَمُسْتَقِيمَةٌ لَدَى الَّذِينَ يَجِدُونَ الْمَعْرِفَةَ»[169]. لأنه لو أن أحد فَضّل أن يترك الطريق المستقيم، وبدون فهم يتبع الطريق الملتوي تاركًا الطريق السهل في فهم الأمور، فإنه سيسلك طريقًا آخر وسيسقط وسط الأشواك والمتاعب وبالحري في انحرافات كثيرة. ولهذا فإن الناموس، على ما اعتقد، يوضّح الأمر نفسه ولو بطريقة غير مباشرة، عندما يذكر « اسلك في الطريق

[164] ٢كو٥: ١٤-١٥.

[165] غلا٦: ١٤.

[166] لو١: ٤٧.

[167] اش٤٩: ٥.

[168] يو٢٠: ١٧. هذه الآية من ضمن آيات أخرى كثيرة أساء آريوس وأتباعه فهمها ولذا أنكروا أزليّة الابن وإلوهيته ونادوا بأنه غير مساوٍ للآب في الجوهر وحسبوه ضمن المخلوقات، ويورد القديس هيلاري أسقف بواتييه تعليقهم على هذه الآية هكذا: {في قول الابن ... أني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم''، يتضّح أن أباه هو أيضًا أبوهم، وإلهه هو أيضًا إلههم ولذلك هو ليس من طبيعة الله!}

.St. Hilary of Poitiers, De Trinitate, NPNF. 2nd. Ser. Book XI (8), P.205

وهنا يورد ق. كيرلس هذه الآية والتي سبق أن استخدمها من قبل (انظر ص٢٤٦) لكنه في هذه المرّة يضعها ضمن تساؤل لأرميا، مُعطيًا هكذا لنفسه الفرصة للردّ وإعطاء المعنى اللاهوتي الصحيح لها. وفي موضع آخر استطرد في تفسير قول المسيح هذا بعد قيامته. وذلك في سياق شرحه المفصل لآيات إنجيل يوحنا. انظر: قيامة المسيح. ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة ٢٠٠٩. ص١٤-١٧، أيضًا الكنز في الثالوث: ترجمة د. جورج عوض ومراجعة د. جوزيف موريس بالمركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. مقالات٥، ٩، ١٠، ١٥ حيث يفند القديس كيرلس كل الأفكار التي أنكرت على الابن إلوهيته بإساءة فهم معنى هذه الآية.

[169] أم٨: ٩.

الملوكي، كي لا تنحرف شمالاً أو يميناً»[١٧٠]. إذن من كلِّ ما يقال عن الابن ويبدو أنه يعكس مجداً أقلَّ من مجد الله ولا يتجاوز حدود الطبيعة المخلوقه، فيجب ألاّ ينسب هذا مباشرة إلى الطبيعة الفائقة غير الموصوفة، التي وُلدَتْ من الآب بطريقة خاصة جدًا، بل نتبع الهدف الذي من أجله قد قيلت هذه الأقوال[١٧١] وبدون أن نقيس ما هو خاص بالألوهه بالمقاييس البشريّة. أو أن ننسب لتلك الطبيعة الفائقة، تلك الأعمال البشرّية الدنيا، وكأنها جزء لا يتجزأ منها، ولتتعلّم كيف تميزّ بطريقة لائقة خصائص كل منهما. لأنه بهذه الطريقة فقط وليس بطريقة أخرى، تستطيع أن تكوّن رأيًا صحيحًا تمامًا.

**إرميــــا:** أذكر لي مثالاً لهذا الرأي؟

**كيرلس:** يقول الطوباوي بولس عن الابن إنه هو شعاع مجده ورسم أقنوم الله الآب، أترك إذن الفرصه لذهنك ليتأمل في هذا الكلام، وستجد أنك سوف تفكر فيما يتجاوز كلَّ ما هو مخلوق وسيلاحظ فكرك هذا الجمال الإلهي الفائق وسيدّقق في طريقة ولادته التي لا توصف وعندها سيرى طريقة وجوده، كما في مرآه سيمجّده بكلٍّ فرح. وإن كان قد كَتَبَ عنه إنه «الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ. مَعَ كَوْنِهِ ابْناً تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ»[١٧٢] فعلَيك أن تنزل قليلاً وتفكر بما يليق بالطبيعة البشرَّية. لكن بما أن الصلاة والتضّرع قد صار في أيام جسده فإن الرعب كان يعكس خواص هذا الجسد كما أن الخوف من الموت هو من صفات الطبيعة البشرّية. وبالتالي فإن قيل إنه أخذ اسماً فوق كلِّ اسم، فلا تنفى عن الابن ما يليق بألوهيته، طالما أنه هو

---

[١٧٠] عد٢١: ٢٢ (س).

[١٧١] انظر ص٦، هامش رقم (١). لبيان أهمية تقَّصي الهدف من الآيات.

[١٧٢] عب٥: ٧-٨. في سياق دفاعه عن أُلوهية الابن وانه لا يمكن أن يكون من طبيعة متوسطة بين الله والبشر كما يدعي المعارضين يورد ق. كيرلس هذه الآية بعد أن يشدِّد على أنه «يجب التمييز أمام كل العالم بين الأقوال الإلهية التي تُقال عنه بعضها عن بعض» ويشير إلى أن هذه الآيات «تخص الابن قبل التجسد. وهنا آيات تُقال عنه وهو مولود مثلنا في الجسد» (انظر الحوار الأول ص٢٠) ويكرر ما يؤكده هنا معطيًا الطريقة المُثلى في فهم مثل هذه الآيات فيقول «إذن هناك طريقتان للكلام عن الابن. فمن جهة يجب أن ننسب له كل ما يخصّنا لأنه صار مثلنا. ويجب أن نرفض كل خلط وعدم تمييز بين هذه الأمور لأن هذا ينفي الفهم الحقيقي للمعاني ويحجب عن عيوننا نصف حقيقة الجمال الإلهي» انظر ص٢١.

الكلمة الذي جاء من عند الله الآب. لأن الابن هو الإله الحقيقي حتى قبل زمن تَجسَّده. أم أنك لا تقبل هذه الحقيقة؟.

إرميـــــا: بالعكس أقبلها تمامًا.

كيرلس: غير أنه عندما صار إنسانًا، فقد وضع نفسه وأخلى ذاته متّخذًا شكل العبد، وصار مثلنا تحت يد الله بدون أن يتنكّر لما هو عليه وأيضًا بدون أن يقلّل من شأن طبيعة الإنسان. لأنه صار فقيرًا مثلنا، بينما هو الله الغنى، ولهذا فقد خضع للناموس واحُصىّ مع العبيد والاثمة، بل وذاق حُكم الموت الجسدي، غير أنه كان من الضروري أن ذاك الذي هو بطبيعته الإله الحق، وله المجد الإلهي في ذاته وليس حسب التبني، ألاّ يبقى دائمًا في وضع الاخلاء هذا بل أن يعود إلى المجد الأسنى الذي كان عليه منذ الأزل والذي هو مجده الخاص، ومعه الهيئه التي اتخذها[١٧٣]. وهكذا كإنسان، مع أنه هو الله فقد سمع «أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»[١٧٤] وأيضًا «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ»[١٧٥]. ولأنه صار إنسانًا مثلنا في كلِّ شيء، ووضع نفسه، لهذا فقد خَضَع لله، وبالتالي فكان يجب عليه أن يسلك حسب معايير الإخلاء، ولهذا سمّى معنا (ابن الإنسان) وهو الذي بطبيعته ابن الله بالحقيقة، وهو أيضًا ربنا. وخلاف ذلك فإننا نحن أيضًا، ندعو الله أبًا لنا ونحن نكتسب هذه الأحقيّه لأن الابن قد شابهنا في كلِّ شيء، وذلك لأن الابن يحّل ويسكن فينا بواسطة أبيه، والذي فيه وبه ندعو الآب أبانًا[١٧٦] وكتعبير دقيق على أننا أبناء الله، فإن الروح القدس يسكن فينا ويشكّلنا على صور الابن، وهذا ما يوضحه ق. بولس بقوله «بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: يَا أَبَا الآبُ»[١٧٧].

إرميـــــا: إنك تتكّلم بالصواب.

[١٧٣] أي جسده إذ أن لاهوته لم ينفصل قط عن ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين، كما يصلي الكاهن في «الاعتراف» في القداس الإلهي.

[١٧٤] مز٢: ٧.

[١٧٥] مز١١٠: ١.

[١٧٦] غل٤: ٦.

[١٧٧] غل٤: ٦.

كيرلس: كما أني أعتقد إن المعاندين، سيزدادون في مواجهتهم وفي معاندتهم لكلِّ ما هو حق، لأنهم مصرّون على الإنكار. وإن لم يفعلوا هذا بل على العكس استمروا في القول إن الآب هو وحده الإله الحقيقي بدون أن يقبلوا أن الابن أيضًا قد دَعَي أبوه أنه هو الله، فكيف لا يكون من الضروري أن نقول إنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نقبل مشرّعين جدد أو أناس يحدّدون بأنفسهم صحة ما يقولون أو يفكرون به بعقولهم وأن نؤكد أن ما يقوله المخلّص هو حق؟ لأنه قال: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلىَ أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ»[١٧٨]. إذن دعهم يدعّون أننا واحد مع الابن بحسب طبيعتنا، لو أن الابن هو واحد معنا حسب الطبيعة، خاضعًا لله، لأنه قال «إِنِّي أَصْعَدُ إِلىَ أَبِي وَأَبِيكُمْ» غير أن لقب «الابن» يعني ذلك الذي وُلِدَ من جوهر الآب. وبالتالي يوجد أبناء كثيرون أو بالحري لا عدد لهم. وبالتالي لو كان هناك أبناء كثيرين حسب الطبيعة وأله، فحينئذ سيبطل معنى التجديف. وهنا يجب أن نقول مرَّه أخرى إن التبني هو عطيّة محبة الله، للبشر، لأننا بالفعل نحن أرضيِّين حسب الطبيعة غير مولودين من الله حسب قوانين الولادة العاديَّة، ولكننا بالتبني الذي صار لنا من خارجنا يجب أن ندعو الله أبانا. وبدورنا نستطيع نحن أن نقول لهؤلاء الذين يتجزأون بكلِّ بسهولة في كلِّ أمر، لماذا قال الابن- حسب فكركم «أَبِي وَأَبِيكُمْ»، وكيف لا تحمرون خجلاً وأنتم تجدّفون بمثل هذه الطريقة؟ وكيف لا يكون من الأفضل أن تتذكروا وبكلٍّ تعّقل أنه طالما أن الابن هو من طبيعة الله، بمعنى أنه مولود من جوهر الآب، فإنه من غير المناسب له أن يُحصَ من بين المخلوقات، بل بالحري أن يكون هو الله؟ ولأنه صار إنسانًا، وقد اكتسب كلَّ ما للطبيعة البشرّية، فبالتالي قد خضع لله الذي قد وُلِد منه؟

إرميـــا: لكنهم يقولون: إن لم يكن ينقص الابن أي شيء ويُدرَك على أنه هو الله، مثل الله الآب، وأنت تقول أنه مساوٍ له وليس أقلَّ منه في شيء، إذن لماذا يقول هو نفسه: « أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي»[١٧٩]؟

[١٧٨] يو ٢٠: ١٧. تكرار لأستخدام الآية نفسها. انظر ص٦٥ والهامش رقم (٥).

[١٧٩] يو ١٤: ٢٨. هذه آية أخرى أرتكز عليها آريوس وأتباعه وقد أساءوا فهمها ولقد عمل ق. أثناسيوس أولًا على تفنيد مزاعهم وتفسير هذه الآية والآيات الأخرى، تفسيرًا سليمًا يحفظ العلاقة الجوهرية للابن بالآب ويثبت إلوهيته. انظر: المقالة الأولى ضد الآريوسيين: مرجع سابق فقرة: ٥٨، المقالة الثالثة، مرجع سابق فقرة: ٧. ولقد خصص ق. كيرلس-

كيرلس: هل تستطيع أن تقول لي ما هو الفرق الذي يقدر أن يراه المرء بين الابن والآب من حيث إن الابن حسب الطبيعة هو إله حق من إله حق. أو ما هو الشيء الذي يمكن أن يجعلهم مختلفين؟ ولأننا نؤكد أن الابن هو ـ وبطريقة لا توصف ـ ختم[١٨٠] الآب (أي الختم الذي يُظهِر وبكلٍّ دقّة ما للأصل)، وبالتالي له طبيعة الآب نفسها، فكيف يكون من الممكن إن كان يُحسَب بالفعل من ضمن المخلوقات ولا يملك كل ما للآب كما يقول هؤلاء ـ أن يُظهر في داخله كل ما يفوق ويعلو على الكلّ؟ لأن مَنْ هو أقلّ لا يمكن أن يكون هو الهيئة التي لا تتغيَّر والشبه الذي لا يستحيل لِمَنْ هو كامل، وأيضًا لا يمكن أن يكون هناك إله يتفوّق على الإله نفسه، أو يُعتَقد أن الواحد (الأقنوم) هو أقلّ في الإلوهة من الآخر، لأنه حتى بين البشر، لا يوجد اختلاف بين شخصين من حيث طبيعتهم البشرّية. غير أنه يمكن أن يقال أن الفرق بين الأشخاص يكمن في القوّة والفهم وعمل الفضيلة، وشكل الجسم والوسامه والنحافة. غير أنه إن أراد أحد أن يعرف بالتحديد ماهيه جوهر بطرس أو بولس على سبيل المثال، فإنه سيجد إنهما واحد في كلٍّ شيء. أما أن يكون أحدهما أقلّ (من حيث طبيعته) فاعتقد إن هذا يكون هزيان وليس من رجاحه العقل أن يفكر المرء هكذا[١٨١]. إذن فطالما يقولون إن الآب أعظم فما هو الشيء الذي يمثل تلك العظمة في الآب؟ ودعهم يثبتون في مَنْ صارت تلك العظمة.

إرميـــــا: إذن لقد أخطأ الابن بقوله «أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي»؟

ـ مساحة وافية من كتابه: عن شرح إنجيل يوحنا، لشرح هذه الآية بالتفصيل، إذ يذكر تحت عنوان «في أن الابن ليس أقلّ من الآب في أي شيء، بل هو بالحري مساوٍ له ومن نفس طبيعته» يقول: {فرغم من أنه قد يُظَن أن الآب أعظم من الابن من جهة أن الآب ظلّ في بيته الأبدي إلّا أن الابن احتمل الإخلاء والتنازل الإرادي إلى الوضاعة البشرّية، آخذًا صورة عبد، ثم صعد ثانية إلى مجده الذاتي وسمع الكلمات: «أجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطًا لقدميك» (مز١٠٩: ١س). ولكي لا يبدو الله الآب أنه ليس بإرادته الذاتية جعل الابن يجلس عن يمينه؛ فإن الآب يقول هذا «أجلس عن يميني» كما يقول المرنم في المزمور، وأي إنسان ذو عقل لا يقول إن الآب له المكان الثاني من الكرامة رغم أن الابن جالس عن يمينه، بل بالحري سيأخذ ما قد قلته في الاعتبار . فليس الآب بل بالحري الابن - بسبب تنازله الإرادي وآلامه ـ هو الذي نعرف عنه أنه جالس عن اليمين ويملك مكانًا لا يمكن أن يُفهم منه أنه في وضع أقل، حتى يُعَد بين الكائنات الأقل كما يَظُن أولئك الذين لا يستطيعون أن يفهموا سّر تجسده لذلك فإن مكان الجلوس عن يمين أبيه قد خُصص للابن لكي تتأكد مساواته للآب». شرح إنجيل يوحنا. مرجع سابق، المجلد الثاني ص٢٣٧.

[١٨٠] هنا يكرر ق. كيرلس نفس التعبير الذي سبق أن استخدمه من قبل لوصف الابن ولتأكيد أنه واحد مع الآب في الجوهر. انظر ص٢٣٣.

[١٨١] استفاض ق. كيرلس في شرح هذه النقطة في سياق شرحه لقول المسيح: أبي أعظم مني، انظر: شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، المجلد الثاني ص ٢٣٧- ٢٤٦.

كيرلس: وكيف يكذب مَنْ قال عن نفسه «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ»؟[182]. وسيأتي الوقت لنشرح كيف يمكن أن نفهم قول الابن هذا[183]. والآن أخبرني هل الطبيعة الإلهية التي صنعت كل شيء وخَلَقَتْ كل المخلوقات هي طبيعة الرّب الواحد، أم أن الناموس الذي يقول «الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»[184]، هو خطأ؟.

إرميــــــا: هو على الصواب.

كيرلس: فالطبيعة الإلهية هي طبيعة بسيطة واحدة[185]، تُعرف ونؤمن بها في ثلاثة أقانيم، أقصد الآب والابن والروح القدس، أم هل لديك ما هو مختلف عن ذلك، لتعلّمنا إياه؟.

إرميــــــا: على الإطلاق.

كيرلس: وبالتالي، طالما أننا نؤمن بطبيعة إلهية واحده وثلاثة أقانيم، فلنسجد للّه الواحد ونعبد إله الكلّ. أما لو فسّخنا وفصلنا الأقانيم على أساس وجود اختلافات في طبيعتهم ووضعنا كلٍّ منهم على حِدَهْ منفصلا بطبيعته، فإننا بهذا وبدون أن نريد، نعترف بثلاثة ألهة. وماذا سيكون المبّرر الذي سينقذنا من الوقوع في ضلاله لو اعتقدنا بهذا؟ وكيف لا يكون من الخطأ أمام كلٍّ فكر مستقيم وصالح، أن يُنادى ويُبَشَر بثلاث آلهه بدلا من واحد؟ وأنا أعتقد أنهم وُهَمْ خائفون من أن يثرثرون بطريقة علينّه، فإنهم ينادون أن الآب هو الإلـه الحق، وبتجدّيف متدّفق يليق بهم وحدهم، وقد اعتادوه، ضد الابن يقولون عنه إنه مخلوق ومصنوع، واصفين اياه كشبه الظلال. ببعض أمجاد الإلوهة، ظانين أنهم بهذا يعطونه كرامات فائقة وهم يلقبونه بالقاب لا مضمون لها، وهم في

[182] يو١٤: ٦. يُعبّر ق. كيرلس بسؤال استنكاري عن دهشته ممّن يتصوَّرون أن المسيح يكذب وهو الذي قال عن نفسه أنه هو الابن والحق والحياة. وفي شرحه لإنجيل يوحنا يدحض كل شك في كلام الربَّ هذا فيقول: «والآن بخصوص صدق قول الرّب في هذه الكلمات عن نفسه، فلا يستطيع إنسان عاقل مطلقًا، أن يشعر بأخف ظلّ من الشك». ثم يستطرد في شرح المعنى. انظر: شرح إنجيل يوحنا. مرجع سابق. المجلد الثاني ص١٤٨-١٥٠.

[183] ليس من الواضح هنا المعنى المقصود بهذه الجملة، فإن كانت تعني تأجيل مناقشة معنى قول المسيح هذا، فإننا لن نجد أن القديس كيرلس قد شرح في هذا الحوار ما قاله المسيح. وعليه تَظلّ هذه العبارة غير واضحة ومن ناحية أخرى يمكن أن نفترض أن القديس كيرلس كان يتكلّم عن مشروع تفسيره لإنجيل يوحنا الأمر الذي سيكون قد أتمه بالفعل فيما بعد. غير أننا قد فرضنا أنه كان يضع أمامه تفسيره لإنجيل يوحنا وهو يكتب هذا الحوار. انظر ص ٢٤٠، هامش ١١٤ الأمر الذي يجعل من معنى هذه الجملة أمرًا غامضًا.

[184] تث٦: ٤.

[185] كثيرًا ما يكرر ق. كيرلس هذا المصطلح. انظر ص٢٢٨، وهامش ٧٧، ص٢٢٩.

الواقع يبعدونه، بسفاهه عن أن يكون هو بالطبيعة والحق إله. وبخلاف ذلك مَنْ من بين هؤلاء الذين يريدون أن يؤمنوا إيمانا سليمًا، يكون بهذه الحماقة وعدم المبالاة، فلا يصرخ في وجه هؤلاء الذين يقولون بمثل هذه الاقوال، وبعدما يضجر من أفكارهم، كيف لا يقول: لو كان الابن ليس هو الله بالطبيعة وأن اسمه (أي اسم الابن) هو فقط بسبب البنوّة، كما تقولون، فلأي سبب تقيمون مقارنة بينه وبين الله الآب وتبحثون عن أيهما يكون الأعظم والأدنى؟ ثم أني أعتقد أن كلٍّ حديث يتَّصف بالكفاية والحكمة، ويقارن بينهما، ويقدّم أدله مقنعة بما يحدث، لابد وأن يقارن ما يخص الطبيعة الواحدة والأمور التي تتبيَّن أنها واحده من حيث الجوهر، بمعنى الأمور التي لا تُظهر أنها مختلفة بأي حال من الأحول. لأن الملاك والإنسان هي بالفعل كائنات عاقلة، ومع هذا فإنه يوجد اختلافات بينها، وأن اتفقوا في كل شيء فيما بينهما فعندما نتحّدث عن عظمه وتفوّق الملائكة، فلابد أن يُقارن الملاك بملاك آخر، لو فرضنا أن هناك اختلاف بينهما. كما أن بطرس أيضًا يُقارن بشخص آخر مثله. بينما الله الذي هو ربّ الكلٍ وهو فوق الجميع فهو لا يُماثل بآخر لأنه هو يفوق الكلّ بما لا يقارن، وهو أعظم من الجميع، كائن في الأعالى حيث لا يدنو أي من المخلوقات. ومَنْ يستطيع أن يقترب منه ولو إلى لحظات، إلى الدرجة التي يجرؤ فيها أن يقارن أو أن يشك في أنه هو أدنى منه؟ أم أنك لا تعتقد أنه أمر يستحق أن نهزأ به وأنه قد خرج عن طريق التفكير السليم، إن تجرّأ أحد هذه المخلوقات على القول إن الله أبو الكلّ أعظم مني؟ أو قل لي عن أي من المخلوقات تستطيع أنت أن تطَّبق مثل هذه الأقوال المملوه بالسخف والمغالطات؟. هل عن الملائكة ورؤساء الملائكة، أم عن السلاطين والكراسي والربوبيات؟ لأنه كيف يمكن أن تقارن المخلوقات بالخالق؟ وبالتالي فهم يقارنون وبطريقة تُعبَّر عن جهل عظيم - بين الآب والابن الذي يعتقدون أنه ليس هو الإله بحق بل أنه قد جاء إلى الوجود بطريقة خَلقْ معينَه، وبالتالي فُهم يبحثون فيما أن كان الابن مساويًا للآب أم هو أقلّ منه.

إرميـــــا: يبدو أن الأمر هكذا. غير أنهم يقولون إن الابن هو إله أقل بينما الآب هو إله أعلى.

**كيرلس**: وكيف يمكننا أن نميّز في طبيعة الآب أنها أعلى وفي طبيعة الابن أنها أقلّ، طالما أننا ننظر إلى طبيعة الله، في كلٍّ الأحوال. كما ننظر في مرآة؟ أم أنهم لا يعترفون أن الله هو (روح) لا جسد له، ولا يُلمس، ولا يزيد، لا يَحدّه زمان أو مكان، غير متغيّر، كامل في ذاته من ذات الكمال؟

**إرميــــا**: أعتقد هذا.

**كيرلس**: وكيف وبأي طريقة يكون الله هو أعلى من الله؟ وأليس من الضروري لمَنَ ينقصه شيء - بصف عامة - أن يكون قد بَعُدَ عن أن يوصف أنه هو الله، طالما أنه لم يصل للحد الأقصى من الصلاح الإلهي، بل أنه في احتياج لمَنْ هو كامل في طبيعته.

**إرميــــا**: من الضروري أن يحدث هذا.

**كيرلس**: لا أظن انهم سيقولون، على ما أعتقد أن عظمة الآب هي كميَّة يمكن قياسها، طالما أن مَنْ لا جسد له لا يمكن قياسه. أو يمكنهم أن يقولوا إن الابن قد وُلِدَ من الآب في وقت لاحق. لأنه طالما أن الآب كائن على الدوام، ولا يعتريه تَغيُّر أو تبديل، فهو غير محتاج لأي شيء مختلف عما هو عليه، ومَن قد جاء (وَلَد) منه هو بالتأكيد كائن معه وأزليّ معه، وهو قائم في الذي وَلَدَه[186].

**إرميــــا**: يقال إن الابن أقلّ (من الآب) لا من الجهة الجسديّة لأن هذا غير ممكن، لكن بسبب أنه لا يملك ما للآب.

**كيرلس**: هيَّا بنا نميّز وبكل دقة، خصائص الألوهه ولنحاول أن نجد لو أنها تليق - من حيث المساواة - بالآب أم أنها تليق - بطريقة أقلّ - بالآبن، أم أنها بالتأكيد تليق بالآب ذاته. إذن لو كان الآب يفوق ويعلو الابن، ألن يكون من الواجب بالتالي، أن يكون مَنْ هو بهذا الشكل أعلى، متميّز لا في أمر واحد فقط بل في كلٍّ خصائص الألوهه؟

**إرميــــا**: بالتأكيد.

**كيرلس**: وطالما يتضّح أن الابن هو مساوٍ للآب في كلّ شيء، ألا يبدو بسهولة

[186] هنا يكرر ق. كيرلس ما جاء على لسانه في ص٢١٣.

أن ما يقولونه عن أن الابن أقلّ من الآب هو مجرّد أقوال مضلّه؟ لأنه أمر بديهى أنه على مَنْ هو متعالٍ جدًا ان ينتقص ـ بإرادته ـ من مجده أمام صِغر مَنْ هم أقل منه. أما مَنْ ينتمي إلى مَنْ هم أقل فعليًا، فكيف يتجاوز طبيعته ويتعدى حدوده ويتطلعّ إلى مميزات مَنْ يفوقه جدًا في السمو؟.

**ارميـــــا**: بالصواب تتكلّم.

**كيرلس**: إذن كيف يقول الابن إنه رسم جوهر الآب مظهرًا طبيعته كي يبيّن طبيعة ذلك الذي وَلَده قائلاً: «الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[187]. «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»[188]. وأن لم يكن له خصائص الآب، فلإي سبب يكون الابن هو رسم جوهر الآب، قائلاً إنه واحد مع ذلك الذي هو كامل، مع أنه هو أقلّ وأدنى (حسب ما يقولون)؟

**ارميـــــا**: لا يمكن هكذا، على ما أعتقد أنا على الأقل.

**كيرلس**: هيًا إذن لنفحص على قدر المستطاع، ما يميّز الطبيعة الإلهية الفائقة، هيًا لنفحص أمرين: هل صلاح الآب هو أمر فائق أم أمر متدّنى؟ أم يجب أن لا يكون الصلاح الإلهي متجليًا في الابن؟

**ارميـــــا**: يبدو لي أنك تفكر جيدًا في هذه الأمور.

**كيرلس**: إن المرنم يُخضِع كل الخلائق تحت المظلّة الإلهية ويجعل كلّ ما هو مخلوق تحت نير العبودية لله وهو يقول هذا اكرامًا لله وحسنا يفعل، لأنه مجّد خالق الكلّ مرّة بقوله «مِنْ قِدَم أَسَّسْتَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ تَبِيدُ وَأَنْتَ تَبْقَى وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى كَرِدَاءٍ تُغَيِّرُهُنَّ فَتَتَغَيَّرُ. وَأَنْتَ هُوَ وَسِنُوكَ لَنْ تَنْتَهِيَ. أَبْنَاءُ عَبِيدِكَ يَسْكُنُونَ وَذُرِّيَّتُهُمْ تُثَبَّتُ أَمَامَكَ»[189] وهو يأمر سماء السموات والشمس والقمر والنجوم والنور والماء، أن تُسبِّح وتُمجِّد الله. ويقول للبشر أيضًا: «هَلُمَّ نَسْجُدُ وَنَرْكَعُ وَنَجْثُو أَمَامَ الرَّبِّ خَالِقِنَا. لأَنَّهُ هُوَ إِلَهُنَا وَنَحْنُ شَعْبُ مَرْعَاهُ وَغَنَمُ يَدِهِ»[190] بينما يقول للملائكة التي لها تلك الخدمة

---

[187] يو١٤: ٩.

[188] يو١٠: ٣٠.

[189] مز١٠٢: ٢٥-٢٨.

[190] مز٩٥: ٧.

الفائقة « بَارِكُوْا الْرَّب يَا جَمِيْع مَلائِكَتِه الْعَامِلِيْن مَرْضَاتَه»[١٩١]. فهل فَهمتَ الآن أنه يجعل جميع الخلائق تحت نير العبودية ، فيدعو كلَّ البشر على الأرض أنهم «غنم يده» بينما يدعو الملائكة بإنهم هم خُدامه الذين يسبّحونه؟

إرميـــــا: نعم لقد فهمت ذلك.

كيرلس: إذن لاحظ إن الابن قد دعىَ «غنم يده» إنها هي ملكهُ ولقد حملنا بنير العبودية له إذ إنه قال «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيةً وَلَنْ تَهْلِكَ إِلىَ الأَبدِ وَلاَ يخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُو أَعْظَمُ مِنَ الْكُل وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»[١٩٢] إذن نحن خِراف الله الآب، وبالمثل نُسَمى خراف وغنم الابن. كما أنه يمكنك أن تَعلَمَ من الكتب المقدَّسة أن الملائكة تخدم الابن، لأن الحكيم متى الإنجيلي كتب عن تجربة إبليس للمسيح في البرية أن إبليس بعدما تركه «وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ»[١٩٣] وأيضًا السيرافيم يحيطون بعرشه الإلهي مسبّحين قائلين قدوس قدوس قدوس. ولأنه ربُّ القوات فإنها تهتف قائله إن مجده يملأ السماء والأرض[١٩٤]. إذن كيف لا يكون الابن مساويًا للآب وهو الذي له نفس القدرة على كل شيء، وما تملكه يدّه، تملكه يدُّ الآب، وكيف لا يُمجَّد مع الآب؟ أم هل تستطيع أن تفكر أو تقول شيئا يمكن أن يميّز مجد الآب أو ينتقص من مجد الابن، لأن هذا لا يمكن أن يحدث بدون أن تُمَس المساواه بين الآب والابن؟

إرميـــــا: لا أستطيع أن أفكر في هذا الأمر.

كيرلس: وأيضًا ماذا تعني يدَّ الآب وأي من يدَّيه يقصد؟ هل قوّته الفائقة القدرة أم فعِلْه؟ لأن الحديث عن الله يفوق دائما المظاهر الجسدِّية.

إرميـــــا: على ما اعتقد أنا على الأقل، يمكن أن نقول بسهوله إنها تعني الأثنين.

---

[١٩١] مز١٢٣: ٢١ (س).

[١٩٢] يو١٠: ٢٧-٢٨.

[١٩٣] مت٤: ١١.

[١٩٤] انظر إش٦: ٢-٣.

كيرلس: بالصواب تتكلّم، غير أن مَنْ هو أقلّ ويُعتقد أنه ينقصه شيء وأفعاله لا ترقى إلى تلك الأفعال الفائقة كيف يمكن ان يُسمى مساويًا لآخر في الفعل والعمل؟ وكيف يمكن للابن أن يكون له نفس المجد الذي للآب وأن يكون له الوحده المطلقة في الجوهر مع الآب؟ لأن الابن قال: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» ومع أنه أيضًا أكد أن الآب هو أعظم من الكلّ وذلك عندما قال «أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إيّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ»[195].

إرميـــــا: لا يقدر أن يكون هكذا، بل على العكس يكون الفرق بينهما كبير لأنه طالما هو بصفة عامة ـ أقلّ فإن كلّ ما يكون له يكون أقلّ.

كيرلس: وبالتالي فالابن لن يكون له، ما هو للآب، إذ هو أقلّ، طالما أنه ليس هو مساوٍ للآب، فلا أعتقد أنه يستطيع أن يقول للآب وبالأكثر بهذه الداله أن « كُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي»[196]. هيًّا إذن ـ لو أردنا ـ أن نفترض أن الآب هو أعظم، وأن نقول إن الابن هو أقلّ، وحينئذ فهل يمكن أن توجد طريقة تجعل أن يكون للابن كلّ ما للآب، وأن يكون للآب كلّ ما للابن، (مع العلم أن من بين ما يقال أن خصائص الآب أنه لابد أن يكون أعظم وأرفع) وحينئذ ستكون هذه الخصائص للابن في الوقت الذي يقال عنه إنه أقلّ (من الآب)؟ وطالما أن من خصائص الابن أن يكون أقلّ (حسب قولهم) كيف يمكن أن تكون هذه الخاصية هي للآب أيضًا وهو مَنْ هو بالفعل أعظم. أنا بالتأكيد أشك في هذا، أما أنت فإنك ستبيّن لنا كيف يكون هذا.

إرميـــــا: لن أستيطع هذا لأن شرح ذلك الأمر هو شيء صعب جدًا.

كيرلس: إذن لنتابع مسيرة الكلام، كما أني أريد أن أقول شيئًا ضروريًا: هل يا ترى من سلطة الآب فقط القدرة على غفران سقطاتنا ومحو خطايانا الثقيلة؟

إرميـــــا: نعم.

كيرلس: وكيف لا يكون من الخطر الشديد أن يتجرأوا على أن يجردّوا الابن من هذه السلطة وهو الذي له ما للآب ـ بقولهم كاذبين ـ إنه لا يستطيع هو أيضًا أن يغفر خطايا مَنْ يريد؟ فهو ينصحهم أن يقرنوا أقوالهم الشريرة

[195] يو ١٠: ٢٧-٢٨.

[196] يو١٧: ١٠.

هذه بما سبق أن قاله «فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِمْ يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ»[197] وهو إذ يُرجع للآب الإمكانية في غفران خطايا مَنْ يريد، فإنه يؤكد أنه هو نفسه يغفر وذلك بقوله «وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لاِبْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا. حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!»[198] كيف يكون إذن مَنْ له نفس السلطان ونفس الفعل، أن يكون أقلَّ وأن يحسب من ضمن المخلوقات؟

**إرميـــــا**: لا يمكن أن يكون هذا لأن الكلام واضح.

**كيرلس**: كما أن القديس بولس يؤكد لنا صدق ما نقول عندما يصرخ قائلاً: «مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ! مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ»[199]. وهو يوضّح أن الابن هو مَنْ سيقوم بهذا العمل العظيم ولأنه يعترف بقدرته على أن يبرِّر كل مَنْ يؤمن به فإنه يكتب قائلاً «فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ»[200] لأن إيماننا هو الذي يصالحنا بالله الآب ويجعلنا قريبين منه بواسطة الابن. والإيمان يبرِّرنا حسب القول الحق غير المغشوش، وهذا التبرير لا يأتي جانب منه من الله الآب، وجانب آخر منه أيضًا بصفة خاصه من خلال الابن. بل أن التبرير الذي يأتي من الآب هو نفسه يُعطى من الابن، وأيضًا التبرير الذي يمنحه الابن، يجب أن نقبله على أنه هو عطيّة من الآب أيضًا. وكما أن للابن السلطان أن يأتي بالكائنات إلى الوجود أي تلك التي ليست لها خالق آخر سواه، هكذا بالتمام تحيا به كل النفوس التي تترك عنها وبحرّيتها شهواتها القديمة، وتقبل أن تعيش تلك الحياة الجديدة وتعود إلى طبيعتها الرائعة.

**إرميـــــا**: لقد أقتنعت بما تقول.

**كيرلس**: أيضًا إن موسى الطوباوي وصف عناية الآب بشعب إسرائيل. رغم أنه كان معاندا وغير مطيع. تلك العناية التي هي من فوق قائلاً: «كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ

[197] مت٦: ١٤.

[198] مت٩: ٦.

[199] رو٨: ٣٣، ٣٤.انظر ص ٤٦، هامش(١) حيث استخدم ق. كيرلس آية من إنجيل يوحنا، (يو٥:٢٧) تشير إلى أن المسيح سيُدين العالم، وذلك ليؤكد بها أيضًا ألوهية الابن المتجسّد.

[200] رو٥: ١.

عُشَّهُ وَعَلى فِرَاخِهِ يَرِفُّ وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلى مَنَاكِبِهِ»[٢٠١].
كما أننا نجد الابن قد فعل هذا الأمر عينه عندما قال «يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا. هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً»[٢٠٢]. وبدون أن نفعل شيئًا من تلك الأشياء التي لا نرغب فيها، إلاّ أننا لن نتسرَّع بالطبع ونقول إن الآب لم يتخذ موقفًا ضد ما نفعل. أو أن نقول إنه أمر جيِّد أن يُمجِّد الابن فقط بسبب أنه اتخذ موقفًا ضد ما يفعله البشر لكن نقول إن الآب والابن هما واحد في الجوهر كما أن الألوهة هي واحدة وبسيطة[٢٠٣] وهذا يجعلنا نفهم أن الله الآب يعمل بالابن وهكذا نستبعد فكرة أن الآب أعلى من الابن أو أن الابن أقلّ من الآب، وهكذا لا نحرم على الإطلاق الابن المولود من الآب من أن يكون له نفس مجد الآب. لأن الآب يعمل من خلال الابن باعتباره قوّته الذاتيه الفعّاله إذ هو إله من إله وهو كائن معه من حيث الطبيعة مع أنهما متمايزان من حيث الأقنوم.

إرميـــــا: بالصواب تتكلّم.

كيرلس: ويمكنك أن تُدرِك أن الابن له كل ما يليق بطبيعة الله وقدرته وسلطانه، وليس بأقلّ مما للآب، وذلك من خلال كلمات إشعياء النبي حيث إن الله الآب يقول « الْتَفِتُوْا إِلَي و اخْلُصُوا يَا جَمِيْع أَقَاصِي الأَرْض لأَنِّي أَنَا اللّه و لَيْس آخَر. بِذَاتِي اقْسَمْت خَرَج مِن فَمِي الْبَروَكَلامِي لا يَعُوْد دُوْن أَن يَتَحَقّق»[٢٠٤].
فهل تستطيع أن تنسب لآخر غير الابن أن كلامه أقوى من أن يعود فارغًا، أو أنه هو بهاء مجد الآب الذي يستطيع أن يدعو ويخلّص كلَّ البشر في أقاصي المسكونة وأن ينشر البرّ؟

إرميـــــا: أنا لا أستطيع أن أفعل ذلك، لأن هذا الأمر يليق بالله وحده.

كيرلس: فهل يمكن أن يكون من اللائق أن تُنسب لطبيعة الابن - بصفة عامه -

---

[٢٠١] تث٣٢: ١١.

[٢٠٢] مت٢٣: ٣٧-٣٨.

[٢٠٣] انظر ص٢٩، ٦٨، ٨٢.

[٢٠٤] إش٤٥: ٢٢-٢٣(س).

أمورًا أقلّ طالما أن طبيعته تتصف بنفس الخصائص ولها نفس المجد (الذي للآب)؟

**إرميـــــا:** إطلاقًا.

**كيرلس:** إذن ستسمعه ينادي بكل وضوح قائلاً «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ»[205] أم أن هذا لا يعني ما هو مكتوب بإشعياء «أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ»[206]؟ لأن كل الإشياء هي مرتبطة بالنير الإلهي ولقد ذَكَرَ هو نفسه أن ما يقوله لن يزول وذلك عندما قال في موضع آخر «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ»[207]. فهل أدركت الآن السبب في عدم قبولهم إن يتحقق ما قاله الابن، مثلما تحقق ما قاله الآب؟

**إرميـــــا:** نعم

**كيرلس:** وبخلاف كلّ هذا، فطالما أن لا شيء على الإطلاق يفوق قدّرة يدّيه، فيكون من الواضح أن القدرة على تدبير كل الخليقة، لا توجد لدى آخر سوى الله الذي يضبط الكلّ. والآن هل اتضح أمامك أني قد شرحت لك كلّ الأمور بالتفصيل وبطريقة ممتازة؟.

**إرميـــــا:** نعم.

**كيرلس:** وبالتالي فنحن نرى أن تدبير كلّ الخليقة هو من عمل الآب والابن على التساوي.

**إرميـــــا:** قلّ لي ماذا تقصد؟

**كيرلس:** لقد قال الابن عن الله الآب ما يلي: «أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ»[208] والابن أيضًا يستطيع أن يقدّم هذه العناية الفائقة التي تشمل جميع المخلوقات حتى التي لا تذكر منها وهذا ما نراه يحدث عندما جاء المسيح إلى كوره الجرجسيين، وطَرَدَ من المجنونين الأرواح الشريرة التي أطاعت أوامره الإلهية وطلبوا منه أن يذهبوا

---

[205] مت ١١: ٢٨.

[206] إش٤٥: ١٨.

[207] مت٥: ١٨.

[208] مت١٠: ٢٩.

ليتملّكوا على الخنازير[٢٠٩] ثم أن مَنَ يملك كل شيء تحت قدميّه، قد سمح لهم وأمَرَهم أن يمضوا إلى الخنازير، ففعلوا، وإذ قطيع الخنازير كله قد أندفع من على الجرف إلى البحر ومات في المياه[٢١٠]. والآن، قل لي هل أعطى المسيح لهذه لأرواح النجسة التصريح أن يفعلوا ما يريدون مع أنها أرواح لا تريد إلاّ الشر؟! سيكون من المستغرب جدًا أن يفكر أحد هكذا، لكن كان من الضروري أن ندرك وبطريقة عمليّة أن الابن يعتني بالجميع مثله مثل الآب تمامًا، وحتى يكون من الواضح في كلّ أمر جمال وبهاء مساواه الابن للآب في الجوهر.

## معنى خضوع الابن النهائي للآب:

إرميـــــا: لكن يقال، كيف يحدث هذا وأين تتضّح هذه المساواه في الجوهر طالما أن الابن يخضع للآب ويطيعه كما يقول القديس بولس: «وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُل فَحِينَئِذٍ الابْنُ نَفْسُهُ أَيْضاً سَيَخْضَعُ للَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلّ»[٢١١]؟

كيرلس: لماذا يقال هذا، أعني أنه لماذا يقال إن الابن يخضع للآب، وهل يريدون بذلك أن يبعدوا مَنْ قد وَلَد منه حسب الطبيعة عن أن يكون مساويًا له في الجوهر؟ لكن لأننا نتحّدث بصفة عامة عن طبيعة الله، فحينئذ تثار وبطريقة حمقاء. مسألة خضوع الابن للآب، حيث إنها مسأله لا تتعلق بالجوهر؟.

إرميـــــا: يقال إن ماهيه الجوهر يمكن أن تُفَهم بطريقة أوضح بسبب موضوع الخضوع هذا.

كيرلس: غير أنك ياصديقي ستعلم وبدون أي جهد أن رأيهم في هذا الموضوع يجانبه الصواب ويتصّف بالجهل. لأنه وفق ما هو مكتوب أن أرواح الأنبياء

[٢٠٩] انظر مت٨: ٣٢.

[٢١٠] انظر مت٨: ٢٤-٢٨.

[٢١١] ١كو١٥: ٢٨. في الحوار الثالث من هذه الحوارات السبعة والذي يدور حول حقيقة أن الابن هو إله حقيقي كما أن الآب إله حقيقي، يورد ق. كيرلس بعض الأمثلة التي تؤكد شركة الخصائص الذاتية للآب والابن وفي أول هذه الأمثلة يكرر نفس هذه الآية التي يستخدمها هنا ويتابع في حواره الثالث شرحه لهذه الآية مضيفًا لها إثباتًا آخرًا من رسائل بولس الرسول ردًا على أرميا الذي يسأل عن معنى ما يقول فيذكر مباشرة: {أنتبه فالقديس بولس أعطى نفس المجد للابن ويزين طبيعة الابن الوحيد بتلك الأمور التي تمجد الآب وذلك عندما قال في موضع آخر عن الابن " الذي يملأ الكل في الكل» (أف١: ٢٣)}. انظر ص ١٠٢.

تخضع للأنبياء، وأولاد (فلان) مثلا يخضعون لأبيهم تمامًا مثلما تستطيع أن تقول إن إسحق قد خضع لإبراهيم ومَنْ وَلَده اسحق كان خاضعًا لأبيه الذي وَلّده. لكن لا أرواح الأنبياء كانت لها طبائع مختلفة بسبب الخضوع، ولا الطوباوي اسحق كانت طبيعته مختلفة ومن جنس آخر لأنه كان خاضعًا لأبيه بسبب توقيره له، مُظهِراً طاعة لَمْنْ وَلَده واكرام لبنوَّته له. إذن كان سيكون الأمر صحيحًا لو أن عملية الخضوع كانت ستغيِّر من طبيعة مَنْ يخضعون وتظهِرهم كأن لهم طبيعة مختلفة عن طبيعة مَنْ يخضعون له، وتجعلهم غرباء عن كلٍ علاقة هي بحسب الطبيعة، وكان سيكون الأمر هكذا حتى بالنسبة للابن، إما إن كان الحديث عن أمر الخضوع لا يضيرهم على الأطلاق إذ هو كما أعتقد يمثل نوع من اكرام الابن للآب، وتصرّف يعكس تقدير وأحترام لمن نكن لهم كلَّ تقدير وتوقير، ولا يقلّل ـ بالنسبة لنا نحن الذين نفعل هذا الأمر ـ من طبيعتنا، عن طبيعة مَنْ نخضع لهم، أي إن كان الأمر هكذا فلماذا ينسبون هؤلاء وبطريقة حمقاء، هذا الأمر للابن الذي هو الله بالطبيعة وقد أتى من الله؟ ألم يكتب القديس لوقا عن المسيح وعن العذراء القديسة، وعن ذلك الذي دُعىَّ حسب الجسد أنه أبوه (يقصد ق. يوسف) قائلاً أن المسيح «وَكَانَ خَاضِعاً لَهُمَا»[٢١٢].

**ارميـــــا:** بالفعل هو كتب هذا.

**كيرلس:** وبالتالي، يا صديقي، هل يجب أن نفترض أن طبيعته البشرّية قد تلاشت مع أنه هو إله من إله، وإنه وُلِدَ بطريقة لا يُعبّر عنها، وذلك لأنه خَضَعَ لهؤلاء وأطاع والدته حسَب الجسد، أو يُقال وإنه صار أقلَّ من يوسف بسبب احترامه له ولأنه كان يقدّره حق التقدير؟

**ارميـــــا:** لا يجب أن يُفعل هذا على الإطلاق، غير أنه يضايقني كثيرًا أمر خضوعه إذ يعرّضه للشك في قدرته الكامله.

**كيرلس:** غير أن هؤلاء الذين يرتكزون في ثبات على الإيمان، لا يمكن أن يكون لديهّم أي شك، فطالما قبلوا في نفوسهم كلام الحق الثابت فلن

---

[٢١٢] لو٢: ٥١.

يتعرّضوا لضلالات هؤلاء المنحرفين، بل أنهم سيتذكرون بالحري ما كتبه الطوباوي بولس «هَادِمِينَ ظُنُوناً وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَىَ طَاعَةِ الْمَسِيحِ»[٢١٣] لأنه في مرّات كثيرة يوّجه المعاندون كلامهم ضد مجد الابن الوحيد وهم يستخدمون كلمات الكتاب المقدس في اتهاماتهم فعندما يقرأون ما قاله بولس الطوباوي «وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُل فَحِينَئِذٍ الابْنُ نَفْسُهُ أَيْضاً سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ»[٢١٤]، فإنهم ـ حسبب ظنهم ـ يقولون إن هذه مشكلة عويصه تتطّلب مناقشات طويلة. غير أن الآخرين الذين يحبون الله من قلوبهم ويسهرون من أجل محبتهم في التعّلم وفي التمسك بالإيمان القويم، فهؤلاء يجدون صعوبة في فهم الآية ليس بسبب أنها غير سليمة بل بسبب تحريف المعاندين لمعناها، الذين يرفضونها ظانين أنها غير سليمة. غير أن هؤلاء المؤمنين يتسّلحون سريعا بأسلحة الحق ويهدمون كلّ المعوقات التي تسببها كلُّ الأفكار الخاطئة، وحينئذ يرون هذه الآية بمعناها الصحيح ويرجعونها إلى معناها المستقيم، أي إلى خضوع المسيح حسب الجسد من أجل التدبير. لأن اسم الخضوع، وحقيقته يشير إلينا نحن، ونحن في زمن العبودية، وعندما صار الابن ـ وهو الله ـ إنسانًا. وبينما هو ربّ الكلّ بالطبيعة وليس بالتبني إذ هو إله حق من إله حق[٢١٥]، فإنه صار عبدًا. وفيما هو صورة الآب وهو واحد معه، فقد وَضَع نفسه[٢١٦]، وأطاع وأخلى ذاته بارادته حسب التدبير. إذن طالما أنه بهذه الطريقة، قد ارتضى أن يصير مثلنا، فإنه قَبِل كل ما هو لطبيعتنا[٢١٧] من ضعف بشرّي، ونقائص الطبيعة المخلوقة، بالنسبة لطبيعة الله، ولهذا كان من اللائق أن يخضع. ومع هذا فجوهر الكائنات لا يكمن في كونها خاضعه، كما يظن هؤلاء بغير حق، ودون أي تفكير، لكن لأنها توجد بطريقة خاصه ولأن طبيعة كلًّ منّا

---

[٢١٣] ٢كو١٠: ٥.

[٢١٤] ١كو١٥: ٢٨. راجع ص٨٦ والشاهد رقم(١).

[٢١٥] بند أخر من بنود الإيمان. انظر البنود الأخرى ص١، هامش(٣)، ص٨ هامش (٤)، ص٥٠ هامش (١).

[٢١٦] «وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ» (في٢: ٨).

[٢١٧] شابهنا في كل شيء ماعدا الخطية وحدها. انظر ص١٧، هامش ٣٤.

هي التي تحدد طريقة تصرُّفه فإن طبيعته قِبلتْ بإرادتها أن تخضع جاعله من تصرّفها هذا دليلاً على مشيئتها الذاتيه.

**إرميـــــا:** بالصواب تتكّلم.

**كيرلس:** وبالتالي فالخضوع يكمُن فيما نفعله بارادتنا وحسب رغبتنا، ولا يتعلّق بالجوهر.

**إرميـــــا:** ما تقوله هو صحيح.

**كيرلس:** ألاّ يستحق أن نتطلّع لأمر آخر ونحن نتحّدث عن هذا الموضوع؟

**إرميـــــا:** ماذا تعني بذلك؟

**كيرلس:** يكتب القديس بولس عن المسيح قائلاً: « أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْه. لأَنَّهُ إِذْ أَخْضَعَ الْكُلَّ لَهُ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ عَلَى أَنَّنَا الآنَ لَسْنَا نَرَى الْكُلَّ بَعْدُ مُخْضَعاً لَهُ»[٢١٨] وبالتالي لو أن كل شيء هو خاضع للآب في الوقت الذي هو خاضع فيه للابن، سيكون ـ كما هو واضح ـ هو الوقت المناسب للخضوع، أما الابن فهو في الوقت الحالي غير خاضع لأنه لم يأتي الوقت الذي سيخضع هو فيه.

**إرميـــــا:** اتفق معك لأن الكلام واضح.

**كيرلس:** لو أن أحدهم ظَنَ أن معنى كلام بولس هو أن الابن غير خاضع لله الآب، ولكنه بمرور الوقت سيخضع له، وهكذا سيتحدد عدم المساواه في الجوهر بين الآب والابن بسبب الخضوع، سيكون معنى هذا الكلام هو ما يلي: إن الابن ـ سيكون في وقت ما ـ لا يشبه ذاته بحسب الطبيعة مع أن هذا هو الأمر الطبيعي وإنه سيحدث له تغيير إلى شيء آخر مختلف عن ما هو عليه الآن وما قد اضطلع به. غير أني سأقول للمعاندين، لو ان الخضوع هو أمر مرتبط بالحديث عن الجوهر، لكان قد اتخذ أفعال الجوهر والعكس صحيح، بمعنى عدم الخضوع. ولو قلنا إن الابن هو الآن غير خاضع وهذا من خصائص طبيعته، فإن هذا يعني أنه عندما سيخضع للآب ستكون له طبيعة أخرى، هي عكس الطبيعة الأولى تمامًا. وبالتالي سيتعرّض الابن لتغييرات ولن يكون غير متغيّر بعد، وسيكون الطوباوي داود النبي كاذبًا لأنه يصفه

[٢١٨] عب٢: ٨.

بصفات عديدة، وأقصد أنه يصفه أنه غير متحوّل وأن طبيعة ثانية لا تتغيّر إذ أنه يقول عنه « وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ تَبِيدُ وَأَنْتَ تَبْقَى وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى كَرِدَاءٍ تُغَيِّرُهُنَّ فَتَتَغَيَّرُ. وَأَنْتَ هُوَ وَسِنُوكَ لَنْ تَنْتَهِيَ»[٢١٩] وسيكون أيضًا بولس الرسول قد ارتكبت خطأ من جهة الحقيقة لأنه هو أيضًا كتب يقول «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ»[٢٢٠] لأنه إن كان جوهرة قد تغيّر، فكيف يقال أنه بقى كما هو؟

**إرميـــــا:** هذا حق.

**كيرلس:** إذن دع هؤلاء السفطائيين يجيبونا ما هو نوع التغيّر الذي لحق به وما هي الطريقة التي تمَّ بها هذا التغيّر؟ فلو كان هذا التغيّر هو للأسوأ بسبب وجوب الخضوع[٢٢١]، فلو قارنا بين زمن خضوعه للآب والزمن الذي يُقال فيه عنه أنه تواضع وأخلى ذاته[٢٢٢]، سوف نجد أن خضوعه هذا لن يفيد المخلّص وفادي الكلَّ من جهة مجده في مجيئه الآتي في ملكوته. ولو قالوا أيضًا ـ باعتبار أن ما سبق هو جهل منهم ـ إن التغيّر سيكون نحو شيء أرفع، إذن لأي سبب يثرثرون على موضوع الخضوع هذا ناسبين للابن وضعًا أقلَّ (بسبب خضوعه) في حين أن خضوعه هو الذي رفعه وعلاّه وهو الآن المساوي لله الآب.

لأنه طبقا لما هو مكتوب، أنه « لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ. لَكِنَّهُ

---

[٢١٩] مز١٠٢: ٢٥-٢٧.

[٢٢٠] عب١٣: ٨.

[٢٢١] يعالج ق. كيرلس بكثير من الشرح قضيَّة خضوع الابن في سياق شرحه لآيات إنجيل يوحنا. وفي الفصل الأول من كتابه الرابع (حسب تقسيم ق. كيرلس) والذي يحمل عنوان «في أن الابن ليس أدنى من الآب في شيء لأنه منه بالطبيعة حتى أن قال البعض عنه أنه خاضع»، يوضَّح المعنى الحقيقي لهذا المصطلح الهام ويشرحه بأبعاده الخريستولوجية بقوله: «إن الطبيعة البشريَّة لم تلتزم بما يبدو صالحًا لإرادتها الذاتية بل بالحري أن تتبع القصد الإلهي، وهي مهيأة على القدر للركض إلى فعل كل ما يدعوها إليه ناموس خالقها». شرح إنجيل يوحنا. المجلد الأول. مرجع سابق ص٣٨٠.
كما يشرح هذا المصطلح أيضًا في أبعاده الثالوثية أي في علاقة الآب بالابن فيقول: «(خبرني) إذن ما الذي يضطرّنا للقول إن ذلك الذي هو من جوهر أبيه وختم طبيعته الحقيقي يلزم أن يسقط عن مساواته له، على أساس كونه مطيعًا؟ لأننا نحن الذين نعتقد ونفكر باستقامة، نعلم أنه مساوي للآب في الجوهر، ونحن نعطيه كرامة مساوية له من جميع الوجوه، وأنه لا يُعتبر أدنى ولا أقل في شيء من أُلوهية الابن. لكن هل ترى أنك بكيفيّة ما لا تستطيع أن تستبعده عن الكرامة المساوية مع الآب على أسس خضوع مزعوم وهو الذي يتمتع بصلاح مساوٍ بسبب تطابق الجوهر» المرجع السابق، ص٣٨٤.

[٢٢٢] مرة أخرى يشدد ق. كيرلس على مقارنة الأزمنه. راجع ص ٢٠، ص ١١٩.

أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ»[٢٢٣] أم أنك لا ترى أني أتكّلم بطريقة صحيحة؟

**إرميـــــا:** بلا، كلامك واضح جدًا.

**كيرلس:** إن كلامهم مليء من كلٍّ ناحية، بما هو غير لائق وقبيح ولهذا هيّا بنا نتجّه نحو الأمر الذي لا يسبب أي ضرر وبدون أن نسبب لجوهر الابن الوحيد، أي نقص بسبب عملّية الخضوع التي يُظهرها، لأن الطوباوي بولس قد قال إنه في الأزمنة الأخيرة سيوجد بالحري مَنْ سيفكرون بتقوى في هذا الأمر.

**إرميـــــا:** وما هو هذا الأمر؟

**كيرلس:** لأنه لا يستطيع أحد أن يقول ـ على ما أعتقد ـ إن الابن سوف تكون له إراده مستقلّة عن إرادة الآب وأنه سيعمل ما سيروق له وحده. بل على العكس، سيكون من اللائق أن يقال إن مشيئة الابن توافق مشيئة الآب طالما أن الابن قد وَلِدَ من الآب وإن له نفس الطبيعة كي يتضّح أن الابن يكُرَم الآب ويكلّله بأرفع درجات المجد، إذ أنه يقول في موضع آخر عند دخوله العالم «ذَبِيحَةً وَقُرْبَاناً لَمْ تُرِدْ، وَلَكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَداً. بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ. ثُمَّ قُلْتُ: هَئَنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا أَللهُ»[٢٢٤] وأيضًا قيّل «لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي»[٢٢٥]. إذن الأمر واضح جدًا أنه يقول إنه قد نزل من السماء لأنه كان يجب عليه أن يعمل بإرادته ما قد رآه الذي وَلَد منه (أي الآب)، أنه حسن، وكأنه كان يريد أن تنفذ مشيئته الخاصة لكنه جعل من مشيئة الآب، مشيئته الخاصة وإن كان للابن هذا الهدف وهذه الرغبة، فهل يمكن لأحد أن يعتقد أنه تخلّى عن رغبته في أن يخضع لأن عملية الخضوع هذه هي أمر مُذِل، وهو يتخلّى عن وحدته في المشيئة مع الآب؟

**إرميـــــا:** على الإطلاق.

**كيرلس:** وبالتالي فمن له الآن المشيئة نفسها والرأي الواحد مع ذلك الذي وَلَده، أي مع الآب، كيف وبأي طريقة سيخضع في الدهر الآتي كما لو كان في غير

---

[٢٢٣] في٢: ٦-٧. وهنا يختم ق. كيرلس حواره هذا مس... الآية نفسها التي بدء بها حواره. انظر ص٢١٤.

[٢٢٤] عب١٠: ٥-٧.

[٢٢٥] يو٦: ٣٨.

اتفاق من حيث المشيئة مع الآب بعد، أو لطريقة أخرى خاضعًا؟ لأني في هذا استند إلى قول بولس الرسول الذي لم ينسب لجوهر الابن الوحيد أي نقص.

**ارميـــــا**: إذن ما هو الخضوع الذي يمكن أن يحدث؟

**كيرلس**: إعلم يا إرميا أن لدينا الرجاء الصالح وأننا نؤمن بكلٍّ يقين أن كل مَنْ يريدوا أن يحيوا حياة ممجّده، وقد جعلوا حياتهم شاهدة لعمل الله، لابد وأنهم سيشتركون في كل صلاح يأتي من قِبَل الله، فالله هو الذي أعَدَّ لفكر القديسين أمورًا تفوق كل تصوّر. غير أن الابن هو مَنْ سيُعطِي ويوزّع كل هذه الخيرات لأن كل ما يعطيه الآب لنا هو عن طريق الابن بالروح القدس. وفي عمله هذا لا يقوم الابن بعمل الخادم[٢٢٦]، بل أنه يوزّع هذه الخيرات كمن له سلطة[٢٢٧] بكونه هو ابن الآب، كي يكون الله الكلَّ في الكلِّ[٢٢٨]، بمعنى أن المسيح قد صار لنا حكمة من الله وبرًا وقداسة وفداء[٢٢٩]، وحياة[٢٣٠]، مجد[٢٣١]، وعدم الموت[٢٣٢]. كما أن حقيقة أنه عندما سيخضع الكلَّ للابن وأنه مع الآب سيملك ويضبط الكلّ، تثبت بسهولة ما نؤمن به بيقين أن لهما نفس المشيئة في كلٍّ أمر وإله الابن بشفاعته سيكمل كل رجاء القديسين.

كما أننا أيضًا نقول أن القديس بولس وهو يشرح معنى الخضوع، كان يدرك أنه لا يسيء إطلاقًا للابن بأي طريقة باستخدامه لهذا التعبير. لأن هدف الابن كان دائمًا أن يُكرِم الآب لأنه قد وُلِدَ منه حسب الطبيعة وهو مساوٍ له في كل شيء وواحد معه في الجوهر ولا ينقصه شيء على الإطلاق، وفيه وله المجد والإكرام مع الآب والروح القدس إلى الآبد آمين.

---

[٢٢٦] انظر ص٢٥٠ وهامش ١٥٠.

[٢٢٧] انظر المرجع السابق.

[٢٢٨] انظر ١كو١٥: ٢٨.

[٢٢٩] انظر ١كو١: ٣٠.

[٢٣٠] انظر يو١٤: ٦.

[٢٣١] انظر عب١: ٣.

[٢٣٢] انظر ٢تي١: ١٠.

# الحوار السادس

## في أن خصائص الطبيعة البشريَّة، وكل ما قيل عن ما فعله الإبن، ولا يليق بالله (حسب تصوّرهم)، كل هذا يشير بالحري إلي طبيعته البشريَّة وليس إلي طبيعة الكلمّة، إذ هو الله.

### تلخيص لما سبق، وسَرد إعتراضات أخري والرَّد عليها[1]

**كيرلس:** إن الحديث عن المساواة وعن أن طبيعة الإبن، تمثل بكِّل وضوح ودقة دليلاً علي ماهية طبيعة الله الآب[2]؛ قد صار حسب اعتقادي حديثًا كافيًا وواضحًا. لأنه من خلال هذا الحديث[3] أتضح أن الخصائص الذاتية لجوهر الله الآب، هي للإبن أيضًا. أو بالحري أتضح أن كل ما هو خاص بالآب كخاصية حسب طبيعته، هو أيضًا خاص بالإبن. فهل تصدَّق يا إرميا إذن أنه من الممكن أن يوصف شخص بخصائص لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تخصه بل تتصف بأنها أمور غريبة عنه؟

**إرميـــــا:** ماذا تقصد بهذا؟

**كيرلس:** ألا تتميَّز كل من الكائنات بخصائصها الطبيعية ولا تظهر ـ بصفة عامة ـ أنها تتشابه مع باقي الكائنات، حتى ولو قيل إنه يوجد شيء مشترك فيما بينها؟ لأن الإنسان والحصان هي بالتأكيد كائنات حيَّة، غير أنه في كل منها شيء مختلف يفصلها ـ كحائط ـ عن باقي الكائنات. ويظهر أنه من المستحيل أن تتماثل تمامًا وبشكل كامل فيما بينها. لأنه يوجد شيء

---

[1] العناوين الجانبية حسب ترجمة المنشورة في SC.

[2] يقول توماس ف. تورانس إن الإبن «بالتحديد في اعلانه لنا عن طبيعته الذاتية «بكونه الإبن»، قد اظهر لنا طبيعة الآب ليس فقط بالكلام معلّمًا إيانا عن الآب بل بكونه، كما هو منذ الأزل إبن الآب الذاتي المتجسد في حياتنا البشرية». الأيمان بالثالوث، ترجمه د. عماد موريس اسكندر، مراجعه د. جوزيف موريس فلتس، اصدار باناريون ط١، نوفمبر ٢٠٠٧م، ص٧٧.

[3] يقصد الحوارات الخمس السابقة والتي سبق أن نشرها المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية في أربع اجزاء.

مميّز في كل من طبيعة الإنسان والثور والحصان. أما لو أزيلت الفوارق بينها واستبُعدت الخصائص المتباينة لجوهر كل منها، وأعُطيت الخصائص المميّزة لجوهر الإنسان لها جميعًا، فهل لن تكون طبيعة الإنسان هي المقياس. وهل سيكون للأمر الذي يميزّنا كبشر أي معني؟

إرميـــا: بالفعل.

كيرلس: وبالتالي، هو أمر مُخجل، أو بمعني أصح هو أمر مستحيل أن يَقدْر شيء أن يُعرَّف عن طريق خصائص شيء آخر، وأن نعتقد في أمر أنه ليس كذلك مع أن هو هكذا حسب طبيعته، أي تلك التي يُعرَف بها من خلال خصائصه الطبيعية؟

إرميـــا: بالصواب تتكّلَم.

كيرلس: إذن الإبن ليس هو أقلّ من الله الآب في أي شيء[4]، طالما أن مَنْ هو حسب الطبيعة يُعرَف تمامًا من خلال ما يليق بخصائص الإلوهه. ولهذا فالإبن هو ختم أقنوم الآب[5]، طالما أن بواسطة الإبن ومن خلاله

[4] يورد ق. كيرلس في هذه الفقرة وفي بداية هذا الحوار. ثلاث نقاط جوهرية تتعلق بإثبات أُلوهية الإبن. النقطة الأولي هي مساواة الإبن للآب في الجوهر وبالتالي لا يكون أقلّ في أي شيء من الآب. وما يسوقه الهراطقة بقولهم إن الإبن أقلّ من الله الآب في الجوهر، يعكس إيمانهم بإن الإبن غير مساوٍ للآب في الجوهر وبالتالي فهم ينكرون أُلوهية الإبن. ولقد تصدي ق. كيرلس لهذا الفكر في حواره السابق فيقول «إن مَنْ هو أقلّ ويعتقد أنه ينقصه شيء وأفعاله لا ترقي إلي تلك الأفعال الفائقة كيف يمكن أن يُسمي مساويًا لآخر في الفعل والعمل؟ وكيف يمكن الإبن أن يكون له نفس المجد الذي للآب وان يكون له الوحدة المطلقة في الجوهر مع الآب؟». انظر ص٢٦٥.

[5] والنقطة الثانية هي أنه بسبب وحدة الجوهر للآب والإبن يكون الإبن هو «ختم أقنوم الآب» وسبق ان اسُتخدم تعبير «ختم» الكتابي ذو الأبعاد اللاهوتية، بكثرة بواسطة آباء الكنيسة لوصف ليس الإبن فقط بل والروح القدس أيضًا وذلك لأنه واحد مع الآب والإبن في الجوهر. فنجد. علي سبيل المثال. أن ق. كيرلس يستخدمه في الحوار الثالث والرابع، والخامس حول الثالوث. ففي الحوار الثالث يذكر: «لكوننا نأخذ ختم التبني عن طريق الإبن بواسطة الروح القدس". انظر ص١٣٧، وفي موضع آخر من نفس الحوار يقول «لأننا تشكلّنا من جديد حسب الصورة الأولي إذ ختمنا بختم الإبن كي نصبح مثله، لأنه هو صورة الآب وختمه وليس هو آخر بجانب الآب وذلك بسبب الجوهر الواحد» انظر ص١١٣، وفي موضع آخر يعلق ق. كيرلس علي ما جاء في يو٦:٢٧ «الذي يعطيكم إبن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه" ويدلل علي أن تعبير «ختمه» يدل علي وحده جوهر الآب والإبن. راجع شرح إنجيل يوحنا، ترجمه د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة، المجلد الأول ٢٠٠٩ ص٣٤٧، وللمزيد من الشرح لهذا التعبير أنظر ص٣٩٤.٣٨٤ من نفس المرجع، وفي الحوار الرابع يقول متسائلاً: " فأي ختم إلهي سنكون قد ختمنا به في داخلنا حتي ولو كنا أخذنا شكل الإبن إن لم يكن الإبن إن لم يكن الإبن بحق هو الله وليس مخلوقًا" انظر ص١٩٠. وفي الحوار الخامس يعلق علي ذكر ق. بولس عن الإبن بقوله «إن الرسول بولس قد دعا الإبن إله وحيد الجنس وأنه هو صورة ورسم الآب وأنه ختم وذلك بسبب عظم بهائه الذي يعكس بدقة نفس بهاء الآب»، انظر ص٢٢٤ وفي موضع آخر من نفس الحوار يذكر علي لسان إرميا إنه في ملء الزمان إن حياة الإبن قد اظهرت من أجلنا إذ هو ختم الآب الحي وصورته الحقيقية» ص٢٣٥ وأيضًا يذكر «إننا نؤكد إن الإبن هو. بطريقة لا توصف. ختم الآب (أي الختم الذي يُظهر وبكل دقّة ما للأصل)، وبالتالي له طبيعة الآب نفسها» المرجع السابق ص٧٢. وأيضًا في سياق تفسيره لإنجيل لوقا وتعليقه علي ختان المسيح وإرتباطه بالمعمودية يقول: «لأنه كما كان=

نستطيع أن ندرك طبيعة الاب[6].

**إرميـــــا**: هل تريد أن نتحدّث عن شيء من تلك الأمور الهامة وذلك لمنفعتنا، بمعني أن تنحّي جانبًا ما يبدو لك مختلفًا، وأن تترك الحوار يجري بغض النظر عن ما يعتقد به المخالفون؟

**كيرلس**: هيًّا إذن يا صديقي، قل ما تعتقد أنه صواب، لأن لدينا كل الرغبة، كما أن الوقت فسيح لنا الآن أن نجاهد معًا من أجل عقائد الإيمان الحق. بالإضافة إلي ذلك، فإني أعتقد أن ما يقنعنا لكي نتقدَّم باجتهاد فيما نفعله، ما سبق أن قاله الطوباوى الرسول في موضع آخر بأن نكون «مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ»[7]. وأي رجاء يمكن أن يكون داخلنا غير ربنا يسوع المسيح؟!

## ١ـ هل الآب هو الذي يُقدس الإبن؟

**إرميـــــا**: إذن فلتعلم أنهم سيقولون الآتي:

إن الإبن لم يكن إطلاقًا مساويًا أو مشابهًا لله الآب حسب الطبيعة، بل يقال عنه أنه يتقدَّس ويمُجَّد ويرتفع ويتقوي بواسطة الله الآب. ولأنهم مستعدون أن يثبتوا من الكتاب المقدَّس[8] نفسه أن الأبن يَسجدْ معنا لله وأنه يجهل ساعة أنقضاء العالم[9]، مع أني أستطيع بسهولة. أن أردت أن استعرض تعاليم الكتاب

---

=في القديم يُحسب المختون ضمن شعب الله بواسطة ذلك الختم، هكذا فإن مَنْ يعتمد يُدرج ضمن عائلة الله بالتبني إذ قد تصوّر في نفسه المسيح الختم» تفسير إنجيل لوقا، ترجمه د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠٠٧م، ص٤٥.

[6] النقطة الثالثة هي أن الإبن هو الطريق الوحيد لله الآب. ويعتمد ق. كيرلس هنا علي ما جاء في إنجيل يوحنا عن الإبن «الله لم يره أحد قط. الإبن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبر» (يو ١:١٨) فلقد أعلن الإبن بتجسده، ماهية الله كونه أبًا وهذا ما سبق أن شدَّد عليه ق. أثناسيوس في دفاعه عن ألوهيه الإبن ضد الأريوسيين بقوله: «إنه يكون أكثر تقوي وحق أن نتعرّف علي الله من خلال الإبن وندعوه «الآب» عن أن نسمّيه من خلال أعماله فقط وندعوه، غير المخلوق» ضد الأريوسيين. المقاله الأولي. فقرة ٣٤. ولقد عبرّ ق. كيرلس عن هذه العقيدة الخلاصية في حواره الرابع بقوله «إن الإيمان بالإبن هو الذي يقود المؤمن الحقيقي ـ عن طريق الإبن ـ إلي الآب الذي ولَدَه». انظر ص١٨٩. أنظر أيضًا الشاهد رقم ٩١ بنفس الصفحة.

[7] ١بط٣:١٥.

[8] كثيرًا ما لجأ المراطقة إلي استخدام آيات من الكتاب المقدس، محرِّفين معانيها السليمة وذلك لأثبات وتعضيد آرائهم المنحرفة.

[9] يورد ق. كيرلس في بداية هذا الحوار وعلي لسان إرميا ملَّخصًا لأفكار وتعاليم الهراطقة التي تهاجم أُلوهية الإبن، كي يتمكن من الرد عليها تباعًا. ومن الجدير بالذكر أن ق. أثناسيوس قد سبق أن أتبع هذه التقنية في رده علي من يدعون بأن جسد المسيح غير مخلوق. إذ أنه أورد في رده علي أبكتيوس كل الأفكار التي علّم بها الهراطقة في هذا الشأن ثم=

المقدَّس الخاصة بكل ما سبق أن أثاروه.

كيرلس: وأنا أيضًا اعتقدت أن المجادلة لم تَعدُ في قوتها، لكن وجدت أن المعاند مازال مُصِّرا علي الهجوم، ولأنه قد خاب ظني، ووجدِنا في بداية جهد جديد، طالما أن المعارضين يثيرون العديد من المشاكل أمامنا، فهيًّا بنا مرّة أخري نستعرض المفهوم الصحيح ـ كل علي حده ـ لما سبق أن اثاروه ولنثبت أنهم يجهلون سرَّ المسيح[١٠].

إرميـــا: وأنا أيضًا مستعد ـ إن أردت ـ أن أواصل حديثي ـ لأنه لا توجد طريقة أخري نستطيع بها أن نفحص أقوالهم غير هذه الطريقة. وقولهم إن الابن شريك في التقديس يُبينهُ بكل وضوح حديث بولس الطوباوي عندما يكتب قائلاً «لأَنَّ الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهذَا السَّبَبِ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً»[١١] كما أن الحكيم يوحنا يقول: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ»[١٢] وأيضًا نجد أن الابن نفسه يقول ـ مع كل من يوحنا

=أخذ في الرَّد عليها بالتوالي. أنظر المسيح في رسائل القديس أثناسيوس: أ. صموئيل كامل عبد السيد د. نصحي عبد الشهيد، مؤسسة القديس أنطونيوس، طبعة الثانية، يناير ٢٠٠٠، ص٣٥.

[١٠] ما يقصده ق. كيرلس بأن المعارضون يجهلون «سرَّ المسيح» هو انهم يجهلون طبيعة الإبن الإلهية، وبالتالي فهم ينكرون عليه الوهيته ويقولون إنه «شريك في التقديس» وذلك لأنهم يعتقدون أنه لا يملك القداسة في ذاته وبالتالي في إحتياج للتقديس، وفي موضع آخر استخدم ق. كيرلس نفس هذا التعبير وذلك في سياق شرحه لملابس هارون الكهنوتية، حيث فسرَّ عبارة «قدس للرب» المكتوبة علي صفيحة من ذهب علي عمامة هارون بأنها هي عبارة تخص الإبن المتجسد غير انها لا تصفه بأنه محتاج للقداسة إذ هو قدوس حسب طبيعته الإلهية ولا يحتاج لتقديس من آخر، إنما هي تعني أن الإبن قد عيّن خصيصًا وأرسُل إلي العالم لخلاص وتقديس البشرية. انظر: السجود والعبادة بالروح والحق، مرجع سابق، المقالة الحادية عشر ص ٤٤٥ـ ٤٤٦. وأيضًا في تفسيره لإنجيل لوقا وتعليقه علي معجزة أشباع الجموع وموقف اليهود من المسيح يقول «إن اليهود في رأي، ليس لهم حجة واحدة يمكن أن تنفعهم أمام منبر الله يعتبروا بها عدم طاعتهم، لأن مقاومتهم لا تبدو معقولة. ولماذا الأمر هكذا؟ لأن ناموس موسي يمكن أن يقودهم ـ بواسطة الظلال والرموز ـ إلي سرَّ المسيح. لأن الناموس ـ أو بالحري الأشياء التي يحتويها ـ كان رمزيًا وكان سرَّ المسيح مصوَّرًا فيه بواسطة المثال والظل كما في رسم». تفسير إنجيل لوقا، ترجمه د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة ٢٠٠٧ص٢٣٢. وكثيرًا ما يستخدم ق. كيرلس هذا التعبير، راجع شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، المجلد الأول ٢٠٠٩م، ص١١٥، ١١٩، ١٥٥.

[١١] عب٢: ١١.

[١٢] يو١: ٣٢. في شرحه لإنجيل يوحنا وفي سياق شرحه لهذه الآية يستعرض ق. كيرلس ما قد يفهمه المعارضون لواقعة معمودية المسيح، كي يستطيع الرّد عليهم فيقول: «هذه الأمور (أي ما جري في المعمودية) يجب أن تؤخذ كما هي. ولكن ربما يقفز الهرطوقي المحب للجدال وعلي وجهه ابتسامة عريضة ويقول: ماذا تقولون يا سادة عن هذا أيضًا؟ وأي جواب تقدمونه. فهل تحاربون ما هو مكتوب؟ ها هو يقول إن الروح القدس نزل علي الإبن. وها هو قد مُسِحَ بواسطة الله الآب. ومَنْ لا يملك فهو يأخذ، بل أن المرنم يشهد معنا قائلاً عنه «من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك (مز٤٥: ٧) فكيف يكون الإبن بعد ذلك الذي قيل، مساويًا في الجوهر للآب الكامل. فلكون الإبن نفسه غير كامل لذلك مُسِح». شرح إنجيل يوحنا، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ٢٠٠٩ المجلد الأول ص١٥٥. والملاحظ أن القديس كيرلس قد وضع نفس هذه الكلمات تقريبًا=

وبولس ـ، لليهود: «أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللهِ؟»[١٣]. كما يستطيع المرء، وبدون أي مجهود أن يسوق عدَّة آيات أخري نستطيع من خلالها أن نتبينَّ أن الابن قد تقدَّس من الآب.

**كيرلس:** ومَنْ الذي يستطيع إذن أن يُدرك طريقة التقديس، طالما أنها تنسب إلي الابن الوحيد نفسه، وهذا ما أريد بكل سرور أن اعرفه منك، لأنه من الملاحظ أنه يوجد اختلاف كبير في هذا الموضوع حسب ما جاء في النصوص الموحي بها. لأنه يقال ـ علي سبيل المثال إن كثيرين يتقدّسون، وذلك بسبق معرفة الله أنهم سيعيشون في حياة البرِّ والحق وسيكونون مستحقين أن يكونوا شركاء الروح القدس. ويكتب الحكيم بولس عن مَنْ يكون هؤلاء قائلاً «لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، فَهؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا»[١٤]. كما أن الله قد قال لإرميا الحكيم جدًا «قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ، وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ»[١٥]. وآخرون قد تقدَّسوا أيضًا مع أنهم لم يكونوا قد عرفوا مَنْ هو الله بالطبيعة. لكن تقديس هؤلاء لا علاقة له بعمل الروح القدس، لكنه يمثل ـ بطريقة ما ـ إعترافًا بهم وتأييدًا لهم لأنهم يعملون مشيئة الله. لأنه عندما كان الرب والماديين مزمعين أن يتملّكوا علي بابل يقول «جاءوا

=علي لسان إرميا حتى وإن كان إرميا نفسه لا يؤمن بها، كي يعطي ق. كيرلس نفسه الفرصة للرّد علي كل هذه الآراء في صورة سؤال وجواب وحوار. انظر ص٩م. وبينما يري الهراطقة فيما كتبه بولس الرسول ويوحنا وكلام المسيح نفسه مع اليهود دليلاً علي أن الإبن مثله مثل باقي أخوته من البشر الذين يقبلون التقديس من آخر، وهذا ما جاء علي لسان إرميا حتى لو لم يكن يؤمن به، إلاّ أن القديس كيرلس في موضع آخر من كتاباته رأي فيما قاله المسيح لليهود أنه دليل علي ألوهيته فيقول: «أرأيت كيف أنه بوضوح يميِّز ذاته عن مَنْ يصيرون آلهة بحسب التبني؟ وكيف لا نرفض تجديفهم علي مَنْ هو الله بحسب الجوهر وقولهم إنه مخلوق إذ أننا نؤمن أن الطبيعة الإلهية غير المدركة هي أسمي وأعلي من كل الخليقة؟»». الكنز في الثالوث، ترجمه د. جورج عوض إبراهيم، مراجعه د. جوزيف موريس فلتس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، المقالة ٣٢، شاهد ١٥٩.

[١٣] يو ١٠: ٣٤ـ٣٦.

[١٤] رومية ٨: ٢٩ـ٣٠.

[١٥] إرميا ١: ٥.

جبابرة» لأني «وَدَعَوْتُ أَبْطَالِي لأَجْلِ غَضَبِي، مُفْتَخِرِي عَظَمَتِي»[16]، لأنه قد سبق فقال عن هؤلاء «أَنَا أَوْصَيْتُ مُقَدَّسِيَّ»[17] وأيضًا يقول الرب في سفر حجي النبي «إِنْ حمَلَ إِنْسَانٌ لَحْمًا مُقَدَّسًا»[18] وهو يسمي ـ كما أعتقد ـ كل عمل ايديهم وما يقرِّبونه لله أنه «لحم مقدَّس» وأيضًا نقول عن مَنْ تقدَّسوا بالروح القدس أنهم قديسيون وبهذه الطريقة صاروا شركاء الطبيعة الإلهية[19].

إذن بأي طريقة سيدركون إن الابن تقدّس، عندما يقال إن تقديسه مرتبط برسالته وعمله من أجل هذا العالم؟ لأن المسيح قال ما يلي: «فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ»[20]. إذن لكي تكون الأمور واضحة لابد وأن يكون الأمران مرتبطان معًا. لأنه يقال إن الآب قد قدّسه، مُرسلاً إياه إلي العالم، وليس قبل أمر إرساله إلي العالم.

**إرميــــا:** يقال إنه تقدّس بواسطة الآب.

**كيرلس:** وهل قدّسه الآب بطريقة أخري، أم بواسطة الروح القدس؟!

**إرميــــا:** نعم بواسطة الروح القدس، لكن ما معني هذا؟

**كيرلس:** انتبه يا صديقي، لأن الحديث يحيد عن مساره بشدة، لأنه لو كان الكلمة قبل تَجسدُّه وإرساله إلي العالم، شريك للروح القدس، طبقًا لما يقوله هؤلاء. إذن لماذا قَبِلَ الروح القدس مرّة أخري عندما تَجسدَّ؟ لأن هذا سيكون بدون هدف وأمر لا لزوم له. غير أني لا أعتقد أن شخصًا عاقلاً يمكنه أن يفكر في أن طبيعة الله غير الموصوفة يمكن أن تنزلق علي الأطلاق في مثل هذا الفعل لأنه لا يمكن لهذه الطبيعة (الإلهية) أن تتخلي عن ما هو لائق وما

---

[16] إش١٣: ٣.

[17] إش١٣: ٣.

[18] حجي٢: ١٢.

[19] وفي موضع آخر يجيب ق. كيرلس عن كيفيّة أن يحدث فينا مليء الآب والإبن طالما أن هذا الملء هو واحد متشابه. ويُرجع ذلك إلي عمل الروح القدس فينا الذي يجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية، فيقول «وهل هناك طريقة أخري تمكننا من ذلك سوي معونة الروح القدس؟ ذلك الذي هو نفسه يملأنا بالنعم الإلهية، والذي يجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية؟». انظر ص١٠٤. وهذه العبارة من العبارات المشهورة عند آباء الكنيسة الكبار مثل ق. إيريناوس، وأثناسيوس وكيرلس وغريغوريوس النيسي وغريغوريوس النيزينزي. وهذا التعبير عند الآباء لا يعني أن الإنسان يصير بطبيعته إلهًا، بل يعني أنه يشترك في الحياة الإلهية، حياة البِّر والقداسة.

[20] يوحنا١٠: ٣٦.

هو فائق. إذ أن الحكمة الكامنة في داخلها لا يمكن أن نراها مستندة إلي أفكار ومعانٍ بسيطة بل نراها واضحة في ما تقوم به من أفعال وبشكل مباشر. لكن لو أنه بسبب أنه صار مثلنا، وأُرسِلَ إلي هذا العالم متخذًا جسدًا، فقد نال الروح وهكذا اكتسب- بطريقة ما - نعمة فائقة، فحينئذ كيف يكون قد أخلي ذاته ووضع نفسه وأطاع[٢١]، طالما أنه قد صار في وضع أفضل؟ إلاّ لو أنهم بالطبع قالوا - متعدّين كل ما يفعله الأشرار - إنه عندما قَبِلَ الروح كان أيضًا في وضع أقلّ، وأيضًا إن مَنْ من طبيعته أن يقدِّس، يدفع إلي أسفل كل مَنْ يعمل فيهم.

**ارميـــــا**: بالطبع هم لا يقصدون هذا، غير أنهم يقولون إنه تقدَّس عندما حلّ الروح عليه مثل حمامة.

**كيرلس**: ومَنْ الذي قال هذا، ورأي في نفس الوقت حلول الروح القدس من السماء عليه؟

**ارميـــــا**: هذا ما أكده يوحنا المعمدان قائلاً «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ»[٢٢].

**كيرلس**: فلنفحص إذن الزمن[٢٣] الذي قيل إنه تقدَّس فيه. فلم يتقدَّس «كلمة الله» قبل مجيئه في الجسد لكن عندما صار مثلنا، نحن الذين لا نملك القداسة في طبيعتنا، لكنها تأتي لنا من الخارج وهي عطيَّة. أم أنك لا تعرف أن الطبيعة البشرية نالت منذ البدء شركة الروح القدس وبواسطة تقديسها نالت مشابهتها لله؟ لأن الطبيعة البشرَّية قد خُلقت علي صورة مَنْ خلقها، لكنها عندما خالفت الوصية الإلهية، فإنها رَفَضَتْ هبة الله وادينت بالموت

---

[٢١] أنظر فيلي٢:٧.

[٢٢] يوحنا١:٣٢، هنا يكرر ق. كيرلس استخدام نفس الآية التي سبق أن إستخدمها (أنظر ص٧) كي يشرحها بعد أن أرسي قواعد لفهم وتفسير آيات الكتاب المقدس.

[٢٣] أرسي آباء الكنيسة قواعد مهمة لفهم آيات الكتاب المقدس وهي ضرورة البحث عن مَنْ تتكلَّم الآية وعن زمن حدوث الأمر الذي تتحدَّث عنه الآية والسياق العام لهذه الآية. ولقد شدَّد ق. كيرلس في بداية هذه الحوارات السبع علي هذه القواعد بقوله «إن التمييز بين النصوص أمر هام جدًا لنا لأن هذا يقودنا إلي تميز الأزمنة والأوقات». انظر ص٢٠، وأعاد فنصح باتباع هذه الطريقة في حواره الثالث قائلاً «وإني اعتقد أنه لن يصيب أي أحد ممن يومن أي أضرار لو انه فحص عن الوقت الذي أشارت إليه الآيات السابقة». انظر الحوار الثالث ص ١١٩. وأخيرًا يقول في حواره الخامس: «إذن يستطيع كل مَنْ لديهم حكمة في الفكر والقول أن يدركوا أنه يمكن الحديث عن هذه الأمور بطريقتين ومعنين بل وأن يفهموا الأحداث في الزمن المناسب». انظر ص٢١٥.

وصارت تحت نير الخطية[٢٤].

إرميـــا: إعرف ذلك

كيرلس: إذن عندما قرّر الله أن يعيد الجنس البشري إلي رتبته الأولي[٢٥] حالة الوداعة التي كان قد فقدها، فكان من اللائق أن يكون المسيح هو البداية الثانية للجنس البشري، وأن يكون ميلاده بواسطة العذراء مريم، بدون أن يكون له أب بشري بالطبع حتى يكون لنا جميعًا معه أب واحد هو الله، فنسمو إلي مجدنا الأول. ولهذا كان من اللائق، طالما أنه قد صار إنسانًا أن يأخذ الروح حتى ولو كان بدون خطيةٍ ـ كي يستقر الروح في طبيعته البشرية كبداية ـ بطريقة معينةٍ ـ وأصل ثاني لخلقة الجنس البشري[٢٦].

ولهذا كما اعتقد، أراد يوحنا المعمدان، أن يوضّح صارخًا نحو الروح، أنه قد رآه بالتأكيد نازلاً من السماء مثل حمامة، وإنه قد استقر عليه، بالرغم من أنه كائن في داخله، فالمسيح من طبيعة لم تتلوث بالخطية. ومع أنه هو بالفعل

[٢٤] أنظر تك١:٢٦، في سياق شرحه لما جاء في إنجيل يوحنا عن معمودية المسيح يوضح ق. كيرلس ما نالته البشرية من نعمة الخلق علي صورة الله ومثاله وأيضًا نتائج السقوط فيقول: [ إن الأسفار الإلهية تعلمنا أن الإنسان خُلِقَ علي صورة ومثال الله الذي هو فوق الكل، وموسي الذي كتب لنا الأسفار الخمسة الأولي الذي شهد الله عنه أنه عرفه فوق الكل (خر١٧س:٣٣) يقول «فخلق الله الإنسان علي صورته، علي صورة الله خلقه» (تك١:٢٧) ولكنه بالروح خُتم بالصورة الإلهية وموسي يعلمنا من هذا أيضًا قائلا «ونفخ في أنفه نسمة حياة (تكوين٢:٧). لأن الروح وضع حياة في تكوين الإنسان منذ خلقته وبطريقة إلهية طبع صورته في الإنسان وهكذا فإن الله الصانع الحكيم، إذ صنع المخلوق العاقل الحي علي الأرض. أعطاه الوصيّة المخلّصة. وكان الإنسان في الفردوس كما هو مكتوب (تك٢:٨) حافظًا للعطيّة، مالكًا الصورة الإلهية الروح القدس الذي سكن فيه. ولكن عندما انحرف بغواية الشيطان، وبدأ يحتقر خالقه، ويدوس الناموس الذي أعطاه الله إياه، ويُحزن المحسن إليه، نزع الله النعمة التي أُعطيت له، وذلك الذي خُلِقَ للحياة سمع لأول مرّة لأنك «تراب وإلي تراب تعود» (تك٣:١٩). شرح إنجيل يوحنا، د. نصحي عبد الشهيد وآخرون، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، المجلد الأول، ٢٠٠٩، ص١٦١.

[٢٥] يرد هذا التعبير في صلاة الصلح في القداس الغريغوري. راجع الخولاجي المقدس، طبعة دير البراموس، ٢٠٠٢، ص٣١٦. وفي الحوار الخامس يتسآل ق. كيرلس متعجبًا كيف لا نُقدّر ما فعله المسيح عندما أخلي نفسه وتمم فدائنا فيقول «أو مَنْ لا يعتبر هذا الأخلاء هو عمل غير جدير بكل تقدير وتعظيم، وهو يري أن المسيح قد أتم خلاصنا ورد طبيعتنا إلي رتبتها الأولي مجددًا إياها في ذاته بتقديس الروح؟!»، انظر ص٢١٨.

[٢٦] يُعبرّ ق. كيرلس في موضع آخر عن ما قرره الله لأجل خلاص الإنسان الذي فقد النعمة الإلهية، فيقول: [ ولأن آدم الأول لم يحتفظ بالنعمة التي أعطاها الله له، قرر الله الآب أن يُرسل لنا آدم الثاني من السماء. إذ أرسل ابنه الوحيد الذي أخذ شكلنا، والذي هو بالطبيعة بلا تغيير أو إختلاف، والذي لم يعرف الخطيَّة مطلقًا. حتى كما «بمعصية» الأول خضعنا للغضب الإلهي هكذا بطاعة الثاني (رو٥:١٩) نهرب من اللعنة وكل شرورها تنتهي. ولكن حينما صار كلمة الله إنسانًا، قبِلَ الروح القدس من الآب كواحد منّا (ولم يقبله لنفسه كأقنوم من ذاته، لأنه هو الذي يُعطي الروح) وإنما الذي لم يعرف خطيّة، عندما يقبل الروح كإنسان، فإنه يحفظ الروح لطبيعتنا لكيما تتأصل فينا النعمة التي كانت قد فارقتنا]. شرح إنجيل يوحنا. المرجع السابق ص١٦٢.

ملك وهو الجليس مع الله الآب[٢٧] (علي العرش الإلهي نفسه)، إلاَّ أنه يقال إنه مُسِحَ ملكًا عندما صار إنسانًا مثلنا، وهو الذي يملك منذ الأزل. وكما أنه هو عند الآب دائمًا، فقد صار إبنًا بواسطة الروح لأنه قد ماَثلَ. حسب الجسد . مَنْ هم أبناءً بالتبني. وكما اتخذ شكلنا عينه، نحن الذين نخضع لله فقد دعا أباه، الله، بالرغم من أنه هو الله بذاته. وبنفس الطريقة يقال إنه تقدَّس لأن التقديس يتوَّغل داخل ما هو بشريّ، أي داخل الجسد. لأن الطبيعة البشريَّة لا يمكن أن تتقدَّس من نفسها. لأن التقديس هو من فعل الطبيعة الفائقة والحقيقية. لأن **الكلمة** هو ثمره هذه الطبيعة، لهذا فهو يملك التقديس الكائن في هذه الطبيعة، التي منها قد وُلِدَ.

**إرميـــــا:** وهم يقولون: وما العيب في حجتهم أن الإبن قد تقدّس بواسطة الآب؟.

**كيرلس:** سأعود إذن مرَّة أخري إلي ما سبق أن قلته وسأقول لك ثانية، لو أنهم يقولون: لأنه كان إنسانًا، فإنه قد تقدَّس كإنسان، فالكلام سيكون مختلف، وبلا أي عيب. لكن لو أنهم تجنبَّوا ما هو حق، وتصّدوا لما هو لائق، متأثرين بأفكار غير مقبولة تتعدي كل تصور، قائلين إن **الكلمة** ذاته الذي قد أتي من الله الآب، قد تقدَّس[٢٨]، فحينئذ يكون الحديث قد اتخذ مجري آخر بعيد كل البعد عن التعقل.

**إرميـــــا:** وهل تستطيع إذن إن تثبت طرق التفكير الهزلي فيما يقولون؟

**كيرلس:** بكل سرور، ولن اتردد في ذلك مطلقًا لأني أرجو أن يكون المسيح هو معيني والعامل معي، لأنه هو معَّلم الحقيقة. ولنترك عنًّا كل تأجيل ولنأتي لفحص الأمور التي تشغلنا، ولتجاوبني عن هذا السؤال.

**إرميـــــا:** وما هو؟

---

[٢٧] الجليس: باليونانية συνθρονος ، وهي كلمة من مقطعين σύν بمعني «مع»، Θρόνος بمعني «عرش» وهي نفسها باللغة القبطية التي جاءت في صلاة الصلح في القداس الغريغوري، المرجع السابق . ص٣١٦. ولقد سبق أن استخدم ق. كيرلس هذا التعبير في الحوار الثاني في سياق حديثه عن الإبن وكيف أنه «جليس مع الآب» ففي مقارنة بينه وبين الملائكة يقول ق. كيرلس: «هناك مسافة كبيرة وفارقًا عظيمًا بين المخلوق والمولود فالإبن يشارك عرش الله والآخرون يخدمونه لأنهم دعوا إلي الوجود بالخلق». انظر ص٦٩.

[٢٨] إدعاء المعاندين أن **الكلمة** ذاته الذي قد أتي من الله الآب قد تقدّسّ بالروح القدس، معناه أنه محتاج للتقديس وإنه لا يملك القداسة في ذاته بل أن التقديس يأتي إليه من خارجه، وأن الروح القدس ليس هو روحه مثلما هو روح الآب. وفي النهاية يقود هذا الفكر إلي انكار الوهيه الإبن، بانكار أنه واحد مع الآب والروح القدس في الجوهر.

كيرلس: الروح القدس هو لمَنْ من الأثنين؟ هل هو روح الله الآب فقط أو روح الإبن أيضًا أم هو جزيئًا للاثنين أم هو للاثنين كواحد، بمعني أنه من الآب عن طريق الإبن وذلك بسبب أن جوهرهم هو واحد؟

إرميـــا: أوافق علي الرأي الأخير.

كيرلس: هذا صـواب يا صديقـي، وأني معجـب بك لأن تفكيرك عميق. ورأيك في هذا الأمر يتفق تمامًا مع ما جاء في الكتاب المقدس. لأن الله الآب يُدَرك كـكيان كامل في ذاته كما أن الإبن أيضًا له الكمال في ذاته. ومع أن لكل منهما أقنومه إلاّ أنهما غير مختلفان (من حيث الجوهر) لأنه لا يمكن أن يكون الإبن منفصلا عن الآب مثلما هو الحادث بين الملائكة، أو كما يحدث بيننا نحن البشر حيث يكون الواحد منًّا مختلف تمامًا عن الآخر.. لأنه في هذه الحالة سيكـون هناك إلهين. لكن لأن الألوهة هي واحدة وتَدرَك أنها واحدة فنحن نؤمن أن الإبن كائن في الآب، والعكس صحيح، بمعني أن الآب كائن في الإبن. وهذا لأن الإبن هو ختم أقنوم الآب[٢٩].

إرميـــا: اتفق معك تمامًا.

كيرلس: إذن طبيعتهم هي طبيعة واحدة. كما أن الروح أيضًا هو واحد وهو ينبع بالتأكيد من الآب كينبوع، غير أن الروح أيضًا ليس غريبًا عن الإبن. لأن الإبن المولود من الآب له كل ما للآب، وهو ثمرة هذه الطبيعة الفائقة. ولهذا كيف يمكن أن يظن أحد أنه عار من صلاح الألوهه؟! ومن معالم هذا الصلاح الإلهي[٣٠] هو التقديس الذي يتممه الروح لأنه هو قدوس حسب الطبيعة وهو يقدّس كلً الخليقة.

إرميـــا: كيف يمكنني أن أومن بهذا، وكيف يمكن أن أعرف بوضوح أن الروح القدس هو روح الإبن كما هو بالطبع روح الآب؟

كيرلس: إن مَنْ يؤكد لنا هذا ليس غريب عنا. بل سأعرض أمامك ما صرَّح به المسيح نفسه «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ

[٢٩] يلخص ق. كيرلس كل ما يريد أن يشدِّد عليه هنا بخصوص الوهيه الإبن باستخدام هذا التعبير اللاهوتي. أنظر أيضًا ص٢٧٦ هامش٥.

[٣٠] تؤكد الكنيسة علي هذه العقيدة وذلك في صلاة الساعة الثالثة حيث تدعو الروح القدس أنه «كنز الصالحات».

تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ.»[٣١]. أم إنه لا يكفي هذا الكلام لأقناع هؤلاء الذين يدَّعون الحكمة، وإنه قد دعا «الروح» بإنه المعزي، وأنه قد دعاه روح الحق، وأنه لا يوجد حق خارج الروح؟ وبقوله: «لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» أثبت بكل وضوح العلاقة الجوهرية حسب الطبيعة، والتي علي أساسها يكون الابن والروح واحد في الجوهر. لأن المسيح لم يقل إن الروح سيصبح حكيمًا لأنه سيستمد الحكمة منه. أو أنه سيخبر القديسين بما قاله (الإبن)، كما يفعل الخادم[٣٢].

لكن كما يحدث عندما تفوح زهرة برائحتها الجميلة[٣٣] التي تشمل كل مَنْ

---

[٣١] يوحنا١٦: ١٢. ١٥.

[٣٢] وَصفُ ق. كيرلس هنا، لعمل الروح القدس بانه ليس مثل فعل «الخادم»، هو لإثبات ألوهيه الإبن وإيضاح وحدة الجوهر بين الإبن والروح القدس وبالتالي الاعتراف بأن الروح القدس هو روح الإبن كما أنه هو بالطبع روح الآب. وفي موضع آخر استخدم ق. كيرلس مصطلح «خادم» أيضًا لكن لاثبات الوهيه الروح القدس وبالتالي وحده الجوهر للآب والإبن والروح القدس وذلك بقوله مُتسائلاً: «ثم كيف سيتم فينا هذا الملء بواسطة الروح القدس وحده إن كان من المحتمل أنه يفعل فينا ملء الآب والإبن كخادم؟». انظر ص١٠٤-١٠٥. ومن الملاحظ أن القديس كيرلس قد استخدم المصطلح عينه لاثبات العلاقة الجوهرية للآب بالروح القدس فكتب يقول في شرحه لما جاء في يو١٦: ١٥ «كل ما للآب هو لي» قائلًا: [الله الآب له روحه الذاتي من ذاته وفي ذاته أي الروح القدس الذي بواسطته يسكن في القديسين ويعلن لهم اسراره. لا كأن الروح يمارس مجرَّد وظيفة خدمة. بل بالحري لأنه هو فيه جوهريًا ومنبثق منه بغير انفصال ولا انقسام وهو يفسر ما هو خاص بذلك الذي هو كائن فيه والذي فيه يصير» راجع مقال «الروح القدس عند ق. كيرلس» د. نصحي عبد الشهيد في كتاب «الروح القدس عند الآباء»، مركز دراسات الآباء ١٩٩٤. وتؤكد الكنيسة في صلواتها علي حقيقة الوهيه الروح القدس فيصف ق. كيرلس في القداس الإلهي المنسوب لاسمه عمل الروح القدس أنه عمل يتم «بسلطة» وليس كعمل الخادم فيقول في صلاة سرَّ حلول الروح القدس: «إرسل إلي اسفل من علوك المقدس... روحك القدوس الكائن بالأقنوم، غير المستحيل ولا متغيِّر الرب المحييَ... الفاعل بسُلْطة مسرَّتك، الطهر علي الذين احبهم وليس كخادم» الخولاجي المقدس. المرجع السابق ص٤٦٧. ومن الملفت للنظر أن القديس كيرلس يصف. في موضع آخر. الإبن أنه هو أيضًا لا يعمل «كالخادم» أو أنه لا يمارس «عمل خدمة» عندما يرسل لنا الروح القدس. وبهذا الوصف يدافع عن الوهيه الإبن أمام مَنْ ينكرون أنه واحد في الجوهر مع الآب والروح القدس فيقول في شرحه لما جاء في يو١٦: ١٤. «ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم»: [... وإلي جانب ما ذكرناه ينبغي أن تقول ما يلي: لأنه إن كنتم تعتبرون أن الإبن يمارس عمل خدمة، لكي يزودنا بذاك الذي هو من طبيعة أخري، أي الروح المنبثق من الله الآب، الذي هو قدوس بالطبيعة، فلا يكون الإبن قدوسًا بالطبيعة، بل فقط بالمشاركة مثلما نحن. لأنه بسبب جهل عديمي التقوي يعلنون إن الإبن مختلف في الجوهر عن الآب، الذي منه ينبثق الروح المعطي لنا بواسطة الإبن. وفي هذه الحالة، يصبح من الممكن أنه بما أن الروح لايخص الإبن، بل هو نفسه (الإبن) يتقدَّس بالتبني كما هو الحال مع المخلوقات] المرجع السابق، ج٩. ص٩٥.

[٣٣] يستخدم ق. كيرلس مَثَلَ الزهرة وارتباطها برائحتها لايضاح مدي العلاقة حسب الطبيعة بين الإبن والروح القدس إذ انهما واحد في الجوهر. والجدير بالملاحظة أنه قد سبق واستخدم نفس المثل لبيان العلاقة الجوهرية للآب والإبن إذ انهما واحد في الجوهر أيضًا، فيقول: «ونحن نؤمن ان الآب هو مع الإبن، وليس كمن بلا قوّة تقدر أن تخلق من العدم، =

وُجِدَ بالقرب منها، لهذا قال الابن عن الروح «لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ»، دالاً بذلك عن العلاقة حسب الطبيعة بينهما. كما لا يجوز أن تظن أن شركة الابن والروح هي شركة شيئين منفصلين. لأنه بما أن الروح هو روح الحكمة والقوَّة، فهو قوَّة وحكمة، له في ذاته كل ما يملك مَنْ قد أرسله، وهو يُظهِر هذه القوة والحكمة، كأمور خاصة بطبيعته ولأن الابن قال «سيأخذ مما لي» فلهذا أضاف التالي:

«كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ»[٣٤]. وكما أن الروح هو حسب الطبيعة قدوس لأنه هو روح الآب القدوس، هكذا هو أيضًا حكمة لأنه هو روح الحكمة، لأن الابن هو الحكمة، ولهذا فنحن لا نقول إن الروح هو قدوس وحكيم لأنه يشترك من الخارج في الحكمة والقداسة، بل لأنه حسب الجوهر قدوس وحكيم. والقداسة والحكمة في طبيعته الإلهية، التي تُدرك في كل من الآب والإبن والروح ذاته. و ما علّم به الإبن قائلاً «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي»[٣٥]، يوضَّح أن الروح هو روح الآب وروح الإبن أيضًا[٣٦]. إذن،

=وإنما الإبن هو فيه تمامًا، بسبب عدم تغيّر الجوهر، وبدون أن يكون بينه وبين الآب أي وسيط في ولادته الطبيعية من الآب. بل كمن يقول أن رائحة الزهرة هي من الزهرة، والزهرة دائمًا مع الرائحة، ولا سيما عندما تنتشر الرائحة، ولكن الرائحة من الزهرة طبيعيًا، وقوة هذا التشبيه بسيطة جدًا بالمقارنة بالكلام عن الطبيعة الفائقة التي تفوق الإدراك». شرح إنجيل يوحنا، ترجمه د. نصحي عبد الشهيد وآخرون، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ٢٠٠٩، المجلد الأول، ص٧٩. واستخدام ق. كيرلس لهذا المثل في الحالتين هو دليل قاطع علي وحده جوهر الأقانيم الثلاثة، وعلي أن الآب هو علّه أقنومي الإبن والروح القدس، فالإبن مولود من الآب وهو واحد معه في الجوهر، والروح القدس منبثق من الآب ومعطي بالابن إذ هو واحد معهما في الجوهر. من الجدير بالذكر أن ق. كيرلس سبق أن استخدم هذه التشبيه لوصف العلاقة الجوهرية، ليس للإبن والروح القدس بل للآب والروح القدس، وأيضًا من الجدير بالملاحظة أنه ذكَرَ ذلك في سياق شرحه لنفس الآية المذكورة بعالية (يو١٦: ١٤) حيث يقول: «فكما أن أريج الزهور ذات الرائحة الحلوة؛ يصدر بطريقة ما من نشاط إجزاء الزهور الأساسية والطبيعية ووظائفها التي تصدر هذا الأريج، وهكذا تنقل الأحساس به إلي العالم الخارجي عندما نستقبله أعضاء حاسة الشم في الجسد. ومع ذلك يبدو كما لو كان منفصلاً عن سببه الطبيعي، بينما يكون هذا الأريج ليس له وجود مستقل، فهو غير منفصل بالطبيعة عن المصدر الذي ينبعث منه والذي يوجد فيه هذا الأريج، هكذا يمكن أن نفهم العلاقة بين الآب والروح القدس بواسطة هذا المثال عن الزهور وأريجها، وبهذه الطريقة إذًا، فإن القول أن روحه يأخذ مما للإبن الوحيد هو سليم تمامًا ولا يمكن الأعتراض عليه». شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، المجلد الثاني٢٠١٢م، ص٣٣٢. ويَرجِعُ استخدام هذا المثل لوصف علاقة الإبن بالروح القدس وأيضًا الآب بالروح القدس إلي وحدة جوهر أقانيم الثالوث، فالإبن واحد مع الآب في الجوهر، وأيضًا الروح القدس هو واحد مع الآب والإبن في الجوهر.

[٣٤] يوحنا١٦: ١٥.

[٣٥] يو١٥: ٢٦.

[٣٦] في موضع آخر من الحوار الثالث من هذه الحوارات السبع، يدافع ق. كيرلس عن الوهيه الإبن، ويكرر استخدامه لما=

هو يَعد أن يُرسل لنا الروح ـ كروحه الذاتي ـ الذي ينبثق من عند الآب ويسميّه روح الحق[٣٧] ويحدّد أنه ينبثق من الآب ذاته ويعلن أنه سيشهد. له فهل فهمت ذلك؟

**إرميـــــا**: مَنْ الذي يستطيع أن يُدرِك طريقة شهادته له؟

**كيرلس**: الروح هو الذي يعمل أعمال الله بواسطة القديسين، فهذا يشهد بوضوح أن الإبن هو الله، وانه هو روح الابن كما هو أيضًا روح الآب تمامًا.

**إرميـــــا**: إن ما ذكرته بالنسبة لهذه النقطة هو كافٍ جدًا يا صديقي. ولأن ما هو واضح لا يقبل الشك إطلاقًا، لأن كما أن الأمر الثابت لا يحتاج لأيَّة مجادلة، ولأن الروح القدس هو روح الإبن أيضًا ولا يجادل أحد في هذا، إذن لنترك جهد البحث في هذا الأمر ولنأتِ إلي تلك الأمور التي يمكن بواسطتها أن نعرف أن الإبن هو قدوس حسب طبيعته وليس بسبب اشتراكه في (قداسة الاب[٣٨].

**كيرلس**: بالتأكيد وكما اعتقد أن كل مَنْ لديه عقل يمكنه أن يتأكد من أنهم مع اعترافهم أن الروح هو روح الإبن إلاّ أنهم ينكرون اشتراكة فيه ويقولون إن التقديس الذي يأتي من الآب بواسطة الروح القدس، هو مُعطيَ للإبن من

---

=يذكره هنا بشأن أن الروح القدس هو روح الآب مثلما هو روح الإبن، وهو يعتمد علي ما يفعله الروح فينا إذ يقدّسنا ويجعلنا أبناء بالتبني، الأمر الذي لا يمكن حدوثه للإبن إذ هو يملك القداسة في شخصه وهو إبن حسب الطبيعة، فيقول: «نحن لا نستطيع أبدًا أن نؤمن أن الإبن هو إله غير حقيقي وإنه يتقدَّس معنا بمعني أنه يُدعي من الآب كي يصير إبنًا وإنه يتمَّجد معنا كإبن علي العكس فإن ما هو عليه إنما هو من طبيعته. لأنه لا يمكن أن يصير الإبن إبنًا بواسطة الروح القدس. فالروح القدس هو بالتأكيد روح الآب مثلما هو روح الإبن». انظر ص١٣٨ وبينما ركز ق. كيرلس في الحوار الثالث علي عمل الروح القدس في التقديس وفي نعمة البنوّة وعلي نسب هذا العمل للإبن إذ هو واحد في الجوهر مع الآب والروح القدس، نجده هنا وقد ركزَّ علي فعل الروح في التقديس نافيًا عن الإبن أنه قد تَقدَّس «لأن الإبن قدوس حسب طبيعته ليس بسببه اشتراكه في قداسة الآب».

[٣٧] في سياق شرحه لإنجيل يوحنا، يعلّق ق. كيرلس علي ما علّم به الإبن عن الروح القدس وتسميته «روح الحق» فيقول: «لاحظ أنه حينما يدعو المعزي» روح الحق أي روحه (انه هو الحق) فهو يقول إنه يأتي من الآب، فلأن الروح هو خاص بالإبن بالطبيعة، إذ أنه فيه وينبثق من الآب ويأتينا الإبن، فهو (الروح) أيضًا يخص الآب. ولكن خصائص جوهرهما لا يمكن أن تكون مختلفة. فالروح هو روح الآب والإبن .. بل أنه امر صائب ويتفق مع الحقيقة أن نؤمن أنه حيث إن الروح يخص الإبن، كما أنه يخص الله الآب أيضًا فإنه يرسله إلي تلاميذه القديسين لكي يقدسهم». المرجع السابق، المجلد الثاني ٢٠١٢م، ص٣١١.

[٣٨] هذه هي النقطة الثانية من اعتراضات المعارضين والتي سبق أن أجملها ق. كيرلس من قبل علي لسان إرميا، انظر ص٢٧٦.

الخارج[٣٩] لأنه كان هناك وقت لم يكن فيه الإبن موجودًا[٤٠] . فبأي طريقة كان يمكن للإبن إن يشارك الروح؟ هل عن طريق قبوله عطيَّة من خارجه؟ غير أنه لا يمكن لأحد أن يكون مشاركًا لذاته. ولا يتفق مع التفكير السليم أن الخصائص الموجودة حسب الطبيعة في بعض الكائنات، إن تحسب علي أنها خصائص غريبة، فكيف إذن يمكن إن يقال إن الإبن قد تقدَّس بواسطة الروح في الوقت الذي يقول فيه عن الروح: «ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» (يوحنا١٦:١٤) ونحن نقول هذا بدون أن نعتقد أنه يوجد شيء في الروح القدس قد حصل عليه بالمشاركة لأن طبيعته كاملة وله أقنومه الخاص ولا ينقصه شيء إذ هو كامل. ولكننا نشير إلي أنه بسبب أنه هو الروح وهو ينبثق من جوهر الله الآب ومن نفس الجوهر يأتي (يولد) الأبن الذي هو من الآب حسب الطبيعة، فلهذا فإن الروح له خصائص الإلوهه حسب الطبيعة، وإذ له هذه الخصائص كنبع فهو يصدر من الآب، بطريقة ما ويُقدِّس بواسطة الإبن، كل الخليقة. ولو اعتقد المعارضون إن الإبن قد تَقدَّس هو نفسه معنا نحن الذين نحسب ضمن المخلوقات، فيجاوبونا . بعدما يجمعون كل أفكارهم وهذيانهم . علي الموضوع التالي.

إرميـــــا: وما هو؟

كيرلس: عندما يعمل الروح في طبيعة المخلوقات ويقدّسها فبالتأكيد لابد وأنها ستستفيد. لكن بأي طريقة يحدث هذا يا صديقي؟

إرميـــــا: أوضح ليّ إذن هذا الأمر وبدون أي غموض لأني لا أفهم علي الأطلاق كيف تصبح الخليقة مقدّسة، وأريدك أن تجاوبني.

[٣٩] يستنكر ق. كيرلس أن طبيعة الإبن مختلفة عن طبيعة الروح القدس ويرد في موضع آخر علي هذا الفكر المنحرف بقوله: «نحن نعلم أن المعزي الروح خاص بالإبن وليس مضافًا من الخارج، ولا هو يُكتسب بالنسبة للإبن كما هو في حالة أولئك الذين ينالون التقديس، الذين ليس لهم الروح طبيعيًا فيهم، ولكنه غُرِسَ فيهم، ونؤمن أن الإبن هو من نفس الجوهر مع الروح، كما هو أيضًا مع الآب.» شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، المجلد الثاني ٢٠١٢م، ص ٣١٢.

[٤٠] أنكر أريوس الوهيه الإبن المتجسّد وعَلّم بأن الإبن غير أزلي وبالتالي فهو ليس واحد مع الآب في الجوهر ولقد حَرَمَ المجمع المسكوني الأول في نيقية سنة ٣٢٥م أريوس مع كل تعاليمه التي نادي بها في كتاباته، منها ألثاليا وأقر المجمع نصًا لقانون الإيمان، جاء في نهايته أن كل من ينادي بأنه كان هناك وقت لم يكن فيه الإبن موجودًا (كما نادي أريوس)، يكون محرومًا. انظر القديس أثناسيوس، المقالة الأولي ضد الأريوسين، ترجمه أ. صموئيل كامل عبد الشهيد ود. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ط٣، ٢٠٠٢ ص٣٠. انظر أيضًا: المجمع المسكوني الأول: الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب. المكتبة البوليسية، لبنان ١٩٩٧، ص٣١٢.

**كيرلس:** بكل سرور. فالخليقة العاقلة قد خُلِقَت بدون خطيَّة، غير أنها انحرفت نحو الشر ولهذا فقد أعيد تشكليها بتقديسها لتكون علي شكل خالقها[41]. لأن خالق الكلَّ هو قدوس ولهذا فهو يقول «تَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ الرَّبُّ إِلهُكُمْ»[42].

**إرميـــــا:** تتكلم بالصواب.

**كيرلس:** كما أننا نحن أيضًا قد «خُلقنا علي صورة الله وكشبهه»[43]. غير أن ما يمنحنا هذه الصورة الإلهية هو ـ بالتأكيد ـ التقديس باشتراكنا في الإبن عن طريق الروح القدس. لأنه عندما انزلقت الطبيعة البشرّية نحو الخطيَّة وشوَّهت صورتها الرائعة، تجدَّدنا مرَّة أخري علي الصورة التي كنَّا عليها في البداية وأُعطينا بواسطة الروح القدس أن نكون مشابهين صورة الخالق، أي الإبن الذي بواسطته خَلَقَ الآبِ كل شيء. ولهذا يقول الحكيم جدًا بولس الرسول: «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلىَ أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ»[44]. أيضًا يوضّح لنا الرسول بولس كيف «يتصوَّر المسيح فينا» أي تلك العملية التي يرسمها الروح القدس داخل نفوسنا، فيقول:» وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلىَ تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ»[45].

**إرميـــــا:** لقد تكلّمت بشكل رائع.

**كيرلس:** وبالتالي فتقديس الخليقة والخلائق هو عطيّة، إذ هو ليس من طبيعتها. ولهذا أيضًا يمكن أن تفقده والذين نالوه ربما يفضلّون أن يتحوَّلوا عنه. لذا فقد انحرفت طبيعة الملائكة الذين لم يحفظوا مكانتهم الأولي حسب المكتوب[46]. كما أننا نحن كنا مدانين بسبب تعدياتنا. إذن لو ظن أحد

[41] هنا يشرح ق. كيرلس بالتفصيل ما سبق أن تحدث عنه (انظر ص٢٨٢) مستخدمًا آيات من رسائل بولس الرسول لتعضيد تعليمه.

[42] لاويين ١٩:٢.

[43] انظر تك ١:٢٦.

[44] غلا ٤:١٩.

[45] ٢كو٣:١٨.

[46] «الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا سكنهم حفظهم إلي دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام» يهوذا:٦.

أن الإبن يتقدَّس بعطيَّة تُمنح له من خارجه، ألن يكون من الممكن أن يسقط في إنحراف؟ لأن معني هذا الظن أن الإبن قد تَغيَّر حتى ولو قيل أنه غير متغيَّر.

**إرميـــــا:** بالفعل.

**كيرلس:** أم ماذا تعتقد يا صديقي؟ لأنه لو قيل إن الإبن قد تقدَّس. أليس معني هذا الكلام أن الإبن لم يكن قدوس؟ لأني أعتقد أن معني هذا القول إنه قد دُعِي كي يتقدَّس لأنه لم يكن علي ما هو عليه الآن ولهذا فهو يتقدَّس[٤٧].

**إرميـــــا:** ضروري أن يحدث هذا.

**كيرلس:** ومَنْ يكون غير مقدَّس، لن يكون بعيدًا عن الخطيَّة، أو بمعني آخر يميل نحو الشر طالما أن التقديس هو تطهير وانعتاق من الفساد والخطيَّة.

**إرميـــــا:** اتفق معك.

**كيرلس:** إذن لو أصروا علي تفكيرهم هذا وأن يقولوا إن الإبن قد تقدَّس مع باقي المخلوقات، فلن يكون من العسير أن يوجد الوقت الذي كان فيه - بحسب طبيعته - غير قادر ولم تكن طبيعته في وضع اسمي من أن تخطيء. فلو كان الإبن هكذا كما يعتقدون، فكيف يكون الإبن هو صورة الله الآب؟ وكيف يكون شعاع لاهوته ورسم جوهره[٤٨]؟ لأن الإبن لم يَصِرْ رسم اقنومه في زمن معيَّن لكنه هو كذلك منذ الأزل. وكيف لم يكن قدوس وهو كلَّ بهاء مجد الآب وختم جوهره؟ إذن هل لن يقودنا الفكر - ونحن مضطرين وبغير إرادتنا - إلي أن نقول إنه ولا حتى الآب كان يومًا قدوس؟!

**إرميـــــا:** بالتأكيد.

**كيرلس:** إذن سوف لا يدركون أنهم قد رتَّبوا أفكارهم الحمقاء بدون فائدة

[٤٧] سبق أن تعرّض ق. كيرلس في حواره الثالث، لهذه القضية وردّ علي أفكار المعاندين وقولهم إن الإبن قد تقدَّس بواسطة الآب معتمدين علي قول المسيح «أنا في الآب والآب فيّ» وفهمهم الخاطئ لها فيقول: «إن الإبن - كما يعتقد هؤلاء - قد سكن في الآب لأنه كان - حسب فكرهم غير المستقيم - في احتياج للتقديس». انظر ص١٣٦. ويتابع «وقد يتسآل المرء ما الذي ربحه الآب نفسه بكون الإبن داخله؟ فلو أنهم قالوا إن هذه هي الطريقة التي يجب إن يتقدَّس بها مَنْ تتطلب طبيعته التقديس، حينئذ نتساءل لماذا ونحن نتقبل الروح لا ننتقل إليه حتى يصبح فينا ونحن فيه؟ وإن كانت لا تقلقهم هذه الأمور التي لا تليق (لأن الروح القدس هو فينا وليس نحن فيه حسب الطبيعة) فكيف لا يكونون غارقين في أفكارهم الباطلة باعتقادهم أنه لا يجب أن نفسر كون الآب في الإبن والإبن في الآب علي أنه كذلك بحسب وحده الجوهر لكن يعتقدون أن هذا يتم بطريقة مَن يتلقي شيئًا صالحًا من خارجه؟ ومن ناحية اخري اظن انه ينبغي أن نقول الآتي أيضًا: إنه في إتحادنا بالإبن والذي يتم بواسطة الروح القدس في الذين يقبلون، الأ نتغير نحن لنصير أبناء طالما أن الإبن يشركنا في مجده ويطبع ملامحه هو في نفوس مَنْ يقبلونه؟» انظر ص١٣٦.

[٤٨] حرفيًا: شعاع لاهوته ورسم اقنومه. انظر عب١١:٣ «الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره».

وهم يقولون إن النور الحقيقي لديه احتياج ـ حسب طبيعته ـ للتقديس؟ لأنهم لا يجادلون إلاَّ بهذا قائلين إن النور الحقيقي[٤٩] لم يكن مقدَّس بحسب طبيعته بل تقدَّس في وقت لاحق.

**إرميــــا:** بالتأكيد هذا أمر غير صحيح.

**كيرلس:** وحسب أكاذيبهم فإن الإبن، صار في وضع سمح له بالخطيَّة، مع أنه هو الذي كُتِبَ عنه إنه «الَّذِي لمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ»[٥٠]. كما يقولون عنه: لماذا يقول الابن ـ وبدون أن يعتريه الإحمرار ـ إنه تقدّس بواسطة الآب وبدون أن يوضِّح كيف تمَّ هذا، فإنه تجرأ إلي الحد الذي قال فيه بأمور فائقة ومبالغات حتى أنه قال وبدون أي خجل «وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي»[٥١]؟

**إرميــــا:** وكيف يستطيع المرء إذن أن يصل للحقيقة؟

**كيرلس:** إن كل الأمور تأتي من الآب بواسطة الإبن في الروح القدس[٥٢]. ويخبرنا ق. بولس كيف أن الإبن يُقدس ويَتقدَّس لأنه صار إنسانًا فيقول «لأَنَّ الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهذَا السَّبَبِ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً، قَائِلاً: «أُخَبِّرُ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ»[٥٣] إذن فهو ذاته يُقدِّس لأنه هو قدوس حسب طبيعته، لأنه هو الله. غير أنه يَتقدَّس معنا بحسب طبيعته البشرية، عندما اتخذ طبيعتنا البشرية عينها، ولهذا يقال عنه إنه تَقدَّس بحسب هذه الطبيعة وبالرغم من أنه هو ضابط الكلّ وهو الله، إلاَّ إنه لا يخجل من أن يدعونا أخوته.

---

[٤٩] إي الإبن.

[٥٠] ١بطرس٢:٢٢.

[٥١] يوحنا ١٧:١٩.

[٥٢] تمثل هذه الفقرة جوهر إيمان الكنيسة بعقيدة الثالوث القدوس، الواحد في الجوهر المتمايز في الأقانيم، والتي آمنت بها الكنيسة وعبرّت عنها في مجمعي نيقية والقسطنطينية، ودافع عنها كثير من آباء الكنيسة في كتاباتهم العقائدية ومنهم ق. أبيفانيوس، هيلاري أسقف بواتيه وباسيليوس وغريغوريوس النيصي وغريغوريوس النزنيزي وديديموس وغيرهم. ولقد أوضح ق. أثناسيوس من قبل أن الروح القدس هو روح الإبن وروح الآب وله الجوهر الواحد معهما (الرسالة الثالثة إلي سرابيون:١) وقد أعاد ق. أثناسيوس التأكيد علي هذا التعليم حين بيَّن إن الإبن والروح القدس رغم أن كل منهما متمايز عن الآخر إلاَّ أن كل منهما يتواجد في الآخر (أو يحتوي الآخر) ولذلك هناك عمل (فعل) إلهي واحد فقط. وهذا صحيح بالنسبة لفعل الخلق حيث .. الآب يفعل كل شيء من خلال الإبن بالروح القدس» (الرسالة الثالثة لسرابيون ٣:٥، الرسالة الرابعة فقرات ٣. ٥).

[٥٣] عب٢:١١.١٢.

**ارميـــــا**: هم يوافقون، غير أنهم يقولون إنه لا يكذب عندما يقول إنه تَقدَّس بواسطة الآب قبل تجسُّده. لأنه بالطبع صار إنسانًا في ملء الزمان، لكنه كان قبل ذلك الوقت الإبن الوحيد والأخ بالنسبة لمن دعوا إلي الوجود، طالما أنه هو ليس غير صائر حسب طبيعته لكنه قد خُلقَ بواسطة الآب. وبالتالي فهو يقول الحقيقة عندما يدعونا أخوة له وعندما يقول إنه تَقدَّس معنا.

**كيرلس**: أنتم أيها المستعدون أن تمضوا قُدمًا في كل المواضيع، حتى تلك التي هي أبعد من كل منطق ولياقة أني لا أستطيع أن أفهم إلي أين سينتهي حديثكم الصفيق والمملوء سخافة لأن الإبن غير مخلوق وهذا يجب أن ننتبه إليه لا من خلال تخميناتكم لكن من خلال ما قاله المسيح ذاته لتلاميذه القديسين عندما أوصاهم قائلاً «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ»[٥٤]. كما أن القديس يوحنا قد قال لنا بكل وضوح عن الإبن: «وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ. وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هذَا هُوَ الإِلهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ»[٥٥]. والإله الحق ليس هو من جنس بقية المخلوقات.

إذن طالما كان **للكلمة** نصيب في نوال التقديس وفق ما يؤمن به هؤلاء وبطريقة متهوِّرة، مع أن **الكلمة** بالتأكيد هو الله الحقيقي، ومع أن **الكلمة** في حد ذاته هو بلا جسد إلاَّ أنهم يتدَّخلون مجادلين لإثبات. وبأي كلام يريدون. أن مَنْ نؤمن نحن به أنه الإله الحق قد نال التقديس. إذن كيف لا يكون كلامًا محقًا أن نقول إنه طالما أن تقديس الإبن هو عطيَّة له مع أنه هو حسب الطبيعة إله حقًا، فلن يمنعنا شيء من أن نفترض وبطريقة مملوءة بالثرثرة أن الآب الذي تقدّس منه الإبن، هو أيضًا قد تقدّس، مع أنه هو الإله الحق كما نؤمن؟

**ارميـــــا**: بالفعل هذا خطر قائم.

**كيرلس**: لكن لكي نحارب من كل اتجاه هذه الوقاحة التي تدَّل علي عدم التقوي، فإننا لن نتردَّد بالمرَّة في أن نقول أيضًا شيئًا من تلك الأمور التي لا تليق ونتساءل مثلاً: ألم يكن من الواجب أن تكون القدرة علي التقديس هي امتياز

[٥٤] مت ٢٨:١٩.

[٥٥] ١يو ٥:٢٠.

فائق لِمَنْ هو الله حسب الطبيعة مثلما تمامًا قدرته علي أن يدعو الكائنات من العدم إلي الوجود؟

**إرميـــــا:** يجب ان تكون له هذه القدرة.

**كيرلس:** وبما أن الإبن ـ مع إنه يُحسب من ضمن الخلائق بالتأكيد وفق الأقوال غير اللائقة والممقوتة لهؤلاء، إلاّ أنه يمارس وبشكل مطلق امتيازات الطبيعة الإلهية، ممجِّدًا هكذا طبيعته هو، طالما إنه يقول إنه يُقدِّس ذاته، ويكون هكذا قد أنزل خصائص الجوهر الفائق، إلي مستوي الخلائق، فإني أعتقد أنه من غير المستحيل أن نتجرأ ونقول إنه حتى نحن نستطيع أن نُقدِّس أنفسنا بطريقة تماثل تقديس الإبن لذاته.

**إرميـــــا:** ماذا تعني بهذا؟

**كيرلس:** بمعني إنه لو كان هو قد خصص لنفسه كلَّ إمتيازات تلك الطبيعة السامية جدًا، مع أنه هو مخلوق، فما الذي يمنعنا من أن نَفعّل نحن ما يليق بخصائصه هذه طالما أننا قريبين منه ولا نبعد عنه كثيرًا بحسب قرابتنا إليه وطالما يوجد نَسَبٌ معيّن وعلاقة بين كل مخلوق وآخر، وأقصد بها أن كل هذه المخلوقات قد وُلِدَت؟

**إرميـــــا:** لا أري غرابة فيما تقول بشأن هذا الأمر.

**كيرلس:** لكن كان سيكون بالتأكيد أمرًا غير لائق ويُظهِر الجهل أن نؤمن أنه قد تَقدَّس.

**إرميـــــا:** كيف؟

**كيرلس:** ألا يَتقدَّس الشخص بواسطة مَنْ يعلوه ويتَفوَّق عنه من جهة الطبيعة؟ لأني لن إستطيع القول إنه يَتقدَّس بواسطة مَنْ هو أقلَّ منه، علي الأقل كما اعتقد أنا، إذ أن التقديس يعليّ من شأن مَنْ يتقدَّس ويهبه شيء يفيده.

**إرميـــــا:** إنك تتكلم الصواب.

**كيرلس:** وبالتالي، لو كان هذا حقًا، فإن الإبن ـ وفقًا لكلامهم ـ قد تَقدَّس بواسطة الروح القدس، وإنه مُسِحَ عن طريق مَنْ هو اسمي وأرفع منه ومَنْ هو مختلف عنه في الطبيعة. لأنه لا يمكن لأي من الخلائق أن يشترك في نفسه

لكن يمكنه أن يشترك في آخر، وهذا يتفق بالقطع مع قوانين الوجود.

**إرميـــــا:** بالفعل فهذا ما يجب أن يكون.

**كيرلس:** وكيف إذن يأتي الإبن ويسكن فينا بواسطة الروح القدس؟ وكيف يُفعِّل مَنْ هو اسمي (أي الروح القدس) علاقة شركتنا مع مَنْ هو أقلَّ (أي الإبن) ومن خلاله (أي من خلال الروح القدس)؟ وطالما نقبل الروح القدس ونصير شركاء الطبيعة الإلهية[٥٦]، كيف يكون الإبن أقلَّ من الروح القدس؟ أو كيف يكون الروح القدس اسمي منه وهو القادر أن يفعل ما يفعله الروح وأيضًا هو (الإبن) قادر أن يشركنا فيه؟ لأن الإبن قد قال بالحقيقة: «لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ»[٥٧] لأنه بعد أن قام من بين الأموات وصعد إلي الآب، فإنه يوجد في داخلنا عن طريق الروح القدس. إذ أن الروح القدس هو روحه ولم يأت له من خارجه[٥٨]، كما هو الحادث في حالة روح الإنسان. لكن عندما اتخذ الجسد الذي هو مختلف وبكل قياس عن الطبيعة الإلهية الفائقة، فحينئذ تمامًا قيل أنه قد تَقدَّس. وبطريقة حكيمة ولائقة جدًا استخدم الطبيعة البشرية كوسيلة كي يتقدَّس (أي يُقدِّسها) بواسطة الآب أي بواسطة الطبيعة الإلهية، إذ أن لها وحدها القدرة علي التقديس.

---

٥٦ هنا يكرر ق. كيرلس التشديد علي حقيقة عمل الروح القدس في داخلنا إذ يهبنا شركة الحياة الإلهية أو ما يُعبّر عنه الآباء دائمًا بأننا نصير شركاء الطبيعة الإلهية كما يقول معلّمنا بطرس الرسول (٢بط١:٤) وهذا لا يعني أن طبيعة الإنسان تتحوّل إلي الطبيعة الإلهية حاشًا بل أن الإنسان المخلوق حسب صورة الله وكشبهه ينال حسب نعمة التبني الاشتراك في الحياة الأبدية أي حياة البر والقداسة. راجع ص٢٨١ وهامش رقم (٢٣).

٥٧ يوحنا١٤:١٨.

٥٨ يدحض ق. كيرلس هنا في هذا الجزء من كتابه «حوار حول الثالوث»، الآراء التي تنكر الوهيه الإبن والتي تعلّم بأن الإبن أقل من الروح القدس، أي أنه غير مساوٍ له في الجوهر، ويبني رده علي ان ما يفعله الإبن هو نفسه ما يفعله الروح القدس ويحيل ذلك إلي أن «الروح القدس هو روحه ولم يأت له من خارجه» ومن الواضح تأثر القديس كيرلس بالمنهج الدفاعي الذي اتبعه ق. أثناسيوس في دفاعه عن أقانيم الثالوث وبالتحديد في سياق دفاعه عن أُلوهية الروح القدس وتفنيده لمزاعم مَنْ يدعون إن الروح القدس أقل من الإبن، ولكن بطريقة عكسية. فعند ق. أثناسيوس الروح القدس الذي «يمنح التبني للخليقة لا يمكن أن يكون غريبًا عن الإبن» رسائل الروح القدس. المرجع السابق. ص٢٩ بينما يذكر ق. كيرلس هنا «وطالما نقبل الروح القدس ونصير شركاء الطبيعة الإلهية كيف يكون الإبن أقل من الروح القدس؟» وفي موضع آخر يذكر ق. كيرلس في تعليقه علي معمودية المسيح وحلول الروح القدس عليه ان الروح «كثيراً ما يدعي روح المسيح رغم أنه ينبثق من الآب لكنه خاص بالإبن». تفسير إنجيل لوقا، المرجع السابق، ص٦٨.

## ٢ـ هل الإبن يستمد عظمته ومجده وسلطانه من الآب؟

إرميـــــــا: اتفق معك. لأنه ليس من الحكمة علي الإطلاق ولا هو أمر ضروري أن نلجأ إلي الأحاديث المطوّلة، بالرغم من أنك تتكلَّم بالصواب. غير أنهم مع هذا يقولون إنه طالما أن القدرة علي التقديس هي مِيزة تليق بطبيعة الله الحقيقي، والإبن هو الذي يقوم بهذه المهمة، فلا يوجد أي عائق يمنعنا أن نعترف بكل وضوح أن الإبن هو الله حسب الطبيعة. ولو قبلنا بهذا فيمن هو الله حسب الطبيعة، فلن يكون لديه أي نقص بالمرّة في أي شيء من الصالحات، فما الداعي إذن أن يُظهر الإبن الذي هو الله حسب قولكم أن طبيعته ينقصها المجد والمُلك والسُلطة؟ فالإبن قد نادي مرّة الآب السماوي قائلاً: «أيها الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. أَنَا مجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ. «أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلاَمَكَ. وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ، لأَنَّ الْكَلاَمَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ، هُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا يَقِينًا أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ، وَآمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي»[٥٩].

كما أن ق. لوقا قد كتب في سفر أعمال الرسل عن لسان ق. بولس قائلاً: «فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ[٦٠] يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا»[٦١]. هل تحققتُ إذن من أن الآب يعطي الإبن دائمًا المجد والسلطة الإلهية، وأن الإبن يقبل هذا بكل فرح؟ لكن لو تجرأوا علي النطق بمثل هذا

---

[٥٩] يوحنا ١٧: ١ـ٨.

[٦٠] يركز المعارضون هجومهم علي أُلوهية الابن بالإشارة إلي بعض الكلمات والأفعال الواردة في نصوص بعض الآيات، مفسرين إياها تفسيرًا خاطئًا. وهنا يفسرون فعل «جعل» بمعني أن الله هو الذي جعل يسوع ربًا مع أنه هو ليس كذلك حسب الطبيعة، كذلك فعل «يعطي» بمعني أن الإبن في احتياج لشيء. كما يقولون إن «الابن أيضًا يقبل هذا بفرح».

[٦١] أع٢: ٣٦.

الكلام وبغيره، فهل مَنْ يفضلون الاعتقاد بأن هذا الكلام هو كلام ممتاز، هم بعيدين عن الشر والسوء؟

**كيرلس:** «ليصر الشجاع محاربًا»[62] هكذا عَّلمنا الكتاب المقدس. وأنا أقول إنه ينبغي أن أواجه أفكار المعاندين هذه، لأن الله هو العامل فينا وهو الذي يضع الكلمات علي ألسنتنا، ويقود فكر كل الإتقياء نحو الحق. غير أنه يوجد أمر آخر يقنع المعاندين فينحرفوا عن الطريق المستقيم ويهربوا إلي الأمور القبيحة والفاسدة.

**إرميـــــا:** وما هو هذا الأمر؟

**كيرلس:** هو أنهم ـ علي ما أعتقد ـ يتحاشون اعتبار الوقت الذي يشير إليه كل من هذه الأحداث، كما لو كانت معرفة هذا الوقت غير مفيدة بالنسبة لنا[63]، وهكذا يُظهِرون جنون تفكيرهم وأقوالهم. لأنه لو أن **الكلمة** لم يصر إنسانًا، ولو أنه لم يحلَّ بيننا، لكان من الممكن أن نتغاضي عن اعتبار الوقت والدقة في رصد الأحداث، غير مبالين بأزمنة ما قيل عن الإبن الوحيد. مثل حديثهم عن الإبن الذي هو بهاء مجد الآب والذي به خَلقَ الآب كل شيء[64] والشريك في الربوبية معه غير المرئي وغير الملموس وقولهم إنه تألم حسب طبيعته وقَبِلَ الجلد علي ظهره وجراحات المسامير في يدّيه ورجلّيه والحربة في جنبه وإنه قَبِلَ الموت الذي هو أكثر الأمور شرًّاً.

**إرميـــــا:** إن كل هذه الأمور تدَّل علي أنها حدثت في طبيعته البشرَّية، لأنه تألم عندما كان في الجسد.

**كيرلس:** ماذا تقول يا صديقي؟ ألا نقول إن الألم قد وقع عليه كي يَخزَى الإبن ويتخلّى عن مجده؟

**إرميـــــا:** نعم، لأن بولس الرسول يقول «احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ»[65]

---

[62] يوئيل٤: ١١(س).

[63] مرّة أخري يشدد ق. كيرلس علي مبدأ اعتبار الوقت الذي يشير إليه كل من احداث الكتاب المقدس، إذ قد سبق الحديث عن هذا المبدأ من قبل. انظر ص٢٨١، هامش رقم (٢٣).

[64] يو١: ٣.

[65] عب١٢: ٢.

وأيضًا يقول الوحي علي لسان إشعياء «لِذلِكَ لاَ أَخْجَلُ. لِذلِكَ جَعَلْتُ وَجْهِي كَالصَّوَّانِ وَعَرَفْتُ أَنِّي لاَ أَخْزَى. قَرِيبٌ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُنِي»[٦٦].

**كيرلس:** لكن قل لي، هل أقام الجسد غالبًا الموت مُظهرًا نفسه أنه اسمي من الموت والفساد بصفته إنسان مثلنا أو بكونه الله المولود من الله حتى ولو كان قد ظَهَرَ في الجسد؟

**إرميـــــا:** بكونه هو الله بالطبع، لأنه وُلِدَ من الله.

**كيرلس:** وبالتالي فإن خزي تلك الآلام وإذلالها قد اختفت في الأيام التالية لحدوثها، والأبن تمجَّد بالقيامة مع أنه قبل القيامة لم يهرب من الموت المهين والمذِّل بسبب أنه تواضع بإرادته.

**إرميـــــا:** لكن يقال إن الإبن قد حصل علي هذا المجد من الآب.

**كيرلس:** صحيح يا صديقي، وسأتفق معك. فعندما صار إنسانًا ـ مع إنه هو حكمة وقوّة الآب[٦٧] ـ فقد دَحَرَ الموت بنفسه وأحيا جسده بحياته، أي أنه أعطي الحياة للطبيعة (البشرية) التي صارت ـ بطريقة ما ـ طبيعة خاصة بأقنومه. لأن القدرة علي أعطاء الحياة وعلي إظهار الجسد الترابي أنه يعلو علي الموت، حتى لو كان جسد يسوع، طالما يدعي جسد، هذه القدرة لا تخص أي من المخلوقات التي جاءت إلي الوجود، إلَّا فقط الطبيعة الإلهية. لكن يمكن للمرء أن يري وبكل سهولة كيف أن الإبن قد أقام جسده[٦٨]، علي الرغم من أنه يقال

---

[٦٦] إش٥٠: ٧، ٨. هذه نبوءة عن آلام الإبن.

[٦٧] انظر ١كو١: ٢٤.

[٦٨] تعبير إن «الإبن قد أقام جسده» يعطي نفس المعني الذي ذكره ق. كيرلس في بداية هذه الفقرة بأن الإبن قد دَحَر الموت بنفسه وأحيا جسده بحياته» وهذين التعبيرين يوضحان مفهوم الأتحاد الأقنومي وما يسمي تبادل الخصائص وما سبق أن عبّر عنه ق. أثناسيوس قائلاً: «فالجسد (جسد الكلمة) لكونه من طبيعة البشر ذاتها لأنه كان جسدًا بشريًا. حتى،ن كان قد أُخِذَ من عذراء فقط بمعجزة فريدة. لكن لأنه كان قابلاً للموت لذلك كان لابد أن يموت كسائر البشر نظرائه. غير أنه بفضل اتحاده **بالكلمة** فإنه لم يعد خاضعًا للفساد الذي بحسب طبيعة بل بسبب **كلمة** الله الذي حلّ فيه فإن الفساد لم يلحق به». تجسُّد الكلمة، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ط٦، فصل ٢٠/٤، ص٦٢. وفي سياق شرحه لإنجيل يوحنا يعلّق ق. كيرلس علي معجزة شفاء المولود اعمي والطريقة التي أجري بها المسيح تفتيح عيني الأعمي عندما تفل علي الأرض وصنع التفل طينًا وطلي بالطين عيني الأعمي، ويري فيها أيضًا ما يعرف بعملية تبادل الخائص وهنا يُعبّر ق. كيرلس عن هذه الحقيقة بقوله: «يمكن للمرء أن يري وبكل سهولة كيف أن الإبن قد أقام جسده» ثم يسترسل باكثر تفصل فيقول: «لأننا نؤمن أن جسد المسيح هو واهب للحياة، حيث إنه هو هيكل ومسكن **كلمة** الإله الحي، وفيه توجد كل قوة الكلمة، ولذلك نحن نعلن أن جسده هو أيضًا «مصدر للنور» لأنه هو جسد ذلك الذي هو بالطبيعة النور الحقيقي. وكما أنه حينما أقام وحيد الأرملة من الموت، فإنه لم يكتِف بمجرد أن يأمره قائلاً «إيها الشاب لك أقول قم» رغم إنه معتاد أن يتمم كل الأشياء التي يريدها =

إن الآب قد وهبه هذه القيامة وذلك من خلال قول الرسول بطرس عن الآب «أَنْتُمُ الَّذِينَ بِهِ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْدًا، حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ»[٦٩] ومن خلال قول الإبن نفسه لليهود «انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ»[٧٠]. لأنه كإنسان، فقد مات بالجسد مع أنه بكونه هو الله فهو الحياة حسب الطبيعة، وقد قام من الأموات بقدرة غير موصوفة وفعل لا يُعبرَّ عنه، مع إنه كان مثلنا من حيث طبيعته البشرية وبالتالي فهو يُمجَّد بالتأكيد من الآب، ليس وهو خارج الجسد. ونؤمن به كونه هو إله من إله، لأنه ليس هو في احتياج لهذا المجد، لكن عندما صار إنسانًا وكإنسان لا يملك - حسب طبيعته - القدرة علي مثل تلك الأفعال اللائقة بالله، فإنه قبل - وبطريقة ما - هذه القدرة وهذه المعونة التي لا يُعبرَّ عنها، والتي يمكن أن تُفهم علي أنها معونة من الكلمة للطبيعة البشرية. غير إن الإبن يُمجِّدَ الآب لأنه هو آب كُلِّي القدرة حتى ولو كان الإبن قد تجَسَّد ونشأ في العالم بين الناس[٧١]. لأنه لهذا قال: «أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ»[٧٢]. وكأنه يقول: «أيها الآب، أنت أردت أن تبطل سلطان الموت الصارم، غير إن هذا العمل لا يستطيع إنسان أن يتممه، لكن فقط طبيعتك المحيّية غير المغلوبة، ولأني قد أتيت منها فلهذا قد نجحتُ في إتمام العمل الذي أردته أنت مني[٧٣]، لأني لم أفقد بالمرَّة القدرة علي إتمام الأعمال

-بواسطة كلمة، لكنه أيضًا في هذه الحالة (المولود أعمي) فإنه يطلي بتفله، معلّمًا أن جسده أيضًا هو «مصدر للنور» حتي ولو كان بمثل هذه اللمسة البسيطة. لأنه هو مصدر جسد النور الحقيقي». شرح إنجيل يوحنا، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد وآخرون، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة ٢٠٠٩، المجلد الأول، ص٦٧٠.

[٦٩] ١بط١:٢١.

[٧٠] يو٢:١٩.

[٧١] في موضع آخر دافع ق. كيرلس عن الوهيه الإبن وأن طبيعته لا يمكن أن تكون طبيعة متوسطة بين الله والبشر، واستخدم آيات من الكتاب المقدس قائلاً إن [هذه الآيات تخص الإبن الوحيد قبل التجسُّد وهناك آيات تقال عنه وهو مولود مثلنا في الجسد «الذي في أيام جسده، إذ قدّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت» عب٥:٧-٨.] ويوضح ق. كيرلس هذه الآية بقوله «هناك طريقتان للكلام عن الإبن، فمن جهة يجب أن ننسب له كل ما لله بكونه هو الله، ومن جهة أخري ننسب له كل ما يخصنا لأنه صار مثلنا. ويجب أن نرفض كل خلط وعدم تمييز بين هذه الأمور لأن هذا ينفي الفهم الحقيقي للمعاني ويحجب عن عيوننا نصف حقيقة الجمال الإلهي». انظر ص٢١.

[٧٢] يو١٧:٤.

[٧٣] يشرح ق. كيرلس بالتفصيل معني صلاة المسيح وطلبة للآب قائلًا «أنا مجدتك علي الأرض. العمل الذي أعطيتني

عينها التي تعملها أنت بنفس القدرة، بسبب أني اتخذت طبيعة بشريَّة. ومع إني إنسان لكن بسبب إني قد أتيت من جوهرك فإني أملك قدرتك عينها. إذن مجدِّني أنت لأني إنا كإنسان ليس لي مجد، إلاّ أن لِي قدرتك وفعلك المحييَّ وأظهرت الهيكل[٧٤] (الجسد) المتحد أنا به. وبطريقة لا توصف. أنه يعلو الموت». ويمكن أن نتبيّن بوضوح أنه لم يطلب أن يأخذ مجدًا وكرامة لم يملكهما من قبل، لأنه قال للآب «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ»[٧٥] . لأن الرَّب كان له المجد الدائم منذ الأزل، لكنه أخلي ذاته من هذا المجد عندما تنازل إلي مستوي بشريَّتنا، وهو الآن يسترد مجده الذي له منذ الأزل حسب طبيعته. مُعَبِّرًا بكلمات عن عملية الأخلاء وما صاحبها من الآم ناسبًا أياها لتدبير التجسد. ومن الضروري جدًا إذن أن نعرف الفترة الزمنيَّة[٧٦] التي وقعت فيها أحداث التجسُّد والأخلاء،

لأعمل قد اكملته. والأن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو١٧: ٤) وذلك في سياق شرحه إنجيل يوحنا موضحًا الوهيه الإبن ومساواته للآب في الجوهر وأنه عندما تجسَّد أخلي ذاته من أجلنا دون أن يفتقد خصائص طبيعته الإلهية فيقول: «إذًا باعتبار إنه تكلَّم في هذه الفقرة كإنسان، فإننا ستفهمها بالمعني الذي أعطيناه من قبل، ولكن من الجهة الأخرى إن تأملنا في مجدَّ المسيح الإلهي، فسنجد أن الفقرة لها معني يفوق الطبيعة البشرية إذًا فنحن نقول إنه مجدّ الله إياه حينما أكمل العمل الذي أعطاه له، لا كعبد له، أو بأي معنيمن معاني الخادم، لكن هذا حدث للضرورة لكي يظهر ربّ الكل في وضاعه طبيعتنا وطبيعة كل المخلوقات التي هي في وضع العبيد. لأن تتميم واجبات العبد وطاعة الأوامر الإلهية بخضوع هو نصيب البشر والملائكة ونحن نقول بالحري إن الرب إذ هو قوَّة الاب وحكمته، أكمل مهمة فدائنا حسنًا". المجلد الثاني ص ٣٤٩. ويتابع شرحه قائلاً «وحينما أكمل العمل وبلغت خطة فدائنا العجيبة إلي نهايتها الملائمة، فإنه رجع إلي مجده الخاص، وأخذ كرامته الأصلية، غير أنه بسبب كونه لابسًا الشكل البشري فإنه يصيغ شكل صلاته بحسب ما يناسب إنسانيته، ويطلب وكأنه لا يملك هذه الكرامة، لأن الإنسان ينال كل الأشياء من الله. فرغم أنه هو إله من الله الآب، كان متوشحًا بالمجد الإلهي بكل معني الكلمة، لكنه في فترة تجسُّده لأجلنا انقص هذا المجد. بمعني ما. باتخاذه هذا الجسد الوضيع لنفسه ولهذا السبب فهو يطلب المجد وكأنه لم يكن له متكلمًا بهذا الكلام كإنسان». المرجع السابق ص٣١٥.

[٧٤] وصَفْ الجسد الذي اتحد به الكلمة بأنه «هيكل» هو وصف يرد كثيرًا في نصوص آباء الكنيسة وسبق أن جاء في كتابات ق. أثناسيوس إذ يقول: «لأنه حتى علي الصليب فإنه لم يجعل نفسه مختفيًا، بل بالحري فإنه جعل الطبيعة تشهد لحضور خالقها، وبعد ذلك لم يَدَع هيكل جسده يظل وقتًا طويلاً ميتًا، إلاّ بالقدر الذي أظهر فيه أن الجسد مات باحتكاك الموت به، ثم أقامه حالاً في اليوم الثالث». تجسُّد الكلمة، مرجع السابق، فصل٢٦: ١. انظر أيضًا ف٨: ٣، فصل٣١: ٤. ونلاحظ هنا حرص ق. كيرلس علي استخدام تعبير «الهيكل» عند الحديث عن غلبة **الكلمة** وانتصاره علي الموت متبعًا هكذا ما علّم به ق. أثناسيوس في كتابه تجسُّد الكلمة.

[٧٥] يوحنا١٧: ٥.

[٧٦] معرفة الفترة الزمنية التي وقعت فيها أحداث التجسُّد والأخلاء أمر ضروري للفهم والتفسير الصحيح لما صاحب هذه الأحداث. غير أن الهراطقة لم يعطوا اهتمامًا لهذا الأمر الحيوي لذا نجد أن ق. كيرلس، يدين هذا التصرَّف ويوضّح نتائجه السلبية بقوله «لا يجب أن نلجأ للكتب المقدسة بنفس رخوة إذ أنهم يفعلون ذلك ويحيدون عن الطريق المستقيم حتى يصلوا إلي التطرّف سواء يسارًا أو يمينًا، بينما اتباعنا للطريق الملوكي يُوجب علينا ويعلّمنا الاّ ننحرف لا يمينًا ولا يسارًا. ولنلاحظ كيف أنهم بسبب فقدان البصيرة يتركون أنفسهم للانقياد بأهوائهم دون أن يفحصوا أي من آيات=

والوقت السابق لتجسده والذي يَظهُر فيه بكونه هو رب المجد الذي لم يطلب فيه أن يتمجَّد لأن المجد كان له بكونه هو الله.

**إرميــــا:** لكن كيف يقبل الآب بعضًا من الناس الذين هم في العالم والذين لأجلهم قال للآب «أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلاَمَكَ»[77].

**كيرلس:** سأقول لك مرَّة أخري بعضًا من الأفكار التي ربما تبدو لك غير مألوفة تتعلق ببدء الخليقة. فيمكن أن تقول إنه عبثًا قد أخلي ذاته، علي الرغم من أن الإبن الوحيد قد صار كواحد منًّا وهو المساوي والمماثل للآب. لأنه لو كانت لديه الحاجة ليتسلَّط علي آخرين بقبوله لهم من الآب، فهذا يعني أنه قد أضيف ـ وهذا طبيعي ـ شيء جديد للإبن يجعله يتحلّى بالمجد الذي يأتي من الآب وبطريقة ما تقوده النعمة نحو وضع أفضل مما كان عليه قبل ذلك. فإن كان الأمر كذلك فهل نستطيع أن نتكّلم عن الإخلاء؟ أو أين يمكن أن نتبيَّن هذا الإخلاء، لو إننا ـ وبصفة عامة ـ نراه يكتسب شيئًا مما لم يكن له حسب الطبيعة، وأي سلطة علي الأخرين يكتسبها كمقابل لفعل تَجسّده؟

**إرميــــا:** فعلاً كما تقول.

**كيرلس:** أيضًا سأتصَّور أن الحكيم يوحنا لا ينطق بالحق عندما يقول عن الإبن: «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ»[78]. لأنه كيف يكون له ما قد أُعطي الآن فقط بواسطة آخر؟ مع أنه بالتأكيد قد مَضَتْ أجيال لا عدد لها والإبن هو أزليّ مع الله الآب. وأيضًا لو كان قد قَبِلَ بعضًا من الناس وصار واضحًا أنه قد اكتسب هكذا شيئًا جديدًا كمكافأة فإني سأتمكّن من القول بغيّر تردد أن التجسُّد هو بالنسبة **لكلمة الله** كان اسمي من وضعه

---

- الكتب المقدسة تتحدَّث عنه بعد أن تشبَّه بنا». انظر ص١٩-٢٠.

[77] يوحنا ١٧: ٦.

[78] يو١: ١١ نظرًا لطبيعة كتاب «حوار حول الثالوث» الجدلّية فإننا نلاحظ أن ق. كيرلس في دفاعه عن الوهيه الإبن يستخدم بعض الآيات. وأغلبها من إنجيل يوحنا. لتدعيم شرحه لعقيدة الكنيسة فيما يخص الأقنوم الثاني من الثالوث، لذا نجده هنا يشرح هذه الآية في هذا السياق موضحاً أنه لو كان الإبن حال تجسده قد صار له «خاصة» من بين البشر فإن معني هذا أنه قد اكتسب شيئًا لم يكن له قبل ذلك، وهذا لا يتفق مع التجسد. بينما نجده في كتابه «شرح إنجيل يوحنا» يعطي هذه الآية نفسها بعدًا روحيًا ويشرحها في اطار تقابل الله مع شعبه قبل وحال تجسده. انظر شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، المجلد الأول ص ١٢٩-١٣٠.

الأول (قبل التَجسُّد) حتى ولو كان في هذا الوضع الأول مساويًا للآب. لأن الآب - كما تري - يرفعه عاليًا جاعلاً إياه في مجد لا يقارن. إذن فالإبن قد جعل تدبير تجسُّده كنصر خاص به. وكيف يقال أيضًا إنه تجسَّد من أجلنا[٧٩] أو كيف صار فديَّة[٨٠] عن حياة الجميع إن كان بموت جسده قد افتدي مجده الذي كان له منذ القدم؟

**إرميا**: تكَلمت بشكل رائع جدًا، غير أن حديثنا قد انحرف في اتجاه سيء.

**كيرلس**: لقد عرضت أمامك ما يتناقش فيه هؤلاء. أم أنك تظن أنهم لن يتحاشوا الحديث بمثل هذه الأفكار المشينة؟ لأنهم وهم يتجنَبون البحث عن الأزمنة والأوقات التي حدثت فيها تلك الأمور، فإنهم قد تعوّدوا علي قلب الحقائق. وكيف لا يكون من المفضَّل أن يفكروا أن الكلَّ كان ملكًا **للكلمة**، وإن طبيعة كل مَنْ جاء إلي الوجود هي خاضعة لمجد مَنْ قد أحضرها إلي الوجود من العدم؟ لكن لأن الجنس البشري أنحرف عن التفكير السليم، لهذا فلم يقبلوا **الكلمة** عندما تجسَّد من أجلنا. ولكن بعد مرور الوقت أقتنعوا وآمنوا ووضعهم تحت بَرَه، ولأنهم أرادوا إن يتعلَّموا الأمور السامية فقد قبلهم، لأنه قال «لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ» (فيلبي ٢: ١٠-١١). بالتالي فإن كل شيء هو مِلْك **للكلمة** طالما إنه قد جاء من عند الله وهو يضبط كل الأشياء مع الآب. ولكنه قَبلَ كلَّ هذا بكونه إنسانًا عندما صار مثلنا. فَمَنْ يملك ويتسلَّط علينا لابد وإن يُعطَي هذا السلطان من الله.

**إرميا**: هل نستطيع أن تقول إذن إن (الإبن) له مجده الذاتي، ولم يأخذ أي شيء من الله الآب؟

---

[٧٩] هذا التعبير نردده أيضًا في قانون الإيمان لوصف كل عمل التدبير الإلهي، وأنه تم من أجل خلاص البشر.

[٨٠] لم يكن موت المسيح بالجسد، كي يفتدي مجده الأبدي بل كان . بالتأكيد لإتمام سر التدبير الإلهي من أجل خلاصنا. وإن كان ق. كيرلس لم يستفض في شرح هذه الحقيقة بالتفصيل لأن قضيته هنا هي معالجة الفكر الخاطئ الذي كان ينكر الوهيه الإبن، غير أن ق. أثناسيوس كان قد انشغل تمامًا بهذه القضية وشرحها بكل أبعادها في كتابه تجسُّد الكلمة. وفي عرضه لما أشار إليه ق. كيرلس هنا، سبق أن كتب قائلًا «ولأن **كلمة** الله هو فوق الجميع فقد كان لائقًا أن يقدّم هيكله الخاص وإداته البشرَّية فدّية عن حياة الجميع موفيًا دين الجميع بموته. وهكذا بإتخاذه جسدًا مماثلاً لجسد جميع البشر بإتحاده بهم، فإن ابن الله عدىم الفساد البس الجميع عدم الفساد بوعد القيامة من الأموات، ولم يعد الفساد الفعلي بالموت له أي سلطان علي البشر بسبب **الكلمة** الذي حاء وسكن بينهم بواسطة جسده». المرجع السابق، فصل ٢/٩، أنظر أيضًا فصل ٣/٢٥، فصل ٧:٣٧.

كيرلس: نعم، طالما إنه هو الله وربّ المجد، لأن الكتاب المقدس يذكر هذا، وبالفعل يقول يعقوب تلميذ المخلّص هكذا «يَا إِخْوَتِي، لاَ يَكُنْ لَكُمْ إِيمَانُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، رَبِّ الْمَجْدِ، فِي الْمُحَابَاةِ»[٨١].

إرميـــا: إذن ما هو مجد الإبن في علاقته بمجد الآب؟

كيرلس: إن مجد الإبن هو مجد الآب لا أقلّ ولا أزيّد. أو بطريقة أوضح نقول إن مجد الإبن مثله مثل حكمة وقدرة الآب لأنه (أي الإبن) يشّع بطريقة لا توصف من جوهر ذاك الذي وَلده. مظهرًا في ذاته تلك الطبيعة التي قد جاء منها مثل شعاع الشمس والضوء اللامع الصادر من جوهر ساطع[٨٢]، وفي تشابه مطلق (من حيث الأقنوم) وتطابق (من حيث الجوهر) يُدَرك الإبن تمامًا مثلما

[٨١] يعقوب ٢: ١.

[٨٢] للتأكيد علي حقيقة الوهيه الإبن، ومساواته للأب في الجوهر وكيف أن مجده هو مجد الآب، يستخدم ق. كيرلس تشبيه الشمس والضوء اللامع الصادر من جوهر ساطع، وذلك لأنه بسبب وحدة جوهر الآب والإبن، فإن الإبن يُظهِر في ذاته طبيعة الآب. وفي موضع آخر يستخدم ق. كيرلس نفس التشبيه فيقول: «إن شعاع النور الذي يشع من جسم ما، هو الذي يعطي للكائنات التي توجد خارجة، معرفة جوهر النور الذي يشرق». انظر ص٨٢. ويشرح ق. كيرلس كيف تتم هذه المعرفة فيتابع قائلاً إنما «تتم عن طريق أن يشرق هذا النور علي الحواس بشكل مستمر أو أن يحدث اتصال بينه وبين الأجساد بطريقة ما». المرجع السابق، غير أن مَثَلَ الشمس والشعاع الصادر منها، كثيرًا ما كان يستخدم بواسطة آباء الكنيسة ومنهم ق. كيرلس بالطبع لايضاح حقيقة الإبن وولادته الأزليّة من جوهر الآب وعدم انفصاله عن الآب رُغْمُ ولادته منه، فيقول ق. كيرلس في موضع آخر: «لنأخذ مثالاً وليكن طبيعة الشمس والشعاع الذي يخرج منها. لا يمكن ان نطبق معاناة الولادة البشرية وما يحدث فيها من تغيّر علي خروج الشعاع من الشمس وهو كائن فيها رغم اشعاعه. وهكذا فالشمس تمتلك في طبيعتها الخاصة شعاع النور الذي لا ينفصل عنها، ولكنه يبدو بعد خروجه منها أن له فرادة خاصة به. وأحيانًا يفكر البعض في الشمس نفسها ولكنهم لا يستطيعون أن يتخيلّوا جوهرها. ففي هذا الجوهر يوجد الشعاع ومن الجوهر يخرج الشعاع دون أن ينفصل الشعاع عن الجوهر، إلاّ أنه متميزّ عنه. إذ أن الشعاع يخرج من الشمس إلي خارجها. ولهذا فمن العبث والمضحك أن نتصوّر إن الشمس أقدم من الشعاع وكأن الشعاع الخارج منها يجيء متأخرًا. ولا أعتقد أن إنسانًا حكيمًا وسليم العقل يفكر هكذا. فهذا التصوّر معناه أن الشمس غير موجودة بسبب أنها لا تمتلك النور موجودًا معها، وهو الذي يجعلنا ندرك انها موجودة». انظر ص٨٢. كما سبق أن استخدم ق. أثناسيوس تشبيه الشمس والشعاع الصادر منها، للدفاع عن الوهيه الإبن وولادته الأزلية من جوهر الآب وأنه ليس تاليًا زمنيًا للآب فيقول: «إن الشعاع هو النور وليس ثانيًا بعد الشمس، ولا هو نور آخر ولا هو ناتج عن المشاركة مع النور، بل هو مولود كلّي ذاتي من النور ومثل هذا المولود هو بالضرورة نور واحد ولا يستطيع أحد أن يقول إنه يوجد نوران، فرغم أن الشمس والشعاع هما اثنان إلاّ أن نور الشمس الذي ينير بشعاعه كل الأشياء هو واحد». المقالة الثالثة ضد الأريوسين، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة ١٩٩٤. فصل٤. وفي الحوار الثالث من هذه الحوارات السبع حول الثالوث وفي سياق دفاعه عن ألوهيه الإبن وإنه هو مشرّع مثل الله الآب تمامًا، يرد ق. كيرلس علي الذين ينكرون هذا مستخدمًا مثل النور والشمس فيقول: «اعتقد أنه من غير اللائق بالمرّة ان يقول بعض الذين يزعمون بإنهم حكماء إن كلمة الآب قد دُعيَ منذ البداية وبرضاء الذي وَلَده. كي يُشرّع، ومع ذلك لا يؤمنون إن الإبن بحسب الطبيعة هو مشرّع وإنه هو الله، فلو كان هناك منزل صغير معتم ومليء بالضباب الكثيف لم يدخله نور اشعة الشمس لفترة ما لأن أحد لم يسمح بذلك وبعد مرور هذه الفترة دخل النور مباشرة وطرد الظلام وإضاء المكان بنور غير عادي بالنسبة لهذا المكان، ولو كان لهذا النور لسان الحكماء لحكي لمن يتعجبون مما حدث وقال إنه قد جاء. من الشمس التي ولَدته. كي يدخل إلي ذلك المكان كي يُفرّح بفرح دائم مَنْ كانوا تحت سيادة الظلام، فبعد كل هذا هل يقبل أحد أن يكون هذا النور قد استخدم طبيعة النور لأول مرّة حين دخل في هذا المنزل الصغير لأول مرة؟». انظر ص ١٢١.

الآب الذي قد وَلَده.

**إرميــــا:** هل تستطيع إذن أن تقول لنا بماذا يؤمن هؤلاء مستشهدًا بآيات من الكتاب المقدس؟

**كيرلس:** سيحتاج الأمر بالتأكيد إلي قليل من الجهد حتى أستطيع أن أجمع لك شهادات القديسين. فالقديس بولس يكتب لأهل أفسس قائلاً «لِذلِكَ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ سَمِعْتُ بِإِيمَانِكُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَمَحَبَّتِكُمْ نَحْوَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ»[٨٣]. إذن أنت تلاحظ أنه يدعو الله الآب مباشرة أنه أبو المسيح وإنه ابو المجد مقدمًا لنا ـ كما إعتقد ـ المسيح لا كأنه شيء آخر إنما في مقابل مجد الآب. وفي موضع آخر يقول: «وَنحْنُ جمِيعًا نَاظِرِينَ مجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مجْدٍ إِلَى مجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ»[٨٤]، وأيضًا «نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ»[٨٥] الذي هو حسب الطبيعة ـ مجد الرب الحقيقي، أعني الآب، والذي نتشكل نحن علي صورته بالتقديس بواسطة الروح القدس. كما أن ق. بطرس أيضًا ـ ومع أنه كان متميِّزًا بين التلاميذ الذين نُقِلوا من العبادة اليهودية إلي البرِّ بواسطة الإيمان بالمسيح، إلاَّ أنه خاطب اليهود قائلاً «كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الإِلهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ»[٨٦].

إذًا فمادام الإبن ذاته هو مجد الآب الذي بواسطته دعينا كي نعرف الآب[٨٧]، فمَنْ هو الذي يتجرأ ويقول إن مجد الآب هو عطيَّة للإبن تضاف إليه كي يكون علي ما هو عليه؟ لأن مَنْ هو الذي يستطيع بمجد غريب عنه إن يضيف تألقًا لمجد الآب؟ أم ربما لا تعتقد انه بنفس الطريقة يستطيع البعض أن يتجرأوا ويقولوا إن حكمة الآب قد اُستمدت من آخر وإن القدرة التي يملكها الإبن في طبيعته قد اكتسبها من آخر وإن الحكمة التي يفتخر بها هي غريبة عنه؟ وإن

[٨٣] أفسس١: ١٥، ١٧ «كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد...».

[٨٤] ٢كو٣: ١٨.

[٨٥] عب١٢: ٢.

[٨٦] ٢بطرس١: ٣.

[٨٧] يكرر ق. كيرلس ما سبق أن أشار إليه من قبل، انظر ص٢٧٧، وهامش رقم (٦).

سحرونا بمثل هذا الكلام، ألن يغرينا هؤلاء[88] الذين يعَّلمون بما هو عكس ذلك عن أي من هذه الأمور المعوّجة؟ فلو كان ما قيل هو كثير لأثبات ـ وبكل وضوح ـ أن الإبن هو المجد عينه الذي للآب، فسيكون ذلك حسن وسأصمت أما إن أحتجت لشهادات أخري ـ كما اعتقد ـ فسأضع أمامك سفر المزامير الذي يقول عن الآب وإله كل المؤمنين «أَمَّا أَنَا فَبِالْبِرِّ أَنْظُرُ وَجْهَكَ. أَشْبَعُ إِذَا اسْتَيْقَظْتُ بِشَبَهِكَ»[89] ومَنْ يمكن أن يكون صورة الآب وختم جوهره غير الكلمة الذي أتي منه ـ الذي بواسطته يُعرَف الآب بين البشر[90]، لأن بمجده تتألق كل الخليقة؟ ولهذا فقد صرخ لموسي قائلاً: «وَلكِنْ حَيٌّ أَنَا فَتُمْلأُ كُلُ الأَرْضِ مِنْ مجْدِ الرَّبِّ»[91]. لأن المسيح يملأ الكل وعن طريقه عَرِفنا الآب. ولهذا قال أيضًا داود النبي «إِذَا بَنَى الرَّبُّ صِهْيَوْنَ يُرَى بِمَجْدِهِ.»[92] وبالفعل فإنه ظهر لنا قائلاً «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ»[93].

إرميـــا: وبالتالي إذن، لو كان الإبن هو مجد الله الآب بالفعل، سيجب أن يكون حسب الطبيعة هو ربٌّ وملك الكلٍ مثله مثل الآب تمامًا وليس بأي طريقة أخري. لكن لماذا إذن يقول أيضًا بلسان المرنم «أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي»[94]، والتلميذ الحكيم يؤكد لنا أنه قد صار

[88] يقصد آباء الكنيسة.

[89] مز١٧:١٥.

[90] يشدِّد ق. كيرلس لمرّة أخري علي ما يميِّز الإبن وحده ويثبت الوهيته. فهو صورة وختم الآب، وكلمته الذي أتي منه، وهو الذي بواسطته يُعرَف الآب بين البشر وسبق أن حدد ق. كيرلس هذه الأمور الثلاث من قبل أنظر ص٢٧٦.

[91] عدد١٤:٢١.

[92] مز ١٠٢:١٦.

[93] يوحنا ١٤:٩. الرؤيا هنا ليست بالعين الجسدّية إذ أنه كما يقول ق. كيرلس إن [«ما يشير إليه المسيح هنا ليس هو الرؤية الجسدّية ... لأن الطبيعة الإلهية لا يمكن أن تُري بالعيون الجسدية، ولا يمكن لأي إنسان أن يتحمل أن ينظر ذاك الذي يُدرك الآن بطريقة غامضة كما «في مرآه»] .... وما يريد ق. كيرلس أن يقوله هو [«إن كان الإبن ليس من جوهر الله الآب ذاته، لكي بولادته منه يكون بحسب ما هو عليه، أي أنه بطبيعته وبالحقيقة ذاتها هو الله، وإن كان قد صار بهيًا وممجدًا بمجرَّد إضافة ملامح علي ذاته لم تكن أصلاً له بالطبيعة، حتى أنه يضيء كما لو كان بالنور المنعكس عليه من الأمجاد الممنوحة له، وليس بسبب بهائه الطبيعي، بينما يظهر دائمًا علي أنه مثال الآب الحقيقي، والصور غير المتغيرّة لله، ففي هذه الحالة لا يمكن أن يكون ابنا بطبيعته، أو حتي مولودًا بأي معني حقيقي، بل يلزم أن يكون كائنًا مخلوقًا مثلنا أو كائنًا في مثل هذا الوضع بالنسبة لله: وينتج من حالة الموافقة علي هذا الكلام إن الآب لا يمكن أن يكون أبًا بالحقيقة وبالطبيعة، بل يكون فقط أبًا بالإرادة وبالتشبه مثلما يُحسب إنه أبونا نحن أيضًا»]. شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، المجلد الثاني ٢٠١٢م، ص ١٥٩. ١٦٠.

[94] مز٢:٦ (س).

ربًا وإنه قد مُسِحَ؟

**كيرلس:** وبالتالي يا صديقي المحبوب، هل ستجاوبني بالصواب بدون تخبط لو أردت أن أسألك عن شيء؟

**إرميــــا:** وكيف أرفض؟

**كيرلس:** ألا يجب أن نعتقد أن مَنْ يُدعى لنوال سُلطة وسيادة ويصبح بطريقة ما خلاف ما هو عليه، إنه لم يكن لديه سُلَطة وسيادة من قبل؟ لأنه لا يوجد كائن، يكون علي ما هو عليه، ويتحّول إلي شيء آخر ويظّل كما كان من قبل.

**إرميــــا:** بالطبع لا.

**كيرلس:** متي بالتحديد استعاد الإبن ـ حسب فكرهم ـ سيادته وسلطانه؟ وهل قَبْل هذه الاستعادة لم يكن يملك المجد والكرامة؟ لأننا نحتاج أن نسمع منهم الرَّد حتى وإن لم يريدوا.

**إرميــــا:** وماذا سيحدث لو قالوا إن هذا حدث حتى من قَبلْ تَجسَّده؟

**كيرلس:** إني أعرف أنهم سيقولون هذا بكل سهولة بل سيسترسلون في أفكارهم هذه لأبعد من الحدود اللائقة، غير أن كلمة الحق هي التي ستقف أمامهم. لأنه عندما صار إنسانًا وسكن بيننا، حينئذ يقول إنه قد امتلك قدرة إضافية وظَهَرَ أنه قد أعطىَ المُلك والسلطة والسيادة. ومن ناحية أخري يقول تلميذه إنه قد صار ربًّا ومسيحًا بواسطة الله الآب، غير مميّز **الكلّمة** الذي أتي من الآب بل المسيح المصلوب. كما أننا نستطيع بدون أي جهد أن نعلم كيف أن الإبن كان ربًا حتى قَبلْ تَجسُّده واتحاده بالجسد وذلك بأن نستحضر إلي أذهاننا ـ مع كل ما سبق ـ الأمر التالي.

**إرميــــا:** وما هو هذا الأمر؟

**كيرلس:** ألا يقال إنه أخذ شكل العبد عندما صار إنسانًا[٩٥]؟

**إرميــــا:** بالفعل.

**كيرلس:** إذن من الضروري أن نعي أن (أقنوم) **الكلمة** المولود من اللّه، لم يكن له شكل العبد ـ قَبلْ تَجسُّده، لكنه كان في حالة السيادة والسمو وفق

[٩٥] أنظر فيلبي ٢:٧.

طبيعته. وبسبب محبته للبشر لم يَرِدْ أن يظهر هكذا فاتخذ شكل العبد، وكما صار بإرادته لأجلنا في هذا الوضع غير الطبيعي، هكذا لابد أن نكون له شاكرين علي ما فعله من أمور تفوق طبيعتنا لأنه تنازل وتذّلل، لا لكي يظهر أنه بتواضعه كان يجب أن يتخلّى عن مجده الذاتي، لكن كي نستطيع نحن الذين وُجدنا في ضعف ومطروحين في أسفل الأرض، أن نصعد بواسطته إلي أعلي. لأن مَنْ هو أسفل لا يستطيع إطلاقًا أن يُجبر مَنْ هو أعلي، لكن علي العكس مَنْ هو أسفل بما لا يقارن يتبع مَنْ يغلب ويسمو. وبالتالي فمن الجهل العظيم أن يُظَّنْ أنه كان مُجبرًا بسبب حالتنا، أن يبقي هنا معنا ولأجلنا. بل علي العكس فمن الحكمة والحق أن نفكر ونقول إن كل ازدراء سيتحوّل إلي بهاء لا يوصف وسيُهزَم من المجد الفائق السمو. لأنه كما أنه قد ذاق الموت بالجسًد[٩٦]، بسبب أن الجسد كان خاضعًا للموت مع أنه (الإبن) هو بطبيعته الحياة، وإنه قد أقام الجسد إلي حالته الأولي ودون أن تتأثر طبيعته (الإلهية) إطلاقًا، بل بالحري فإنه حطّم سلطان الموت، هكذا نقول إنه حسب التدبير قد صار في شكل العبد. لكن لأنه هو الله حسب الطبيعة، وهو الربُّ فإنه أوقف ما كان مسبَّبًا للحزن وهكذا تلاشي خزي العبودية، وصار مهزومًا أمام مجده الأسنى. وبالتالي لو كان قد بقي بين الأموات كإنسان لكان استمر بين العبيد، لكن بما أنه صعد وإرتفع إلي حالته الأولي، أعني الحياة، بعد أن أعطي - بحسب التدبير - الموت الأنطباع بأنه قد انتصر، فإنه من الواضح أنه سيكمل عمله بمعني أنه سيظهِر سيادته وسلطانه. بعد أن سمح - ولو لوقت قصير - لتدبير إخلائه أن يكون هو الغالب، حسب قانون العبودية. وهكذا بينما هو مساوٍ للآب في المجد وشريكه في العرش[٩٧]، وهو إله من إله[٩٨]، فمع

---

[٩٦] هذا هو إيمان الكنيسة في موت المسيح علي الصليب لأن الإبن هو الحياة حسب طبيعته الإلهية، وما تعبّر عنه في صلواتها الليتورجية. انظر الأجبية: صلاة الساعة التاسعة. القطعة الأولي. وبكلمات مشابهة سبق أن عبرّ ق. أثناسيوس عن الإيمان عينه بقوله «طالما أن **الكلمة** كان من غير الممكن أن يموت، إذ أنه غير مائت. فقد أخذ لنفسه جسدًا قابلاً للموت حتي يمكن أن يقدّمه، كجسده الخاص نيابة عن الجميع، حتى إذًا ما تألم عن الكل بإتحاده بالجسد فإنه .. يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية (عب٢: ١٤)». تجسُّد الكلمة - المرجع السابق، فصل ٢٠/٦، ص٦٣.

[٩٧] أو هو الجليس مع الله الآب (علي العرش الإلهي نفسه)، أنظر ص٢٨٣، هامش رقم (٢٧).

[٩٨] إله حق من إله حق، حسب تعبير قانون الإيمان.

هذا يَظهر وبطريقة ما أنه قد إرتفع لأول مرَّة إلي ذلك المجد الفائق والأسمي. ولذلك دعاه الآب قائلاً: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ»[٩٩]. لأن الطاعة التي جعلتها الطبيعة الإلهية غير الموصوفة وكأنها خاصة بها، قد صارت بالفعل تحت قدمي مخلّصنا، الذي كان لا يفعل شيئًا كإنسان ولا كانت لديه القدرة علي التغلب علي الصعاب لأنه قد صار جسدًا، لكن لأنه قد زان طبيعته البشرَّية بظهورات طبيعته الإلهية الفائقة. وحينما صار الإبن الوحيد جليسًا علي عرش الربوبية بدون إن يتخلَّى عن جسده[١٠٠]، فإنه سيُخضع عن طريق الآب، كل الخليقة. لأن كل ما يفعله الآب يفعله الإبن بالقطع، وما يقال إن الإبن يفعله، يفعله الآب بكل تأكيد وذلك لأن كل الأشياء تتم من خلالهما علي التساوي. لأن الآب إذ له الإرادة والفعل يتمم كل شيء بالإبن عن طريق الروح القدس[١٠١].

**إرميـــــا:** لقد تكّلمت بطريقة مبهجة. وإذا قد تتبعت الطريق المستقيم غير المعيب، فقد علَّمتنا الكثير، موضَّحًا لنا وبطريقة جيدة لا تقل عن المرَّات السابقة، ربوبيَّة الإبن.

**كيرلس:** وبالتالي إن أراد أحد أن يسأل ويقول: قل لي يا صديقي، ما هي سيادة الآب الربوبية، فبماذا سوف تجيبه؟

**إرميـــــا:** كنت سأقول له أنها سيادته علي الكلِّ وتمجيده بواسطة الكلِّ، وإن الكلِّ سيكون له، ما في السماء وما علي الأرض.

**كيرلس:** لكن يقال أليس من الواجب أن يكون للإبن مثل كل هذه الأشياء التي ذكرتها؟

**إرميـــــا:** إظن تمامًا أنهم سيقولون، إن الإبن له هذه الأشياء بطريقة ما، وذلك لأن الآب قد وهبها له.

---

[٩٩] مز ١١٠: ١.

[١٠٠] وضعت الكنيسة هذا التعليم الخرستولوجي للقديس كيرلس في عبارات دقيقة يصلّي بها الكاهن في القداس الإلهي فيقول في الاعتراف قبل التناول مباشرة: «... بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين». الخولاجي المقدس، طبعة دير البراموس، ط٢، ص٢٧٨.

[١٠١] مرّة أخري يشدد ق. كيرلس علي إيمان الكنيسة بأقانيم الثالوث وفعل الآب وتتميم إرادته بالإبن في الروح القدس، أنظر ص٢٩١، هامش (٥٢).

**كيرلس:** وكيف لا يكون هذا الكلام هو هراء وتملّق بدون أي محتوي إذ أن الله الآب يقول بكل وضوح «وَمَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ»[102] ولا حتى كان سيسمح لأي من الكائنات وبالحري المختلفة عنه وأعني المختلفة في الجوهر عنه، أن تشاركه جلال عظمة إلوهيته. وفي أي أمر تكمن هذه العظمة إن لم تكن تتفوق في المجد، إلي الحدّ الذي لا يقارن مع الطبيعة المخلوقة؟ أم أنه ليس من الضروري أن نفكر أن مجد الألوهة لا يمكن الأقتراب منه أو الدخول إليه؟

**إرميـــــا:** من الضروري.

**كيرلس:** ثم كيف يمكن أن يكون للإبن خصائص الآب، بل وعلي ما اعتقد، وبطريقة ما، ألاَّ تكون خصائصه مختلفة عن تلك التي للآب؟ لأن دانيال الطوباوي في رؤياه النبوَّية، يُظهر لنا الله، مبيِّنًا قديم الأيام جالسًا علي العرش وحوله ألوف ألوف وربوات ربوات من الملائكة يخدمونه[103] كما أن إشعياء النبي يقول إن مجد الإبن ليس أقلَّ من هذا المجد إذ يذكر «رأيت السيد جالسًا علي كرسي عالٍ ومرتفع ومجده يملأ الهيكل. السرافيم واقفون حوله لكلٍّ واحد ستة أجنحة. بإثنين يغطوّن أرجلهم وبأثنين يطيرون، والواحد يصرخ للآخر»[104]، بنشيد قدوس قدوس قدوس، في البداية الواحد قباله الواحد منهم في صوت خفيض، ثم في صوت واحد مهيمن. ألا تعتقد إذن أن للإبن نفس المجد؟ لأنه إن كان له العرش المرتفع الواحد ونفس السمو وحوله تقف القوات السمائية التي تمثل خضوع وعبودية كل الخلائق له، مؤكدة مجد وسلطان ذلك الجالس علي العرش. فهل هناك مجال للتردد، أو كيف يمكن أن يكون هناك شك أن الجهل قد تفشي إلي الحد الذي يُعتقد فيه إن الإبن لا يتحلّى بالربوبية، بحسب الطبيعة مثل الآب تمامًا؟

**إرميـــــا:** هذا رائع. أنك تتكلّم بالصواب.

---

[102] إشعياء ٤٢: ٨.

[103] أنظر دانيال ٧: ٩-١٠.

[104] أنظر إشعياء ٦: ١-٣ (س): مع أن القديس كيرلس يذكر هنا أن للسرافيم ستة أجنحة إلّا أنه يشير إلي استخدام أربعة فقط وترك ذكر الأثنين الأخرين اللذين يُغطي بهما السرافيم وجوههم.

كيرلس: وبالتالي فأنت توافق أننا لا ننحرف بفكرنا أنا وأنت وأي شخص آخر يوافقنا الرأي، عندما نقول إن لمن هو الله حسب الطبيعة، الربوبية، والسلطان علي كل خليقة، وبصفة عامة فالكل ملك يديه، السماء والأرض وكل ما فيهما.

إرميــــا: بالتأكيد أنا أوافق.

كيرلس: إذن لله الآب كل ما يعيش في السماء، الملائكة ورؤساء الملائكة وأي شيء آخر بخلاف ذلك، لكن كل هؤلاء هم للإبن أيضًا. وأعتقد تمامًا ـ كما تعرف جيدًا ـ أن هذا ينسحب علي كل ما في الأرض.

إرميــــا: لقد تكلَّمت بالصواب قطعًا، ومع ذلك فإنك سوف تفعل شيئًا رائعًا لو أوضحَّت أن إيماننا يتفَّق مع الكتاب المقدس[١٠٥].

كيرلس: بالفعل لأن المرنم الملهم يقول «بَارِكُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ جُنُودِهِ، خُدَّامَهُ الْعَامِلِينَ مَرْضَاتَهُ»[١٠٦] فجميع الملائكة تعترف بسلطان الآب. ونفس المرنم ينبئ، بأن الإبن سيأتي في مجده في الوقت المناسب ليدين العالم فيقول «فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ»[١٠٧] أي سيأتي في الوقت المناسب ليجازي كل واحد حسب أعماله،

[١٠٥] اتفاق الإيمان مع ما جاء في الكتب المقدسة هو أمر جوهري لا يمكن التغاضي عنه ولقد استند كل أباء الكنيسة في تعاليهم العقائدية علي ما قد تسلّموه من إيمان في الكنيسة وكما تمَّ التعبير عنه في الكتاب المقدس. ولقد شدَّد ق. كيرلس علي هذا المبدأ في بداية حواره الأول حيث قال: [ «لست أدعي أنني سأقول شيئًا أفضل من الذي قاله اسلافنا أو أني سوف أسبر غور الأمور الروحية بشكل أحسن. لأننا نجد كفايتنا فيما كتبه الآباء القديسون، لأن مَنْ يقرر أن يتعرّف بحكمة علي الآباء ويستعمل كتاباتهم بالحرص الواجب فسوف يسكن النور الإلهي في عقله لأنه حسب كلام المخلّص «لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح ابيكم الذي يتكلّم فيكم وذلك لأن كل الكتاب هو موحي به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ»]. انظر ص٨، وكما أرسي ق. كيرلس هذا المبدأ في بداية الحوار الأول من حواراته السبع، نجده يبين فائدة اتباع هذا المبدأ في تجلي سرَّ الله لنا فيقول: «ألا تري انه إن تبعنا تعاليم القديسين فإنه من المؤكد أن وصولنا إلي الحقيقة سيكون أسهل وسيقودنا هذا إلي ما يُسِرّ الله وإلي معرفة ما أوصي به عن الإبن بواسطة الروح القدس؟». انظر ص١٥٢. للمزيد: انظر مقال الآباء والعقيدة: د. جوزيف موريس فلتس دورية دراسات آبائية ولاهوتية، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، يناير ١٩٩٨، السنة الأولي، العدد الأول ص٢٧.١٧. ومنذ وقت مبكر جدًا عبرّ الاباء عن هذا المفهوم، لذا نجد ان القديس إيرينايوس في القرن الثاني يوضح ارتباط الإيمان بما جاء في الكتاب المقدس إذ انه كان يعتقد أنه فقط في إطار الإيمان الذي استؤمنت عليه الكنيسة والمتضمَّن في التقليد الرسولي يمكن «للكلمة» الخاصة بالإعلان الإلهي في الكتب المقدسة إن تُفسرَّ بإمانة بدون إنحراف أو تجاوزات متجاسره أو عديمة التقوي، وحينئذ يمكن للمسيح ذاته ـ الكنز المخفي في هذه الكتب ـ أن يُعرَف معرفة حقيقية". أنظر توماس ف.تورانس. الإيمان بالثالوث. مرجع سابق ص٤٤.٤٣ حيث توجد المراجع.

[١٠٦] مز١٠٣: ٢١.

[١٠٧] مت١٦: ٢٧.

غير أننا نقول إنه لن يأتِ ومعه غرباء يفتخر برفقتهم إياه بل سيأتي ومعه الملائكة الذين يخدمونه إذ هم بالفعل تحت سلطانه ومُلكه.

إرميـــا: اتفق معك فيما تقول.

كيرلس: وعندما يرَّنم أيضًا داود الطوباوي لله الآب قائلاً «هَلُمَّ نَسْجُدُ وَنَرْكَعُ وَنَجْثُو أَمَامَ الرَّبِّ خَالِقِنَا، لأَنَّهُ هُوَ إِلهُنَا، وَنَحْنُ شَعْبُ مَرْعَاهُ وَغَنَمُ يَدِهِ»[108] فإن الإبن يقول إن كلَّ الخلائق العاقلة في العالم هي مِلكًا له، وذلك عندما يقول للآب عن كلِّ مَنْ آمن به من شعب إسرائيل «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي»[109] وعن مَنْ لم يؤمن به بعد يقول «وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هذِهِ الْحَظِيرَةِ»[110] وبالتالي فمن السهل علينا أن نثبت بشواهد عديدة أن الإبن يُمجَّد من الآب كونه إنسانًا مع أنه هو ربُّ المجد وهو شريك عرش الآب والجليس معه[111] دائمًا. أما هؤلاء الذين يدعون أن مجد الإبن هو مجد مكتسب والذين يقولون إن سلطانه ومُلكه علي كل الخليقة هو مستمد من خارجه فمن الصعب بل من المستحيل أن يتخَلُّوا عن عارهم وأن يهربوا من الدينونة.

إرميـــا: وبالتالي، لو كان سلطانه ومُلكه علي كلِّ الخليقة ليس غريبًا عنه ولا هو بالشيء المستمد من خارجه، لكن هو من خصائص جوهره. فحينئذ لن نستطيع إلاّ أن تقول ماذا أصاب بولس الطوباوي الذي أدعي أنه سيأتي وقت سينتهي فيه مُلكه إذ يقول «لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ: الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ. وَبَعْدَ ذلِكَ النِّهَايَةُ، مَتَى سَلَّمَ الْمُلْكَ لِلهِ الآبِ، مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ. لأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ.»[112] ها هنا نستطيع أن نقول إن هناك علامة

---

[108] مز ٩٥:٦.٧.

[109] يوحنا ١٠:٢٧.

[110] يوحنا ١٠:١٦.

[111] تكرار للعبارة التي جاءت من قبل في ص٢٨٢، ص ٣٠٥.

[112] اكو١٥:٢٢.٢٦. كثيرًا ما استخدم المعاندون الآيات من ٢٢.٢٦ من هذه الرسالة بالأضافة إلي الآيات التالية «لأنه اخضع كل شيء تحت قدميه ولكن حينما يقول أن كل شيء قد أخضع تواضح أنه غير الذي اخضع له الكل. ومتي اخضع له الكل فحينئذ الإبن نفسه أيضًا سيخضع للذي اخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل» (٢٧.٢٨ =

فارقة علي انتهاء مُلكِه وهي أن كل الرئاسة والموت سيبطلان. لأنه سُيعطى السُلْطة لله الآب فقط.

**كيرلس:** فلنبعد عنَّا مثل هذه الأفكار الهزيلة لأن مَنْ يؤمن هكذا وينطق بمثل هذا الكلام يكون قد ابتعد عن كَرمِهِ وانحرف في طريق يقوده إلي موضع خلاء، ماشيًا في صحراء قاحلة ويحفر لنفسه آبارًا مشققة لا تضبط ماء كما هو مكتوب[113]، لأن بولس الرسول لا يقول إن الإبن سيترك عنه تاج المُلْك والسُلْطة علي الكلِّ، لأن الرسول ـ كما أعتقد ـ كان يعرف ما قد انشد به داوِد علي قيثارته الروحيَّة، وبوحي من الروح رتَّل للإبن قائلاً «كُرْسِيُّكَ يَا اللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ.»[114]. وماذا سيفعل هؤلاء الذين بكّل وقاحة يتبنَّون كلَّ ما يجذب الإنتباه، والذين لهم عقولاً غير مثقفة، عندما يسمعون غبريال الملاك وهو يبشِّر العذراء القديسة بشأن المسيح؟ لأنه قال «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ»[115]. فطالما تنبأ رجل قديس عن مجيء مُلك الإبن الذي لا فناء له، وقد صدَّق صوت الملاك علي هذه الحقيقة، فإني أعتقد أنه لابد وأن يوافق علي ذلك كل مَنْ كان له عقل وذو نيَّة حسنة وأن يرفض كل مَنْ يلهون، وبعقول مشتتة يقولون إنه ينبغي أن نؤمن بغير هذا، إذ أن الناموس ينادي بأن «عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثلاثة تقوم كل كلمة»[116]. أم أنك لا تظن أن ما يقولونه هو مملوء بعدم التقوي والبغض والاعتراض؟

---

=من نفس الرسالة) ورغم عدم إشارة ق. كيرلس إلي هذه الآيات إلي أنه أعطي التفسير السليم لها من خلال ما أورده هنا من آيات. ولقد انشغل بعض آباء الكنيسة بشرح المعني الصحيح لهاتين الآتين بالتحديد. انظر مثلًا: «خضوع الإبن للآب (شرح المعني الصحيح للآية). القديس غريغوريوس النيسي، ترجمة د. سعيد حكيم، مراجعه د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، يونيو ٢٠٠٥.

[113] انظر أمثال ٩: ١٢.

[114] مز ٤٥: ٦.

[115] لوقا ١: ٣٠-٣٣.

[116] تث ١٧: ٦، انظر أيضًا مت ١٨: ١٦.

**إرميـــــا**: أوافقك علي ما تقول، غير أني أعرف أن المعارضين لا يتفقون معنا.

**كيرلس**: نحن نُفضل أن نؤمن إيمانًا سليمًا ونتعلّم، علي أن نسكن إلي جهل هؤلاء ونتركهم يقولون ما يعتقدون أنه صواب. وعلي العكس نحن نتجنّب بإستمرار وعلي قدر الإمكان اختراعات عقولهم الخارقة، محاولين بكل طاقاتنا ألاّ نقع في شباك أضاليلهم الكاذبة، مسبّحين في داخلنا وقائلين «مُبَارَكٌ الرَّبُّ الَّذِي لَمْ يُسْلِمْنَا فَرِيسَةً لأَسْنَانِهِمْ»[117]، ولأن كلام الأمثال الحكيمة يصرخ فينا قائلاً إن «تَدَابِيرُ الأَشْرَارِ غِشٌّ»[118]. فلَنُقل كلَّ ما يساعد علي فائدة كل الذين يدرسون وكل ما يعمل علي تفنيد هجوم الضلال. فالقديس بولس إذن، يكتب لهؤلاء الذين تبرَّروا بالإيمان وتمسكّوا بالرجاء ويقول «لِذلِكَ وَنَحْنُ قَابِلُونَ مَلَكُوتًا لاَ يَتَزَعْزَعُ لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ بِهِ نَخْدِمُ اللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى»[119] .فهل تستطيع يا صديقي أن تخبرني- أي ملكوت يمكننا أن نحدّث هؤلاء، كي يتذّكروه؟ وإنتبه لأن الرسول يقول أن هذا الملكوت سيكون ثابت وغير مهتز لأن هذا علي ما اعتقد ضد معني كلمة «لا يتزعزع».

**إرميـــــا**: لا أستطيع أن أجيبك بوضوح كامل لأني كنت أريد بدوري أن أسألك في هذا الشأن.

**كيرلس**: إذن فلنفحص الأمر معًا طالما أن هذه هي رغبتك، ونقول أي من المُلكين يقصد، هي يقصد مُلك الإبن، أم المُلك الذي سيعطي للقديسين. فلو قالوا إن مُلك وعلو الإبن هو أسمي من أن يُعطي وينتقل، فإني أظن أن المعارضين سيحمرون خجلاً بقولهم هذه السخافات، ولو أنهم أبعدوا وفصلوا الإبن عن مُلكه وقالوا إن المُلك بالنسبة للقديسين لا أهمية له، فإنهم هكذا يُظهرون أن القديسين أعلي من المسيح نفسه منه طالما أن المسيح سيتخّلي عن ملكه أما هم فإن مجدهم سيبقي دائمًا كما هو كما أن فرحهم كامل ودائم.

**إرميـــــا**: إنك تتكلّم بالصواب.

[117] مز١٢٤:٦.

[118] أمثال ١٢:٥.

[119] عب ١٢:٢٨.

كيرلس: لكن كيف لا يكون الأمر الذي يجعل من وشايتهم المملوءه بالجهل، مثالاً حيًّاً للهذيان؟ لأنه لا يليق بأي شخص آخر سوي المسيح أن يكون له المُلك والسلطان علي الكلّ. ومُلكه ليس هو عطيّة تمنح له من الخارج مثلما يحدث معنا، لأن مُلكه هو حسب طبيعته أما نحن «إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضًا مَعَهُ»[120] كما هو مكتوب. إذن فهو له السلطة أن يملك أما نحن فقد كُرمنا بالتبني كي نكون شاكرين له بطريقة ما. بمعني أن القديسين سيملكون مع المسيح الذي سيملك علي الكل. وحينئذ كيف ستكون كرامة هذا السلطان غير متزعزعه وكيف سيملكون للأبد إن كان سلطان المسيح الذي يقولون انهم سيشتركون فيه، سيتزعزع في وقت ما وسينتهي؟ وإن كان مَنْ يمنح هذا السلطان لهم قد توقف عن ممارسة سلطته، فإين يكمن مُلكهم وسلطانهم؟ وما هو الأساس التي ستبني عليه شركتهم إن كان مَنْ قد دعاهم للمُلك غير قادر أن يهبهم هذا المُلك ؟ أم أنه من غير الضروري أن يسقط مَنْ يَدعمون مع مَنْ يُدعمون أو أن تهدم الأدوار العليا مع سقوط الأساسات إذن. كما يقولون. عندما تتزعزع أسس المجد والسعادة فحينئذ سيؤل رجاء القديسين إلي الخزي والعار.

ارميـــا: بالفعل سيؤل إلي ذلك طالما أن الكلام هو واضح وصريح.

كيرلس: وماذا أصاب خادم الأسرار الإلهية حتى أنه يدعو ملكوت الله بأنه ملكوت المسيح لأنه يكتب ما يلي «فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ هذَا أَنَّ كُلَّ زَانٍ أَوْ نَجِسٍ أَوْ طَمَّاعٍ الَّذِي هُوَ عَابِدٌ لِلأَوْثَانِ لَيْسَ لَهُ مِيرَاثٌ فِي مَلَكُوتِ الْمَسِيحِ وَاللهِ»[121] لإني لن أتردد بالمرّة في أن أقول إن مَنْ لديه الحق في الإدانة لابد بالتبعية أن يكون هو الله. أم نستطيع، يا أرميا أن نفكر في أن هذه الأمور ليست كذلك؟

ارميـــا: بل هي بالحري كذلك لأنه لو هو الله فسيكون بالتأكيد هو ملك.

كيرلس: لو أن مجده قد بَطُلَ حينًا، لكان قد كفَّ عن أن يكون هو الله، وأن يكون هو الحياة بالتأكيد أو أن يكون هو النور. وهل تستطيع يا صديقي أن تخبرني ماذا ستكون طبيعة الأبن عندما تكون عارية من الإلوهة ومن المُلك أو من أن تكون هي النور، بل أن تكون عاجزة عن أن تُعطي حياة لمن يفتقد الحياة؟

[120] ٢تيمو٢: ١٢.

[121] اف٥: ٥.

**إرميـــــا**: لا أستطيع حتى مجرَّد التفكير في هذا الأمر.

**كيرلس**: إنما يوجد أمر آخر يمكن أن يُقنع بالأكثر، هؤلاء الذين يعارضوننا.

**إرميـــــا**: وما هو هذا الأمر؟

**كيرلس**: ما هو الوقت الذي سيسلِم فيه الإبن ـ حسبما يعتقدون ـ المُلك لله الآب؟

**إرميـــــا**: سأجاوب وأقول أننا لا نستطيع أن نجزم في هذا الأمر، لأن القديس بولس قد حدد هذا عندما قال «الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ. وَبَعْدَ ذلِكَ النِّهَايَةُ، مَتَى سَلَّمَ الْمُلْكَ للهِ الآبِ، مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ. لأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ»[١٢٢]

**كيرلس**: هم يقولون: إنه عندما يشيخ ـ بطريقة ما ـ هذا العالم ويصل الزمان لنهايته، حينئذ سيسلِم الإبن المُلك لله الآب. غير أن الإبن يملك علي الكل ومجده مجد يليق بالله، وذلك لأن الآب يقول له «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ»[١٢٣].

**إرميـــــا**: هذا حق.

**كيرلس**: وحسب قولهم السابق، دعنا نسأل إذن هل يجلس الإبن علي العرش نفسه مع الآب وبمجد مساوٍ له طالما إن أعداؤه لم يستسلموا له بعد (لأنهم لم يتراجعوا عن فكرهم ولم يتنصلوا مما قالوه، عن تسليم الإبن المُلك للآب)، وهل سيترك الإبن عرشه عندما سينطرح هؤلاء أمامه علي الأرض ويسلّمون له عقلهم الجامح بغير حدود طالبين منه الرحمة؟ وماذا سيستفيد الإبن من هذا؟ ولمن كانوا خاضعين طوال هذا الوقت وهم الذين قد خضعوا الآن فقط.

لأنه إن كانوا يقدّمون خضوعًا في الوقت ذاته الذي يترك فيه الإبن عرشه، لما كان هناك هدف نهائي لتدبير تجسُّد الإبن. أنا من جانبي لا أستطيع أن أفهم، أما أنت فماذا تقول يا صديقي؟

[١٢٢] ١كو١٥: ٢٣-٢٦. الاستشهاد هنا علي لسان إرميا، بما قاله القديس بولس للاستفسار عن زمن تسليم المُلك للآب، وقد سبق أن استشهد إرميا بنفس هذا الشاهد للسؤال عن السبب في تسليم الإبن الملك للآب، راجع ص٣٠٥.

[١٢٣] مز١١٠: ١.

**إرميـــــا**: وأنا أيضًا لا أفهم ذلك.

**كيرلس**: هيَّا لنفحص أمرًا آخرًا.

**إرميـــــا**: أليس هذا زمنًا أفضل بالنسبة للإبن الوحيد والذي فيه يكون مستسلمًا لضرورة الطاعة كما يقول بعض معارضيه بدلاً من الزمن الذي يكون فيه مضطرًا لأن يترك مُلكه طالما أن أعداؤه قد خضعوا له وأن مَنْ كانوا يحاربونه قد صاروا عبيدًا؟!

**إرميـــــا**: هذا صحيح علي ما يبدو!

**كيرلس**: سأضيف شيئًا علي ما سبق أن قيل وبدون أن أخشي أن أقول الآتي: إن الآب وكما هو واضح قد جعل الأعداء يخضعون للإبن، وعاقب هؤلاء الذين كانوا لا يحبونه وأعد نهاية مُلك الإبن، لأنه قد تكّلم بلسان داود قائلاً «وَأَسْحَقُ أَعْدَاءَهُ أَمَامَ وَجْهِهِ، وَأَضْرِبُ مُبْغِضِيهِ»[١٢٤] ويمكن أن ندرك كيف أن الإبن ظهر وكأنه تجاهل تلك الأمور التي كان يمكنها أن تُظهر مجده الأزلي غير المحدود. لإنه لو لم يكن الأمر كذلك لمَاَ رأي المسيح إنه من الواجب أن يدعو كل هؤلاء الجامحين والذين لم يخضعوا بالإيمان بسبب شكوكهم، ويقول «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ»[١٢٥] أم أنه وهو يقول هذا كما لو كان يهدفُ أن تأتي نهاية مُلكه ومجده سريعًا، إذ أنه عندما سيخضعون له سوف لا يكون بعد هو السيِّد؟

**إرميـــــا**: بالفعل.

**كيرلس**: وهل يمكنني أن أقول إن الآب نفسه كان غير صادق حين قال للإبن عندما صار إنسانًا «اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكًا لَكَ»[١٢٦] لأنه كيف كان ممن الممكن أن يُدرك أن هذا هو ميراث الإبن إن كان سيُسّلم للآب؟ وكيف يمكن للسيادة المطلقة أن تكون كلمتها ثابتة كما يليق بها، عندما يتبّدل ما قد أُعطيَّ وعندما يتزعزع ما هو ثابت؟

[١٢٤] مز٨٩: ٢٣.

[١٢٥] مت١١: ٢٨، ٢٩.

[١٢٦] مز٢: ٨.

إرميـــــا: أعتقد أن مواجهة هذه الأمور كانت أمرًا ضروريًا، وموقفًا رجوليًا. ونستطيع بكل سرور أن نستمر في البحث فيما يتعلَّق بما قد قيل. لأني في الحقيقة لا أستطيع في نهاية الأمر أن أفهم معني الإشارة إلي تسليم الإبن المُلك لله الآب.

كيرلس: ألا تتفق معي يا رجل، في أن الخطيَّة الراسخة قد ملكت وأن الموت والفساد قد ساد علينا بجبروت، وإن الهاوية قد وسعَّت نفسها وفغرت فاهًا بلا حد كما هو مكتوب[١٢٧].

إرميـــــا: بالفعل، والأمر واضح جدًا.

كيرلس: وغير ذلك، فأرواح هذ العالم الشريرة ورئيسهم، الذي أستطاع أن يسيِّطر بطريقة ما علي كل المسكونة واضعًا إياهم تحت أقدامه، ألم يدع نفسه أنه إله هذا الدهر، وهذه الأرواح قوات ورئاسات وسلاطين بل وولاة العالم؟[١٢٨]

إرميـــــا: بالفعل.

كيرلس: لكن الإبن جاء إلي العالم حتى يبدد ويمحو كل هذا، وإذ طرد عنا كل هؤلاء الذين كانوا منذ القديم يسودون علينا ويمارسون بجبروت سلطانهم ضدنا، فإن قدرة الله تلمع بوضوح وتنتشر في كل الأرض، فتمحي الخطية بالإيمان، وبواسطة الصليب تنقلب الرئاسات والقوَّات، هذا من جهة ومن جهة أخري، يندحر الموت بقيامته من بين الأموات[١٢٩]. لقد عهد الآب إذن لقوَّته أي للإبن أن يفعل كل هذه الأمور، فأعاد وجدّد كل المسكونة وأرجعها إلي حالتها الأولي، أي قبل السقوط. ولهذا قال الإبن مخاطبًا الآب «أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ»[١٣٠].

---

[١٢٧] إشعياء٥: ١٤.

[١٢٨] راجع أفسس ٦: ١٢.

[١٢٩] يعدِّد ق. كيرلس نتائج سرَّ التدبير الإلهي الذي اتمه الإبن بتجسده، وموته علي الصليب الذي به تنقلب الرئاسات والقوات وبقيامته التي تدحر الموت وتبيده ولقد سبق أن شرح ق. أثناسيوس هذه النتائج بالتفصيل في كتابه «تجسُّد الكلمة»، ويُجمل هذه النتائج في فصل٣١. انظر: «تجسُّد الكلمة» القديس أثناسيوس، المرجع السابق.

[١٣٠] يوحنا ١٧: ٤. وهنا يُعيد ق. كيرلس استخدام هذه الآية لايضاح الأعمال الإلهية التي اتمها الإبن حال تجسُّده حيث غلب الأرواح الشريرة ووضعها تحت أقدامه وحرَّر جنس البشر من سطوتهم، ودحر الموت بقيامته، وكان ق. كيرلس قد سبق واستخدمها للرد علي مَنْ يتهمون الإبن بأنه يستمد عظمته ومجده وسلطانه من الآب، انظر ص٢٩٤.

**إرميــــا:** لقد تكَّملت بشكل رائع.

**كيرلس:** انتبه إذن، لأنه حتى في وقتنا هذا فإن الفساد يسيطر بشكل جبار، ولم تختفِ الخطيَّة بشكل كامل، بل إن الشيطان الماكر والمحتال يملك علي غير المؤمنين، ويخدع أولئك الذين لم يدركوا خداع الشياطين وضلال هذا العالم الحاضر. لكن عندما سيأتي الوقت الذي فيه ستضمحل قوَّة الموت وتنتهي سيادة الخطيَّة وتنقضي تمامًا أطماع الشيطان، حينئذ سينزع الإبن السلطة بكاملها من الماكر وسيسلم المُلك لله الآب. لأن الإبن الوحيد هو الذي سيملك بواسطة الآب ومعه. وهكذا نري أن ق. يوحنا قد كتب بالوحي الإلهي ما قد أتَّمه الإبن بكل نجاح من خلال سرِّ التَجسُّد. وكأن ملكوت الله كان قد أغتصب ـ بطريقة ما ـ بواسطة آخرين، فجاء الإبن، ليستردّه ويسلّمه للآب بعد أن خلّصه من أيدي مغتصبيه، دون أن يكون هو بذاته بعيدًا عن ملكوت الآب، لأنه بالتأكيد سيملك مع أبيه وإذ هو بالحقيقة القوَّة الحيَّة، فمن اللائق أن ندرك إنه قد أتمَّ كلَّ هذا.

كما يمكننا أن نعلم مما كتبه لنا دانيال، أن ملكوت المسيح لن ينتهي، مع أنه يقال إنه سيحصل عليه، وذلك عندما رأي ـ بطريقة ما ـ الإبن الوحيد في هيئة إنسان، فقال: «وَفِي أَيامِ هؤُلاَءِ الْمُلُوكِ، يُقِيمُ إِلهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا، وَمَلِكُهَا لاَ يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هذِهِ الْمَمَالِكِ، وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ»[١٣١].

وبعد ذلك يقول إنه «رأي» ويكمل «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ»[١٣٢].

[١٣١] دانيال ٢:٤٤.

[١٣٢] دانيال ٧:١٣-١٤.

## ٣ـ هل يستمد الإبن من الآب القدرة علي العمل؟

**إرميــــــا:** إن القناعة بما قد قيل هو أمر واضح وسليم.

**كيرلس:** لا تضطرب أيها الشجاع لهذا الأمر[١٣٣] لأنه من الواضح أن سلطان ومجد الإبن الوحيد سيظّل ثابتًا غير متزعزع، بل سيكون لطبيعته دائمًا هذا المجد وهذا السلطان. لأنه من غير الممكن أن يتغيرَّ مَنْ له القدرة حسب طبيعته علي أن يشفي متخلّيًا عن هذه الطبيعة التي هي أسمي وأبعد عن كل تغيرّ أنه بسبب أن أحد هؤلاء الذين سبق أن تكلّمت عنهم، ممن يتفوهون بكلام معوّج بغير فهم وفي حدة واضحة، يستهزئُ بنا. حقًا، فليجحز المقاتل كل أسلحته وليستعد كما قال النبي[١٣٤] للمواجهة.

**إرميــــــا:** أنت تعلم تمامًا ماذا ستفعل، لأنك هكذا سترفع عن كاهلنا تعبًا كثيرًا، إذ سوف تبحث هذا الأمر جيدًا. هم يقولون لنا: كيف لا يملك مَنْ هو جليس مع الآب ـ كما تقولون ـ ومَنْ يمسك صولجان يليق بالله، قوّة خاصة به كما هو مكتوب؟ لأن هذه القوّة معطاة له من الآب. ويمكن أن نعلم هذا من كلام المخلّص نفسه لأنه يقول: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ»[١٣٥] ثم بعد ذلك يقول «أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي»[١٣٦].

**كيرلس:** إن كلام المعاندين الوقح، يَظن أن الإبن الذي وُلِدَ من الآب تنقصه القوّة التي تلائم الله وأنه بالفعل غير قادر علي العمل بل وضعيف. ويمكن بسهولة أن نرد نحن علي هذا الكلام وأيضًا يمكن للمسيح نفسه أن يرد بكلامه عليهم فهو يقول: «أَلَيْسَ لِهذَا تَضِلُّونَ، إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللهِ»[١٣٧]، لأنه كما أنه هو صورة الآب وهو الحكمة والمجد وهو شعاع مجده

---

[١٣٣] أي لما يقوله المعاندون والذي يتعارض مع رؤية دانيال.

[١٣٤] مز٥٧:٨.

[١٣٥] يو٥:١٩.

[١٣٦] يو٥:٣٠.

[١٣٧] مرقس١٢:٢٤.

وهو الختم[١٣٨]، فهكذا أيضًا يمكن أن يُدَرك علي أنه هو القوَّة التي خُلِقَ بها كل ما كان وما سيكون لأنه مكتوب «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[١٣٩]. بمعني أنه مثلما يصنع هؤلاء الذين يتقَّنون العمل اليدوي بالنحاس أو الأحجار، كل مشغولاتهم بأيديهم[١٤٠] وخبرتهم الفائقة وليس بأي آله أخري، فكهذا ـ علي ما أعتقد فإن الله الآب يخلق ما يريد بقوَّة الإبن كما لو كانت قوَّته الذاتية. لهذا فإن داود الطوباوي إذ هو مُدرك أن الإبن هو القوَّة الذاتية للآب فإنه يرجوه قائلاً :«اللهم مُرْ قوتك، القوة التي من أجلنا أعملتها»[١٤١] كما أن ق. بولس الحكيم جدًا قد دعا المسيح قائلاً إنه «فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ»[١٤٢].

**ارميـــــا:** وهم أيضًا لن يقولوا إن الإبن لا قوَّة له ولا حتي إنه قد مُنِحَ هذه القوَّة في زمن معيَّن مثل تلك التي حصل عليها الأنبياء والرسل، لكنه قد حصل علي هذه القوَّة في لحظة وجوده، والتي يستطيع بها أن يفعل ما يريد.

---

[١٣٨] يعاود ق. كيرلس استخدام نفس المصطلحات التي تدل علي إلوهيه الإبن وعلاقته الأقنومية بالآب والتي سبق أن أستخدمها من قبل (أنظر ص٢٧٦، ٢٨٤) ليوضّح عمل الإبن المتجسد بكونه هو إله حق من إله حق وكيف أنه . بسبب تجسّده . قد حلَّ الروح القدس عليه ويقال أنه تقدّس، وأيضًا لاثبات أن الروح القدس هو روح الإبن أيضًا. وهنا يضيف أيضاحًا آخرً لمعني المكتوب «كل شيء به كان» فبسبب أن الإبن هو صورة الآب والحكمة والمجد وهو شعاع مجده وهو الختم، فإنه يمكن أن يُدرك علي أنه هو القوة التي خُلق بها كل ما كان وأن هذه القوة لم تنقصه ولم تعطي له من خارجه.

[١٣٩] يو ١: ٣.

[١٤٠] يستخدم ق. كيرلس هذا التشبيه، ليؤكد علي وحدة الإبن في الجوهر، مع الآب. فالإبن . حسب هذا التشبيه . هو يد الآب الذي يخلق به كل شيء. ولقد سبق أن القديس إيرينايوس وفي القرن الثاني الميلادي، قد دعي الإبن والروح القدس أنهما يدي الله. انظر شرح الكرازة الرسولية: ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، د. جورج عوض إبراهيم، المركز الأرثوذكسي للدراسات الابائية، أغسطس ٢٠٠٥، ص ٧٦. وفي جزء آخر من الحوار حول الثالوث أشار ق. كيرلس إلي ما يفعله المعاندين الذين يخدعون عقول البسطاء بأفكار جذاّبة وشكلّية مشبّهًا إياهم بهؤلاء الصناع المهرّة صانعي التماثيل لأنهم «ينحتون الخشب أو الصخر ويعطونه شكلاً إنسانيًا ثم يضيفون عليه من الخارج قشرة من الذهب أو ألوانًا أخري جذابة حتى يفتنوا العيون التي تنظر إليها. وهكذا يصرفون النظر عن التمتع بما هو مخفي من الداخل ويصلون إلي أقناع الناظرين بأن يستنفذوا كل فرحهم واهتمامهم بالشكل الخارجي الفاني». انظر ص ٣٦-٣٧. وفي حواره الرابع يعود لاستخدام نفس التشبيه تقريبًا لكن لايضاح أن هذه الأعمال الفنيَّة التي يعملها «الإنسان بيديه» لا تستطيع أن تعمل ما يعمله الإنسان بنفسه، وحتى تلك التي خُلقت باليد الإلهية لا تستطيع أن تعمل ما يعمله الله ذاته، وبالتالي فالإبن الذي يعتقد المعاندين أنه ضمن المخلوقات لا يستطيع أن يعمل الأعمال الإلهية. وفي مقابل فكر الهراطقة هذا يؤكد ق. كيرلس أنه «لأن الإبن قد خَلَقَ وفَعَلَ، لا يمكن أن يكون هو نفسه مخلوقًا من بين المخلوقات التي خلقتها اليد الإلهية أو يكون قد خُلِق من العدم ليصير خالقًا. فهو يملك خاصية الخلق هذه في جوهره وبدرجة ليست أقلَّ مما يملكه الآب ذاته». انظر ص ٢٠٥.

[١٤١] مز٦٨: ٢٩(س).

[١٤٢] ١كو١: ٢٤.

**كيرلس:** إن أعدائنا أغبياء[١٤٣]، كما يقول الكتاب[١٤٤]. لأنه من الواضح أنهم يجهلون الأمر الذي نتحدَّث عنه. فنحن لا نناقش متي بالضبط أو بأي طريقة قد أعطي الآب القوَّة للإبن، لكن نبحث في أن هذه الخاصية - بصفة عامة - هل هي معطاة أم أنها تخص جوهره. لأنه لن يفيد طبيعة الإبن شيئًا أن تكون غير معيبة لو قلنا إن الإبن قد أُعطيَّ هذه القوَّة من الآب في بداية الخليقة. لأن التجديف لا يكمن في الأساس في القول إن الإبن ينقصه شيء أو لأنه كان في احتياج للقوَّة، لكن في القول إنه قد أضيف للإبن شيء تملكه بقية المخلوقات. فهل يجب - بالضرورة أن تتخَّيل أن طبيعة الإبن تحتاج أن تأخذ قوَّة، وهذا قد صار لها بمساعدات خارجية؟ وماذا ستكون إجابتهم علي هذا السؤال؟

**إرميـــــا:** وأي سؤال؟

**كيرلس:** هل نستطيع أن تقول إن مَنْ يتقوي بواسطة آخر هو مَنْ يُعِطي القوَّة أم أنه شخص آخر منفصل عنه؟

**إرميـــــا:** أعتقد أنه شخص آخر.

**كيرلس:** فلو كانت - حسب اعتقادهم - القوَّة المعطاة للإبن هي قوَّة الله الآب، فحينئذ سيُضبط (الآب) وهو يعطي قوة لقوَّته. كيف لا يكون هذا الكلام مثيرًا للضحك، بل وللضحك الكثير أو بالحري مثيرًا للحمق الشديد؟

**إرميـــــا:** بالفعل.

**كيرلس:** لنتمسك إذن بالثقة في الكتب المقدسة[١٤٥] ولنتبع - بطريقة ما - الطريق الذي اختبره الحكماء، ونقول إن الإبن ذاته هو قوَّة الله الآب، وفورًا نستكمل قائلين إنه به ومعه خَلَقَ - بطريقة غير موصوفة - كل شيء، أي بَسَطَ السماء وكل ما فيها وأسس الأرض وكل ما عليها، كما أنه صنع ملائكته أرواحًا

---

[١٤٣] سبق أن أستخدم ق. كيرلس هذه العبارة نفسها (راجع ص١٩) وذلك لبيان عدم فهم المعاندين لسرّ التدبير الإلهي والأمور المختصة بتجسُّد **الكلمة** ويُرجع ذلك إلي طريقتهم الخاطئة في تفسير ما ورد في الكتاب المقدس من آيات تخص الإبن حال تجسُّده.

[١٤٤] تث٣٢: ٣١.

[١٤٥] يعاود ق. كيرلس التشديد علي أهمية التمسك بالكتب المقدسة الأمر الذي سبق أن أشار إليه من قبل، أنظر ص١٩، هامش رقم (٤١).

وخدامه لهيب نار ملتهبة[١٤٦]. لكن عندما تعهَّد الإبن الوحيد ـ برضي الآب ـ أن يخلِّص كل المسكونة، فصار مَنْ هو قوَّة ومجد الآب، إنسانًا منح الحياة للأموات وأقام من القبور الذين قد ذاقوا الموت وطَرد الأرواح النجسة من البشر أعطي نورًا وبصرًا للعميان وأجري معجزات شبيهه، لها نفس القوة، بسلطان يليق بالله[١٤٧].

**ارميـــا**: لكن يقال إن الآب كان هو الفاعل لكلٍّ هذا من خلاله.

**كيرلس**: لو سألناهم لنعرف كيف وبأي طريقة عَمِلَ الآب، فإنهم لن يستطيعوا الإجابة. هل يمكن أن يكون الآب قد عملَ من خلال الإبن كأداة لخدمة مشيئته (الآب)؟ وإنه بالفعل أمر حقيقي وسامي أن الآب قد عمل بالإبن، وكأنه يعمل بقوَّته الذاتية؟ أما إن ترك هؤلاء البائسين هذا الأمر السامي وأهملوا هذه الحقيقة بالتمام فإنهم سينسبون له هذه القوة علي أنها مجَّرد أداة خارجية، وحينئذ لابد أن يعلموا أنهم بفكرهم هذا فإن مجده ونعمته سيفقدان كل بهاء وسيضمحلان. لأن الكتاب المقدس يوضح لنا أن الفعل الذي يتم بإداة خارجية ليس بشيء في حد ذاته، كما أن الفخر الذي ينتج من هذه الأفعال يعود فقط علي مَنْ يقوم بها. لأن الله قد قال مرَّة «هَلْ تَفْتَخِرُ الْفَأْسُ عَلَى الْقَاطِعِ بِهَا، أَوْ يَتَكَبَّرُ الْمِنْشَارُ عَلَى مُرَدِّدِهِ؟»[١٤٨] وبالتالي فلن نبالي فيما يخص طبيعة الإبن، مع أنه هو الله، طالما أن فعله هذا لا يخص طبيعته، لكن يشبه أداه صماء وقد أدي مشيئة مَنْ قد جعله يفعل شيئًا. وطالما كانت طبيعة الإبن هكذا (وهنا تتضح تخاريف معاندينا) لماذا إذن يصرخ الإبن فينا قائلاً: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ»[١٤٩] بالإضافة إلي هذا فإنه وبكل وضوح وعلانية قد وصف طبيعته بالكرامة المساوية (التي للآب) فقال بغير تحفظ «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ

---

[١٤٦] انظر مز ١٠٤ : ٤.

[١٤٧] يتبع ق. كيرلس هنا، منهج ق. أثناسيوس الذي دافع فيه عن الوهيه الإبن المتجسد من خلال عمله فينا. فما تممه المسيح فينا يثبت أنه هو الإله المتجسِّد الذي اتم إعماله فينا بسلطان يليق بالله. أنظر: «تجسُّد الكلمة»، مرجع سابق، المقدمة ص١٣م ـ ٢٣م، وأيضًا في الحوار الثالث حول الثالوث، اورد ق. كيرلس عدة آيات أخري بالإضافة إلي ما أورده ق. أثناسيوس، رأي فيها دليلاً واضحًا علي الوهيه الإبن من خلال عمله فينا. انظر: الحوار الثالث، المقدّمة ص٤٩م ـ ٦٤م.

[١٤٨] إشعياء ١٠ : ١٥.

[١٤٩] يوحناه : ١٧.

الأَمْوَاتَ وَيحْيِي، كَذلِكَ الابْنُ أَيْضًا يحْيِي مَنْ يَشَاءُ»[150]. وكيف لا يكون من المفهوم والذي لا يقبل شك، أنه لا يشير بالمرَّة إلي عمله هو، لكنه يحيل اتمام كلَّ ما قد صار إلي الله الآب قائلاً: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ»، أي بواسطتي ومعي، وأيضًا يحيي مَنْ يشاء. وهذا لم يقله فقط، لكنه ـ بطريقة ما ـ عندما ميّز نفسه وأعطي لقوَّته الخاصة أن تفعل ما يريده، بطريقة لا تقل عما يفعله الآب، فقد أظهر بوضوح، أنه طالما قد جاء من جوهر الله الآب، وله اقنومه الخاص، فهو يملك القوَّة عينها في طبيعته والتي يستطيع بها أن يفعل ما يريد. أي أنه لا ينال بمعيار ما هو بالنسبة إلينا غير مُستطاع وفائق، فنقبله بما يتناسب معنا، فهذه القوَّة التي لا يمكن لنا أن ندركها، هي الإبن ذاته، وهي قوَّة حيَّة قائمة بذاتها تنبع وبطريقة لا توصف من الآب كما من نبع[151]، وهي متحّلية بخصائص الإلوهه وبطريقة جوهرية وليست بطريقة مكتسبة.

**إرميـــا:** أنك تتكلَّم بطريقة جيدة.

**كيرلس:** هكذا أيضًا تكَّلم موسي النبي: «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ»[152]، كما أن داود النبي العظيم وهو يعرف جيدًا أن القوَّة التي جاءت من عند الله والتي توجد فيه هي الإبن، وهو ليس بغريب عنه، فقد كتب قائلاً «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَ»[153]. وقل لي، أليس الكلمة الذي أتي من الله الآب ويوجد معه هو متمايز عنه من حيث الأقنوم؟

**إرميـــا:** بالتأكيد هو متمايز عنه من حيث الأقنوم مع أنه واحد معه من حيث الجوهر.

**كيرلس:** وطالما أن الآب قد أحضر كل شيء إلي الوجود وبَسَطَ السماء، فكيف يكون الكلمة هو خالق كل هذه الأشياء؟

---

[150] يوحنا ٥:٢١.

[151] كثيرًا ما يصف آباء الكنيسة ولاده الإبن من جوهر الآب بتشبيهات عديدة مثل الشمس والشعاع. انظر مثلًا ق. أثناسيوس، الرسائل عن الروح القدس إلي الأسقف سرابيون، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ط٢، نوفمبر ٢٠٠٥، الرسالة الأولي فقرات: ١٦، ١٩، ٢٠، ٣٠ الرسالة الثانية فقرة ٥:٢. وأيضًا ق. كيرلس، حوار حول الثالوث، انظر ص٥. وهنا أيضًا يتبع ق. أثناسيوس في وصف هذه العلاقة الجوهرية بتشبيه الينبوع والنهر «الآب يدعي ينبوعًا»... والإبن من جهة علاقته بالينبوع يُدعي نهرًا". انظر ق. أثناسيوس، المرجع السابق، فقرة ١٩ ص٦٢.

[152] تكوين١:١.

[153] مز ٣٣:٦.

**إرميـــــا:** أنت تستطيع الإجابة علي هذا، أما أنا فأريد أن أتعَّلم.

**كيرلس:** بكل سرور. لكن الكلام صعب وملء بالأمور الدقيقة. إننا نؤمن، كما تؤمن الملائكة أن الإلوهه الواحدة هي في الثالوث القدوس المساوي. والآب مثلما الإبن والروح القدس، لكل منهم أقنومه الخاص الكامل في كل شيء. لكن مشيئة الخلق لكل من هذه الأقانيم الثلاثة، والتي يقال أنها تحققت بواسطة أي منهم، هي بالفعل مشيئته ولكن تأتي من الإلوهه كلها وهي ثمرة الجوهر غير المخلوق، ومع أن مشيئة الخلق هذه هي أمر مشترك بين الأقانيم الثلاثة إلاّ أنها تنسب لكل أقنوم علي حده. هكذا فهي تُنسب للثلاثة أقانيم كما تنسب علي حده لكل أقنوم إذ هو كامل في كل شيء، وهكذا فإن الآب يفعل كل شيء من خلال الإبن بالروح القدس[154]. كما أن الإبن يفعل كل شيء بكونه هو قوّة الآب حيث إنه يأتي منه ويعمل معه مع إنه أقنوم متمايز عنه. وأيضًا فإن الروح القدس يعمل كل شيء لأنه هو روح الآب وروح الإبن.

**إرميـــــا:** إن ما تقوله لا يمكن للكثيرين أن يفهموه رغم أنه يستند إلي الحقيقة ذاتها.

**كيرلس:** لنجعل حديثنا أكثر وضوحًا بعدم التعرُّض للتفاصيل الدقيقة ولنتبع ـ لو أردت ـ طريقًا آخرَ نستجمع فيه أفكارنا بكلِّ الوسائل.

**إرميـــــا:** لنستمر إذن وسأتابعك بكل سرور.

**كيرلس:** لو لم يكن الإبن ـ إذن ـ هو قوّة الآب، لكنه يملك هذه القوة، كشيء مضاف إليه، مثله مثل بقية المخلوقات، وكان قد صنع أمورًا مدهشة وهو علي الأرض، لكنت قد قلت ولماذا لم يتهمه أحد ـ محقًا ـ لما قد فعل؟ لأنه لم يَردْ أن يبكت الأبرص عندما قال له «يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي»[155] لكن وكأنه قد طَرَدَ الجهل من داخله، وهو أسوأ من المرض، وذلك عندما أمر بأن يستجاب طلب الأبرص لأنه قال له «أُرِيدُ، فَاطْهُرْ»[156].

---

[154] يعاود ق. كيرلس التأكيد علي هذه الحقيقة وكان قد سبق أن أشار إليها من قبل في بداية هذا الحوار، انظر ص٢٩٠ وهامش رقم (٥٢).

[155] مت٨: ٢.

[156] مت٨: ٣.

وأيضًا عندما صرخ الأعميان نحوه قائلين «ارْحَمْنَا يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ!»[157]، فسألهما قائلاً «مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ بِكُمَا»[158] وعندما ألحا عليه لم يتأخر بالمرّة أن يعطيهما نور العينين المرجو. وبالتأكيد قد فعل هذا لأنه لم يكن من اللائق بالحري أن يقول للأبرص «إن الآب يريد فأطهر» أو أن يقول للأعميين «ماذا تريدان أن يفعل الآب بكما»؟ أم هل يمكن أن تقول إن الرسل القديسين لم يفكروا معًا ويفعلوا ما هو أفضل عندما رفضوا فكرة أنه بإمكانهم وحدهم يستطيعون أن يفعلوا آيات؟ لأنهم قالوا للمقعد الذي كان يجلس عند باب الهيكل، «بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ»[159] ولآخر صاح بطرس «يَا إِينِيَاسُ، يَشْفِيكَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ»[160]. ولأن ما فعله الرسل قد أثار اندهاش الكثيرين فإنهم أجابوا «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ تَتَعَجَّبُونَ مِنْ هذَا؟ وَلِمَاذَا تَشْخَصُونَ إِلَيْنَا، كَأَنَّنَا بِقُوَّتِنَا أَوْ تَقْوَانَا قَدْ جَعَلْنَا هذَا يَمْشِي؟»[161]. أي أنهم قد آمنوا أنه يجب أن ينسب هؤلاء المجد للمسيح وليس للرسل. لأن المسيح هو - في الواقع - نبع لا ينضب وأصل لكلّ نعمة وقوّة، إذ أنه عندما إختارهم وأعدّهم كي يرسلهم للكرازة، فقد سلّحهم مباشرة بعطايا إلهية، مانحًا إياهم بكونه هو الله، قوّة كي يجروا الآيات بدون أيّه مشقّة قائلاً لهم «اِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّانًا أَخَذْتُمْ، مَجَّانًا أَعْطُوا»[162]. وبالتالي فلأنهم قد فهموا تمامًا وعلى أفضل وجهه أنه هو أصل ومانح القوّة التي عملت فيهم، فقد كانوا يمجدّونه صارخين باسمه أمام المريض دائمًا قائلين «بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ»[163]. وهو الأسم الذي قال له المرتل: «لأَنَّكَ أَنْتَ فَخْرُ قُوَّتِهِمْ، وَبِرِضَاكَ يَنْتَصِبُ قَرْنُنَا. لأَنَّ الرَّبَّ

[157] مت ٢٠: ٣١، ٣٢.

[158] مت ٢٠: ٣٢.

[159] أع ٣: ٦.

[160] أع ٩: ٣٤.

[161] أع ٣: ١٢.

[162] مت ١٠: ٨.

[163] أع٣: ٦، ٤: ١٠.

مجنَّنَا، وَقُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ مَلِكُنَا»[١٦٤]. أم أنه يمكنك القول إنه ليس من الجدير بالإشارة أن الرسل القديسين قد فضلّوا أن يفتخروا بالمسيح وأنهم رغبوا دائمًا في أن يبشروا بكونه هو الفاعل في كلّ ما عملوه؟

إرميــــا: بلا، هو أمر جدير بالإشارة جدًا.

كيرلس: وماذا كانوا سيقولون فيما يلي يا إرميـــــا: - إن الإبن نفسه لم يرفض أن يحرم إسمه من المجد ولم يُشر إلي الآب فقط (كمصدر لفعل المعجزات) لكنه ينسب هذه المعجزات إلي أوامره الذاتية إذ أنه يقول بكل سهولة إنه يهب الحياة لمن يشاء وبطريقة مساوية لما يفعله الآب وبنفس القوة ويُظهر إرادته للأبرص في أنه يريد أن يشفيه من مرضه، معطيًا أيضًا نور الأبصار للعميان بلمسه من يدّيه؟ وأيضًا هل هو أمر مشكوك فيه وغير مؤكد أنه بالفعل وهو قوّة الله الآب، فهو يعيد الطبيعة لحالتها الأولي، وأن تكون قوّته الخلاّقة هي ثمرة طبيعته كما هي بالضبط طبيعة الآب؟ غير أني أعتقد أن القوَّة التي أعاد بها طبيعة الخلائق إلي حالتها الأولي بعد أن كانت قد فسدت نتيجة الخطيَّة، وصارت في سقطة عظيمة، هي القوَّة عينها التي أحضرت في البداية هذه المخلوقات من العدم إلي الوجود[١٦٥].

إرميــــا: إذن كيف قال دون أن يشعر بأي نقص «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ. لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الابْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ، وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ»[١٦٦]. ثم استطرد قائلاً «ما أفعله لا أفعله من ذاتي، لكن الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال»[١٦٧]. إذن لو فهمت هذا الأمر بطريقة صحيحة سأكون مدينًا لك بالشكر الجزيل.

---

[١٦٤] مز ٨٩: ١٧. ١٨ (س).

[١٦٥] في الفصل الأول من كتابه «تجسُّد الكلمة» يذكر ق. أثناسيوس سبب ظهور **كلمة** الآب في الجسد، ويقول أنه يلزم لشرح هذا الأمر: «أن نبدأ بالحديث عن خلقه الكون كله وعن الله خالقه، وهكذا يستطيع المرء أن يُدرك أن تجديد الخليقة تم بواسطة **الكلمة** الذي هو خالق الخليقة في البدء. وهكذا يتضح أنه ليس هناك تناقض في ان يتمم الآب خلاص العالم **بالكلمة** الذي به خَلَق العالم». تجسُّد الكلمة، مرجع سابق، ط٦، ٢٠٠٩، ص٣.

[١٦٦] يوحنا٥: ١٩. ٢٠.

[١٦٧] انظر يوحنا ١٤: ١٠ «الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ».

**كيرلس:** فلنتذكر إذن ما قد قلناه سابقًا بخصوص الثالوث القدوس المساوي[١٦٨]. لأني قلت إنه إذ توجد طبيعة إلهية واحدة للأقانيم الثالوث القدوس، المتمايزة مع أنها دائمًا معًا، فإن فعلْ أي أقنوم يقال أنه فعلْ الجوهر كله وأيضًا فعلْ كل أقنوم علي حده، لأن الأقانيم تفضِّل أن تعمل معًا، وأيضًا أن يعمل كل منها علي حده.

**إرميـــــا:** أني أتذكر هذا، وكيف أنسي هذا الحديث؟

**كيرلس:** وبالتالي، فعندما يريد الله الآب أن يفعل شيئًا في الخليقة، فإن الإبن لا يكون غير فعاّل. ولا حتى إن فعل الإبن شيئًا، لا يكون الآب خاملاً، وذلك لأن الله واحد والخالق واحد. لأن كل أقنوم يُدرَك في الأخر ولهم طبيعة واحدة وجوهر واحد حتى وأن كان يُدرَك أنهم ثلاث أقانيم متمايزة ولكل أقنوم خصائصه الذاتية[١٦٩].

**إرميـــــا:** أنك تتكّلم بالصواب.

**كيرلس:** إذن طالما إننا فحصنا هذه الأمور بدقة ـ كما هو واضح ـ فهيَّا بنا لنفتش عن هدف الأمور التي نتحَّدث فيها، ولنبدي إعجابنا الشديد بالطريقة التي كان يتكّلم بها المخلّص. إذ أنه كان يستخدم دائمًا المعجزات كوسيلة لجذب البشر للإيمان[١٧٠]. لأن هؤلاء الذين يميلون للفرار من أمامه يتّم جذبهم بطريقة أسهل للإيمان السليم إن جاءت المعجزات بعد الكلام مباشرة ولقد ذكر المسيح نفسه هذا الأمر ولهذا قال لقائد المائة «لاَ تُؤْمِنُونَ إِنْ لَمْ تَرَوْا آيَاتٍ وَعَجَائِبَ»[١٧١].

**إرميـــــا:** لقد فهمت ما تقول. فأنت تريد ـ كما أعتقد ـ أن تقول تقريبًا إن

---

[١٦٨] يُذكِّر ق. كيرلس القارئ بما سبق أن أشار إليه بخصوص عقيدة الثالوث. أنظر ص٢٩١ وراجع أيضًا هامش رقم (٥٢).

[١٦٩] تأكيد المعني بتكرار الشرح يعكس أهمية الإيمان المستقيم بعقيدة الثالوث التي هي أساس الإيمان المسيحي، وما دفاع ق. كيرلس عن الوهيه الإبن إلا دفاعًا عن الوهيه أقانيم الثالوث إذ لهم الجوهر الواحد.

[١٧٠] في موضع آخر عبرَّ ق. كيرلس عن قناعته هذه وذلك في سياق تفسيره لإنجيل لوقا وتعليقه علي معجزة شفاء رجل في كفر ناحوم كان به روح شيطان نجس، فيقول: ''أولئك الذين لا يستطيع الجدل أن يجتذبهم إلي معرفة ذلك الذي هو إله ورب بالطبيعة وبالحق، معرفة يقينية، هؤلاء ربما يُربحون بواسطة المعجزات إلي الطاعة والاذعان ولذلك كان من النافع أو الضروري في أحيان كثيرة أن يكمل تعاليمه بإجراء بعض المعجزات''. المرجع السابق، ص٨٩.

[١٧١] يوحنا ٤:٤٨.

المسيح قد فعل المعجزات وهو يهدف من ذلك فائدة اليهود. لهذا تجده وقد استخدم كل الوسائل حتى يستطيع أن يقنع كل مَنْ كان يسير في طريق معوَّج، كي يرجع وبإرادته، إن رغب في معرفة الحقيقة.

كيرلس: هو كذلك بالفعل. وأني راضي جدًا عن طريقتك في التعلّم بسهولة يا صديقي. كما أني بالتأكيد، سعيد للغاية لأني أتبادل الحديث مع شخص حكيم مثلك، والحديث يشبه نغم يصدر من ناي تسمعه الأذن بسرور كنشيد. ولأن المسيح قد أجري إحدي معجزاته التي أثارت اندهاش الكثيرين، في يوم سبت فقد ملأ الحقد اليهود فثاروا وأطلقوا لألسنتهم العنان بغير حدود ضده مستخدمين كلمات حادة جدًا كلها مرارة، وهم يظنون أنهم ينطقون بكلمات رائعة فأعلنوا أن الناموس قد نُقِضَ وقالوا «هذَا الإِنْسَانُ لَيْسَ مِنَ اللهِ، لأَنَّهُ لاَ يحْفَظُ السَّبْتَ»[١٧٢]. أما المسيح فقد أبطل هذه الاتهامات موضّحاً أن الآب نفسه يعمل في يوم السبت، ولم يتردَّد في أن يقول إنه يريد أن يعمل الناس أيضًا ما هو ضروري للحياة في هذا اليوم، لأنه قال «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ»[١٧٣]، وأعلمهم أن إرادته وقوَّته، في كل ما يحدث هي أيضًا أرادة الآب وقوّته وذلك عندما قال لهم «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ»[١٧٤]. وهو يتكّلم بالطبع، بطريقة واضحة وبكلمات تصف طبيعته الإلهية وكأنها لا تقدر علي العمل بمفردها. لأنه كان من غير الممكن أن يصف بطريقة أخري ما تعجز طبيعتنا عن فهمه. ولأننا ندرك هذه الأمور بشكل يشوبه التشويش وعدم الوضوح[١٧٥]. وبما يتفق مع طبيعته الإلهية غير المدرَكة قال «ما ينظر ان

[١٧٢] يوحنا ٩:١٦.

[١٧٣] يوحنا ٥:١٧. تَعامَل ق. كيرلس مع هذه الآية في نطاق أجابته علي التساؤل عن هل يستمد الإبن من الآب القدرة علي العمل ويُجمل أجابته في قول المسيح «أبي يعمل حتى الآب وانا أعمل» غير أنه في سياق شرحه لإنجيل يوحنا يوضّح بتفصيل أكثر معني هذه الآية فيقول: «إن المسيح أراد أن يقنع اليهود بوضوح أنه يعمل كل الأشياء مع الآب وأن له طبيعة ذاك الذي ولده في ذاته، لأنه ليس آخر سواه. وإذ له الجوهر نفسه، فإنه لن يفكر أبدًا إلاَّ فيما يبدو صالحًا لذلك الذي وَلَده. وإذ هو من ذات الجوهر فإنه يعمل الأشياء نفسها، إذ هو بالحري مشيئة الآب الحيَّة والقوّية. يعمل مع الآب كل الأشياء في الكلّ». شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٢٥٨.

[١٧٤] يوحنا ٥:١٩.

[١٧٥] يبينّ ق. كيرلس. في موضع آخر. السبب الذي دفع الرب إلي تكرار كلامه مع اليهود حول هذه النقطة فيقول: «ما تحدَّثنا عنه قبلا يُفسره الرب ثانية بطريقة أخري، فمن كل الربوع كان السامعون يرمون شباكهم لاقتناص الحق. لأن=

الآب يفعله يفعله الإبن أيضًا بنفس الطريقة»[١٧٦]. أم أنه غير حقيقي أن تقول عنه إنه لو عرف أن طبيعته ينقصها القوَّة، لكان قد تكلَّم بطريقة مفهومة أكثر وبشكل واضح قائلاً الآتي تقريبًا: إن الإبن لا يستطيع بمفرده أن يفعل شيئًا إن لم يأخذ قوَّة من الآب. لكن لأنه يعرف أن له القوَّة نفسها وأنه يقدر أن يفعل نفس الأعمال، فقد أوضح أن له الجوهر نفسه الذي للآب وأن عمله يظهر في كل ما يحدث في الخليقة مثل عمل الآب أيضًا، وأن إرادته تتفق في كل شيء مع إرادة مَنْ وَلَدَه. وهكذا يكون الإتفاق مع الإرادة والفعل وأيضًا في أن كل قوانين الطبيعة الإلهية تكون مشتركة فيما بينهما[١٧٧]. أما فيما يختص بعبارة «لا يقدر»[١٧٨]، فإنها لا تعكس - علي أي حال - أي ضعف. لكن توجد حالات والتي بحسبها يعني هذا التعبير عدم تغيّر

---

=الكلمة التي لم تكن تقبل أولاً بسبب ضعف الذين لا يفهمونها، كان الرب يعيد صياغتها باستخدام نفس الأفكار. لأن ذلك أيضًا هو عمل الفضيلة التي تليق بمعلّم. أعني ألاَّ يجعل كلمته سريعة تتجاوز بسرعتها معرفة التلاميذ. بل بعناية بعلّم وفي تنوّع يصيغ تعاليمه، وبتغيير التعبير عدة مرّات من حين لآخر، يزيل الصعوبات التي تعترض الأمور التي يعلّم بها». شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، المجلد الأول، ص٢٦٠.

[١٧٦] أنظر يوحنا ١٩:٥.

[١٧٧] نظرًا للطبيعة الدفاعية لكتابه «حوار حول الثالوث» والتي تختلف عن طبيعة كتب شرح وتفسير الكتاب المقدس، لهذا يختلف تناول ق. كيرلس لبعض آيات من إنجيل يوحنا. فمع أن هذه الآيات تخدم دفاعه عن ألوهيه الإبن، لهذا نجده يستعين بها في كتابه حوار حول الثالوث لكن مع التركيز الشديد في الشرح ووضعها في الأطار الذي يخدم النقطة التي يتحدَّث عنها، الأمر الذي لا نجده في شرحه لإنجيل يوحنا حيث يفسر ويشرح الآيات بترتيب نص الإنجيل وبإسهاب شديد موضحًا الأبعاد الخرستولوجية والخلاصيّة والروحيّة لهذه الآيات. وكمثال واضح لهذا نجده يستهل الفصل السادس من كتابه شرح إنجيل يوحنا بالعنوان الآتي: «إن الإبن ليس أدني من الآب لا في القوة ولا في فعل أي عمل، لكنه معادل له في القدرة ومن نفس جوهره إذ هو منه بالطبيعة»، ثم يشرح آية يو ١٩:٥ معطيًا لها الأبعاد اللاهوتية من زوايا عديدة. راجع شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، المجلد الأول، ص٢٦٠-٢٦٧.

[١٧٨] يبدو أن ق. كيرلس كان يضع أمامه نص شرحه لإنجيل يوحنا، وهو يكتب نص هذا الحوار حول الثالوث، إذ نجده أيضًا يشرح باسهاب معني قول المسيح إن الإبن «لايقدر» فيقول: [ إن كلمة «لا يقدر» أو «الاستحالة» إنما تدّل علي أشياء معينة، أو تنطبق علي بعض الأشياء الكائنة. أما القول أنها كلمات تشير إلي معني معيَّن، فنحن نقول إنها ليست بالضرورة ذات دلالة علي الإطلاق، لا عن ضعف، بل إنها غالبًا ما تشير إلي استقرار الطبائع والجواهر ذات الحال المناسب غير المتغير ومن جهة أي شيء كائن أو كان كائنًا، وما الذي يقدر أن يفعله بالطبيعة من تأثير ثابت... فمثلًا حين يقول إنسان إنه لا يقدر بالطبيعة أن يحمل قطعة خشب، ربما كانت قطعة ثقيلة جدًا، فإنه إنما ينسب هذا الفعل إلي ضعفه الداخلي المتأصل فيه لكن حين يقول آخر، أنا بالطبيعة إنسان عاقل، مولود من آب عاقل بالطبيعة ولا أقدر أن أفعل شيئًا من ذاتي لا اراه يخص طبيعة أبي، فإن كلمات «أقدر» تعبر عن ثبات الجوهر، وعدم قابليته للتغيرّ إلي أي شيء سوي ما هو عليه مثلاً. إذ يقول لا أقدر من ذاتي أن لا اكون مخلوقًا عاقلاً أتقوي بالازدياد الذي يحدث لي بالطبيعة، لأنني لا أري قوة فعل ذلك في طبيعة أبي. بهذه الطريقة إذًا قد تسمعون المسيح يقول: لا يقدر الإبن أن يعمل من نفسه شيئًا إلّا ما ينظر الآب يعمل» وكأنه يقول لا توّجه لومًا لأعمال الإبن، لأنه يعاين في داخله، وفي أفعاله الطبيعية، جوهر ذاك الذي ولده، وهو لا يقدر ما يناقض طبيعته، بسبب كونه من ذات الطبيعة». شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، المجلد الأول، ص٢٦٦.

«إن الله لا يقدر أن يخطئ». ولو أمكن للضوء أن يتكلّم لقال: لا أقدر أن أكون غير ضوء. وأيضًا النار أو المياه، لو أن لها صوت لصرختا: «لن نقدر أن نكون ماء أو نار». ولكن لأن اليهود غير العقلاء لم يقدّروا أفعاله العظيمة والتي فاقت كلّ المعجزات، واتهموه بالسكر، فإنه نسب هذه الأفعال للآب قائلاً إنه لا يستطيع بمفرده أن يفعل شيئًا لكن الآب الحال في هو يعمل الأعمال»[١٧٩] لأن الآب يعمل من خلال الإبن ولن يفعل شيئًا بدون القوة التي فيه أي بدون **الكلمة** الذي أتي معه والذي يوجد فيه. ولهذا فقد قال المسيح «إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي. وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»[١٨٠]، واعتقد إنه هنا أيضًا يوضّح أن له القوَّة نفسها التي للآب وإنه واحد معه في الجوهر.

## ٤. هل لا يعلم الإبن الساعة، وهل يسجد مع الملائكة؟

**إرميـــــا**: لا استطيع ان أوجّه لك أي إتهام حيث إن ما قيل كان سليمًا جدًا. غير أني أريد أن أستسمحك في شيء أود أن أسأل عنه، فخلاف ذلك ستعتبرني مزعجًا وثقيلاً وعديم الفهم.

**كيرلس**: أبدًا بالمرَّة يا صديقي، لأن رغبتي هي فوق الشكوك، والحديث عن هذه الأمور هو فخر لي وخصوصًا عندما يَفترِي إنسان علي مجد المخلّص.

**إرميـــــا**: هم يقولون: إن مَنْ تؤمنون أنه واحد مع الآب في الجوهر وله قوَّته نفسها، هو يسجد معنا. لأن المسيح في حديثه مع السامرية يقول: «أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ . لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ»[١٨١].

---

[١٧٩] انظر يوحنا ١٤:١٠.

[١٨٠] يوحنا ١٠:٣٧-٣٨. (فآمنوا بأعمالي حسب نص المخطوط الذي استخدمه ق. كيرلس). يضع ق. كيرلس علي لسان الرب يسوع شرحًا لهذه الآية وكأنه يوجّه كلامه لليهود فيقول «إن الأعمال الإلهية تُظهر أنني مساوٍ لله الآب: ولا توجد لديكم حجة لعدم إيمانكم ما دمتم قد عرفتم أنني مساوٍ للآب ببرهان الأعمال الإلهية التي أعملها، رغم أنه من جهة الجسد أبدو إني واحد منكم مثل إنسان عادي. وهكذا فمن الممكن ان تدركوا أني في الآب والآب فيّ، لأن وحده الجوهر تجعل الآب يُري في الإبن والإبن يُري في الآب» شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، المجلد الأول، ص٧٤٧.

[١٨١] يوحنا ٤:٢٢. يبدأ ق. كيرلس الفصل الخامس من كتابه «شرح إنجيل يوحنا» بشرح هذه الآية وإعطاء التفسير الصحيح لها للرّد علي مَنْ ينكرون الوهيه الإبن ومَنْ يحسبونه ضمن المخلوقات ويضع عنوانًا لهذا الفصل يُجمل فيه إيمان الكنيسة في الإبن فيقول "إن الإبن ليس في عداد الساجدين إذ هو **الكلمة** والله بل بالحري يُسجد له مع الآب». شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، المجلد الأول، ص٢٣١.

وهم أيضًا يقولون: «لكن أيها الفضلاء: كيف يمكن لمَنْ يُحسب من بين الساجدين، أن يكون له نفس المجد وأن يكون واحد في الجوهر ومساوٍ للآب الذي يُسجد له؟، مع أنه بالتأكيد يمكن للمرء أن يري أن الإبن وقد أعَطي للآب منزلة أعلي منه ومكانة تفوقه من حيث الطبيعة لأنه قال: «وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ»[182].

كيرلس: أي أن الإبن بدلاً من أن يكون هو الله يصير خادمًا[183]، متحدِّثًا عن الله الآب مع كل الذين قد خُلِقوا بواسطته، وفجأة يظهر وكأنه يجهل. كيف لا يكون هذا القول مثارًا للضحك وكيف لا يشبه لعبة هزليَّة من ألعاب المسارح؟ لأنه إن لم يكونوا قد وصلوا إلي هذا الحد المزرى من الفهم بإتباعهم هذا الهراء وهذا الفكر البشري، كما لو كانوا قد وضعوا أذهانهم في وحل، لما كانوا قد رفضوا معرفة العقائد المقدسة الذكيَّة الرائحة. لأنهم ـ علي ما

[182] مر ١٣:٣٢. هذه هي إحدي الآيات التي أساء الأريوسيون فهمها واستخدموها في هجومهم علي الوهيه الإبن المتجسِّد وبالتالي كان من الطبيعي أن يعتمد ق. كيرلس علي ما سبق أن كتبه ق. اثناسيوس في مقالاته ضد الأريوسين دفاعًا عن مساواة الإبن في الجوهر مع الآب والروح القدس، وذلك عندما أعطي التفسير الصحيح لما قاله رب المجد في هذه الآية فيقول: «إنه قال هذا مثلما قال الأقوال الأخري، كإنسان بسبب الجسد فهذا ليس نقصًا في الكلمة، بل هو بسبب تلك الطبيعة البشرية التي تتصف بعدم المعرفة. وهذا أيضًا يمكن أن يُري جيدًا إن كان أحد يفحص المناسبة بإخلاص: متى ولِمَنْ تكلّم المخلِّص هكذا ؟ فهو لم يتكلّم هكذا حينما خُلقت السموات بواسطته، ولا حينما كان مع الآب نفسه، الكلمة الصانع كل الأشياء» (انظر أم٨:٢٧.٣٠). وهو لم يقُل هذا أيضًا قبل ولادته كإنسان ولكن حينما صار الكلمة جسدًا. ولهذا السبب فمن الصواب أن تنسب إلى ناسوته كل شئ تكلّم به إنسانيًا بعد أن تأنس. لأنه من خاصية الكلمة أن يعرف مخلوقاته، وأن لا يجهل بدايتها ونهايتها، لأن هذه المخلوقات هي أعماله. وهو يعرف كم عددها وحدود تكوينها. وإذ هو يعرف بداية كل شئ ونهايته، فإنه يعرف بالتأكيد النهاية العامة والمشتركة للكل. وبالتأكيد فحينما يتكلّم في الإنجيل عن نفسه إنسانيًا قائلاً: «أيها الآب، قد أتت الساعة مجد ابنك» (يو١٧:١)، فواضح أنه بصفته الكلمة، يعرف أيضًا ساعة نهاية كل الأشياء رغم أنه كإنسان يجهلها، لأن الجهل هو من خصائص الإنسان، وخاصةً في هذه الأمور». المقالة الثالثة ضد الأريوسين، ترجمة د. مجدي وهبة، د. نصحي عبد الشهيد، مراجعة د. جوزيف موريس فلتس ود. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، إبريل ٢٠٠٧، ص٨٣٨١.

[183] كثيرًا ما استخدم الهراطقة لقب «خادم» للتشكيك في الوهيه الإبن أو الروح القدس، إذ أنهم يقصدون به أنه لا توحد وحده في الجوهر بين أقانيم الثالوث. ولقد سبق إن رد ق. كيرلس في هذا الحوار علي اتهامهم للروح القدس بأنه يعمل كخادم (أنظر ص٢٨٤) وهنا يدافع عن ألوهية الإبن نافيًا عنه هذه الصفة، لأنها تعني عند الهراطقة إن الإبن لا يملك أيضًا السلطة والمعرفة. وفي موضع آخر يكشف ق. كيرلس فكر الهراطقة وتصورّهم الخاطئ بخصوص عمل الإبن فيقول: [ وعندما يسمع الهراطقة أن «كل شيء به كان» تاخذهم الحمي فيسرعون ويطلقون عليه اسم الخادم ويحلمون بأن الإبن عبد وليس حر، وعابد وليس الرب]. شرح إنجيل يوحنا. المجلد الأول ص ٨٢، ويوضح معني قول الإنجيلي كل شيء به كان فيقول «هذه العبارة لا تعني بالمرّة أن الإبن أقل من الآب. فهي لا تعني إن الإبن خادم أو يعمل من أجل آخر منفذًا ارادته، وهو ما يتنافي مع الاعتقاد بأنه خالق، فهو لم ينل قوّة من آخر لكي يخلق، إنما هو قوّة الله الآب، الإبن الوحيد». المرجع السابق ص٨٠.

يبدو. وكأنهم قد نسوا تمامًا مع أنهم يتعلّمون لا منًّا نحن فقط بل من الكتاب المقدَّس عينه. أن **الكلمة**، بكونه هو الله وهو مثل الآب تمامًا وهو صورته، قد ظهر كواحد منًّا ليس فقط بكونه اتخذ جسدًا، بل وأيضًا بكل خواص الطبيعة البشرية كما يجب أن نسميّها.

فخصائص الطبيعة البشرِّية مقترنة ومتحدة بالطبيعة الإلهية وهي محكومة بنير العبودية والطاعة والسجود وإنها لا تعرف ما هي إرادة وفكر الله. لأنه يقول «لأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ فَيُعَلِّمَهُ؟»[١٨٤].

وهكذا لأن **الكلمة** قد صار مثلنا. وأعتقد أنهم لا يقدرون أن يقولوا إنه كفَّ علي أن يكون هو **الكلمة**. إذ قد اتخذ جسدًا أرضيًا وحيث إنه قد اتخذ ما هو بشري جاعلاً إياه جسده الخاص[١٨٥]، فلا يوجد ما يمنعنا من أن نقول إنه قد صار له بحسب التدبير كلُّ ما لهذه الطبيعة البشرَّية. وهذا ما يحتمه معني الإخلاء. وبالتالي فإما أن يتعرَّي الكلمة تمامًا من جسده وما يتعلَّق به، ويُبطل تمامًا عملية التدبير، وحينئذ يروه إلهًا فقط، أو أن رأوا أن هذا الحديث يسبب الفزع إذ أنه يتصف بعدم التقوي وعدم اللياقة، فلأي سبب يخجلون من قوانين الطبيعة البشرِّية ويدينون المسيح علي فعله تلك الأمور التي تناسب تدبير تجسُّده؟ مع أنه كان من الواجب أن يفكروا بحكمة أنه بكونه هو إله وقد أتي من إله[١٨٦] فقد خصَّص لذاته ما للطبيعة البشرَّية وهكذا فعندما صار إنسانًا فقد حفظ لنفسه الكرامة والمجد اللذان يخصان الله. فهو يُسجَد له ليس في الأرض فقط بل وفي السموات. مع أنه لم يعتبر أن في سجوده كإنسان يهودي ما يقلّل من كرامته أو هو أمر مهين. لأنه قال «وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ:«وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ»[١٨٧]. أما إن قالوا إن الكلمة الذي جاء من الله، هو من نسل إبراهيم فحينئذ نحن نهذي ولُيدعي يهوديًا. وليكن

---

[١٨٤] ١كو٢:١٦.

[١٨٥] تعبير «جسده الخاص» من التعبيرات المفضلّة لدي القديس أثناسيوس لايضاح حقيقة ما تّم في تجسُّد كلمة الله واتحاد طبيعته الإلهية بطبيعته البشرية والتي أصبحت في هذا الاتحاد الاقنومي هي «جسده الخاص». تجسُّد الكلمة، المرجع السابق، ص٢٣، ٦٣، ٧٩.

[١٨٦] كما يُذكَر في قانون الإيمان.

[١٨٧] عب١:٦.

هو أيضًا ساجد معنا. أيضًا قد ثبت أن حجة هؤلاء الذين يعتقدون في هذا، قد وصلت إلي هذا الحد من الهوس، وهم يؤكدون بكل الطرق أنه عندما جاء كي يساعد ذَريَّه إبراهيم، قد وَلد بحسب الجسد من جذر يسي وبالتالي فهو يهودي وكإنسان قد سَجَدَ فلماذا يهملون سًر تدبير التجسُّد وكأنه أمر بدون معني، صاعدين إلي أعلا حيث طبيعة الكلمة نفسها، وبطريقة يشوبها عدم الوقار يحدرون مَنْ هو واحد مع الآب في الجوهر كي يَسجُد معنا معرّين إياه من كل عظمة إلهية، إذ هو بالحري لا يُحسب معنا أو مع هؤلاء الذين لو أرادوا أن يسجدوا فلن يدينهم أحد، بل علي العكس فإن تصُرفهم هذا سيكون محل تقدير وشكر؟ أم أنه غير مكتوب عنه أنه سُينقص قليلاً من جهة طبيعة البشرية، بل سينقص قليلاً عن تلك الطبيعة السامية أي طبيعة الملائكة وعن مجدهم؟

**ارميـــــا:** هذا صحيح لأن ق. بولس يقول «وَلكِنِ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ»[188].

**كيرلس:** قل لي: وماذا تربح هذه الطبيعة السامية وهؤلاء الذين يسكنون المدينة السمائية والذين لديهم معرفة ثابتة وكاملة عن الله من سجودهم لِمَنْ له طبيعة أقل ومجده ليس مثل مجدهم؟ فهل تستطيع أن تجيبني يا صديقي؟

**ارميـــــا:** لا، لأن هذا من ضمن عملك.

**كيرلس:** إذن لو أنه هو ذاته أقل وفي نفس الوقت يوجد بين هؤلاء الذين لهم وضع أعلا لا يقارن، فحينئذ ستقبل وبكل احترام. طبيعته البشرَّية ما هو أقل كي يلائمها، طالما أن طبيعة الإنسان هي أدني بكثير من طبيعة الملائكة. أما الطبيعة الإلهية التي تفوق الكل فسنقلدها بكل ما هو أرفع من كل المخلوقات حيث إن جوهر الله هو أعلي من أي جوهر عاقل ومن كل اسم يمكن أن يوجد.

إذن لو أن الكلمة غير المتجسِّد قبل أن يتخذ ما لنا، ووُجِدَ بين الكائنات الأقل وبالطبع يكون مختلفًا عن الملائكة، فحينئذ سيكون أقل من مخلوقاته

---

[188] عب ٢: ٩.

ذاتها (الملائكة)، وبالتالي سيكون أيضًا من بين الساجدين وسيكون الحديث بلا معني. ولو صدَّقنا وآمنا به سيكون هذا خطأ كبير وأمر تنقصه التقوي. فيقال عنه أنه «أقل» (بحسب طبيعته البشرية) كونه إنسانًا، وحينئذ يبقي أن تفكر في الآتي: أي أنه صار من الساجدين لأنه صار إنسانًا مع أنه هو الله حسب الطبيعة ويسجد له مع الآب بنفس الكرامة ـ لأن الله قال في موضع آخر بلسان أحد الأنبياء «أنا حي، يقول الرب. إنه لي ستجثو كل ركبة، وكل لسان سيحمد الله»[189] كما أن ق. بولس وهو يؤمن إن الإبن واحد مع الآب في الجوهر وإن المولود له نفس مجد مَنْ ولده، كتب قائلاً : «لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ»[190].

إرميـــــا: غير أنهم يقولون إن الإبن سيُسجَد له مع الآب، لكنه هو أيضًا سيسجدُ للآب، لأنه يعلم مَنْ هو حسب الطبيعة، لأن طبيعة الإبن هي اسمي من كل الخلائق لكنها في نفسه الوقت ليست مثل طبيعة الآب.

كيرلس: إذن، الإبن قد اكتسب مجد الإلوهه كشيء غريب عنه وكمكافأة علي فضائله، وكما إن السجود له ليس أمرًا خاصًا بطبيعته ولكنه قد حصل عليه، لمجَّرد فقط أن الآب أراد هذا.

إرميـــــا: هم يعتقدون بهذا وينادون به.

كيرلس: غير أنهم لابد وأن يبيِّنوا متي وكيف وَهَبَ الآب للإبن عطيَّة أن يُسجَد له، لأني لا أتخيَّل أن يقولوا إن السجود للآب يتم عندما نريد نحن أن نسجد له، لأن هذا القرار هو قرار الله الآب.

إرميـــــا: هم يقولون إن الآب أمر الملائكة ان تسجد له. لأنه هل يمكن الاّ يكون هذا هو معني ما قيل «وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ:«وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُل مَلاَئِكَةِ اللهِ»[191].

كيرلس: إذن هل هم يعرفون تمامًا إن الآب قد أَمَر بضرورة السجود للإبن،

[189] إشعياء ٤٥: ٢٣-٢٤. أنظر رومية ١٤: ١١.

[190] في ٢: ١٠-١١.

[191] عب ١: ٦.

وينكرون أن لقب «البكر» المرتبط بالإبن الوحيد حسب المنطق البشري، يستتبع بالضرورة أن تقول إنه يجب أن يُؤمنوا أن المجد هو أمر مكتسب؟ وقل لي، متي دُعي بكرًا ، أليس عندما صار بين أخوه كثيرين؟ لأنه لو إن الكلمة كان من نفس جنسنا وأخًا لنا حسب الطبيعة حتي قبل تجسَّده إذن لماذا لم يدعَ بكرًا منذ البداية؛ لكن قيل إن هذا حدث في الأزمنة الأخيرة؟ وكيف كان يمكن أن يُدعي المولود الوحيد إن كان هو مرتبط بالخليقة؟ ولكن، بلا شك وبكل يقين إن الإبن في ملء الزمان صار إنسانًا ولهذا دعي بكرًا، وصار له مجدًا مكتسبًا وأيضًا كان يجب له السجود. إما إن كانوا يؤمنون - وحسب ما يقولون - بغير ذلك، فبالضرورة يتحَّول حديثهم إلي كلام هزلّي وأفكار متناقضة. لأني أعتقد أن المرء يمكنه أن يقول: لو كان، بسبب أنه قد صار إنسانًا ولهذا قد دعيّ بكرًا، ولو كان الزمن الذي قيل إن فيه ينبغي إن يُسجَد له، وبالتحديد عندما يقال إنه تواضع، فسيكون وقت إخلائه ليس مناسبًا لأي مجد، بل علي العكس ستكون ضآله الطبيعة البشرَّية وإهانتها أكبر إذ بينما هو صورة الآب ومساوٍ له، كما هو مكتوب، فإنه تنازل إلي تلك الطبيعة الدنيا، وأعني الطبيعة البشرية. لكن لو أنه كان بلا مجد وبعيدًا عن أن يُسجَد له، فما الذي أصاب السيرافيم حتى أنهم وهم يحيطون به وهو جالس علي عرش الإلوهه يسبحونه بألحان وتماجيد ويدعونه ربّ القوات، نجدهم يقولون إن السماء والأرض مملؤتان من مجدك؟[192] فبأي مجد كانت السموات مملوءة لو كان قد حصل علي حق أن يُمجَّد بمجرَّد أن صار مثلنا؟ فلتسمع إذن عزرا الذي يقول «فالأرض كلها تنادي بالحقيقة، والسماء تباركها وكل الأعمال ترتعش وترتعب، أما هي فلا شَّر يرافقها»[193] وأيضًا داود الطوباوي يصرخ معلنًا بكل وضوح عن الله الذي يضبط الكلَّ قائلاً: «النَّاظِرُ إِلَى الأَرْضِ فَتَرْتَعِدُ»[194]. إذن مَنْ كان قبل تجسَّده وقبل أن يُدعي بكرًا، له كل ما لله الآب، كيف

[192] انظر إش ٦:٣.

[193] ٣ عزرا ٤:٣٦ (سفر عزرا الثالث هو من الأسفار الأبوكريفا وهي غير الأسفار القانونية الثانية). للترجمة العربية لهذا السفر أنظر: الخوري بولس الفغالي: كتابات عزراوية. سلسلة علي هامش الكتاب: ٩ الرابطة الكتابية. بيروت سنة ٢٠٠٢ ص٣٧.

[194] مز ١٠٤:٣٢.

يكون من الممكن أن يحسب أنه أقل من الآب في شيء ما ؟

**إرميـــــا:** وحتى لو كان الوضع هكذا كما تعتقد أنت، أي عندما صار بكرًا حينئذ صار الأمر بأن يُسجَد له. فهل يمكن أن تكون كرامة أن يُسجَد له معطاة له من الآب ؟

**كيرلس:** لكن لا يجب أن نفكر في مجرَّد إن كانت هذه الكرامة معطاة له، بل نفكر في متي بالتحديد أعطيت له، فلقد صار هذا عندما تنازل وصار بكرًا كأخ لنا. لأني اعتقد أن هذا هو معني أن يصير بكرًا.

**إرميـــــا:** اتفق معك.

**كيرلس:** وقل لي أيضًا، هل هو أمر لائق أن نسجد للطبيعة البشرِّية في حد ذاتها، بنفس السجود اللائق بعظمة الله؟

**إرميـــــا:** هو بالطبع سجود مختلف.

**كيرلس:** حسن جدًا يا صديقي، لأن هناك سجود يليق بالطبيعة الإلهية فقط. وبالتالي عندما تنازل الإبن من علّوه، وهو الذي لم يحسب مساواته لله خلسه[195] وإذ اتخذ ما كان بطبيعته تحت العبودية واتخذ شكل مَنْ كان بالضرورة يَسجُد، فقد سَجَدَ هو أيضًا معنا. لكن لأنه كان من غير المعقول والغريب عن كل فكر منطقي أن يتبينَّ أن الإبن الذي قد جاء من الآب، حتى وإن كان قد تجَسَّد، لا يتمتع بالمجد عينه الذي للآب. ولهذا فإن السماء أي طغمة الملائكة القديسين قد تعلّموا باستنارة الروح القدس، ما يتعلَّق بهذا السرَّ فصار لهم الأمر أن يسجدوا للإبن الوحيد والجليس مع الآب مُمَجَداً كبكر بين اخوة كثيرين. دون أن يعني هذا أن الآب يدخله إلي هذا المجد لأول مرَّة، أو أنه يعطيه كرامة السجود له كأنه شيء غير عادي وغريب، لكن كي يوضح أن مَنْ كان يُسجَد له من كلَّ هؤلاء الملائكة دائمًا ومنذ القدم، هو مَنْ يُسجَد له الآن عندما تجَسَّد.

إذن سأعود لبداية الحديث وأقول إن الإبن قد سَجَدَ عندما صار باكورة وظهر في شكل العبد، مع أن هذا لا يُبطِل ما يمكن أن ندركه عن طبيعته الفائقة. لأنه إن كان السجود يليق بحالة كونه في

[195] أنظر ف٢: ٦.

خافيًا علي أي من الخلائق جمال طبيعته قبل أن يتجسَّد؟ وإن قيل أن هؤلاء السمائيين هم في إحتياج لخدمة وتسبيح الروح القدس، فنحن لا نهين طبيعة الملائكة القديسين لكننا نتبع في كلامنا الكتاب المقدَّس وما يكتبه ق. بولس قائلاً: «لِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، حَسَبَ قَصْدِ الدُّهُورِ الَّذِي صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا»[196] وبالإضافة إلي هذا فإن المرنم يقول «ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْفَعْنَهَا أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ. مَنْ هُوَ هذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ»[197]. بمعني إنه عندما قام المسيح بعد أن حطَّم الموت وفضح الجحيم وصعد ليعود مرَّة أخري إلي الآب السماوي، فإن الروح صرخ في داخل هذه القوَّات وأمرهم أن يفتحوا وبأقصي سرعة ممكنة الأبواب السمائية من أجله وقدّم لهم الله الذي تجسَّد قائلاً «رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ»[198].

**إرميـــــا:** نستنج إذن إنه قد سَجَدَ كإنسان مع إنه هو الله بحسب الطبيعة ويمكنك أن تقول. علي ما أعتقد. إنه بالقدر الذي به نستطيع أن نعبِّر. وفقًا للمعايير البشرية، عن الأمور التي نؤمن بها، هكذا أيضًا تستطيع أن تفسِّر ما قد قاله المسيح بإنه لا يعرف اليوم ولا الساعة.

**كيرلس:** صدقّني، لقد كنت سأقول نفس الشيء وبدون تردد. لأنه توجد أمور كثيرة تشجِّعنا علي أن نمضي وبدون أي مشقة كما في طريق معبَّد، في إيماننا. لأني أعتقد أن عدم المعرفة هو أمر يليق بحالة الإخلاء ولا يمثل نقصًا معيَّنًا في طبيعة الكلمة الله الذي تجَسَّد قائلاً «رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ»[199] إذ هو كلمة الآب وحكمته. أم أنك تري أني لا أنظر لهذا الأمر بطريقة حكيمة؟

**إرميـــــا:** بالعكس.

**كيرلس:** وهل يمكن لحديث هزلّي ومملوء بالشرور أن يقنعنا كي نعرف ونؤمن أن الإبن الوحيد كان يجهل أمرًا من أمور الأسرار الإلهية وهو بالفعل

---

[196] أف ٣: ١٠، ١١.

[197] مز ٢٤: ٩، ١٠.

[198] مز٢٤: ١٠.

[199] مز٢٤: ١٠.

حكمة ومشيئة الآب كما هو مكتوب[200].

**ارميـــــا**: لا يستطيع أي حديث مثل هذا أن يقنع أي عقل مفكر.

**كيرلس**: بالتأكيد يا صديقي، ولم يكن ق. بولس غير صادق عندما كتب «لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ»[201].

**ارميـــــا**: بالفعل كان صادقًا.

**كيرلس**: إذن روح الله يعرف أمور الله، ولا يوجد شيء يكون مخفيًا أو غير واضح بالنسبة له؟

**ارميـــــا**: هو يعرف كل شيء، وكيف يمكن ألاّ يعرفها؟

**كيرلس**: وطالما أن روح الآب هو روح الإبن أيضًا كيف يكون من الممكن أن يجهل الابن أمرًا من أمور الله السرّية وعنده روحه الذاتي الذي يعرف كل ما في الآب؟ مع أنه كان بالتأكيد يقول لتلاميذه القديسين «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسه، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ»[202]. وهل هو واضح لك ما قد قيل وعرفت أن المعزي قد دعّي روح الحق؟

**ارميا**: أنك تتكّلم الصواب.

**كيرلس**: ويستطيع المرء أن يستعلم مما يلي وبنفس الطريقة عن الأمر السخيف والذي يوضح أن أعتقاد المعاندين هو شيء جدير بالأهمال إذ أنهم يظنون أن **الكلمة** يجهل حتى أبسط الأمور مع أنه هو الذي نَبَتَ وأشرقْ من الله الآب وهو شعاع وختم أقنومه وهو الذي له نفس الكرامة والجالس معه علي العرش[203]

---

[200] انظر ١كو١:٢٤.

[201] ١كو٢:١١.

[202] يوحنا ١٦:١٣-١٤.

[203] يصف ق. كيرلس الإبن بكل هذه الصفات المجمعّة والتي تُعبّر كل منها علي حده عن إلوهيه الإبن ومساواته للآب في الجوهر وكثيرًا ما يكرر بعضًا منها في حواراته حول الثالوث مثل قوله إن «الإبن أتي من الآب إلينا علي الأرض كما من نبع وكنبت من حذر فوقاني».انظر ص١٦٤، انظر أيضًا ص١٥٩-١٦٠ هامش رقم (٢١). وتعبير «شعاع».-

«المُذَّخَر فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ»[٢٠٤]. إذن كم هو مقدار الحماقة التي يمكن أن نلحقها بهم وبدون تجنّي، نتيجة لجهلهم هذا ؟!

**إرميـــا:** حماقة كثيرة جدًا.

**كيرلس:** لكني أعتقد أنه حتى ولا الله الآب نفسه كان سيحفظ مجده كاملاً لو أن إرادته وحكمته (أي الإبن) كان حقًا يجهل أمرًا ما.

**إرميـــا:** اتفق معك، لأنه في النهاية، كل ما يعَلَمه الإنسان لا يستطيع معرفته أو ادراكه بدون إرادته وحكمته.

**كيرلس:** رائع، يا صديقي، لأن المدافعين عن الحقيقة هكذا يجب أن يؤمنوا وليس بأي شيء آخر. ودعنا لا ننشغل بمثل هذه المناقشات التي بلا فائدة ونأتي لمناقشة الأمر الآتي. فلقد اعتاد المسيح المخّلص أن يتعامل مع تلاميذه القديسين، بطريقة خاصة. فعندما كانوا يسألونه بإصرار عن أمر من تلك الأمور التي تشبع محبتهم في التعليم وليس لمجرَّد البحث الكثير في الأمور، كان يعطيهم الإجابة ويشرح لهم بالتفصيل دقائق الأمور. أما إن حاولوا أن يعرفوا ما هو أبعد من ذلك وما هو غير مفيد لهم، فإنه كان يحثهم علي أن يبحثوا فيما يجب معرفته وأن يعملوا ـ لأجل هذا الهدف ـ تلك الأعمال الصالحة التي تمجدَّهم وتجعلهم في فرح دائم بالقرب من الله. وعندما أرادوا ـ ولا أعرف كيف ـ أن يسألوا وأن يعرفوا شيئ عن أمر يفوق قدرات الخادم، فإنه أجابهم قائلاً إن الآب لم يعلن هذا حتى ولا للملائكة ولا للإبن نفسه، إذ هو مجرَّد إنسان ـ كما يعتقد هؤلاء المعاندين، يعيش علي الأرض، ولا يملك الإلوهه في طبيعته وعندما وُجدَ بينهم في موضع آخر، وأصرُّوا علي معرفة هذا الأمر فإنه أجابهم موبخًا أياهم «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ، لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ»[٢٠٥]. ألا ترى إذن انه أمَرَهم بإنه يجب عليهم إلاّ يبحثوا كثيرًا في الأمور التي تفوق قواهم،

= انظر ص ٨٢، و «ختم» انظر ص١١٣، ١١٩. و«الجالس علي العرش» ص١٩٩.

[٢٠٤] كولوسي٢: ٣.

[٢٠٥] أع ١: ٧-٨.

محوّلاً أنظارهم ـ بطريقة ما ـ إلي تلك التي تناسب قدراتهم؟ ولأنه أعتاد أن يفعل دائمًا هكذا، فحين قدّموا له المولود أعمي بمجرَّد خروجه من الهيكل، وهم متأثرين بأفكار الناموس، سألوا المسيح «يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟»[٢٠٦]. ولأنه كان عليه أن يبت ـ وبطريقة إلهية في هذا الأمر فإنه أسرع ليشرح لهم ما كان يصعب علي البشر إدراكه وفهمه، ولأن التلاميذ كانوا قد ذهبوا بفكرهم إلي حد أبعد مما يجب، فإنه أعادهم مرَّة أخري إلي الأهتمام بالأمور التي تناسب قدرات الإنسان وأثناهم عن الأهتمام بتلك الأمور التي تفوق استطاعتهم وعلّمهم أن يكرِّسوا حياتهم بالأكثر في محبة التعب لأجل الأخرين وفي الأعمال الصالحة، فقال لهم «لاَ هذَا أَخْطَأَ وَلاَأَبَوَاهُ، لكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيهِ. يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ»[٢٠٧]. فهل سمعت كيف أنه بعدما دحض هذا الفكرة باعتبارها فكرة مبتذلة تناسب جهل اليهود، فإنه حدَّد كيف أنه من الواجب أن نهتم بالأعمال الصالحة بدلاً من الأنشغال بأمور تفوق قدرات الإنسان، وأنه أعطي للطبيعة الإلهية حصريًا أن تعرف هذه الأمور، وأن تفعل ما تريد؟

**إرميـــــا**: أنك تتكّلم بشكل رائع جدًا.

**كيرلس**: إذن لا يجب أن نفكر بطريقة أخري، أن كنَّا نؤمن إيمانًا سليمًا، بل فقط نؤمن أنه حتى وإن كان يقال إنه إنسان مثلنا، وإنه يجهل أمرًا ما، إلاّ أنه الإبن وهو الله الذي يَعرفُ كلَّ ما للآب، وبه ومعه يليق المجد للآب والروح القدس إلي آبد الآبدين إمين.

[٢٠٦] يو٩: ٢.

[٢٠٧] يوحنا٩: ٣-٤.

# الحوار السابع

## عن الروح القدس
## وإنه . بطبيعته . إله من إله

**موقف المعارضين: الروح القدس ليس إله**

**كيرلس:** إن أحد الحكماء أو بالحري أحد هؤلاء المجتهدين، يهتف كَمِنْ يسّبح في هدوء قائلاً: إن الجهود الحسنة ثمارها ممدوحة. فهل ترفض يا إرميا هذا الرأي أم تقابله بالمديح لأنه رائع وسليم؟ كما أنه من اللائق بالقديسين أن يتحمّلوا الآلام بصبر.

**إرميـــــا:** هو كذلك بالفعل.

**كيرلس:** فهيًّا، إذن وقد وصلنا إلي المرحلة الأخيرة[1] من جهادنا، فلنمنِّطق أحقاءنا ونستعد بقدر الإمكان، وبمجرَّد أن نلبس درع البرَّ ونمسك بيدنا سيف الروح القاطع الذي هو كلمة الله[2] وأيضًا ترس الإيمان كما هو مكتوب[3]، فلنهجم بكل شجاعة على أكاذيب المعاندين الذين يشحذون لا عقولهم فقط بل وألسنتهم كي يهينوا الروح القدس[4] نفسه ويسلبون عقول الأناس الأضعف مبعِدين إياهم عن المعرفة الأصيلة والحقيقية وملقين بهم في أعماق التهلكة كما أنهم يسكبون في داخلهم سموم أفكارهم المتهوِّرة، مع أن ناموس موسي

---

[1] يقصد أنه وصل إلي الحوار الأخير من هذه الحوارات السبع والتى قام المركز الأرثوذكسي لدراسات الآباء بالقاهرة بنشرستة منها في خمسة أجزاء.

[2] دائمًا ما اعتمد الآباء على هذه الأسلحة الروحية لمواجهة الأفكار الخاطئة التى علَّم بها الهراطقة. وهنا يكرر ق. كيرلس ما سبق أن أشار إليه مخاطبًا إرميا بقوله «وأسفاه يا إرميا إن هذا الكم من التحديف قد أحاط بالحقيقة، محاولاً تشويهها. غير أنه من الواضح أن الوقت أصبح مناسبًا أن نلبس نحن أيضًا درع الرب وسيف الروح أي نتسلَّح بكلمة الله ونسلك بكل شجاعة وبدون خوف وحتى ولو رشقونا باشنع الكلمات». انظر ص٢١٣.

[3] أنظر أف ٦:١٦.

[4] هم يهينون الروح بانكارهم الوهيته ومناداتهم بعدم مساواته للآب والإبن في الجوهر وأن طبيعته ليست هي طبيعة الآب والإبن.

يقول: «وَإِذَا أَمَاتَ أَحَدٌ إِنْسَانًا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ»[٥] كما أن المسيح قال بكل وضوح وصراحة «وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ»[٦] .

إرميـــــا: بالفعل إن الجريمة التي يقترفها هؤلاء البشر هى كبيرة وغير محتملة. لأنهم يتصرَّفون مع أخوتهم كالمخمورين، وإذ يؤذون ضمائرهم الضعيفة فإنهم يخطئون ضد المسيح[٧]. فما هو السبب الذي يجعلهم يتصرَّفون هكذا؟

كيرلس: إن الأمر كله حجج باطلة مع أن ما يقولونه هو ما يفكرون فيه ويعتقدون به. لكن سأجيبك بكل سرور، لأنك تسأل لكي تتعلّم. إن البعض من هؤلاء وقد وصلت بهم الجرأة إلى حد لا يمكن التحكُّم فيه مستخدمين السفاهة بشكل علني وساخر يقولون إن روح الله مخلوق ومصنوع. وآخرون أيضًا ـ وعن خجل ـ يحاولون التخفيف وبطريقة ما، من حدة هذا التجديف بتحسين كلامهم حتي يكون ضلالهم أكثر لياقة فيقولون إن الروح ليس هو الله[٨] بالتأكيد لكنهم يضعونه في مرتبة ـ وبطريقة فيها جهالة ـ في موضع أقل من وضع الطبيعة الأسمي، وهم يعتقدون أنه متميِّز في نوعه وله طبيعة خاصة متوسطة ليست هي طبيعة الكمال الأسمى لكن لديها الأمتياز أن تكون في

---

٥ لاويين ٢٤: ١٧.

٦ مت ١٨: ٦.

٧ يذكر ق. كيرلس في بداية المقال أن المعاندين «يهينون الروح» بأكاذيبهم، وهنا يثبت عليهم جريمتهم بأنهم «يخطئون ضد المسيح» والواقع أن الجرم واحد كما يقول ق. أثناسيوس في دفاعه عن ألوهية الروح القدس «إن هذا التفكير ليس غريبًا علي الأريوسين لأنهم انكروا كلمة الله، فإنه من الطبيعي أن ينطقوا بنفس التحديف ضد روحه». رسائل الروح القدس إلى الأسقف سرابيون ترجمه د. موريس تاوضروس، د. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية طبعة ثانية ٢٠٠٥ صـ٢٩. وهكذا يوضح ق. كيرلس ومن بداية هذا الحوار لإيمان الكنيسة بألوهية الروح القدس وإنه واحد مع الإبن في الجوهر وبالتالي مَنْ يهين الروح يخطئ بحق المسيح نفسه. راجع أيضًا صـ١١٦، ١١٧.

٨ لم يحدد ق. كيرلس بالإسم مَنْ كانوا يجدِّفون على الوهيه الروح القدس بل دعاهم قائلاً: «هؤلاء البشر»، مبينًا أن الجريمة التي يقترفونها هي كبيرة وغير محتملة» ولم يكن هؤلاء هم أول من أنكروا علي الروح القدس الوهيته، فلقد تعرَّض الأقنوم الثالث للهجوم من قبل مَنْ دعوا «بمحاربي الروح» وأيضًا ممن أسماهم ق. أثناسيوس «بالمحرِّفين». ولقد تصدي آباء الكنيسة الأولين مثل العلامة ديديموس الضرير والقديس أثناسيوس الرسولي والقديس باسيليوس الكبير والقديس غريغوريوس اللاهوتي والقديس امبروسيوس أسقف ميلان وغيرهم، تصدوا بكتاباتهم العقائدية دفاعًا عن ألوهية الروح القدس، بل أن الكنيسة الجامعة قد عبرَّت عن إيمانها بالروح القدس، وعمله في الكنيسة من خلال التحديد الذي أقرّه المجمع المسكوني الثاني عام ٣٨١م، للمزيد أنظر: د. جوزيف موريس فلتس: العقيدة في النصوص الليتورجية، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، نوفمبر ٢٠١٠، الفصل السادس.

وضع أفضل كثيرًا من ذلك الذى للمخلوقات[٩].

**إرميـــــا**: ماذا تكون تلك الطبيعة التي ليست هى طبيعة الله وليست هي طبيعة مخلوقة؟ لأني أعتقد أنه لا يوجد شيء بالمرَّة بين هاتين الطبيعتين. لأنه يوجد فرق واحد شائع وهو الذى يفصل بين طبيعة الله وطبيعة الخليقة. ولا يوجد شيء آخر فيما نعتقد أنه يوجد، عدا ما يوجد وما يمكن أن يلاحظه المرء. أم أنك تفكر أنه عدا ذلك يوجد شيء آخر؟

**كيرلس**: بالطبع لا يوجد شيء يا صديقي لأنه الكتاب الموحي به يقول: إن كل الأشياء صارت بالإبن[١٠]. ولهذا فإن كان أحد الخلائق هو مختلف في طبيعته عن باقي الكائنات وبالتالي ليس له وضاعة المخلوقات فإنه سيكون إلهًا بسبب سمو طبيعته. ولكن بالنسبة لنا عكس هذا الكلام ليس بعيدًا عن الحقيقة. لأنه إن لم يكن هو الله حسب الطبيعة فحينئذ سيحسب بالتأكيد ضمن المخلوقات. فإما أن يرفعوا كلَّ ما هو إلهي وأيضًا الروح القدس عاليًا ويعترفون أن جوهره غريب عن المخلوقات أو أن ينزلون به من العروش العليا والفائقة ويحسبونه ضمن الخلائق.

لأنه لا مكان لآخر أو حديث عن طبيعة مختلفة بين هاتين الطبيعتين (طبيعة الله وطبيعة المخلوقات) ويكون لها علاقة بهاتين الطبيعتين[١١]. لأنهم

---

[٩] كمدافع بارع «يلبس درع ويمسك بيده سيف الروح القاطع وترس الإيمان، كما يقول عن نفسه، يرصد ق. كيرلس هنا «الحج الباطلة» بجمّعه التي يتفوّه بها المعاندين، ليقوم بتفنيدها والرَّد عليها. وفي هذا يتبع منهج ق. أثناسيوس، في رده علي الذين كانوا يعلّمون بأن «الجسد الذي من مريم هو من نفس جوهر لاهوت الكلمة». أنظر: المسيح في رسائل ق. أثناسيوس. ترجمه أ. صموئيل كامل، د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. الرسالة إلى أبكتيوس، الطبعة الثانية، يناير ٢٠٠٠ ص٣٥. ولم يتبع ق. كيرلس نفس هذا المنهج في دفاعه عن إلوهيه الروح القدس في كتابه «الكنوز في الثالوث» حيث كان يورد إعتراض المعاندين واحد فواحد ويقوم بالرَّد عليه من خلال الأسئلة الإفتراضية التي كانت تعكس تعليم المعاندين والإجابات التى تعكس تعاليمه وشرحه لإيمان الكنيسة. والحجج الباطلة التي يستخدمها محاربي الروح هنا لانكار الوهيته بقولهم إن «الروح ليس هو الله بالتأكيد لكنهم يضعونه في مرتبة وبطريقة فيها جهالة في موضع أقل من وضع الطبيعة الإلهية الأسمي»، هذه الحجج سبق أن استخدمها من قبل، مَنْ هاجموا أُلوهية الإبن ولقد رصَدَ ق. كيرلس أفكارهم هذه وسجلها في الحوار الأول من هذه الحوارات بقوله: «دعني أكرر أمامك بما يقولون، فإنهم يؤكدون أنه ليس مساويًا في الجوهر لله الآب وينزلونه من الطبيعة الفائقة إلي أسفل ولكنهم والحق يقال يعطونه مركزًا اسمي من باقي الخليقة ويقولون إنه لا يشارك باقي المخلوقات في نفس الطبيعة ولكنه يحتل مكانة متواسطة. وبكلام آخر فهو يتسامى عن مستوي الطبيعة، ولكنه لا يشارك الآب الذي ولده في الجوهر، وفي نفس الوقت لا يمكن أن نحط من قدرة ونحسبه مع المخلوقات». انظر ص ١٨-١٩.

[١٠] راجع يو ١:٣.

[١١] يكرِّر ق. كيرلس هنا ما سبق إن أشار إليه في سياق دفاعه عن طبيعة الإبن الإلهية غير المخلوقة انظر. ص ٢٨.

لو قالوا إن الروح له ما يميزّه بنوع خاص وهم يظنون هكذا أنهم ينسبون له المجد، فكيف لا يكون هذا القول بلا معنى على الأطلاق إذا كان داخل كلٍّ منَّا ـ نحن الذين ننتسب إلي المخلوقات ـ شيء يميزّه علي وجه الخصوص؟. فالشمس على سبيل المثال هى واحدة والقمر واحد ولا توجد أرض أخرى سوى تلك التي نعيش عليها. كما أن طبيعة كل أنواع المياه واحدة مع أن كل منها يحتفظ بخاصيته رغم أن تنوعها يُظهر أنها مختلفة. إذن هو تفكير ينم عن جهل وعن عقل صبياني غير ناضج، أن يظن البعض أنهم يكللّون الروح القدس بأمجاد الكمال وهم يكيلون له بجفاء إهاناتهم[12] ويتجرأون أن يحدوه بمقاييس المخْلوقات دون أن يكون متمَّيزًا عنها بسمو لا يقارن ولا يشبهها في شيء، مثله مثل الآب والإبن تمامًا[13]، معتبرين إنه غير مقدّس[14] وذو طبيعة خاضعة غير جسوره وليس له مكان بالمرَّة بين المخلوقات.

**إرميــــا:** فبماذا نجيب لو قالوا: أين يُدعى الروح القدس أنه هو الله؟

**كيرلس:** قل ليّ، أين قيل ومَنْ قال إن الروح القدس هو من جنس المخلوقات وهو الذى يُحسَب ويُعدّ مع الآب والإبن ضمن الإيمان بأُلوهية واحدة[15] تسمو

---

[12] كانت هذه هى طريقة المراطقة في الهجوم على إيمان الكنيسة ومعتقداتها. ولقد سبق أن رصد ق. كيرلس أقوال مثل هذه في هجومهم على ألوهية الإبن. انظر ص ٤٢.

[13] هنا يكرّر ق. كيرلس ما سبق أن شهد به، في مجال دفاعه عن أُلوهية الإبن ووحده عمله الإلهي مع الآب والروح القدس، إذ أنه بسبب وحده الطبيعة الإلهية فإن الدفاع عن أحد الأقانيم هو دفاع عن الثالوث كله وفي المقابل فإن التشكيك في أحد الأقانيم هو تشكيك في الإيمان ذاته، لذا نجده يقول: «إننا نؤمن، كما تؤمن الملائكة إن الألوهه الواحدة هي في الثالوث القدوس المساوي. والآب مثلما الإبن والروح القدس، لكل منهم اقنومه الخاص الكامل في كل شيء» انظر صـ٣٢١.

[14] حجة المراطقة في إن الروح القدس غير مقدَّس تعتمد حسب تفكيرهم على أن القداسة التي تمنح للآخرين هى ليست في جوهره بل مستمَّدة من آخر وهذا يبين أنه ليس إله. وسوف يرد ق. كيرلس على هذه الحجة بالتفصيل ويفندها ببراهين كثيرة في هذا الحوار.

[15] من الملاحظ تشابه صيغة هذا السؤال مع السؤال الذي وجهه ق. أثناسيوس لمن أنكروا أيضًا أُلوهية الروح القدس حاسبين أنه ضمن الأرواح المخلوقة [وإذن فلتقولوا لنا، أين وجدتم في الكتاب المقدس ان الروح القدس يُدعى فقط «روح» ويشار إليه بدون صفاته اسم «الله» إليه أو «الآب» أو «روحي» أي روح «المسيح نفسه» أو «الإبن» «مني» التى تعني «من الله» أو أين يذكر أنه «روح» غير ما يكون مقترنًا بإداة التعريف فيسمى «الروح» أو «الروح القدس» أو «المعزى» أو «روح الحق» الذى يعنى «روح الإبن» الذى يقول «أنا هو الحق»، حتى انكم بمجرَّد أن تسمعوا كلمة «روح» تظنون أنها تعنى «الروح القدس»؟. رسائل عن الروح القدس. ترجمة د. موريس تاوضروس ، ود. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي لدراسات الآبائية، طبعة ثانية ٢٠٠٥ صـ٣٣. وفي مقابل تعبير «فليقولوا لنا» في سؤال ق. أثناسيوس نجد تعبير «قل لي» في سؤال ق. كيرلس الذى يوجهه لإرميا، ذلك الشخص الاعتباري الذي يضع ق. كيرلس أراء المراطقة على فمه دون أن يؤمن بها. أنظر المقدَّمة.

على كلّ شيء[١٦]؟ أم أن المخلّص لم يوصى تلاميذه القديسين أن يعلّموا بهذا لأنه قال لهم «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.»[١٧]. لهذا فإن الطوباوي بولس سأل مرّة هؤلاء الذين كانوا قد آمنوا قائلاً: «هَلْ قَبِلْتُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ؟»[١٨]، وعندما أجابوا بالنفي وقالوا بوضوح «وَلاَ سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ»[١٩] فإنه وبخّهم وكأنه يقول «لاَ تَنْقُلِ التُّخْمَ الْقَدِيمَ الَّذِي وَضَعَهُ آبَاؤُكَ»[٢٠]، أي «رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ»[٢١] كما هو مكتوب. لأننا قد إعتمدنا على أساس ألوهيه واحدة وربوبيه واحدة للآب والإبن والروح القدس دون أن نعبد ثلاث آله[٢٢]، أو إله مخلوق. أم هل أصابنا ما في المثل الصادق «كَلْبٌ قَدْ عَادَ إِلَى قَيْئِهِ، وَخِنْزِيرَةٌ مُغْتَسِلَةٌ إِلَى

---

[١٦] سبق أن وجهٌ ق. أثناسيوس سؤالًا مماثلا لهذا السؤال لأولئك الذين أنكروا أُلوهية الروح القدس، ولم يحسبوه ضمن أقانيم الثالوث الذي تؤمن به الكنيسة، وتجري المعمودية (أو كما يسميها ق. أثناسيوس سرّ التكميل) علي أساسه، فيقول: [إذن فحيث إن الكنيسة لها أساس من الإيمان هذا، فليقل لنا أولئك الناس مرّة أخري وليعطوا جوابًا: هل الله ثالوث أم أثنان؟ فإذا كان اثنين فعليكم ان تحسبوا الروح بين المخلوقات، وبهذا يكون إيمانكم ليس إيمانًا بإله واحد «الذي علي الكل وبالكل وفي الكل» فإذا فصلتم وأبعدتم الروح القدس عن الالوهه فلا يكون لكم ذلك الذي هو «في الكل» وإذا كنتم تفكرون هكذا فإن التكميل الذي تمارسونه ليس إنضامًا إلي الإلوهيه بالمرّة، لأنكم تمزجون مخلوقًا مع الألوهية»]. رسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون. المرجع السابق صـ٨٢.

[١٧] مت١٩:٢٨. مثلّث هذه الآية سندًا قويًا للآباء في دفاعهم عن أُلوهية الروح القدس ومساواته في الجوهر للآب والإبن، فلقد سبق أن أستخدمها ق. أثناسيوس قائلاً «إذن يوجد ثالوث قدوس وكامل، يُعترف به أنه الله في الآب والإبن والروح القدس، وليس له شيء غريب أو خارجي ممتزج به، ولا يتكّون من خالق ومخلوق، ولكن الكل يبني ويخلق وهو متماثل في ذاته وغير منقسم من جهة الطبيعة، وفعله واحد فالآب بالكلمة في الروح القدس يعمل كل الآشياء وهكذا تحفظ وحده الثالوث القدوس كاملة وهكذا يُكرز بإله واحد في الكنيسة... ولكي يعرف هؤلاء أن هذا هو إيمان الكنيسة، فدعهم يفهمون كيف أن الرب حينما أرسل الرسل أوصاهم أن يضعوا هذا الأساس للكنيسة قائلاً: «أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدهم باسم الآب والإبن والروح القدس، فمضوا الرسل وهكذا عملوا». الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون، المرجع السابق صـ ٨٠-٨١.

[١٨] أع ٢:١٩.

[١٩] أع ٢:١٩.

[٢٠] أم ٢٨:٢٢.

[٢١] أف٤: ٥.

[٢٢] يوضح ق. كيرلس هنا، الإيمان الذي تسلّمته الكنيسة وحافظت عليه والذي كان هو محور كرازتها والذي كانت تجري المعمودية علي أساسه، ولقد سبق ق. أثناسيوس أن شددّ علي نفس هذا التعليم وذلك في إطار مواجهته للذين حاربوا أُلوهية الروح القدس معتبرين إياه ضمن المخلوقات فيقول: «لأن الإيمان بالثالوث المسلَّم إلينا هو واحد وهو الذي يجعلنا متحدين بالله لذلك فمن يستبعد أي واحد من الثالوث ويعتمد باسم الآب وحده أو باسم الإبن وحده أو باسم الآب والإبن بدون الروح، لا ينال شيئًا، بل يظلّ فارغ وغير مكتمل هو نفسه وذلك الذي يظن أنه ضمه، هكذا فإن الذي يفصل الإبن عن الآب أو ينزل الروح القدس إلى مستوي المخلوقات، فهذا لأن يكون له الآب ولا الإبن بل هو بدون إله وهو أشر من غير المؤمن». الرسائل إلي سرابيون، المرجع السابق صـ٨٤.

مَرَاغَةِ الْحَمْأَةِ»[٢٣]. ونحن الذين توقفّنا عن عبادة الخليقة دون الخالق بإيماننا بالله الواحد الذى بحسب طبيعته هو الإله الحقيقي جاعلين خلاصنا موضوع فخرنا وسبب رجاؤنا، تاركين عنَّا الضلالة القديمة الرجسة، إن لم نعترف إنه يليق بالروح بحسب جوهره، عرش الإلوهة الحقيقية، فحينئذ سنَّضل الطريق ولن نعرف من أين أتينا وإلى أين نمضي وسيكون الأمر - كما تعلم جيدًا - صعب الفهم والكلام عنه عسير[٢٤]، مع أنه كان من الممكن أن يكون واضحًا وبالحري أكثر سهولة، لأنه في عدم الأعتراف بالروح القدس، فإننا نشبه تمامًا مَنْ انحرف عن الطريق المعبَّد للعربات، وفي ضلال ليس بأقل من الضلال القديم؛ أو نكون مثل هؤلاء الذين يوبخهم ق. بولس قائلاً «لكِنْ حِينَئِذٍ إِذْ كُنْتُمْ لاَ تَعْرِفُونَ اللهَ، اسْتُعْبِدْتُمْ لِلَّذِينَ لَيْسُوا بِالطَّبِيعَةِ آلِهَةً. وَأَمَّا الآنَ إِذْ عَرَفْتُمُ اللهَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ عُرِفْتُمْ مِنَ اللهِ، فَكَيْفَ تَرْجِعُونَ أَيْضًا إِلَى الأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي تُرِيدُونَ أَنْ تُسْتَعْبَدُوا لَهَا مِنْ جَدِيدٍ؟»[٢٥] بمعنى، كيف نكون قد عرفنا الله[٢٦] والذي هو حسب جوهره إله حقيقي إن لم نعتبر روح الآب، (أي الروح القدس) هو مع الآب إله واحد؟[٢٧]

إرميـــــا: نعم، يقال إننا آمنا بأُلوهية الآب والإبن ولكن ليس بأُلوهية الروح.

---

[٢٣] ٢بط٢: ٢٢.

[٢٤] يشدِّد ق. كيرلس على اهمية الإيمان بألوهية الروح القدس كي يَكمُل اعترافنا ويصبح «خلاصنا موضوع فخرنا وسبب رجاؤنا» ويحذر من نتيجة أنكار هذا الإيمان بقوله «سنضل الطريق ولن نعرف من أين أتينا وإلي أين نمضي» ومن الجدير بالذكر أنه في موضع آخر وفي سياق دفاعه عن ألوهية الإبن، نجده يحذر من نتيجة هذا الأنكار فيقول «لأننا ان لم نومن أن الإبن واحد مع الآب في الجوهر سيكون هناك تخبط ومتاهه ولن يكون للإيمان المعبرّ عنه في الكتب. كما اعتقد. ما يسنده ويؤكده». انظر ص ١١٦.

[٢٥] غلا٤: ٨-٩.

[٢٦] معرفة الله الحقيقة هي الإيمان به كما استُعلن لنا من خلال الإبن الوحيد الذى أَظهَر لنا نور الآب وأعطانا شركة الروح الحقيقية، وبالتالي لا يمكن للمرء أن ينكر أُلوهية أحد الأقانيم ثم يدّعي أنه يعرف الله حق المعرفة، وفي هذا يقول ق. أثناسيوس: «فإن كان التعليم عن الله كاملاً الآن على أساس فهمه ثالوث، هي الديانة الحقيقية الوحيدة، وهذا هو الصلاح والحق وهذا هو الواجب أن يكون هكذا دائمًا» المقالة الأولي ضد الأريوسين ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، د. صموئيل كامل عبد السيد. المركز الأرثوذكسي لدراسات الآباء. طبعة ثالثة. ٢٠٠٢ ص٦٦.

[٢٧] سبق أن أوضح ق. أثناسيوس أن الإيمان الحقيقي بالله يستوجب الاعتراف المباشر.، بألوهية الروح القدس وأنه واحد مع الآب والإبن في الجوهر فيقول في رسالته إلي سرابيون: «وهكذا يكون من غير المعقول أن ندعو الروح مخلوقًا لأنه لو كان مخلوقًا لما كان من الممكن أن يحسب مع الثالوث القدوس، لأن كل الثالوث هو إله واحد: ويكفي لنا أن نعرف أن الروح ليس مخلوقًا ولا يحسب ضمن المخلوقات، لأن الثالوث لا يختلط به أي شيء غريب، وهو غير قابل للتقسيم وهو متماثل مع ذاته». المرجع السابق. الرسالة الأولي. فقرة ٦٧.

**كيرلس:** لكننا لن نستخدم تعاليم معلّميهم الذين أفسدوا عقولهم ولن نُعير انتباهنا لأفكارهم المضلّة كما يقول الكتاب، لكننا بالحري سنؤمن أن في جوهر الله يكمن روحه مثلما يكمن الروح الأنساني في الإنسان. فإن أشار المرء إلى بطرس أو يوحنا مثلا فإنه يشير بالتأكيد إلى أرواحهم الكائنة فيهم. وهذا ينطبق على كل كائن حي على حده. وبالتالي فهذا الأمر ينطبق على كل من الآب والإبن، لأنه يدل في نفس الوقت على روحهما مثلما هو الحادث في حالة الإنسان لأن الروح له أقنومه المتميّز والذى يصدر من طبيعة الآب بالتأكيد ولكنه يُعطَي للمستحقين بواسطة الإبن نفسه[٢٨]. وليس من التقوى بل هو هذيان عظيم أن يَقسّموا الجوهر إلى نصفين أو أن يتجرأو فيحدروا الطبيعة الألهية إلى أسفل مع أن الكتاب المقدّس الموحي به يؤكد أنها ثلاثة أقانيم متساوية ومتماثلة في كل شيء وفي وحدة حسب الطبيعة وجوهرهما واحد.

### الروح القدس يحمل الأسم "إله"

**إرميا:** فكيف يُفهَم مما يقال إن الروح هو الله؟

**كيرلس:** من خلال تلك الأشياء التي تُميز طبيعته يا صديقي، ومن الأشياء التي نستطيع - على قدر الإمكان - أن نعرِّف جيدًا بحسب كينونتها الفعلّية، وليس لأسمائها بالنسبة لنا - دلالة كبري فيما يتعلّق بالتعريف الضروري لها - مع أن هذه الأسماء جميلة وبدون أي تزييف وهي مهمة للكائنات عينها وتناسب كل تسميًة.

**إرميا:** ما تقوله غير واضح ولا أستطيع فهمه.

**كيرلس:** سأشرح لك، وعلى قدر الإمكان سأوضح لك ما أقصده. فعندما يشير المرء إلى كائن حيٍّ عاقل، قابل للموت، ذو معرفة وفهم فمَنْ هو الذى يُحدِّد بهذا الوصف يا صديقى؟

---

[٢٨] كان هذا التعليم هو الذى تبنته الكنيسة وعبّر عنه ق. أثناسيوس من قبل بقوله: «الروح القدس الذي ينبثق من الآب، هو دائمًا لدي الآب الذي يرسله والإبن الذي يعطيه». الدفاع عن إيمان مجمع نيقية، فصل ٤، ثم تسلمه الآباء الكبادوك بعد ذلك حيث دعوا إلي تمييز واضح بين الجوهر والأقنوم لكي يتمكنوا من تسليط الضوء على أقانيم الآب والإبن والروح القدس في أنماط وجودهم المختلفة وخصوصياتهم المميزة. للمزيد أنظر: الإيمان بالثالوث: توماس ف. تورانس ترجمة د. عماد موريس اسكندر ومراجعة د. جوزيف موريس فلتس. اصدار باناريون. الطبعة الثانية. نوفمبر ٢٠١٠. ص٢٨٥ ومابعدها.

إرميـــــا: الإنسان بالطبع.

كيرلس: فإن قال إنه كائن حي وأضاف أنه يجهل، فماذا يقصد؟

إرميـــــا: سأقول إنه يقصد الحصان.

كيرلس: وإن صمت ولم يذكر إسم كل منهما فكيف يمكنك أن تقول أيهما يقصد الإنسان أم الحصان؟

إرميـــــا: هو حدَّد يا صديقي طبيعة كل من الإنسان والحصان.

كيرلس: فلو وبخَّك شخص ما لأنك تميّز بين هذه الكائنات قائلاً إن الكائن العاقل ليس هو إنسان ومَنْ يجهل ليس هو حصان إن لم تضاف لهذه الصفات الأسماء أيضًا، فهل نكون على خطأ لو قلنا إن هذا الشخص الجاهل، هو أيضًا متجاوز في الكلام، ومعتوه وأيضًا متهاون؟

إرميـــــا: بل وأكثر من هذا أيضًا.

كيرلس: كنت سأجيب، إن نقد الأمور الصحيحة وبطريقة حادة يعكس جهالة عظيمة، لأن الكلام عن كلِّ كائن يخصه وحده يبيِّن بوضوح واقع ماهيته، بينما أسماء الكائنات في كثير من الأحيان تكون متشابهة.

كيرلس: وبالتالي فالتحديد الأدق للكائنات هو نتاج البحث في العناصر المكونة لطبيعة كل كائن، وليس بالضرورة عن طريق تحديد الاسماء. أم أننا لن ننسب للطبيعة التي تملك كل الطبائع، أنها أزليّة وعديمة الفساد وأبديّة وغير متغيِّرة؟

إرميـــــا: وكيف لا؟

كيرلس: إذن قل لي ماذا يعني الاسم «إله»؟

إرميـــــا: يعني مَنْ له هذه الطبيعة.

كيرلس: غير أن خصائص هذه الطبيعة هي الأزليَّة وعدم الفساد. بينما الأسم «إله» هو خاص بالملائكة أيضًا، وبنا نحن علي الأخص حتي ولو كان مضاف إلينا ومُعطى لنا. وبالمثل يوجد في الإنسان عقل، غير أن الأسم «إنسان» يُطلَق علي التماثيل التي تُصنَع من حجارة أو أي معادن أخري بطريقة فنيَّة دقيقة، على شكلنا وهيئتنا. فهيَّأ بنا إذن لنفحص أى من هذين الأمرين: هل الروح هو

الله ويوجد في الله وهو منه بحسب الطبيعة، طالما أنه متصّف حسب جوهره بخصائص الإلوهه، أم أنه وفق هؤلاء لا يجب أن نعتبر الروح مساوٍ في الجوهر لله، والحجة في ذلك إنه لا يحمل الإسم «إله»؟ غير إننا بالتأكيد لن نتعب كثيرًا في إثبات كذبهم في هذا الأمر أيضًا، ولن نستخدم أفكارًا تبعدنا عن موضوعنا، بل سنتحّدث معهم مما جاء في الكتب المقدَّسة وسنعتق عقولهم من حماقتهم غير الهادفة والتى سيطرت على عقولهم مثل الغمص في العيون.

إرميـــا: غير اني أقبل أنا أيضًا انه أمر عظيم أو أسمى بلا قياس، أن نفحص وبتدقيق في هل الروح القدس يتصف بخصائص الالوهة ولا يوجد في داخله شيء أقل مما يوجد في الآب والإبن، وذلك بدلاً من كثرة الكلام غير المنطقي وأن نُرهَق في المناقشة حول «الاسم»[29] فقط.

كيرلس: أنك تتكّلم بطريقة سليمة وواضحة يا إرميا لأني أومن أن هذا أمر سامي ودقيق. على أنه بسبب المعاندين الذين يريدون البحث في أمور لا فائدة منها، فإنه من الممكن أن تري أن الروح القدس يُسمى «الله» لأن بطرس الطوباوي اكتشف أن حنانيا قد سرق من ثمن الحقل فوبَّخه بشدة قائلاً له «فَقَالَ بُطْرُسُ: «يَاحَنَانِيَّا، لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟ أَلَيْسَ وَهُوَ بَاق كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بِيعَ، أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هذَا الأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللهِ»[30].

إرميـــا: نعم، لكنه يقول إنه يكذب على الله حتي ولو قبل المرء أنه يكذب على الروح.

كيرلس: وبأي طريقة إذن يا صديقي إن لم يكن الروح هو الله؟

إرميـــا: لأنه يقال إن أراد أحد أن يكون تقيًا أمام القديسين أيضًا فإنه يكون تقيًا أمام الله. وبالفعل قال المسيح بكلٍّ وضوح لتلاميذه «مَنْ يقبلكم

[29] بمعني هل الروح القدس اسمه «إله» أم لا.

[30] أع٥:٣-٤، سبق أن استخدم ق. كيرلس هذه الآية للدلالة على أُلوهية الروح القدس فكتب يقول: «إذن بما أن ذاك الذى يكذب على الروح القدس، يكذب على الله، بالتالي الروح هو الله بحسب الطبيعة». الكنوز في الثالوث ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د. جوزيف موريس فلتس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة. سنة ٢٠١١، صـ٥٥٥. انظر أيضًا صـ٦١٦، ٦١٨.

يقبلني» وبالطبع عندما نفكر بطريقة صحيحة، لن نقول إن التلاميذ هم آلهة حسب الطبيعة، حتي لو كان مَنْ يقبلهم في بيته يقبل الإبن. وبالمثل إذن، مَنْ يخطيء في حق الروح يخطيء في حق الله الذى أرسله.

**كيرلس:** لكن هناك حيث يتحلَّي الاثنان بنفس الخصائص غير المتغيّرة حسب الطبيعة، فالضرورة تحتم أن يكون لهما الجوهر الواحد وبطريقة لا يمكن الحديث عنها بسبب أننا نتحدَّث عن جوهر سامى، وبسبب أن لهم الجوهر عينه بمعنى أن الواحد يكون مثل الأخر والآخر مثل الواحد. اما عندما يكون هناك نوع من عدم مساواة في الطبيعة، فإن هذا يقسّم بعض الكائنات حتى أنه يجعلها مختلفة عن بعضها، فلا يمكن القول إنه من غير المحتمل إذن لو لم يكن الروح هو واحد مع الآب في الجوهر ما كان قد أخطأ في حق الرب مَنْ أخطا في حق الروح القدس، لأنه (أي الروح) يشير إلى مَن أرسله. أما إن انتهت بهم هذه المناقشة - حتى وبدون إرادتهم - إلى إكرام الروح بكونه هو واحد مع الله في الجوهر، فلتحَّمر وجهناتهم خجلاً مما يخترعون، لأنهم يساوون بين مَنْ هو واحد في الجوهر مع الله وبين مَنْ هم ليسوا واحدًا في الجوهر معه. لأن ما يفعله المرء مع القديسين لا يتساوي مع ما يفعله مع الروح القدس. فلو أشرنا إلي إنسان، فحينئذ سنتكَّلم عن الله الذي هو الأصل (في خلق الإنسان) أما لو تكلَّمنا عن الروح القدس فحينئذ يكون كل ما في الخليقة يشير إلي الطبيعة الإلهية غير الموصوفة (والتي تخلق كل شيء) بدون تدّخل أي وسيط من تلك الكائنات العليا، لكنها تسمو مباشرة وبدون وسيط أيضًا إلي نفس الصلاح الفائق الذي يسمو علي كل الخليقة. ولهذا فإن الروح هو مرتبط بالله الآب بسبب أن لهما الجوهر الواحد، مع أنه فقط في الاشارة إلى الأسماء فإننا نستدعي الروح القدس كأسم ثالث[٣١] ( أي بعد ذكر الآب والإبن).

---

[٣١] هذا الترتيب لا ينتقص من المساواة الكاملة بين الثلاثة أقانيم الإلهية، وهناك شواهد إنجيلية يأتي فيها كل من الأقانيم الثلاث أولاً، فبينما في الليتورجيا الكنسية في طقس المعمودية يذكر الآب اولاً نجد في البركة الرسولية يأتي ذكر الإبن أولاً لأن الإيمان بالله الآب والله الروح القدس كان متضمنًا في الإيمان بيسوع المسيح كربٌ ومخلّص، وفي حياة أبناء الكنيسة وفي خدمتهم الروحية كان التركيز المباشر على عمل ومواهب الروح القدس. ورغم أن القديس أثناسيوس اعترف بهذا التنوع في ترتيب ذكر الأقانيم وفقًا لفهمه للإيمان المسيحي والحياة المسيحية إلاً أنه حذَّر من تغيرَّ ترتيب أقانيم الثالوث عن الترتيب الذي ذُكِرَ في صيغة المعمودية المقدسة وذلك في مواجهة هرطقة سابليوس (الرسالة الرابعة إلي سرابيون: ٥) انظر الإيمان بالثالوث. مرجع سابق. صـ ٢٢٧. ٢٢٨.

غير أنه مرتبط بالإبن أيضًا. لأن المسيح وهو يُعلّم المرأة السامرية قال لها «اَللّه رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا»[٣٢] كما أن بولس الرسول كتب قائلاً: «نَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ.»[٣٣] «وَأَمَّـــا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ، وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ»[٣٤].

**إرميـــا**: إذن الروح هو واحد في الجوهر مع الآب والإبن؟

**كيرلس**: نعم طالما أن القديسين لا يستطيعوا أن يحصلوا على شركة الله بأي طريقة أخرى إلاّ بواسطة الروح القدس[٣٥]. لأن بأي من الأثنين نصير شركاء الطبيعة الإلهية كما هو مكتوب[٣٦]، هل حسب طبيعتنا المخلوقة كعبيد، أم عن طريق شركتنا بالفعل. وعلى قدر استطاعتنا ـ في الطبيعة الإلهية، صائرين هكذا أبناء الله؟[٣٧]

---

[٣٢] يو٤: ٢٤ ، في ختام كتابه «الكنوز في الثالوث» أفرَدَ ق. كيرلس المقالة ٣٥ لاستعراض شواهد من الكتاب المقدس لاثبات أن «الروح القدس يأتي بحسب الطبيعة من الله». ولقد مثّلت هذه الآية أحد هذه الشواهد دون أن يتعرَّض لشرح أبعادها اللاهوتية كما يفعل هنا». أنظر «الكنوز في الثالوث»، المرجع السابق. فقرة ٢٥٦ ص٦١٦.

[٣٣] ٢كو٣: ١٨. (بفعل الروح الذي هو الرب).

[٣٤] ٢كو٣: ١٧، في نهاية استعراضه لمجموعة من الآيات من رسائل بولس الرسول والتي يعضِّد بها شرحه وتعليمه عن أُلوهية الروح القدس وأنه واحد في الجوهر مع الآب والإبن، يورد ق. كيرلس نص الآتين ٢كو١٧، ١٨ ويخلص منهما إلي القول «إذن عندما يكون الرب يسوع واحدًا، وفق أقوال بولس والروح يُسمي رب، إذن فهو لا يعرف أختلاف بين الإبن والروح، وهو يسميّه باسم الربوبية لأنه من الجوهر الواحد نفسه، ويوحد فيه بحسب الجوهر». الكنوز في الثالوث، المرجع السابق. المقالة ٣٤ فقرة ١ ص٥٥٢، وهنا يُجمل تعليمه من خلال الآيات نفسها ويضع صيغة هذا الإيمان علي لسان إرميا بقوله: «إذن الروح هو واحد في الجوهر مع الآب والإبن».

[٣٥] يشدد ق. كيرلس على عمل الروح القدس في داخلنا كونه هو الله، إذ أنه يصيِّرنا شركاء الطبيعة الإلهية. وفي موضع آخر وفي سياق دفاعه عن أُلوهية الإبن، يشدِّد على عمل الإبن لأجلنا عندما صار كواحد منا، إذ صرنا فيه شركاء الطبيعة الإلهية عن طريق الروح القدس فيقول: «ألم نولد روحيًا. صديقي. آخذين صورة ابنه وتشكلّنا حسب بهائه الإلهي عن طريق الروح القدس، فصرنا شركاء الطبيعة الإلهية، وذلك لقرابتنا للإبن الذى هو الله؟» انظر صـ١٩٠. وهكذا نخلص إلي أن نتيجة عمل أقنومي الإبن والروح القدس والذى يصرِّنا شركاء الطبيعة الإلهية هي عمل يقوم به كل من أقنومي الإبن والروح القدس في تلازم وتبادل. وسيعود في نهاية هذا الحوار ويكرر هذه الحقيقة في حديثه عن ما نحصل عليه من قداسة عن طريق الروح القدس الذى يملك القداسة في طبيعته كونه هو مثل الله القدوس فيكتب متسائلاً: «وطالما إن الله هو قدوس حسب الطبيعة فالروح أيضًا هو قدوس ومعروف أنه ينبثق منه وهو كائن فيه. إذن كيف يمكن أن يكون بينهما فرق. أعني فرقًا حسب الجوهر؟ أو كيف لا يكون هؤلاء مرض بالإهمال والتواني وهم يحسبون ضمن الخلائق مَنْ بواسطته وبه تأتي الطبيعة الإلهية لتسكن في داخلنا؟» صـ٦٨-٦٩.

[٣٦] انظر ٢بط١: ٤.

[٣٧] يوضّح ق. كيرلس هنا أن عمل الروح القدس هو أنه يجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية وبذلك نصير أبناء الله. وهذا دليل علي ألوهية الروح القدس. وفي موضع آخر يستخدم تعبير «شركاء الطبيعة الألهية» أيضًا، وذلك لاثبات أُلوهية الروح القدس من خلال عمله فينا إذ أنه يجعل الإنسان صوره الله، وهو يستعين بما جاء في رسائل ق. بولس لايضاح تعليمه=

إرميـــــا: فإن كان من غير الممكن أن يُشترَكَ في النار بغير نار، فكيف يمكن للمرء أن يكون، شريكًا في الطبيعة الإلهية بدون الله؟

كيرلس: فمَن يعمل في داخلنا ويكمِّل فينا عمل الله، هل يمكن ألاّ يكون هو الله؟

إرميـــــا: وكيف يكون هو الله؟

كيرلس: انتبه إذن، لقد قال الله في القديم «حَسَبَ الْكَلاَمِ الَّذِي عَاهَدْتُكُمْ بِهِ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، وَرُوحِي قَائِمٌ فِي وَسَطِكُمْ. لاَ تَخَافُوا»[٣٨] كما أن البشير كتب لنا «وَمَنْ يَحْفَظْ وَصَايَاهُ يَثْبُتْ فِيهِ وَهُوَ فِيهِ. وَبِهذَا نَعْرِفُ أَنَّهُ يَثْبُتُ فِينَا: مِنَ الرُّوحِ الَّذِي أَعْطَانَا»[٣٩]. قل لي إذن بأي طريقة كان يوجد الله في القدماء عندما كان الروح في داخلهم؟ أو كيف يمكن أن يأتي في داخلنا نحن عندما يكون الروح ذاته في داخنا؟ لأنه لا يمكن أن يتحقق فينا وجود الله حسب طبيعته إن كان الروح مختلف عن الآب في الجوهر[٤٠].

إرميـــــا: بالمرَّة.

= هذا فيقول: [عندما وضع بولس القوانين المفيدة للكنائس، أعطانا وصية مؤداها كيف ينبغي أن نحيا في الكنائس، وكيف ينبغي أن نظهر أمام إله الكل، إذ يقول: «فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ (صورة) مَجْدُ الرَّجُلِ» (١كو ١١: ٧)، ثم أكّد بعد ذلك على أن المرأة هي مجد الرجل. لذا كان من الضروري أن نفحص بأية طريقة يكون الاثنان هكذا. وليتنا نأخذ أولاً هذا الذي قيل عن الرجل، وليتنا نفحص كيف يكون أيضاً مجد الله. أعتقد أنه من الواضح للكل، أن الرجل سُمِّي هكذا؛ لأنه يشارك روح الله، وبواسطته صار شريكاً للطبيعة الإلهية (أنظر عب ٦: ٤)، وبسبب هذا يمتلئ أيضاً من مجد الله. إذن، فبسبب أن لديه الروح الذي يأتي من جوهر الله، ولأنه بشركته معه أصبح مخلوقاً مشابهاً لذاك الذي خلقه، دُعي هكذا صورة ومجد الله ولأن المرأة أيضاً دُعيت هكذا، دعنا نرى أهمية هذا الوصف. بولس يقول إنما هي مجد الرجل؛ لأنها صارت من جوهر ذاك. لأنه يقول: «فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتاً عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْماً. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ» (تك ٢: ٢١ - ٢٢). إذن، فمثلما دُعيت المرأة مجد الرجل؛ لأن الله أخذ جزءً من أعضائه لكي يخلقها، هكذا أيضاً دُعي الرجل مجد الله؛ لأنه صار مشاركاً لجوهره بواسطة الروح القدس الذي يسكن داخله (٢ بط ١: ٤). فإذا كانت الأمور على هذا النحو، من الضروري أن نقول إن الروح ليس مخلوقاً أو مجبولاً، لكنه يأتي من جوهر الله، وهو الله الذي يُكرَّم مع الآب والابن، في الطبيعة الإلهية الواحدة]. الكنوز في الثالوث. المرجع السابق. مقال ٣٤ فقرة ١٩. ص٥٦١.٥٦٢.

[٣٨] انظر حجي٢: ٥.

[٣٩] ١يو٣: ٢٤.

[٤٠] يُعبِّر ق. كيرلس في موضع آخر عن جوهر الإيمان فيما يختص بألوهية الروح، لكن في صياغة أخري مستندًا علي الآية السابقة فيقول: [فبما أنه عندما يكون الروح القدس فينا، يكون الله هو ذاك الذي يسكن. فكيف لا يكون الروح الآتي من الله إلهًا، والذي بواسطته يقول النبي «وأسير بينكم وأكون لكم إلهًا وانتم تكونون لي شعبًا» وإذ كان الروح هو الله ويأتي من الله، فمن ذا الذي يخاطر ويقول إنه مخلوق ويخلص من الجحيم الأبدي؟]. الكنوز في الثالوث. المرجع السابق مقال ٣٤ فقرة ٦٧ ص٥٨٦.

**كيرلس:** إذن الروح هو الله وهو يأتي - حسب الطبيعة - من الله أو إن لم يؤمنوا بهذا - حسب اعتقاد المعاندين - فحينئذ سيكون ما قد قاله الحكيم بولس، هو هراء بلا هدف وضلال أكيد. فقد كتب ما يلي لأولئك الذين يكرمون الروح ويتنبأون بواسطته «وَلكِنْ إِنْ كَانَ الْجَمِيعُ يَتَنَبَّأُونَ، فَدَخَلَ أَحَدٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ أَوْ عَامِّيٌّ، فَإِنَّهُ يُوَبَّخُ مِنَ الْجَمِيعِ. يُحْكَمُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَمِيعِ. وَهكَذَا تَصِيرُ خَفَايَا قَلْبِهِ ظَاهِرَةً. وَهكَذَا يَخِرُّ عَلَى وَجْهِهِ وَيَسْجُدُ للهِ، مُنَادِيًا: أَنَّ اللهَ بِالْحَقِيقَةِ فِيكُمْ»[41]. ولهؤلاء الذين يفتخرون بالتكلم بالألسنة يقول « لأَنَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ لاَ يُكَلِّمُ النَّاسَ بَلِ اللهَ، لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَسْمَعُ، وَلكِنَّهُ بِالرُّوحِ يَتَكَلَّمُ بِأَسْرَارٍ»[42] إذن أين يسكن - بصفة عامة - الروح القدس في هؤلاء الذين يتنبأون بالروح؟ وهذا الذى يتكلّم مع الله، بأي طريقه يتكلّم بالأسرار عن طريق الروح القدس، إن كان الروح القدس غريب وطبيعته ليست هي طبيعة الله؟.

**ارميـــــا:** أنك تتكلّم بالصواب

## عمل الروح القدس في تقديسنا يُثبت الوهيته.

**كيرلس:** بالإضافة إلى هذا فيمكننا أن نقول إنه توجد أفكار كثيره عاقله تستطيع دحض كل تجديف علي الروح كما أنها سوف تضعنا على طريق الحقيقة الصحيح.

**ارميـــــا:** ماذا تعني بهذا؟

**كيرلس:** ألاّ تقول إن الانسان قد خُلق على صوره الله ومثاله؟

**ارميـــــا:** وكيف لا.

---

[41] ١كو١٤: ٢٤-٢٥. في نفس المرجع يعلّق ق. كيرلس علي هذه الآية بقوله: «إذن عندما يقبل أولئك الروح القدس، يسكن الله داخلهم، حينئذ يتنبئون فينالون الإعجاب بسبب هذا فكيف يكون مخلوقًا وليس من الجوهر الأسمي من الكل، هذا الذي يُرسل بطريقة طبيعية من الآب بواسطة الإبن إلي أولئك الذين يقبلونه، مثل الحرارة عندما تُنتقل من النار إلي الجسد؟». الكنوز في الثالوث مقال ٣٣ فقرة ١١ صـ٥٤٧.

[42] ١كو١٤: ٢، في محاولته لترسيخ عقيدة أُلوهية الروح القدس، يشدّد ق. كيرلس علي عمل الروح القدس في داخل مَنْ يسكن فيهم، الأمر الذي يثبت الوهيته، ولذا نجده يطرح سؤالاً استنكاريًا بعد أن يورد هذه الآية. فهو يري أنه لا يستطيع إنسان أن يتكلّم بأسرار الله أن لم يكن الله في داخله، وبالتالي مَنْ ينطقون بالأسرار عن طريق الروح لابد لَمن يسكن فيهم ألاّ يكون غريبًا عن الله أو ليس له نفس طبيعته، وفي موضع آخر يورد هذه الآية في سياق رده علي محاربي الروح القدس ويتسآل أيضًا مستنكرًا فكرهم فيقول: «إذن كيف لا يكونوا مذنبين بجريمة التحديف هؤلاء الذين يتطاولون ويحسبون الروح ضمن المخلوقات؟». الكنوز في الثالوث. المرجع السابق مقالة ٣٣ فقرة١٢ صـ٥٤٨.

**كيرلس:** أليس الروح هو الذى يرسم فى داخلنا الصورة الالهية وكختم يختمنا[٤٣] بالبهاء الفائق؟

**إرميـــا:** لكنه لا يعمل هذا بكونه هو الله بل كنعمة الله الفائقه.

**كيرلس:** وبالتالي فالذى يُرسَم داخلنا ليس هو الروح بل نعمة الله هي التى تُرسَم فينا بواسطته؟!

**إرميـــا:** يبدو هذا.

**كيرلس:** إذن كان يجب أن يقال إن الإنسان خُلِقَ على صورة النعمة وليس على صورة الله. وانتبه لهذا لأني أعتقد أن السبب بسيط .لأنه فى البداية خُلق الكائن الحي الذى صنعه الله وكرّمه بطريقة ما عندما خَلَقهُ بيَّديه كما يقول الكتاب[٤٤] . وعندما جاء إلى الوجود، صار على صورة الله حيث إنه قَبِلَ فى داخله نفخة الحياة. لكنه عندما رَفَضَ هذه العطيَّة وانعطف نحو الشر، فإنه عاد مرَّة أخري إلى وضعه القديم. وعندما جدَّد المسيح تلك الصورة التى فَسدَت، جاعلاً إياها إلهية وروحيه استخدم نفس الطريقة الأولى لأنه نفخ فى وجوه تلاميذه القديسين قائلاً: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ»[٤٥] أم أنك لا تعتقد أن مَنْ

[٤٣] وصَفْ الروح القدس على أنه هو «الختم» أمر شائع عند آباء الكنيسة ولقد سبق أن استخدم ق. أثناسيوس هذا الوصف فكتب أن الروح القدس هو «مسحة وختم». أنظر رسائل إلي سرابيون. المرجع السابق. صـ١١١.

[٤٤] تك٢:٧.

[٤٥] يو٢٠:٢٢. الدفاع عن عقيدةالثالوث، كما يتضَّح من كتابات الآباء هو في الأساس دفاع عن وحده جوهر أقانيم الثالوث والوهيتهم، وبالتالي وحده الأرادة والفعل. ولقد عبرّ الآباء ومنهم ق. كيرلس عن هذه العقيدة لذا نجده في أحدى مقالاته التي حملت عنوان «الإبن هو من نفس جوهر الآب» يثبت ألوهية الإبن وإنه واحد مع الآب في الجوهر من خلال استخدامه لهذ الآية التي تبين ألوهيته وعمله الخلاصي فينا فيقول: [ المخلِّص بعد قيامته من الأموات جدَّد لنا نعمة الروح القديمة حين نفخ في التلاميذ قائلاً «اقبلوا الروح القدس»]. أنظر: الكنوز في الثالوث، المرجع السابق، مقال ١١ فقرة٣٤ صـ١٥٤. وفي موضع آخر من نفس الكتاب يكرِّر استخدام هذه الآية موضِّحًا ألوهية الإبن المتجسد، من خلال عمله فينا فيقول: [«كذلك أعاد المخلِّص تجديد الإنسان إلى «حسب الصورة» ولذلك نفخ في تلاميذه قائلاً «اقبلوا الروح القدس» وإذن فالذي يملك التجديد لابد وأن يكون قديمًا، وبالتالي فإن اكتمال التشبه بجوهر الله يُمنح للإنسان بواسطة شركة الروح، لأنه ليس بمجرَّد أفكار خَلَقَ الله التشبه بذلك، لكن طالما أخذنا روح الإبن، نحصل علي شكل الله] ويخلص إلي النتيجة التالية متسائلاً فيقول: [«إذن كيف لايكون الإبن مثل الآب بحسب الجوهر وهو الذي يمنح لنا أيضًا إمكانية أن نحصل علي صورة الله؟]. الكنوز في الثالوث ، المقال ١٣ فقرة ٣١ صـ٢٠٨، وفي مقال آخر يقول عن الإبن إنه [ هو مصدر القداسة، فهو يقدِّس التلاميذ قائلاً: خذوا الروح القدس»، وهو ذات ما يفعله الآب أيضًا. وهنا أيضًا يوجِّه تساؤل استنكاري للذين ينكرون ألوهية الإبن فيقول: «فاذا كان لدي الإبن سلطان وقوّة مساوية للآب للتقديس، فكيف، لا يكون متماثلاً معه تماثلاً حقيقيًا؟] مقال ١٣:٣٨والجدير بالذكر أن ق. كيرلس لم يستخدم هذه الآية عندما كان يدافع عن ألوهية الروح القدس في كتابه «الكنوز في الثالوث» حيث خصص المقالتين ٣٣، ٣٤ لذلك الأمر، والملاحظ أنه في دفاعه عن ألوهية الإبن، اعتمد علي هذه الآية كما سبق القول لأنه لو لم يكن الإبن إلهًا لما استطاع أن يهبنا روحه القدوس الذي يفعل فينا هذه الأفعال الإلهية التي أوردها ق. كيرلس والتي سبق الإشارة إليها، بينما في دفاعه عن ألوهية الروح القدس كما نري هنا في كتابه «حوار حول الثالوث» نجده يورد –

هو متحد بالمسيح ليس هو خليقة جديدة»[46]؟[47]

**إرميـــــا:** بلا.

**كيرلس:** وبالتالي فإنه من الحق أن نقول أو بالحري من الضروري - بطريقة ما - أن نفكر في أنه طالما أن الفساد وطريقة العصيان قد جلبا الهلاك للصورة التي كانت قد تقدَّست، فهل يا تري بإعادتنا إلي حياتنا الأولي وتجديدنا بواسطة المسيح، لا يجب علينا أن نقتنع بأننا نملك مرَّة أخري أن نكون مشابهين لله؟

**إرميـــــا:** بكل تأكيد.

**كيرلس:** أما لو كانت النعمة المعطاة لنا بواسطة الروح القدس هى نعمة

- هذه الآية لإيضاح عمل الروح القدس بكونه هو الله، من خلال إمكانية فعله فينا بأن يمنحنا شركة الإبن وهبة الخليقة الجديدة وهذا يتضّح من سؤاله الاستنكاري لإرميـــا: «أم أنك لا تعتقد أن مَنْ هو متحد بالمسيح ليس هو خليقة حديدة؟».وخلاصه القول أن الفعل الإلهي لأحد أقانيم الثالوث يثبت ألوهيته لأنه يعطينا شركة الأقنوم الآخر.

[46] « إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» ٢كو٥:١٧.

[47] والسؤال الاستنكاري هنا، موجهة للذين ينكرون أُلوهية الروح القدس ويزعمون أنهم يعترفون بربوبية الإبن المتجسِّد. لأنهم لو كانوا بالفعل يؤمنون بالإبن فلابد أن يؤمنوا بالروح القدس بناء على قول المسيح لتلاميذه «أقبلوا الروح القدس» فهو يعطيهم الروح القدس كون الروح القدس هو الله وليس مجرَّد نعمة من الله، وعمل الروح فينا كونه هو الله هو أن يجدِّد الطبيعة التى فسدت. وفي أحد حواراته السابقة التى واجه فيها أفكار مَنْ أنكروا أُلوهية الإبن دون أن يتعرَّضوا جهارًا لأقنوم الروح القدس، حاول ق. كيرلس التعامل مع تعاليمهم هذه بطريقة عكسيَّة، فعمل علي إيضاح عمل الإبن المتجسد - من خلال - عمل الروح القدس الذى لا ينكرون ربوبيته - في تجديد البشرية واعادتها إلي رتبتها الأولى مشددًا على أن هذا العمل الخلاصي لم يكن يتم إلاَّ لو كان الإبن هو الرب والله الذي ظهر في الجسد. وفي نص رائع يصف ما آلت إليه البشرية بعد السقوط وكيف أن الإبن كلمة الله قد اعادها للشركة في الحياة الإلهية بالروح القدس فيقول: [ لقد هرب العالم من خالقه، وابتعد عن االاتصال به، لأنه لم يعرف الخالق الذي هو أَسْمَى من الخليقة. ولأنه أنعطف نحو الشرّ فإنه قطع علاقته بالخالق، تلك العلاقة التي كانت عن طريق الروح القُدُس. لأنه بمجرّد أن خُلقَت طبيعة الإنسان بواسطة روح الخالق غير الموصوف زُيِّنت في الوقت نفسه بِهِبَة العلاقة بالروح القُدُس، لأنه مكتوب «وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ» لأنه - كما أعتقد - لا يستطيع الكائن الحيّ أن تكون له هذه الدّالّة وهذا التَّقْدِّيس بأي طريق آخر، سوى شركة الروح القدس؛ فعندما تَجسَّد الابن الوحيد، وَجَدَ أن طبيعة البَشَر خالية من الصلاح الذي وَهَبه الله إليها في القدم عند خِلقَتِها؛ لهذا أسرع بأن يُشرِكها في مِلئِهِ مثلما مِنْ نبع، قائلاً: «**اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ**»، ومبيِّنًا نفخة روحه عندما نَفَخَ في وجوههم. وهكذا كان تجديد البشريَّة وإعادتها إلى رتبتها الأولى، مُماثلاً لما قد حَدَثَ عند خلقها في البدء، بينما نجد أن انفصال الطبيعة المخلوقة لا يُفهم أنه إبتعاد مكاني، بل بالحري أنه إبتعاد هذه الخليقة عن الله وعن شركه الابن والروح القدس. لهذا فيمكن أن ترجع إلى حالتها الأولى لو أرادت. طالما أنها وُهبت التحديّد الروحي وهي مدّعوه لشركه الطبيعة الإلهية عن طريق الروح القدس. فلو كان الابن - حسب ما يقولون - هو واحد من ضمن المخلوقات، فبأية طريقة تكون الخليقة قد انفصلت عنه؟ لأن مَنْ تربَطهم علاقة قرابة هم دائمًا متحابون، ولن ينفصل أحدهم عن الأخر أبدًا، إذ أن كلا منهم مخلوق مثل الآخر. بينما الغريب، أي الذي لا يكون من الطبيعة نفسها، لا يوصف عاده بنفس صفات تلك الطبيعة، لأنه مختلف عنها، فكيف يكون (الابن) قد صار ضمن الخليقة عن طريق الروح؟ وما هو الشيء الذي يمكن أن يُضيفه أو يَهبه لها، أو إلى أي مستوى يمكن أن ترتقي هذه الطبيعة المخلوقة، وما هو الشيء الفائق الذي يشكّله داخلها؟ وكيف يُقال أنه قد وَضَعَ نفسه، طالما أنه لا يحسب من ضمن مَنْ هم أعلى (لأنه مخلوق مثلنا حسب اعتقادهم)؟ أو أي تنازل قد احتاجه حتى أنه في تنازله هذا من عِلوِه، يكون قد اتحد بهذا العالم وصار جزءًا منه، إن لم يكن هو اسمى من العالم والخليقة؟]. انظر ص ١٩٥.

منفصلة عن جوهره، فحينئذ لماذا لم يقل موسي النبي[48] إنه عندما أَوجَدَ الخالقُ، الكائنَ الحي (الإنسانَ)، إنه نفخ فيه النعمة مع نفخة الحياة، ولماذا لم يقل المسيح لنا «اقبلوا النعمة» التى أهبها لكم بعمل الروح القدس؟ والعكس هو الصحيح لأن موسي قال «نفخة الحياة». و» لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ. كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَائِكُمْ أَيْضًا: لأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُه»[49]، بينما دعاه المخلِّص «الروح القدس» وهكذا سَكَنَ في نفوس أولئك الذين يؤمنون بالروح الحقيقي نفسه والذى بواسطته وبه يقودهم إلى هيئتهم الأولى. بمعني أنه يجعلهم مشابهين له عندما يقدِّسهم وهكذا يُعيدنا إلى صورتنا الأولى أي إلى حالة ختم الآب[50]. ومن جهة الدقة في (وصف) وحده الجوهر، فإن الإبن ذاته هو الختم الحقيقي[51]، في الوقت نفسه فإن الروح القدس هو شبه[52] واضح وطبيعي للإبن، والذى نتغيَّر نحن بالتقديس بواسطته أي لنأخذ صورة الله. وما يقنعنا حقًّا هو كلام الرسول بولس الذى يقول «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ»[53] وهذا يحدث عن طريق الروح القدس الذى يهبنا أن نكون

---

[48] في تك ٢: ٧.

[49] أعمال١٧: ٢٨.

[50] كثيرًا ما يصف ق. كيرلس عمل الروح القدس في نفوسنا، بعبارات متشابهة مثل «لأننا قد ختمنا بواسطة الروح القدس كي نقتني أن نكون مشابهين صورة الآب، أي الإبن». انظر ص ٢٢٧ وفي موضع آخر من نفس المرجع يجيب على تساؤل من إرميـــا: كيف يمكن أن نصبح نحن على صورة الله؟ فيرد قائلاً: «يحدث هذا لأن لنا الإبن ساكنًا في داخلنا والختم الإلهي اصبح فينا مانحًا إيانا كل غني، وهكذا صرنا على صورة الله بواسطة الإبن. أما صورة الآب في الإبن والذى يعلو ويسمو على الكل فإنه يتصور داخل نفوسنا بواسطة الروح القدس». انظر ص٢٣١.

[51] يشرح ق. كيرلس . في موضع آخر . بالتفصيل كيف أن الإبن هو «الختم الحقيقي»، وذلك في سياق شرحه للآية يو٦: ٢٧ «لأن هذا الله الآب قد ختمه فيقول إنه: «بواسطة المسيح تختم تلك الأشياء التي تصير مشابهة لله بقدر مستطاع» وأيضًا قوله إن «الابن هو ختم الآب وأنه مع الآب قد ختم غيره» شرح إنجيل يوحنا. المرجع السابق. ص ٣٤٩، ٣٥٤.

[52] المصطلح اليوناني هو «ὁμοουσιος» وهو غير «المصطلح ὁμοιουσιος» الذى يعنى «واحد في الجوهرمع ..» أو «مساو في الجوهر..» [ لاحظ أن الأول يحوى حرف ι]. والروح القدس هو واحد في الجوهر مع الإبن، ولكن هذا لايعني تطابق في أقنوميهما أي أن الروح القدس هو الإبن. فحسب تعاليم ق. أثناسيوس يحمل هذين المصطلحين نفس المعنى لأنه من الأمور الأساسية عند آباء الكنيسة أنه لا يوجد شبه على الإطلاق بين المخلوق وغير المخلوق، وهكذا فعندما يقول ق. كيرلس إن الروح هو شبه واضح وطبيعي للإبن فهذا معناه إن طبيعة الروح إذ هى أيضًا طبيعة الإبن الإله، لا تشبه بالمرّة طبيعة المخلوقات وبالتالى فهي طبيعة إلهية غير مخلوقة.

[53] غلاطية٤: ١٩، سبق أن استخدم ق. كيرلس هذه الآية وذلك في سياق دفاعه عن أُلوهية الإبن المتجسد راجع: الكنوز في الثالوث المرجع السابق مقال ٣٢ فقرة ٦٢. وفي نفس الكتاب نجده يخصص المقال ٣٤ للدفاع عن أُلوهية الروح القدس، ومن بين الآيات التي استند عليها في دفاعه نجد أيضًا هذه الآية وقد وردت مرتين بهذا المقال، علَّق عليها في المرَّة الأولي بقوله: «إذا كان المسيح يتصوَّر داخلنا بفعل الروح القدس، الذي يعيد خلقتنا وتكويننا بكل فضيلة،=

على صورة الله عن طريقة. وطالما أننا نأخذ صورة المسيح وهو يَرسم ذاته في داخلنا فنتغيَّر عن طريق الروح الذي هو صورته حسب الطبيعة، إذن الروح هو الله الذي يعطينا أن نكون على صورة الله. وهذا يتأتي لا عن طريق النعمة الخادمة[54]، لكن بالإشتراك في الطبيعة الإلهية مانحًا ذاته عينها للمستحقين. ويخبرنا القديس بولس كيف أن الروح هو صورة حقيقية للإبن إذ يكتب قائلاً « لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، فَهؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا»[55]. لأننا نُخلق من جديد لنكون على صورة الروح القدس، أي على صورة الله وذلك بالإيمان والقداسة والعلاقة والشركة معه، وطريقة قبولنا لعمله حتى ولو كنا نُدعي أننا شركاء الطبيعة الإلهية[56].

**إرميـــــا:** لا أستطيع أن أدينك فيما تقول.

**كيرلس:** هل يمكن أن تسأل المعاندين: لماذا نُدعى هياكل لله بل بالحري آلهة[57] إن كُنَّا بالفعل شركاء مجرَّد نعمة بسيطة لا كيان لها؟ لكن الأمر ليس كذلك، لأننا هياكل للروح الحقيقي الكائن، ولهذا فنحن نُدعى أيضًا آلهة، لأنه من خلال اتحادنا به نصبح شركاء الطبيعة الإلهية غير الموصوفة.

---

=لدرجة أننا نشبهه ويجعلنا روحانيون، إذن فروح المسيح هو الله الذي يتشكَّل داخلنا بكونه هو الله ذاته''. فقرة ٧. وفي المرَّة الثانية بقوله «فإن كان بواسطة الروح القدس فقط، يتصوَّر المسيح فينا ويترك ختمه مجددًا طبيعة الإنسان آتيًا بها إلي جمال الألوهية ، إذن، فروح المسيح هو الله الذي يصوِّره فينا صورة ذاك، لأنه له ذات الجوهر الإلهي، ولم يأت إلي الوجود من الخارج». فقرة:٥٨.

[54] النعمة الخادمة هي النعمة المعطاة من الروح القدس بصفته خادمًا وليس إله حسب ما علَّم الهراطقة. ولقد سبق أن رصد ق. أثناسيوس تعاليمهم الخاطئة عن الروح القدس وفنَّدها جميعًا. انظر الرسائل عن الروح القدس المرجع السابق. طبعة ثانية ٢٠٠٥ وتحديدًا ص٢٨، ٤٧. وهنا يرد ق. كيرلس على الإدعاء بأن النعمة المعطاة من الروح القدس هي معطاة له من خارجه ولا يملكها في طبيعته الإلهية. والجدير بالذكر أنه سيعود الحديث بالتفصيل عن عمل الروح القدس كونه هو الله الذى يحرِّر ويعتق. انظر ص٣٩ ومابعدها.

[55] رومية٨: ٢٩-٣٠.

[56] ٢بط١: ٤، وهذه هي العبارة من العبارات المشهورة والمتكرِّرة في كتابات آباء الكنيسة الكبار مثل القديس ايريناؤس وأثناسيوس وكيرلس وغريغوريوس النيسي وغريغوريوس النزينزي وغيرهم وهذه العبارة لا تعني عند الآباء أن الإنسان يصير بطبيعته إلهًا أو أن طبيعته المخلوقة ستتغيَّر لتصبح غير مخلوقة مثل طبيعة الله، بل تعني إن الإنسان يشترك في الحياة الإلهية، حياة الثالوث القدوس.

[57] انظر مز ٨٢: ٦.

أما لو كان الروح الذي يُؤلهنا هو غريب ومختلف بحسب جوهره عن الطبيعة الإلهية، فحينئذ سنفقد رجاءنا وسنفتخر - ولا أعرف كيف - بكرامات غير موجودة. وكيف نكون - في هذه الحالة - آلهة وهياكل لله كما هو مكتوب[58] بواسطة الروح الساكن فينا؟ لأن مَنْ ليس هو الله، كيف يستطيع أن يهب للآخرين أن يكونوا هكذا؟.

لكن بحق نحن آلهه وهياكل، ولن نلتفت لهؤلاء المعاندين، وجوهر الروح القدس لا يمكن أن يكون غير جوهر الله.

**إرميـــا:** فلو لم يكن جوهره مختلف كما تقول أنت فلما لا يقولون عن الروح إنه هو الآب أو هو الإبن؟.

**كيرلس:** وأيضًا لأن الروح ليس هو الآب أو هو الإبن، فهل يفترضون أنه منفصل عن الطبيعة السامية العالية على الكلّ[59]؟

**إرميـــا:** هم يؤمنون بشيء مثل هذا.

**كيرلس:** لو فكَّر أحد بشكل سليم ومنطقى لأدرك أنهم يعرضون ما يفكرون فيه بغباء وعدم تقوى شديدين، محطمِّين بذلك البسطاء. لأن الآب ليس هو الله بسبب أنه هو أب، كما أن الإبن ليس هو الله بسبب كونه إبنًا. وهل تستطيع الإجابة على هذا السؤال: لو كان مَنْ يلد ومَنْ يُولد لهم طبيعة إلهية، أفلا يجب على كل حال أن يكون كل مَنْ يلد أو مَنْ يُولد أن يكون بالضرورة هو الله بالفعل؟ غير أن الحديث بهذا الشكل، يعكس وقاحة شديدة. لأن الآب ليس هو الله لأنه وَلَدَ، ولا حتى الإبن هو الله لأنه وِلِدَ. لكن الآب، إذ هو الله بالفعل، فقد وَلَدَ، وبينما الإبن هو الله فقد وُلِدَ. إذن لا يوجد شيء على الإطلاق يمكن أن يقنعنا أو يمنعنا من أن نعترَّف أن طبيعة الروح القدس هى طبيعة إلهية وإنه منها قد أتى بطريقة طبيعية، وإنه فيها باقٍ بطريقة طبيعية حتى وإن كان ليس هو الآب أو الإبن. غير أنه من الضروري أن نفحص بالتدقيق ماهية طبيعة الروح بغض النظر - في الوقت الحالي - عن خصائص الأسماء. لأن الأسماء لا

[58] ١كو٣:١٦.

[59] يقصد الطبيعة الإلهية.

تمثل دليلاً على الالوهه[٦٠]، لكنها تدل بوضوح عن فهمنا بطريقة وجود كل مَنْ نعطيهم إسمًا. لأن الأسم «أب» يعني أنه وَلَد والأسم «الإبن» يُظهر أنه وُلِدَ. كما أن الأسم «الروح القدس» أيضًا يدَّل على أنه يأتي من الله الآب وأنه روح الآب كما انه روح الإبن، وهو يشبه روح الإنسان[٦١] مع أنه يُدرك أن له أقنومه الخاص وأنه كائن بالحقيقة.

**إرميــــا:** ما هى إذن طبيعة الروح القدس؟

**كيرلس:** إنها هى طبيعة الآب والإبن ذاتها، ويجب أن نعترف إنه لا يمكن التعبير عنها بل وأنها تفوق قدرتنا العقليَّة وكل حديث. أما بالنسبة لأولئك الذين تعودُّوا أن ينظروا، حتى كما لو كان في مرآه أو في لغز وأن يعرفوا جزءً من الحقيقة[٦٢]، فلتشرق فيهم ومضات خافتة من الرؤية الإلهية والتى تضيء جنبات أذهانهم فتنقلهم إلى قَدرْ من المعرفة. فالطبيعة الإلهية هي طبيعة بسيطة غير مركبَّة[٦٣]، ولا مثيل لها، تتسع لخصائص الأقانيم وتمايز الأشخاص والأسماء، وتُعرف في ثالوث متحد إتحادًا طبيعيًا وفي تطابق لا يتغيّر من كل جهة فيها،

---

٦٠ عبّر ق. غريغوريوس النزينزي عن هذه الحقيقة بقوله «لفظ الآب ليس اسم جوهر ولا اسم فعل... أنه اسم علاقة اسم يدل على ما هو الآب بالنظر للإبن، أو ما هو الإبن بالنظر إلى الآب». كتاب الخطب صـ٣١.٢٧ اللاهوتية. منشورات المكتبة البولسية. بيروت ١٩٩٣. طبعة خطبة ٢٩ فقرة ١٦ صـ٩٦.

٦١ من حيث علاقة الإنسان بروحه، وسبق أن أوضح ق. كيرلس هذه العلاقة من قبل. انظر صـ٩.

٦٢ «فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ، لكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ» ١كو١٣: ١٢.

٦٣ وصف الطبيعة الإلهية بأنها طبيعة بسيطة وغير مركبّة، هو وصف شائع عند آباء الكنيسة، للتعبير عن علاقة أقانيم الثالوث القدوس ووحده الجوهر والطبيعة. ولقد سبق أن عبرّ ق. كيرلس عن هذه الحقيقة في سياق دفاعه عن أُلوهية الإبن وعلاقته بالآب ضد الذين كانوا يقولون إن الإبن ليس هو الكلمة الحقيقي لله الآب لكنه غريب عن جوهر الآب ومختلف عنه بحسب الطبيعة فكتب يقول: «إذا كان الإبن الكائن في الآب بحسب الطبيعة هو غير ذاك الذي تذكره الكتب المقدسة إذًا هناك إبنًا مختفيًا في الآب غير الذي يعلنه الآب والذي يقول يوحنا عنه إنه هو كلمة الله، فكيف يمكن الآب أن يكون الآب بسيطًا ومركبًا في ذات الوقت؟ لأن مَنْ يتكون من شيء مخفي وشيء آخر معلن لا يمكنه . حتمًا . أن يكون بسيطًا، بل مركبًا ومكونًا من اثنين. أمَّا الله فهو بسيط بحسب الطبيعة، ولا يوجد فيه شيء مركّب، ولذلك، واحد هو الكلمة الكائن فيه، أي الإبن بحسب الطبيعة». الكنوز في الثالوث المرجع السابق، مقال ١٩ فقرة ١٠ صـ٢٩٤. وتمثل حقيقة أن «الطبيعة الإلهية هيَ طبيعة بسيطة وغير مركبة» ركنًا أساسيًا في إيماننا المسيحي، وفي الدفاع عن أُلوهية أقانيم الثالوث لهذا نجد أن ق. كيرلس يستخدم هذا المصطلح سواء في دفاعه عن أُلوهية الإبن وأنه واحد مع الآب والروح القدس في الجوهر مثلما جاء في حواراته السابقة حول الثالوث. انظر الحوار الثالث المرجع السابق. صـ١٤ هامش (١) وصـ٢٥ هامش (٣)، الحوار الرابع صـ٦ هامش ١١، الحوار الخامس صـ٢٧ هامش (١)، صـ٧٣ هامش (٤). وعلى عكس طبيعة الله البسيطة غير المركبَّة نجد أن طبيعة الإنسان هي طبيعة مركبَّة كما يقول ق. كيرلس: «فلأن الإنسان مرّكب وليس بسيط في طبيعته إذ يتألف من عنصرين هما الجسد المحسوس والنفس العاقلة، فإنه يتطلّب شفاءًا ذا شقين لأجل ميلاده الجديد». شرح إنجيل يوحنا. ترجمة د. نصحي عبد الشهيد وآخرون. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. المجلد الأول ٢٠٠٩ صـ١٨٩.

تجعل الله واحد وهو بالاسم والفعل هكذا، حتى أنه يكون لكل أقنوم من الأقانيم الثلاثة كمال الطبيعة، مع ما لكلٍّ منهم من خصائص، أي لكلٍّ منهم أقنومه الخاص. لأن كلَّ أقنوم[٦٤] يظلّ على ما هو عليه، لكن بوحدته حسب الطبيعة ـ مع الأقنومين الآخرين يكون له الطبيعة ذاتها. لأن الآب يوجد في الإبن والإبن في الروح القدس، بالمثل الإبن والروح يوجدان في الآب، الواحد في الآخر.

**إرميــــا:** كيف يؤمن المرء بهذا؟

**كيرلس:** والكتاب الموحي به، يربط ـ بكل وضوح وتدقيق ـ بين الله والروح القدس ويعلّم علانية أنه لا يمكن أن يصير في داخلنا اتحاد بالله إلاَّ عن طريق الروح القدس. وبالفعل خاطب ربنا يسوع المسيح كل مؤمن صالح قائلاً: «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً»[٦٥]«وأيضًا قوله بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ»[٦٦] لأنه لن يكون إلهًا حقيقيًا بحسب طبيعته مَنْ يسكن في داخلنا إن كان الروح الذى قبلناه غريبًا أو منفصلاً من جهة الطبيعة عن الله، لأنه يأتي منه ويوجد فيه إذ هو روحه الذي له الربوبية عينها وهو يُدعى هكذا، ويُعتَرف به ـ مثله مثل الإبن بسبب وحده الطبيعة. لأنه مكتوب «لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ

[٦٤] الكلمة اليونانية هي Πρόσωπον.

[٦٥] يوحنا١٤:٢٣، في وضوح شديد يدافع ق. كيرلس عن أُلوهية الإبن وبالتالي هو دفاع عن أُلوهية روحه القدوس لأن مَنْ ينكر الإبن ينكر روحه أيضًا كما سبق أن قال ق. أثناسيوس ويجاوب من يقولون إن «الإله الحقيقي هو الآب فقط ولا يحسبون معه آخر ويختم رده باستخدام هذه الآية فيقول: «وبالتالى وحسب ما يقوله هؤلاء، فإن الابن والروح القدس لا يحسب أى منهما إلهًا حقيقيًا، بل يحسبونهما ضمن المخلوقات العديدة والتي هى ـ حسب قولهم ـ لها نفس طبيعة الابن وهى بعيدة كل البُعد عن جوهر الله الآب. وليدُلّنا هؤلاء عن مَن هو الله، الذي يوجد أيضًا فينا إن كان الروح القدس يسكن في الذين تعمدوا؟ وأعتقد أنهم لا يقدرون أن يقولوا شيئًا عن الله الآب، غير أن كوننا شركاء الطبيعة الإلهية هو حقيقة لا يستطيع أحد أن يحصل عليها بواسطة روح مخلوق لو أن الروح القدس ليس إلهًا من طبيعة الله الآب. ويبقى أن نقول إن الابن فقط هو الذي يوجد فينا مع أنه ـ وفقًا لما يقولون ـ له طبيعة مختلفة وهو بعيد عن جوهر الله الآب. ولهذا السبب فهم يُحْصَون الابن مع المخلوقات. وهكذا فمَن يوجد داخلنا أى الروح، هو مخلوق وليس الله. ومع أنه ليس له علاقة مع الله الآب فإنه يهبنا التقديس. وأيضًا إن هم نظروا إلى أعلى وقالوا إن الابن هو إله فليقولوا لنا، هل سيوجد داخلنا إلهان، طالما أن الآب والابن يسكنان فينا. أم يسكن فينا إله واحد؟ لأن المسيح قال: «إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً». انظر ص ١٠٦-١٠٧. كما يستشهد ق. أثناسيوس بهذه الآية للدفاع ليس فقط عن أُلوهية الابن المتجسد بل وأيضًا عن أُلوهية الروح القدس فيقول: «فالمواهب التي يقسّمها الروح لكل واحد تُمنح من الآب بالكلمة. لأن كل ما هو من الآب هو من الابن أيضًا. إذًا فتلك الأشياء التي تعطى من الابن بالروح هى مواهب الآب. وحينما يكون الروح فينا، فالكلمة الذي يعطى الروح يكون أيضًا فينا، والآب موجود في الكلمة وهكذا يكون كما قال «سنأتى أنا والآب ونصنع عنده منزلاً». الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق. الرسالة الأولى: ٣٠.

[٦٦] ١يو٤:١٣.

الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ»[٦٧]. وطالما أن الرَّب هو واحد كما يقول الكتاب، فالربُّ هو الروح[٦٨]. أم أن ما أقوله ليس هو الحق؟

**إرميــــا:** بلا، لأنه هكذا مكتوب.

**كيرلس:** مكتوب أنه عندما كان شمشون يُطلق شعره، كان معه الروح لكن عندما تملَّكته الشهوة وكَشَفَ سرَّه وقُص شعره بالمقص فإن الربَّ فارقه[٦٩]. وأيضًا عندما كان يسوع مزمعًا أن يصعد إلي السماء قال للمؤمنين به «لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ»[٧٠] وأيضًا قال «وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ»[٧١]. وأرسل لنا المعزي الذى به وفيه يكون المسيح معنا ويسكن فينا، ساكبًا فينا لا روح غريب عنه بل روحه، الذي له الجوهر ذاته معه ومع الآب.

**إرميــــا:** اتفق معك، وسأذكر أنا أيضًا كلام مقدَّس سبق أن قيل عن الرسل القديسين: «فَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مِيسِيَّا حَاوَلُوا أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى بِثِينِيَّةَ، فَلَمْ يَدَعْهُمْ روح المسيح»[٧٢].

---

[٦٧] ١كو٨:٦، كثيرًا ما استخدم ق. كيرلس هذه الآية في سياق دفاعه عن ألوهيه الإبن وأزليته ومساواته في الآب في الجوهر. انظر علي سبيل المثال، الكنوز في الثالوث. المرجع السابق، مقال ٢٦:٤، ٩:١٠، ٢٣:٧. إلاَّ أن استخدامه لها هنا فهو للدفاع عن ألوهية الروح القدس بكونه هو روح الإبن. ولأن الإبن هو رب، إذن فالروح القدس له الربوبية عينها والسبب في هذا أن طبيعة الروح هي من طبيعة الإبن.

[٦٨] انظر يوحنا ٤:٢٤.

[٦٩] انظر قضاه ١٦:٢٠.

[٧٠] يوحنا١٤:١٨.

[٧١] مت٢٨:٢٠.

[٧٢] أع ١٦:٧، «فلم يدعهم الروح» أو حسب بعض المخطوطات «فلم يدعهم روح المسيح». حاول الهراطقة استخدام الكثير من آيات الكتاب المقدس لتعضيد تعاليمهم الخاطئة عن ألوهية الإبن، وذلك بتفسيرها حسب هواهم لخدمة أفكارهم المنحرفة. ومن بين هذه الآيات قول المسيح له المجد «أبي اعظم مني» ولقد فنَّد الآباء. ومنهم ق. كيرلس. مزاعمهم وأوضح لهم معني تعبير «أعظم» ليس فقط في هذه الآية لكن أيضًا في قول المسيح له المجد عن يوحنا المعمدان» لكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه» (لو٧:٢٨)، وفي محاولته هذه إستخدم ق. كيرلس ما جاء في سفر الأعمال ١٦:٧ عن أن الروح الذي اعاق الرسل من الذهاب إلي ميسيا هو روح المسيح. والإبن هو وحده القادر. بكونه هو الله. أن يمنحه للآخرين ولا يستطيع أحد آخر حتى ولو كان يوحنا المعمدان أن يفعل هذا كما انه لا يستطيع أن يقول عن الروح القدس أنه روحه هو. أنظر: الكنوز في الثالوث، المرجع السابق، مقال ١١: ٢٤-٣٩. وهنا يسوق ق. كيرلس هذه الآية علي لسان إرميا للتأكيد علي تعليمه عن ألوهية الروح القدس وفعله الإلهي الذي يتفق مع فعل الآب والإبن» بسبب وحده الجوهر.

**كيرلس:** وماذا إذن؟ ألا يذكر الكتاب إن الكلام الذى ينطق به الله هو الكلام نفسه الذى ينطق به الروح؟ لأن إشعياء يقص علينا رؤيته العظيمة والمرعبة: « رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ»[٧٣] ثم أضاف قائلاً: «ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ قَائِلاً: «مَنْ أُرْسِلُ؟ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟» فَقُلْتُ: «هأَنَذَا أَرْسِلْنِي». ٩فَقَالَ: «اذْهَبْ وَقُلْ لِهذَا الشَّعْبِ: اسْمَعُوا سَمْعًا وَلاَ تَفْهَمُوا، وَأَبْصِرُوا إِبْصَارًا وَلاَ تَعْرِفُوا.»[٧٤]. غير أن يوحنا يقول عن (الإبن)، المولود الوحيد: «قَالَ إِشَعْيَاءُ هذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ»[٧٥] لكن اسطفانوس الحكيم جدًا، عندما كان يتحدَّث مع اليهود قال عنه: «يَا قُسَاةَ الرِّقَابِ، وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ وَالآذَانِ! أَنْتُمْ دَائِمًا تُقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ. كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذلِكَ أَنْتُمْ!»[٧٦] الاَ يتضَّح لنا إذن مَنْ هو الآب ومَنْ هو الإبن ومَنْ هو الروح القدس وذلك بسبب الخصوصية الأقنومية؟ بينما بسبب وحده الجوهر فإن هذه الأقانيم (الأشخاص) تكون متفقة في كل شيء، أي في القول والفعل والمجد والشركة والقدرة وفي كل ما يزيّن الطبيعة الإلهية. غير أني كنت على وشك أن أنسى ذلك الأمر.

**ارميـــــا:** وما هو؟

**كيرلس:** أنت تعرف جيدًا يا صديقي أن الانبياء القديسين كانوا يصرخون قائلين: «هذا ما يقوله الرب» بينما معلّمينا الذين صاروا شهود عيان للكلمة كانوا يقولون: «هذا ما يقوله الروح القدس» وأيضًا: «وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ، قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ:«أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِى دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ»[٧٧]. إذن لو كان الروح أقلَّ من الله وليس من الجوهر نفسه بسبب حدوث تغيير فيه وهو من طبيعة مختلفة (عن طبيعة الله) ـ كما يقول المعاندون ـ ألن تكون خدمة قديسي (العهد القديم) هى أرفع من خدمة الرسل المبشرين،

[٧٣] إشعياء ٦:١.

[٧٤] أنظر إشعياء ٦:٨-٩.

[٧٥] يوحنا١٢:٤١.

[٧٦] أع ٧:٥١.

[٧٧] أع ١٣:٢.

طالما أن القدماء قد بشَّروا بكلام الله وكلام الرب بينما الآخرين (الرسل) قد بَشَّروا بكلام الروح؟

**إرميـــــا:** من المحتمل.

**كيرلس:** لكن لماذا يصف بولس الرسول الخدمة في العهد القديم بأنها خدمة الدينونة والموت بينما يصف خدمة العهد الجديد بأنها خدمة الحياة والبر لأنه يكتب قائلاً: « لأَنَّهُ إِنْ كَانَتْ خِدْمَةُ الدَّيْنُونَةِ مَجْدًا ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا تَزِيدُ خِدْمَةُ الْبِرِّ فِي مَجْدٍ!»[٧٨] ، وهو يكتب عن نفسه وعن بقية الرسل ما يلي: «الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لاَ الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي»[٧٩]. إذن ألم يعد واضحًا لكلِّ أحد وبدون تعب، أن الكلمات التي نطق بها الله في القديم قد أدانت القدماء وأيضًا قادتهم، تقريبًا. أما الآن فإن كلمات الروح تجلب البرَّ والحياة. أم أنك لا تشعر أن الحديث يقودنا إلي أمر ما؟

**إرميـــــا:** نعم، يوجد خوف عظيم من أنه ربما نصل إلي الحد الذي يكون فيه إيماننا بالروح يفوق إيماننا بالله الآب والإبن. لكن يا صديقي، لنترك هذا الأمر الآن كما هو، لأنك تحدَّثت فيه جيدًا. لكن لأننا نقول إن الروح هو الله وإنه حسب طبيعته يأتي من الله، فلنبحث بعمق أكثر. لو استطاع المرء أن يري بوضوح. إن كان الروح يتحلَّي بخصائص الالوهه في طبيعته وليس من جهة علاقته بالله.

---

[٧٨] ٢كو٣: ٩.

[٧٩] ٢كو٣: ٦، في موضع آخر يربط ق. كيرلس هذه الآية بآية أخري سجلها ق. بولس في افتتاحية رسالته إلى أهل رومية بقوله «بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولاً المفرز لإنجيل الله (رو١: ١) ونجد فيها شهادة لألوهية الروح القدس لذا يعلّق عليهما بقوله: «إذن فيما أنه يعرف أن إنجيل الله هو عهد الروح، وقد عيَّن لانتشار الإنجيل، كما يقول، فكيف لا يكون الروح القدس هو إلهًا؟. الكنوز في الثالوث المرجع السابق، مقال ٣٣: ١٤. ودليل أُلوهية الروح هو أنه يحي، وهذا ما عبرّت عنه الكنيسة في قانون الإيمان عندما شهد الآباء في مجمع القسطنطية عن إيمان الكنيسة بألوهية الروح القدس فقالوا عنه إنه: «الرب المحيي». وفعل الروح القدس المحيي هو أيضًا فعل الآب والإبن، لذا نجد ق. كيرلس يربط هذه الآية بما جاء في ٢كو٥: ٤.٥ عن قيامة الأموات وقول ق. بولس «لكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله، الذي اعطانا أيضًا عربون الحياة» ويعلق علي هاتين الآتين بقوله: [إن الروح يوحد بحسب الطبيعة في الاب وفي الإبن الذي يأتي منه والذي هو الحياة لأن الإبن يقول: «لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحي كذلك الإبن أيضًا يحي من يشاء» (يو٥: ٢١)]. ويصل ق. كيرلس إلي هدفه بطرح سؤالاً استنكارًا فيقول: «بالتالي، فيما أن الآب يحيي والإبن أيضًا يحيي وكذلك الروحي يحيى، فكيف يمكن أن يكون مخلوقًا أو مصنوعًا هذا الذي يماثل الآب والإبن وله نفس الجوهر؟». المرجع السابق صـ٥٧٨.

**كيرلس:** لا أعتقد يا صديقي أنك تريد بقولك هذا أن تقًلل من شأن الروح وأنك تؤمن أنه يتحلًى بالخصائص الإلهية عن طريق علاقته بالله مثلما يحدث معنا نحن، وليس بسبب أنه يملك كل مزايا الالوهه الحقيقية في طبيعته الذاتية مثلما الإبن الذي قال للآب «وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ»[٨٠]. لأن مَنْ يُمجَّد بواسطة علاقة ليست هي من طبيعته يكون هذا المجد غريبًا عنه. وحيث إنه لا يملك أبدًا شيئًا يخصه، بل يحصل عليه نتيجة علاقة بآخر، فمن الحتمي أن نقبل أن طبيعة مَنْ يَشترك مع آخر هي بالتأكيد مختلفة عن طبيعة مَنْ يُشترك معه.

**إرميـــا:** حتمًا.

**كيرلس:** وبالتالي، قل لي مَنْ يستطيع أن ينزع الروح من جوهر الله الآب الذي أتي منه ويوجد فيه؟ ألن يصل مثل هذا الشخص إلى أعَلى درجات الوقاحة حتى ولو كان هذا مجرَّد فكر؟ وأني أعتقد أن مَنْ يؤمنون بهذا الأمر هم فقط مَنْ فقدوا كل تفكير منطقي وذوي النيَّة غير الصالحة. وهيًا بنا نتحدًث عن الله وعن الروح القدس.

**إرميـــا:** فلنتكًلم إذن.

**كيرلس:** قل لي ما هو «مجد الله» كما نعتقد نحن وما هي قوّة فعله حسب طبيعته؟

**إرميـــا:** «مجد الله» - كما أعتقد - هو كلًّ ما هو أسمى من طبيعة وقياس كلًّ مخلوق. ومجد الله غير مخلوق وفعله حسب طبيعته هو أن يخلق من العدم ويُحضر إلي الوجود كل ما هو غير موجود، وأن يرعى الكلً حسنًا، هو مُعطِي الحياة، هو مَنْ يُقدِس ويُغنِى بالحكمة مَنْ يريدون الحكمة.

[٨٠] يوحنا١٧: ١٠. تمثل هذه الآية أحدي الشهادات الكثيرة التي شهد بها المسيح عن نفسه. كونه هو الإبن وكلمة الله المتجسد. وعن علاقته الجوهرية بالآب. وهنا يستعين ق. كيرلس بشهادة الإبن هذه ليدلل بها علي أُلوهية الروح القدس والسبب في هذا بالقطع إيمانه بوحدة الجوهر والطبيعة للأقانيم الثلاثة. وفي موضع آخر يبني علي هذه الشهادة، شهادة آخرى للرسول بولس عن أُلوهية المسيح، والذي كتب لأهل أفسس قائلاً: «فأنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجس أو طماع الذي هو عبد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح الذي هو الله» (أفسس٥: ٥)، وهنا يعلّق ق. كيرلس بقوله: [ ها هو بولس أيضًا وهو يذكر المسيح، يضيف أنه هو الله، لأن الله الآب فيه، وهو أيضًا في الآب وكل ما لدي الآب هو لدي الإبن وذلك طبقًا لما قاله هو نفسه عن علاقته الآب «وكل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم»]. أنظر الكنوز في الثالوث. المرجع السابق مقال ٣٢، فقرة ٤٥،صـ٤٥٢.

**كيرلس:** فلنفحص إذن ـ لو أردت ـ بتفصيل أكثر، ما يقال عن الروح القدس ـ لأنه لا يمكن لِمَنْ لديهم هذه الأفكار الطفوليّة والجامدة عنه، أن يتعلّموا إلاّ بهذه الطريقة، وأن يعرفوا أن الروح لا ينتمي إلى أي شيء أقل بل إلى ما ينتمي إليه الإبن الذى هو صورة الله الآ[illegible]ساوى له. ونحن ـ وبكل طريقة ـ نعترف أنه مساوٍ له في الجوهر ومساوٍ له في القدرة والفعل.

**إرميـــــا:** استمر في حديثك باستفاضة وأنت واثق في الله الذى وعد قائلاً: «أَفْغِرْ فَاكَ فَأَمْلأَهُ.»[81].

**كيرلس:** إذن لدى سؤال: هل تستطيع طبيعة مخلوقة ومصنوعة أن تؤَلّه أولئك الذين ليسوا هم آلهة؟

**إرميـــــا:** علي الأقل أنا لا يمكنني أن أقول ذلك. لأن مَنْ يكون في مرتبة دنيا لا يستطيع أن يعلو إلى مَنْ هو في مرتبة اسمى بكثير.

**كيرلس:** بالصواب تتكّلم. غير أنه بخلاف ذلك فإنه يجب على عقلك الرائع هذا أن يبحث الأمر التالي أيضًا. لأنه لو استطاع مَنْ له طبيعة مخلوقة أن يؤلّه مَنْ هو مخلوق، فإن العكس سيكون أيضًا صحيح. لأن مَنْ سيكون له شركة مع مَنْ هو بطبيعته الله، لن ينتفع شيئًا أكثر، بل بالحري سيُضرّ. لكن لا يمكن للمرء أن يُدرِك أن الخليقة هي مؤلّهة إلاّ فقط عندما يسمو المخلوق نحو الله، الذى يضع شركة خصائصه الإلهية في داخل نفوس القديسين عن طريق الروح القدس[82]، وبسبب هذا نتغيَّر إلى صورة الإبن بحسب الطبيعة وندعي آلهة وأبناء الله بالشبه الذي لنا معه (مع الإبن) «ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: «يَا أَبَا الآبُ»[83]. إذن طالما أن مَنْ يقدر أن يُؤلّه بذاته هو أسمي وأرفع من طبيعة المخلوق[84]، فمَنْ يقدر إذن أن يحسب الروح القدس من

---

[81] مز١٨:١٠.

[82] في عبارات مشابهة واضحة يبيِّن ق. كيرلس ماهية الروح القدس موضِّحًا عمله الإلهي فينا فيقول في سياق تعليقه علي إجابة المسيح على نيقوديموس: [لأن ربنا يسوع المسيح كان يدعو الميلاد الجديد من الروح أنه «من فوق» موضحًا أن الروح القدس هو من الجوهر الذي فوق كل الجواهر، وبه نصير نحن «شركاء الطبيعة الإلهية» إذ نتمتع بذاك الذى ينبثق جوهريًا من الله الآب، وبه وفيه يعاد تشكيلنا إلي جمال النموذج الأصلي، وهكذا نولد ثانية إلي جدة الحياة، وتعاد صياغتنا إلي البنوة الإلهية]. شرح إنجيل يوحنا. المرجع السابق ص١٨٨. راجع أيضًا ص١٣-١٤.

[83] غلاطية ٤:٦.

[84] يدلِّل ق. كيرلس هنا علي أُلوهية الروح القدس وعدم مخلوقيته، من خلال عمله فينا. ومن الملاحظ أن القديس=

بين المخلوقات، هذا أن لم يكن عقله قد فَسَدَ. أم كيف يقال عن مَنْ يجعل الآخرين آلهة، إنه هو ذاته مخلوق؟

**إرميــــا:** لا أعرف.

**كيرلس:** على العكس يا إرميا، فإن العبودية كإسم وواقع يمكن وبكل سهولة أن تكون من خصائص الطبيعة المخلوقة والمصنوعة، وعلي كل الحالات تكون أبعد ما يمكن عن الله ذاته.

**إرميــــا:** بل بالحري أبعد كثيرًا. لأنه قد قيل عن الله ـ وهذا حق ـ إن «الْكُلَّ عَبِيدُكَ»[85] .

**كيرلس:** وبالتالي مَنْ يُحرِّر العبد من عبودتيه ويستطيع أن يجعله يتحلّي بامتيازات الحريَّة وهو يفعل كل هذا بذاته، بل أن طبيعته لا تخضع لمقاييس الطبيعة التى هى تحت العبودية، هذا تكون طبيعته طبيعة فائقة وحرَّه. لأنه بهذه الكيِّفية فقط يستطيع أن يعمل في الآخرين مانحًا إيَّاهم من الصلاح الذى يملكه في طبيعته وفي جوهره والذى هو الحرَّية.

**إرميــــا:** سأتفق معك لأنك تتحدَّث بالصواب.

**كيرلس:** ليهتف عاليًا الطوباوي بولس قائلاً «وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ، وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ. وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ»[86]

-أثناسيوس كان قد سبق وشدد على هذه الحقيقة بقوله: [ فلو كان الروح القدس مخلوقًا لما كان لنا اشتراك في الله بواسطته، فإن كنًّا قد اتحدنا بمخلوق فإننا نكون غرباء عن الطبيعة الإلهية حيث أننا لم نشترك فيها. أما الآن فلكوننا ندعى شركاء المسيح وشركاء الله فهذا يوضّح أن المسحة والختم الذي فينا ليس من طبيعة المخلوقات بل من طبيعة الإبن الذي يوحدنا بالآب وبواسطة الروح الذي فيه. هذا ما علّمنا إياه يوحنا .كما قيل سابقًا . عندما كتب: «بهذا نعرف أننا نثبت في الله وهو يثبت فينا أنه قد اعطانا من روحه» (١يو١٣:٤)، ولكن إن كنا بالإشتراك في الروح نصير شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط٤:١)، فإنه من الجنون أن نقول إن الرّوح من طبيعة المخلوقات وليس من طبيعة الله]. ق. أثناسيوس الرسولي، الرسائل إلي الأسقف سرابيون عن الروح القدس. المرجع السابق. الرسالة ٢٤:١. لاحظ أيضًا تأثير ق. أثناسيوس علي ق. كيرلس ليس فقط من جهة التعليم لكن أيضًا علي أسلوب التعبير، إذا بينما يذكر الأول أن إنكار ألوهية الروح القدس والقول بأنه مخلوق هو: «من الجنون» يذكر الثاني أنه لن يتفوه أحد بذلك الأ مَنْ كان: «عقله قد فسد».

[85] مز٩١:١١٩.

[86] ٢كو١٧:٣، ١٨. في موضع آخر يحصر ق. كيرلس عددًا من آيات الكتاب المقدس بعهديه (٢٨ آية) يدلَّل بها علي ألوهية الروح القدس ويضعها تحت عنوان «الروح القدس يأتي بحسب الطبيعة من الله» ولقد جاءت هذه الآية ضمن هذه الآيات والتي يرى فيها ق. كيرلس عمل الروح القدس الذي يحرّرنا من العبودية جاعلاً إيانا أبناءً لله الآب، إذ هو بالفعل إله ولن يستطيع أي كائن آخر مخلوق أن يتمم هذا العمل فينا. انظر الكنوز في الثالوث. المرجع السابق.-

ويُعبر عن ذات الحقيقة بطريقة أخري فيقول «إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ:» يَا أَبَا الآبُ»»[٨٧]، لأن مجد البنّوة يتضمَّن - علي أي حال - الحرِّية أيضًا. إذن لهذا دعا ربنا يسوع المسيح تلاميذه القديسين أنهم أحباء وأحرار وذلك عندما أراد أن يُكرِّمهم بمسئوليات تفوق الطبيعة، لأنهم كانوا مزمعين أن يقبلوا الروح القدس الحرَّ ولهذا قال لهم «أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ. لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيدًا، لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي.»[٨٨]. وطالما أن الربَّ هو روح وحيث يكون روح الرَّب ينبغي أن نطلب الحريَّة، إذن هذه الحرَّية قد نبتت - علي كل حال - من الطبيعة الحرَّة أيضًا[٨٩] ولا يجب أن تُدَرك علي أنها ضمن الخليقة أو أنها تحسب ضمن المخلوقات لأن الخليقة قد ربحت مجد الحرَّية ونَفَضَتْ عنها، وتَركَتْ عار العبودية .

**إرميـــــا:** غير أني أعتقد أنهم يستطيعون الردَّ بأن الروح ينقل للقديسين ما يأتي من قِبل الله، كخادم[٩٠] ينفذ الأوامر.

**كيرلس:** غير أنه من المفضَّل أن يفكروا أن أحد الأمور التى تقدِّم كخدمة من خلاله هى الحرَّية. وهو أمر أرفع بكثير مما للخليقة لأن كلَّ ما هو مخلوق هو عبد.

**إرميـــــا:** ربما يفكرون في هذا الأمر.

---

- مقال ٣٤: صـ ٦١٦. ٦١٩.

[٨٧] رومية ٨:١٥.

[٨٨] انظر يو١٥:١٤. ١٥.

[٨٩] يربط ق. كيرلس بين «البنَّوة» و «الحرِّية» ويري أنهما فعل يتَّممه فينا الروح القدس بكونه هو الله وهذا الفعل يشهد في داخلنا علي ألوهيته، لذا يعلِّق ق. كيرلس علي هذه الآية في موضع آخر فيقول: «إذن فهو يحرِّر من العبودية هؤلاء الذين يسكن فيهم ويغيرّهم إلي أبرار وأبناء جاعلاً إياهم شركاء طبيعته». ويتابع قوله بأن نتيجة هذا الفعل الإلهي توضّح أنه «ليس عبدًا وبما أن هذا هو الصحيح، فهو إذن ليس مخلوقًا، وبما أنه ليس مخلوقًا، ولا يحسب ضمن العبيد فهو عندئذ ينتمي إلي الجوهر الإلهي». الكنوز في الثالوث، المرجع السابق، مقال ٣٤ فقرة ٤٤ صـ٥٧٥.

[٩٠] إدعاء المعارضون بأن الروح القدس هو مجرّد ناقل للمواهب الإلهية كخادم ينفذ الأوامر، هو إنكار واضح لطبيعته الإلهية، لذا نجد أن القديس كيرلس يستنكر بشدة هذه التعاليم الخاطئة. وفي عبارات واضحة يصف عمل الروح القدس في النفوس قائلاً: «الفاعل بسلطة مسرَّتك الطهر علي الذين أحبهم وليس كالخادم». صلاة سرِّ حلول الروح القدس . القداس الكيرلسي، وهنا يثير إرميا على لسانهم موضوع عمل الروح القدس في المؤمنين، وإنه بصفته خادم وليس إله فهو ينقل لهم أحدي الهبات وهي الحرية. ولقد سبق أن فندَّ ق. كيرلس هذه المزاعم من قبل عندما ادعي المعترضون أننا ننال النعمة من الروح القدس كخادم. انظر ص٢٩١.

**كيرلس:** إذن كل مَنْ يخدم ليس هو ـ حسب الطبيعة ـ حُرُ طالما لا يُقدِّم من ذاته شئيًا. لكن بالحري ينقل لآخرين نعمة شخص آخر. أم أنه ليس من الضروري أن مَنْ يخدم وهو وسيط، أن يُدَرك على أنه هو ذاته مَنْ يُخدَم؟

**إرميـــا:** من الضروري.

**كيرلس:** كيف إذن يكون الربَّ هو الروح. إن لم يكن حرًا من نير العبودية ومما يعوق المجد؟ أما إن كان له ـ حسب الطبيعة ـ مجد الألوهية فلن يكون خادمًا[٩١]، بل بالتأكيد لا علاقة له بهذا الأمر. ولكنه بالحري هو يوزِّع علينا نحن أنفسنا الحرِّية، كصلاح نابع من ذاته[٩٢]. وأيضًا إن لم يكن ـ حسب الطبيعة ـ هو الله بالمثل. فإنه سيُحسب بين مَنْ يخدمون وسوف يَخدم مَنْ هو غريب عنه وسوف يحمل للمستحقين كل ما هو أسمى وأرفع منه. بمعنى أنه سيسمح للقديسين أن يكونوا أسمى منه، بل أننا سنكون نحن أيضًا أرفع من الروح القدس طالما نحن متحلِّين بالمجد الذى هو أسمى من الروح. أم أنك ترى أني لم أقل الصواب حتى لو كان هذا الحديث لا يخلو من الأمور غير المعقولة؟

**إرميـــا:** بالعكس فأنت تتكَّلم حسنًا جدًا.

**كيرلس:** لنحاول الآن البحث عن الحقيقة بغض النظر عن الأفكار الأخرى. ماذا يصنع الملوك الأرضيِّن عندما يريدون إكرام بعض مَنْ يستحقون الأكرام أو بعض مَنْ أقربائهم، إكرامًا ملوكِّيًا ويتوجونهم بالمجد الملوكي. وبأي طريقة يقومون بهذا العمل ليكون على أحسن وجه وكما يليق؟

**إرميـــا:** يمنحوهم أرقى وأرفع درجات التكريم.

**كيرلس:** هل المجد والكرامة اللتان عندما يكلَّل بهما شخص يصبح في مقام

[٩١] يعاود ق. كيرلس التأكيد على أُلوهية الأقنوم الثالث وإنه واحد مع الآب والإبن في الجوهر، وذلك بوصف الروح أنه يتمِّم عمله فينا بسلطة وليس «كخادم» مانحًا إيانا كل عطاياه ومواهبة إذ هي نابعة من ذاته وليست مستمدة أو ممنوحة له من آخر، وكثيرًا ما لجأ الهراطقة لاطلاق تعبير «خادم» ليس فقط على الروح القدس بل أنهم سبقوا فأطلقوه على الإبن في محاولتهم لانكار الوهية أيضًا. ولقد سبق أن فندَّ ق. كيرلس كل أفكارهم في حوارته حول الثالوث: المرجع السابق. انظر صـ١٠٥ وهامش رقم (٤٥)، صـ١٤١،صـ٢٨٤ هامش (٣٢).

[٩٢] تشدِّد الكنيسة في صلواتها علي هذه الحقيقة وتعلن بُكل وضوح إيمانها بألوهية الروح القدس وأن طبيعته ثابتة لا تتغير ولهذا فما يمنحه للبشر هي هبات ثابتة ثبوت تثبت طبيعته الإلهية التي لاتتغير. وهو يفعل هذا من صلاحه النابع من ذاته، لهذا نجد أن صلاة الساعة الثالثة من صلوات السواعي والتى تذِّكر بها الكنيسة، المؤمنين بعمل الروح القدس في النفوس كامتداد لعمله في يوم الخمسين، تخاطب هذه الصلاة أقنوم الروح القدس قائلة «أيها الملك السمائي روح الحق الحاضر في كل مكان والمالىء الكل، كنز الصلاح ومعطي الحياة». وهكذا تكرر الوصف عينه الذي يستخدمه القديس كيرلس هنا بوصفها للروح القدس أنه «كنز الصالحات».

أسمى مما كان عليه هو وأرفع مكانة من الأخرين، هما أفضل من الشخص المكرَّم نفسه لأنهما تظهرانه بشكل أكثر رِفعة أم هما في وضع متساوي معه أم في وضع أقل؟

إرميـــا: من الواضح إنهما أسمى من الشخص ذاته لأنهما تُظهرانه في وضع أفضل، إذ أنهما تجعلانه يتهلَّل فرحًا. لأن الإنسان لا يفرح بما هو أقل من المجد والكرامة بل على العكس عندما ينال ما هو أقل سينحدر إلى ما هو أشر.

كيرلس: إنك تتكلَّم بالصواب. والأمر هو كما تعتقد، لأنك تفكر بطريقة سليمة. إذن لو أن الروح القدس لا يملك طبيعة حرَّة ومجد ذاتي، بل بالحري يخدم النعمة التى تُعطى من آخر، كيف يكون المسيح قد مُسح ملكًا عندما أخذ المسحة من الروح؟ لأنه يقال: «يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللّٰه بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ»[٩٣] كما أن ق. يوحنا الحكيم يكتب لنا عن الأمر عينه قائلاً: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَالْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَلاَ حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ، بَلْ كَمَا تُعَلِّمُكُمْ هذِهِ الْمَسْحَةُ عَيْنُهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ»[٩٤]. كما أننا نتعّلم من المسيح نفسه بواسطة ما جاء في المزمور الذي يشرح معنى المجد الذى يأتى من المسحه فيقول «أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ»[٩٥]. قلّ لي إذن هل يمكن لروح العبوَّدية[٩٦] أن يقيم مَلِكًا؟ وهل يملك الروح غير الحرِّ كما يعتقد هؤلاء - سلطةَ ملوكيةَ؟ لتبعد عنَّا هذه الهراءات، لأني لم أَعُد أحتمل حماقات هؤلاء المعاندين. لأنه كان من الواجب عليهم - لو أنهم كانوا يؤمنون إيمانًا سليمًا - أن يروا من كلِّ هذا مدى حرَّية الروح ومقدار سلطانه الملوكي. لأن بولس العظيم يقول لهؤلاء الذين قد تبرَّروا بالإيمان «مَنْ

[٩٣] اع ١٠:٣٨.

[٩٤] ١يو٢:٢٧، يستشهد ق. كيرلس هنا بهذه الآية لتدعيم شرحه لإيمان الكنيسة بأُلوهية الروح القدس ويركز علي دورة في تعليم وإرشاد المؤمنين بكونه هو الله. لذا يعلِّق في موضع آخر علي نفس هذه الآية بقوله: [يوجد في كتب الآنبياء مثل هذا القول «ويكون الجميع متعلَّمين من الله». إذن فعندما يؤمن هؤلاء بالمسيح، وهم ممسوحين من الروح القدس، فإنهم يتعلَّمون كل شيء منه ولن يكونوا في احتياج لتعليم البشر، لكنهم سوف يتعلَّمون من الله وفق أقوال النبي. إذن الروح هو الله، وهذا هو الله بحسب الطبيعة، فكيف إذن يمكن أن يكون مخلوقًا؟]. الكنز في الثالوث. المرجع السابق مقالة٣٤ فقرة ٦٦.

[٩٥] مز٢:٦.

[٩٦] اي الروح الذي يخضع للعبودية كونه ليس إلَهًا حسب ما يعتقد الهراطقة.

سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اَللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ»[97]. والقديس بولس وهو يعطى للطبيعة الإلهية فقط والتى تفوق كلَّ الطباع، إمكانية أن تبرِّر البعض وتجعلهم مختارين، فإنه ينسب هذا العمل لطبيعة الروح ومجده لأنه يكتب أيضًا قائلاً: «لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا»[98].

ارميـــــا: إذن الروح كونه هو الله فهو يُبرِّر الخطاة؟

كيرلس: بالتأكيد يا صديقي. لأن لله وحده وليس لأى كائن آخر القدرة على أن يخلِّص هؤلاء الذين هم تحت نير التعدى والعصيان. ولقد ثبت من حديثنا المطوّل السابق أن الروح هو الله وأنه يأتى بحسب الطبيعة من الله، ويمكن أن تتضَّح أمامك هذه الحقيقة بالأكثر لو لم يصبح حديثي في هذا الأمر ثقيلا عليك.

ارميـــــا: لا يمكن أن يكون حديثك ثقيلاً لأن أى حديث يأتى بالمنفعة لا يمـــكن لمن لديهم نيَّه حسنة أن يعتبروه حديثًا مسببًا للألم والحزن

كيرلس: إذن هؤلاء الــذين يؤمنون بالخليـــقة دون الخـــالق هم. كما يقول الكتاب[99]. لايؤمنـــون باللــه ويعيشـــون في العــالم بغيـــر رجاء[100].

ارميـــــا: بالفعل.

كيرلس: غير أننا الآن قد عَرِفنا الله، الذي هو الله الآب[101] أبو الكلّ، بواسطه

---

[97] رومية٨:٣٣.

[98] ١ كو٦:١١، سبق أن علَّق ق. كيرلس على هذه الآية مستشهدًا بها علي أن الروح القدس هو الله غافر الخطايا، فقال: «إذن فإذا كنا نؤمن أن الله فقط هو الذى يغفر الخطايا، وكان الروح أيضًا يغفر، مبررًا ومقدسًا أولئك الذين يسكن فيهم، إذن هو الله، الذي له الفعل الإلهي في ذاته بحسب الطبيعة». الكنوز في الثالوث، المرجع السابق، مقالة ٣٤، فقرة ٤٩، والملاحظ أيضًا أن القديس كيرلس قد أورد هذه الآية ضمن آيات أخري كثيرة أثبت بها أن طبيعة الروح القدس هي طبيعة الآب والإبن ولهذا نجده أنه قد وضع كل هذه الآيات تحت عنوان: الروح القدس يأتي بحسب الطبيعة من الله. أنظر الكنوز في الثالوث. المرجع السابق. مقالة ٣٥ فقرة ٢٧٣. والجدير بالذكر أن هذا العنوان قد تكرر في الفقرة التالية لهذه الآية هنا وربما هذا يدعم الإحتمال القائل بأن ق. كيرلس كان يضع نص كتابه « كنوز حول الثالوث» أمامه وهو يسطر كتاب حوار حول الثالوث.

[99] رومية١:٢٥، من الملاحظ أنه بسبب وحدة جوهر أقانيم الثالوث، فإن الآيات التى يشير فيها الوحي الإلهي إلي الله، تنسب لكل من الأقانيم الثلاث، وكمثال على هذا نجد أن القديس كيرلس ينسب ما جاء في رسالة رومية١:٢٥، «الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ» ينسب هذه الآية هنا للأقنوم الثالث أي الروح القدس، إذ هو واحد في الجوهر مع الآب والإبن.

[100] أفسس٧:١٢.

[101] لقد عبّرت الكنيسة عن إيمانها هذا في تحديداتها العقيدية من خلال نص «قانون الإيمان» في مجمع نيقية ٣٢٥ حيث كتب الآباء في مستهل هذا النص. «نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض... إلخ.

الإبن وعن طريق الروح القدس[102]، كما أننا أصبحنا معروفين عنده. والمخّلص نفسه يشهد على ذلك لأنه يقول عن نفسه «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي»[103]، وأيضًا يشهد عن الروح بقوله لتلاميذه «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي»[104]. فكيف لا يكون إلهًا مَنْ يُعترَف به جهارًا أنه هو الله وهو يسكن فينا ليس كمخلوق ومصنوع[105]، خاضع للعبودية مثلنا، لكن كونه حرًّا حسب طبيعته إذ هو بالفعل روح الحق أو بالحري هو الحق عينه إذ هو والإبن واحد؟ «لأَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْحَقُّ»[106] كما يقول الكتاب «والحق هو المسيح[107]».

**إرميــــا:** إذن وحدة طبيعة الروح وطبيعة الإبن هو أمر كافٍ ليثبت لنا ويعرِّفنا أن الروح هو الله؟

**كيرلس:** بالتأكيد. لأنه بينما الإبن هو ربّ، وربٌّ هو الآب أيضًا ولأن الروح كائن في كليهما وهكذا يُدرك، فإن الأمر يتّجه مباشرةً نحو الحقيقة. وهكذا فإن عقل مَنْ يؤمنون لن تنقصه طريقة التفكير السليم في المعاني. وبالضبط سيكون الروح القدس هو الرب وهو الله بسبب وحده الجوهر، وهكذا يُسمَّى في الكتاب المقدس الموحى به. وفي الحقيقة يقول إشعياء الطوباوي

---

[102] عبرَّ القديس غريغوريوس اللاهوتي عن هذه الحقيقة في نص الليتورجية المعروفة باسمه اذ يصلي الكاهن موجهًا صلاته لاقنوم الإبن المتجسِّد فيقول: «أيها الكائن السيد الرب الإله الحق من الإله الحق، الذي أظهر لنا نور الآب، الذى أنعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية». الخولاجي المقدس، طبعة دير البراموس ص٣٢٦ ـ ٣٢٧.

[103] يو١٠:٢٧.

[104] يو١٥:٢٦.

[105] دليل آخر عن استعانة ق. كيرلس بما سبق أن كتبه عن أُلوهية الروح القدس في كتابة الكنوز في الثالوث، في كتابه النص الذي نحن بصدده هو استخدامه لنفس الآيات وتكراره لتعليقاته عليها، لذا نجده يكتب في تعليقه علي هذه الآية «كيف نصير نحن هياكل الله حين نقبل الروح، لو لم يكن الروح إلهًا وفق طيش البعض؟!». الكنوز في الثالوث، المرجع السابق، مقالة ٣٤ فقرة ٢٧٣.

[106] ١يو٥:٦

[107] انظر يو١٤:٦، في موضع آخر يأتي ق. كيرلس بهذه الآية ومعها آيات آخرى ليصل إلي حقيقة العلاقة الجوهرية للروح القدس مع الآب والإبن فيقول: [يقول المخلِّص عن ذاته في الإناجيل أنا هو روح الحق (يو١٤:٦). أيضًا يوحنا الطوباوي يُظهر في انجيله أن الروح القدس يأتي من جوهر الآب إذ يقول: روح الحق الذي من عند الآب ينبثق (يو١٥:٢٦) بينما في واحدة من رسائله يقول: الروح هو الحق (١يو٥:٦) إذن كيف يمكن للروح الذي ينبثق من الآب والذي هو روح الحق ومثل الإبن تمامًا بسبب وحدة الجوهر، حتى أنه يدعى أيضًا الحق، أن يكون مخلوقًا أو مجبولاً؟ لا شك أن هذا محض عبث وعلى ذلك يكون الروح هو الله طالما الله بالفعل هو الحق وينبثق من الآب]. الكنوز في الثالوث، المرجع السابق، مقالة ٣٤، فقرة ٢٥.

للأسرائليين حسب الجسد «كَبَهَائِمَ تَنْزِلُ إِلَى وَطَاءٍ، رُوحُ الرَّبِّ أَرَاحَهُمْ. هكَذَا قُدْتَ شَعْبَكَ لِتَصْنَعَ لِنَفْسِكَ اسْمَ مَجْدٍ»[108] كما أن العظيم موسى اعترف بالروح القدس أنه هو الرب وهو الله لذا قال: «هكَذَا الرَّبُّ وَحْدَهُ اقْتَادَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلهٌ أَجْنَبِيٌّ»[109] وأوصى الإسرائليين بشدة «اُذْكُرْ لاَ تَنْسَ كَيْفَ أَسْخَطْتَ الرَّبَّ إِلهَكَ فِي الْبَرِّيَّةِ»[110]، كما أن النبى يشير أيضًا إلى سَخطِ السيِّد الرب عندما يقول «لا رسول ولا ملاك، لكن الرب نفسه هو خلّصهم، لأنه يحبهم ويشفق عليهم، فهو الذى خلّصهم من العبودية وحملهم على يديه ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة»[111]. إذن ألاَ يدعو النبى هنا، الروح القدس. وبكل وضوح. ومع هؤلاء، (أي مع الآب والإبن) لأنه هو الذى قد نزل وقاد هؤلاء المخَلصَين إلى الآب و الإبن، ألاَ يدعوه ربًا وإلهًا وليس غريبًا؟! وبخلاف ذلك كيف تكون طبيعة الروح مختلفة عن طبيعة الله، وهو الذى لا يختلف عنه من حيث جوهره ولا حتى هو غريب عنه، بل هو روحه؟ وهل تستطيع أن تقول لى كيف يهرب الكثيرون ممن يهينون الروح، كيف يهرب هؤلاء من غضب الله؟ أو لماذا ـ حسب ظنهم ـ قال الرب إنه يكره مَنْ يقاومون الروح؟

**ارميـــــا**: أنت تستطيع أن تُجيب على هذا، إذ أن هذا الأمر هو من اختصاصك.

**كيرلس**: أستطيع أن أقول إن الروح القدس هو الله بسبب وحدته مع الله[112]. غير أن هذا القول سيتضّح أكثر لو فكرّنا في الأمر بطرق أخرى، ولأن الله لا يخضع لأى أشكال محددة أو كميات أو مقاييس. لأن هذه كلها من خصائص المخلوقات، بينما الله غير محدد بكميَّة وغير محدود ولا يقاس ولا يُدرك في مكان معيَّن لأنه غير جسدي، كما أن الروح هو كذلك وهو يتحلَّى

---

[108] أنظر إشعياء٦٣:١٤.

[109] تثنية ٣٢:١٢.

[110] تثنية٩:٧.

[111] أشيعاء٦٣:٩.١٠(س)، من الملاحظ أن ق. كيرلس يستعين بهذه الآية ليدّلل علي أن طبيعة الروح القدس ليست مختلفة عن طبيعة الله. وأنه ليس غريبًا عن الآب والإبن، بل هو رب وإله وواحد معهما في الجوهر. ومن الجدير بالذكر أن ق. كيرلس كان قد سبق واستخدم هذه الآية عينها ولكن في سياق دفاعه عن أُلوهية الإبن ضد الذين كانوا يعلّمون بأن الإبن مخلوق وكتب في تعليقه عليها متسائلاً في استنكار «لو كان مخلوقًا فكيف نتبرر حين نؤمن به؟». الكنوز في الثالوث، المرجع السابق، مقال ١٥ فقرة ٥٧.

[112] يقصد بسبب وحده الطبيعة الإلهية أي أن طبيعة الروح القدس هي طبيعة الله.

بكلٍ خصائص الطبيعة الإلهية، وهو يملأ الكلٍ[١١٣] مع الآب والإبن ونؤمن به أنه في كلٍ شيء، لأنه يقول على لسان أحد الأنبياء «إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ»[١١٤] والقديس بولس ينسب هذا للإبن عندما يقول «اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ»[١١٥] كما أن داود الطوباوي يسبح الله قائلاً «أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ ٨إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ »[١١٦]. إذن بما أنه لا يوجد مكان يخلو منه الروح القدس بل هو يملأ الكل، والله هو الذى يملأ الكلٍ، طبقًا لما قد قيل بكل صواب إن « رُوحَ الرَّبِّ مَلأَ الْمَسْكُونَةَ»[١١٧]، كيف لا يصبح أمرًا واضحًا إنه عن طريق وحدة[١١٨] الروح القدس مع الله حسب الطبيعة، يكون الروح القدس هو الله؟ وكيف وهو يحتوى كلٍ شيء، يمكن أن يكون مخلوقًا أو مصنوعًا حيث إن كلمة «الكل» تشمل المخلوقات والمصنوعات في جميع أجناسها وأنواعها. ولكونه يحتوى كل شيء، فإن هذا أيضًا يعنى أنه خارج كل شيء من تلك الأشياء التى يحتويها. وبالطبع مَنْ لا تشمله كلمة «الكلٍ»، لكن يوجد خارج كل شيء[١١٩]، تفوق طبيعته كل

[١١٣] تضع الكنيسة هذه الحقيقة أمام المؤمنين في صلاة الساعة الثالثة من صلوات الأجبية التي تخصصها لتذكار عمل الروح القدس في يوم الخمسين وتذكر في صلوات القطع عن الروح القدس أنه «الملك السمائي الحاضر في كل مكان والمالئ الكل».

[١١٤] إرميا ٢٣:٢٤

[١١٥] افسس٤:١٠.

[١١٦] مز١٣٩:٧-٨.

[١١٧] حكمة سليمان ١:٧.

[١١٨] بمعني أن جوهر وطبيعة أقانيم الثالوث هي واحدة.

[١١٩] سبق أن دافع ق. أثناسيوس عن أُلوهية الإبن المتجسد ضد الذين أنكروا ربوبيته، باعتقادهم أنه ضمن المخلوقات كونه قد اتخذ جسدًا مخلوقًا، فأوضح لهم أن الإبن يظلّ هو الله دون أن تتغير طبيعته الإلهية حتى لو كان قد صار بشرًا وأن حلوله في الجسد لا يعني أن الطبيعة البشرية قد حدّت لاهوته أو أنه قد صار محسوبًا ضمن الخليقة، إذ انه سيظل بجوهره خارج كل شيء مع أنه قد اتحد بجزء من هذه الخليقة ولهذا كتب ق. أثناسيوس قائلاً: «وهكذا حتى مع وجوده في جسد بشري معطيًا الحياة له، فقد كان من الطبيعي أن يمنح الحياة للكون كله في الوقت نفسه، ومع كونه حاضرًا في كل جزء (من الخليقة بقدرته) فهو خارج كل شيء (بجوهره)». تجسُّد الكلمة. ترجمة د. جوزيف موريس فلتس. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة. الطبعة الثامنة ٢٠١٤، فصل ٢/١٧. وهنا يستند ق. كيرلس على هذا البرهان عينه للدفاع عن أُلوهية الروح القدس.

المخلوقات ويوجد أسمى من طبائع كل الكائنات التي يحتويها هو. وبالتالي مَنْ يفوق كل الخليقة يكون هو الله. أم تعتقد أن ما أقوله هو غير صحيح؟

## إعتراضات كتابية والرّد عليها:

**إرميـــــا**: أتفق معك. غير أنه يجب أن تعرف أنه سيقال إن الروح هو مخلوقًا ومصنوعًا لأن أحد الأقدمين قد كتب أن الله قال «أنا هو الرب الذي صنع الريح»[١٢٠].

**كيرلس**: غير أن مجد الروح القدس ـ يا صديقي ـ لا يمكن أن يتأثر بالمرّة بهذا القول وخصوصًا عندما يكون للمرء ذهنًا غير فاسد وغير خامـل. لأنه عندما يقـال شيء عن روح بصـفة عـامة وبغيـر تحديد ، فإن هذا لا يعنى بالضرورة أننا نتكلّم عن روح الله القدوس، لأنه بخلاف ذلك سيمكنني أن أقول إن تجديف المعاندين له مصداقيته. لكن كلمة روح تُطلَق علي أشياء عديدة ـ في نفس الوقت ـ رغم أنها مختلفة في طبيعتها. فعلى سبيل المثال الملاك يُسمى روح كما أن نفس الإنسان تُسمى روح الإنسان، وأيضًا الريح يُسمى روح وبالتالي فلماذا يهربون من التدقيق تمامًا ومن تمييز المعاني الذى يقصدونها في كلٍّ مرَّة، ويصممَّون على أغضاب ذلك الذى هو أسمى من كل خليقة وكل المصنوعات ـ والذى هو واحد مع الله، بحسب الطبيعة ـ بإستخدام أضاليل لا فائدة منها؟ لأن النبى قال أو بالحري الله قد قال عن طريق النبى إنه لم يخلق الروح ذاته، على العكس فنحن مقتنعون بالحري أن الروح غير مخلوق، لكن البعض بسبب حماقتهم قد ظنوا ـ وبرغم عدم موافقة السماء على ما يقولون ـ أنهم يستطيعون أن يربحوا العروش السمائية لأنفسهم وللآخرين، وأن يقتنوا السلطان والمجد الملوكيِّين. ويقول الله الذى هو فوق الكل والذى له السلطة على الجميع والذى تبيِّن أن كل الخليقة تسير بحسب قوانينه وأوامره: «فَإِنَّهُ هُوَذَا الَّذِي صَنَعَ الْجِبَالَ وَخَلَقَ الرِّيحَ وَأَخْبَرَ الإِنْسَانَ مَا هُوَ فِكْرُهُ، الَّذِي يَجْعَلُ الْفَجْرَ ظَلاَمًا، وَيَمْشِي عَلَى مَشَارِفِ الأَرْضِ، يَهْوَهُ إِلهُ الْجُنُودِ اسْمُهُ»[١٢١] وهو سبب حركة الرياح في

---

[١٢٠] أنظر عاموس٤:١٣.

[١٢١] عاموس٤:١٣.

كل العالم. بمعني أني أخلق الريح، وأرفع وبكل وضوح مَنْ أريده أن يكون للمسيح أي ذلك الذى سيُمسَح كى يملك ومَنْ سيرث السلطان، وهذا كله ليس بدون إرادتي. فبحسب أوامري يشرق الفجر، والغمام يَبعدُ، بمعني تعاقب الليل والنهار، النور والظلام. ولأن المعاندين يقولون ما هو الشيء المشترك بين الريح والروح القدس وبين الفجر والظلام، وفي مقابل مَنْ يأتى من الله والذى هو مع الله يكون إذن كلامنا واضح؟

إرميــــا: هكذا يبدو الأمر، لأن ذلك الكائن المختلف عن باقي المخلوقات من حيث طبيعته، ولا يتوافق معها في شيء، هو يتحدى ما فيها من نقائص.

كيرلس: ولكن كيف كان من الممكن، وبطريقة مختلفة أن يُدَرك أنه ـ مع كونه مخلوقًا ومصنوعًا حسب فكرهم ـ يشترك في الخلق مع الخالق وأن لديه القدرة والسلطة على أن يخلق وهي قدرة غير مستمدة من الخارج أو معطاه له من آخر بل من ذاته وبحسب الطبيعة؟ لأنه يقول: إن الروح الإلهي هو الذي صنعني مع أن الكتاب المقدس يقول أن الله قد أخذ تراب من الأرض، وكرّم الإنسان بأن خلقه بيديه، لأن ما هو مكتوب «يَدَاكَ كَوَّنَتَانِي وَصَنَعَتَانِي كُلِّي جَمِيعًا؟»[١٢٢]، هو حقيقة.

إرميــــا: بالتأكيد هو أمر حقيقي.

كيرلس: إذن لماذا لا تؤمن أن إقامة الأجساد في نهاية الأزمان عند حدوث القيامة، هي عمل قوة الروح القدس، كما سبق أن تكلَّم الوحي الإلهي بهذا؟.

إرميــــا: ماذا تقصد بهذا؟

كيرلس: ألاَ يوجد قول نبوِّي يصرخ قائلا إن الأموات سيحيون وسيقوم كل منهم من القبور، كما أننا نؤمن، بإن الله سيعيدنا للحياة، فهو يستطيع أن يفعل كل شيء بالروح القدس؟ .

إرميــــا: نعم لأني أذكر أن الطوباوي داود قد تكلَّم وكتب عن إنحدارنا إلي الموت والفساد بسبب الخطية وتنبأ عن إعادة ولادتنا عن طريق القيامة، وإنه قد خاطب الله قائلاً: «تَحْجُبُ وَجْهَكَ فَتَرْتَاعُ. تَنْزِعُ أَرْوَاحَهَا فَتَمُوتُ، وَإِلَى تُرَابِهَا

[١٢٢] ايوب ١٠: ٨.

تَعُودُ. تُرْسِلُ رُوحَكَ فَتُخْلَقُ، وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الأَرْضِ»[١٢٣]

كيرلس: فإعادة تشكيل وخَلْق وتجديد ما قد فسد، سيكون. حسب المنطق وهو ما أراه صحيحًا. هو عمل الطبيعة نفسها التى قد سبقت فخَلَقْت وبطريقة لا توصف منذ البدء في القديم.

إرميـــــا: اتفق معك تمامًا.

كيرلس: كيف يمكن إذن أن يكون مخلوقًا مَنْ من خلاله وبه يعمل الله في الخليقة ويُدَرك أنه خالق الكُل؟ ولقد آن الآوان. لو إعتقدوا أن الأمر هكذا. أن نقول لهم إنه هكذا وبدون أن يشعروا، أنهم يعترفون أن عمل الله وفعله هو مخلوق، وماذا سينتج عن هذا سوي تجديف كاره لله، وأراء متناقضه وجرائم تعكس جهل تام؟ لأني أظن أن أى شخص يحتقر الفطنه التى تليق بالرجال الحكماء سيقول أن الإلوهه يا صديقي، في الأساس هى بسيطة وغير مركبَّة[١٢٤] ليس من حيث طبيعتها وعملها، لأن الطبيعة والعمل قد خُلِقتا معًا بواسطة طبيعة آخري، لكنهما شيء يوجد مع أشياء أخري يعتقد أنها موجودة فيها. إذن لو قيل إن فعل الروح هو مخلوق ومصنوع، مع أنه خاص به فحينئذ سيكون بالتأكيد الروح نفسه مخلوق لأن فعل الروح ليس هو شيء مختلف عنه. إذن ألا يكون بالتأكيد هذا الحديث هو حديث بشع ومخيف بل يميل بشده نحو عدم التقوي؟

إرميـــــا: بالفعل.

كيرلس: إن إعتقادهم هذا يصل. بالتأكيد. إلى حماقة أخري.

إرميـــــا: ماذا تقصد.

كيرلس: إن الله يُدعى ربَّ كل القواَّت وهذه التسميَّة هى صحيحة.

[١٢٣] مز ١٠٤: ٢٩. ٣٠، الدليل القاطع علي أن الروح القدس ليس مخلوق، هو أنه يخلق ويجدِّد الخليقة، لهذا وجد ق. كيرلس في هذه الآية سندًا قويًا لتدعيم دفاعه عن أُلوهية الروح القدس. غير أنه كان قد رجع إلي هذه الآية من قبل في سياق دفاعه عن أُلوهية الإبن موضِّحًا أنه لم يكن الإبن إلهًا لما كان في استطاعته أن يرسل الروح القدس الذي يخلق ويجدد، فيقول: [ المرنم وهو يعرف أن الروح خالق بحسب الطبيعة يقول لسيد الكل «ترسل روحك فتخلق، وتجدد وجه الأرض إذن، فإذا كان الروح القدس له مثل هذه الطبيعة، أي أنه يخلق ويجدّد كل شيء، فكيف يمكن أن يكون مخلوقًا، أو كيف يمكن أن يُدرك الإبن على أنه مخلوق بحسب الطبيعة، وهو الذي يمنح الروح الذي له قوة على أن يخلق؟]. الكنوز في الثالوث، المرجع السابق، مقال ٣٢، فقرة ١٦٦.

[١٢٤] هنا يكرِّر ق. كيرلس الإشارة إلي الحقيقة التي سبق أن تحدث عنها من قبل. انظر صـ٢٨.

**إرميـــــا:** هى بالفعل صحيحة وكيف لا تكون هكذا.

**كيرلس:** إذن لو كان هناك شيء أدنى من الطبيعة الإلهية الفائقة، لا يمكن أن يكون له قوّته الخاصة. لكن القوّة سوف تنبع من الله كما من نبع، لتسرى في كل شيء بتقوى، مثلها مثل الحكمة وكل الأمور التى تأتى منها. لأن مَنْ هو سيد الكلّ ستصير كل المخلوقات التى خُلقت بواسطته، شريكة معه حتى أني أعجب كثيرًا بالقول «لأَنَّهُ مَنْ يُمَيِّزُكَ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ، فَلِمَاذَا تَفْتَخِرُ كَأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ؟»[125] ولأن هذا الأمر يمكن أن يطبق. وكما هو واضح أن أراد أحد أن يبحث الأمر فلسفيًا. ليس فقط علينا نحن الأرضيين، لكن على كل الخليقة.

**إرميـــــا:** ما هي النتيجة التى سنحصل عليها من هذا الأمر؟

**كيرلس:** أسمع ما يقوله الطوباوى داود وهو يرتل بإستخدام القيثارة الروحية ويقول «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا»[126]. وقل لي إذن: مَنْ يصنع السموات وكلّ قوّة في الكائنات، هل هو إله أم مخلوق؟

**إرميـــــا:** أنا أقول بالتأكيد هو إله وأشدّد على هذا، لأني لا أوافق على أن المخلوقات ليست هي من عمل الله، وأنها قد صارت من ذاتها وأنها تقدر أن تضمن لنفسها ما يحفظها ويصونها بطريقة حسنه مع أن مصيرها بحسب طبيعتها هو إلى الفناء[127].

**كيرلس:** إذن الروح هو الذي قد بَسَطَ السموات بدون أن يجعلها أن تشارك في الجوهر الخالق[128]، لكنه وهبها أن توجد بكونه هو الله. لأن مَنْ يحفظ الكائنات جيدًا ويصون الشيء الفانى حسب طبيعته، والمائل إلى العدم، يمكن أن يُظِهر جوهر مَنْ يقود ويضبط كلّ الخليقة. وبالفعل يجعلنا القديس

---

[125] ١ كو٤: ٧.

[126] مز٣٣: ٦، في كتابه الكنوز في الثالوث يعتمد ق. كيرلس على هذه الآية لاثبات أُلوهية الروح القدس كما يفعل هنا. انظر مقال ٣٥ فقرة ٢٦٤، وليس هذا فقط بل ولاثبات أُلوهية الإبن المتجسد كلمة الله. انظر مقالة ٣٥ فقرة ٢٠.

[127] هنا يرّد ق. كيرلس بلسان إرميا على التعاليم الخاطئة التي كان تنادي بل الله ليس هو خالق الكون بل أن الكائنات قد صارت إلي الوجود من ذاتها ولهذا فهي ليست في حاجة إلي الله كي يحفظ وجودها واستمراريتها في الوجود. ولقد فندَّ ق. أثناسيوس أيضًا من قبل هذه الآراء في كتاباته. انظر مثلاً: تجسُّد الكلمة: المرجع السابق . الفصل الثاني.

[128] يكرر ق. كيرلس توضيح حقيقة طبيعة الروح القدس وعلاقته . كخالق . بالخليقة. راجع ص ٣٧١-٣٧٢.

بولس مقتنعين بأن ندرك ـ على قدر طاقتنا ـ ما هى طبيعة الله تقريبًا وذلك بواسطة ما تفعله، عندما يقول «لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ. لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيّ»[١٢٩]. فالقدرة الأزليَّة توضَّح جمال الطبيعة الإلهية وتبسط «روح» السموات ليس كواحد من الخلائق التى أُحضِرت للمساعدة (لأن الإيمان أو حتى مجرَّد القول بمثل هذا يعد هذيانًا واضحًا) لكن بصفته روح الله الذى يخلق ويعطى قوَّة لكل الخلائق. فلو إدّعوا بأن الأمر هو ليس كذلك فليعطونا إجابة، وليبيِّنوا لنا السبب الذى من أجله يدبر الخالق ويعطى للخلائق أن تكون كاملة وحسنة وبأروع الطرق بإشتراكها في الروح القدس. لأنه يبسط السموات التى لو كان من الممكن لها أن تثبت بمجرَّد خلقتها لما كان من الضروري أن تُخلق بواسطة الروح. لكن ما سنقوم به من أبحاث سيثبت أن كلامهم هذا غير صحيح وبالحري تكون الحقيقة عكس ما يقولون.

إرميـــــا: تكلّمت بالصواب، لكن لماذا لم يرفع طبيعة الإنسان عندما خلقة، إلى مكانة الكمال التى تليق بها وذلك عندما منحها ـ عن طريق الروح ـ الصورة الإلهية؟

كيرلس: سيتضَّح هذا تمامًا لو تأمل المرء أنزلاق الطبيعة وإبتعادها عن الكمال. لأنه عندما إنحرف الإنسان نحو العصيان وتجرَّب ـ نتيجه محبته لشهوات جسده ـ بالخطيَّة التى كانت غريبه عنه. فإنه أَبعدَ عنه الروح الذى شكلَّه على صورة الله والذى كان ساكنًا فيه وبطريقة لا توصف وكأنه

---

[١٢٩] رومية ١:٢٠.٢١، يورد ق. كيرلس هذه الآية لبيان طبيعة الله، إذا أنها تُظهر قدرته على الخلق، وعلى أنه يحفظها ويصونها، وهنا يستخدمها ليوضِّح بها حقيقة الروح القدس وطبيعته الإلهية. غير أننا نجده وفي موضع آخر قد استخدم هذه الآية عينها لايضاح وإثبات أُلوهية الإبن المتجسد ولذا نجده يعلق علي هذه الآية بقوله: [ «بالرغم من أن هذا المقطع يخص الله الآب، إلاّ إنه بتفسير آخر يمكن أن ينسب للإبن: لأن ما هي قوة الله التى يكرز بها أيضًا بولس» فالمسيح قوة الله وحكمة الله (١كو١:٢٤) والمرنم يقول نفس الأمر: «أيد يا الله هذا الذى فعلته لنا» (مز٦٨:٢٨). فمَنْ هو هذا الذى يقوِّي هذا الذى عمل لنا. أليس هو كلمه الله الذى فدانا من الفساد وأقامنا معه في عدم فساد؟]. الكنوز في الثالوث، المرجع السابق، مقال٤:٣. والمنهج الذى سلكه ق. كيرلس في الاستخدام المزدوج لنفس الآية للدفاع عن أُلوهية الروح القدس، يرجع هذا المنهج لوحده جوهر الأقانيم الثلاث إذا أن الدفاع عن أحد أقانيم الثالوث هو دفاع عن الأقنومين الآخرين. ولقد عاد ق. كيرلس إلي التأكيد على هذه الحقيقة عندما تابع حديثه في الفقرات التالية بقوله «إن السموات قد صنعت بكلمة الرب وكل قواتها ترجع إلي عمل الروح كما كان يُرتل في القدم» ص٥٧.

ختم[١٣٠]. وهكذا صار واضحًا أنه قد جَلَبَ لنفسه الفساد والقبح وكل ما هو غير شرعي. لكن لأن خالق الكُل قد أراد أن يعيد مَنْ إنزلق إلى الفساد، ومَنْ قد شُوِّه نتيجة الخطيَّة الغريبة، إلى حالته الأولى المستقرة والأصلية، فإنه أرسل إليه أيضًا الروح القدس الإلهي، والذي كان قد فارقه أنذاك[١٣١]، حتى يغيِّره إلى صورة فائقة إذ أن له حسب طبيعته القوّة كي يعيدنا إلى الحالة التى نكون فيها على شبهه. فهل نقبل إذن أن يكون مَنْ يحفظ الخليقة في حالة جيدة بعلاقتها به ومَنْ يعرف كيف يعطيها الجمال ومَنْ يُشكّل الكائن الحيّ كي يشبه الله هل نقبل أن يكون أقل من الخالق، أو أن ننزع عنه الكمال الذى يليق بكل أحد والذى يمنحه هو ذاته لكلِّ خلائقه بقولنا أن له خصائص مختلفة؟ أم أنه بقولنا إن الروح له نفس طبيعة وجوهر مَنْ قد أتي منه وهو كائن فيه حسب الطبيعة، فإننا نكرِّم كلِّ الخليقة ونضع بين يدَّيه كلِّ المخلوقات التي خلقت بالإبن في الروح (القدس)؟

إرميـــا: يمكنني القول أن كل ما قيل هو حسن جدًا.

كيرلس: وكيف لا يكون أمرًا سهلاً أن نرى قدرة الآب في كل ما صار بالإبن

---

[١٣٠] من الملاحظ أن ق. كيرلس يستخدم تعبير «الختم» لوصف عمل الروح القدس في النفس البشرية سواء في حالة ما قبل السقوط وأيضًا عمله في النفس بعد مجيء المسيح. فهنا يصف عمله في الإنسان قبل سقوطه، وفي موضع آخر يقول: «الآن فإن صورة الله في الإنسان بدأت تبهت بدخول الخطية ولم يعد الختم مشرقًا لامعًا. شرح إنجيل يوحنا. المرجع السابق. صـ١١٦، بينما يقول عن عمله فينا بعد تجسد الإبن الوحيد: «لأننا قد ختمنا بواسطة الروح القدس لكي نقتني أن نكون مشابهين صورة الآب» انظر ص ٢٢٨. والواضح أن هذا التعبير كان شائعًا عن آباء الكنيسة، فقد سبق أن استخدمه ق. أثناسيوس في دفاعه عن ألوهية الروح القددس وتشديده على فعل الروح القدس فينا ويصفه «بالختم». الرسائل عن الروح القدس إلي الأسقف سرابيون. المرجع السابق. نوفمبر ٢٠٠٥. صـ٧٢، ٧٣، صـ١١١.

[١٣١] سبق أن أوضح ق. كيرلس نتائج سقوط الإنسان في الخطية، وعمل الروح القدس في تجديد الطبيعة البشرية الساقطة وذلك في تعليقه على شهادة ق. يوحنا عن معمودية المسيح فكتب قائلاً: «والآن فإن صورة الله في الإنسان، بدأت تبهت بدخول الخطية، ولم يعد الختم مشرقًا لامعًا، بل بدأ يَظلُم بسبب التعدي، وعندما كثر جنس البشر إلى اعداد لا تحصي، وسادت الخطيّة على الكل، وصارت تدّمر نفس كل إنسان بطرق عديدة، نُزعت من طبيعة الإنسان النعمة الأولي وفارق الروح القدس تمامًا الطبيعة الإنسانية، وسقطت الطبيعة العاقلة في أعماق الغباوة. وصارت تجهل حتى خالقها نفسه ولكن خالق الكل احتمل ذلك لفترة طويلة وأشفق على العالم الفاسد، ولأنه صالح، فقد اسرع لكى يجمع قطيعة الشارد على الأرض ويضمه إلى الذين فوق (الملائكة)، وقرر أن يعيد الطبيعة الإنسانية من جديد إلي الصورة الأولي بالروح القدس. ولم يكن هناك طريق آخر يمكن أن يشرق الختم الإلهي بواسطته من جديد في الإنسان كما كان يشرق سابقًا». شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق. صـ١٦١ .١٦٢، وفي نفس الكتاب يكرر نفس الحقيقة بقوله: «لكن الإنسان بسبب تلك الخدعة القديمة قد انحرف إلي الخطية، ثم تتابع تدريجيًا في الغلو في هذه الأمور، ورغم ما تبقي لديه من أمور صالحة عاني من فقدان الروح، وفي النهاية أصبح خاضعًا ليس فقط للفساد، بل عرضه أيضًا لكل الخطايا». صـ٥٢٩.

في الروح القدس[١٣٢]؟ والأمر الذى يثبت ذلك جدًا هو أن السموات قد صُنعت بكلمة الربِّ وكل قواتها ترجع إلي عمل الروح، كما كان يُرتل في القديم[١٣٣]. كما أني سأشير إلي المسيح الذي أجري المعجزات بقوّة الروح لأنه مكتوب «وَرَجَعَ يَسُوعُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ إِلَى الْجَلِيلِ»[١٣٤]، وإلى اليهود أيضًا الذين وبّخهم بحق عندما تثرثروا عليه بغير تقوي وتفوّهوا ضده قائلين «أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «هذَا لاَ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلاَّ بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ»[١٣٥] والذين قال لهم بعد ذلك «وَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ! وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ!»[١٣٦] وهذا لا يعنى شيء آخر سوى أنه كمَنْ يقول: إن القدرة الإلهية والسلطة قد نزلا على البشر طالما أنى صرت مثلكم من أجلكم، وأعمل المعجزات بواسطة الروح القدس. لأن عبارة «ملكوت الله» علي ما اعتقد، تطلق على عمل الروح القدس الذى هو عمل الله وأيضًا على الروح القدس نفسه حسب ما قيل من أجلنا «ها مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ»»[١٣٧]. إذن عندما يقوم المسيح بعمل المعجزات بالروح القدس مع أنه هو الله وعندما يدعو السلطة القوّية غير المغلوبة والكائنة فيه والعاملة من خلاله، يدعوها «ملكوت الله»، فهل يمكن أن نقول نحن أو الأرواح السامية[١٣٨] إن الروح هو مخلوق وأنه لا يحسب ضمن الطبيعة التى تفوق طبيعة الخلائق أى أنه لا يحسب أن له نفس طبيعة الله خالق كل الأشياء؟ ولماذا تَمجَّد المسيح بالروح وإكتسب المجد

[١٣٢] كثيرًا ما أصرَّ آباء نيقية وما بعد نيقية على ضرورة التمسك بالإيمان الذي تستلّمه الكنيسة من الآباء الرسل والتعبير عنه في صياغات محدودة تحفظ بها استقامة التعليم وترد هذه العبارة كأحد التحديدات التى تعبر عن الإيمان بالثالوث وعلاقته بالخليقة أو كما كتب ق. أثناسيوس «يوجد ثالوث قدوس وكامل يُعترف به أنه الله .كما في الآب والإبن والروح القدس وليس له شيء غريب أو خارجي ممتزج به ولا يتكون من خالق ومخلوق ولكن الكل يبنيه ويخلق وهو متماثل في ذاته وغير منقسم من جهة الطبيعة، وفعله واحد. فالآب بالكلمة في الروح القدس يعمل كل شيء، وهكذا تحفظ وحدة الثالوث سالمة. وهكذا يكرز بإله واحد في الكنيسة». الرسائل إلي سرابيون. المرجع السابق. ص٨٠. ٨١.

[١٣٣] مز٣٣: ٦: «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا».

[١٣٤] لوقا٤: ١٤.

[١٣٥] مت١٢: ٢٤.

[١٣٦] مت١٢: ٢٧. ٢٨.

[١٣٧] لوقا١٧: ٢١.

[١٣٨] يقصد الملائكة.

باستطاعته فعل كل شيء بواسطة الروح؟ ولماذا لا يُدعى إلهًا بسبب عظم جلال أعماله من أجلنا والتى أتمها بالروح طالما أنه هو واحد في القدرة مع مَنْ وَلَده، وصار من الجدير أن يُؤمَن به أنه واحد معه في الجوهر، مع أن الإبن الوحيد قد صار واحد منًا؟ لأنه مكتوب «إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي»[139]، لكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بأعمالي. إذن فحينما يثبت بهاء المعجزات وما يحدث بواسطة قوَّة الروح، ماهيه الطبيعة الإلهية، كيف يمكن أن يُعتبر مخلوقًا مَنْ له القدرة نفسها التى لله وهو الذى يخلق معه ويُعطى معه الحياة لكل مَنْ يحتاجها؟ أم ربما تكون القدرة على إعطاء الحياة لا تخص مَنْ له بالحقيقة الحياة في طبيعته، أي لا تخص الله؟

**إرميـــا:** اتفق معك لأنه مكتوب عنه «الَّذِى وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ»[140].

**كيرلس:** إذن لأن عدم الموت هو من خصائص طبيعة الله وحده والذي نؤمن أنه هو الحياة، فكيف يمكن أن يكون الروح هو واهب الحياة طالما أنه يحسب ـ وفق أقوال المعاندين ـ ضمن مَنْ ينالون الحياة، إن لم يكن قد بَعُدَ عن كونه مخلوقًا؟ لكن الأمر ليس كذلك، لأن الروح هو واهب الحياة وغير محتاج بالمرَّة إلى أن يحصل على الحياة من آخر أو أن يشارك في الحياة، وبالتالي كل ما قد قاله أعداء الله ضده، هو ضلال وأكاذيب. ونحن لا نقبل أن يكون كلامنا عن مجد الروح مثل كلام وسفسطة هؤلاء، لكننا سنحرر عقلنا من كل تيار ينحرف بنا نحو ما لا يليق ويخرجنا عن الطريق المستقيم، لأننا سنسير في الطريق المعتدل، مسترشدين بتعاليم الكتاب المقدس، وملاحظين ما يقوله عن المجد اللامع للروح القدس مؤمنين بأنه هو الله وأنه قد أتي من الله وأن ما يتحلَّى به من صلاح ليس غريبًا عنه، بل

---

[139] أنظر يوحنا ١٠: ٣٧-٣٨، يورد ق. كيرلس حديث للمسيح مع اليهود، وتوبيخه إياهم لإنكارهم الوهيته، لأن الهراطقة مثلهم مثل اليهود، كانوا فيما بعد قد أنكروا هُم أيضًا أُلوهية الإبن المتجسد وبالتالي أنكروا أُلوهية روحه، لذا عمل ق. كيرلس في سياق دفاعه عن أُلوهية الروح القدس أن يثبت أُلوهية الإبن ولهذا أورد هذه الآية كي يخلص إلي أن الروح القدس هو رب وإله. ومن الجدير بالذكر إنه علّق علي هذه الآية في موضع آخر قائلاً: « فإن كان يستطيع أن يعمل أعمال الآب، وأن يكون الآب فيه، وأن يكون هو في الآب، فقد برّهن حقًا علي أنه هو الله الحقيقي، وصار ربًا لأولئك الذين يؤمنون به». الكنوز في الثالوث، المرجع السابق، مقال ٢١ فقرة ١٩.

[140] ١تيمو٦: ١٦.

أنه يملك في طبيعته كل ما هو لله. ويجب أن ننتبه لما يقوله الرسل في كل مكان «لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ»[١٤١]. كما أن القديس بولس الحكيم جدًا يقول لتلميذه تيموثاوس عن الله الآب «أُوصِيكَ أَمَامَ اللهِ الَّذِي يُحْيِي الْكُلَّ»[١٤٢]، كما أن المسيح قد علّم أخت لعازر قائلاً لها «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ»[١٤٣]. وعن الروح القدس قال «اَلرُّوحُ هُوَ الَّذِى يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلاَ يُفِيدُ شَيْئًا»[١٤٤]. إذن عندما يكون الله الآب هو مُعطي الحياة[١٤٥] للكل وعندما يكون الإبن هو الحياة، والروح القدس هو الذى يعطى هذه الحياة، فمن يستطيع أن يفصل ويُبعد الروح عن الحياة. وفعلها المحيي ويقول إن الحياة هي شيء آخر عن مَنْ نؤمن به أنه الحياة أو بطريقة أخرى

[١٤١] أع١٧:٢٨.

[١٤٢] ١ تيمو ٦:١٣.

[١٤٣] يوحنا ١١:٢٥.

[١٤٤] يو ٦:٦٣، أورد ق. كيرلس هنا وبإختصار شديد شهادة المسيح له المجد في حديثه مع تلاميذه، عن الروح القدس المحيي، وذلك للدفاع عن ألوهية الروح إذ أن مَنْ له الحياة في ذاته هو رب وإله وهو وحده القادر أن يهب الحياة لغيره، وفي سياق شرحه لإنجيل يوحنا اسهب ق. كيرلس في تفسير هذه الآية وكأن المسيح يقول: [ «إنه من المعقول أنكم لم تعطوا للجسد قوّة منح الحياة. لأنه حينما ننظر إلى طبيعة الجسد وحدها وبمفردها، فمن الواضح أنها لا تهب حياة. لأنه لا يمكن للأشياء المخلوقة أن تعطى حياة، بل بالحري تحتاج هي نفسها إلى القادر على إعطاء الحياة. لكن حينما تمعنون النظر في سرّ التَجسّد، وتعرفون مَنْ هو ذاك الذي حلّ في هذا الجسد، ستشعرون حتمًا أن الجسد يمكنه أن يهب حياة، مع أن الجسد في حد ذاته «لا يفيد شيئًا» البتة إلاّ إذا أتممتهم الروح الإلهي نفسه. الذي في الجسد. أنه هو أيضًا لا يفيد شيئًا. لأنه إذ اتحد الجسد **بالكلمة** معطي الحياة، فقد صار واهبًا للحياة كلية، مرتفعًا إلى قوّة الطبيعة الأكثر علوًا، دون أن يجبر ذاك الذي لا يمكن إخضاعه بأي حال للتحوّل إلى طبيعة الجسد الخاصة، برغم أن طبيعة الجسد في حد ذاتها عاجزة «عن أن تعطى حياة من ذاتها»، ومع هذا فهي تقدر على فعل ذلك، حينما يصير لها الكلمة معطي الحياة، وتكون مفعمة بفاعليته كلها. لأن هذا الجسد هو جسد ذاك الذي هو الحياة بالطبيعة، وليس جسد أي كائن أرضي الذي يُقال عنه بحق إن «الجَسَدُ فَلاَ يُفِيدُ شَيْئًا». لأنه (مثلاً) ليس جسد بولس، ولا جسد بطرس، أو أي شخص آخر، يمكنه أن يفعل بنا ذلك. بل هو فقط وبوجه خاص جسد مخلّصنا المسيح الذي حلّ فيه «كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا» (كو٢:٩). لأنه سيكون في غاية السخف حقًا أن يُدمج العسل وصفاته في أشياء لا حلاوة فيها بطبيعتها، فتتوفر للعسل القدرة أن يحوّل إلى نفسه ذاك الذي امتزج به، ثم لا تقوى طبيعة الله المانحة الحياة على أن ترفع إلى صلاحها الخاص ذلك الجسد الذي حلّت فيه. من ثَم كان القول صادقًا بالنسبة لكل الأشياء الأخرى أن «الجَسَدُ فَلَا يُفِيدُ شَيْئًا»، لكنه بالنسبة للمسيح وحده، فإنه لا يستقيم بسبب تلك الحياة، أي الوحيد الجنس الذي حلّ فيه. وهو يدعو نفسه الروح، لأن «اَللهُ رُوحٌ» (يو٤:٢٤). وكما يقول المغبوط بولس «أَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ» (٢كو٣:١٧). ونحن لا نقول تلك الأشياء، كأننا نسلب الروح القدس وجوده الخاص، فكما يدعو نفسه ابن الإنسان، لأنه صار إنسانًا، هكذا أيضًا يدعو نفسه الروح بسبب أن الروح هو روحه الخاص. لأن الروح ليس روح شخص آخر سواه، بل روحه هو. (يو٦:٦٣): «اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ». هو يملأ جسده الشخصي بفاعلية الروح الواهبة للحياة. لأنه الآن يُسمّي الجسد «روح»، لا بمعنى أنه استبعد عنه كونه جسدًا: بل بسبب اتحاده الكامل به، وقد تأيّد الآن بقوّته كلها المانحة الحياة، لهذا ينبغي أيضًا أن يُدعي «روح»]. شرح إنجيل يوحنا. المرجع السابق. المجلد الأول. صـ٤٢٧. ٤٢٨.

[١٤٥] وحسب تعبير قانون الإيمان في مجمع قسطنطنية الذى اقر ألوهية الروح القدس «نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي».

يقول إنها ليست هي الحياة؟ لأن مَنْ ينقصه ـ حسب طبيعته ـ القدرة علي إعطاء الحياة كيف يكون هو الحياة؟

إرميا: هم يقولون إن الروح هو مُعطِي الحياة لأنه يمنح الحياة التي يستمدها هو من الله، للمخلوقات لأنه ـ في الحقيقة ـ ليس هو الحياة.

كيرلس: لكن من المستحيل أن يصير هؤلاء مُشرعي قوانين أو أن يحكموا في الأمور التي هي أرفع من تفكيرهم وعقولهم، لأنهم قد وصلوا إلي حد كبير من الإنحراف حتى أنهم يعرضون أمامنا ما يعتقدون أنه صواب على أنها أمورًا غير قابلة للمناقشة. لكن يجب أن يخضعوا معنا للكتب الإلهية التى تعلِّم بكل وضوح أن الروح القدس ليس خادمًا[١٤٦] للحياة التى تمنح من آخر، لكنَّه في الحقيقة هو الحياة بطبيعته. لأن هذا ما يقوله أيضًا الطوباوي بولس «وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِى أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِى أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِى أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُم»[١٤٧] إذن فروح الحياة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون منفصلاً عن الحياة[١٤٨]، وذلك حسب المنطق الواضح والذى لا تشوبه شائبة. لأنه كيف لا يكون هو الحياة مَنْ له الحياة في ذاته بل وتنبع منه ـ وبطريقة ما ـ كينبوع[١٤٩] صافٍ، ومَنْ له

[١٤٦] يكرر ق. كيرلس هذا التعبير الذي سبق أن استخدمه من قبل لوصف عمل الروح القدس. راجع ص٣٦٥.

[١٤٧] رومية ٨: ١١، في مقال له بعنوان «الروح هو بحسب الطبيعة إله، وهو من جوهر الآب وهو يمنح للخليقة بواسطة الإبن»، يستعين ق. كيرلس بهذه الآية لتدعيم تعليمه عن ألوهية الروح القدس، ويعلّق عليها قائلاً: «إذا كان الروح القدس ـ وفق هوس غير المستقمين ـ حقًا مخلوقًا ومجبولاً، فكيف يفعل ما يفعله الله؟ لأني لا أظن أن شخصًا ما يمكنه أن يتحصَّن تحصنًا شديدًا بالإيمان المستقيم وفي نفس الوقت يتجرأ ويقول إن الروح هو مخلوق وغريب عن الجوهر الإلهي لأنه يأتي منه بطريقة طبيعية ويُرسل إلي أناس معنيين قادرين علي نواله. إذن لأن الإبن هو الحياة بحسب الطبيعة، كما أنه يحيي، فمن الضروري أن نعترف بأن الروح الذي يُمنح منه، إنما يأتي من جوهر الله الذي هو جوهر الإبن نفسه وله كل قوته وفعله». الكنوز في الثالوث، المرجع السابق، مقال ٣٣، فقرة ١٥. ومن الملاحظ تركيز ق. كيرلس علي عمل الروح القدس في المؤمنين، إذ أن هذا الفعل هو دليل علي ألوهيته وهذا هو المنهج الذي اتبعه من قبله ق. أثناسيوس الذي علّم بأن عمل الإبن المتجسد فينا، يشهد لألوهيته. راجع مقدِّمة الكتاب.

[١٤٨] من الواضح اعتماد ق. كيرلس على كتاباته السابقة في كتابه هذا الحوار، إذ نجده هنا يشير إلي آية إنجيل يوحنا ٦: ٦٣ ثم يسبقها بآية رومية٨: ١١ الأمر الذي نجده في تفسيره إنجيل يوحنا حيث شرح باسهاب ما جاء على لسان المسيح له المجد في حديثه مع تلاميذه (يو٦: ٦٣) ثم دعم تعليمه عن ألوهية الروح القدس بما جاء في رومية ٨: ١١، وهنا نجده يعبر عن حقيقة علاقة أقنوم الإبن بالروح القدس بمصطلحات مرادفه لما سبق إن جاء في شرحه لإنجيل يوحنا عندما كتب قائلاً: «لأن روح الابن لا يمكن أن ينفصل عن الإبن» المرجع السابق. ص٤٢٩.

[١٤٩] من التشبيهات المستخدمة كثيرًا عند الآباء لوصف علاقة أقانيم الثالوث هو تشبيه الينبوع المستخدم هنا لوصف علاقة الحياة ومعطي الحياة. وفي موضع آخر يستخدم ق. كيرلس نفس التشبيه لوصف نفس العلاقة بين الحياة التى هي الآب والروح القدس الذى هو معطي الحياة فيقول «الروح هو واحد وهو ينبع بالتأكيد من الآب كينبوع» المرجع السابق ص١٣.

الطبيعة الإلهية التى هى أسمى من أي طبيعة مخلوقة؟ كما يمكن لمن لديهم عقل راجح أن يروا بوضوح وسهولة إنه ينبثق من جوهر الله الآب ذاته وذلك مما قيل بوضوح «فَالَّذِى أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُم»[١٥٠] لأن الروح الساكن في قلوبنا هو بعينه روح الله المحيي[١٥١]. فلو قبلنا أن روح الله المنبثق منه حسب الطبيعة، تنقصه الحياة، كيف يمكن ألاَّ يُدرَك أنه عديم الحياة، طالما أنه قد اكتسب الحياة كما تقولون؟ ولأني أعتقد أن التغيرّ المحتمل أن يحدث - كما يقولون - حتي وإن كان لم يحدث بعد حتى الآن، وحتي ولو كان يُدرك على أنه تغيَّر من الخارج أو بالفعل تغيَّر مكتسب، هذا التغيَّر لا يعتمد علي قوانين الطبيعة، كما أن الشيء الذى ينتمي لطغمة الأمور الزمنية، هو غير ثابت في أساسه مثله مثل الألوان التي تُعطى لأشخاص قد رغبوا في أن يصطبغوا بها[١٥٢].

إرميـــا: اتفق معك على أن الروح هو الحياة حسب طبيعته وليس بالاشتراك في الحياة.

كيرلس: والأمر لا يحتاج لمناقشة يا صديقي لأنك تتكَّلم جيدًا عن هذا الأمر من خلال استعراض بعض الأفكار الأخرى. لأن المرء يمكنه أن يسمع الله وهو يتحدَّث، وبطريقة ما يدين مَنْ يعبدون الخليقة بأنهم عديمي التمييز إذ إنه يقول لهم: اِبهتي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ مِنْ هذَا، وَاقْشَعِرِّي وَتَحَيَّرِي جِدًّا، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ: تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ، لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ أَبْآرًا، أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً.»[١٥٣]. ولكن نجد ربنا يسوع المسيح وهو يصرخ في اليهود

---

[١٥٠] رومية ٨ : ١١.

[١٥١] يشدِّد ق. كيرلس على هذه الحقيقة بقوله «إذن الروح القدس هو معطي الحياة، وعندما نكون في شركة الروح القدس فنحن نكون شركاء الله الحقيقي وحده والذي هو الحياة» انظر ص ٢٤٣.

[١٥٢] يقصد أن التغيرَّ الحادث لشخص نتيجة إعطاء اللون له، هو تغيرٌّ عرضي غير ثابت لأنه لا ينتمي لطبيعة الشخص عينها.

[١٥٣] إرميا٢ : ١٢-١٣، من الواضح هنا أن ق. كيرلس قد حاول استخدام ثلاث آيات تخص الأقانيم الثلاث وتشير كل منها إلي كلمة الماء الحي وذلك لاثبات وحده الجوهر الثالوث القدوس. ومن الجدير بالذكر أنه قد استخدم الآية الأولي من هذه الآيات «تركوني أنا ينبوع المياه الحية» وذلك في سياق دفاعه عن ألوهية الإبن وأنه واحد مع الآب في الجوهر ضد الأريوسيين الذين علّموا بأن الإبن ليس أزليًا مع الآب وأنه كان هناك وقت لم يكن فيه الإبن موجودًا، لذا نجده يعلق علي هذه الآية بقوله: [ إذن فيما أن الله يُدعي هكذا، فمن المعروف والمفهوم أن كل ما يأتي من النبع يكون مشتركًا معه في الوجود، لأن الينبوع لن يكن ينبوعًا أن لم يتدفق منه شئ وهم يقولون: «كان هناك وقت لم يكن فيه الإبن موجودًا، إذن فهم يعترفون بأن الينبوع أحيانًا ما يكون جافًا وعقيمًا وهذا محض تجديف، طالما أن الطبيعة الإلهية=

قائلاً: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَى وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ»[154] ويوضِّح يوحنا الإنجيلي ما قاله الرب يسوع وينسب هذا الفعل لطبيعة الروح القدس وفعله فيكتب «قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ»[155] وها هنا مرّة أخري نجد الماء الحي وبنفس الطريقة وبذات القوَّة، فالروح القدس والآب وبالطبع الإبن، جوهر واحد والوهه واحدة. ويمكن للمرء أن يتحقق من هذا الأمر بطريقة أخري. فطالما أن الله هو قدوس بطبيعته، والروح القدس هو قدوس في جوهره، فبواسطة الروح وبالإشترك فيه يمكن للمرء أن يكون شريكًا في الله القدوس[156].

إرميـــــا: هم يقولون إن التقديس ليس من خصائص الروح القدس، بل هو يحصل عليه من الله وفقط ينقله لباقي الخليقة.

كيرلس: إذن فلو كان الروح القدس قد تقدَّس مسبقًا (أي من آخر) فهو لهذا ينقل للخليقة قداسة ليست له. وذلك وفقًا للمبدأ القائل أن كل كائن عليه أن ينقل شيئًا للآخرين، يجب عليه أن يكون قد حصل عليه مسبقًا، إذ هو شيء غريب عنه ولأنه لا يوجد كائن يستطيع أن يعطي ذاته للآخرين، ما لم يكن هو ذاته[157] لأن أي كائن لا ينقل لآخرين بتاتًا شيئًا يملكه وكأنه لا يملكه.

إرميـــــا: هذا كلام جيد.

كيرلس: وبالتالي، فإن كان الروح الكائن في داخلنا ليس قدوس بحسب طبيعته وفق ما يقولون، فحينئذ ماذا تكون طبيعته؟ وإن لم يريدوا أن ينسبوا له الطبيعة المقدَّسة ألن يكون حديثهم قد أنحرف تجاه تجديف لا مفرٌّ منه؟

إرميـــــا: يبدو هذا. غير أنهم يقولون إن المسيح قال عن نفسه «ذَاكَ يُمَجِّدُنِي،

= دائمًا ما تكون حاملة للثمر، وليس شيء حادث عليها، وعلى ذلك فالكلمة الذي أتى من الآب يكون أزليًا مع الآب الذي ولده، متدفق من الجوهر الأبوي كما من ينبوع»] انظر الكنوز في الثالوث، المرجع السابق، مقال٤، فقرة ٢٤ .

[154] يو٧: ٣٧-٣٨.

[155] يو٧: ٣٩.

[156] «لأنه مكتوب قديسين لأني أنا قدوس» (١بط١: ١٦). وهنا يشدِّد ق. كيرلس علي مبدأ وحقيقة أن عمل الروح القدس فينا يشهد لالوهيته فإن لم يكن الروح القدس هو قدوس في جوهره، لما استطاع أن يعطينا أن نكون شركاء في قداسة الله.

[157] بمعني أن الروح القدس يُعطِي للآخرين ذاته أي يعطيهم قداسه هي من طبيعته وبالتالي لا يستمد ذاتيته من آخر ولن يحصل علي القداسة من خارجه.

لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ»[158] إذن الروح يشترك[159] في الإبن.

كيرلس: بالمرّة، فهو بعيد تمامًا عن كونه مشارك. لأن مَنْ يُعطَى بواسطة الإبن وهو كائن فيه ويُدعى أنه روحه كيف يكون مشاركًا فيه، أو أنه يتقدَّس من الخارج أو أن يكون غريبًا بحسب الطبيعة عنه مع أنه يُدعى روحه؟ لكن بما أنهم باحثون أقوياء في الأمور الإلهية ومدققون جدًا كما يعتقدون، فلماذا يهربون من دراسة ما هو حقيقي، مكتفين بأفكار مشوشة وزائفة؟ لأن الإبن لم يَشرْ إلى إختلاف في الطبيعة عندما تحدَّث عن نفسه وعن الروح وقال: «لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» لأنه كان من الممكن بالتأكيد أن يقول وبكلٍّ وضوح أيضًا إن الروح سيأخذ مني التقديس وبه سيقدِّسكم وبهذا القول يكون قد أَظهَر عدم المساواة في الطبيعة وأن التقديس الذي يتم بالروح القدس غير التقديس الذى يتم بالإبن. غير أن الإبن لم يقل هذا بل قال إن الروح سيستخدم كلماتي عينها لأنه واحد في الجوهر وله الطبيعة نفسها وله نفس القدرة ونفس الحديث[160] حتى إنه لو أراد أن يتكَّلم في القديسين لكان كلامه هو كلام المسيح، وذلك لأن المسيح قال «لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ»[161]. تمامًا مثلما الإبن الذى هو واحد مع الله الآب في الجوهر وهو كلمته، وهو الذي ينطق بكلام الآب، كما يكتب القديس يوحنا «لأَنَّ الَّذِى أَرْسَلَهُ اللهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمِ اللهِ.»[162]. لأن إرادة الإبن ليست مختلفة عن إرادة

---

[158] يو١٦: ١٤.

[159] يشترك «μετέχει» والفعل اليوناني لا يحمل معني وحده جوهر الروح والإبن.

[160] يقول ق. كيرلس «الروح هو روح الإبن الذاتي ولا يُعطي له من خارجه، كما تأتينا نحن أمور الله من الخارج، بل الروح كائن فيه بالطبيعة تمامًا كما هو في الآب وبواسطة الإبن يأتي إلي القديسين ويوزع من الآب كما يوافق كل واحد». شرح إنجيل يوحنا. المرجع السابق ص٥٢٩.

[161] يو١٦: ١٣.

[162] يو٣: ٣٤، الاستشهاد بهذه الآية التي تُبين وحده الآب والإبن في الجوهر، هي للتأكيد. كما واضح. على علاقة الروح القدس بالإبن إذ هو واحد معه أيضًا في الجوهر إذ أن «هو روح الإبن، وبالتالي فهو قدوس حسب طبيعته مثل الإبن تمامًا». ويشرح ق. كيرلس المعني اللاهوتي العميق لهذه الآية فيقول: «إذًا فالآب يعلم إن ابنه الذاتي هو فيه، وهو مثله تمامًا بالطبيعة لأني اعتقد أن هذا هو معني العبارة «نحن واحد» ولا شيء سواه، ويعترف أنه ابن وليس مخلوقًا اعني أنه من ذات جوهره الخاص، وليس مخلوقًا اعني انه من ذات جوهره الخاص وليس حاملاً. لمجرّد. كرامة. اسم البنوة لأن الآب يعرف أن الإبن هو صورته الدقيقة الخاصة به، حتى أن الآب يُري رؤية كاملة في ابنه، والآب كائن في الإبن. كما أن الآب هو الذي يجعل الإبن يشع من خلاله بالطبيعة بكيفية تفوق الأدراك وهو الذي له الإبن في ذاته، والذي هو أيضًا في الإبن بسبب أن لهما نفس الجوهر». شرح إنجيل يوحنا. المرجع السابق ص٢١١. ومن الملاحظ ان ق. كيرلس يعطي نفس التفسير هنا من جهة علاقة الإبن بالروح القدس.

الله الآب، وبالمثل فالروح القدس ينطق بكلام المسيح لأن الروح القدس هو روحه، وكلامه ومجده هما يتطابقان مع كلام ومجد المسيح. وبالتالي فروح الإبن هو قدوس، ليس بالاشتراك أو بحسب العلاقة الخارجية معه، بل بطريقة حقيقية حسب الطبيعة. وكما أنه من الحماقة والجهل أن يُدعى الإنسان إنسانًا حقيقيًا لكن يُدرَك علي أنه شيء آخر. هكذا يكون من الحماقة الشديدة، أن يدعو الروح القدس روحًا لكن يجرِّدوه من كونه قدوس حسب طبيعته وأن يحسبوه ضمن طبيعة خلائق أخري. لأن اسمه لا يدل علي مجده أو سموه مثلما كلمة «بداية»، «عرش» أو «ربوبية»، بالنسبة للكائنات التي جاءت إلي الوجود بواسطته، لكن هو مؤشر ـ يدل ـ بطريقة ما ـ علي نوع جوهره، مثلما يدل اسم «أب» علي الآب واسم «ابن» علي الإبن. فعندما ندعو الله الآب هكذا، ولكن لا نعتقد إنه آب، يكون هذا تهوّرًا فكريًا واضحًا وأيضًا عندما ندعو الإبن إبنًا ولا نقول إنه إبن. فكيف يهرب هؤلاء من اتهامهم بالجهل وعدم المعرفة إذ تجرأوا أن يعزلوا الروح عن قداسته التي له حسب الطبيعة، لأنه هو بالحقيقة قدوس؟ وطالما أن الله هو قدوس حسب الطبيعة فالروح أيضًا هو قدوس ومعروف أنه ينبثق منه وهو كائن فيه. إذن كيف يمكن أن يكون بينهما فرق، أعني فرقًا حسب الجوهر؟ أو كيف لا يكون هؤلاء مرضى بالاهمال والتواني وهم يحسبون ضمن الخلائق مَنْ بواسطته وبه تأتي الطبيعة الإلهية لتسكن في داخلنا[١٦٣]؟ لأن مَنْ هو أسمى من كل خليقة لا يمكن أن تشترك الخليقة فيه. أم أن ما أقول هو غير صحيح؟

**إرميــــا:** بل هو صحيح جدًا.

**كيرلس:** أم ماذا إذن؟ أليس الله هو حكيم أو بالحري هو الحكمة الحقيقية؟

**إرميــــا:** وكيف يمكن أنكار هذا؟

**كيرلس:** وقل لي من فضلك: كيف يصير هؤلاء حكماء عندما يتكّلمون بكلام حكيم؟

[١٦٣] راجع ٢بط ١: ٤، يختم ق. كيرلس حواره هذا باظهار الوهية الروح القدس من خلال عمله في نفوسنا والتشديد على هذه الحقيقة التى سبق وأن ذكرها في بداية المقال أنظرص٩ أو بحسب تعبير ق. أثناسيوس «فلو كان الروح القدس مخلوقًا، لما كان لنا اشتراك في الله بواسطته. فإن كنا قد اعتمدنا بمخلوق فإننا نكون غرباء عن الطبيعة الإلهية حيث إننا لم نشترك فيها». الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق. صـ٧٣.

**إرميــــــا:** عن طريق الحكمة كما هو واضح.

**كيرلس:** إذن إن كان الروح يُعطى حكمة لمن يقبل الحكمة، فبالضرورة يكون هو الحكمة ويُدعى كذلك. وقد قلنا سابقًا إنه يكون هو الله.

**إرميــــــا:** ماذا تقولون إذن طالما أن البشر أيضًا والملائكة هم حكماء ويستطيعون أن يعطوا حكمة لآخرين؟

**كيرلس:** لكنهم لا يقدّمون يا صديقي حكمة لأولئك الذين يقال أنهم ينالون حكمة من آخرين مثلما يفعل الله. بل يجعلونهم مشاركين في علومهم الجيدة. وأنا يمكنني أن أضيف بالتأكيد وأقول إن ما جاء في الإنجيل « مَجَّانًا أَعْطُوا»[١٦٤] أنه بمثابة نبوّة لما يحدث للقديسين. والروح القدس يفعل ما يفعله الله بطريقة مماثلة، حتى أنه عندما يَهبْ ذاته لشخص ما بأن يعطيه الشركة معه ويسكن في داخله، فإنه يجعله بالتأكيد حكيمًا بواسطة عمله الذاتي فيه[١٦٥]. ويملأ بطبيعته الفائقة كل فعل له في داخل هذا الإنسان. لهذا فإن الله كلّي القدرة قال لموسى النبي «مَنْ صَنَعَ لِلإِنْسَانِ فَمًا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟»[١٦٦].

وفي موضع آخر قال لجمع اليهود علي لسان أحد الأنبياء «مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ:«إِنِّي بِذَوِي أَلْسِنَةٍ أُخْرَى وَبِشِفَاهٍ أُخْرَى سَأُكَلِّمُ هذَا الشَّعْبَ، وَلاَ هكَذَا يَسْمَعُونَ[١٦٧] لِي، يَقُولُ الرَّبُّ»[١٦٨]. وفي سفر أعمال الرسل كان التكّلم بالألسنة يتّم عن طريق فعل الروح لأنه مكتوب «وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا»[١٦٩]. كما أن المسيح قال لتلاميذه الذين كانوا سيقدَّمون للولاه والملوك إنه لا ينبغي أن يخافوا فأوصاهم «فلا تهتموا وَمَتَى قَدَّمُوكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ

[١٦٤] مت ١٠: ٨.

[١٦٥] مَرّة آخرى، يركز ق. كيرلس على عمل الروح القدس في نفوس مَنْ يؤمنون به، ذلك العمل الذي يشهد لألوهيته.

[١٦٦] خر ٤: ١١.

[١٦٧] يؤمنونَ في المخطوطة التي استعملها ق. كيرلس.

[١٦٨] ١كو ١٤: ٢١.

[١٦٩] أع ٢: ٤.

فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَحْتَجُّونَ أَوْ بِمَا تَقُولُونَ»[١٧٠]، لأني سأعطيكم لسان الروح القدس في قوته وطبيعته[١٧١] ويذكر الكتاب المقدس إن هذا الوعد قد تحقق مع القديسين لأن المسيح نفسه قال «لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُم»[١٧٢]. فكيف إذن يمكن أن يتصَّور أحد أن الروح مخلوق ومصنوع وإنه أقل من الطبيعة الفائقة وأدني مَنْ الحكمة التي تُحكِّم الآخرين، مع أن الله بالتأكيد هو الحكمة؟ وكيف يمكن أن يكون مَنْ يعرف كل شيء ويفحص حتى أعماق الله، محسوبًا ضمن مَنْ لا يعرفون الله، ويُمجد بواسطتنا بمجد يليق بالعبيد مع أن المخلّص يقول بكل وضوح « لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ»[١٧٣]. إذن طالما أن الروح يعرف بحسب الطبيعة كلَّ ما للرب والسيِّد، فكيف لا يكون هو أسمى من كلِّ الخلائق؟ وكيف مَنْ هو أسمى من كل الخلائق، من جهة الجوهر، لا يحسب مع الله الآب والإبن الذي معه وبه يليق المجد للآب مع الروح القدس ذاته، إلى الأبد إمين.

[١٧٠] لو١٢: ١١، مت١٠: ١٩.

[١٧١] لو١٢: ١١، مت١٠: ١٩.

[١٧٢] مت١٠: ٢٠.

[١٧٣] يو١٥: ١٥.

# الثالوث القدوس المساوي في الجوهر

**ارميا :** لكن إن قالوا إنه لو قبلنا بوجود ثلاثة أقانيم، فإنه سيمكن أن نفهم حينئذ أن الألوهة مثلثة (أي يوجد ثلاثة آلهة).

**كيرلس :** بالنسبة لنا فإن الحقيقة الإلهية تُعلّمنا أن الأمور ليست هكذا. لأننا قد تعمّدنا بإسم الآب والابن والروح القدس، وبالطبع لا نقول إننا نؤمن بثلاثة آلهة، لكن بألوهة واحدة ممجدة فى الثالوث القدوس. فلماذا إذاً تتسرع محاولاً أن تُخضع تلك الأمور التى تفوق العقل لأفكار بشّرية، تلك الأمور التى أعتقد إنه يجب أن ينظر إليها فقط بالإيمان الخالى من كل شك لأن التساؤل عن ماهية الثالوث وعن طبيعة الألوهة هو أمر غير لائق بالمرة ويدل على عدم التقوى ...

**ارميا :** صحيح، وأنا أعرف أنهم يحاولون ذلك لكن كيف يكون الله الذى نؤمن به واحداً بينما نقول إن لكل من الآب والإبن أقنومه الخاص ؟

**كيرلس :** إن ما يساعدنا فى فهم هذا الأمر هو أن نأخذ فى إعتبارنا حقيقة وحدة الجوهر، تلك الوحدة التى بها يكون للأقنومين جوهر واحد، مع حفظ ما يخص كل منهما كأقنوم وألاّ تنسب الإزدواجية إلى الطبيعة البسيطة ولا حتى بسبب الخوف إننا ربما نخدش بساطة الطبيعة عندما نتحدث عن أقنومين.

من الحوار الثالث


يطلب هذا الكتاب من:

+ المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية تليفاكس: ٢٣ ٠ ٢٢٤١٤

E-mail: opcc2007@yahoo.com Website: www.patristiccairo.com

+ بيت التكريس لخدمة الكرازة ت: ٢٦٧٤٥٢١٩

+ المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم

الثمن: ٥٥,٠٠ جنيه